الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

الدكتور أحمد محمد صيرة — الدكتور أحمد عبد الغني الجمل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الثالث

المحتوى

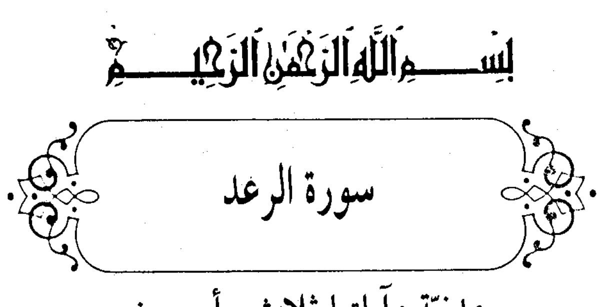
سورة الرعد - سورة الزمر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٣٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠



سورة الرعد

مدنيّة وآياتها ثلاث وأربعون

أخبرنا: أبو سعد أحمد بن محمد بن عمرو الخفاف، أنا: أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى، وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله[1].

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم المر﴾قال: ابن عباس أنا الله أعلم وأرى[2]، وقال في رواية عطاء: أنا الله الملك الرحمن[3]. ﴿تلك ءايات الكتاب﴾يجوز أن يكون ﴿تلك﴾إشارة إلى ما مضى من ذكر الأخبار والقصص التي أنزلت ويجوز أن يكون تلك بمعنى هذه، ويراد بالكتاب القرآن، وقوله: ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾قال الفراء: الذي رفع بالاستئناف، وخبره الحق[4] ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾قال ابن عباس يريد أهل مكة[5] قال الزجاج[6]: لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق، فقال ﴿الله الذي رفع السمٰوات بغير عمدٍ﴾ وهي الأساطين، جمع عماد ﴿ترونها﴾كذلك مرفوعة بلا عمد قال «مقاتل»[7] هي قائمات بغير عمد وقال «الضحاك»[8]: يعني ليس من دونها دعامة، ولا فوقها علاقة وهو قول قتادة[9] وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ثم أقبل على خلق العرش [بالاستيلاء والاقتدار، ونفوذ السلطان وأصل

---

(١) حديث واهي وتقدم الكلام عليه.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم

(٤) (انظر معاني القرآن، للفراء ٢/٥٧).

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦.

(٧) الرازي ١٨/١٨٦.

(٨) البغوي ٣/٥.

(٩) البغوي ٣/٥ وروى الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة أنهم قالوا «لها عمد ولكن لا ترى» انظر تفسير الطبري ١٦ ـ ٣٢٣ وما بعدها وابن كثير ٤/٣٥١.

الاستواء، التدبير كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال قائم بالتدبير، والمعنى: ثم استوى على العرش بالتدبير للأجسام التي خلقها، وثم تدل على حدوث التدبير] [١] ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ذللهما لما يراد منهما ﴿**كل يجري لأجل مسمى**﴾إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا ﴿**يدبر الأمر**﴾يصرفه بحكمته ﴿**يفصل الآيات**﴾يبين الآيات التي تدل على قدرته على البعث ﴿**لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾ قال ابن عباس لكي توقنوا بالبعث وتتعلموا أنه لا إله غيري [٢] ﴿**وهو الذي مد الأرض**﴾قال الفراء بسطها طولاً وعرضاً [٣] ﴿**وجعل فيها رواسي**﴾جبالاً ثوابت قال «ابن عباس» أوتدها بالجبال [٤] ﴿**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**﴾لونين حلواً وحامضاً ﴿**يغشي الليل النهار**﴾ذكرناه في سورة الأعراف. ﴿**إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون**﴾أعلم [الله] [٥] أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن تفكر في قدرة الله، ثم زاد، فقال: ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات**﴾أي متدانية متقاربة ﴿**وجنات من أعنابٍ وزرع ونخيل**﴾يعني: بساتين فيها نخيل وكروم، ومن قرأ [٦]: ﴿**وزرع ونخيل**﴾[بالضم] [٧] حملها على قوله ﴿**وفي الأرض**﴾ولم يحملها على الجنات وقوله ﴿**صنوان وغير صنوان**﴾ من صفة النخيل قال أبو عبيدة الصنوان جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع، فيصير نخيلاً ثم يحملن [٨]، وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير، قال ابن عباس صنوان ما كان من نخلتين، أو ثلاث أو أكثر، أصلهن واحد، وغير صنوان: يريد المتفرق الذي لا يجمعه أصل واحد [٩].

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمر بن مطر، أنا أبو خليفة أنا الوليد والحوضي ومحمد بن كثير قالوا: نا شعبة أنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول في هذه الآية: الصنوان النخلة يكون حولها النخلات،وغير صنوان،النخل المتفرق [١٠] وروى القواس [١١] عن حفص(صُنوان) بضم الصاد [١٢] جعله مثل

---

(١) سقط في أ، ب.

(٢) بنحوه عند الطبري ١٦/ ٣٢٧.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٨ البغوي ٣/ ٦.

(٤) وحكى البغوي عن ابن عباس أنه قال: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض.

(٥) سقط في أ، ب.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع. وحجتهم ذكرها العباس فقال: سألت أبا عمرو: كيف لا تقرأ (وزرعٍ) بالجر؟ قال الجنات لا تكون من زرع. فذهب أبو عمرو إلى أن الزرع وما بعده مردود على قوله قطع كأنه قال: في الأرض قطع متجاورات وفيها جنات وفيها زرع ونخيل. وقرأ الباقون بالجر كلها. حملوا الزرع والنخيل على الأعناب كأنه قال: جنات من أعناب وغير ذلك من زرع ونخيل. وحجتهم في ذلك أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة: قوله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) فكما سميت الأرض ذات النخل والزرع جنة كذلك يكون في قراءة من قرأ: (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) أن يكون الزرع والنخيل محمولين على الأعناب. انظر حجة القراءات ص (٣٦٩) وانظر النشر (٢/ ٢٩٧) إتحاف فضلاء البشر (٢/ ١٦٠).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/ ٣٢٢.

(٩) الطبري ١٦/ ٣٣٦ (٢٠٠٩٥) ابن كثير ٤/ ٣٥٣ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/ ٦٦ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم الدر المنثور ٤/ ٤٣.

(١٠) الطبري ١٦/ ٣٣٥ (٢٠٠٨٧) (٢٠٠٨٩) ابن كثير ٤/ ٣٥٢ الدر المنثور ٤/ ٤٣.

(١١) أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمر بن صبح بن عون أبو الحسن النبال المكي المعروف بالقواس إمام مكة في القراءة غاية النهاية (١/ ١٢٣).

(١٢) وهذا من القراءات الشاذة انظر المحتسب لابن جني (١/ ٣٥٠).

ذوب وذوبان وربما تعاقب فعلان وفعلان على البناء الواحد، نحو حش وحُشّان (١) وحِشّان وقوله: ﴿تسقى بماءٍ واحدٍ﴾ أي **تسقى هذه الأشياء الذي ذكرها من القطع المتجاورات والجنات والنخيل المختلفة، ومن قرأ «يسقى» بالياء (٢) كان التقدير يسقى ما قصصناه وما ذكرناه قال ابن عباس يريد البئر واحدة والشرب واحد، والجنس واحد (٣) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾** يعني اختلاف الطعم الحلو والحامض، يخبر بعجائبه وقدرته في خلقه قال ابن الأنباري (٤): يعني: أن القطع المتجاورة تنبت نباتاً مختلفاً منه الحلو والحامض وشربها واحد، ومكانها مجتمع، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله والأكل الثمر الذي يؤكل وقوله: **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** قال ابن عباس: يريد أهل الإيمان، وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا لله نداً (٥).

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾

قوله **﴿وإن تعجب﴾** أي: من عبادتهم ما لا يملك نفعاً ولا ضراً، بعدما رأوا من قدرة الله تعالى في خلقه الأشياء التي ذكرها **﴿فعجب قولهم﴾** الآية قال الزجاج إن هذا موضع عجب أيضاً، أنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من خلق السماوات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة (٦) ثم أخبر أن **هؤلاء الذين أنكروا البعث بعد الموت كافرون فقال: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ الأغلال جمل الغل.** وهو طوق يقيد به اليد إلى العنق، يقال منه: غل الرجل، فهو مغلول، قوله **﴿ويستعجلونك**

---

(١) الحش والحش جماعة النخل انظر لسان العرب (٢/ ٨٨٥).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: (يسقى بماء واحد). أي يسقى المذكور بماء واحد. وحجتهما قوله: **﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره﴾** على معنى من ثمر المذكور. وقرأ الباقون: تسقى بالتاء أي تسقى هذه الأشياء بماء واحد. قالوا: ولا يكون التذكير، لأنك إن حملته على الزرع فقد تركت غيره، وإن حملته على الجنات مع حمله على الزرع فقد ذكرت المؤنث. وحجتهم قوله تعالى بعدها: **﴿ونفضّل بعضها على بعض﴾** فقال بعضها، فكما حمل هذا على التأنيث كذلك يحمل (تسقى) انظر الحجة لابن زنجلة (٣٦٩، ٣٧٠) وانظر النشر ٢/ ٢٩٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٦٠ البغوي ٣/ ٦.

(٣) بنحوه انظر تفسير الطبري ١٦/ ٣٣٣.

(٤) انظر فتح القدير ٣/ ٦٥.

(٥) وهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها. فهذا في غاية الحلاوة، وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد، ولهذا قال تعالى **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**. انظر ابن كثير (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٨.

بالسيئة قبل الحسنة﴾ يعني مشركي مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بذلك فالمراد بالسيئة ههنا العقوبة المهلكة، والحسنة هي العاقبة والرخاء والله تعالى صرف عمن بعث إليهم محمداً ﷺ عقوبة الإصطلام[١]، وأخر تعذيب مكذبيه إلى يوم القيامة، فذلك التأخير هو الحسنة، وهؤلاء الكفار استعجلوا العذاب قبل إحسان الله معهم بالإنظار، وقوله: **﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾** يقال للعقوبة مثلة ومثلة قال ابن الأنباري[٢]: المثلة العقوبة لتي تبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم مثل فلان بفلان إذا شان خلقه بقطع أنفه وأذنه، أو سمل عينيه، أو بقر بطنه قال ابن عباس، وقتادة: المثلات العقوبات، وما مثل الله بالمكذبين قبلهم[٣] قال الأزهري: يقول: يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعاجلهم به، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمم الخالية فلم يعتبروا بها[٤] وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر خوفاً أن ينزل بهم مثل الذي نزل بمن كفر قبلهم، قوله: **﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾** قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وصدقوا[٥] **﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾** للمصرين على الشرك، وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال: لو يعلم الناس قدر رحمة الله ومغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، وبأس الله ونكال الله ونقمة الله، ما رقأ لهم دمع ولا قرت أعينهم بشيء.

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا: محمد بن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت **﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾** قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتّـكل كل أحد[٦]». قوله: **﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ءاية من ربه﴾** قال ابن عباس: يريد مثل الناقة والعصا وما جاء به النبيون[٧] وقال الزجاج: طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى[٨]، فقال الله: **﴿إنما أنت منذر﴾** تنذرهم بالنار، وليس إليك من الآيات شيء **﴿ولكل قوم هادٍ﴾** أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يريدون ويتحكمون وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة[٩] وقال سعيد بن جبير، وعطية والضحاك: الهادي هو الله عز وجل[١٠]، والمعنى: أنت منذر تنذر، والله هادي كل قوم يهدي من شاء قوله: **﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾** يعلم ما في بطن كل حامل من علقة أو مضغة أو زائد أو ناقص، على اختلاف في

---

(١) وهو الاستئصال انظر لسان العرب ٤/ ٢٤٨٩.

(٢) الرازي ١٩/ ١٠ فتح القدير ٣/ ٦٧ وانظر التهذيب للأزهري ١٥/ ٩٥ البغوي ٣/ ٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/ ٣٥١ (٢٠١٣١) عن قتادة زاد المسير ٤/ ٣٠٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/ ٧٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة الدر المنثور ٤/ ٤٤.

(٤) انظر التهذيب ١٥/ ٩٩.

(٥) بنحوه عن الطبري ١٦/ ٣٥٢ (٢٠١٣٧) زاد المسير ٤/ ٣١٦.

(٦) ذكره الحافظ في تخريجه على الكشاف ٢/ ٥١٤ وقال أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي عن رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان ضعيف وقد تقدم وذكره الحافظ ابن كثير نقلاً عن ابن أبي حاتم ٤/ ٣٥٥.

(٧) الرازي ١٩/ ١١ ابن كثير ٤/ ٣٥٥ فتح القدير ٣/ ٦٨.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٠.

(٩) أخرجه الطبري عن مجاهد ١٦/ ٣٥٥ (٢٠١٤٨) (٢٠١٥٠) (٢٠١٥١) (٢٠١٥٣) (٢٠١٥٤) وزاد المسير ٤/ ٣٠٧ الرازي ١٩/ ١٢ البغوي ٣/ ٨ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/ ٧١ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وانظر الدر المنثور ٤/ ٤٥.

(١٠) الطبري ١٦/ ٣٥٤ (٢٠١٤٢) (٢٠١٤٣) (٢٠١٤٤) البغوي ٣/ ٨ والرازي ١٩/ ١٢ الدر المنثور ٤/ ٤٥.

جميع أحواله، وقال عطاء عن ابن عباس يريد ذكر أم أنثى، واحد أم اثنين أم أكثر[١] وقوله: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ الغيض النقصان، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وغيض الماء﴾ قال أكثر المفسرين: يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر[٢] ﴿وما تزداد﴾ على ذلك، قال «الضحاك»[٣] الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ قال ابن عباس: علم كل شيء فقدره تقديراً مما يكون قبل أن يكون، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة[٤].

عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ علم ما غاب عن جميع خلقه، وما شهده خلقه وعلموه ﴿الكبير﴾ بمعنى العظيم ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، وهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إليه، وقوله ﴿المتعال﴾ قال الحسن: المتعالي عما يقول المشركون[٥] وقوله ﴿سواء منكم من أسر القول﴾ أي أخفاه وكتمه ﴿ ومن جهر به ﴾ أعلنه وأظهره ، قال مجاهد : السر والجهر عنده سواء[٦] وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ الظاهر، يقال سربت الإبل تسرب سروباً، أي: مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت، قال «الزجاج»[٧]: معنى الآية الجاهر بنطقه، والمضمر في نفسه، والظاهر في الطرقات، والمستخفي في الظلمات علم الله فيهم جميعاً سواء، قوله: ﴿له معقبات﴾ المعقبات: المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه، ويكون بدلاً منه وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين[٨]، قال شمر: هي الكائنات يأتي بعضها بعد ذهاب بعض[٩]، قال «الزجاج»: المعقبات الملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض[١٠]، قال الفراء: المعقبات ذكر أن

---

(١) انظر تفسير البغوي (٣/٨) الرازي (١٩/١٣).

(٢) الطبري ١٦/٣٥٨ البغوي (٣/٨) الرازي (١٩/١٣).

(٣) الطبري ١٦/٣٦٣ (٢٠١٨٥) (٢٠١٨٦) (٢٠١٨٧) (٢٠١٨٨) وزاد المسير ٤/٣٠٨ انظر البغوي ٣/٨.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/٨ زاد المسير ٤/٣٠٨ الرازي ١٩/١٤.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٠٩.

(٦) البغوي ٣/٩ زاد المسير ٤/٣٠٩ لفظ (سواء) يطلب اثنين سواء زيد وعمرو ثم فيه وجهان: الأول: أن سواء مصدر والمعنى: ذو سواء كما تقول: عدل زيد وعمرو. أي ذوا عدل. الثاني: أن يكون سواء بمعنى مستو، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى الإضمار، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقول مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين إذا كانت نكرات لا يبدأ بها. ولقائل أن يقول: بل هذا الوجه أولى لأن حمل الكلام عليه يغني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل. وقال الأزهري: تقول العرب سربت الإبل سرباً، أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت، فإذا عرفت ذلك فمعنى الآية سواء كان الإنسان مستخفياً في الظلمات أو كان ظاهراً في الطرقات، فعلم الله تعالى محيط بالكل. وقال مجاهد: سواء من يقدم على القبائح في ظلمات الليالي، ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي انظر الرازي (١٩/١٥) واخرج مثله ابن جرير عن قتادة ١٦/٣٦٨.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤١ الرازي ١٩/١٥.

(٨) الطبري ١٦/٣٦٩ البغوي ٣/٩ الرازي ١٨/١٦ ابن كثير ٤/٣٥٩ فتح القدير ٣/٧١.

(٩) انظر التهذيب للأزهري ١/٢٧٢.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٢.

جمع ملائكة معقبة، ثم جمعت معقبة معقبات، والذي يدل على التذكير قوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾[١] قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: المعقبات الملائكة الحفظة[٢] يدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا أبو داود سليمان بن سلام، نا يحيى بن يحيى قال قتادة: قرأت على مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: «تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[٣] ومعنى الآية: لله ملائكة حفظة تتعاقب في النزول إلى الأرض من بين يدي الإنسان ومن خلفهم وقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ ذكر الفراء[٤] في هذا قولين أحدهما: انه على التقديم والتأخير، وتقديره: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. والثاني: ان هذا على إضمار أن ذلك الحفظ من أمر الله أي: مما أمر الله به، ونحو هذا قال الزجاج قال: المعنى حفظهم إياه من أمر الله، أي: مما أمرهم الله به، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله[٥] وقال ابن الأنباري[٦]: وفي هذا قول آخر، وهو: أن ﴿من﴾ بمعنى الباء، والتأويل: يحفظونه بأمر الله، وهذا قول مجاهد، وعطاء والحسن وقتادة، قالوا: يحفظونه بأمر الله[٧] وقال السدي: يحفظونه من أمر الله إلى أمر الله، مما لم يقدر الله إلى ما قدر الله[٨]، وقال كعب: لولا أن الله وكل بهم ملائكة يذبون عنكم، لتخطفتكم الجن[٩] أخبرنا: أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد البكائي[١٠] عن ليث عن مجاهد قال: ما من مسلم ينام إلا وكل الله به وكلاء من الملائكة يحفظونه من الجن والهوام، فإذا أرادوه بشيء، قالوا: وراءك وراءك، إلا شيئا قد قضى له أن يصيبه[١١].

أخبرني: محمد بن عبد العزيز المروزي، أنا محمد بن الحسين الحدادي، أخبرهم أنا: محمد بن يزيد أنا

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٢.

(٢) الطبري ١٦/٣٧١ (٢٠٢١٢) (٢٠٢١٣) (٢٠٢١٤) وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣٥٩ البغوي ٣/٩ والدر المنثور ٤/٤٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢/٣٣ في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٥) ومسلم ١/٤٣٩ في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٢١٠/٦٣٢) ومالك في الموطأ (١٧٠) وأحمد في المسند ٢/٤٨٦ وأبو عوانة ١/٣٨٧ وانظر تفسير زاد المسير ٤/٣١١ والقرطبي ٣/٢١١ ٩/٢٩٣، ١٠/٢٠٧ وابن كثير ٥/٩٩.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٠.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٢.

(٦) الرازي ١٨/١٧ فتح القدير ٣/٦٩ البغوي ٣/٩.

(٧) الطبري ١٦/٣٧٦ (٢٠٢٣٩) (٢٠٢٤٠) ابن كثير ٤/٣٦١ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٧١ وعزاه لابن جرير الدر المنثور ٤/٤٧ البغوي ٣/٩.

(٨) الطبري ١٦/٣٧٥.

(٩) أخرجه الطبري ١٦/٣٧٨ (٢٠٢٤٦) زاد المسير ٤/٣١٢ وابن كثير ٤/٣٦١ البغوي ٣/٩.

(١٠) زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي الكوفي صاحب ابن إسحاق. حدث عن منصور، وعبد الملك بن عمير، والكبار وعنه أحمد، والفلاس، والحسن بن عرفة، وخلق. قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق وقال ابن معين: لا بأس به في المغازي، وأما في غيرها فلا. وقال ابن المديني: ضعيف، كتبت عنه وتركته وقال أبو حاتم: لا يحتج به وقال أبو زرعة: صدوق. وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بآخر وقال النسائي: ضعيف وقال مرة: ليس بالقوي. وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه قال عبد الله بن إدريس: ما أحد أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي لأنه أملى عليه إملاء مرتين وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن هو من أثبتهم في المغازي. انظر ميزان الاعتدال (٢/٩١).

(١١) أخرجه الطبري ١٦/٣٧٧ (٢٠٢٤٥) زاد المسير ٤/٣١٢ البغوي ٣/٩.

إسحاق بن إبراهيم أنا النصر بن شميل نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن أبي جندب[1]، قال كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين فأقبل علي رضي الله عنه، متوكئاً على عنزة له، بعدما اختلط الظلام، فقال سعيد: يا أمير المؤمنين قال: نعم، قال: أما تخاف أن يغتالك أحد؟ قال: إنه ليس من أحد إلا ومعه من الله حفظة من أن يتردى في بئر، أو يخر من جبل، أو يصيبه حجر، أو تصيبه دابة، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبين القدر[2] وقوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ أي لا يسلب قوماً نعمة، حتى يعملوا معصية قال ابن عباس: يريد العذر فيما بينه وبين خلقه، ويعني بهذا أهل مكة[3] ﴿وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً﴾ عذاباً ﴿فلا مرد له﴾ قال عطاء: يريد: لاراد لعذابي ولا ناقض لحكمي[4] ﴿وما لهم من دونه من والٍ﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ قال قتادة: خوفاً للمسافر، وطمعاً للمقيم[5] قال الزجاج الخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر والطمع للحاضر لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب[6] ﴿وينشىء﴾ يخلق ﴿السحاب الثقال﴾ بالماء ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ قال ابن عباس سألت اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ فقال: الرعد ملك من ملائكة الله عز وجل، موكل بالسحاب، معه مخاريق، يسوق بها السحاب حيث يشاء الله قالوا: فما الصوت الذي يسمع؟ قال: «زجره بالسحاب إذا زجر، حتى ينتهي إلى حيث ما أمر»[7] وقال مجاهد: الرعد صوت ملك يسبح[8]، وكان عبد الله بن الزبير جالساً يحدث أصحابه، فسمع صوت الرعد، فترك الحديث وقال: سبحان من سبحت له، وقال: إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد[9]، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى يقول: لو أن عبادي أطاعوني، لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس

(١) عمرو بن أبي جندب يقال إنه أبو عطية الوادعي والصحيح أنه غيره التقريب ٢/٦٧ التهذيب ٨/١٣.

(٢) الطبري ١٦/٣٨٧ (٢٠٢٤٧) زاد المسير ٤/٣١٢.

(٣) زاد المسير ٤/٣١٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦/٣٨٦.

(٥) الطبري ١٦/٣٨٧ (٢٠٢٥٢) والبغوي ٣/١٠ ابن كثير ٤/٣٦٢ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٧٦ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٢.

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٧٤ في كتاب التفسير سورة الرعد باب (١٤) (٣١١٧) وقال حسن غريب وأحمد في المسند ١/٢٧٤.

(٨) البغوي ٣/١١ الرازي ١٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري ١٦/٣٨٩ عن علي (٢٠٢٦١) وعن ابن عباس (٢٠٢٦٢) وعن الأسود بن يزيد (٢٠٢٦٣) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٢٢) وعن طاوس عند الطبري (٢٠٢٦٤) وانظر الدر المنثور ٤/٥١ وأخرجه مالك في الموطأ ٢/٢٩٢ في كتاب الكلام باب القول إذا سمعت الرعد.

بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد [1] وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾ يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته، قال ابن عباس إنهم خائفون من الله وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره[2] لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء، وقوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ قال المفسرون: نزلت في أربد[3] وعامر بن الطفيل، أتيا النبي ﷺ يخاصمانه، ويريدان الفتك به، فقال النبي ﷺ، «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأرسل الله عز وجل صاعقة على أربد في يوم صائف صاح فأحرقته، وولى عامر هارباً[4] وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ قال «ابن عباس» يكذبون بعظمة الله[5] ﴿وهو شديد المحال﴾ قال «مجاهد والسدي» المحال القوة[6] أي: شديد القوة وقال الزجاج: يقال: ماحلته محالاً إذا قاويته حتى يتبين أيكما أشد، والمحل في اللغة الشدة [7] قوله: ﴿له دعوة الحق﴾ المراد بدعوة الحق ههنا كلمة التوحيد والإخلاص والمعنى: لله من خلقه الدعوة الحق، وأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو الحسن السراج نا محمد بن عبد الله الحضرمي نا محمد بن عبد الله بن نصير نا يحيى بن اليمان، عن سفيان عن سلمة بن كهيل[8] عن عباية بن ربعي، عن علي: له دعوة الحق

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ٢/ ٣٤٩ وتعقبه الذهبي بقوله صدقة واه فأخرجه البغوي في التفسير ٤/ ٣٦٤.

(٢) البغوي ٣/ ١١.

(٣) أربد بن شريح بن بجير، من ذبيان شاعر، من الأشراف الشجعان في الجاهلية، وأحد فرسانها المشهورين. انظر الاعلام (١/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه الطبري ١٦/ ٣٩٢ (٢٠٢٧٢) وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٤١ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وقال وفي إسنادها عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف والبغوي في التفسير ٣/ ١١.

(٥) يعني هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوهاً: أحدها: أن يكون المراد الرد على الكافر الذي قال: أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد. وثانيها: أن يكون المراد الرد على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر والنشر. وثالثها: أن يكون المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات. ورابعها: أن يكون المراد الرد عليهم في استنزال عذاب الاستئصال. وفي هذه الواو قولان: الأول أنها للحال، والمعنى: فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أن أربد لما جادل في الله أحرقته الصاعقة. والثاني: أنها واو الاستئناف كأنه تعالى لما تمم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك (وهم يجادلون في الله) انظر الرازي (١٩/ ٢٢، ٢٣)

(٦) البغوي ٢/ ١١ وأخرجه الطبري عن قتادة وابن زيد ١٦/ ٣٩٦ (٢٠٢٧٥) (٢٠٢٧٩).

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٣.

(٨) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي التنعي أبو يحيى الكوفي قال يحيى بن سلمة بن كهيل: ولد أبي سنة سبع وأربعين ومات يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومائة وكذا قال غير واحد وقال ابن سعد وغيره مات سنة (٢٢) وقال محمد بن عبد الله الحضرمي وهارون بن حاتم مات سنة (١٢٣) قال ابن المديني في العلل لم يلق سلمة أحداً من الصحابة إلا جندباً وأبا جحيفة وقال الوليد ابن حرب عن سلمة: سمعت جندباً ولم أسمع أحداً غيره، يقول: قال النبي ﷺ. وذكره ابن حبان في الثقات وقال الآجري قلت لأبي داود أيما أحب إليك حبيب بن أبي ثابت أو سلمة. فقال سلمة، قال أبو داود: كان سلمة يتشيع وقال عبيد بن جناد عن عطاء الخفاف: أتى سلمة بن كهيل زيد بن علي بن الحسين لما خرج فنهاه عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة فأبى، فقال له: فتأذن لي أن أخرج من البلد فقال لما؟ قال: لا آمن أن يحدث لك حدث فلا آمن على نفسي قال فأذن له فخرج إلى اليمامة. وقال النسائي هو أثبت من الشيباني.

قال: **لا إله إلا الله**. وهذا قول ابن عباس وقتادة[١]، وقال الحسن: الله الحق، فمن دعاه دعا الحق[٢] وقوله: ﴿**والذين يدعون من دونه**﴾ يعني الأصنام يدعونها المشركون من دون الله ﴿**لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه**﴾ قال الزجاج «إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه إلى الماء يدعو الماء إلى فيه والماء لا يستجيب[٣]» أعلم الله أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فمه ﴿ **وما هو ببالغه**﴾ وما الماء ببالغ فاه بدعوته إياه قال الكلبي: كمادّ يده إلى الماء من مكان بعيد فلا يبلغه ولا يبلغ الماء فاه [٤] وقال عطاء: كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر، يمد يده إلى البئر، فلا يبلغ قعر البئر، والماء لا يرتفع إلى يده [٥] قوله: ﴿**ما دعاء الكافرين**﴾ قال «ابن عباس»: يريد عبادة الكافرين الأصنام [٦] ﴿**إلا في ضلال**﴾ بطلان وزوال قوله: ﴿**ولله يسجد من في السمٰوات والأرض طوعاً**﴾ يعني الملائكة، والمؤمنين ﴿**وكرهاً**﴾ يعني: من أكره على السجود من الكافرين والمنافقين هذا قول المفسرين[٧] وقال أهل المعاني: سجود الكاره تذلله وانقياده لما يريده الله منه، من عاقبة ومرض وغنى وفقر وحياة وموت، فالكافر في حكم الساجد لله من هذا الوجه[٨] ومعنى السجود في اللغة التذلل والخضوع، وهذا كقوله: ﴿**وله أسلم من في السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً**﴾ وقوله: ﴿**وظلالهم بالغدو**﴾ والآصال قال المفسرون[٩]: كل شخص مؤمن أو كافر فإن ظله يسجد لله تعالى قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره[١٠] وقال أهل المعاني[١١]: سجود الظلال تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر.

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

قوله: ﴿**قل من رب السمٰوات والأرض قل الله**﴾ السؤال والجواب، جاء من جهة واحدة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق السمٰوات والأرض والمخلوقات كلها، كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[١٢] فإذا أجاب النبي ﷺ بقوله:

---

(١) الطبري ١٦/٣٨٩ (٢٠٢٨٠)، (٢٠٢٨١)، (٢٠٢٨٤) عن ابن عباس وعن قتادة (٢٠٢٨٣) عن ابن زيد (٢٠٢٨٥) والبغوي عن ابن عباس ٣/١٢ والرازي ١٩/٢٣ وابن كثير ٤/٣٦٧.

(٢) الرازي ١٩/٢٣ زاد المسير ٤/٣١٧.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٤.

(٤) الطبري ١٦/٤٠٢ عن ابن عباس (٢٠٢٩٤).

(٥) البغوي ٣/١٢ وانظر فتح القدير ٣/٧٧.

(٦) الطبري ١٦/٤٠٣ البغوي ١١/١٢.

(٧) الطبري ١٦/٤٠٣ الرازي ١٩/٢٤٥٠ البغوي ٣/١٢.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٢ وتأويل مشكل القرآن ١/٢٣١.

(٩) البغوي ٣/١٢.

(١٠) تفسير الطبري ١٦/٤٠٤ (٢٠٣٠٢) والبغوي ٣/١٢.

(١١) الرازي ١٩/٢٥ فتح القدير ٢/٧٣.

(١٢) سورة الزخرف (٨٧).

الله، لم ينكروا ويصيروا كأنهم قالوا ذلك، ثم ألزمهم الحجة، فقال: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ قال ابن عباس: توليتم غير رب السماء والأرض أصناماً[١] لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام، وللذي يعبد الله، فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ يعني: الشرك والإيمان، وقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه﴾ قال ابن الأنباري[٢]: معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر على هذا، حتى يشتبه الأمر، بل إذا فكروا بعقولهم، وجدوا الله هو المنفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون خلقاً يتشابه بخلق الله، وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ قال الزجاج: قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء[٣] والمعنى: أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً، ألا ترى أنه هو شيء وهو غير مخلوق؟ قوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد قرآناً وهو مثل ضربه الله تعالى[٤] ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أودية جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين، يجتمع إليه ماء المطر فيسيل، والقدر والقدر مبلغ الشيء والمعنى: بقدرها من الماء، فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع كثر، قال ابن الأنباري[٥]: شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر وشبه الأودية بالقلوب، إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين وقوله ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ طافياً عالياً فوق الماء[٦] قال ابن عباس[٧] هو الشك والكفر، ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ يعني: ما يذاب من الجواهر فيدخل النار ويوقد عليها ﴿ابتغاء حلية﴾ يعني الذهب والفضة ﴿أو متاع﴾ يعني: الحديد والصفر والنحاس والرصاص تتخذ منها الأواني، والأشياء التي ينتفع بها، وقوله: ﴿زبد مثله﴾ أي: زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ﴿كذلك﴾ كما ذكر من هذه الأشياء ﴿يضرب الله﴾ مثل ﴿الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ والجفاء: ما جافاه الوادي أي رمى به، قال الفراء: الجفاء الرمي، يقال: جفا الوادي غثاء جفاء إذا رماه والجفاء بمنزلة الغثاء وهذان مثلان ضربهما الله للحق والباطل، يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه فإن الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق، وأهله كالزبد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل وكخبث هذه الجواهر يقذفه الكير، وهذا مثل الباطل وأما الماء الذي ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من الجواهر يبقى خالصاً لا شوب فيه وهو مثل الحق[٨] قال الزجاج[٩]: فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء المستنفع به من نبات الأرض وحياة كل شيء وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر،

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/١٣.

(٢) زاد المسير ٤/٣٢٠ فتح القدير ٣/٧٤.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٤، فتح القدير ٣/٧٤.

(٤) الطبري ١٦/٤١٠ (٢٠٣١١)، ابن كثير ٤/٣٦٩ البغوي ٣/١٣.

(٥) انظر البحر المحيط ٥/٣٨٠ وفتح القدير ٣/٧٥.

(٦) قال الفراء: يقال أزبد الوادي إزباداً، والزبد الاسم وقوله رابياً قال الزجاج: طافياً عالياً فوق الماء. وقال غيره: زائداً بسبب انتفاخه، يقال: ربا يربو إذا زاد. والمراد من هذا تشبيه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء. فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الوادي وتدفعه الرياح. فكذلك يذهب الكفر ويضمحل.

(٧) انظر تفسير البغوي ٣/١٣.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٢ الرازي ١٩/٣٠.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٥.

لأنها كلها تبقى منتفعاً بها، ومثل الكافر وكفره، كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما يخرجه الناس من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به، قوله: ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أي: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده وشريعته ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ إلى قوله ﴿لافتدوا به﴾ أي لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، وقوله ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ قال «المفسرون» هو ألا يقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة[1].

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد الصوفي أنا محمدبن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي[2]، قال: قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد، أتدري ما سوء الحساب؟ قال قلت: لا. قال هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء[3].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل[4] يعني: أن أبا جهل أعمى القلب، لا يهتدي إلى طريق الرشد ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ويتذكر ما رغب فيه من الجنة ﴿أولو الألباب﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار[5] ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ قال: يريد الذين عاهدهم عليه في صلب آدم ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني: الأرحام، وقال «ابن عباس» يعني الإيمان بجميع الرسل[6] وهو أن يصل بينهم بالإيمان بالجميع، كما أخبر عن المؤمنين في قولهم: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾

---

(١) الطبري ١٦/٤١٧ البغوي ٣/١٤ الرازي ٢٠/٣١ وانظر الدر المنثور ٤/٥٦.

(٢) فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري من سبخة البصرة، وقيل من سبخة الكوفة وقال الجوزجاني عن أحمد: يروي عن مرة منكرات وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ليس بذاك وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال البخاري في حديثه: مناكير وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وروى عنه الناس؛ وقال النسائي: ليس بثقة وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح ضعيف الحديث جداً. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث وكان حائكاً. وقال ابن عدي: كان يعد من صالحي أهل البصرة وليس هو كثير الحديث. وقال ابن سعد: مات بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، بقية كلام ابن سعد وكان ضعيفاً منكر الحديث، وقال العجلي: بصري لا بأس به رجل صالح. انظر تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٢).

(٣) الطبري ١٦/٤١٧ (٢٠٣٢٨) (٢٠٣٣٤) والبغوي ٣/١٤ وانظر الدر المنثور ٤/٥٦.

(٤) البغوي ٣/١٤ البحر المحيط ٥/٣٨٤

(٥) والعبرة بعموم اللفظ فالمراد أنه لا ينتفع بهذه الأمثلة إلا أرباب الألباب الذين يطلبون من كل صورة معناها، ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون بظاهر كل حديث إلى سره ولبابه. انظر الرازي (١٩/٣٢).

(٦) البغوي ٣/١٤ الرازي ١٨/٣٤ والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف.

﴿والذين صبروا﴾ أي: على دينهم، وما أمروا به من الطاعة **﴿ابتغاء وجه ربهم﴾** طلب تعظيم الله، وقوله: **﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾** قال ابن عباس: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل[١]، كما روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تمحها»[٢] وقال ابن كيسان[٣]: هو أنهم كلما أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة معرّة الذنب **﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾** قال ابن عباس: يريد عقابهم الجنة[٤]، أي: تصير الجنة لهم آخر أمرهم ثم بين ذلك فقال: **﴿جنات عدنٍ يدخلونها ومن صلح من ءابائهم﴾** قال ابن عباس: ومن صدق بما صدقوا به[٥] وقال مجاهد[٦]: ومن آمن منهم وذلك أن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال: **﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾**[٧] **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾** قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحفة والهدايا[٨] ويقولون: **﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾** أي: سلمكم الله من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا على طاعته **﴿فنعم عقبى الدار﴾** ما أنتم فيه من الكرامة أي: نعم عقبى الدار التي عملتم فيها ما أعقبكم هذه الكرامة، قوله **﴿والذين ينقضون عهد الله﴾** مفسر إلى آخر الآية فيما سبق[٩]. **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** يضيق ويقتر، كقوله: **﴿ومن قدر عليه رزقه﴾**[١٠] **﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾** قال ابن عباس: «يريد مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا، فطغوا وكذبوا الرسول[١١]» **﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾** أي: بالقياس إليها **﴿إلا متاع﴾** أي: قليل ذاهب، كالشيء الذي يتمتع به ثم يفنى.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ

---

(١) الطبري ١٦/٤٢٢ عن ابن زيد (٢٠٣٣٧) وأخرجه البغوي عن ابن عباس ٣/١٦ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣٧٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٦٩ وسعيد بن منصور في السنن ٣/٦٤ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢١٧، ٥٢١٨ والبغوي في التفسير ٣/١٦ ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٨١ وعزاه لأحمد وقال رجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه ولم يسم أحداً منهم وذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٤٠٦ وفي الدر المنثور ٣/٣٥٤ وابن الشجري ١/٢٥ وابن كثير ٤/٢٨٩.

(٣) البغوي ٣/١٦.

(٤) البغوي ٣/١٦ وانظر الطبري ١٦/٤٢٢.

(٥) الرازي ١٩/٣٦.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٤٢٤ (٢٠٣٤١) وانظر فتح القدير ٢/٨٠.

(٧) سورة الطور (٢١).

(٨) انظر فتح القدير ٣/٧٩.

(٩) انظر تفسير سورة البقرة رقم (٧٢).

(١٠) سورة الطلاق (٧).

(١١) انظر البغوي ١٣/١٧.

شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿**ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ءاية من ربه**﴾ نزلت في أهل مكة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات ﴿**قل إن الله يضل من يشاء**﴾ قال ابن عباس: «يريد عن دينه»[1] يعني كما أضلكم بعدما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها ﴿**ويهدي إليه من أناب**﴾ رجع إلى الحق وإنما يرجع إلى الحق من يشاء الله فكأنه قال: ويهدي إليه من يشاء، كما قال في آيات: ﴿ويهدي من يشاء﴾[2] قوله: ﴿**الذين ءامنوا**﴾ بدل من قوله: ﴿**من أناب**﴾ المعنى: يهدي إليه الذين آمنوا ﴿**وتطمئن قلوبهم بذكر الله**﴾ إذا سمعوا ذكر الله أحبوه، واستأنسوا به، وقال الزجاج: أي إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكين[3] بخلاف من وصف بقوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾[4] وقوله: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ يعني: قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب ﴿**الذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم**﴾ أكثر المفسرين على أن طوبى اسم شجرة في الجنة وهو قول أبي هريرة ومغيث بن سمي[5] وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل وابن عباس في رواية الكلبي وعطاء[6] وروي ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن حيان نا محمد بن حمزة بن عمارة نا جعفر بن عنبسة[7] حدثني أبي عنبسة بن عمرو[8] عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني[9] عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله في كتابه ﴿ **الذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم**﴾ فقال: «أما طوبى، فشجرة في الجنة، ليست دار من دور الجنة إلا وفيها غصن من أغصانها، لو أن طائراً طار في غصن من أغصانها لقتله الهرم قبل أن يبلغ فرعه، ولو أن رجلاً عمر أعمار الأولين ركب حقة[10] أو جذعة[11]، ثم طاف بساقها،

---

(١) انظر البغوي ٣/١٧.

(٢) سورة يونس (٢٥) سورة النحل (٩٣) سورة فاطر (٨).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٧.

(٤) سورة الزمر (٤٥).

(٥) مغيث بن سمي الأوزاعي أبو أيوب الشامي. روى عن عمر بن الخطاب وأبي مسعود وأبي هريرة وابن الزبير وكعب الأحبار وغيرهم، وقال يعقوب بن سفيان: شامي ثقة، وقال الآجري عن أبي داود: ثقة، وقال الوليد عن أبي بكر بن سعيد عن مغيث بن سمي: لقيت زهاء ألف من الصحابة وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب (١٠/٢٥٥).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٦/٤٣٦ البغوي وابن كثير ٤/٣٧٦ الرازي ١٩/٤٠ فتح القدير ٢/٨٢.

(٧) جعفر بن عنبسة بن عمرو الكوفي وثقه الطوسي انظر لسان الميزان ٢/١٢٠.

(٨) عنبسة بن أبي عمرو. تابعي مجهول انظر ميزان الاعتدال (٣/٣٠٢).

(٩) إسماعيل بن زياد ويقال ابن أبي زياد السكوني قاضي الموصل. روى عن ابن جريج وشعبة والثوري وثور بن يزيد وغيرهم، قال الخطيب: أنا البرقاني قال سألت الدارقطني عن إسماعيل بن أبي زياد، فقال هو السكوني متروك يضع الحديث، التهذيب (١/٢٨٩).

(١٠) والحقة من الإبل هي التي دخلت في السنة الرابعة النهاية في غريب الحديث (١/٤١٥).

(١١) وهي التي استكملت أربع سنين ودخلت في السنة الخامسة النهاية (١/٢٥١).

لقتله الهرم قبل أن يبلغ الموضع الذي ابتدأ منه، ليس منها ورقة إلا تظل أمة من الأمم، وليس منها ورقة إلا عليها ملك يذكر الله ويسبحه، وليس منها ورقة لو جمع الشمس والقمر إلا طمست ضوءهما، منها كسوة أهل الجنة وحليهم ورقها حلل، وأغصانها حلى، ووحلها المسك والعنبر، وترابها الورس [١] والزعفران وحصباؤها الدر والياقوت، وهي مجلس أهل الجنة ومتحدثهم» [٢].

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز في كتابه أنا محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يزيد أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: «طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل برحالها وأزمتها، وعما شاء من الكسوة» [٣].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: طوبى اسم الجنة بالحبشة [٤] هو قول مجاهد في رواية شبل قال: «طوبى اسم الجنة» [٥]، وقال أبو عبيدة والزجاج وأهل اللغة: «طوبى فُعلَى من الطيب» قال ابن الأنباري: «تأويلها: الحال المستطابة [٦] لهم». وقوله: ﴿كذلك أرسلناك﴾ أي: أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿في أمةٍ قد خلت من قبلها أمم﴾ قال ابن عباس: «في قرون قد مضت من قبلها قرون» ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ يعني القرآن. ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ كان في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فلما سمعه يذكر الرحمن ولى مدبراً إلى المشركين وقال لهم: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو إلهاً آخر يقال له الرحمن، فأنزل الله هذه الآية [٧].

وقوله: ﴿قل هو ربي﴾ أي: قل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو إلهي وسيدي ﴿لا إله إلا هو﴾ قوله: ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآية، قالت قريش للنبي ﷺ: إن كنت كما تقول: فادع الله يسير عنا هذه الجبال، فإن أرضنا ضيقة، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً، حتى نغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا، ويخبرونا أنك نبي، فأنزل الله: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ أي: جعلت تسير ﴿أو قطعت به الأرض﴾ أي: شققت، فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أو كلم به الموتى﴾ أي: أحيوا حتى كلموا، وجواب لو محذوف قال الفراء [٨]: «تقديره: لكان هذا القرآن والمعنى: لو أن قرآناً فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن» وقال الزجاج: «جوابه لما آمنوا [٩]» وهو قول ابن عباس، قال: يريد لو قضيت ألا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ولا على الأرض إلا تخرقت ولا على الموتى إلا أحيوا

---

(١) نبت أصفر يصبغ به النهاية في غريب الحديث ٥/١٧٣.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/٣٨٠ وقال هذا سياق غريب وأثر عجيب وأرى أنه لا يصح البتة. وإن كان لبعض سياقه شواهد صحيحه.

(٣) في إسناده محمد بن يزيد وضاع وقد تقدم الكلام عليه وذكره الطبري في التفسير ١٦/٤٣٨ (٢٠٣٨٤) (٢٠٣٨٦) وذكره السيوطي في الدر ٤/٥٩ وذكره ابن كثير في التفسير نقلاً عن ابن جرير ٤/٣٧٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٦/٤٣٦ (٢٠٣٧٥) وانظر الدر المنثور ٤/٥٩.

(٥) الطبري ١٦/٤٣٧ (٢٠٣٧٩).

(٦) انظر التهذيب ١٤/٩٣ وانظر تفسير الرازي ١٩/٤٠ فتح القدير ٣/٨١.

(٧) البغوي ٢/١٩.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٧.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٤٨.

وتكلموا، ما آمنوا لما سبق عليهم في علمي، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ إلى قوله﴿ما كانوا ليؤمنوا[1] ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ يقول: دع ذاك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره، فالأمر لله جميعاً، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وإذا لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال وما اقترحوا من الآيات، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿أفلم ييئس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ قال ابن عباس: «أفلم يعلم[2]» وقال الكلبي: «ييأس يعلم في لغة النخع[3]» وهذا قول مجاهد والحسن وقتادة[4] وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ أي: بما صنعوا من كفرهم، وأعمالهم الخبيثة داهية تقرعهم، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والحرب والجدب، وقال مجاهد وأبو سعيد الخدري: هي السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إليهم[5] ﴿أو تحل﴾ تنزل أنت يا محمد قريباً من دارهم ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ يعني فتح مكة، وعده الله أن يفتحها له ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ثم عزى رسول الله ﷺ فقال: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا﴾ أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة، ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ قال ابن عباس: «يريد كيف رأيت ما صنعت بهم، كذلك أصنع بمشركي[6] قومك» قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ قال ابن عباس[7]: «كذلك أمتنع يريد نفسه تبارك وتعالى» ومعنى القيام ها هنا التولي لأمور خلقه، والتدبير للأرزاق والآجال، وإحصاء الأعمال للجزاء، كقوله: ﴿قائماً بالقسط[8]﴾ أي: والياً لذلك، والمعنى ها هنا: أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت، وتلخيصه: أفمن هو مجاز كل نفس بما كسبت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ قال الفراء:

---

(١) سورة الأنعام (١١١).

(٢) الطبري ١٦/٤٥٠، ٤٥٢ الرازي ١٩/٤٣.

(٣) قال أبو جعفر: فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقوله ذلك ببيت سحيم بن وثيل الرياحي:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابنُ فارسِ زهدمِ

ويروى «ييسرونني» فمن رواه (ييسرونني) فإنه أراد: يقتسمونني من الميسر كما يقسم الجذور ومن رواه: (يأسرونني) فإنه أراد الأسر.وقال عني بقوله: ألم تيأسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضاً في ذلك:

ألم ييأسِ الأقوامُ أني أنا ابنُهُ ... وإن كنتُ عن أرضِ العشيرةَ نائيا

وفسروا قوله (ألم ييأس) ألم يعلم ويتبين؟ وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع يقال لهم: (دهبيل) تقول: (ألم تيأس كذا) بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وأنهم يقولون: يئست كذا علمت. وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول (يئست) ويقول هو في المعنى وإن لم يكن مسموعاً (يئست) بمعنى علمت يتوجه إلى ذلك، إذ انه قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، فقال: «أفلم ييأسوا علماً» يقول يؤيسهم العلم فكأن فيه «العلم» مضمراً، كما يقال: «قد يئست منك أن تفلح علماً» كأنه قيل «علمته علماً» قال: وقول الشاعر:

حتى إذا يئس الرماةُ أرسَلُوا ... غُضْفاً دواجن قافلا أعصامها

معناه: حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن، إلا الذي ظهر لهم، أرسلوك فهو في معنى: حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يأساً. انظر الطبري (١٦/٤٥٠).

(٤) الطبري ١٦/٤٥١ وانظر البغوي ٣/٢٠. وانظر الدر المنثور ٤/٦٣.

(٥) وانظر السيوطي في الدر ٤/٦٣ وانظر تفسير البغوي ٣/٢٠، وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٨٦ وعزاه للفريابي وعزاه للطيالسي وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وذكر مثله أيضاً عن ابن عباس وعزاه للطيالسي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الطبري ١٦/٤٦٠.

(٧) بنحوه عند البغوي ٣/٢١ وانظر تفسير الرازي ١٩/٤٥.

(٨) سورة آل عمران ١٨.

«كأنه في المعنى قال: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركائهم الذين اتخذوهم[١]» ﴿قل سموهم﴾ بما يستحقون من الصفات، وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله، كما يوصف الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والمعنى يعود إلى أن الصنم لو كان إلهاً لتصور منه أن يخلق ويرزق، ولحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق قوله: ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، وتأويل الآية: فإن سموهم بصفات الله، قل: أتنبئونه بما لا يعلم في الأرض، أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه؟ على معنى: أنه ليس، ولو كان لعلم ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم يقولون مجازاً من القول، وباطلاً لا حقيقة له، أي: إنه كلام ظاهر، وليس له في الحقيقة باطن ومعنى، فهو كلام باللسان ﴿بل﴾ دع ذكر ما كنا فيه ﴿زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس: «زين الشيطان لهم الكفر[٢]»، وذلك أن مكرهم بالرسول ﷺ كفر منهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قال ابن عباس: «وصدهم الله عن سبيل الهدى[٣]» وضم الصاد قراءة أهل[٤] الكوفة، ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى: انهم صدوا غيرهم عن الإيمان ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ يهديه إلى الخير والإيمان ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ يعني الأسقام والقتل والأسر، هي لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمن كفارة ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأغلظ ﴿وما لهم من الله﴾ من عذاب الله ﴿من واقٍ﴾ مانع يمنعهم قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي: صفتها، قال ابن قتيبة[٥]: «المثل: الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير المعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا، أي: صورته ووصفه» أراد الله بقوله: ﴿مثل الجنة﴾ أي صورتها وصفتها، ثم ذكرها، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ قال الحسن: «يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وظلها﴾ لأنه لا يزول، ولا تنسخه الشمس[٦]» ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها، وعاقبة الكافرين المصير إلى النار قوله:

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿والذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ قال المفسرون: «إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن، مع كثرة ذكره في التوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن[٧]﴾ ففرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب، وكفر المشركون بالرحمن، وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ﴿من ينكر بعضه﴾ يعني ذكر الرحمن، وهذا

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦/٤٦٦ البغوي ٣/٢١.

(٣) الطبري ١٦/٤٦٦ البغوي ٣/٢١.

(٤) انظر حجة القراءات (٣٧٣ ـ ٣٧٤) وانظر النشر ٢/٢٨٩ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٢ وانظر تفسير الطبري ١٦/٤٦٧.

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن (٢٣٥).

(٦) انظر الرازي ١٩/٤٧ زاد المسير ٤/٣٣٤ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣٨٥.

(٧) سورة الإسراء (١١٠) وانظر تفسير الرازي ١٩/٤٨ وفتح القدير ٣/٨٧.

كقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ [إلى آخره][١] قوله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء الذين تقدموا، أنزلنا إليك القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ قال ابن عباس: يريد ما حكم من الفرائض[٢] في القرآن ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بوحدانية الله تعالى وذلك أن المشركين دعوه إلى ملة آبائه، فتوعده الله على اتباع أهواءهم بقوله:

﴿ما لك من الله من ولي ولا واقٍ﴾ أي ما لك من عذاب الله مانع يمنعك قوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ قال الكلبي: «عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى للرجل همة إلا النساء، والنكاح ولو كان نبياً، لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية[٣] يقول: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ وجعلناهم بشراً لهم أزواج فنكحوهن وأولاد أنسلوهم، وذلك قوله: ﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾.

أخبرنا أبو منصور الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا محمد بن أيوب نا أبو الوليد الطيالسي نا حسين بن رافع العنبري عن الحسن عن سعد بن هشام[٤] قال: دخلت على عائشة فقلت لها: إني أريد أن أتبتل، قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية[٥]﴾ فلا تتبتل.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ هذا جواب للذين تحكموا عليه في طلب الآيات والمعنى: أن حال محمد كحال الرسل الذين تقدموا في أنهم كانوا لا يأتون بآية إلا بإذن ربهم، لا على تحكم العباد بأهوائهم ﴿لكل أجلٍ كتاب﴾ لكل أجل قدره الله، ولكل أمر قضاه كتاب أثبت فيه، فلا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب وكذلك كل أمر قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ذهب قوم إلى أن هذا عام في كل شيء، كما يقتضيه ظاهر اللفظ، وقالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، وهو مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل وقتادة والضحاك وابن جريج قالوا: «أم الكتاب عند الله يمحو الله ما يشاء منه ويثبت»[٦] ونحو هذا روي «أبو الدرداء» عن النبي ﷺ قال: إن الله سبحانه في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر

---

(١) سقط في ب، جـ.
(٢) زاد المسير ٤/٣٣٦.
(٣) أسباب النزول للمصنف رحمه الله ص (٢٧٩). وانظر الدر المنثور (٤/٦٥).
(٤) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس. روى عن أبيه وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأنس رضي الله عنهم وعنه حميد بن هلال وزرارة بن أبي أوفى وحميد بن عبد الرحمن الحميري، والحسن البصري. قال النسائي: ثقة وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله. وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله تعالى، وذكره ابن حبان في الثقات، قال قتل بأرض مكران غازياً. انظر التهذيب (٣/٤٨٣).
(٥) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/٨٩ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: إني أريد الخ.
(٦) أخرجه الطبري ١٦/٤٧٩ وما بعدها زاد المسير ٤/٣٣٧ البحر المحيط ٥/٣٩٨ البغوي ٣/٢٣.

فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء[(١)]» ومعنى أم الكتاب: أصل الكتاب الذي أثبت فيه الكائنات والحادثات.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: «هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب، يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء» وهذه رواية «عمران بن حصين» عن النبي ﷺ وقال قوم: إن الله تعالى يمحو ما يشاء، ويثبت إلا الشقاوة والسعادة، والموت والحياة والرزق والأجل.

ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه أنا أبو القاسم البغوي نا داود بن عمرو نا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار أنه سمع أبا الطفيل يقول: قال حذيفة بن أسيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله عز وجل، ويكتب الملك فيقول: أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها» رواه مسلم[(٣)] عن ابن نصير عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وقال سعيد بن جبير وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه[(٤)] وهذا القول اختيار أبي علي الفارسي قال: هذا والله أعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات، فأما ما كان من غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل وقال الكلبي والضحاك: «إن الذي يمحوه الله ويثبته ما تصعد به الحفظة مكتوباً على بني آدم فيأمر الله أن يثبت ما فيه ثواب وعقاب، ويمحي عنه ما لا ثواب فيه ولا عقاب[(٥)].

وقوله: ﴿وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب أي نعدهم، وأنت حي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أي: فليس عليك إلا أن تبلغ، كفروا هم أو آمنوا ﴿وعلينا الحساب﴾ وعلينا أن نجازيهم، قوله:

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض مكة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتوح على المسلمين منها يريد ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك قال الضحاك: «أو لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ما حوله من

---

(١) أخرجه الطبري ١٦/٤٨٩ (٢٠٥٠٣) وفيه زيادة بن محمد الأنصاري منكر الحديث وذكره الهيثمي في المجمع ١/٤١٢ وأعلّه بما سبق وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٣٩.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٤٨٠ (٢٠٤٧٤)(٢٠٤٧٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٤٩ وقال غريب صحيح.

(٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٣٧ في كتاب القدر باب كيفية الخلق ٣/٢٠٣٧ وأخرجه أحمد في المسند ٤/٦.

(٤) البغوي ٣/٢٢ وبنحوه عند الطبري من طريق الضحاك ١٦/٤٨٤ (٢٠٤٨٦) وأخرجه من طريق قتادة ١٦/٤٨٥ ـ ٤٨٦ (٢٠٤٩٠) زاد المسير ٤/٣٣٧.

(٥) وبنحوه عند الطبري ١٦/٤٨٧ زاد المسير ٤/٣٣٧ والبغوي ٣/٢٣.

القرى[١]» وقال مقاتل الأرض مكة ونقصها من أطرافها غلبة المؤمنين عليها[٢] وهذا قول الحسن وقال الزجاج: «أعلم الله أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر، يقول: ولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، فكيف لا يعتبرون[٣]»؟ ﴿**والله يحكم لا معقب لحكمه**﴾ قال ابن عباس: «لا ناقض لحكمه»[٤] وقال الفراء: «لا راد لحكمه[٥]» والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه، ولا يستدرك أحد على حكم الله ﴿**وهو سريع الحساب**﴾ أي المجازاة بالخير والشر، قوله: ﴿**وقد مكر الذين من قبلهم**﴾ يعني الكفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم ﴿**فللّه المكر جميعاً**﴾ يعني أن مكر الماكرين مخلوق له، فلا يضر إلا بإرادته وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأمان له من مكرهم كأن قيل: قد فعل من قبلهم من الكفار مثل فعلهم فلا ضرر عليك من مكرهم ﴿**يعلم ما تكسب كل نفس**﴾ يريد أن جميع الاكتساب معلوم له، فلا يقع ضرر إلا بإذنه ﴿**وسيعلم الكفار**﴾ قال «ابن عباس»: «يريد أبا جهل[٦]» «وقال الزجاج»: «الكافر ها هنا اسم الجنس، كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس[٧]، ومن قرأ[٨] الكفار أراد جميع الكفار ﴿**لمن عقبى الدار**﴾ لمن الجنة آخر الأمر ﴿**ويقول الذين كفروا**﴾ يعني مشركي مكة ﴿**لست مرسلاً**﴾ إلينا بالنبوة ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**كفى بالله**﴾ كفى الله والباء أدخلت للتأكيد ﴿**شهيداً**﴾ شاهداً ﴿**بيني وبينكم**﴾ أي: بما أظهر من الآيات وأبان من الأدلة على نبوتي ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ قال الحسن ومجاهد: «هو الله عز وجل[٩]» واختاره الزجاج فقال: «لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره[١٠]» وقال عكرمة وقتادة: «يعني علماء أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري[١١]» قال ابن الأنباري: جعل قول هؤلاء وشهادتهم قاطعة لقول الخصوم، لأنهم العالمون بالكتب القديمة فقيل: كفى بهؤلاء شهوداً عليكم، وهم شاهدون لمحمد ﷺ بالنبوة والصدق[١٢] والله أعلم[١٣]

---

(١) الطبري ١٦/٤٩٤ (٢٠٥١٨) انظر زاد المسير ٤/٣٤٠ البغوي ٣/٢٤. وأخرجه الطبري عن ابن عباس ١٦/٤٩٣ (٢٠٥١٤) وانظر فتح القدير ٣/٩١.

(٢) أخرجه الطبري ١٦/٤٩٤ (٢٠٥١٧)، وانظر زاد المسير ٤/٣٤٠، وانظر تفسير البغوي ٣/٢٤.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥١.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦/٤٩٨ وانظر تفسير الرازي ١٩/٥٤، البغوي ٣/٢٤.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٦٦ الرازي ١٩/٥٤ البغوي ٣/٢٤ فتح القدير ٣/٩٠.

(٦) الرازي ١٩/٥٥ فتح القدير ٣/٩١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥١ انظر تفسير الرازي ١٩/٥٤ فتح القدير ٣/٩١.

(٨) انظر حجة القراءات (٣٧٥) وانظر النشر ٢/٢٩٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٣.

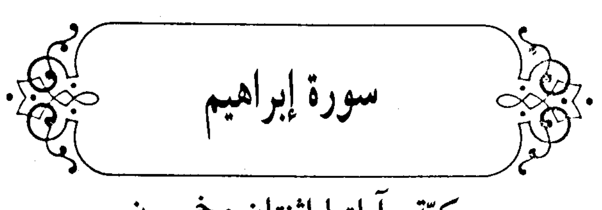
(٩) أخرجه الطبري ١٦/٥٠٤ (٢٠٥٤٦) (٢٠٥٤٧)، (٢٠٥٤٨)، (٢٠٥٤٩) الرازي ١٩/٥٦ زاد المسير ٤/٣٤٢ فتح القدير/٩١، البغوي ٣/٢٥.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٢ الرازي ١٩/٥٦ فتح القدير ٣/٩١.

(١١) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٥٠٣ (٢٠٥٤٣) (٢٠٥٤٤) الرازي (١٩/٥٥ ـ ٥٦) البغوي ٣/٢٥ وفتح القدير ٣/٩١.

(١٢) انظر زاد المسير ٤/٣٤١.

(١٣) سقط في أ، ب.



سورة إبراهيم

مكيّة وآياتها اثنتان وخمسون

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المقري الحيري بها أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم المدني نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام، وبعدد من لم يعبدها[1].

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الر﴾ قال ابن عباس[2] في رواية أبي صالح أنا الله أرى، وقال في رواية عطاء: أنا الله الرحمن[3] **﴿كتاب﴾** أي: هذا كتاب يعني: القرآن **﴿أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾** قال ابن عباس: «من الشرك إلى الإيمان[4]» **﴿بإذن ربهم﴾** قال الزجاج: بما أذن الله لك في تعليمهم، ودعائهم إلى الإيمان، ثم بين ما ذلك النور فقال: **﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾** وهو دين الإسلام الذي من سلكه أداه إلى الجنة **﴿الله الذي﴾**

---

(١) حديث واهٍ تقدم الكلام عليه مراراً فانتبه حفظنا الله وإياك.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) البغوي ٣/٢٥ الطبري ١٦/٥١١.

من رفعه[1]، قطعه مما قبله، وابتدأ به، وخبره الذي ومن خفضه جعله بدلاً من الحميد، وتفسير الآية ظاهر، قوله: ﴿**الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة**﴾ أي: يؤثرونها، ويختارونها قال ابن عباس: «ما تجعل لهم من الدنيا، يأخذونه تهاوناً بأمر الآخرة واستبعاداً لها[2]» كقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ يمنعون الناس عن دين الله تعالى وطاعته ﴿**ويبغونها عوجاً**﴾ ذكرنا تفسيره ﴿**أولئك في ضلال بعيدٍ**﴾ قال الكلبي: في خطأ بعيد عن الحق[3] قوله: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾ بلغتهم ليفهموا عنه، ويعقلوا وهو قوله: ﴿**ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ قال ابن عباس: «جعل المشيئة إليه وحده، لا شريك له[4]»، قوله: ﴿**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**﴾ أي: بالبراهين التي دلت على صحة نبوته مثل العصا واليد وغيرهما ﴿**أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله**[5]﴾ [الأيام][6] يعبر بها عن النعم والنقم، لأنها كلها تقع فيها قال ابن السكيت: «العرب تقول: الأيام في معنى الوقائع يقال: فلان عالم بأيام العرب أي: بوقائعها[7]» قال ابن عباس: «يريد بنعم الله» وهو قول مجاهد وقتادة[8] وأبي بن كعب رواه عن النبي ﷺ في هذه الآية.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر نا محمد بن الحسن بن أحمد السراج نا محمد بن عبد الله الحضري نا عبد الحميد بن صالح نا محمد بن أبان[9] عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**وذكرهم بأيام الله**﴾ قال: أيامه نعمه[10] وقال مقاتل: «بوقائع الله في الأمم السالفة[11]» قال الزجاج: أي: ذكرهم بنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود[12] والمعنى: عظهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ﴿**إن في ذلك**﴾ التذكير ﴿**لآيات**﴾ لدلالات على قدرة الله تعالى ﴿**لكل صبار**﴾ على طاعة الله وعن معاصيه ﴿**شكور**﴾ لأنعم الله، وما بعدها مفسر في سورة البقرة إلى قوله: ﴿**وإذ تأذن ربكم**﴾ وهذا عطف على قوله: ﴿**إذ أنجاكم**﴾ كأنه قال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم، وإذ تأذن ربكم، وهو إخبار عما قال

---

(١) انظر حجة القراءات ٣٧٦، وانظر النشر ٢/٢٩٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٦ الرازي ١٩/٦٠ فتح القدير ٣/٩٣.
(٢) انظر زاد المسير ٤/٣٤٥.
(٣) انظر الطبري ١٦/٥١٥.
(٤) انظر تفسير الرازي ١٩/٦٣.
(٥) قال الواحدي: أيام جمع يوم، واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس إلى غروبها وكانت الأيام في الأصل أيوام فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت إحداهما في الأخرى وغلبت الياء انظر الرازي ١٩/٦٦.
(٦) سقط في ب.
(٧) انظر التهذيب ١٥/٦٤٦ الرازي ١٩/٦٦ البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ فتح القدير ٣/٩٤.
(٨) أخرجه الطبري ١٦/٥٢٠ عن مجاهد (٢٠٥٦٨) (٢٠٥٦٩) (٢٠٥٧٠) (٢٠٥٧١) (٢٠٥٧٢) (٢٠٥٧٣) وعن سعيد بن جبير (٢٠٥٧٥) وقتادة (٢٠٥٧٦) (٢٠٥٧٧) وأخرجه الطبري في التفسير ٣/٢٦، وابن كثير ٤/٣٩٧.
(٩) محمد بن أباد بن عمران بن زياد بن ناصح كان فقيهاً، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ مات سنة ٣٨ وقال غيره: مات سنة ست أو سبع وثلاثين، وقال الأزدي ليس بذاك وقال مسلمة في الصلة: محمد بن أبان الواسطي أبا الحسن ثقة انظر التهذيب ٩/٣.
(١٠) إسناده ضعيف لضعف محمد بن أبان الجعفي، وأخرجه الطبري في التفسير (١٦/٥٢٢) (٢٠٥٧٩)، وذكره السيوطي في الدر ٤/٥٧٠، وزاد نسبته للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردوية والبيهقي في الشعب ومن غير طريق المصنف الإمام مسلم في صحيحه (٤/١٨٥٠) في كتاب الفضائل باب (٤٦) (١٧٢/٢٣٨٠).
(١١) البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ وانظر فتح القدير ٣/٩٤.
(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٥ فتح القدير ٣/٩٤.

موسى لقومه، ومعنى: تأذن: أعلم قال الفراء تأذن وآذن بمعنى واحد[١]، وذكرنا هذا في سورة الأعراف وقوله: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ أي: مما يجب الشكر عليه، وهو النعمة، قال ابن عباس: «لئن وحدتموني، وأطعتموني لأزيدنكم طاعتي التي تقود إلى جنتي [٢]» وقال قتادة في هذه الآية «حق على الله أن يعطي من سأله، ويزيد من شكره، والله منعم بحب الشاكرين فاشكروا الله على نعمه [٣]» ومعنى شكر النعمة؛ الاعتراف بحق المنعم، والاعتراف بحق الله تعالى، هو التوحيد والطاعة ﴿**ولئن كفرتم**﴾ جحدتم حقي، وحق نعمتي ﴿**إن عذابي لشديد**﴾ تهديد على كفران النعمة ﴿**وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني**﴾ عن خلقه لا يزيده طاعتكم ملكاً، ولا ينقص كفركم ملكوت الله شيئاً ﴿**حميد**﴾ في أفعاله، لأنه إما متفضل بفعله، أو عادل، ثم أخبرهم عن القرون الماضية، وعما قالت لهم الرسل، وما ردوا عليهم فقال:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿**ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم**﴾ إلى قوله ﴿**والذين من بعدهم**﴾ أي: من بعد هؤلاء الذين ذكرهم ﴿**لا يعلمهم إلا الله**﴾ لا يحصي عددهم إلا الله، قال ابن عباس: «لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم[٤]» قال ابن الأنباري: «إن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفت آثارهم فليس يعرفهم أحد

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٩ البغوي ٣/ ٢٧ فتح القدير ٣/ ٩٦.

(٢) انظر زاد المسير ٤/ ٣٤٧.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٤/ ٧١ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) بنحوه عند البغوي ٣/ ٢٧ وانظر تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٩ وانظر تفسير الرازي ١٩/ ٧٠ وانظر فتح القدير ٣/ ٩٧.

إلا الله[1]» ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم﴾ قال ابن مسعود: عضّوا عليها غيظاً[2] والمعنى: انهم ثقل عليهم مكان الرسل، فعضوا على أصابعهم من شدة الغيظ وقال الكلبي: «وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا[3]» ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي: على زعمكم بالإرسال لا أنهم أقروا أنهم أرسلوا ﴿قالت لهم ﴿رسلهم أفي الله شك﴾، وهذا استفهام إنكار، أي: لا شك في الله، والمعنى: في توحيد الله، ثم ذكر ما يدل على وحدانيته فقال: ﴿فاطر السموات والأرض يدعوكم﴾ بالرسل والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة: «من زائدة[4]» ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ لا يعاجلكم بالعذاب بل يؤخركم ويمتعكم في الدنيا إلى الأجل المسمى لكم، وهو الموت ﴿قالوا﴾ للرسل ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما أنتم إلا مخلوقون مثلنا، ليس لكم علينا فضل ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا﴾ على ما تقولون ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة ظاهرة ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ اعترفوا لهم بأنهم آدميون مخلوقون مثلهم ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ يعنون بالنبوة والرسالة ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ ليس لنا أن نأتيكم ببرهان وحجة ومعجزة إلا أن يشاء الله ذلك، أي: ليس لنا ذلك من قبل أنفسنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ أي: أي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض إليه أمورنا يعني أن العبد وإن لم يتوكل، لم يدرك بجهده شيئاً لم يقضه الله ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ عرفنا طريق التوكل ﴿ولنصبرن على ما ءاذيتمونا على الله فليتوكل المتوكلون﴾ وإنما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ﷺ ليقتدي بمن قبله من النبيين، ويعلم أنهم أوذوا في سبيل الله، فصبروا وتوكلوا.

أخبرنا: محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقي أنا بشر بن أحمد بن بشر نا داود نا بن الحسن نا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي نا عاصم بن عبد الله نا إسماعيل بن جميع عن نعيم بن حكيم[5] عن أبي مريم الثقفي[6] عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء، فاقرأ عليه ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، [وتقول][7]: فإن كنتم آمنتم بالله، فكفوا شركم، وأذاكم عنا، ثم ترش الماء حول فراشك، فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها)[8].

---

(١) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٤٨.

(٢) الطبري ١٦/٥٣١ (٢٠٥٩٤) ٣/٢٧ الرازي ١٩/٧٠ فتح القدير ٣/٩٩ ذكره السيوطي في الدر ٤/٧٢ وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي‌حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٣) البغوي ٣/٢٧ الرازي ١٩/٧٠ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٠. بنحوه ذكره السيوطي في الدر ٤/٧٢ عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) والأولى له أن يعبر بكلمة صلة، حيث أجمع العلماء سلفاً وخلفاً بأنه لا زائد في القرآن ولكن هذا من تغيير النحاة فلا يجب أن يستخدم في مثل هذه المواطن وانظر مجاز القرآن ١/٣٣٦ وانظر تفسير البغوي ٣/٢٧.

(٥) نعيم بن حكيم المدائني أخو عبد الملك قال عبد الخالق بن منصور عن ابن معين ثقة وكذا قال العجلي، وقال ابن خراش صدوق لا بأس به، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال ابن سعد: لم يكن بذاك وذكره ابن حبان في الثقات. قال الآجري عن أبي داود: مات سنة ثمان وأربعين ومائة. ونقل الساجي عن ابن معين تضعيفه وقال الأزدي أحاديثه مناكير. انظر التهذيب (١٠/٤٥٨).

(٦) أبو مريم الثقفي المدائني ويقال: كوفي عن علي وعمار. وعنه نعيم بن حكيم وأخوه عبد الملك بن حكيم. الميزان (٤/٥٧٣).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) عزاه السيوطي في الجامع الكبير للمستغفري في الدعوات وهو لا يصح.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ أي: ولا نساكنكم على مخالفتكم ديننا ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ ذكرنا معناه في قصة شعيب في سورة الأعراف ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾، يعني الذين كفروا بالرسل ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾: لنعطينكم سكناها بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ الإسكان ﴿لمن خاف مقامي﴾.

قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي[١] وقال الكلبي: مقامه بين يدي رب العالمين[٢]، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، كما تقول: ندمت على ضربك ﴿وخاف وعيد﴾. قال: ابن عباس خاف مما أوعدت من العذاب[٣] يعني: أن العاقبة بالنصر تكون لمن خاف الله، ﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل، استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من إيمانهم، ﴿وخاب كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيدٍ﴾ قال قتادة: العنيد المعرض عن طاعة الله[٤] وقال مجاهد[٥]: هو المجانب للحق، وقال الزجاج: الذي يعدل عن القصد[٦]، والمعنى: فاز الرسل بالنصرة، وخاب كل من كفر ﴿من ورائه جهنم﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد أمامه جهنم، فهي بين يديه[٧] يعني: أنه يردها ويدخلها، ووراء، يكون لخلف وقدام، ومنه قوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ أي: أمامهم ﴿ويسقى من ماءٍ صديدٍ﴾ الصديد: ماء الجرح المختلط بالدم والقيح، قال المفسرون: يريد صديد القيح، والدم الذي يخرج من فروج الزناة[٨].

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، [محمد بن عبدان] نا محمد بن عبد الله بن نعيم أنا الحسن بن حليم المروزي[٩] أنا أبو الموجه[١٠] أنا عبدان[١١]، نا عبد الله بن المبارك، أنا صفوان بن عمرو[١٢] عن عبد الله بن بصير، عن أبي أمامة

---

(١) البغوي ٣/٢٨ وانظر زاد المسير ٤/٣٥٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦/٥٤٢.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/٢٨.

(٤) البغوي ٣/٢٩. ذكره السيوطي في الدر ٤/٧٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. الجبار المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته، ومنه قوله تعالى: ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ مريم (١٤). قال أبو عبيد عن الأحمر: يقال فيه جبرية وجبروة وجبروت وجبورة، وحكى الزجاج: الجبرية والجبر بكسر الجيم والباء والتجبار والجبرياء. قال الواحدي: فهي ثمان لغات في مصدر الجبار. انظر الرازي (١٩/٨٠).

(٥) البغوي ٣/٢٩ وأخرجه الطبري في التفسير ١٦/٥٤٣ (٢٠٦١٢)، (٢٠٦١٣) (٢٠٦١٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٦.

(٧) البغوي ٣/٢٩ الطبري ١٦/٥٤٧ ابن كثير ٤/٤٠١ زاد المسير ٤/٣٥١ فتح القدير ٣/١٠٠.

(٨) البغوي ٣/٢٩ الطبري ١٦/٥٤٨ ابن كثير ٤/٤٠١ فتح القدير ٣/١٠٠ زاد المسير ٤/٣٥٢.

(٩) المثبت في المخطوط حكيم، والصواب ما أثبتناه فهو الحسن بن حليم المروزي روى عن أبي الموجه توفي آخر المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة انظر الإكمال ٢/٤٩٢.

(١٠) الحافظ الثقة محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري المروزي اللغوي. سمع سعيد بن منصور وسعيد بن سليمان وعلي بن الجعد وصدقة بن الفضل وعبدان بن عثمان وطبقتهم بخراسان والعراق والحجاز. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين بمرو. انظر تذكرة الحفاظ (٢/٦١٥ - ٦١٦).

(١١) هو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد، واسمه ميمون، وقيل أيمن الأزدي والعتكي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ الملقب عبدان. قال أحمد بن عبدة: تصدق عبدان في حياته بألف ألف درهم، وكتب كتب ابن المبارك بقلم واحد، وقال ابن حبان في الثقات: قال أحمد بن حنبل ما بقي الرحلة إلا إلى عبدان بخراسان، مات سنة عشرين وقد قيل سنة اثنتين وعشرين، وقال البخاري وغيره: مات سنة إحدى وعشرين ومائتين. قال الحاكم كان إمام أهل الحديث ببلده. انظر التهذيب (٥/٣١٣ - ٣١٤).

(١٢) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي أبو عمر. قال العجلي ودحيم وأبو حاتم والنسائي: ثقة، زاد أبو حاتم لا بأس به، وقال ابن =

عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**ويسقى من ماء صديد يتجرعه**﴾ قال: يقرب إليه، فيتكرهه فإذا أدني منه هوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب، قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره[١]، يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ ويقول الله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾ قوله: ﴿**يتجرعه**﴾ التجرع: تناول الشراب جرعة جرعة، قال ابن عباس: يريد بالكره[٢]، ﴿**ولا يكاد يسيغه**﴾ يقال: ساغ الشراب في الحلق سوغاً وأساغه الله، قال المفسرون: «يتحساه ويشربه بالجرع، لا بمرة واحدة، لمرارته، ولا يسيغه إلا بعد إبطاء، لكراهته لذلك الشراب[٣]»، وقوله: ﴿**ويأتيه الموت**﴾ أي: هم الموت، وألمه، وكربه، ﴿**من كل مكانٍ**﴾ قال ابن عباس: من كل شعرة في جسده[٤]، وقال الثوري: من كل عرق في جسده[٥] ﴿**وما هو بميتٍ**﴾ موتاً تنقطع معه الحياة ﴿**ومن ورائه**﴾ ومن بعد هذا العذاب، وقال الكلبي ومن بعد هذا الصديد [٦] ﴿**عذاب غليظ**﴾ متصل الآلام، وقال إبراهيم التيمي: يعني [٧] الخلود في النار[٨].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٨﴾

قوله: ﴿**مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم**﴾ قال الفراء: تقدير الآية: مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف، اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه[٩] وقوله: ﴿**كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف**﴾ أراد عاصف الريح فحذف الريح، لأنها ذكرت في أول الكلام، ويقال: عصفت الريح عصوفاً، إذا اشتد هبوبها، ومعنى الآية: أن كل ما تقرب به الذين كفروا إلى الله، فمحبط غير منتفع به، لأنهم أشركوا فيها غير الله، كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به، وذلك قوله: ﴿**لا يقدرون مما كسبوا**﴾ أي في الدنيا، ﴿**على شيء**﴾

= سعد: كان ثقة مأموناً، وقال أبو زرعة الدمشقي قلت لدحيم من أثبت بحمص؟ قال صفوان. وسمى جماعة، وقال أبو حاتم: سمعت دحيماً يقول صفوان أكبر من جرير وقدمه وقال ابن خراش كان ابن المبارك وغيره يوثقه. انظر التهذيب (٤/ ٤٢٩).

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٦//٥٤٩ (٢٠٦٣١) (٢٠٦٣٢) والترمذي في السنن ٤/٦٠٨ في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٣ والحاكم في المستدرك ٢/٣٥١ في التفسير سورة الرعد وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البغوي في التفسير ٣/٢٩ . وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر: ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ، واخته قد سمعت من النبي ﷺ وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب. انظر الترمذي ٤/٦٠٨.

(٢) فتح القدير ٣/١٠٢ زاد المسير ٤/٣٣٥.

(٣) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١.

(٤) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وأخرجه الطبراني في التفسير ١٦/٥٥١ (٢٠٦٣٥) عن إبراهيم التيمي وانظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٥) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وذكره السيوطي عن عكرمة ٤/٤٠٥.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٧) في ب (بعد).

(٨) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١ ـ ١٠٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٢ فتح القدير ٣/١٠١ الرازي ١٩/٨٣.

في الآخرة، قال ابن عباس: لا يجدون ثواب ما عملوا [(١)] ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يعني: ضلال أعمالهم وذهابها، كذهاب الرماد في عصوف الريح قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ألم تر أن الله خلق السمٰوات والأرض﴾ معنى ألم تر ههنا التنبيه على خلق السمٰوات والأرض، وقرأ حمزة والكسائي[(٢)] (خالق السمٰوات) على فاعل، كقوله: ﴿فاطر السمٰوات والأرض﴾ ومعنى قوله ﴿بالحق﴾ كقوله: ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ وقد تقدم، وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ قال ابن عباس: يريد أميتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع [(٣)]، وهذا خطاب لأهل مكة ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ قال ابن عباس: لا يعز على الله شيء يريده[(٤)]، وقال الكلبي: ليس يعز على الله شيء أن يميتكم، ويأتي بغيركم[(٥)]، قوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ خرجوا من قبورهم للبعث، قال الزجاج: جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع[(٦)]، ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ والأكابر هم الذين استكبروا عن عبادة الله ﴿إنا كنا﴾ في الدنيا ﴿لكم تبعاً﴾ جمع تابع، مثل خادم، وخدم ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله﴾ فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله؟ ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ لو أرشدنا الله لأرشدناكم، يريدون أنهم إنما دعوهم إلى الضلال لأن الله تعالى أضلهم، ولم يهدهم، فدعوا أتباعهم إلى ما كانوا عليه من الضلال، ولو هداهم الله، لدعوهم إلى الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ قال زيد بن أسلم: جزعوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة، فلم ينفعهم أحدهما فقالوا هذا[(٧)]، وقوله: ﴿ما لنا من محيص﴾ أي: معدل عن العذاب، قوله: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ أي: فرغ منه، وقضى الله بين العباد، قال المفسرون: إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/٣٠.

(٢) انظر حجة القراءات (٣٧٦، ٣٧٧) وانظر النشر ٢/٢٩٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧.

(٣) البغوي ٣/٣٠.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/٣٠ زاد المسير ٤/ ٣٥٥.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٥٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٨.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/١٠٥ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٤/٣٥٦.

النار، اجتمع أهل النار على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً، ويقول: ﴿**إن الله وعدكم وعد الحق**﴾ أي: كون هذا اليوم، فصدقكم وعده ﴿**ووعدتكم**﴾ أنه لا جنة ولا نار، ولا بعث، ولا حساب ﴿**فأخلفتكم**﴾ الوعد[1] ﴿**وما كان لي عليكم من سلطان**﴾ ما أظهرت لكم حجة أحتج بها عليكم ﴿**إلا أن دعوتكم**﴾ هذا من الاستثناء المنقطع، أي: لكن دعوتكم ﴿**فاستجبتم لي**﴾ فصدقتموني وقبلتم مقالتي ﴿**فلا تلوموني ولوموا أنفسكم**﴾ حيث أجبتموني، وصدقتموني من غير برهان ﴿**ما أنا بمصرخكم**﴾ بمغيثكم ﴿**وما أنتم بمصرخي**﴾ بمغيثين لي، أي: لا أنجيكم مما أنتم فيه، ولا تنجوني مما أنا فيه، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيباً على منبر من نار، فقال: ﴿**إن الله وعدكم وعد الحق**﴾ الآية[2] والقراءة الصحيحة[3] فتح الياء في مصرخي، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حركت إلى الفتح لا غير، نحو هداي وعصاي، وقرأ حمزة بكسر الياء، قال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة[4]، لا وجه لها إلا وجه ضعيف، وهو ما أجازه الفراء من الكسر على أصل التقاء الساكنين، وأنشد:

قُـلْتُ لَـهَـا: هَـلْ لَـك يَـا تَـافِـيّ ؟ قَـالَتْ لَنَـا: مَـا أَنْتَ بِـالمَرضِيّ [5]

وزعم قطرب: أن هذه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، نحو: هل لك يا تافي؟ وكان الأصل مصرخي، ثم حذفت الياء الزائدة، وأقرت الكسرة على ما كانت عليه [6] وقوله: ﴿**إني كفرت بما أشركتموني من قبل**﴾ أي: كفرت بإشراككم إياي مع الله في الطاعة والمعنى: جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني ﴿**إن الظالمين**﴾ يريد المشركين ﴿**لهم عذاب أليم**﴾ وقوله: ﴿**تحيتهم فيها سلام**﴾ ذكرنا تفسيره في سورة يونس، قوله:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً**﴾ بين الله شبهاً، ثم فسر ذلك المثل، فقال: ﴿**كلمة طيبة**﴾ قال ابن عباس: يريد لا إله إلا الله، وهو قول الجميع[7] ﴿**كشجرة طيبة**﴾ قالوا: يريد النخلة، والمعنى: كشجرة طيبة الثمرة، ﴿**أصلها**﴾ أي:

---

(١) البغوي ٣/٣١ وزاد المسير ٣٥٧/٤ الطبري ٥٦٠/١٦ وما بعدها فتح القدير ١٠٥/٣.

(٢) أخرجه الطبري ٥٦٣/١٦ (٢٠٦٤٦) وابن الجوزي في الزاد ٣٥٧/٤ والبغوي في التفسير ٣١/٣ وابن كثير ٤٠٨/٤ ـ ٤٠٩.

(٣) وتعبيره بالصحيحة خطأ لأن القراءات الأخرى صحيحة من القراءات العشر المتواترة وانظر النشر ٢٩٨/٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٦٧/٢.

(٤) وهذا خطأ لا يقبل من الزجاج ولا من غيره كما قررنا ذلك كثيراً.

(٥) البيت للأغلب بن عمرو العجلي. انظر فتح القدير (١٠٤/٣). وانظر الرازي (٩٠/١٩) وانظر بقية تخريجه من تحقيقنا على البحر المحيط.

(٦) انظر البحر المحيط ٤٢٠/٥.

(٧) الطبري ٥٦٧/١٦ البغوي ٣٢/٣ وزاد المسير ٣٥٨/٤ ابن كثير ٤١٠/٤، فتح القدير ١٠٧/٣.

أصل هذه الشجرة ﴿ثابت﴾ في الثرى ﴿وفرعها﴾ أعلاها عال ﴿في السماء تؤتي﴾ تعطي هذه الشجرة ﴿أكلها﴾ ثمرها وما يؤكل منها ﴿كل حين﴾ قال ابن عباس: يريد ستة أشهر وهو قول سعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، قالوا: ما بين صرامها إلى حملها ستة أشهر[١]، وقال مجاهد، وابن زيد، وعكرمة: كل سنة[٢]، شبه الله تعالى الإيمان بالنخلة؛ لثبات الإيمان في قلب المؤمن، كثبات النخلة في منبتها، وشبه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة، وشبه ما اكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان، بما ينال من ثمر النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة[٣] ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ﴿ومثل كلمةٍ خبيثةٍ﴾ يعني: الشرك بالله ﴿كشجرةٍ خبيثة﴾ قال ابن عباس: يريد الثوم[٤]، وقال الضحاك عنه: هي الكشوث[٥] وقال أنس بن مالك: هي الحنظل[٦] فكما أنها أخبث الأشجار، فكذلك الشرك أخبث الكلمات ﴿اجتثت﴾ انتزعت واقتلعت ﴿من فوق الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد ليس لها أصل تام، فهي فوق الأرض، لم تضرب فيها بعرق[٧]، وهو قوله: ﴿ما لها من قرار﴾ من أصل في الأرض، وكما أنها أخبث الأشجار، كذلك الشرك بالله أخبث الكلمات، ليس له حجة، ولا ثبات ولا شيء، قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا﴾ الذين صدقوا محمداً ﴿بالقول الثابت﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿في الحياة الدنيا﴾ يثبتهم بها على الحق ﴿وفي الآخرة﴾ يعني في القبر، قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال، وتثبيته إياه بها على الحق، أخبرنا«أبو الحسن علي بن محمد بن» محمد البغدادي نا محمد بن يعقوب نا يحيى بن أبي طالب نا وهب بن جرير نا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: ذكر رسول الله ﷺ المؤمن والكافر، فقال: إن المؤمن إذا سئل في قبره، قال: ربي الله، فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[٨].

أخبرنا محمد بن موسى بن شاذان[٩] أنا محمد بن عبد الله الصفّار[١٠] نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني

---

(١) أخرجه الطبري ١٦/٥٧٧ (٢٠٧١٥) البغوي ٣/٣٣. انظر زاد المسير ٤/٣٥٩.

(٢) أخرجه البغوي عن عكرمة ٣/٣٢. وأخرجه الطبري ١٦/٥٨١ عن شعبة قال سألت حماداً والحكم ٢٠٧٢٧ وعن مجاهد ٢٠٧٢٨ وعن ابن زيد ٢٠٧٢٩ وعن ابن عباس ٢٠٧٣٠، ٢٠٧٣٢.

(٣) والمعنى: أن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب. انظر الرازي ١٩/٩٥.

(٤) البغوي ٤/٣٣، زاد المسير ٤/٣٦١.

(٥) البغوي ٣/٣٣.

(٦) أخرجه الطبري ١٦/٥٨٣ (٢٠٧٢٧)، (٢٠٧٣٨) (٢٠٧٤٠)، البغوي ٣/٣٣ زاد المسير ٤/٣٦١.

(٧) ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٦١.

(٨) أخرجه البخاري ٨/٢٢٩ في كتاب التفسير سورة إبراهيم باب «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» (٤٦٩٩) وأخرجه مسلم ٤/٢٢٠١ في كتاب الجنة باب عرض مقعد المقيت ٧٣/٢٨٧١.

(٩) محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي كان والده أبو عمرو مثرياً، وكان ينفق على الأصم فكان لا يحدث حتى يحضر محمد هذا وإن غاب عن سماع جزء أعاده له فأكثر عنه جداً. مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربع مئة عن نيف وتسعين سنة السير (١٧/٣٥٠).

(١٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار الزاهد. جمع وصنف في الزهريات، وقدم نيسابور بعد الثلاث مئة فسكنها. وسمع المسند الكبير من عبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتب عن إسماعيل القاضي تصانيفه. وصحب الأولياء والعباد وارتحل إلى الحسن بن سفيان فحمل المسند وكتب أبي بكر بن أبي شيبة عنه. قال الحاكم: هو محدث عصره كان مجاب الدعوة =

أبي، أنا أبو عامر، نا عباد بن راشد[1] عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال: أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت، فهذا منزلك ويفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقال له: اسكن، ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلت، فيقال: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا لك لو آمنت، فأما إذ كفرت، فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار ثم يقمعه بالمطراق قمعة، يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة، إلّا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[2] وقوله: ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ يعني: لا يلقن الله المشركين والكافرين، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري قال الفراء: يضلهم عن هذه الكلمة[3] ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾ من تثبيت المؤمن وتلقينه الصواب، وإضلال الكافر، قال الفراء: أي لا تكون له قدرة، ولا يسأل عما يفعل[4] قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً**﴾ قال جماعة المفسرين: هم مشركو مكة كفار قريش، أنعم الله عليهم بالنبي ﷺ، فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر به[5]، وذلك قوله: ﴿**وأحلوا قومهم**﴾ يعني الذين اتبعوهم ﴿**دار البوار**﴾ أي: الهلاك يعني: جهنم، ألا ترى أنه فسرها فقال: ﴿**جهنم يصلونها**﴾ يقاسون حرها ﴿**وبئس القرار**﴾ بئس المقر هي.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك الجنبي، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن مرة عن علي رضي الله عنه أنه خطب الناس، فسأله رجل عن الذين بدلوا نعمة الله كفراً، قال: هم الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فأهلكهم الله يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين[6]، وقوله ﴿**وجعلوا لله أنداداً**﴾ قال ابن عباس:

= لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا نيفاً وأربعين سنة. توفي الشيخ في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. وله ثمان وتسعون سنة. انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٤٣٧ ـ ٤٣٨).

(١) عباد بن راشد البزاز عن الحسن وقتادة وعنه وكيع ومسلم وعفان، تركه القطان وضعفه أبو داود وقواه أحمد.. انظر الكاشف (٢/٦٠)

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٣/٤٧ وعزاه لأحمد والبزار وقال رجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٧.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٧.

(٥) البغوي ٣/٣٥ انظر فتح القدير ٣/١١١. انظر الدر المنثور ٤/٨٤.

(٦) حكاه البغوي في التفسير عن عمر رضي الله عنه ٣/٣٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٠ وعزاه للبخاري في التاريخ وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب.

من الحجارة والخشب وغير ذلك ﴿ليضلوا﴾ الناس عن دين الله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء[١]، والمعنى أنهم لم ينتفعوا بما اتخذوا من الأنداد، ولم يتخذوها إلا ليزيغوا عن الطريق المستقيم، وهذه لام العاقبة ثم أوعدهم، فقال: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس في هذه الآية: لو صار الكافر مريضاً سقيماً لا ينام ليلاً ولا نهاراً، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب، لكان هذا كله نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من شدة العذاب، ولو كان المؤمن في الدنيا في أنعم عيشه، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة[٢]، قوله:

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلوٰة﴾ معناه: قل لهم أقيموا الصلاة، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر، وجعل كالجواب للأمر، وهذه الآية أمر للمؤمنين بعبادة الله من الصلاة والإنفاق في وجوه البر قبل يوم القيامة، وهو قوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ قال أبو عبيدة: البيع ها هنا الفداء، والخلال: المخالة[٣]، قال مقاتل: ذلك يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة، إنما هي أعمال يثاب بها قوم ويعاقب عليها آخرون[٤]، والخلال: فعال من المخالة، وهو مصدر الخليل، هذا قول جميع أهل اللغة[٥]، وقال أبو علي الفارسي: ويجوز أن يكون جمع خلة، مثل برمة وبرام، وعلبة وعلاب[٦]، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أي: ذللها لكم بالركوب والإجراء إلى حيث تريدون ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ لتنتفعوا بهما، وتستضيئوا بضوئهما ﴿دائبين﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران، ومعنى الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ﴿وسخر لكم الليل﴾؛ لتسكنوا فيه؛ راحة لأبدانكم ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وءاتاكم من كل ما سألتموه﴾ مفعول الإيتاء محذوف بتقدير من كل ما سألتموه مسئولاً أو شيئاً، ويجوز أن يكون من زيادة، والمعنى وآتاكم كل ما سألتموه، وقال ابن الأنباري[٧]: تقدير الآية: وأتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه، لأنا لم نسأله شمساً ولا قمراً، ولا كثيراً من نعمة التي ابتدأنا بها، وكان قتادة يقرأ ﴿من كل ما سألتموه﴾ قال: لم تسألوه كل الذي آتاكم[٨] ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أي: إنعامه، والنعمة ههنا

(١) انظر ابن زنجلة ص (٣٧٨) وانظر النشر ٢/ ٢٩٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٦٩.
(٢) انظر زاد المسير ٤/ ٣٦٣.
(٣) انظر مجاز القرآن ١/ ٣٤١ فتح القدير ٣/ ١٠٩.
(٤) انظر فتح القدير ٣/ ١٠٩.
(٥) انظر فتح القدير ٣/ ١٠٩.
(٦) انظر فتح القدير ٣/ ١٠٩.
(٧) فتح القدير ٣/ ١١٠ زاد المسير ٤/ ٣٦٥.
(٨) انظر فتح القدير ٣/ ١١٠ زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

اسم أقيم مقام المصدر؛ ولذلك لم يجمع ﴿لا تحصوها﴾ أي: لا تأتوا على جميعها بالعدد لكثرتها، قال الكلبي: لا تحفظوها[١]، وقال أبو العالية: لا تطيقون عدها[٢] ﴿إن الإنسان﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل[٣] ﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفار﴾ بنعمة ربه قال الزجاج: الإنسان اسم الجنس، يقصد به الكافر خاصة كما قال: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾[٤] ومعنى ظلوم: شاكر غير من أنعم عليه ﴿كفار﴾ جحود لنعم الله قوله:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة وقوله: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ يقال: جنبته كذا، وأجنبته وجنبته، أي: باعدته عنه، وجعلته ناحية منه، والمعنى: ثبتني على اجتناب عبادتها، لأنه غير عابد لها، وهذه الدعوة مخصوصة بأبنائه من صلبه، فقد كان من نسله من عبد الصنم، وكان إبراهيم التيمي يقص ويقول: من يأمن البلاء بعد إبراهيم خليل الرحمن؟ ويقرأ هذه الآية ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ أي: ضلوا بسببها، لأن الأصنام لا تفعل شيئاً، ولكن لما ضلوا بسببها صارت كأنها أضلتهم ﴿فمن تبعني﴾ على ديني بالتوحيد ﴿فإنه مني﴾ أي من المتدينين بديني ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ قال السدي: معناه من عصاني، ثم تاب فإنك غفور رحيم[٥]، وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم[٦]، قال ابن الأنباري: ويحتمل أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك، كما استغفر لأبيه[٧]، قوله: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ قال ابن الأنباري: من دخلت للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي[٨]، وعند الفراء: دخلت من للتبعيض[٩]، أي: أسكنت بعض ذريتي، وذلك أنه أنزل إسماعيل وأمه بمكة، وإسماعيل بعض ذرية إبراهيم، يدل على هذا قول ابن عباس في هذه الآية يريد إسماعيل[١٠] ﴿بواد غير ذي زرع﴾ قال: يريد واد من مكة، ومكة كلها واد[١١].

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

(٢) البغوي ٣/ ٣٦ زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

(٣) انظر زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

(٤) سورة العصر ٢

(٥) البغوي ٣/ ٣٧ زاد المسير ٤/ ٣٦٥ الرازي ١٩/ ١٠٦.

(٦) البغوي ٣/ ٣٧ زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

(٧) فتح القدير ٣/ ١١٢ زاد المسير ٤/ ٣٦٥.

(٨) فتح القدير ٣/ ١٢ زاد المسير ٤/ ٣٦٦.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٨٧. فتح القدير ٣/ ١١٢.

(١٠) انظر البغوي ٣/ ٣٧ فتح القدير ٣/ ١١٢. وانظر الدر المنثور ٤/ ٨٦.

(١١) انظر البغوي ٣/ ٣٧ وفتح القدير ٣/ ١١٢. انظر الدر ٤/ ٨٧.

أخبرنا: أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر أنا هارون بن محمد بن هارون [(١)] أنا إسحاق بن أحمد الخزاعي أنا أبو الوليد الأزرقي [(٢)] حدثني جدي [(٣)] نا سعيد بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج أخبرني محمد بن إسحاق أنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: أن إبراهيم خرج من الشام، وخرج معه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وإسماعيل طفل يرضع، وحملوا على البراق ومعه جبريل، حتى قدم مكة ، وكانت هي إذ ذاك عضاه من سلم وسمر، وبها ناس يقال لهم العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال إبراهيم لجبريل عليهما السلام أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم**﴾[(٤)] الآية. والمعنى: عند بيتك المحرم الذي يحدث في هذا الوادي، لأن إسكان الخليل إسماعيل مكة كان قبل بنائهما البيت ﴿**ربنا ليقيموا الصلاة**﴾ قال ابن عباس: ليعبدوك[(٥)] ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم**﴾ تريدهم وتسرع إليهم، قال عطاء[(٦)]: تحن إليهم، وقال قتادة[(٧)]: تنزع إليهم، وقال مجاهد: لو قال أفئدة الناس، لازدحمت عليه فارس والروم، والترك والهند[(٨)]، وقال سعيد بن جبير: لو قال أفئدة الناس، لحجت اليهود والنصارى، والمجوس، ولكنه قال أفئدة من الناس، فهم المسلمون[(٩)] قال عكرمة :هو أنهم يحجون إلى مكة [(١٠)] ﴿**وارزقهم من الثمرات**﴾ هذا كقوله في سورة البقرة ﴿**وارزق أهله من الثمرات**﴾ ﴿**لعلهم يشكرون**﴾ قال ابن عباس: كي يوحدوك ويعظموك[(١١)]، قوله: ﴿**الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق**﴾ قال ابن عباس: ولد إسماعيل لإبراهيم، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة[(١٢)] ﴿**رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي**﴾ قال الزجاج :أي: اجعل من ذريتي من يقيم الصلاة[(١٣)] ﴿**ربنا وتقبل دعاء**﴾ قال ابن عباس يريد عبادتي[(١٤)] ﴿**ربنا اغفر لي ولوالدي**﴾ قال ابن الأنباري: استغفر

---

(١) هارون بن محمد بن هارون الضبي أبو جعفر والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون. أنفق أمواله في بر العلماء والإفضال عليهم، وفي صلات الأشراف من الطالبيين والعباسيين وغيرهم واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مبرزاً في العلم باللغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام. وكانت داره مجمعاً لأهل العلم في كل فن، إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. انظر تاريخ بغداد (١٤/٣٣).

(٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي صاحب كتاب أخبار مكة، وقد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الإحسان. انظر الأنساب (١/١٢٢).

(٣) انظر الأنساب (١/١٢٢).

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/٣٧.

(٥) اللام في ليقيموا متعلقة بأسكنت: أي أسكنتهم ليقيموا الصلاة فيه. متوجهين إليه متبركين به، وخصها دون سائر العبادات لمزيد فضلها. ولعل تكرير النداء لإظهار العناية الكاملة بهذه العبادة. انظر فتح القدير (٣/١١٢).

(٦) البغوي ٣/٣٨، وانظر فتح القدير ٣/١١٤.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٤، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣/٣٨، الرازي ١٩/١٠٨.

(٩) البغوي ٢/١٣٨ والرازي ١٩/١٠٨ وذكره الشوكاني في الفتح عن ابن عباس وعزاه لابن المنذر ٣/١١٤.

(١٠) وانظر فتح القدير ٣/١١٤، وذكره السيوطي في الدر ٤/٨٧ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحكم قال سألت عكرمة وطاوساً وعطاء بن أبي رباح. . .

(١١) وذلك يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات انظر الرازي (١٩/١٠٨ ـ ١٠٩).

(١٢) البغوي ٣/٣٨ انظر زاد المسير ٤/٣٦٨ فتح القدير ٣/١١٣.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٦٥ فتح القدير ٣/١١٣.

(١٤) البغوي ٣/٣٩ فتح القدير ٣/١١٣.

لأبويه وهما حيان طمعاً في أن يهديا إلى الإسلام، ويسعدا بالدين [١] وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء ﴿**وللمؤمنين**﴾ قال ابن عباس: يريد من لقيك مؤمناً مصدقاً فتجاوز عنه [٢] ﴿**يوم يقوم الحساب**﴾ يظهر الجزاء على الأعمال قوله: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أبو علي الحسين بن حبش الدينوري، أخبرنا: عبد الله بن وهب الدينوري أنا محمد بن آدم المصيصي [٣]، نا أبو المليح الرقي [٤] حدثنا: ميمون بن مهران، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾ قال: وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم [٥] وقوله: ﴿**إنما يؤخرهم**﴾ أي يؤخر جزاءهم ولا يأخذهم بظلمهم ﴿**ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة، تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء، لعجائب ما يرون؛ ولشدة الحيرة والدهشة لا يغمضون[٦].

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

﴿**مهطعين**﴾ قال سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة مسرعين[٧] وقال الضحاك والكلبي والعوفي عن ابن عباس: مديمي النظر من غير أن يطرفوا[٨]، ومعنى الإهطاع: الإسراع مع إدامة النظر، وقوله ﴿**مقنعي رؤوسهم**﴾ يقال: أقنع رأسه إذا رفعه، قال المفسرون: رافعي رؤوسهم[٩]، قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد[١٠] ﴿**لا يرتد إليهم طرفهم**﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة، وقوله: ﴿**وأفئدتهم هواء**﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد: خرجت القلوب من مواضعها، فصارت في الحناجر[١١]، وقال قتادة: انتزعت، حتى صارت في حناجرهم[١٢] فعلى هذا أريد بالأفئدة مواضع القلوب وأنها خلت عن القلوب، فصارت هواء، وقال آخرون: معنى الآية: أن قلوبهم خلت عن العقول، لما رأوا من الفزع، فهي خالية عن العقل، للدهشة والحيرة[١٣] ثم عاد إلى خطاب النبي ﷺ، وأمره بالإنذار.

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ

---

(١) انظر زاد المسير ٤/٣٦٩.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/٣٩.

(٣) محمد بن آدم بن سليمان الجهني صدوق مات سنة خمس ومائتين. انظر التقريب ٢/١٤٣، التهذيب ٩/٣٤ - ٣٥.

(٤) بفتح الراء هذه النسبة إلى الرقة وهي بلدة على طرف الفرات مشهورة من الجزيرة. انظر الأنساب (٣/٨٤).

(٥) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوىء الأخلاق عن ميمون بن مهران.

(٦) الطبري ١٣/٢٣٦ وانظر فتح القدير ٣/١١٧.

(٧) البغوي ٣/٣٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣/٣٩ ذكره الشوكاني ٣/١١٧ في الفتح وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٩) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ فتح القدير ٣/١١٥ الرازي ١٩/١١٢.

(١٠) البغوي ٣/٣٩.

(١١) البغوي ٣/٣٩.

(١٢) البغوي ٣/٣٩.

(١٣) البغوي ٣/٣٩.

ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾

فقال: ﴿**وأنذر الناس**﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة[1] ﴿**يوم يأتيهم العذاب**﴾ يعني: يوم القيامة ﴿**فيقول الذين ظلموا**﴾ أشركوا بالله ﴿**ربنا أخرنا إلى أجل قريب**﴾ استمهلوه مدة يسيرة، لكي يجيبوا الدعوة، ويتبعوا الرسل، وهو قوله: ﴿**نجب دعوتك ونتبع الرسل**﴾ فيقال لهم: ﴿**أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال**﴾ حلفتم في الدنيا أنكم لا تبعثون ولا تنتقلون من الدنيا إلى الآخرة ﴿**وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم**﴾ يعني الأمم الكافرة قبلهم، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية يقول: كان ينبغي أن يرتجعوا ويرتدعوا عن الكفر، اعتباراً بمساكنهم بعد ما تبين ﴿**لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن[2].

وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿**وقد مكروا مكرهم**﴾ يعني مكرهم بالنبي ﷺ حين هموا بقتله ونفيه ﴿**وعند الله مكرهم**﴾ أي: جزاء مكرهم ﴿**وإن كان مكرهم**﴾ وما كان مكرهم ﴿**لتزول منه الجبال**﴾ يعني: أمر النبي ﷺ وما أتى به من دين الإسلام، وضرب الجبال مثلاً له على معنى أن ثبوته كثبوت الجبال، قال الحسن: إن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال[3]، وقرأ الكسائي: (لَتزولُ)، بفتح اللام الأولى وضم الثانية[4] وإن على هذه القراءة لا يكون نفياً، بل يكون بمعنى قد، والمعنى قد كادت الجبال تزول من مكرهم، وهذه مبالغة في وصف مكرهم بالعظم على مذهب العرب في المبالغة، قال الزجاج: وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإن الله تعالى ينصر دينه[5]، يدل على هذا قوله ﴿**فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**﴾ قال ابن عباس: يريد النصر والفتح وإظهار الدين[6] ﴿**إن الله عزيز**﴾ منيع ﴿**ذو انتقام**﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم، قوله: ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأرض هي تلك الأرض وإنما تبدل آكامها، وجبالها وأشجارها[7]، ونحو هذا، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: يبدل الله الأرض غير الأرض، فيبسطها، ويمدها مد الأديم العكاظي ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾[8] وأما تبديل السماوات فقال ابن الأنباري: باختلاف هيئتها كما ذكر الله

---

(١) انظر زاد المسير ٣٧١/٤.

(٢) الرازي ١٩/ ١١٣ زاد المسير ٣٧٢/٤.

(٣) البغوي ٤٠/٣ زاد المسير ٣٧٤/٤ الرازي ١١٤/١٩.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٣٠٠/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧١/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٣.

(٦) البغوي ٤١/٣ زاد المسير ٣٧٥/٤.

(٧) البغوي ٤١/٣ انظر زاد المسير ٣٧٥/٤. ذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ وعزاه للبيهقي في البعث.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٢٥٢/١٣. وذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ وعزاه للبيهقي في البعث عن ابن عباس.

أنها تكون مرة كالمهل، ومرة كالدهان قال ابن مسعود[١]: تبدل بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، وهذا قول الكلبي، وعطاء عن ابن عباس، وأكثر المفسرين[٢] ﴿**وبرزوا لله الواحد القهار**﴾ كقوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ ﴿**وترى المجرمين**﴾ قال ابن عباس: يريد الذين أجرموا، زعموا أن لله ولداً وشريكاً[٣] ﴿**يومئذ**﴾ يوم القيامة ﴿**مقرنين**﴾ يقال: قرنت الشيء بالشيء إذا وصلته به، وجاء هٰهنا على التشديد؛ لكثرة أولئك القوم قوله: ﴿**في الأصفاد**﴾ جمع الصفد، وهو القيد، قال عطاء: يريد سلاسل الحديد والأغلال[٤]، وقال الكلبي: كل كافر مع شيطان في غل[٥]، وقال ابن زيد[٦]: قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿**سرابيلهم**﴾ جمع سربال، وهو القميص، وقال الزجاج[٧]: هو كل ما لبس من قطران، وهو هناء الإبل، وهو شيء يتحلب من شجر وجعلت سرابيلهم من قطران، لأنه أبلغ في اشتعال النار في جلودهم ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾ أي: تعلوها ﴿**ليجزي الله كل نفس ما كسبت**﴾ ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا يعني: الكفار ﴿**هذا**﴾ يعني القرآن ﴿**بلاغ للناس**﴾ أي: أنزل؛ ليبلغوا ﴿**ولينذروا به**﴾ قال ابن عباس [٨]: ولتنذر قومك يا محمد ﴿**وليعلموا أنما هو إله واحد**﴾ أي: بما فيه من الحجج التي تدل على وحدانيته ﴿**وليتذكر أولو الألباب**﴾ وليتعظ أهل العقول والبصائر.

---

(١) الطبري ٢٥٤/١٣ البغوي ٤١/٣ ابن كثير ٤٣٩/٤، زاد المسير ٣٧٦/٤. وذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ عن أنس وعزاه لابن جرير وابن مردويه وعن علي عزاه في المصدر نفسه لابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وعزاه أيضاً لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) زاد المسير ٣٧٦/٤.

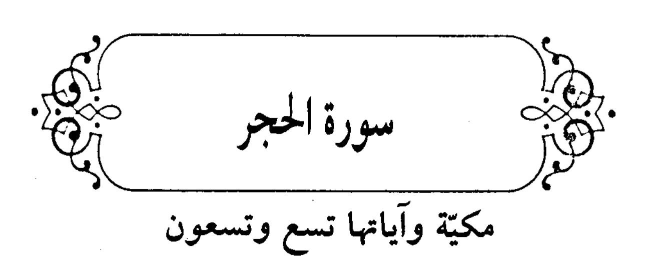
(٤) البغوي ٤٢/٣. وذكره السيوطي مثله عن سعيد بن جبير وعزاه لابن أبي حاتم ومثله أيضاً عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) البغوي ٤٢/٣.

(٦) البغوي ٤٢/٣.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٠/٣.

(٨) بنحوه انظر فتح القدير ١١٩/٣.



مكيّة وآياتها تسع وتسعون

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني، نا أبو عمرو محمد بن الحيري. نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول ﷺ: (من قرأ سورة الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين)[1].

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الٓر﴾ قال أبو الضحى عن ابن عباس: أنا الله أرى[2] وقال عكرمة عنه: ﴿الر﴾ وحم، وقٓ حروف الرحمن مقطعة[3] ﴿تلك﴾ هذه ﴿ءايات الكتاب﴾ يعني القرآن، ثم ذكره فقال: ﴿وقرءان مبين﴾ فجمع بين الوصفين لموصوف واحد، قوله: ﴿ربما يود الذين كفروا﴾ وقرىء بالتخفيف[4] لما فيه من التضعيف والحروف المضاعفة قد تخفف نحو: إن وأن ولكن، وقد خفف كل واحد من هذه الحروف، قال الزجاج: العرب تقول: رب رجل جاءني ويخففون فيقولون: رب رجل[5]، قال المفسرون: نزلت الآية في تمني الكفار الإسلام عند خروج من يخرج من النار من أهل الإسلام[6] وهذا تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف (١/٤٦٠) وعزاه لابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبيّ بن كعب وابن مردوية من وجه آخر عن أبيّ بن كعب وقال في موضع آخر: رواه الثعلبي من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب. انظر الكشاف ٢/٥٩٢ وقد تقدم.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١/١٠٩ والبغوي في تفسيره ١/٤٣، ٢/٤٣.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره عن سعيد بن جبير ١/٤٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٢٢ عن عامر وعزاه لابن أبي شيبة في تفسيره وعن ابن حميد وابن المنذر.

(٤) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء الموحدة والباقون بتشديدها. قال الكسائي: هما لغتان والأصل التشديد لأنك لو صغرت ربَّ لقلت: رُبَيْب فرددت إلى أصله فإن قيل فما موضع ما من ربما قيل فيه وجهان أحدهما أن تكون ما نائبة عن اسم منكور في موضع جر بمعنى شيء وذلك كقول الشاعر:

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحلِّ العقال

الثاني: أنها كافة لأن رُبَّ وإنّ لا يليهما إلا الأسماء فإذا وليتهما الأفعال وصلوها بـ (ما) كقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. انظر النشر (٢/٣٠١) حجة القراءات (٣٨٠ ـ ٣٨١) إتحاف فضلاء البشر (٢/١٧٣) القرطبي ١٠/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/١٧١.

(٦) انظر الدر المنثور ٤/٩٢ تفسير ابن كثير ٤/٤٤٣ تفسير الرازي ١٩/١٢٢ تفسير البغوي ٣/٤٣ تفسير أبي السعود ٥/٦٤.

محمد بن جعفر بن مطر نا: محمود بن محمد الواسطي، نا أبو الشعثاء نا خالد بن نافع، عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر الله من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿الٓر تلك ءايات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[1].

أخبرنا: أبو بكر التميمي، نا أبو الشيخ الحافظ، نا: أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري نا عبيدة، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما يزال الله يشفع ويدخل الجنة، ويرحم، حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[2] قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ يقول دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك خلاقهم، وهذا كقوله: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾[3] ﴿ويلههم الأمل﴾ يشغلهم ما يأملون في دنياهم عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، يقال ألهاه الشيء، أي شغله وأنساه[4] ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد وتهديد، أي: فسوف يعلمون إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ قال ابن عباس: يريد من أهل القرية[5] ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ أجل ينتهون إليه، يعني أن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً لا يهلكهم حتى يبلغوه، ﴿ما تسبق من أمةٍ﴾ من زائدة، كقولك ما جاءني من ﴿أجلها﴾ ما ضرب لها من الوقت ﴿وما يستأخرون﴾ لا يتأخرون عنه، وهذا كقوله: ﴿لكل أمة أجل﴾[6] قوله:

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٤٢ كتاب التفسير وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه ووافقه الذهبي والطبري في تفسيره ١٤/٣ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٤٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤٨ وعزاه للطبراني وقال وفيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود متروك قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره. وبقية رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال (١/٦٤٤). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦/٣٧٣ من حديث جابر وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/٥٧٩.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ١٩/١٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٢ وعزاه لسعيد بن منصور وهناد بن السري في الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وانظر البحر المحيط ٥/٤٤٥. وذكره أبو السعود في التفسير ٥/٦٤ وقال: الحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم، وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت، بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم، وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة، وإنما جيء بصيغة التقليل جرياً على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارساً وعنده مقاني جمة من الكتائب وقصده التمادي في تكثير فرسانه ولكن يريد إظهار براءته من التزيد وإبراز أنه ممن يقلل لعلو الهمة...

(٣) سورة المعارج ٤٢.

(٤) لسان العرب ٥/٤٠٩٠ الصحاح ٦/٢٤٨٧. ترتيب القاموس ٤/١٧٩.

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/٦٠ زاد المسير ٤/٣٨٢ والبغوي في تفسيره ٣/٤٤ بلا نسبة.

(٦) سورة الأعراف ٣٤.

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾[١] أي القرآن قال عطاء: عن ابن عباس: هذا استهزاء منهم، لو أيقنوا أنه أنزل عليه الذكر ما قالوا: **﴿إنك لمجنون﴾** **﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾** قال الفراء: لولا، ولوما: لغتان معناهما هلا[٢] قال ابن عباس: أفلا جئتنا بالملائكة حتى نصدقك[٣]؟ قال الله تعالى جواباً لهم: **﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾** أي إذا نزل الملائكة وجب العذاب من غير تأخير ولا إنظار قال ابن عباس: إذا نزلت الملائكة، لم ينظروا، ولم يمهلوا[٤] وهو قوله: **﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾** قوله: **﴿إنا نحن﴾** هذا من كلام الملوك، الواحد منهم إذا فعل شيئاً، قال: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة الملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء قال: نحن فعلنا، فخوطبت العرب بما يعقل من كلامها، وقوله: **﴿نحن نزلنا الذكر﴾** يعني القرآن **﴿وإنا له لحافظون﴾** قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً، حفظه الله من ذلك[٥] **﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾** أي رسلاً فحذفت المفعول الدلالة الإرسال عليه **﴿في شيع الأولين﴾** قال الحسن والكلبي: في فرق الأولين[٦] وقال عطاء عن ابن عباس: في الأمم الأولين [٧] قال الفراء: الشيعة الأمة لمتابعة بعضهم بعضها فيما يجتمعون عليه من أمر [٨] **﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾** يعني كما استهزأ به قومك، وهذا تعزية للنبي ﷺ، ودلالة أن كل واحد من الرسل كان مبتلى بقومه **﴿كذلك نسلكه﴾** قال الزجاج كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤوا، نسلك الضلال في قلوب المجرمين [٩]، والسلك: إدخال الشيء في الشيء[١٠] قال ابن عباس والحسن: نسلك الشرك في قلوب المكذبين[١١] ثم أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون، فقال: **﴿لا يؤمنون به﴾** بالرسول وبالقرآن، **﴿وقد خلت سنة الأولين﴾** مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسول في القرون الماضية وهذا تهديد لكفار مكة ثم أخبر أنهم إذا وردت عليهم الآية بالمعجزة قالوا سحر، فقال: **﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾** يقال: ظل كذا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٤ وذكر البغوي في تفسيره هذا المعنى بلا نسبة ٤٤/٣ والقرطبي في تفسير ٥/١٠ وأبو السعود في تفسيره ٦٦/٥. والزمخشري في الكشاف ٥٧١/٢ والشوكاني في فتح القدير ١٢٢/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٨٤/٢ تفسير الرازي ٢٢٦/١٩ وذكره الشوكاني في التفسير عن النحاس ١٢٢/٦.

(٣) تنوير المقباس ٦٠/٣.

(٤) تنوير المقباس ٦٠/٣ وانظر معنى هذا في تفسير البغوي ٤٤/٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٣٨٤/٤.

(٦) ذكره الألوسي في روح المعاني عن الحسن والكلبي ١٧/١٤ والقرطبي في تفسيره ٦/١٠ عن الحسن.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والرازي في تفسيره ١٢٨/١٩ بلا نسبة والبغوي في تفسيره ٤٤/٣ بلا نسبة.

(٨) زاد المسير ٣٨٠/٤ فتح القدير ١٢٢/٣ تفسير الرازي ١٢٨/١٩.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٤/٣ فتح القدير للشوكاني ١٢٣/٣.

(١٠) انظر الصحاح ١٥٩١/٤ لسان العرب ٢٠٧٣/٣ ترتيب القاموس ٦٠٠/٢.

(١١) تنوير المقباس ٦١/٣ تفسير القرطبي ٧/١٠.

إذا فعله بالنهار والعروج الصعود[١]، يقال عرج يعرج عروجاً، يقول: لو كشف لهؤلاء عن أبصارهم، حتى يعاينوا باباً في السماء مفتوحاً تصعد فيه الملائكة لصرفوا ذلك إلى أنهم سحروا وهو قوله: ﴿**لقالوا إنما سكرت أبصارنا**﴾ قال مجاهد: سدت بالسحر فيخايل لأبصارنا غير ما نرى[٢] وأصله من السكر وهو سد الشق[٣] لئلا ينفجر الماء فكأن الأبصار منعت من النظر كما يمنع الماء من الجري، والتشديد لذكر الأبصار ﴿**بل نحن قوم مسحورون**﴾ سحرنا محمد، فنحن نرى ما لا حقيقة له.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجاً**﴾ قال ابن عباس: يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما[٤] ﴿**وزيناها**﴾ بالشمس والقمر والنجوم ﴿**للناظرين**﴾ للمعتبرين بها، والمستدلين على توحيد صانعها ﴿**وحفظناها من كل شيطان رجيم**﴾ معنى الرجم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل للعن والطرد والإبعاد رجم، لأن الرمي بالحجارة[٥] يوجب هذه المعاني، والرجيم: الملعون المطرود المبعد وقال أبو عبيدة: الرجيم المرجوم بالنجوم[٦] بيانه قوله: ﴿رجوماً للشياطين﴾[٧] قال ابن عباس[٨]: كانت الشياطين لا تحجب عن السمٰوات، وكانوا يدخلونها، ويتحرون أخبارها، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما ولد رسول الله ﷺ، منعوا من السمٰوات كلها، فما منهم من [أحد][٩] يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب فذلك قوله ﴿**إلا من استرق السمع**﴾ وذلك أن المارد من الشياطين يعلو لاستراق السمع، فيرمى بالشهاب، وهو قوله: ﴿**فأتبعه**﴾ أي لحقه ﴿**شهاب مبين**﴾ شعلة نار ظاهرة

---

(١) انظر الصحاح ٣٢٨/١ لسان العرب ٢٨٧٠/٤ ترتيب القاموس ١٨٤/٣.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/١٠ وابن كثير ٤٤٦/٤. والشوكاني في فتح القدير ١٢٣/٣ بلا نسبه والألوسي في روح المعاني ٢٠/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٩٥/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر تفسير ابن الجوزي ٣٨٦/٤.

(٣) انظر لسان العرب ٢٠٤٨/٣ فتح القدير ١٢٣/٣.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٨/١٠ زاد المسير لابن الجوزي ٩٤/٤ وابن كثير في تفسيره ٤٤٦/٤ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٢٥/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر الصحاح ١٩٢٨/٥ لسان العرب ١٦٠١/٣ ترتيب القاموس ٣١٢/٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٨/١.

(٧) سورة الملك آية ٥.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٤٥/٣ والقرطبي في تفسيره ٩/٨/١٠ وأبو السعود في تفسيره ٧١/٥ والرازي في تفسيره ١٣٤/١٩ وابن الجوزي في تفسيره ٣٨٩/٤.

(٩) سقط في ب.

لأهل الأرض ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم فيجوز أن يكون ذلك كما نرى، ثم يصير ناراً إذا أدرك الشيطان، ويجوز أنهم يرمون بشعلة نار من الهواء، ولكن لبعده عنا، يخيل إلينا أنه نجم [(١)] ﴿**والأرض مددناها**﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿**وألقينا فيها رواسي**﴾ وهي الجبال الثوابت ﴿**وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الثمار مما يكال أو يوزن [(٢)] وقال الكلبي: وأنبتنا في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس والحديد، والرصاص والكحل والزرنيخ وكل شيء يوزن وزناً [(٣)] ﴿**وجعلنا لكم فيها معايش**﴾ من الثمار والحبوب ﴿**ومن لستم له برازقين**﴾ يعني العبيد والدواب والأنعام يرزقهم الله ولا ترزقونهم، وقال الكلبي يعني الوحش والطير [(٤)] ﴿**وإن من شيءٍ**﴾ أي من المطر في قول عامة المفسرين [(٥)]، وذلك أنه سبب الرزق والمعاش ولما ذكر أنه يعطيهم المعاش، بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده أي في أمره وحكمه وتدبيره ﴿**وما ننزله إلا بقدرٍ معلومٍ**﴾ يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، لا ينقصه ولا يزيده، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر، قوله: ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني للشجر والسحاب[(٦)] قال ابن مسعود: يبعث الله الرياح، لتلقح السحاب فتحمل الماء وتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة[(٧)]، ولواقح ههنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة فحذفت الميم، وردت إلى الأصل الثلاثي، كما يقال: أبقل النبت، فهو باقل، يجعلونه بدلاً من مبقل، وقال ابن الأنباري الريح اللاقح التي تحمل الماء والسحاب[(٨)] وهذا قول الفراء وابن قتيبة واختيار الأزهري قالوا: جعل الله الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح[(٩)] وقال رجل كنت جالساً عند ابن مسعود فهاجت ريح فقال رجل: اللهم العنها، فقال عبد الله لا مَه فإنها نذور مبشرات ولواقح ولكن سل الله من خيرها وتعوذ به من شرها، وقوله: ﴿**فأسقيناكموه**﴾ يقال: سقيته حتى روي وأسقيته نهراً، جعلته شرباً له، ومعنى ﴿فأسقيناكموه﴾ **جعلناه سقياً لكم** ﴿**وما أنتم له**﴾ لذلك الماء المنزل من السماء ﴿**بخازنين**﴾ بحافظين يقول: ليست خزانته بأيديكم ﴿**وإنّا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**﴾ إذا مات جميع

---

(١) قال القرطبي: اختلف في الشهاب هل يقتل أم لا. فقال ابن عباس: الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل. وقال الحسن وطائفة: يقتل فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان: أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم. فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، وبذلك انقطعت الكهانة.
والثاني أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق، ذكره الماوردي. قلت: والقول الأول أصح. انظر القرطبي (١٠/٩ ـ ١٠).

(٢) زاد المسير ٤/٣٩١ الخازن مع البغوي ٤/٦١.

(٣) زاد المسير ٤/٣٩١ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٣/١٢٦ بلا نسبة وانظر الخازن مع البغوي ٤/٦١. وذكره في بحر العلوم للسمرقندي بلا نسبة في تفسير الآية.

(٤) زاد المسير ٤/٣٩١ وذكره في روح المعاني ١٤/٢٩ عن بعضهم والشوكاني في الفتح ٣/١٢٦ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٩١ فتح القدير ٣/١٢٦. وذكر هذا المعنى في البحر لأبي حيان ونسبه لابن جريج ٤/٤٥١.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/٢٥ ابن كثير ٤/٤٤٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٣ والرازي في تفسيره ١٩/١٣٩ والألوسي في روح المعاني بلا نسبة ١٤/٣١ وأبو السعود ٥/٧٢ وذكره السيوطي في الدر ٣/٩٦، وزاد نسبته لأبي عبيد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/١٥ وابن كثير ٤/٤٤٨ والرازي في تفسيره ١٩/١٣٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٦ وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وقوله اللقحة؛ هي الناقة الحلوب غزيرة اللبن انظر لسان العرب ٥/٤٠٥٧ الصحاح ١/٤٠١. ترتيب القاموس ٤/١٥٩.

(٨) انظر البيان لابن الأنباري ٢/٦٧.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٨٧ الغريب لابن قتيبة ٢٣٦ تهذيب اللغة ٤/٥٥ فتح القدير ٣/١٢٧.

الخلائق لم يبق حياً سواه كقوله ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾[١] الآية ﴿**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**﴾ استقدم أي تقدم، وضده استأخر أي تأخر أخبرنا أبو منصور نصر بن بكر الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير، أنا محمد بن أيوب، أنا سعيد بن منصور، نا نوح بن قيس[٢] نا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف النبي ﷺ امرأة حسناء في آخر النساء وكان بعضهم يتقدم في الصف الأول لئلا يراها، وكان بعضهم يكون في آخر الصف، فإذا ركع، قال هكذا ونظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه[٣]، عن علي بن حماد، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي[٤]، عن حفص بن عمر، عن نوح بن قيس وقال الربيع: حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥] واختار الفراء هذا القول، وقال معنى: ﴿**ولقد علمنا**﴾ أي وإنّا نعلم جميعهم، فنجزيهم على نياتهم[٦] وقال الحسن وعطاء: يعني المتقدمين في طاعة الله، والمتأخرين عنها[٧] وقال قتادة ومجاهد: يعني من مضى من الأمم السالفة، ومن بقي وهم أمة محمد ﷺ، يدل على هذا قوله: ﴿**وإن ربك هو يحشرهم**﴾[٨] يجمعهم للحساب ﴿**إنه حكيم عليم**﴾ وقوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ

---

(١) سورة مريم آية ٤٠.

(٢) قيس بن رباح الأزدي الحداني ويقال: الطائي أبو روح البصري وقال أبو داود ثقة بلغني عن يحيى أنه ضعفه وقال مرة: يتشيع وقال النسائي: ليس به بأس قال نصر بن علي وابن حبان مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة. وقال ابن شاهين في الثقات قال ابن معين: هو شيخ صالح الحديث وقال العجلي: بصري ثقة التهذيب (١٠/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(٣) ٣٥٣/٢ كتاب التفسير وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وأخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ كتاب تفسير القرآن باب (سورة الحجر) (١٣١٢٢) والنسائي في السنن الكبرى ٣٧٤/٦ كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿**ولقد علمنا المستقدمين**﴾ ١١٢٧٣ وابن ماجة ٣٣٢/٢ كتاب إقامة الصلاة باب الخشوع في الصلاة ١٠٤٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٩٨/٣ كتاب الصلاة باب الرجل يعف. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٤ ـ ٩٧ وزاد نسبته لأبي داود الطيالسي ٢٧١٢ وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه. وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال: الظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس ـ وذكره القرطبي ١٤/١٠ وقال: وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو أصح.

(٤) الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم، ولد سنة تسع وسبعين ومائة. قال الخطيب: كان عالماً منفقاً فقيهاً شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند، وصنف في علوم القرآن. انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٥).

(٥) انظر زاد المسير ٣٩٦/٤ وذكره السيوطي في الدر ٩٧/٤ بنحوه.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢.

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/١٠ وابن الجوزي ٣٩٧/٤ وأبو حيان في البحر مختصراً ٤٥١/٥ والشوكاني في الفتح ١٢٨/٣ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤. والسيوطي في الدر المنثور ٩٧/٤ عن الحسن وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٨) القرطبي ١٤/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٥١/٥ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤ والشوكاني في فتح القدير ١٢٨/٣ والسيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٩٨/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ۝٤٨﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني آدم ﴿من صلصال﴾ وهو طين يصلصل إذا نقر عليه، يقال: صل الحديد، وصلصل إذا صوت[١] قال ابن عباس في رواية الوالبي: الصلصال: الطين اليابس[٢] وقال في رواية إسرائيل: الصلصال الذي إذا قرع صوت[٣].

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا يحيى ابن أبي زائدة عن إسرائيل، عن السدي عمن حدثه عن ابن عباس قال: خلق آدم من أديم الأرض فألقي على الأرض حتى صار طيناً لازباً، وهو الطين الملتزق، ثم ترك، حتى صار حمأً مسنوناً، وهو المنتن، ثم خلقه الله بيده، فكان أربعين يوماً مصوراً، حتى يبس فصار صلصالاً كالفخار إذا ضرب عليه صلصل فذلك الصلصال والفخار مثل ذلك[٤] وقوله: ﴿من حمإٍ مسنونٍ﴾ الحمأ الطين الأسود المنتن، والمسنون المتغير الرائحة، يقال: سن الماء فهو مسنون أي تغير وقال سيبويه: المسنون المصور على صورة ومثال من سنة الوجه وهي صورته[٥] قوله: ﴿والجان خلقناه﴾ قال عطاء والحسن وقتادة، ومقاتل: يريد إبليس[٦] وقال عامة المفسرين[٧]: الجان أبو الجن، سمي جاناً لتواريته عن الأعين يقال: جن الشيء إذا ستره[٨]، فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم وقوله: ﴿من قبل﴾ يعني من قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ قال الكلبي: هي نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها [٩] قال ابن مسعود: من نار الريح الحارة

---

(١) انظر لسان العرب ٤/٢٤٨٦ ترتيب القاموس ٢/٨٤٤.

(٢) القرطبي في تفسيره ١٠/١٥ وأبو حيان في البحر ٥/٤٥٣ والرازي في تفسيره ١٩/١٤٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨.

(٣) القرطبي في تفسيره ١٠/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لابن عساكر.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٣٠.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٩ وذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٧ عن الحسن وذكره البغوي ٣/٤٩ عن قتادة وكذا السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لسعيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي ٣/٤٩ فتح القدير للشوكاني ٣/١٣٠ زاد المسير ٤/٣٩٩ تنوير المقباس ٣/٩٤.

(٨) انظر لسان العرب ١/٧٠١ ترتيب القاموس ١/٥٤٢.

(٩) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٣/٤٩ والقرطبي في تفسيره ١٠/١٧ عن ابن عباس وذكره الألوسي في روح المعاني ١٤/٣٤ بلا نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٠٠.

قال: وهذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية [١] ومعنى السموم في اللغة: الريح الحارة وفيها نار [٢] وفي الخبر: (إنها من لفح جهنم). وقوله **﴿فإذا سويته﴾** أي عدلت صورته وسويته بالصورة الإنسانية **﴿ونفخت فيه من روحي﴾** النفخ إجراء الريح في الشيء والروح جسم رقيق يحيا به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كان قد نفخ الروح فيه، وأضاف روح آدم إليه إكراماً وتشريفاً وهي إضافة الملك وقوله: **﴿فقعوا﴾** أمر من الوقوع قال الكلبي: فخروا له ساجدين سجود تحية ولم تكن سجدة طاعة [٣] **﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾** قال سيبويه توكيد بعد توكيد وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله: **﴿وأن عليك اللعنة﴾** قال الكلبي: يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب لأنه أول من عصى [٤] الله قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حين يجازى العباد بأعمالهم[٥] فاستنظر إبليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجب إلى ذلك وقيل له: **﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾** قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى حين تموت الخلائق **﴿كلهم﴾**[٦] قال الكلبي: إذا نفخت النفخة الأولى مات الخلائق كلهم، ومات إبليس معهم، وإنما سمي الوقت المعلوم، لأنه يموت فيه الخلائق وإبليس[٧] **﴿قال رب بما أغويتني﴾** قال أبو عبيدة: معنى الباء ههنا القسم[٨] وقال غيره: هي بمعنى السبب أي بكوني غاوياً لأزينن، كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة، وبمعصيته ليدخلن النار[٩] ومعنى لأزينن، [كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة وبمعصيته ليدخلن النار]، ومعنى لأزينن لهم في الأرض يعني لأولاد آدم، ومفعول التزيين محذوف على تقدير: لأزينن لهم الباطل، حتى يقعوا فيه **﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾** الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد فقال الله: **﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾** يعني الإخلاص والإيمان طريق عليّ وإليَّ أي أنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي فهو طريق علي، وهذا معنى قول مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء[١٠] **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** قال ابن عباس: اختار الله عباداً فأخبر إبليس أنه ليس له عليهم سلطان أي قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال[١١] ثم أوعد من اتبعه فقال: **﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾** قال ابن عباس: يريد إبليس ومن اتبعه من الغاوين[١٢] **﴿لها سبعة أبواب﴾** قال: سبعة أطباق، طبق

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٧ وأبو السعود في تفسيره ٥/٧٤ والألوسي في روح المعاني ١٤/٣٤. والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه للطيالسي والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) انظر الصحاح ٥/١٩٥٤ لسان العرب ٣/٢١٠٢ ترتيب القاموس ٢/٦١٩.

(٣) ذكره بلا نسبة في معالم التنزيل للبغوي ٣/٤٩ وتفسير القرطبي ١٠/١٨ روح المعاني ١٤/٤٥ تفسير الرازي ٢/١٩٤ ـ ١٩٥ فتح التقدير ٣/١٣٠.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٩/١٤٦ والبغوي في معالم التنزيل ٣/٥٠ بلا نسبة.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٩/١٤٦ والخازن بالبغوي ٤/٦٦.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٩ والألوسي في روح المعاني ١٤/٤٨ والرازي في تفسيره ١٩/١٤٦ والبغوي في تفسيره ٣/٥٠ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٣/١٣٢.

(٧) انظر الخازن مع البغوي ٤/٦٦.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/٣٥١ تفسير الرازي ١٩/١٤٧ تفسير أبي السعود ٥/٧٨.

(٩) انظر تفسير الرازي ١٩/١٤٧ روح المعاني ١٤/٤٩.

(١٠) ذكره القرطبي ١٠/٢٠ والألوسي ١٤/٥٠ وأبو السعود ٥/٧٩وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٩وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) انظر تنوير المقباس ٣/٦٦.

(١٢) الرازي ١٩/١٥١ وانظر تنوير المقباس ٣/١٦ وتفسير القرطبي ١٠/٢١.

فوق طبق[1] وقال علي بن أبي طالب: إن الله وضع النيران بعضها فوق بعض فأبوابها: كإطباق اليد على اليد[2] ﴿لكل باب منهم﴾ من أتباع إبليس ﴿جزء مقسوم﴾ والجزء بعض الشيء والجمع أجزاء قال الضحاك: هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض وأعلاها فيه أهل التوحيد، يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني فيه للنصارى والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس والسادس: فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون[3]، قوله: ﴿إن المتقين﴾ قال الكلبي: إن المتقين للفواحش والكبائر[4] ﴿في جناتٍ وعيونٍ﴾ يعني عيون الماء والخمر ويقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي بسلامة قال ابن عباس: سلموا من سخط الله[5] ﴿ءامنين﴾ أمنوا عذاب الله والموت ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ مفسر في سورة الأعراف، ﴿إخواناً﴾ متوادين ﴿على سررٍ﴾ جمع سرير قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة[6] ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ لا يصيبهم في الجنة إعياء وتعب قال ابن عباس: مثل نصب الدنيا إذا مشى نصب وإذا جامع نصب[7] ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ يريد خلوداً لا زوال فيه.

۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿نبىء عبادي﴾ أخبرهم ﴿أني أنا الغفور﴾ لأوليائي ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لأعدائي.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا أبو بكر محمد بن إبراهيم الوراق، نا جعفر بن محمد بن سوار أنا مروان العثماني[8] نا عبد العزيز بن أبي حازم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لو يعلم

(١) وذكره السيوطي بنحوه من طرق عن علي ٤/ ٩٩ وعزاه لابن المبارك وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في صفة النار وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢١ ابن كثير ٤/ ٤٥٤.

(٢) انظر الأثر السابق روح المعاني وفتح القدير ٣/ ١٣٣ وتفسير الرازي ١٩/ ١٥١ بلا نسبة.

(٣) الرازي في تفسيره ١٩/ ١٥١ والألوسي ١٤/ ٥٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٠٠ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) القرطبي ١٠/ ٢٢ والألوسي ١٤/ ٥٦ عن ابن عباس.

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/ ٦٧.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/ ٢٣ والألوسي في روح المعاني ١٤/ ٥٩ والرازي في تفسيره ١٩/ ١٥٣.

(٧) انظر تنوير المقباس ٣/ ٦٨.

(٨) محمد بن عثمان بن خالد الأموي أبو مروان العثماني المدني نزيل مكة صدوق يخطىء مات سنة إحدى وأربعين. انظر التقريب (٢/ ١٨٩).

المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أبداً، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أبداً»[١].

أخبرنا: أبو عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن[٢] عن عمرو بن أبي عمرو[٣] عن المقبري[٤] عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة، لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار»[٥] قوله: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ هذه القصة مضى ذكرها في سورة هود، والضيف في الأصل مصدر ولذلك وحد في اللفظ، وإن كانوا جماعة ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ أي سلموا سلاماً، فقال إبراهيم: ﴿إنا منكم وجلون﴾ الوجل الفزع، وجل يوجل وجلاً فهو وجل[٦] ﴿قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلامٍ عليمٍ﴾ ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ [أي على حالة][٧] الكبر والهرم ﴿فبم تبشرون﴾ استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره، وقرأ نافع تبشرون بكسر النون، أراد تبشرونني فحذف النون الثانية وأبقى الكسرة التي تدل على الياء، وابن كثير أدغم ولم يحذف[٨] ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بما قضاه الله أنه كائن ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من الآيسين، والقنوط: اليأس من الخير ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه﴾ وقرىء (يقنَط) بفتح النون[٩] وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط قنوطاً وقنطاً قال ابن عباس: يريد ومن ييئس من رحمة ربه إلا المكذبون[١٠] وهذا يدل على أن إبراهيم لم يكن قانطاً، ولكنه استبعد ذلك، فظنت الملائكة به قنوطاً فنفى ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال ﴿قال فما خطبكم﴾ قال الكلبي :فما بالكم؟ وما الذي جئتم به[١١]؟ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوطٍ ﴿إلا ءال لوطٍ﴾ استثناء ليس من الأول، وآل لوط هم أتباعه والذين كانوا على دينه ﴿إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ قضينا أنها تبقى مع من يبقى ويتخلف حتى تهلك كما يهلكون وقرأ عاصم قدرنا

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢١٠٩ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى (٢٣/٢٧٥٥) والترمذي ٥/٥١٣ كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة (٣٥٤٢) وأحمد في المسند ٢/٣٣٤ ـ ٣٩٧ وابن حبان كذا في موارد الظمآن (٦٢٥) كتاب الزهد باب في الخوف والرجاء ٢٥٢٣.

(٢) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري المدني حليف بن زهرة سكن الإسكندرية قال الدوري عن ابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات قال أحمد: ثقة. انظر التهذيب (١١/٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٣) عمرو بن ميسرة مولى المطلب بن عبد الله القرشي وثقه أبو زرعة انظر تهذيب الكمال (٢/١٤٥).

(٤) سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري أبو سعد المدني وقال ابن المديني وابن سعد والعجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة. وقال ابن خراش ثقة جليل أثبت الناس في الليث بن سعد، وقال أبو حاتم: صدوق وقال يعقوب بن شيبة قد كان تغير وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين وكان شعبة يقول: ثنا سعيد المقبري بعدما كبر وقال الواقدي اختلط قبل موته بأربع سنين. انظر التهذيب (٤/٣٨).

(٥) أخرجه البخاري ١١/٣٠٧ كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ٦٤٦٩.

(٦) لسان العرب ٦/٤٧٧٣ ترتيب القاموس ٤٣/٥٧٨.

(٧) سقط في أ.

(٨) انظر النشر ٢/٣٠٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٧٧.

(٩) المصدران السابقان.

(١٠) انظر تنوير المقباس ٣/٦٩ والقرطبي ١٠/٢٥.

(١١) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٣/١٣٥ والقرطبي ١٠/٢٥ وأبو السعود ٥/٨٢ بلا نسبة.

مخففة[١] يقال: قدرت الشيء، وقدرته ونحو هذا قوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾[٢] قرىء بالوجهين[٣]، وقوله: ﴿والذي قدر فهدى﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك ﴿فأسر بأهلك﴾ مفسر في سورة هود، إلى قوله﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ قال ابن عباس: يعني الشام[٤] وقال المفضل: حيث يقول لكم جبريل[٥] وقال الكلبي: أمرهم جبريل أن يمضوا إلى صفر إحدى قرى قوم لوط[٦] ﴿وقضينا إليه﴾ أي أوحينا إليه وألهمناه، وقال ابن قتيبة: أخبرناه، كقوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾[٧] أي أخبرناهم[٨] وقوله: ﴿ذلك الأمر﴾ أي الأمر بهلاك قومه قال الزجاج موضع أن نصب، وهو بدل من قوله: ذلك الأمر لأنه فسر الأمر بقوله: أن دابر [٩] والمعنى: وقضينا إليه ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع﴾ أي آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، وهو قوله ﴿مصبحين﴾ أي داخلين في وقت الصبح.

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

قوله: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ يعني مدينة قوم لوط، وهي شذوم[١٠] ﴿يستبشرون﴾ يفرحون بعملهم الخبيث طمعاً منهم في ركوب الفاحشة فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾

---

(١) هما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة أي كتبنا انظر النشر ٢/٣٠٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٧٨.

(٢) سورة الواقعة آية ٦٠.

(٣) انظر النشر ٢/٣٨٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/٥١٦.

(٤) ذكره البغوي ٣/٥٤، والقرطبي ١٠/٢٦، والرازي ١٩/١٦٠، والألوسي في روح المعاني ١٤/٦٩، وأبو السعود ٥/٨٤، والشوكاني في الفتح القدير ٣/١٣٧.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٩/١٦٠، الخازن مع البغوي ٤/٧٠.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٦، الخازن مع البغوي ٤/٧٠.

(٧) سورة الإسراء ٤.

(٨) البغوي ٣/٥٤.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٨٢، وفتح القدير ٣/١٣٥، وذكره الألوسي ١٤/٧٠ عن الأخفش.

(١٠) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سلام معجم البلدان (٣/٢٢٦).

يقال: فضحه يفضحه، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار والمعنى: لا يفضحون بقصدكم إياهم بالسوء فيعلموا أنه ليس لي عندكم قدر ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ مذكور في سورة هود فقالوا له: ﴿أو لم ننهك عن العالمين﴾ أي عن ضيافة العالمين والمعنى: أول لم ننهك عن أن تدخل أحداً بيتك، لأنا نريد منه الفاحشة فقال لهم لوط ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم فاعلين لهذا الشأن، فعليكم بالتزوج ببناتي، ومضى الكلام في هذا قوله ﴿لعمرك﴾ العَمر والعُمر واحد فإذا أقسموا فتحوا العين لا غير، قال الزجاج: لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسم بلعمري، فلزموا الأخف [1] قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد وعيشك يا محمد [2].

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم المقري أنا عبد الله بن حامد، نا عبد الرحمن بن محمد الزهري، نا العباس الدوري.

حدثني: أبو عتاب سهل بن حماد نا سعيد بن زيد حدثني عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما خلق الله عز وجل، ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته، قال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وقوله: ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [3] قال عطاء: يريد أن قومك في ضلالتهم يتمادون [4] وقال عامة المفسرين [5]: يعني قوم لوط فأخذتهم الصيحة يعني صيحة العذاب قال المفسرون [6]: صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم وقوله ﴿مشرقين﴾ يقال: أشرق القوم إذا دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمسوا، والمعنى: أن العذاب أتاهم في شروق الشمس يقال: أن أول العذاب كان مع طلوع الصبح، ثم امتد إلى شروق الشمس، لذلك قال: مصبحين ثم قال: مشرقين ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ مفسر في سورة هود، ﴿إن في ذلك﴾ يعني فيما فعل بقوم لوط ﴿لآيات للمتوسمين﴾ يقال: توسمت في فلان خيراً، إذا رأيت أثره فيه، والمتوسم: الناظر في السمة الدالة على الشيء قال عطاء عن ابن عباس: للمتفرسين [7] وقال الضحاك للناظرين [8] قال مقاتل للمتفكرين [9] وقال قتادة: للمعتبرين [10].

---

(١) قال القرطبي: (لعمرك) أصله ضم العين من العمر، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال. والعمر بضم العين وفتحها لغتان ومعناهما واحد إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح بكثرة الاستعمال. انظر تفسير القرطبي (٢٧/١٠) معاني القرآن للزجاج (١٨٣/٣) تفسير الرازي (١٦١/١٩). روح المعاني ٧٣/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ فتح القدير للشوكاني ١٣٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً ٢٣٠/٨ كتاب التفسير تفسير سورة الحجر وقال الحافظ في الفتح: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وانظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٤٤/١٤ والبغوي ٥٥/٣ والألوسي ٧٢/١٤ والشوكاني في الفتح ١٣٩/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وزاد نسبته لابن أبي شيبة والحارث بن أبي أسامة ولأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل.

(٤) ذكره ابن الجوزي ٤٠٩/٤ والبغوي ٥٥/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ بنحوه عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير زاد المسير ٤١٠/٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ والضمير يعود لقريش.

(٦) انظر تفسير الرازي ١٦٠/١٩ روح المعاني ٧٤/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ زاد المسير ٤٠٩/٤.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٣/٥، وأبو السعود في التفسير ٨٦/٥، والرازي بلا نسبة ١٦٢/١٩ وذكر الأثر عن مجاهد في معالم التنزيل ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٨) ذكره أبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والقرطبي ٢٩/١٠ وذكره الرازي ١٦٢/١٩ وذكر عن ابن عباس في معالم التنزيل ٥٥/٣. وروح المعاني ٧٤/١٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٩) ذكره البغوي ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والرازي ١٦٢/١٩ وابن الجوزي ٤١٠/٤.

(١٠) ذكره البغوي ٥٥/٣ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والألوسي ٧٤/١٤ والرازي ١٦٢/١٩ والشوكاني في الفتح عن مجاهد ١٣٩/٣=

أخبرنا: أبو حسان المزكي أنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري[١] نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب[٢] نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الواحد بن واصل [٣] نا أبو بشر المزلق [٤] عن ثابت عن أنس قال: رسول الله ﷺ: (إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم) [٥] قوله: ﴿وإنها﴾ يعني مدينة قوم لوط﴿لبسبيل مقيم﴾ بطريق واضح لا يندر ولا يخفى قال ابن عباس: على طريق قومك إلى الشام [٦] والمعنى أن الاعتبار بها ممكن ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لعبرة للمصدقين يعني أن المؤمنين اعتبروا وصدقوا.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ معنى إن واللام التوكيد وإن ههنا مخففة من الثقيلة والأيكة والأيك: الشجر الملتف، قال المفسرون[٧] قوم شعيب كانوا أصحاب غياض، فكذبوا شعيباً، فأهلكوا بعذاب يوم الظلة وهو قوله ﴿فانتقمنا منهم﴾ قال المفسرون[٨] أخذهم الحر أياماً، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا وقوله: ﴿وإنهما﴾ يعني الأيكة ومدينة قوم لوط ﴿لبإمام مبين﴾ بطريق واضح، وسمي الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع قوله: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني ثمود، وكانت مساكنهم تسمى الحجر ﴿وءاتيناهم ءاياتنا﴾ قال ابن عباس يريد الناقة وكان فيها آيات خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها وعظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً[٩] ﴿ فكانوا عنها معرضين﴾ لم يتفكروا فيها، ولم يستدلوا بها ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ ذكرنا

= والسيوطي ٣/١٠٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(١) الشيخ العالم الثقة العابد مسند العراق أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد ابن الحافظ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن صاحب النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري العوفي البغدادي، ولد سنة تسعين ومئتين وسمع سنة ثمان وتسعين. قال الخطيب: كان ثقة. مات الزهري في ربيع الأول، وقيل: مات في ربيع الآخر ـ سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة انظر السير (١٦/٣٩٢ ـ ٣٩٣).

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي روى عن القواريري وسعيد الجهمي وطبقتهما وقال فيه الإسماعيلي: صدوق لكن قال الدارقطني: ليس بثقة. حدث عن ثقات بأحاديث باطلة. مات أبو إسحاق المخرمي في سنة أربع وثلثمائة. ميزان الاعتدال (١/٤١ ـ ٤٢).

(٣) عبد الواحد بن واصل. أبو عبيدة الحداد مولى بني سدوس. وهو بصري سكن بغداد وحدث بها وكان ثقة. تاريخ بغداد (١١/٣).

(٤) بكر بن الحكم التميمي أبو بشر المزلّق جار حماد بن زيد صدوق فيه لين من السابعة. التقريب (١/١٠٥).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٧١ وعزاه للبزار والطبراني وقال إسناده حسن، وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٤/٤٦١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٣، وزاد نسبته للحكيم الترمذي وابن السني ولأبي نعيم.

(٦) ذكره القرطبي ١٠/٣١، وابن الجوزي ٤/٤١٠، الطبري ٤/٤٨.

(٧) انظر البغوي ٣/٥٥، القرطبي ١٠/٣١، روح المعاني ١٤/٧٥، الرازي ١٩/١٦٢، فتح القدير ٣/١٤٠.

(٨) انظر روح المعاني ١٤/٧٥، معالم التنزيل ٣/٥٥، الرازي ١٩/١٦٢.

(٩) ذكره ابن الجوزي ٤/٤١٠، وذكره في روح المعاني ١٤/٧٦، معالم التنزيل ٣/٥٦، تفسير الرازي ١٩/١٦٣، فتح القدير ٣/١٤٠.

ذلك في سورة الأعراف وقوله ﴿ءامنين﴾ قال الفراء: آمنين من أن تقع عليهم[1] ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أتتهم صيحة عظيمة، فماتوا عن آخرهم في وقت الصبح وهذا مما قد تقدم في سورة الأعراف وقوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾ أي ما دفع عنهم العذاب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من الأموال والأنعام.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق، وهو الثواب للمصدق، والعقاب للمكذب ﴿وإن الساعة لآتية﴾ وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بقبح أعمالهم ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ أعرض عنهم إعراضاً بغير جزع وهذا منسوخ بآية القتال[2] ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ خالق كل شيء ﴿العليم﴾ بما خلق، قوله: ﴿ولقد ءاتيناك سبعاً من المثاني﴾ واحد المثاني مثناة، وهي كل شيء يثنى، أي يجعل اثنين، وأكثر أهل التفسير[3] على أن المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والكلبي وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

أخبرناه: أبو إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي أنا محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي نا الحسين بن موسى بن خلف نا إبراهيم بن الهيثم البلدي[4] نا آدم بن أبي إياس نا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم) رواه البخاري[5] عن آدم. وإنما

---

(١) انظر فتح القدير ٣/١٤٠، ومعالم التنزيل ٣/٥٦.

(٢) هي قوله تعالى ﴿أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج ٣٩ قال الرازي: وقيل: هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد، لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخاً. انظر الرازي ١٩/١٦٤. والقرطبي ١٠/٣٦.

(٣) انظر ابن كثير ٤/٤٦٥، البغوي ٣/٥٦، البحر المحيط ٥/٤٦٥، الرازي ٣/١٦٤، القرطبي ١٠/٣٦، روح المعاني ١٤/٧٨، فتح القدير ٣/١٤١. نقلاً عن المصنف.

(٤) إبراهيم بن الهيثم البلدي عن علي بن عياش الحمصي وطبقته. وثقه الدارقطني والخطيب وذكره ابن عدي في الكامل وقال: حديثه مستقيم سوى حديث الغار كذبه فيه الناس. ميزان الاعتدال (١/٧٣).

(٥) (٨/٢٣٢) كتاب التفسير باب ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم (٤٧٠٣)، وأبو داود ٤/٧١ كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب ١٤٥٨ والنسائي ٢/١٣٩ كتاب الافتتاح باب تأويل قول الله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى) ٩١٣، وابن ماجة ٢/١٢٤٤ كتاب الأدب باب ثواب القرآن ٣٧٨٥ وأحمد في المسند ٣/٤٥٠.

سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها سبع آيات وهي تثنى في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة، وقال الزجاج: ويجوز أن يكون من المثاني مما أثني به على الله لأن فيها حمد الله وتوحيده، وذكر ملكه يوم الدين، المعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله[١]، وهذه الآية تدل على فضيلة الفاتحة لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه السورة، كما امتن عليه بجميع القرآن، حيث فصل هذا من القرآن بالذكر ثم ذكر القرآن بعده فقال: ﴿**والقرآن العظيم**﴾ أي العظيم القدر، لأنه كلام الله ووحيه وتنزيله، ولما ذكر منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا فقال: ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم**﴾ أي أصنافاً من المشركين واليهود، قال ابن عباس: «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها فكان ﷺ لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا[٢]».

﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ قال الكلبي: على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب[٣] ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾ ألن لهم جانبك قال ابن عباس: ارفق بهم، ولا تغلظ عليهم[٤] والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً ساكناً[٥] ﴿**وقل إني أنا النذير المبين**﴾ قال ابن عباس أنذركم بسخط الله وعذابه وأبين لكم ما يقربكم إلى الله[٦] ﴿**كما أنزلنا**﴾ ويجوز أن يكون المعنى أني أنذركم ما أنزلنا، وتكون الكاف زائدة[٧] وقوله: ﴿**على المقتسمين**﴾ يعني الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ، والإيمان به، قال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شر ميتة[٨] ثم وصفهم فقال: ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ قال ابن عباس: جزّؤوه أجزاء فقالوا: سحر، وقالوا: أساطير الأولين وقالوا: مفترى[٩] وعضين جمع عضة، مثل عزة وعزين من عضيت الشيء إذا مزقته[١٠] وكل قطعة عضة والمعنى أنهم فرقوا القول في القرآن، حيث اختلفت في وصفة أقوالهم قوله ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ قال الكلبي: عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسله[١١] وهذا السؤال سؤال توبيخ، يسألون يوم القيامة فيقال لهم: لم عصيتم الرسل، وتركتم الإيمان؟ فيظهر خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب، وقال أبو العالية:

---

(١) انظر تفسير الرازي ١٩/١٦٥، تفسير روح المعاني ١٤/٧٩ بلا نسبة معالم التنزيل ٣/٥٧.

(٢) ذكره الطبري ١٤/٦٠ والبغوي ٣/٥٧ والرازي ١٩/١٦٧ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٥ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٣) انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي ١٠/٣٨، زاد المسير، ٤/٥٨.

(٤) انظر تفسير زاد المسير ٤/٤١٦، والبغوي في معالم التنزيل ٣/٥٧.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٤٢.

(٦) انظر زاد المسير ٤/٤١٦، وأورد ابن كثير ٤/٤٦٦ هذا المعنى بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الكشاف ٢/٥٨٩.

(٨) ذكره البغوي ٣/٥٨، والقرطبي ١٠/٣٩، والرازي ١٩/١٦٨، والشوكاني في الفتح ٣/١٤٣ عن الفراء، والألوسي ١٤/٨١ عن ابن السائب، وابن الجوزي ٤/٤١٨.

(٩) أخرج نحوه البخاري في صحيحه ٨/٢٣٣ كتاب التفسير ٤٧٠٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وزاد نسبته لسعيد بن منصور والحاكم والفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس انظر تفسير البغوي ٣/٥٨ تفسير الرازي ١٩/١٦٩، روح المعاني ١٤/٨١، فتح القدير ٣/١٤٣.

(١٠) عزين: العِزَة هي الجماعة من الناس.

(١١) انظر لسان العرب ٤/٢٩٣٥، الصحاح ٦/٢٤٢٥، ترتيب القاموس ٣/٢٢٠. ذكره البغوي ٣/٥٨ عن محمد بن إسماعيل والشوكاني في الفتح ٣/١٤٣ بلا نسبة وذكره القرطبي ١٠/٤٠ والألوسي ١٤/٨٥ مرفوعاً بنحوه قال القرطبي روى الترمذي الحكيم قال: حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في قوله: (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن قول لا إله إلا الله.

يسأل العباد كلهم يوم القيامة عن خلتين عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين[١] وأما قوله: **﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنب﴾** الآية أي لا يسألون سؤال استفهام ليعلم ذلك من جهتهم قوله: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** قال الزجاج: يقول أظهر ما تؤمر به أخذ من الصديع، وهو الصبح[٢].

وقال المفسرون[٣] اجهر بالأمر أي بأمرك، يعني إظهار الدعوة، وما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية[٤]، **﴿وأعرض عن المشركين﴾** لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لومهم إياك على إظهار الدعوة **﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾** الذين كانوا يستهزئون بك وبالقرآن، وكانوا جماعة يؤذون النبي ﷺ [٥] الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والحارث بن عيطلة والأسود بن عبد يغوث والحارث بن عدي[٦] فأومأ جبريل بإصبعه إلى ساق الوليد وإلى عيني أبي زمعة وإلى رأس الأسود وإلى بطن الحارث وقال للنبي ﷺ: كفيت أمرهم، فمر الوليد على قين[٧] لخزاعة، وهو يجر ثيابه، فتعلقت بثوبه شوكة، فمنعه الكبر أن يخفض رأسه، فينزعها، وجعل يضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى قطع إنسياه فلم يزل حتى مات، ووطىء العاص على شبرقة[٨] فحكت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمي أبو زمعة وأخذت الأكلة[٩] في رأس الأسود وأخذ الحارث الماء في بطنه فمات خبثاً يعني استسقاء ثم وصفهم بالشرك فقال: **﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً ءاخر فسوف يعلمون﴾** وعيد لهم وتهديد ثم عزى نبيه ﷺ فقال: **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾** من تكذيبك والاستهزاء بك **﴿فسبح بحمد ربك﴾** قال الضحاك: قل سبحان الله وبحمده[١٠] **﴿وكن من الساجدين﴾** قال ابن عباس: من المصلين[١١]، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[١٢] **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾** قال جماعة المفسرين[١٣] يعني الموت وسمي الموت

---

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٤/٨٥، وعزاه لابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤١٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وعزاه للترمذي وابن جرير وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٨٦، البحر المحيط ٥/٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(٣) انظر القرطبي ١٠/٤١، روح المعاني ١٤/٨٥، معالم التنزيل ٣/٥٩ تفسير الرازي ١٩/١٧٠، فتح القدير ٣/١٤٤ نقلاً عن المصنف.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وعزاه لابن جرير عن أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٥٩، تفسير الرازي ١٩/١٧١، روح المعاني ١٤/٨٦، فتح القدير ٣/١٤٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٧، وعزاه للطبراني في الأوسط والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس.

(٦) الحارث بن عدي بن سعد بن سهم انظر جمهرة أنساب العرب (١٦٥).

(٧) القين: الحداد. انظر تاج العروس ٩/٣١٦، الصحاح ٦/٢١٨٥، لسان العرب ٥/٣٧٩٧، ترتيب القاموس ٣/٧٢٦.

(٨) الشِّبْرِقة: نبت كأظفار الهر منبتها نجد وتهامة نوع من الشوك، انظر لسان العرب ٤/٢١٨٥ تاج العروس ٦/٣٩٠، الصحاح ٤/١٥٠٠ ترتيب القاموس ٢/٦٦٦.

(٩) الأكلة داء يقع في العضو. انظر تاج العروس ٧/٢٠٩، الصحاح ٤/١٦٢٤، لسان العرب ١/١٠٢، ترتيب القاموس ١/١٦٤.

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٣/٦٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٣.

(١١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٣ والبغوي ٣/٦٠ عن الضحاك وأبو حيان في البحر ٥/٤٧٠ بلا نسبة.

(١٢) أخرجه أبو داود عن حذيفة بلفظ (كان إذا حزبه أمر صلى) ١/٣٥ كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ ١٣١٩ وأحمد في المسند ٥/٣٨٨ والطبري في تفسيره ١/٢٠٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٦٧. وقال المناوي في الفيض ٥/١٢٠ سكت عليه أبو داود قال المنذري: وذكر بعضهم أنه روي مرسلاً. انظر عون المعبود ٤/١٤٢.

(١٣) انظر معالم التنزيل ٣/٦٠ تفسير الرازي ١٩/١٧١ روح المعاني ١٤/٨٧، فتح القدير ٣/١٤٦.

يقيناً لأنه موقن به قال قتادة: اليقين الموت وعند الموت والله يقين من الخير والشر[١] قال الزجاج المعنى: اعبد ربك أبداً لأنه لو قيل: اعبد ربك بغير توقيت لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فإذا قال: حتى يأتيك اليقين: فقد أمر بالإقامة على العبادة أبداً ما دام حياً.

أخبرنا: أبو بكر بن الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان نا أمية بن محمد الصواف نا محمد بن يحيى الأزدي نا الهيثم بن خارجة[٢] نا إسماعيل بن عياش[٣] عن شرحبيل بن مسلم[٤] عن ابن مسلم الخولاني عن جبير بن نفير[٥] قال: قال: رسول الله ﷺ: ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحي إلي أن **﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[٦]

---

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني ٨٧/١٤ وأبو حيان في البحر ٤٧٠/٥ بلا نسبة والقرطبي ٤٢/١٠ بلا نسبة.

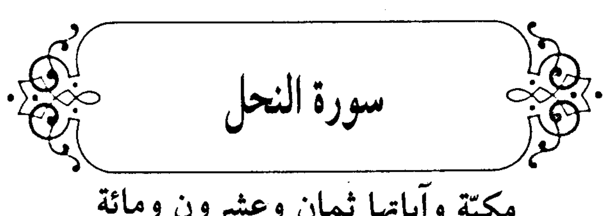
(٢) الهيثم بن خارجة الخراساني الحافظ أبو أحمد، ويقال أبو يحيى المروزي نزل بغداد قال صالح بن محمد: سمعت هشام بن عمار يقول كنا نسميه سعيد الصغير، قال صالح: وكان أحمد يثني عليه، وكان يتزهد وكان سيىء الخلق مع أصحاب الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري مات في ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين، وقال ابن نافع: ثقة وقال الخليلي: ثقة متفق عليه انظر التهذيب (١١/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٣) إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي عالم الشاميين. قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحفظ منه، دحيم: هو في الشاميين غاية وخلط عن المدنيين ولينه أبو حاتم انظر الكاشف (١٢٧/١) الميزان (٢٤٠/١) التقريب (٧٣/١).

(٤) شرحبيل بن مسلم تابعي ثقة انظر تاريخ الثقات (٢١٦).

(٥) جبير بن نفير أبو عبد الرحمن الحضرمي أسلم في حياة النبي ﷺ وهو باليمن ولم يره، وقدم المدينة فأدرك أبا بكر ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص. وروى عن أبي بكر وعمر وأبي ذر والمقداد وأبي الدرداء وغيرهم. وروى عنه ابنه، وخالد بن معدان وغيرهما. قال أبو عمر: جبير بن نفير من كبار تابعي الشام ولأبيه نفير صحبة. انظر أسد الغابة (٣٢٤/١).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٥٧/٥ وذكره البغوي في تفسيره ٦٠/٣ وفي سنده إسماعيل بن عياش تقدم الكلام عليه.



سورة النحل

مكيّة وآياتها ثمان وعشرون ومائة

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الحيري نا إبراهيم بن شريك الكوفي نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية[1].

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله﴾ أي عذابه لمن أقام على الشرك، وتكذيب رسوله، وهو الأمر بالسيف ﴿فلا تستعجلوه﴾ لا تطلبوه قبل حينه[2] وهذا كما تقول لمن يطلب أمراً يستعجل فيه: أتاك الأمر فلا تستعجل وقال جماعة من المفسرين[3] أمر الله ههنا الساعة، وذلك أنهم استبطأوا أمر الساعة فأعلم الله أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾[4] ﴿سبحانه﴾ تنزيها له وبراءة من السوء ﴿وتعالى﴾ ارتفع بصفات المدح ﴿عما يشركون﴾ به من الأصنام أي أنها ليست شركاء لهم لأنهم لا يخلقون شيئاً قوله ﴿ينزل الملائكة﴾ قال ابن عباس: «يريد جبريل وحده»[5] ﴿بالروح من أمره﴾ بالوحي وهو كلام الله سمي روحاً لأنه حياة من موت الكفر ﴿على من يشاء

---

(١) تقدم غير مرة.

(٢) في تقدير قول تعالى (أتى أمر الله) وجهان:

الوجه الأول: أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع.

والوجه الثاني: وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين، فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود، والحاصل قيل: أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد، فصح قولنا أتى أمر الله، إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل، لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت.

انظر الرازي (١٩/١٧٤) وانظر تفسير القرطبي ١٠/٤٤ المعاني ١٤/٩٠.

(٣) انظر البغوي ٣/٦١ عن الكلبي وغيره والشوكاني فتح القدير ٣/١٤٦ القرطبي ١٠/٤٤ الرازي ١٩/١٧٣ - ١٧٤ روح المعاني ١٤/٩٠ أبو السعود ٥/٩٤.

(٤) سورة القمر آية (١).

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/٧٩ فتح القدير ٣/١٤٧ الرازي ١٩/١٧٥ وذكره البغوي في معالم التنزيل ٣/٦١ عن أبي عبيدة والألوسي ١٤/٩٣ عن بعضهم وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٨.

من عباده﴾ يريد النبيين الذين يختارهم بالرسالة، وقوله: **﴿أن أنذروا﴾** أي أهل الكفر بأنه **﴿لا إله إلا أنا﴾** أي مروهم بتوحيدي، وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لو لم يقروا ثم ذكر ما يدل على توحيده فقال:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ الآية **﴿خلق الإنسان من نطفة﴾** يعني أبي بن خلف **﴿فإذا هو خصيم﴾** مخاصم **﴿مبين﴾** ظاهر الخصومة، وذلك أنه خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث[١] والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، ومع ذلك يخاصم، وينكر البعث أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على خلقه أولاً، قادر على إعادته **﴿والأنعام خلقها﴾** يعني الإبل والبقر والغنم. ثم ابتدأ فقال **﴿لكم فيها دفء﴾** [ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: لكم ثم يبتدىء فيقول: فيها دفء][٢]. وهو ما يستدفأ به من الأكسية والأبنية من أوبارها وأشعارها وأصوافها، قال الأصمعي: الدفء السخونة[٣] وقال الفراء: يقال: دفيت يدفأ دفاءً ودفأ[٤] قوله: **﴿ومنافع﴾** يعني النسل والدر، والركوب **﴿ومنها تأكلون﴾** يريد من لحومها **﴿ولكم فيها جمال﴾** زينة **﴿وحين تريحون﴾** تردونها إلى مراحها وهو حيث تأوي إليه ليلاً **﴿وحين تسرحون﴾** ترسلونها بالغداة إلى مراعيها، يقال: سرح القوم إبلهم سرحاً قال قتادة: وأحسن ما تكون إذا راحت عظاماً ضروعها، طوالاً أسنمتها[٥] **﴿وتحمل أثقالكم﴾** جمع ثقل، وهو متاع المسافر **﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾** قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر[٦] هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم، وخص ابن عباس اليمن والشام، لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه والشق المشقة معناه: إلا بجهد الأنفس **﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾** بكم إذ منّ عليكم بالنعم التي فيها هذه المرافق قوله: **﴿والخيل﴾** أي وخلق الخيل **﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾** قال الزجاج: نصبها على أنها مفعول لها[٧] والمعنى: وخلقها للزينة والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل وإن ذكرته مع البغال والحمير، لأن القصد بهذه الآية إظهار المنة، بأن خلق لنا من الحيوان ما نركبه ونتجمل به ولحوم الخيل حلال بالسنة:

---

(١) روي أنه جاء إلى النبي ﷺ بعظمة رميم، فقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم، وفي هذا نزل أيضاً قوله تعالى **﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾** يس ٧٨. انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٦.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكره الرازي ١٩/ ١٨١ والقرطبي ١٠/ ٤٦ بلا نسبة وكذا الرازي ١٩/ ١٨١ والألوسي في روح المعاني ١٤/ ٩٨ والشوكاني في فتح القدير ٣/ ١٤٨.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٤٨ بلا نسبة.

(٥) ذكره السيوطي بنحوه ٤/ ١١٠ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٣٠ والألوسي في روح المعاني ١٤/ ١٠٠ والرازي ١٩/ ١٨٢ مع زيادة (المدينة) والشوكاني في فتح القدير ٣/ ١٤٨ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٩٢ التفسير الكبير للرازي ١٩/ ١٨٣.

أخبرنا: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ أنا مكي بن عبدان نا عبد الله بن هاشم نا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر[١] عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ» رواه البخاري[٢] عن قتيبة عن جرير عن هشام.

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد العدل أنا أبو الهيثم المروزي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا مسدد نا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر قال: (نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر. ورخص في لحوم الخيل)[٣]. وقوله: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ قال ابن عباس: إن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل في كل بحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة[٤]، وقال آخرون: يعني ما أعد في الجنة لأهلها، وما أعد في النار لأهلها[٥].

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا قصد بك إلى ما تريد، وقصد السبيل: الإسلام والمعنى: أن قصد السبيل الذي هو الإسلام على الله أن يؤدي إلى رضا الله

---

(١) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام الأسدية زوجة هشام بن عروة، روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر وأم سلمة زوج النبي ﷺ وعمرة بنت عبد الرحمن. وعنها زوجها هشام بن عروة بن سوقة ومحمد بن إسماعيل بن يسار، قال العجلي: مدنية تابعية ثقة، وقال هشام بن عروة: كانت أكبر مني بثلاث عشرة سنة، فيكون مولدها سنة ثمان وأربعين. وذكرها ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٢/٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل (٥٥١٩) ومسلم ٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل (٣٨ ـ ١٩٤٢) والنسائي ٢٢٧/٧ كتاب الضحايا باب الرحمة في نحر ما يذبح (٤٤٠٦) وابن ماجه ١٠٦٤/٢ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل ٣١٩٠ والبيهقي ٢٧٩/٩ كتاب الضحايا باب الذبح في الغنم.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٠/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الحمر الانسية (٥٥٢٤) ومسلم ١٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل ٣٦ ـ ١٩٤١ وأبو داود ٣٥١/٣ كتاب الأطعمة باب في أكل لحوم الخيل ٣٧٨٨ والنسائي ٢٠١/٧ كتاب الصيد والذبائح باب الإذن في أكل لحوم الخيل (٤٣٢٧) والدارمي ٨٧/٢ كتاب الأضاحي باب في أكل لحوم الخيل والبيهقي في السنن ٣٢٦/٩ ٣٢٧ كتاب الضحايا باب أكل لحوم الخيل.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٥٤/١٠ والألوسي في روح المعاني ١٠٢/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والرازي ١٨٤/١٩ عن ابن عباس وعطاء ومقاتل والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ مختصراً.

(٥) ذكره البغوي ٦٣/٣ والألوسي في روح المعاني ١٠٣/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والقرطبي ٥٤/١٠ والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣.

وثوابه وجزائه قال مجاهد: وطريق الحق على الله[١] وهذا كقوله: ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾[٢] قوله ﴿ومنها جائر﴾ أي مائل عادل عن الحق قال الكلبي: يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية[٣] وقال ابن المبارك: يعني الأهواء والبدع[٤] ثم بين أن المشيئة إليه فقال: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ قال ابن عباس: لو شاء لأرشدكم كلكم حتى لا يختلف عليك يا محمد أحد قوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ قال الزجاج كل ما نبت على الأرض فهو شجر[٥] وقال ابن قتيبة يعني الكلأ[٦] والمعنى: أنه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ما ترعاه الراعية من دق الشجر وجلها، لأن الإبل ترعى جل الشجر قوله: ﴿فيه﴾ أي في الشجر ﴿تسيمون﴾ يقال أسمت الماشية إذا خليتها ترعى، وسامت هي إذا رعت فهي سائمة[٧] قوله ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ قال ابن عباس: يريد الحبوب[٨] ﴿والزيتون﴾ جمع زيتونة يقال للشجرة نفسها: زيتونة وباقي الآية وما بعدها ظاهر، تقدم تفسيره، وأكثر القراء على نصب الشمس والقمر والنجوم وهو الوجه لاستقامتها مع ما قبلها في المعنى وإذا استقامت في معنى واحد، استقامت في إعراب واحد وقوله: ﴿مسخرات﴾ حال مؤكدة لأن تسخيرها قد عرف بقوله: وسخر وقرأها ابن عامر بالرفع[٩]، فابتدأ الشمس والقمر، وجعل مسخرات خبراً عنها، وقرأ حفص ﴿مسخرات﴾ بالرفع وحدها وجعلها خبر ابتداء محذوف كأنه قال: مسخرات قوله ﴿وما ذرأ﴾ أي وسخر لكم ما خلق ﴿لكم﴾ أي لأجلكم، يعني الدواب والشجر وغيرها ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي هيئته ومناظره.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلك للركوب والغوص ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يريد الدر واللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ شواق الماء بدفعه بصدرها، ومخر السفينة: شقها الماء بصدرها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني لتركبوه للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ جبالاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ الميد الحركة والاضطراب ماد يميد ميداً قال ابن عباس أوتدها بالجبال لئلا تميد بأهلها[١٠] ﴿وأنهاراً﴾ وجعل فيها أنهاراً، النيل، والفرات، ودجلة،

---

(١) تقدم في سورة الحجر في الآية المذكورة نحوه وذكره السيوطي في ١١٢/٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢) سورة الحجر آية (٤١).
(٣) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ بلا نسبة والقرطبي ٥٥/١٠ بلا نسبة وأبو حيان في البحر ٤٧٧/٥.
(٤) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ وذكره الألوسي ١٠٣/١٤ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ بلا نسبة.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٣ الرازي ١٨٦/١٩ فتح القدير ١٥١/٣ البحر المحيط ٤٧٨/٥.
(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٢ انظر البحر المحيط ٤٧٨/٥ تفسير الرازي ١٨٦/١٩.
(٧) انظر الصحاح ١٩٥٥/٥ لسان العرب ٢١٥٨/٣ تاج العروس ٣٥٠/٨، ترتيب القاموس ٦٥١/٢.
(٨) ذكره الرازي ١٨٧/١٩ بلا نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٤.
(٩) انظر النشر في القراءات ٣٠٢/٢ حجة القراءات (٣٨٦) إتحاف البشر ٥١/٢ ـ ١٨١.
(١٠) انظر تفسير البغوي ٦٤/٣ نحوه عن وهب وذكر هذا المعنى الرازي ٧/٢٠، وروح المعاني ١١٤/١٤ فتح القدير ١٥٣/٣.

وسيحان، وجيحان ﴿وسبلاً﴾ طرقاً إلى كل البلاد ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد، فلا تضلون ﴿وعلاماتٍ﴾ يعني الجبال، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ أراد جميع النجوم، لأن بها يهتدون وإلى الطرق والقبلة والبر والبحر ثم دل بهذة الأشياء التي خلقها على نفسه فقال:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾

﴿أفمن يخلق﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني الأوثان وهي لا تخلق شيئاً ﴿أفلا تذكرون﴾ يعني المشركين يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون؟ قوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تقدم تفسيره ﴿إن الله لغفور﴾ لما كان منكم من تقصير شكر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم، وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها، وهي موات لا روح لها ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ الأصنام متى تبعث قال ابن عباس: وذلك أن الله يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرأون من عابديهم (١) ثم يؤمر بالشياطين (٢) والذين كانوا يعبدونها إلى النار ثم ذكر وحدانيته فقال:

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝٢٣﴾

﴿إلهكم إله واحد﴾ وقد مضى بيانه في سورة البقرة ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني بالبعث والثواب والعقاب ﴿قلوبهم منكرة﴾ جاحدة غير عارفة توحيد الله ولا القرآن ﴿وهم مستكبرون﴾ ممتنعون من قبول الحق ﴿لا جرم﴾ حقاً ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ أي أنه يجازيهم بذلك، لأنه يعلمه ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ لا يثيبهم، ولا يرضى عنهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٢٧ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾

---

(١) في ب (عبادتها) وفي أ، جـ (عابدهم).

(٢) انظر تفسير الرازي ١٤/٢٠ تفسير القرطبي ٦٣/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٥٦/٣ قال: روى فذكره بنحوه.

﴿وإذا قيل لهم﴾ لهؤلاء المنكرين[(١)] ﴿ماذا أنزل ربكم﴾؟ [ما الذي أنزل ربكم][(٢)] على محمد؟ ﴿قالوا أساطير الاولين﴾ [أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين][(٣)] أي أكاذيبهم، وما سطروه في كتبهم من الأخبار والقصص ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ هذه لام العاقبة، لأنهم لم يقولوا للقرآن: أساطير الأولين ليحملوا الأوزار، ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك جاز أن يقال: فعلوا ذلك له، كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ وقوله: ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لأنهم لم يكفر عنهم شيء من ذنوبهم بما يصيبهم في الدنيا من نكبة وبلية كما يكفر عن المؤمنين ومن أوزار الذين يضلونهم لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة فحمل عليهم من أوزار من اتبعهم كما قال ﷺ: أيما داع دعا إلى ضلالة، فاتبع، كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[(٤)] وقوله: ﴿بغير علم﴾ يعني أنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بما يكتسبون من أوزارهم ومثل أوزار من اتبعهم، ثم ذم صنيعهم فقال: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ بئس ما حملوا على ظهورهم قوله: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني نمرود بن كنعان بنى صرحاً طويلاً، ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه، ومعنى المكر ههنا التدبير الفاسد قوله: ﴿فأتى الله بنيانهم﴾ أي أتى أمر الله وهو الريح التي خربتها وحركتها، وقال المفسرون[(٥)] أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخرّ عليهم الباقي، وقوله: ﴿من القواعد﴾ قال الزجاج من أساطير البناء التي تعمده[(٦)] ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقط أعلى البيوت على أصحاب نمرود ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من حيث ظنوا أنهم في أمان منه ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم ويهينهم بالعذاب ﴿ويقول أين شركائي﴾ قال الزجاج هذه حكاية لقولهم، والله لا شريك له[(٧)]، والمعنى: أين الذين في دعواكم أنهم شركائي؟ أي: أين؟ هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ تخالفون المسلمين فيهم فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع بكسر النون أراد تشاقونني، فحذف إحدى النونين[(٨)] كما ذكرنا في قوله ﴿فبم تبشرون﴾[(٩)] والمعنى تنازعونني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني ومعنى مخالفتهم [الله في الشركاء، مخالفتهم][(١٠)] أمر الله لأجلها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس يريد الملائكة[(١١)] وقال غيره: هم المؤمنون، يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة[(١٢)] ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ أي الفضيحة والعذاب ﴿على

---

(١) في جـ (المتكبرين).

(٢) سقط في أ.

(٣) سقط في أ.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه ٤/٢٠٦٠ كتاب العلم باب من سن سنة حسنة (١٦ ـ ٢٦٧٤) وأبو داود ٤/٢٠١ كتاب السنة باب لزوم لسمة (٤٦٠٩) والترمذي ٥/٤٢. كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى ٢٦٧٤ وابن ماجه ١/٧٥ المقدمة باب من سن سنة حسنة أوسيئة ٢٠٦ والطبراني في الكبير ١٤/٦٦.

(٥) انظر القرطبي ١٠/٦٥ روح المعاني ١٤/١٢٥ معالم التنزيل ٣/٦٦ زاد المسير ٤/٤٤٠.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٩٥ الرازي ٢٠/١٧ بنحوه.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٩٥ الرازي ٢٠/١٨ بنحوه روح المعاني ١٤/١٢٢.

(٨) انظر النشر في القراءات (٣/٣٠٣) حجة القراءات ص (٣٨٨) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٣ تفسير القرطبي ١٠/٦٦.

(٩) سورة الحجر آية ٥٤.

(١٠) سقط في ب.

(١١) انظر تفسير القرطبي ١٠/٦٦ روح المعاني ١٤/١٢٧ زاد المسير ٤/٤٤، تفسير الرازي ٢٠/١٨ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٥٩ بلا نسبة.

(١٢) انظر البغوي ٣/٦٦. القرطبي ١٠/٦٦ روح المعاني ١٤/١٢٧ الرازي ٢٠/١٨ أبو السعود ٥/١٠٨.

الكافرين﴾ لا علينا ثم وصفهم فقال: **﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** تقدم تفسيره **﴿فألقوا السلم﴾** انقادوا وأقروا لله بالربوبية أخبر الله عنهم بالمشاقة في الدنيا وأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويتبرأون من الشرك وهو قوله: **﴿ما كنا نعمل من سوء﴾** فقال الملائكة رداً عليهم **﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾** من التكذيب والشرك ثم يقال لهم: **﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾** مقام المتكبرين عن توحيد الله وعبادته.

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ قال المفسرون[1]: كان هذا في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره، فيقولون: إنه ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وأمره وما أنزل الله عليه فيقولون: خيراً أي أنزل خيراً ثم فسر ذلك الخير فقال **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾** قالوا: لا إله إلا الله **﴿حسنة﴾** قال ابن عباس: يريد مضعّفة بعشر[2] **﴿ولدار الآخرة﴾** يعني الجنة **﴿خير ولنعم دار المتقين جنات عدنٍ يدخلونها﴾** هذا كما يقول: نعم الدار دار تنزلها قوله: **﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾** قال الكلبي: طيبين من الشرك[3]، وقال مجاهد زاكية أفعالهم[4] وأقوالهم.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ نظير هذه الآية في سورة البقرة [5] وآخر سورة الأنعام [6]، وقد تقدم وقوله **﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾** يريد كفار الأمم الماضية **﴿وما ظلمهم الله﴾** بتعذيبهم **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** بإقامتهم على الشرك **﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾** أي جزاؤها قال ابن عباس جزاء ما عملوا من الشرك [7] **﴿وحاق﴾** أحاط بهم **﴿ما كانوا به يستهزئون﴾** من العذاب.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن

---

(١) انظر الرازي ٢٠/٢٠ القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٣١/١٤ عن السدي بنحوه أبو السعود ١١٠/٥.

(٢) انظر البغوي ٦٧/٣ روح المعاني ١٣١/١٤ بلا نسبة.

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ بلا نسبة القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير للشوكاني ١٦٠/٣ بلا نسبة وقالوا: طاهرين من الشرك.

(٤) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ روح المعاني ١٣٣/١٤ القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٦٠/٣.

(٥) هي قوله تعالى **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر. . .﴾** الآية ١١٠ سورة البقرة.

(٦) هي قوله تعالى **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك. . .﴾** الآية (١٥٨) سورة الأنعام.

(٧) انظر البحر المحيط ٤٨٩/٥ بنحوه بلا نسبة.

شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وقال الذين أشركوا﴾ يعني أهل مكة ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ أي لو شاء الله ما أشركنا ولكنه شاءه لنا ﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ من البحيرة والسائبة قال الزجاج إنهم قالوا هذا على جهة الهزء ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين(١) ونظير هذه الآية قد تقدم في سورة الأنعام وقوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعني ليس عليهم إلا التبليغ فأما الهداية فهي إلى الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد حقق هذا فيما بعد وهو قوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً﴾ يعني كما بعثناك في هؤلاء ﴿أن اعبدوا الله﴾ أي بعبادة الله ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان، وكل من يدعو إلى الضلالة ﴿فمنهم من هدى الله﴾ أرشده ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ قال ابن عباس: يريد في سابق علمي(٢) قال الزجاج أعلم الله أنه بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية(٣) ومعنى حقت عليهم الضلالة وجب عليهم الكفر كما [قال](٤): ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾(٥) ثم قال: ﴿فسيروا في الأرض﴾ أي معتبرين بآثار الأمم المكذبة وهو قوله: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي فقال: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ أي إن تطلب بجهدك ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي من يضله، وهذا كقوله: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾(٦) وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء(٧) والمعنى فإن الله لا يرشد من أضله قوله:

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الإيمان، تكذيباً منهم بقدرة الله على البعث بعد الموت(٨)، وهو قوله ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ فقال الله رداً عليهم ﴿بلى وعداً عليه حقاً﴾ أي بلى ليبعثنهم وعداً

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٩٧ روح المعاني ١٤/١٣٨ نقلا عن الواحدي تفسير الرازي ٢٠/٢٣.
(٢) انظر البغوي ٣/٦٨ بنحوه بلا نسبة زاد المسير ٤/٤٦٤ القرطبي ١٠/٦٩ بلا نسبة.
(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٩٧ فتح القدير ٣/١٦١.
(٤) سقط في ب.
(٥) سورة الأعراف في آية ٣٠.
(٦) سورة الأعراف ١٨٦.
(٧) انظر النشر في القراءات (٢/٣٠٤) حجة القراءات (٣٨٩) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ القرطبي ١٠/٦٩ البحر المحيط ٥/٤٩٠.
(٨) انظر القرطبي ١٠/٧٠ بلا نسبة.

للبعث حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني المشركين ﴿ليبين لهم﴾ بالبعث ﴿الذي﴾ اختلفوا ﴿فيه﴾ مع المؤمنين وذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ فيما أقسموا من أنه لا بعث ثم أخبر بقوته وقدرته على البعث فقال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ الآية قال الزجاج: أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه فأخبر أنه متى أراد الشيء كان[١] وهذا كقوله: ﴿فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[٢] وقد تقدم تفسيره، وقراءة اكثر القراء (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون، وقرأ ابن عامر (فيكون) نصباً[٣] عطفاً على أن يقول فيكون، قوله: ﴿والذين هاجروا في الله﴾ نزلت في قوم أذاهم المشركون وعذبوهم بمكة، منهم صهيب وبلال، وخباب[٤]، ومعنى هاجروا في الله، هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه. وقوله ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي دارا حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة في قول مجاهد والشعبي والحسن وقتادة[٥] ﴿ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن أمر الجنة أكبر وأعظم من أن يعلمه أحد ويقدر على صفته أحد[٦]. ثم أثنى عليهم، ومدحهم بالصبر، فقال ﴿الذين صبروا﴾ أي على دينهم لم يتركوه بمشقة وجهد أصابهم وهم في ذلك واثقون بربهم متوكلون عليه، وهو قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قوله:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وماأرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ قال المفسرون[٧] إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث إلينا ملكاً؟ فقال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي إلى الأمم الماضية ﴿إلا رجالاً﴾ آدميين لا ملائكة، أعلم الله أن الرسل كانوا بشراً، إلا أنهم يوحى إليهم، وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ يعني أهل الكتاب قال الزجاج فاسألوا أهل الكتاب[٨] وذلك أن أهل الكتب يعترفون أن الانبياء بشر كلهم، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلناهم يعني الأنبياء بالحجج الواضحة والكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ يعني القرآن ﴿لتبين

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٩٩.

(٢) سورة البقرة آية ١١٧.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٠ حجة القراءات ٣٨٩ ـ ٣٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ القرطبي ١٠/٧٠.

(٤) انظر أسباب النزول للمصنف ٢٨٤ القرطبي ١٠/٧١.

(٥) ذكر القرطبي في الحسنة ستة أقوال فقال: الأول: نزول المدينة قاله ابن عباس، والحسن والشعبي وقتادة. والثاني: الرزق الحسن قاله مجاهد، الثالث: النصر على عدوّهم قاله الضحاك. الرابع: انه لسان صدق حكاه ابن جريج. الخامس: ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات. السادس: ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف. وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله. انظر القرطبي ١٠/٧١ انظر الرازي (٢٠/١٩) وروح المعاني ١٤/١٤٥ وذكر عن الحسن أنها دار حسنة، وعن مجاهد معيشة حسنة. وانظر تفسير البغوي ٣/٦٩ وفتح القدير ٣/٩٦٤ ـ ١٦٥.

(٦) انظر الخازن مع البغوي ٤/٩١ روح المعاني ١٤/١٤٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٦٤ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ٣/٧٠ روح المعاني ١٤/١٤٧ زاد المسير ٤/٤٤٩ الرازي ٢٠/٣٠ تفسير القرطبي ١٠/٧٢. تفسير فتح القدير ٣/١٦٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠١ تفسير الرازي ٢٠/٣٠ روح المعاني ١٤/١٤٧ عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم. معالم التنزيل ٣/٧٠ بلا نسبة وقال: مؤمن أهل الكتاب، وكذا قال القرطبي في تفسيره ١٠/٧٢ عن سفيان وفتح القدير للشوكاني ٣/١٦٤ بلا نسبة.

للناس ما نزل إليهم﴾ في هذا الكتاب من الحلال والحرام والوعد والوعيد **﴿لعلهم يتفكرون﴾** في ذلك فيعتبرون، قوله:

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين أهل مكة وما حول المدينة[١] [ومعنى **﴿مكروا السيئات﴾** قال ابن عباس][٢] عملوا السيئات يعني عبادة غير الله [٣] وقال قتادة يعني الشرك [٤] وسمى عبادتهم غير الله مكراً لأن المكر في اللغة السعي بالفساد **﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾** كما خسف بقارون، ومعنى الاستفهام ههنا الإنكار أي يجب ألا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم **﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾** قال ابن عباس يعني يوم بدر[٥] يريد أنهم أهلكوا يوم بدر، وما كانوا يقدرون ذلك ولا يشعرونه **﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾** في أسفارهم وتجارتهم، وقال مقاتل: يريد في تقلبهم في كل حال من الأحوال ليلاً ونهاراً، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً[٦] **﴿فما هم بمعجزين﴾** بممتنعين ولا فائتين **﴿أو يأخذهم على تخوف﴾** قال عامة المفسرين[٧] على تنقص إما بقتل أو بموت يعني تنقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذ منهم الأول فالأول، حتى يأتي الأخذ على جميعهم، والتخوف: التنقص، يقال: هو يتخوف المال أي يتنقصه ويأخذ من أطرافه **﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾** إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك، قال الزجاج: أي من رأفته أمهل وجعل فسحة للتوبة[٨] قوله: **﴿أولم يروا﴾** قراءة العامة بالياء لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: **﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب﴾** **﴿أو يأخذهم﴾** كذلك **﴿أو لم يروا﴾** وقرأ حمزة بالتاء[٩]، على أن الخطاب لجميع الناس، قوله: **﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾** أراد من

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٠/٣٢ بلا نسبة، وقال الألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٠ هم عند أكثر المفسرين أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ٣/٧٠ روح المعاني ١٤/٥١ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٤) انظر فتح القدير ٣/١٦٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١١٩ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكر بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/٧٣ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٦) ذكر الألوسي في روح المعاني عن الزجاج نحوه ١٤/١٥١.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٧٠ تفسير الرازي ٢٠/٣٢ مختصراً عن أبي الأعرابي والألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٢ بمعناه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك تفسير القرطبي ١٠/٧٣ مختصراً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وفتح القدير نقلا عن الواحدي ٣/١٦٥.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٢.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣٠٤) حجة القراءات (٣٩٠) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ تفسير القرطبي ١٠/٧٤.

شيء له ظل من جبل، وشجر، وبناء، وجسم قائم ﴿يتفيأ﴾ يتفعل من الفيء، يقال: فاء الظل، يفيء فيئاً إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاب النهار وقوله ﴿ظلاله﴾ جمع ظل وجمع وهو مضاف إلى مفرد لأنه واحد يراد به الكثرة، ومثله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾[1] ومعنى تفيؤ الظلال عن اليمين والشمائل قال الكلبي: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك فإذا ارتفعت كان على يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل أي تميله عن جانب إلى جانب[2] ووحد اليمين، والمراد به الجمع إيجازاً في اللفظ كقوله:﴿ويولون الدبر﴾[3]ودلت الشمائل على أن المراد به الجميع[4] وقوله: ﴿سجداً لله﴾ دورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير، وهذه الآية كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾[5] وقد مر بيانه، قوله ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون، يقال: دخر يدخر دخوراً، فهو داخر، وهو الذي يفعل ما تأمره شاء أو أبى قال الزجاج يعني أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة قوله: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض﴾ السجود على نوعين: سجود عبادة وطاعة كسجود المسلمين وسجود هو خضوع وتذلل وهو سجود ما لايعقل، وسجود الجمادات، وهذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مدبر وصانع ساجدة، أي خاضعة متذللة وقوله: ﴿من دابةٍ﴾ قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض[6] ﴿والملائكة﴾ أخرجهم بالذكر لخروجهم عن صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وفي هذه الآية قولان: أحدهما أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير يخافون من عقاب ربهم من فوقهم، لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفاً بأنه علي متعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال: ذلك مخافة الإجلال[7] واختاره الزجاج فقال: يخافون ربهم خوف مجلين[8] ويدل على صحة هذا المعنى قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[9] وقوله إخباراً عن فرعون ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾[10] وذهب بعض الناس إلى أن قوله ﴿من فوقهم﴾من صفة الملائكة والمعنى أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم ،فلأن يخاف من دونهم أولى[11] وقوله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني الملائكة، وهذا كقوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾[12] قوله:

---

(١) سورة الزخرف ١٣.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧١ زاد المسير ٤/٤٥٢.

(٣) سورة القمر آية ٤٥.

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ٣/١٦٦ نقلا عن المصنف.

(٥) سورة الرعد ١٥.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢٠/٣٦ معالم التنزيل ٣/٧١ بلا نسبة تفسير القرطبي ١٠/٧٥ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٦٦ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر زاد المسير ٤/٤٥٥ البحر المحيط ٥/٤٩٩ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٦٧ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وعزاه للخطيب في تاريخه.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٣ فتح القدير ٣/١٦٧.

(٩) سورة الأنعام آية ١٨.

(١٠) سورة الأعراف آية ١٢٧.

(١١) قال أبو حيان في البحر نقلاً عن الكرماني: والملائكة موصوفون بلا خوف لأنهم قادرون انظر البحر ٥/٤٩٩.

(١٢) سورة التحريم آية ٦.

۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿**وقال الله لا تتخذوا إلٰهين اثنين**﴾ أي لا تعبدوا معه غيره ﴿**إنما هو إله واحد**﴾ ليس له ثان ثم حذرهم نفسه، فقال ﴿**فإياي فارهبون**﴾ ﴿**وله الدين واصباً**﴾ الدين الطاعة والوصوب الدوام، وصب الشيء يصب وصوباً فهو واصب إذا دام قال الزجاج: أي طاعته واجبة أبداً[١] وقال ابن قتيبة[٢] ليس من أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال أو هلكة غير الله فإن الطاعة تدوم له ثم قال: ﴿**أفغير الله تتقون**﴾ أي أفغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحد خالق كل شيء وأمر أن لا يُتَّخذ معه إله تتقون ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**﴾ أي ما أعطاكم من صحة جسم، أو سعة في رزق أو إمتاع بمال وولد فكل ذلك من الله عز وجل.

أخبرنا: الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد البغدادي نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن سنان القزاز نا أبو سلمة نا هشام بن زياد عن عمرو بن حسين عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب له شكرها وإن لم يحمد)[٣] وقوله ﴿**ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون**﴾ قال ابن عباس يريد الأسقام والأمراض والحاجة[٤] فإليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، وتتضرعون بالدعاء [يقال][٥] جأر يجأر جؤاراً إذا رفع صوته في تضرع ﴿**ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم**﴾ الآية قال ابن عباس يريد أهل النفاق[٦] وقال الكلبي يعني الكفار[٧]، قال الزجاج هذا خاص فيمن كفر، وقابل كشف الضر عنه بالجحود والكفر[٨] ﴿**ليكفروا بما ءاتيناهم**﴾ ليجحدوا نعمة الله في كشف الضر عنهم ثم أوعدهم بقوله: ﴿**فتمتعوا**﴾ أي بدنياكم الفانية ﴿**فسوف تعلمون**﴾ عاقبة أمركم، وما ينزل بكم من العذاب قوله:

وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿**ويجعلون لما لا يعلمون**﴾ يعني الأوثان لا يعلمون لها ضراً ولا نفعاً ومفعول العلم محذوف، وتقديره:

---

(١) انظر معاني القرآن ٣/٢٠٣ فتح القدير ٣/١٦٩ تفسير القرطبي ١٠/٧٥، روح المعاني ١٤/١٦٢ البحر المحيط ٥/٥٠.

(٢) انظر تفسير القرآن لابن قتيبة ٢٤٣ فتح القدير ٣/١٦٩ معالم التنزيل ٣/٧٢ بلا نسبة تفسير الرازي ٥/٤٠ ـ ٤١ بنحوه.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٥٧ تفسير الرازي ٢/٤٢ البحر المحيط ٥/٥٠٢ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٢٩ بنحوه بلا نسبة.

(٥) سقط في ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٢ زاد المسير ٤/٤٥٧.

(٧) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٢ زاد المسير ٤/٤٥٧ فتح القدير ٣/١٦٩، بلا نسبة.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٤ تفسير القرطبي ١٠/٧٦ فتح القدير ٣/١٦٩.

ما ذكرنا، وهذا قول مجاهد وقتادة[١] وقال أهل المعاني: هذا من صفة الأوثان والمعنى: ويجعلون للشركاء والأصنام الذين لا يعلمون شيئاً ولا معرفة لهم ولا حسناً[٢] ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ قال المفسرون[٣] هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم كقوله: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾[٤] ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم فقال ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ ﴿عما كنتم تفترون﴾ تتقولونه على الله من أنه أمركم بذلك ﴿ويجعلون لله البنات﴾ قال المفسرون [٥]: يعني خزاعة، وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني البنين، فهذا كقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾[٦] ثم ذكر كراهيتهم البنات فقال: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ أخبر بولادة بنت والتبشير ههنا بمعنى الإخبار كقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[٧] ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ تغير وجهه تغير مغتم قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب أخبر الله بخبث صنيعهم، فأما المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله للمرء خير مما قضى المرء لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاتق الله، وارض بقضائه، فإنه رب جارية خير لأهلها من غلام ورب غلام لا يأتي أهله بخير[٨] وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء غماً[٩] ﴿يتوارى﴾ يختفي ويتغيب ﴿من القوم من سوء ما بشر به﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأته المخاض توارى إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكراً سُرَّ به وابتهج، وإن كانت أنثى اكتأب لها، وحزن، ولم يظهر للناس أياماً، يدبر كيف يصنع في أمرها[١٠]، وهو قوله: ﴿أيمسكه على هونٍ﴾ أي يحبسه، والإمساك ههنا بمعنى الحبس كقوله: ﴿أمسك عليك زوجك﴾[١١] والكناية تعود إلى ما، في قوله: ﴿ما بشر به﴾ والهون الهوان يقال: إنه ليهون علي هوناً وهوانا قال المفسرون[١٢]: كان أحدهم في الجاهلية إذا ولدت له بنت ضاق بها ذرعاً فلم يدر ما يصنع بها أيدسها تحت التراب أو يتهاون بها فيلقيها، والدس: إخفاء الشيء في الشيء يعني ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية قوله: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ قال ابن عباس بئس ما حكموا إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلهن منهم هذا المحل، ونسبوه إلى اتخاذ الولد وجعلوا لأنفسهم البنين[١٣] وهذا كقوله ﴿ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾[١٤] قوله:

---

(١) انظر زاد المسير ٤/٤٥٧ القرطبي ١٠/٧٧ فتح القدير ٣/١٧٢، معالم التنزيل ٣/٧٢ بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/٤٣ بنحوه بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨ البحر المحيط ٥/٥٠٣.

(٣) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨، البحر المحيط ٥/٥٠٣، القرطبي ١٠/٧٧ فتح القدير ٣/١٧٢.

(٤) سورة الأنعام ١٣٦.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٠/٧٧، زاد المسير ٤/٤٥٨ ، معالم التنزيل ٣/٧٢ ، تفسير الرازي ٢٠/٤٤ تفسير روح المعاني ١٤/١٦٧ أبو السعود ٥/١٢١، فتح القدير ٣/١٧٠.

(٦) سورة الطور آية ٣٩.

(٧) سورة الانشقاق آية ٢٤.

(٨) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨، روح المعاني ١٤/١٦٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢١ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) في أ (غيظا).

(١٠) انظر الرازي ٢٠/٤٥ نقلاً عن المفسرين.

(١١) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(١٢) انظر زاد المسير ٤/٤٥٩ تفسير القرطبي ١٠/٧٨ الخازن مع البغوي ٤/٩٦ الدر المنثور ٤/١٢١.

(١٣) انظر زاد المسير ٤/٤٥٩ الخازن مع البغوي ٤/٩٧ فتح القدير للشوكاني ٣/١٧٢ عن السدي.

(١٤) سورة النجم الآيتان ٢١، ٢٢.

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء**﴾ أي صفة السوء من احتياجهم إلى الولد وكراهيتهم الإناث خوف العيلة[1] والعار ﴿**ولله المثل الأعلى**﴾ الصفة العليا من تنزهه عن الولد قوله: ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس**﴾ قال ابن عباس يريد المشركين[2] ﴿**بظلمهم**﴾ بافترائهم على الله﴿**ما ترك عليها**﴾ على الأرض ﴿**من دابة**﴾ يعني دواب الأرض قال السدي: يقول لأَقْحَط المطَر، فلم يبق في الأرض دابة إلا هلكت [3].

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية، فقال: كاد أن يهلك الجعل [4] في جحره بذنب ابن آدم[5] والمعنى أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك لولا حلم الله وتأخيره العقوبة ﴿**ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**﴾ يعني منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم وباقي الآية تقدم تفسيره ﴿**ويجعلون**﴾ يعني المشركين ﴿**لله ما يكرهون**﴾ يعني البنات، والمعنى يحكمون لله بما يكرهون هم لأنفسهم ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب**﴾ أي تقول الكذب ثم فسر ذلك الكذب فقال: ﴿**أن لهم الحسنى**﴾ يعني الجنة قال الزجاج[6] يصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن، فرد الله عليهم قولهم، وأثبت لهم النار فقال ﴿**لا جرم أن لهم النار**﴾ لا: رد لقولهم، أي ليس الأمر على ما وصفوا، جرم فعلهم وقولهم أي كسب لهم النار والمفسرون يقولون: حقاً إن لهم النار[7] ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ قال مجاهد والكلبي والضحاك متركون منسيون في النار[8] وقال الكسائي يقال: ما أفرطت

---

(١) العيلة: الفقر.
انظر تاج العروس ٨/ ٤٠ الصحاح ٥/ ١٧٧٩ لسان العرب ٤/ ٣١٩٤ ترتيب القاموس ٣/ ٣٥٨.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢٠/ ٤٧ قال الشوكاني في فتح القدير ٣/ ١٧١ المراد بالناس هنا الكفار.

(٣) انظر القرطبي ١٠/ ٧٩، بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/ ٤٩ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٢١، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الجعل دابة سوداء. انظر تاج العروس ٧/ ٢٥٧، الصحاح ٤/ ١٦٥٦، لسان العرب ١/ ٦٣٨، ترتيب القاموس ١/ ٥٠١.

(٥) انظر البغوي ٣/ ٧٤ القرطبي ١٠/ ٧٩، الرازي ٢٠/ ٤٩، روح المعاني ١٤/ ١٧١ فتح القدير ٣/ ١٧٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٢١ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٧، تفسير الرازي ٢٠/ ٥٠.

(٧) انظر القرطبي ١٠/ ٨٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٩٨، معالم التنزيل ٣/ ٧٤ الرازي ٢٠/ ٥٠ زاد المسير ٤/ ٩١، تفسير أبي السعود ٥/ ١٢٣.

(٨) انظر القرطبي ١٠/ ٨٠، روح المعاني ١٤/ ١٧٣، عن مجاهد وابن جبير وابن أبي هند وكذا البحر المحيط ٥/ ٥٠٦، ومعالم التنزيل ٣/ ٧٤، عن ابن عباس ومقاتل فتح القدير ٣/ ١٧١ ـ ١٧٢.
وذكره السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن جبير ٤/ ١٢١ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من القوم أحداً أي ما تركت[1] وقال الفراء: تقول العرب[2]: أفرطت من القوم ناساً أي خلقتهم ونسيتهم وقال قتادة: معجلون إلى النار[3] يقال: أفرط القوم الفارط إذا قدموا إلى الماء ليصلح لهم شأنهم وهذا اختيار الزجاج [4] قال: معنى مفرطون مقدمون إلى النار وقرأ نافع بكسر الراء [5] على معنى أنهم أفرطوا في الذنوب فكانوا مفرطين على أنفسهم في معصية الله، وقال ابن عباس: أفرطوا في الافتراء على الله[6] قوله: ﴿**تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**﴾ قال ابن عباس يعزي نبيه ﷺ بهذا [7] يقول: لقد أرسلنا إلى أمم يعني: رسلاً وأنبياء من قبلك فزين لهم الشيطان حتى عصوا وكذبوهم ﴿**فهو وليهم اليوم**﴾ يعني يوم القيامة يقول: فهو ولي أولئك الذين زين لهم [سوء][8] أعمالهم يوم القيامة، ومن كان الشيطان وليه ذلك اليوم دخل النار ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب**﴾ يعني القرآن وما فيه من أخبار الأمم الماضية ﴿**إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**﴾ إلا لتبين لهؤلاء الكفار ما اختلف فيه الأمم من الدين والأحكام فذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المسلمون فتقوم الحجة عليهم بدعائك وبيانك ﴿**وهدى ورحمةً**﴾ وللهدى والرحمة ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ [وما بعده ظاهر][9] إلى قوله:

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿**وإن لكم في الأنعام**﴾ يعني الإبل والبقرة والغنم ﴿**لعبرة**﴾ لدلالة على قدرة الله ثم ذكرها فقال ﴿**نسقيكم مما في بطونه**﴾ من فتح النون فحجته ظاهرة لأنه يقال: سقيته ماء ولبناً، وما كان للشفة فهو بفتح

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٠/٥٠، تهذيب اللغة ١٣/٣٣٢.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء، ٢/١٠٧ الرازي ٢٠/٥٠.

(٣) انظر البغوي ٣/٧٤، روح المعاني ١٤/١٧٢، الرازي ٢٠/٥٠، القرطبي ١٠/٨٠ وذكره السيوطي ٤/٢١، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

قال الرازي في تفسيره بعد ذكره المعنى (بمعجلون): قاله الواحدي رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال أبو زيد وغيره فرط الرجل أصحابه ويفرطهم فرطاً وفروطاً إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدلاء والأرسان وأفرط القوم الفارط وفرطوه إذا قدموه.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٨.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٥، تفسير البحر المحيط ٥/٥٠٦، تفسير القرطبي ١٠/٨٠.

(٦) انظر زاد المسير ٤/٤٦١، الخازن مع البغوي ٤/٩٨، القرطبي ١٠/٨٠، بلا نسبة البحر المحيط ٥/٥٠٦ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الرازي ٢٠/٥٠ بلا نسبة تفسير القرطبي ١٠/٨١ بلا نسبة البحر المحيط بلا نسبة زاد المسير ٤/٤٦١ الخازن مع البغوي ٤/٩٨.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) سقط في أ، ب.

النون، ومن ضم النون[١]، فهو من قولهم: أسقاه إذا جعل له شرباً[٢]، كقوله: ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾[٣] وذكر الكناية في بطونه لأن النعم والأنعام شيء واحد، فرجع التذكير إلى النعم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام وهذا قول الفراء[٤]، وأنشد:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللِّقَاحِ وَبرَدْ[٥]

فرجع إلى اللبن، لأن اللبن والألبان بمعنى واحد وقال الكسائي أراد مما في بطون ما ذكرنا[٦] قال الفراء وهو الصواب[٧] وقال المبرد: هذا فاش في القرآن مثل قوله للشمس ﴿هذا ربي﴾[٨] يعني هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾[٩] ثم قال ﴿فلما جاء سليمان﴾[١٠] ولم يقل: جاءت، لأن المعنى جاء الشيء الذي ذكرنا، وقوله: ﴿من بين فرثٍ ودمٍ﴾ الفرث سرجين الكرش[١١]، قال ابن عباس في رواية الكلبي إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً، وأعلاه دماً، وأوسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو[١٢] فذلك قوله: ﴿من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث ﴿سائغاً للشاربين﴾ جائزاً في حلوقهم يقال: ساغ الشراب في الحق وأساغه صاحبه، ومنه قوله: ﴿ولا يكاد يسيغه﴾[١٣] قال أصحابنا وهذه الآية تدل على أن مني الآدمي طاهر وإن كان في باطنه مجاوراً للنجاسات كاللبن الطاهر يخرج من بين نجسين[١٤] قوله ﴿ومن ثمرات النخيل﴾ الآية، قال صاحب النظم تقدير الآية: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً[١٥] والعرب تضمر ما كقوله: ﴿وإذا رأيت ثم﴾[١٦] أي ما ثم ﴿والأعناب﴾ عطف على الثمرات أي ومن الأعناب ﴿تتخذون منه سكراً﴾ وكل ما يسكر، والرزق الحسن ما أحل منهما كالزبيب والخل والتمر.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن الحسن السراج أنا الحسن بن المثنى بن معاذ أنا أبو حذيفة

---

(١) انظر النشر ٢/٣٠٤ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦ تفسير البحر المحيط ٥/٥٠٨ ـ ٥٠٩.
(٢) الشرب: النصيب من الماء. انظر تاج العروس ١/٣١٢، الصحاح ١/١٥٣ لسان العرب ٤/٢٢٢٢ ترتيب القاموس ٢/٦٨٣.
(٣) سورة المرسلات آية ٢٧.
(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨.
(٥) انظر معاني القرآن للفراء، ٢/١٠٨. وذكره السمين الحلبي في الدر المصون من آية (٦٦) من سورة النحل (بتحقيقنا).
(٦) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ البحر المحيط ٥/٥٠٩ القرطبي ١٠/٨٢، فتح القدير ٣/١٧٤.
(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨ فتح القدير ٣/١٧٤.
(٨) سورة الأنعام ٧٨، وانظر البحر المحيط ٥/٥٠٩، الرازي ٢٠/٥٢، فتح القدير ٣/١٧٤.
(٩) سورة النمل آية ٣٥.
(١٠) سورة النمل آية ٣٦.
(١١) انظر لسان العرب ٥/٣٣٦٩ تاج العروس ١/٦٣٨، الصحاح ١/٢٨٩ ترتيب القاموس ٣/٤٦١.
(١٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ تفسير القرطبي ١/٨٣، روح المعاني ١٤/١٧٧، الرازي ٢٠/٥٢ زاد المسير ٤/٤٦٣ فتح القدير ٣/١٧٤ بلا نسبة.
(١٣) سورة إبراهيم آية ١٧.
(١٤) انظر بداية المجتهد ١/٦٣ ـ ٦٤، انظر تفسير القرطبي ١٠/٨٣.
(١٥) انظر الطبري ١٤/١٣٣ تفسير القرطبي ١٠/١٢٧، نقلاً عن الطبري.
(١٦) سورة الإنسان آية ٢٠.

موسى بن مسعود أنا سفيان الثوري عن الأسود بن قيس[(١)] عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً قال: السكر ما حرم من ثمرها، والرزق الحسن ما أحل [الله] من ثمرها رواه الحاكم في صحيحه[(٢)] عن أبن النضر الفقيه عن معاذ بن نجدة[(٣)] عن قبيصة عن سفيان وهذه الآية نازلة قبل تحريم الخمر قال مجاهد: أما السكر فهي الخمر قبل أن تحرم، وأما الرزق الحسن فالتمر، والعنب، والزبيب، وشبهه[(٤)].

حدثنا: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاء في مسجد عقيل سنة ست عشرة وأربعمائة أنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي نا إسحاق بن إبراهيم الكوفي نا إسحاق بن حاتم نا مسعود بن مشكان الواسطي نا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين، عن «أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (في العنب خمسة أشياء حلال، تأكلونه عنباً، وعصيراً ما لم ينش[(٥)]، وتتخذون منه زبيباً، ورباً[(٦)] وخلاً)[(٧)] قوله: ﴿**وأوحى ربك إلى النحل**﴾ قال: المفسرون[(٨)] قذف في أنفسها وألهمها ﴿**أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر**﴾ قال ابن عباس هي تتخذ من الجبال لأنفسها بيوتاً إذا كانت لا أصحاب لها[(٩)] وقوله: ﴿**ومما يعرشون**﴾ قرىء بضم الراء وكسرها[(١٠)] وهما لغتان مثل يَعْكِفُون ويعكفون، ومعناه: يبنون ويسقفون، يعني ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعمل فيها النحل، ولولا التسخير وإلهام الله ما كانت تأوي إلى ما يبنى لها من بيوتها ﴿**ثم كلي من كل الثمرات**﴾ مما تثمره الأشجار ﴿**فاسلكي سبل ربك**﴾ قال ابن عباس طرق ربك تطلب فيها الرعي[(١١)] ﴿**ذللاً**﴾ جمع ذلول، وهو المنقاد اللين المسخر، ويجوز أن يكون من نعت النحل، يعني مطيعة للتسخير وإخراج العسل من بطنها وهذا قول قتادة[(١٢)] واختيار ابن قتيبة[(١٣)] ويجوز أن يكون من نعت السبل، وهو قول مجاهد قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته وهي ترعى الأماكن البعيدة ذوات

---

(١) الأسود بن قيس العبدي. وقيل البجلي: أبو قيس الكوفي. قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال العجلي: ثقة حسن الحديث، وقال ابن البراء عن ابن المديني: روى عن عشرة مجهولين لا يعرفون قال الحافظ سمى مسلم منهم في الوحدان أربعة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ١/٣٤١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٥٤، كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) معاذ بن نجدة الهروي. صالح الحال. قد تكلم فيه. روى عن قبيصة وخلاد بن يحيى. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وله خمس وثمانون سنة. انظر ميزان الاعتدال ٤/١٣٣.

(٤) انظر الخازن مع البغوي ٤/٩٩ روح المعاني ١٤/١٨٠ مختصراً القرطبي ١٠/٨٥ بلا نسبة الرازي بلا نسبة.

(٥) النشيش: أول أخذ العصير في الغليان، والخمر تنش إذا أخذت في الغليان انظر لسان العرب ٦/٤٤٢٦ تاج العروس ٤/٣٥٦ الصحاح ٣/١٠٢١، ترتيب القاموس ٤/٣٧٣.

(٦) الرب: خلاصة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ، وارتب العنب إذا طبخ حتى يكون رباً.
انظر لسان العرب ٣/١٥٥٠ تاج العروس ١/٢٦٠ الصحاح ١/١٣٠، ترتيب القاموس ٢/٢٨٢.

(٧) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ونسبه للعقيلي ٢/٢٣٥ وقال: ولا يصح فيه إسحاق بن وهب، قال الدارقطني: كذاب، وأخرجه الخطيب في التاريخ ١/٢٨٢.

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ روح المعاني ١٤/١٨١، الرازي ٢٠/٥٦، القرطبي ١٠/٨٨، البحر المحيط ٥/٥١١.

(٩) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٠١ تفسير الرازي ٢٠/٥٧، بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٧١. إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦. البحر المحيط ٥/٥١٢ القرطبي ١٠/٨٩.

(١١) انظر القرطبي ١٠/٨٩ تنوير المقباس ٣/١٠١.

(١٢) انظر زاد المسير ٤/٤٦٦ روح المعاني ١٤/١٨٤ فتح القدير ٣/١٧٦، القرطبي ١٠/٨٩ بلا نسبة.

(١٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦.

الغياض[١] واختاره الزجاج[٢] لأنه قال: قد ذللها الله لك وسهل عليك مسالكها وقوله: **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾** قال ابن عباس: منه أحمر وأبيض وأصفر[٣] وقال الزجاج[٤]: هي تأكل الحامض والمر، فيحيل الله ذلك عسلاً، يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وقوله: **﴿فيه شفاء للناس﴾** قال السدي: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه[٥] وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدواء[٦].

أخبرنا: أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب أنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، إن أخي قد استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه عسلاً، ثم أتاه فقال سَقَيْتُه، فلم يزده إلا استطلاقاً ثم قال: اسقه عسلاً، قال فشفي إما في الثالثة وأما في الرابعة فقال رسول الله ﷺ: صدق الله، وكذب بطن أخيك) رواه البخاري ومسلم[٧] عن غندر عن شعبة ومعنى قوله: صدق الله أي في قوله **﴿فيه شفاء للناس﴾**.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن أحمد بن حماد الدقاق.

أخبرني: محمد بن إسحاق السراج نا الحسن بن حماد الوراق[٨] نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل». رواه البخاري [٩] عن إسحاق الحنظلي عن أبي أسامة.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا الحكم عن السدي عن عبد خير عن علي رضي الله عنه قال: أتي برجل سقيم فقالوا: إنا عالجناه فليس ينفعه شيء فقال علي: ليأخذن من مهر امرأته أربعة دراهم، فيشتري بها عسلاً فإذا أمطرت السماء فليشرب به، قال الله تعالى: **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾**.

أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المِطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن الأعمش عن خيثمة قال: قال عبد الله بن مسعود: عليكم بشفاءين القرآن والعسل[١٠] وقوله:

---

(١) ذكره بنحوه في معالم التنزيل ٧٦/٣ روح المعاني ١٨٤/١٤ فتح القدير ١٧٦/٣ زاد المسير ٤٤٦/٤.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٥/٣.

(٣) انظر زاد المسير ٤٦٦/٤ تفسير القرطبي ٨٩/١٠ بلا نسبة تنوير المقباس ١٠١/٣.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٦/٣ مختصراً.

(٥) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤ وذكره السيوطي عنه ١٢٢/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤.

(٧) أخرجه البخاري ١٧٨/١٠ كتاب الطب باب دواء المبطون ٥٧١٦ ومسلم ٧٣٦/٤ (كتاب السلام باب التداوي بسقي العسل) (٩١ ـ ٢٢١٧).

(٨) الحسن بن حماد الضبي أبو علي الوراق الكوفي الصيرفي. قال ابن أبي حاتم: سألت موسى بن إسحاق عنه فقال ثقة مأمون، وقال السراج: كوفي ثقة. قدم بغداد سنة (٣٥) وحدث بها، وقال مطين: مات في رجب سنة (٢٣٨) له في السنن حديث واحد في اعتكاف عمر. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٢٧٢/٢ ـ ٢٧٣).

(٩) أخرجه البخاري ٢٨٧/٩ كتاب الطلاق باب ٨ حديث ٥٢٦٨ ومسلم ١١٠١/٢، كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة ٢١ ـ ١٤٧٤.

(١٠) أخرجه ابن ماجه مرفوعاً ١١٤٢/٢، كتاب الطب باب العسل ٣٤٥٢، والحاكم في المستدرك ٣٠٠/٤، وذكره السيوطي مرفوعاً في الدر المنثور ١٢٣/٤ وزاد نسبته لابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فتح القدير ١٧٦/٣، وانظر معالم التنزيل ٧٦/٣، روح المعاني ١٨٦/١٤.

﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ أي في عظمة الله وقدرته قوله: ﴿والله خلقكم﴾ الآية قال المفسرون: خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم يتوفاكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وهو أرداه وأوضعه يقال: رذل يرذل رذالة قال السدي: أرذل العمر الخوف[١] وقال قتادة تسعون سنة[٢]، وروي عن علي رضي الله عنه قال: أرذل العمر خمس وسبعون سنة[٣] قوله: ﴿لكي لا يعلم بعد علمٍ شيئاً﴾ قال ابن عباس كي يصير كالصبي الذي لا عقل[٤] له قال عطاء عن ابن عباس: ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة[٥] وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً[٦] ﴿إن الله عليم﴾ بما صنع بأوليائه وأعدائه. ﴿قدير﴾ على ما يريد.

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ يعني كثر وقلل، وبسط وقبض، ووسع وضيق ﴿فما الذين فضلوا﴾ في الرزق وأعطوا الفضل ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ يقول: لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئاً، حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين في تصييرهم عباداً له شركاء له فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟ قال السدي يقول: فكما لا يرد أحدكم على مملوكه مما رزقه حتى يكون مثله فكذلك لا يكون الله والصنم الذي هو من خلقه وملكه سواء[٧] ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ [حيث أشركوا به غيره ومن قرأ بالتاء[٨] كان التقدير قل لهم يا محمد أفبنعمة الله تجحدون][٩] بالإشراك به؟ فقوله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ قال المفسرون[١٠] يعني النساء

---

(١) انظر زاد المسير ٤/٤٦٧ فتح القدير ٣/١٧٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ زاد المسير ٤/٤٦٧ روح المعاني ١٤/١٨٧، تفسير الرازي ٢/٦٣ فتح القدير ٣/٧٧ بلا نسبة.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ روح المعاني ١٤/١٨٧ الرازي ٢٠/٦٣ فتح القدير ٣/١٧٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٣ وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٦٨ القرطبي ١٠/٩٣ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٤٦٨ الرازي بلا نسبة.

(٦) انظر روح المعاني ١٤/١٨٨ الرازي ٢/٦٣ زاد المسير ٤/٤٦٨ فتح القدير ٣/١٧٩.

(٧) ذكر هذا المعنى في تفسير القرطبي ١٠/٩٣، تفسير الرازي ٢٠/٦٤.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦.

(٩) سقط في أ، ب.

(١٠) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٠٤، روح المعاني ١٤/١٨٩، معالم التنزيل ٣/٧٧ القرطبي ١٠/٩٣ ـ ٩٤ تفسير الرازي ٢٠/٦٥، وضعفه الرازي وعلّل تضعيفه بقوله: لأن قوله ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل، بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والإناث والمعنى: أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور.

خلق حواء من ضلع آدم ﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾ الحفدة جمع حافد يقال: حفد يحفد حفداً وحفوداً إذا أسرع، ومنه الدعاء: وإليك نسعى، ونحفد[١] وكل من خف في الخدمة، وأسرع في العمل بالطاعة، فهو حافد[٢]، قال ابن عباس في رواية الوالبي: هم أختان الرجل على بناته[٣] وقال السدي وعكرمة: هم ولد الرجل الذين يعينونه[٤] وقال مجاهد ولد الولد[٥] وقال عطية العوفي هم بنو امرأة الرجل ليسوا منه[٦] قوله: ﴿**ورزقكم من الطيبات**﴾ قال ابن عباس يريد من أنواع الثمار والحبوب والحيوان[٧] ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾ قال يعني الأصنام[٨]، وقال «مقاتل» يعني الشيطان[٩] وقال عطاء يصدقون أن لي شريكاً وصاحبة وولداً[١٠] ﴿**وبنعمت الله هم يكفرون**﴾ قال ابن عباس: يعني التوحيد، وما أنعم عليهم من القرآن والرسول ﷺ[١١]، وقوله: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات**﴾ يعني الأصنام لا تملك أن ترزقهم من السماوات المطر، ولا من الأرض النبات والثمار التي تخرج منها وقوله ﴿**شيئاً**﴾ قال الأخفش[١٢]: جعل شيئاً بدلاً من الرزق وهو في معنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً ﴿**ولا يستطيعون**﴾ لا يقدرون على شيء وليست لهم استطاعة ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ أي ولا تشبهوه بخلقه لأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ﴿**إن الله يعلم**﴾ قال ابن عباس يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة[١٣] ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ قدر عظمتي، حيث أشركتم بي، وعجزتموني أن أبعث خلقي قوله:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿**ضرب الله مثلاً**﴾ بين الله شبها فيه بيان المقصود ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿**عبداً مملوكاً**﴾ إلى قوله: ﴿**سراً وجهراً**﴾ قال

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢/٢١٠، في كتاب الصلاة باب دعاء القنوت.
(٢) انظر تفسير الرازي ٢٠/٦٦ نقلاً عن المصنف.
(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧، عن ابن مسعود والنخعي تفسير القرطبي ١٠/ ٩٤ الرازي ٢٠/٦٦ بلا نسبة.
(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٦٩، معالم التنزيل ٣/٧٧ عن عطاء.
(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧ عنه وعن ابن جبير عن ابن عباس روح المعاني ١٤/١٩٠ عن ابن عباس فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس تفسير الرازي ٢٠/٦٦ بلا نسبة.
(٦) معالم التنزيل ٣/٧٧، روح المعاني ١٤/١٩٠، عن ابن عباس زاد المسير ٤/٤٧٠، فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس.
(٧) انظر روح المعاني ١٤/١٩١ بلا نسبة تفسير الرازي ٢/٦٦ بلا نسبة القرطبي ٢٠/٩٦ بلا نسبة تنوير المقباس ٣/١٠٥.
(٨) انظر تفسير القرطبي ٢/٩٦ تفسير الرازي ٢٠/٦٦ زاد المسير ٤/٤٧٠ معالم التنزيل ٣/٧٧ بلا نسبة.
(٩) انظر زاد المسير ٤/٤٧٠، تفسير الرازي ٢٠/٦٦، روح المعاني ١٤/١٩١، عن ابن جريج فتح القدير ٣/١٨٠عن ابن جريج معالم التنزيل ٣/٧٧، بلا نسبة.
(١٠) انظر تفسير الرازي ٢٠/٦٦ زاد المسير ٤/٤٧٠.
(١١) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٤٠، زاد المسير ٤/٤٧٠، معالم التنزيل ٣/٧٧ بنحوه بلا نسبة تنوير المقباس ٣/١٠٦.
(١٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧ الرازي ٢٠/٦٧ فتح القدير ٣/٧٩، روح المعاني ١٤/١٩٣ بلا نسبة.
(١٣) انظر زاد المسير ٤/٤٧١.

السدي هذا مثل ضربه الله للآلهة يقول: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر فقد رزق رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً لا يخاف من أحد فكذلك أنا، وهذه الآلهة التي تدعون ليست تملك شيئاً، وأنا الذي أملك، وأرزق من شئت وقوله: ﴿**هل يستوون**﴾ جمع الفعل لأن المراد بقوله ﴿**عبداً مملوكاً**﴾ وبقوله: ﴿**ومن رزقناه**﴾ الشيوع في الجنس، لا التخصيص وقوله ﴿**الحمد لله**﴾ أنه المستحق للحمد، لأنه المنعم ولا نعمة للأصنام عندهم، ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ يعني أن المشركين لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعمة مني، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع ثم ذكر مثلاً آخر فقال: ﴿**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم**﴾ لا يقدر على شيء وهو العييّ الأقطع اللسان ﴿**لا يقدر على شيء**﴾ من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه ﴿**وهو كل على مولاه**﴾ ثقل ووبال على صاحبه وقريبه وابن عمه والكل الذي هو عيال وثقل على صاحبه ﴿**أينما يوجهه**﴾ أينما يرسله والتوجيه: الإرسال في وجه الطريق يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه، وقوله ﴿**لا يأت بخير**﴾ لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه ﴿**هل يستوي هو**﴾ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف ﴿**ومن يأمر بالعدل**﴾ وهو قادر تام التمييز متكلم، ناطق بالحق آمر بالعدل ﴿**وهو على صراط مستقيم**﴾ [دين مستقيم][1] وهذا مثل للمؤمن والكافر.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر نا عفان نا وهيب نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في رجلين فالأبكم منهما الكل على مولاه: هو السّيد ابن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] قوله:

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

﴿**ولله غيب السموات والأرض**﴾ تقدم تفسيره قوله: ﴿**وما أمر الساعة**﴾ يعني القيامة ﴿**إلا كلمح البصر**﴾ اللمح النظر بسرعة يقال: لمحه ببصر، قال السدي: يقول هو كلمح العين من السرعة ﴿**أو هو أقرب**﴾ من ذلك إذا أردنا، وقال الزجاج أعلم الله أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته كلمح البصر أو هو أقرب ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء[3]، يدل على هذا قوله:

---

(١) سقط في ب.

(٢) انظر روح المعاني ١٤/١٩٧، فتح القدير ٣/١٨٣، القرطبي ١٠/٩٨، بنحوه تفسير الرازي ٢٠/٧١، بنحوه معالم التنزيل ٣/٧٨ بنحوه.

(٣) انظر فتح القدير ٣/١٨٢.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قوله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ أي أخرجكم جاهلين، غير عالمين ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ خلق لكم الحواس التي بها تعلمون، وتقفون على ما تجهلون ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا خالق هذه الحواس فتعرفوا نعمته وقدرته ثم ذكر الدليل عليها فقال ﴿ألم يروا إلى الطير مسخراتٍ﴾ مذللات ﴿في جو السماء﴾ وهو الهواء ﴿ما يمسكهن﴾ حتى لا يسقطن على الأرض ﴿إلا الله﴾ وهذا كقوله: ﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ [١] وقوله: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضعاً تسكنون فيه قال ابن عباس ومجاهد: يعني المساكن من الحجر والمدر[٢] يستر عوراتكم وحرمكم وذلك أن الله خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبناؤها ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ يعني الأنطاع[٣] والأدم[٤] ﴿بيوتاً﴾ يعني القباب والخيام ﴿تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يخف عليكم حملها في أسفاركم وفيه قراءتان تسكين العين وتحريكها[٥] وهما لغتان كالشعْر، والشَعَر، والنهْر، والنَهَر ومعنى الظعن سير أهل البوادي لنجعة[٦] أو حضور ماء أو طلب مرتع ﴿ويوم إقامتكم﴾ قال مقاتل لا تثقل عليكم في الحالتين[٧] ﴿ومن أصوافها﴾ وهي للضأن و﴿وأوبارها﴾ وهي للإبل ﴿وأشعارها﴾ وهي للمعز ﴿أثاثاً﴾ الأثاث أنواع المتاع من متاع البيت من الفرش والأكسية قال ابن عباس يريد طنافس[٨] وبسطاً وثياباً وكسوة ﴿ومتاعاً﴾ يتمتعون به ﴿إلى حين﴾ البلى، قوله:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال ابن عباس: يريد ظلال الغمام[٩]، كما قال: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾[١٠] وقال الكلبي يعني ظلال البيوت تقيكم من الشمس[١١] وقال قتادة: ظلالاً هي الشجر واختاره الزجاج فقال: جعل لكم من الشجر ما يستظل به ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني الغيران والأسراب واحدها كن، وهو كل شيء وقى شيئاً وستره ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ وهي القمص واحدها سربال[١٢]. قال ابن عباس وقتادة هي القمص من الكتان والقطن والصوف[١٣] وقوله ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يقل البرد

(١) سورة الملك آية ١٩.
(٢) المدر: قطع الطين اليابس، انظر لسان العرب ٦/٤١٥٩، الصحاح ٢/٨١٢ ترتيب القاموس ٤/٢١٦.
(٣) مفرده نطع وهو بساط من الجلد كثيراً ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، انظر المعجم الوسيط ٢/٩٣٨.
(٤) الأدم: جمع أديم وهو الجلد ما كان. انظر لسان العرب ١/٤٥ تاج العروس ٨/١٨٠ ترتيب القاموس ١/١٢٣.
(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٧. تفسير الرازي ٢٠/٧٤.
(٦) النجعة: المذهب في طلب الكلأ في موضعه.
انظر لسان العرب ٦/٤٣٥٣، الصحاح ٣/١٢٨٨ ترتيب القاموس ٤/٣٣٠.
(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٧٩، بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/٧٤ بلا نسبة.
(٨) انظر تفسير الرازي ٢٠/٧٤ بلا نسبة.
(٩) انظر روح المعاني ١٤/٢٠٥، عن ابن عباس وقتادة. الرازي ٢٠/٧٥.
(١٠) سورة البقرة (٥٧).
(١١) انظر روح المعاني ٢٠٥١٤، زاد المسير ٤/٤٧٧.
(١٢) انظر روح المعاني ١٤/٢٠٥ عن ابن عباس والزجاج وابن قتيبة تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٨، زاد المسير ٤/٤٧٧ فتح القدير ١/١٨٦.
(١٣) فتح القدير ٣/١٨٦ عن قتادة، انظر الرازي ٢٠/٧٥ روح المعاني ١٤/٢٠٥ نحوه بلا نسبة.

لأن ما وقى من الحر وقى من البرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للعلم به وقوله ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب والرمي ﴿كذلك﴾ مثل ما جعل لكم هذه الأشياء وأنعم بها عليكم ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يريد نعمة الدنيا لأن الخطاب لأهل مكة [يدل على هذا قوله ﴿لعلكم تسلمون﴾ قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة] [(١)] تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحدوه وتصدقوا رسوله ﷺ [(٢)] قوله:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإنما عليك﴾ يا محمد ﴿البلاغ المبين﴾ عليك أن تبلغ الرسالة وتبين الدلالة، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدي يعني محمداً ﷺ[(٣)]، واختاره الزجاج فقال: يعرفون أن أمر محمد ﷺ حق ثم ينكرون ذلك[(٤)]، وقال الكلبي: قروا بأن ما ذكر من النعم في هذه السورة كلها من الله، ولكنهم قالوا بشفاعة آلهتنا[(٥)] واختاره الفراء[(٦)] فقال: وإذا قيل لهم: من رزقكم قالوا: الله ثم يقولون بشفاعة آلهتنا فيشركون فذلك إنكارهم نعمته ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ قال الحسن وجميعهم كفار فذكر الأكثر والمراد به الجميع[(٧)] قوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني يوم القيامة نبعث الأنبياء ليشهدوا على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الكلام والاعتذار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ ولا يطلب منهم أن يرجعوا

---

(١) سقط في ب.

(٢) انظر زاد المسير ٤/ ٤٧٩ الخازن مع البغوي ٤/ ١٠٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/ ٨٠ القرطبي ١٠/ ١٠٦ روح المعاني ١٤/ ٢٠٦، وقال ورجح ذلك الطبري والرازي ٢٠/ ٧٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/ ١٨٥ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢١٦.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/ ٨٠ القرطبي ١٠/ ١٠٦، فتح القدير ٣/ ١٨٥.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٢.

(٧) قال الرازي: فإن قيل: ما معنى قوله وأكثرهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين؟ قلنا: الجواب من وجوه: الأول: إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف، أو كان ناقص العقل معتوهاً فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء. الثاني: أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند، وحينئذ تقول إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً، بل كان جاهلاً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله. الثالث: أنه ذكر الأكثر، والمراد الجميع لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل، فذكر الأكثر كذكر الجميع وهذا كقوله ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ النحل (٧٥). انظر الرازي (٢٠/ ٧٧).

إلى ما أمر الله [ويرضاه][1] لأن الآخرة ليست بدار تكليف ﴿**وإذا رأى الذين ظلموا**﴾ أشركوا بالله ﴿ **العذاب**﴾ يعني النار ﴿**فلا يخفف عنهم**﴾ العذاب ﴿**ولا هم ينظرون**﴾ لا يؤخرون ولا يمهلون ﴿**وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم**﴾ يعني الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة وذلك أن الله تعالى يبعث كل ما كان يعبد من دون الله ﴿**قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول**﴾ أي أجابوهم، وقالوا لهم: ﴿**إنكم لكاذبون**﴾ كذبوهم في عبادتهم إياهم لأن الشركاء كانت جماداً أمواتاً ما كانت تعرف عبادة عابديها، فظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة وهذا كقوله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾[2] ﴿**وألقوا إلى الله يومئذ السلم**﴾ استسلموا وأقروا لله بالربوبية ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ زال وبطل، وذهب ما زين لهم الشيطان أن لله شريكاً وولداً قوله: ﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ ﴿**زدناهم عذاباً فوق العذاب**﴾.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا محمد بن حماد أنا معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله: ﴿**زدناهم عذاباً فوق العذاب**﴾ قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخيل الطوال[3].

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا محمد بن حيان[4] نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان حدثنا الحكم عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: زيدوا حيات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال الدلم[5] وقال أبو المنهال[6] إنهم يستغيثون بالنار فراراً من تلك الأفاعي والعقارب وهرباً[7] منهما قوله:

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

﴿**ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم**﴾ يريد الأنبياء وكل نبي شاهد على أمته والأنبياء شهداء على أممهم بما فعلوا وهم من أنفسهم لأن كل نبي يبعث من قومه ﴿**وجئنا بك**﴾ يا محمد ﴿**شهيداً على هؤلاء**﴾ قال ابن

---

(١) سقط في ب.

(٢) سورة مريم آية ٨٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٥ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي والهيثمي في المجمع ٧/٤٨ وعزاه للطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح انظر تفسير البغوي ٣/٥٨١ روح المعاني ١٤/٢١٣ عن البراء مرفوعاً وقال روي نحوه عن ابن مسعود فتح القدير ٣/١٨٨ الرازي ٢٠/٧٩ بلا نسبة.

(٤) محمد بن حيان أبو الأحوص البغوي نزيل بغداد. قال عبد الخالق بن منصور سألت ابن معين عنه قال: ليته حدث بما سمع، فكيف يكذب؟ وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: كان ثبتاً، وقال صالح بن محمد الأسدي: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال هو وغيره: مات سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر التهذيب (٩/١٣٦ ـ ١٣٧).

(٥) انظر زاد المسير ٤/٤٨٢ الخازن مع البغوي ٤/١١٠ الدر المنثور ٤/١٢٧ القرطبي ١٠/١٠٨ لسان العرب ٢/١٤١٤.

(٦) سيار بن سلامة الرياحي أبو المنهال البصري. قال ابن معين والنسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث. وقال العجلي بصري ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة (١٢٩) وقال ابن سعد كان ثقة. انظر التهذيب (٤/٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٧) انظر تفسير الرازي ٢٠/٧٩ بلا نسبة.

عباس يريد على قومك[١] وتم الكلام ثم قال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ﴾ قال مجاهد: يعني ما أمر به وما نهى عنه[٢] وقال أهل المعاني: يعني لكل شيءٍ من أمور الدين إما بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ أو إجماع المسلمين[٣] فالكتاب هو الأصل والمفتاح لعلوم الدين قال الزجاج: تبيان اسم في معنى البيان[٤] قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن قال ابن عباس في رواية الوالبي: العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض[٥] ﴿**وإيتاء ذي القربى**﴾ وصلة الأرحام ﴿**وينهى عن الفحشاء**﴾ الزنا ﴿**والمنكر**﴾ الشرك ﴿**والبغي**﴾ الكبر والظلم ﴿**يعظكم**﴾ ينهاكم عن هذا كله، ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه لله رضا لكي تتعظوا، قال قتادة في هذه الآية: إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه[٦].

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد بن جعفر أنا جدي أنا محمد بن إسحاق السراج نا قتيبة بن سعيد نا جرير عن منصور عن الشعبي قال: جاء شتير ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت عن عبد الله فأصدقك وإما أن أتحدث فتصدقني فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن لخير أو شر آية في النحل ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ قال مسروق صدقت رواه الحاكم في صحيحه[٧] عن العنبري عن

---

(١) انظر زاد المسير ٤٨٢/٤٥.

(٢) انظر زاد المسير ٨١/٣ القرطبي ١٠٨/١٠ معالم التنزيل ٨١/٣ بلا نسبة.

(٣) الاجماع لغة: العزم المصمم والاتفاق، وفي اصطلاح الأصوليين: اتفاق مجتهدي أمة الإجابة في عصر من العصور على أمر من أمور الدين بعد وفاة النبي ﷺ. انظر المصباح المنير ١٧١/١ القاموس المحيط ١٥٣/٣ المستصفى ١١٠/١ الإحكام للآمدي (٢٨٠/٢) منتهى السول (٤٩/١) المحصول (١٩/١/٢). الإبهاج ٣٨٩/٢ حاشية البناني (١٧٧/٢) التحرير (٢٢٤/٣).

(٤) انظر معاني القرآن ٢١٧/٣ الرازي ٨٠/٢.

(٥) انظر معالم التنزيل ٨١/٣ تفسير القرطبي ١٠٩/١٠ الرازي ٨١/٢٠، روح المعاني ٢١٧/١٤ فتح القدير ١٨٩/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٨/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر تفسير الرازي ٨١/٢٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٨/٤، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) ٣٥٦/٢ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي وانظر تفسير البغوي ٨٢/٣، الرازي ٨١/٢، روح المعاني ٢١٩/١٤، فتح القدير ١٨٩/٣.

محمد بن عبد السلام عن إسحاق الحنظلي عن المعتمر عن منصور قوله ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ قال المفسرون[١] العهد الذي يجب الوفاء به هو الذي يحسن فعله فإذا عاهد يجب الوفاء به، قال ابن عباس في هذه الآية: والوعد من العهد[٢] ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ قال ابن عباس لا يخفى عليه شيء ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾ هي امرأة من قريش يقال لها: ريطة [٣] كانت حمقاء، تغزل الغزل هي وجواريها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ﴿من بعد قوةٍ﴾ أي من بعد إبرام وفتل للغزل[٤] ﴿أنكاثاً﴾ جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم وينسج فإذا أخلقت[٥] النسيجة قطعت ونكثت خيوطها ثم غزلت ثانية ومعنى الآية لا تكونوا في نقض الأيمان بعد توكيدها كهذه المرأة غزلت غزلاً وقوت مرَّتَهُ ثم نقضته فجعلته أنكاثاً وقوله ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ الدخَل والدغل: الغش والخيانة قال الزجاج: غشاً ودغلاً[٦] ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي أكثر يقال ربا الشيء يربو إذا كثر قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم، فنهوا عن ذلك[٧] وتلخيص التأويل النهي عن أن يخلف على ما هو منطو على خلافه وأن يغر غيره بيمينه وقوله: ﴿إنما يبلوكم الله﴾ أي بالأمر بالوفاء ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من شأن البعث والقرآن، وكل ما وقع الاختلاف فيه قوله: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ قال ابن عباس: على ملة واحدة ودين واحد[٨] ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وهذا صريح في تكذيب القدرية حيث أضاف الضلالة والهداية [٩] إلى نفسه وجعلهما لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية، ثم أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم، فقال: ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ فبان أن الأمر على ما أخبر الله به من قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[١٠] ثم استأنف نهياً عن إيمان الخديعة والمكر توكيداً للمنع عنها، وأوعد عليها فقال:

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ قال ابن عباس تزل عن الإيمان بعد المعرفة

---

(١) انظر تفسير الرازي ٣/٨٦ تفسير القرطبي ١٠/١١١.

(٢) انظر تفسير الرازي ٣/٨٦.

(٣) ريطة بنت سعد بن نعيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية. انظر نسب قريش (١٧).

(٤) انظر معالم التنزيل ٣/٨٢ تفسير القرطبي ١٠/١١٢.

(٥) في جـ اختلق» أخلقت: أخلق الدهر الشيء: أبلاه. انظر لسان العرب ٢/١٢٤٦ الصحاح ٤/١٤٧٠ ترتيب القاموس ٢/٩٩.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢١٧ فتح القدير ٣/١٩٦.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٨٣ روح المعاني ١٤/٢٢٢، القرطبي ١٠/١١٣، الرازي ٢٠/٨٧ فتح القدير ٣/١٩٢. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٩ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) انظر تفسير القرطبي ١٠/١١٣ بلا نسبة معالم التنزيل ٣/٨٣ بنحوه بلا نسبة الدر المنثور ٤/١٢٩ عن سعيد بن جبير.

(٩) في ب (والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن شاء من خلقه).

(١٠) سورة الأنبياء آية ٢٣.

بالله[١] قال المفسرون[٢] وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده على الإسلام ونصرة الدين يدل على هذا قوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي العذاب ﴿بما صددتم﴾ بصدكم ﴿عن سبيل الله﴾ يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ صدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام فاستحقوا العذاب فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه قوله ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس يريد في الآخرة[٣] ثم زاد توكيداً فقال:

وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ يقول: لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عوضاً من الدنيا. ﴿إنما عند الله﴾ من الثواب على الوفاء ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ذلك قوله ﴿ما عندكم ينفد﴾ أي يفنى وينقطع يعني الدنيا ﴿وما عند الله﴾ من الثواب والكرامة ﴿باق﴾ دائم لا ينقطع ﴿ولنجزين الذين صبروا﴾ على عهودهم، وعلى طاعة ربهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يعني الطاعات، ومن جزاه الله بأحسن عمله، غفر له ذنوبه، قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير هي القناعة[٤] قال: وكان رسول الله ﷺ يقول اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه[٥].

أخبرنا: عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الماوردي نا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه نا عبد الله بن علي بن الجارود[٦] نا أحمد بن سعيد الرباطي[٧] نا إبراهيم بن الحكم[٨] عن أبيه عن عكرمة في قوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال: القناعة ورزق يوم بيوم [٩] وهذا قول مجاهد ووهب والقرظي وقال في رواية الكلبي وأبي مالك[١٠] وعطاء: هي الرزق الحلال، وأكل الحلال[١١].

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/١١٣ بلا نسبة.

(٢) انظر فتح القدير ٣/١٩١، نقلاً عن المصنف.

(٣) انظر زاد المسير ٤/٤٨٧، فتح القدير ٣/١٩١ بنحوه بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/١١٤، روح المعاني ١٤/٢٧٧ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٦ كتاب التفسير وصححه، وأقره الذهبي وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٠ وزاد نسبته لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٥٦ كتاب التفسير سورة النحل، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الحافظ في التلخيص وعزاه للحاكم ٢/٢٤٨ وابن أبي حاتم في العلل رقم (٢٠٥٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٠.

(٦) عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ المجاور بمكة. كان من أئمة الأثر. أثنى عليه الحاكم. مات سنة سبع وثلاث مئة. انظر سير الأعلام (١٤/٢٣٩).

(٧) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي أبو عبد الله المروزي الأشقر نزيل نيسابور. قال النسائي: ثقة، وقال ابن خراش: ثقة ثقة. قال الخطيب: ورد بغداد في أيام أحمد وجالس بها العلماء وذاكرهم، وكان ثقة فهما عالماً فاضلاً انظر التهذيب ١/٣٠.

(٨) إبراهيم بن الحكم بن أبان، تركوه وقل من مشاه. روى عن أبيه مرسلات فوصلها. قال ابن معين: ليس بشيء وقال النسائي متروك وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه فقال: وقت ما رأيناه لم يكن به بأس. وقال البخاري: سكتوا عنه. انظر الميزان (١/٢٧).

(٩) انظر زاد المسير ٤/٤٨٩ القرطبي ١٠/١١٤. الرازي ٢٠/٩٠.

(١٠) هو غزوان الغفاري الكوفي ثقة. انظر تهذيب الكمال (٢/١٠٨٩).

(١١) انظر زاد المسير ٤/٤٨٩ الخازن مع البغوي ٤/١١٣ تفسير الرازي ٢٠/٩٠ بلا نسبة.

أخبرنا: الفضيل بن أحمد الصوفي أنا زاهر بن أحمد أنا زيد بن الهيثم القاضي نا أحمد بن عثمان الأودي[١] نا عون بن سلام [٢].

نا: بشر بن عمارة[٣] عن أبي روق[٤] عن الضحاك ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال: يلبس حلالاً، ويأكل حلالاً[٥] وروي عن أبي نجيح عن مجاهد: «حياة طيبة» قال: الجنة[٦] وهو قول الحسن قال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة[٧].

أخبرنا: أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيدة الوبري[٨] نا يوسف بن سعيد بن مسلم[٩] نا علي بن بكار عن أبي العوام عن قتادة في قوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال: رزق يوم بيوم[١٠] قوله:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ قال الزجاج[١١] وجميع أصحاب المعاني: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن، ومثله إذا أكلت فقل بسم الله[١٢] وهذا إجماع من الفقهاء

---

(١) أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي أبو عبد الله الكوفي قال النسائي: ثقة وقال ابن خراش: كان ثقة عدلاً وقال مطين وغيره: مات في المحرم سنة (٢٦١) زاد غيره يوم عاشوراء. وقال العقيلي: ثقة، وأرخ ابن قانع وفاته قبل الستين وروى عنه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١/٦١).

(٢) عون بن سلام القرشي أبو جعفر الكوفي مولى بني هاشم. قال صالح بن محمد: لا بأس به، وقال محمد بن عبد الله: مات سنة ثلاثين ومائتين وكان ثقة، وقال البغوي: وكان ضرير البصر، وقال الخطيب: كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال مستقيم الحديث وقال الدارقطني لا بأس به. انظر التهذيب ٨/١٧٠.

(٣) بشر بن عمار الخثعمي المكتب الكوفي. قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وقال البخاري: يعرف وينكر وقال النسائي ضعيف، وقال ابن حبان كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: لم أر في أحاديثه حديثاً منكراً وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب. انظر التهذيب ١/٤٥٥.

(٤) عطية بن الحارث الهمداني صدوق. انظر الجرح والتعديل ٦/٣٨٢.

(٥) انظر الخازن مع البغوي ٤/١١٣، روح المعاني ١٤/٢٢٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٠ وعزاه لابن جرير.

(٦) انظر معالم التنزيل ٣/٨٤ عن مجاهد وابن عباس القرطبي ١٠/١١٥، فتح القدير ٣/١٩٣ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٨٤، القرطبي ١٠/١١٥، الرازي ٢٠/٩١ روح المعاني ١٤/٢٢٦. فتح القدير ٣/١٩٣.

(٨) أحمد بن محمد بن عبيدة بن زياد بن عبد الخالق الثعالبي الوبري كان مكثراً من الحديث. انظر الأنساب ٥/٥٧٢.

(٩) يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي أبو يعقوب الأنطاكي الحافظ. قال النسائي: ثقة حافظ، وقال ابن أبي حاتم كتب إليّ ببعض حديثه وهو صدوق وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات بعد سنة خمس وستين. انظر التهذيب (١١/٤١٤).

(١٠) انظر زاد المسير ٤/٤٨٩ الرازي ٢٠/٩٠.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٣/٢١٨ تفسير الرازي ٢٠/٩٢ معالم التنزيل ٣/٨٤ فتح القدير ٣/١٩٣.

(١٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٤٦، ٢٦٥ أخرجه أبو داود ٣/٣٤٧، كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٧٦٧) والبيهقي في السنن ٦/٢٧٦.

أن الاستعاذة قبل القراءة[١] إلا ما روي عن أبي هريرة[٢] وداود[٣] ومالك[٤] أنهم قالوا[٥]: الاستعاذة بعد القراءة ذهبوا إلى ظاهر الآية والأولى، والمستحب أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القرآن، وللخبر المتصل المسلسل، وهو: أني قرأت على الأستاذ أبي إسحاق الثعالبي ، رحمه الله فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي فقلت: أعوذ بالسميع العليم [هكذا] [٦] فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بالبصرة فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي محمد عبد الله بن عجلان الزنجاني [٧] فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي عثمان إسماعيل بن إبراهيم الأهوازي فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على [محمد بن عبد الله بن بسطام فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت] [٨] على روح بن عبد المؤمن [٩]، فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على يعقوب الحضرمي، فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على سلّام بن أبي المنذر فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على عاصم فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على زر بن حبيش فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على عبد الله بن مسعود، فقلت أعوذ

---

(١) ويعضد هذا ما روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه) وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة. قال الكيَا الطبري: ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾. ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة. كقوله تعالى ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً﴾ النساء: (١٠٣) إلا أن غيره محتمل مثل قوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ الأنعام: (١٥٢). ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ الأحزاب (٥٣) وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم. ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق وإذا أحرمت فاغتسل يعني قبل الإحرام. والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك فكذلك الاستعاذة. انظر القرطبي ١٠/١١٥.

(٢) انظر القرطبي ١/٦٣.

(٣) داود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية توفي في ٢٧٠ هـ الأنساب (٩٩/٤) وفيات الأعيان (١/١٧٥) تذكرة الحفاظ (٢/١٣٦).

(٤) قال ابن العربي: من أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله . . . الآية قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن من قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر ولا يعضده نظر، فإن كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة بعد القراءة كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه، فالله أعلم بسر هذه الرواية. انظر القرطبي ١/٦٣. وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٣/١١٧٦)

(٥) قال ابن حزم: الاستعاذة تكون فرضاً في الصلاة بعد أن يقرأ ما عليه اسم القرآن، ولو أنه كلمتان على نص الآية لأنها توجب التعوذ بعد القراءة بظاهرها انظر المحلى (٣/٣١٨ ـ ٣٢٢).

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) عبد الله بن عجلان الزنجاني ثقة معجم الثقات (٢٩٩).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري أبو الحسن البصري: ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ٢٣٣ أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل وقال غيره سنة ٤ ويقال سنة ٥. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه صدوق انظر التهذيب (٣/٢٩٦).

بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: «يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ[١]» قوله ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ يعني به سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين[٢] ليس له حجة أي لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم [ودعائهم][٣] إلى الضلالة ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ قال ابن عباس يطيعونه[٤] يقال: توليته أي أطعته وواليته[٥] ومنه قوله: ﴿ومن يتول الله ورسوله﴾[٦] قوله: ﴿والذين هم به مشركون﴾ قال مجاهد: يعدلونه برب العالمين[٧] قوله: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال الكلبي وغيره: كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها قال كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً بأمور، وإنه ليتكذبه، ويأتيهم به من عند نفسه، فأنزل الله ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾[٨] قال مجاهد: نسخناها وأنزلنا غيرها[٩] ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتغليظ وتخفيف هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد، فما بالهم ينسبون محمداً ﷺ إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ ﴿قل نزله﴾ [يعني][١٠] نزل بالقرآن ﴿روح القدس﴾ جبريل ﴿من ربك﴾ من كلام ربك ﴿بالحق﴾ بالأمر الحق الصحيح الثابت ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات، فيزدادوا تصديقاً ويقيناً، وقوله ﴿وهدى﴾ أي وهو هدى فهو: خبر ابتداء محذوف قوله:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ قال مجاهد وقتادة: قالت قريش إنما يعلم محمداً عبد لبني الحضرمي رومي يقال له يعيش، صاحب كتاب[١١] وقال عبيد الله بن مسلم[١٢] كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار

---

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/٣٠٩ (٨٥) وعزاه لابن النجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً وذكره الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي وعزاه للثعلبي عن شيخه محمد بن جعفر (٩٠).

(٢) انظر الخازن مع البغوي ٤/١١٤ زاد المسير ٤/٤٩٠ تفسير القرطبي ١٠/١١٦ الدر المنثور ٤/١٣٠.

(٣) سقط في جـ.

(٤) انظر تفسير الرازي ٢٠/٩٢، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٣/٨٤، القرطبي ١٠/١١٦ روح المعاني ١٤/٢٣٠، فتح القدير ٣/١٩٤.

(٥) في ب (وأوليته).

(٦) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١٠/١١٦ روح المعاني ١٤/٢٣٠ وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٣/٨٤ تفسير الرازي ٢٠/٩٢، فتح القدير ٣/١٩٤.

(٨) انظر زاد المسير ٤/٤٩٠، تفسير الرازي ٢٠/٩٣، نحوه عن ابن عباس.

(٩) انظر القرطبي ١٠/١١٦ زاد المسير ٤/٤٩٠، فتح القدير ٣/١٩٦، معالم التنزيل ٣/٨٤ بلا نسبة روح المعاني ١٤/٢٣١ بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/٩٣ بلا نسبة.

(١٠) سقط في ب، جـ.

(١١) أخرجه الحاكم ٢/٣٥٧ كتاب التفسير عن ابن عباس وصحح إسناده، وأقره الذهبي انظر معالم التنزيل ٣/٨٥ عن ابن إسحاق تفسير القرطبي ١/١١٧ روح المعاني ١٤/٢٣٣، تفسير الرازي ٢٠/٩٤ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٦ عن ابن عباس.

(١٢) عبيد الله بن مسلم الحضرمي قال أبو حاتم عبيد الله بن مسلم الحضرمي له صحبة، وقال البغوي في الصحابة عبيد الله بن مسلم يقال =

والآخر جبر وكانا صيقلين[١] يقرآن كتاباً لهما بلسانهما وكان رسول الله ﷺ يمر عليهما ويسمع قراءتهما، وكان المشركون يقولون: يتعلم منهما فأكذبهم الله فقال: **﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾**[٢] الإلحاد: معناه الميل[٣]، يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقراءة العامة بضم الياء وقرىء بفتح الياء من لحد[٤] والأولى ضم الياء لأنه لغة القرآن يدل عليه قوله: **﴿ومن يريد فيه بإلحاد﴾**[٥] ويكون الإلحاد بمعنى الإمالة وفسر الإلحاد في هذه الآية بالقولين فقال الفراء: يميلون من الميل وقال الزجاج لسان الذي يميلون القول إليه أعجمي[٦] وقال ابن قتيبة أي يؤمنون إليه ويزعمون أنه يعلمك[٧] أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان، وهو قوله **﴿هذا﴾** يعني القرآن **﴿لسان عربي مبين﴾** قال ابن عباس أفصح ما يكون من العربية وأبينه لسان سعد بن بكر بن هوازن [٨] ثم جعل المشركين هم الذين يفترون فقال: **﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾** قال الزجاج: إنما يفتري الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها فهؤلاء أكذب الكذبة [٩] ثم سماهم الكاذبين وحصر[١٠] فيهم الكذب فقال **﴿وأولئك هم الكاذبون﴾** أي ان الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم، وهذا كما تقول: كذبت وأنت كاذب فيكون قولك: وأنت زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب حيث أخبر الله أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقري أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوزي[١١] أنا جدي محمد بن عمر بن حفص الزاهد أنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق[١٢] نا سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري نا أبو زياد يزيد بن عبد الله نا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال قد يكون ذلك قلت يا رسول الله المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك قال قلت يا رسول الله المؤمن يكذب؟ قال لا قال الله تعالى **﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾**[١٣].

= ادرك النبي ﷺ ثم أخرج له حديثين من رواية حصين عنه. انظر التهذيب (٤٨/٧).

(١) الصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها. انظر لسان العرب ٢٤٧٣/٤ تاج العروس ٤٠٤/٧، ترتيب القاموس ٨٣٧/٢.

(٢) انظر الخازن مع البغوي ١١٥/٤، روح المعاني ٢٣٣/١٤، تفسير الرازي ٩٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٩٦/٣، القرطبي ١١٧/١٠.

(٣) انظر لسان العرب (٤٠٥/٥).

(٤) انظر النشر في القراءات (٢٧٣/٢) إتحاف فضلاء البشر ١٨٩/٢ القرطبي ١١٧/١٠، الرازي ٩٤/٢٠.

(٥) سورة الحج آية ٢٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٩.

(٨) انظر روح المعاني ١٨٥/١٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣ فتح القدير ١٩٥/٣.

(١٠) في ب (وخص).

(١١) عمر بن أحمد بن محمد الجوزي انظر تبصير المنتبه (٣٦٦/١).

(١٢) محمد بن الفرج بن محمود أبو بكر البغدادي الأزرق. قال الحاكم عن الدارقطني: ضعيف لا بأس به يطعن عليه في اعتقاده، وقال البرقاني عن الدارقطني: ضعيف، وقال الخطيب: أحاديثه صحاح ورواياته مستقيمة لا أعلم فيها ما يستنكر، وتكلم فيه الحاكم من أجل صحبته الحسين الكرابيسي. مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر التهذيب ٣٩٩/٩.

(١٣) إسناد ضعيف جداً وعلته يزيد بن عبد الله بن غريب، قال الحافظ: مجهول ٢٨٩/٦ وفيه يعلى بن الأشدق مقتصراً على الكذب وفيه عبد الله بن جراد وهو مجهول وقد تقدم. =

أخبرنا: عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا علي بن محمد بن سعيد بن العباس الرزاز[١] نا أبو شعيب الحراني نا جدي نا موسى بن أعين عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان قوله:

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ نزلت في عمار بن ياسر، أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: (ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت، حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان، قال إن عادوا لك، فعد لهم بما قلت)[٢] قال ابن عباس في رواية الوالبي: أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه، فعليه غضب من الله، ولهم عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم بلسانه، وخالف قلبه بالإيمان، لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم[٣] قوله: **﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾** أي فتحه ووسعه لقبول الكفر قال الكلبي: والمراد بقوله: **﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾** من ارتد عن الدين وطابت نفسه

= أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ مرسلاً كتاب الكلام باب ما جاء في الصدق (١٩) مرسل أو معضل، قال الحافظ ابن عبد البر: لا أحفظه مسنداً من وجه ثابت وهو حديث مرسل، وذكره العراقي في تخريج الإحياء ٣/ ١٣٥ وعزاه لابن عبد البر في التمهيد، وقال رواه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصراً على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء. وذكره العجلوني في الكشف ٢/ ١٦٠.

(١) علي بن محمد بن سعيد: بن العباس بن دينار أبو الحسن الكندي الرزاز سمع أبا شعيب الحراني وجعفر الفريابي وعلي بن حسنويه القطان وأبا حنيفة محمد بن حنيفة القصبي. انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٥٧ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن ٨/ ٢٠٨ وابن سعد في الطبقات ٣/ ١/ ١٧٨، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٠١، ٤٠٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن من طريق علي عن ابن عباس.

قال القرطبي: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن، فإنه قال: إذا أظهر الشرك كان مرتداً في الظاهر، وفيما بينه وبين الله تعالى على الإسلام وتبين منه امرأته، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يرث أباه إن مات مسلماً. وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالى **﴿إلا من أكره﴾**. الآية وقال: **﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾** آل عمران: ٢٧. وقال: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾** النساء: ٩٧ الآية. وقال: **﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾** النساء: ٩٨ الآية. فعذر الله المستضعفين الذين يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به قاله البخاري. قال المحققون من العلماء: إذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له أن يجريه على لسانه إلا مجرى المعاريض، فإن في المعاريض لمندوحة عن الكذب. ومتى لم يكن كذلك كان كافراً لأن المعاريض لا سلطان للإكراه عليها. انظر القرطبي ١٠/ ١١٩ ـ ١٢٠، ١٢٣٠.

بالكفر[1] يدل على هذا قوله: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي ذلك الشرح، وذلك الكفر بأنهم أحبوا الدنيا، واختاروها على الآخرة وبأن الله لا يريد هدايتهم ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فقال ﴿أولئك الذين طبع الله﴾ الآية وقوله: ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ قال ابن عباس: غافلون عما يراد بهم[2] ثم حكم لهم بالخسار وأكد ذلك فقال: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ قوله:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذي كانوا بمكة عذبوا في الله وأريدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، وهاجروا إلى النبي ﷺ من بعد ما فتنوا[3] وقال ابن عباس من بعد ما عذبوا[4] ﴿ثم جاهدوا﴾ مع النبي ﷺ ﴿وصبروا﴾ على الدين والجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها من التلفظ بكلمة الكفر ﴿لغفور رحيم﴾ وقرأ ابن عامر (فَتنوا) بفتح الفاء[5] والمعنى: من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، وجعل ذلك فتنة، لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد قوله: ﴿يوم تأتي﴾ أي ذكرهم يا محمد يوم تأتي ﴿كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ هذا يوم القيامة كل أحد لا يهمه إلا نفسه فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن حامد نا محمد بن خالد بن الحسين نا داود بن سليمان نا عبد بن حميد نا عياد بن كليب الليثي عن صالح المري عن جعفر بن زيد قال: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار يا كعب خوفنا حدثنا حديثاً تنبهنا به قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأتت عليك تارات، وأنت لا يهمك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثياً على ركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى الذي أنزله عليكم، أما سمعت يا أمير المؤمنين إلى قوله: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾[6] وقوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي جزاء ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من أجورهم شيئاً قوله:

---

(١) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٧ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٦ بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٩ الرازي ٢٠/١٠٠ معالم التنزيل ٣/٨٦ بلا نسبة القرطبي ١٠/٢٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٧ بلا نسبة.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ١٦٢، القرطبي ١٠/١٢٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤/١٣٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٩٨، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٣/٨٧ روح المعاني ١٤/٢٣٩ تفسير الرازي ٢٠/٢٠١، فتح القدير ٣/١٩٧.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٠.

(٦) في إسناده صالح بن بشير أبو بشر المري، قال البخاري: منكر الحديث وضعفه ابن معين وابن حبان التاريخ الكبير (٢/٢/٢٧٣) =

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

﴿**وضرب الله مثلاً قرية**﴾ الآية نزلت في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي ﷺ، وهو قوله: ﴿**قرية**﴾ يعني مكة ﴿**كانت آمنةً**﴾ ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ﴿**مطمئنة**﴾ قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق، وهو قوله: ﴿**يأتيها رزقها رغداً من كل مكان**﴾ يأتيهم رزقهم في بلدهم يجلب إليها من كل بلد كما قال الله تعالى ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾[(1)] ﴿**فكفرت بأنعم الله**﴾ حيث كذبوا النبي ﷺ، وخالفوا أمره ﴿**فأذاقها الله لباس الجوع والخوف**﴾ قال المفسرون[(2)] عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المُحْرقة قال ابن قتيبة لباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من سوء آثارهم بالضمر والشحوب وتغير الحال[(3)] ومعنى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف عرفها سوء أثرهما، وقد يستعمل الذوق في المعرفة يقال: ذقت ما عند فلان إذا جربته وعرفته، ويقال: اركب هذا الفرس تذقه أي تعرف ما عنده من الجري ومنه قول الشماخ[(4)] يصف قوساً:

فَـذَاقَ، فَـأَعْـطَتْـهُ مِنَ اللّين جَـانبـاً ... كِفَـاف لَهَـا أن يَغـرق السَّهْم حَـاجِـزا[(5)]

والمراد بالخوف خوفهم من النبي ﷺ، ومن السرايا التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم.

وروي عن أبي عمرو بنصب الخوف[(6)] حملاً على الإذاقة، والكلام في الآية خرج على القرية والمراد أهلها يدل على هذا قوله: ﴿**بما كانوا يصنعون**﴾ فعاد الكلام إلى أهل القرية قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي ﷺ حيث كذبوه، وأخرجوه من مكة، وما هموا به من قتله[(7)] ﴿**ولقد جاءهم**﴾ يعني أهل مكة ﴿**رسول منهم**﴾ من نسبهم ﴿**فكذبوه فأخذهم العذاب**﴾ يعني الجوع في قول ابن عباس[(8)] وقال مجاهد يعني القتل ببدر[(9)] ثم خاطب المؤمنين فقال:

فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا

= التاريخ ٢٦٢/٢ المجروحين ٣٧١/١ العقيلي ١٩٩/٢ والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٦٦/١٣ وذكره السيوطي في الدر ١٣٣/٤ وزاد نسبته لابن المبارك وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) سورة القصص آية ٥٧.

(٢) انظر معالم التنزيل ٨٨/٣ زاد المسير ٥٠١/٤.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٥٠.

(٤) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان شديد متون الشعر ولبيد أسهل منه منطقاً وكان أرجز الناس على البديهة، جمع بعض شعره في (ديوان). انظر الأعلام (١٧٥/٣).

(٥) انظر ديوان الشماخ (١٩٠).

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ١٩٠/٢، تفسير القرطبي ١٢٧/١٠ روح المعاني ٢٤٣/١٤.

(٧) انظر زاد المسير ٥٠١/٤ تفسير الرازي ١٠٤/٢٠.

(٨) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، القرطبي ١٢٨/١٠ بلا نسبة تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ فتح القدير ٢٠٠/٣ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٠/٣ بلا نسبة.

حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿فكلوا﴾ يا معشر المؤمنين ﴿مما رزقكم الله﴾ من الغنائم ﴿حلالاً طيباً﴾ وهذه الآية والتي بعدها مفسرة في سورة البقرة. قوله ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ أي لأجل وصفكم الكذب، والمعنى أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى إلا الكذب فقط والمعنى: لا تفعلوا ذلك والإشارة بقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ إلى ما كانوا يحلونه ويحرمونه قال ابن عباس: يعني قولهم ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾[1] وقوله: ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ هو أنهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إلى الله ويقولون إنه أمرنا بذلك ثم أوعد المفتري فقال: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ وبين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قرب فقال: ﴿متاع قليل﴾ قال الزجاج: متاعهم متاع قليل[2] يعني ما يتمتعون به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة قوله:

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ تقدم ذكره في سورة الأنعام في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾[3] الآية. ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ما حرمنا عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالبغي والمعاصي، ثم ذكر المغفرة لمن تاب بعد المعصية فقال: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ قال مجاهد كل من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع[4]. وقال السدي كل من عصى الله فهو جاهل[5] وهذا كقوله: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾[6] قال ابن عباس: يريد بالسوء الشرك[7]. ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ السوء ﴿وأصلحوا﴾ قال: آمنوا وصدقوا وقاموا لله تعالى بفرائضه[8] ﴿إن ربك من

---

(١) انظر زاد المسير ٥٠٢/٤.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٢/٣، فتح القدير ٢٠١/٣. (٣) سورة الأنعام آية ١٤٦.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦١/٥، تفسير الرازي ١٠٧/٢٠ بلا نسبة.

(٥) تفسير الطبري ٨٩/٨ وابن كثير ٤٣/١، مجاهد ١٤٩ فتح القدير ٤٤٠/١ عن ابن عباس.

(٦) سورة النساء آية ١٧.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١٢٩/١٠ روح المعاني ٢٤٩/١٤. (٨) انظر الخازن مع البغوي ١٢٢/٤.

بعدها﴾ من بعد تلك الجهالة **﴿لغفور رحيم﴾** قوله: **﴿إن إبراهيم كان أمةً﴾** قال أكثر أهل التفسير[١]: معلماً للخير قال ابن الأعرابي، يقال للرجل العالم أمة، والأمة الرجل الجامع للخير[٢] **﴿قانتاً﴾** مطيعاً لله **﴿حنيفاً﴾** قال ابن عباس: إنه أول من اختتن وأقام المناسك وضحى، فهذه صفة الحنيفية [٣].

أخبرنا: محمد بن أحمد بن جعفر المزكي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه نا محمد بن المهلب نا معلى بن أسد [٤] نا عبد العزيز بن المختار نا منصور بن عبد الرحمن الغداني [٥] نا الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي [٦] قال: كنت جالساً عند عبد الله بن مسعود فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، قلت غلط أبو عبد الرحمن فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنما قال الله **﴿إن إبراهيم كان أمةً قانتاً﴾** قال: فأعادها فعرفت انه تعمد الأمر تعمداً فسكت، فقال أتدري ما الأمة؟ الذي يعلم الناس الخير [وكان مطيعاً لله ورسوله] [٧] والقانت المطيع لله، وكذلك معاذ بن جبل يعلم الخير وكان مطيعاً لله ورسوله [٨] قال ابن عباس في قوله: **﴿ولم يك من المشركين﴾** أخلص لله التوحيد صبياً وكبيراً[٩] **﴿شاكراً لأنعمه﴾** انتصب على البدل من قوله: **﴿أمةً قانتاً لله حنيفاً﴾** والأنعم جمع نعمة **﴿اجتباه﴾** اختاره للنبوة **﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾** وهو دين الحنيفية **﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾** قال الوالبي عن ابن عباس: يعني الذكر الحسن[١٠] وقال الحسن هي النبوة[١١] وقال مجاهد لسان صدق في الآخرين[١٢] وقال مقاتل يعني عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ[١٣] وقال قتادة: هي أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتلونه ويرضونه[١٤] **﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾** ترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبة[١٥] إبراهيم، وهذا أكمل مدح لإبراهيم حيث شرف جملة هو منها **﴿ثم أوحينا إليك﴾** يا محمد **﴿أن اتبع ملة إبراهيم**

---

(١) انظر تفسير الرازي ١٠٧/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ زاد المسير ٥٠٣/٤ ابن كثير ٥٣٠/٤. روح المعاني ٢٤٩/١٤ فتح القدير ٢٠٢/٣ نقلاً عن المصنف.

(٢) تهذيب اللغة ٦٣٤/١٥ اللسان ١٣٥/١.

(٣) انظر الخازن مع البغوي ١٢٢/٤، الرازي ١٠٨/٢٠.

(٤) معلى بن أسد العمي أبو الهيثم البصري الحافظ.
قال العجلي: شيخ بصري ثقة كيس وكان معلماً، وأخوه بهز أسن منه، وهو ثبت في الحديث رجل صالح وقال أبو حاتم ثقة، ما أعلم أني عثرت له على خطأ غير حديث واحد، وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر التهذيب (٢٣٦/١٠ ـ ٢٣٧).

(٥) منصور بن عبد الرحمن الغداني النصري الأشل صدوق يهم. انظر التقريب ٢٧٦/٢ ـ ٢٧٧.

(٦) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، قال ابن عبد البر في الصحابة حديثه مضطرب وفروة بن نوفل الأشجعي من الخوارج، خرج على المغيرة بن شعبة في صدر خلافة معاوية فبعث إليهم المغيرة فقتلوا سنة خمس وأربعين، وليس لفروة بن نوفل صحبة ولا رؤية، إنما يروي عن أبيه وعن عائشة، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن فروة بن نوفل له صحبة، فقال ليست له صحبة ولأبيه صحبة. التهذيب ٢٦٦/٨.

(٧) سقط في أ، جـ.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٤.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٤.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٠٤/٤، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ بلا نسبة.

(١١) انظر زاد المسير ٥٠٤/٤، روح المعاني ٢٥٠/١٤، القرطبي ١٣٠/١٠ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٨٩/٣ بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤.

(١٣) تفسير الرازي ١٠٩/٢٠، القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة معالم التنزيل ٨٩/٣. زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٤) انظر تفسير الرازي ١٠٨/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٥) الجنبة والجانب: شق الإنسان وغيره. انظر لسان العرب ٦٩١/١ الصحاح ١٠١/١ ترتيب القاموس ٥٣٥/١.

حنيفاً﴾ هذا يدل على أن دين محمد ﷺ دين إبراهيم حيث أُمِرَ باتباعه لسبقه إلى القول بالحق والعمل به، وقال عبد الله بن عمر: وأمر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبريل إبراهيم[1] وقوله: **﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾** قال عطاء عن ابن عباس: تهاونوا وصادوا فيه وتعدوا[2] وقال قتادة استحله بعضهم وحرمه بعضهم[3] واختلافهم استحلالهم الصيد زمن داود يعني أهـل أيلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه، وهم الذين خالفوا أهل الحق في استحلال السبت ثم ذكر بباقي الآية أنه يحكم بينهم يوم القيامة. قوله:

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ قال ابن عباس دين ربك[4] **﴿بالحكمة﴾** يعني النبوة **﴿والموعظة الحسنة﴾** يعني مواعظ القرآن **﴿وجادلهم﴾** أقبلْ على المشركين، واصرفهم عما هم عليه من الشرك **﴿بالتي هي أحسن﴾** أي ألن لهم جانبك، ولا تكن فظاً عليهم **﴿إن ربك هو أعلم﴾** إلى آخرها أي الله أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح قوله **﴿وإن عاقبتم﴾** الآية.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ. أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الحافظ نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا بشر بن الوليد الكندي نا صالح المري نا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي وعن أبي هريرة قال: (أشرف النبي ﷺ على حمزة فرآه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم) فنزلت **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾** الآية[5] وهذا قول عامة المفسرين[6]، قالوا: نزلت لما نظر النبي ﷺ إلى حمزة يوم أحد، وقد مثل به فقال والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بعد، بخواتيم سورة النحل فصبر رسول الله ﷺ، وأمسك عما أراد، وكفر عن يمينه ثم أمره بالصبر عزماً فقال: **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾** أي بتوفيقه ومعونته **﴿ولا تحزن عليهم﴾** على قتلى أحد فإنهم أفضوا إلى رحمة الله، ويقال: ولا تحزن على المشركين بإعراضهم عنك[7] **﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾** قال الفراء: الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع مثل الـدار

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٣٠ فتح القدير ٣/٢٠٤ مطولاً وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عنه.

(٢) الخازن مع البغوي ٤/١٢٣.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٩٠.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٣١ بلا نسبة.

(٥) ذكره المصنف في أسباب النزول ص (١٩٢) وابن كثير في التفسير ٤/٥٣٣، وعزاه للبزار وقال هذا إسناد فيه ضعيف، لأن الكلام عليه صـالح هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢٠/١١٣، معالم التنزيل ٣/٩١، القرطبي ١٠/١٣٢، روح المعاني ١٤/٢٥٧، زاد المسير ٤/٥٠٧، فتح القدير ٣/٢٠٥.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٩١، روح المعاني ١٤/٢٥٨، الرازي ٢٠/١١٤ فتح القدير ٣/٢٠٤.

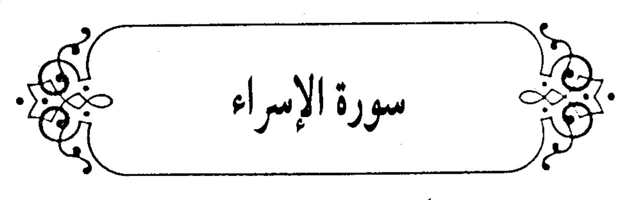
والثوب[١] والمعنى: لا يضيق صدرك من مكرهم، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد[٢] قال الأخفش يقال: ضاق يضيق ضَيقاً وضِيقاً في المصدر[٣] ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر وما حرم عليهم ﴿والذين هم محسنون﴾ في العمل وفيما افترض عليهم قال الزجاج: ومعنى أن الله معهم أي أنه ناصرهم[٤].

(١) انظر معاني القرآن للفراء، ٢/١١٥، القرطبي ٢٠/١٣٣ عن الفراء.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩١، القرطبي ٢٠/١٣٣.

(٣) تهذيب اللغة ٩/٢١٧ فتح القدير ٣/٢٠٤ عن الأخفش.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٤.



سورة الإسراء

مكيّة وآياتها إحدى عشرة ومائة

أخبرنا: الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن إبراهيم الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها)(١).

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده﴾ أي البراءة له والتنزيه عما ينفى عنه مما لا يليق به قال ابن عباس: نزه نفسه(٢).

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عبيد الله بن عائشة نا عبد الرحمن بن حماد عن جعفر بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت نبي الله ﷺ عن تفسير سورة سبحان الله قال: (تنزيه الله عز وجل عن كل سوء نزه نفسه عنه)(٣) وقوله: ﴿أسرى بعبده﴾ قال الزجاج معناه سير عبده يعني محمداً ﷺ ليلاً(٤) قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة(٥) ﴿من المسجد الحرام﴾ قال الحسن وقتادة يعني نفس المسجد(٦) وقال عامة المفسرين(٧): أسرى

---

(١) تقدم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، تفسير الرازي ١١٦/٢٠، روح المعاني ٣/١٥ فتح القدير ٢٠٦/٣، وذكره السيوطي في الدر ١٣٦/٤ وعزاه للطيالسي.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٩٤/١٠ وعزاه للبزار وقال عبد الرحمن بن حماد الطلحي وهو ضعيف وذكره السيوطي في الدر ١١٠/١ والقرطبي في التفسير ٣١٦/٤، ٢٠٤/١٠ وإسناده ضعيف جداً فيه عبد الرحمن الطلحي قال أبو حاتم: منكر الحديث قال ابن حبان: لا يحتج به الميزان ٥٥٧/٢. وجعفر بن سليمان، قال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه ويضعفه وقال أحمد: لا بأس به قدم صنعاء فحملوا عنه. وقال البخاري: يقال كان أمياً. وقال ابن سعد: ثقة فيه ضعف وكان يتشيع. انظر الميزان ٤٠٨/١.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٥/٣، فتح القدير ٢٠٦/٣ عن الزجاج.

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ٩٢/٣، البحر المحيط ٥/٦، عن قتادة ومقاتل فتح القدير للشوكاني ٢٠٨/٣ عن عمرو بن العاص مطولاً وعن الزهري بنحوه.

(٦) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ عن قتادة تفسير الرازي ١١٧/٢٠ الطبري ٧/١٤ روح المعاني ٥/١٥ البحر المحيط ٥/٦ عن أنس فتح القدير ٢٠٦/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ البحر المحيط ٥/٦، الطبري ٧/١٤، روح المعاني ٥/١٥، عن ابن عباس تفسير الرازي ١١٧/٢٠.

برسول الله ﷺ من دار أم هانيء[١] وأراد بالمسجد الحرام مكة ومكة الحرم: كلها مسجد[٢] ﴿**إلى المسجد الأقصى**﴾ يعني بيت المقدس وقيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿**الذي باركنا حوله**﴾ بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين قال مجاهد لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة[٣]: ﴿**لنريه من آياتنا**﴾ يعنى ما رأى في تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس، والأخبار في قصة الإسراء كثيرة نقتصر منها على حديث أنس الذي أجمع الشيخان على صحته، وهو ما:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا عبد الرحيم بن منيب نا عثمان نا همام قال: سمعت قتادة.

وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد المنيعي نا العباس بن الوليد النرسي نا يزيد بن زريع نا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة[٤]:

أخبره: أن رسول الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال قتادة في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فَقَدَّ، وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه قال قتادة: فقلت للجارود[٥] وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته قال: فاستخرج قلبي، وأتيت بطَسْت من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال: فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتي بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء قال فأتيت على آدم ﷺ، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ فقال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتحوا لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء فأتيت على عيسى ويحيى ابني الخالة، فقلت: يا جبريل من هذان؟ قال: عيسى ويحيى، فسلمت عليهما قالا:

---

(١) أم هانيء بنت أبي طالب الهاشمية اسمها فاختة أسلمت يوم الفتح انظر الخلاصة (٤٠٣/٣). التهذيب (٤٨١/١٢).

(٢) اختلف السلف والخلف هل كان إسراء سيدنا رسول الله ﷺ بروحه أو جسده ﷺ، فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق ورؤيا الأنبياء حق. ذهب إلى هذا معاوية وعائشة، وحكي عن الحسن وابن إسحاق، وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾. وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه، ثم أسرى بجسده وعلى هذا تدل الأخبار. وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، ولو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده. ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما قالت له أم هانيء: لا تحدث الناس فيكذبوك. انظر القرطبي ١٣٧/١٠. الخصائص الكبرى للسيوطي ٢٥٢/١ وما بعدها.

(٣) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، الرازي ١١٧/٢٠، بلا نسبة زاد المسير ١٥/٥ روح المعاني ١١/١٥ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٦/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٤) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني. روى عن النبي ﷺ حديث المعراج بطوله. انظر التهذيب ١٧/١٠.

(٥) الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الهذلي أبو نوفل البصري، ويقال الجارود بن سبرة، قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال الدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة عشرين. انظر التهذيب ٥٢/٢ - ٥٣.

مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبي الصالحِ قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: ففتحوا لنا وقالوا: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: فأتيت على يوسف ﷺ، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: ففتحوا لنا، فقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء قال: فأتيت على إدريس ﷺ، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إدريس فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء فأتيت على هارون ﷺ، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء فأتيت على موسى ﷺ، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: فلما جاوزته بكى، فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي ويدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء قال: فأتيت على إبراهيم ﷺ، فقلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا إبراهيم، أو أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، قال ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فحدث نبي الله ﷺ: أن نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفيلة، قال: ورأيت أربعة أنهار يخرجن من أصلها. قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات قال وأتيت بإناءين أحدهما خمر، والآخر لبن فعرضا علي فاخترت اللبن فقيل لي: أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة وأمرت بخمسين صلاة كل يوم أو فرضت علي خمسون صلاة في كل يوم فأقبلت حتى أتيت موسى فقال بما أمرت قلت بخمسين صلاة فقال: إني بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت إلى ربي فحط عني خمساً فأقبلت، حتى أتيت إلى موسى قال، بما أُمرت؟ قلت بخمس وأربعين صلاة كل يوم، فقال: إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فما زلت اختلف بين ربي وبين موسى يحط عني خمساً حتى رجعت بخمس صلوات كل يوم فأتيت على موسى، فقال بما أمرت؟ فقلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: فقلت: لقد رجعت إلى ربي حتى لقد استحييت منه ولكن أرضى وأسلم، قال: فنوديت: أن قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي وجعلت كل حسنة بعشر أمثالها قال: فانتهى حديث أنس بن مالك إلى هذا، رواه البخاري(١) عن هدبة عن همام ورواه مسلم(٢) عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن سعيد كلاهما عن قتادة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٣٤٨ ـ ٣٤٩، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٢٠٧.

(٢) مسلم ١/١٤٥ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٥٩ ـ ١٦٢)، والترمذي ٥/٢٨٠. في التفسير (٣١٣٠).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ نا محمد بن العباس بن أيوب نا المفضل بن غسان الغلائي نا محمد بن كثير نا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث بذلك الناس فارتد ناس ممن كان آمن به وصدق به، وفتنوا بذلك عن دينهم وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس؟ فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم فقال: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق، قالوا: تصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة [واحدة][١] وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحه قالت: فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٢] قوله:

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

﴿وءاتينا موسى الكتاب﴾ ذكر الله في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ بأن أسرى به ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضاً قبله فقال ﴿وءاتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ دللناهم به على الهدى ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ وقرأ أبو عمرو بالياء[٣] لأن المعنى: هديناهم لئلا يتخذوا من دوني وكيلاً، ومن قرأ بالتاء فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة مثل ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿إياك نعبد﴾[٤] قال الزجاج أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رباً[٥] قوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال مجاهد: «هذا نداء، والناس كلهم ذرية نوح، لأن من حمل مع نوح في السفينة كانوا أبناءه وذريته»[٦] ثم أثنى على نوح فقال ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ قال المفسرون[٧] «كان نوح إذا أكل طعاماً أو

---

(١) سقط في أ، ب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٦٠، كتاب معرفة الصحابة وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي والبيهقي في الدلائل ٢/٣٦٠.

(٣) قال أبو حيان: قرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة البحر المحيط (٧/٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٣، القرطبي ١٠/١٤٠.

(٤) سورة الفاتحة آية ٢، ٥.

(٥) انظر زاد المسير ٥/٦.

(٦) تفسير معالم التنزيل ٣/٩٧، زاد المسير، فتح القدير ٣/٢٠٨، القرطبي ١٠/١٤٠، تفسير الرازي ٢٠/١٢٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٩٧، روح المعاني ١٥/١٥ عن سلمان تفسير القرطبي ١٠/١٤٠ تفسير الرازي ٢٠/١٢٣، البحر المحيط ٦/٧ عن قتادة وإبراهيم انظر تفسير الرازي ٢٠/١٢٥ نقلاً عن المصنف.

لبس ثوباً حمد الله فسمي عبداً شكوراً» قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ بالمعاصي وخلاف أحكام التوراة في الأرض يعني أرض مصر ﴿مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ لتتعظمن على الطاعة، ولتبلغن ﴿فإذا جاء وعد أولٰهما﴾ أولى المرتين ﴿بعثنا عليكم﴾ خلينا بينكم وبينهم ﴿عباداً لنا﴾ يعني جالوت وجنوده ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي عدد وقوة في القتال ﴿فجاسوا﴾ فطافوا وترددوا ﴿خلال الديار﴾ والخلال[١]: الانفراج بين الشيئين، قال الزجاج: طافوا خلال الديار [ينظرون][٢] هل بقي أحد لم يقتلوه؟ قال: والجوس: طلب الشيء باستقصاء[٣] ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قال قتادة قضاء الله على القوم كما تسمعون[٤] ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ قال ابن عباس وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان[٥] والكرة معناها الرجعة والدولة ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ وأعطيناكم وأكثرنا أموالكم وأولادكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عدداً وأنصاراً منهم قال أبو عبيدة النفير العدد من الرجال[٦] قوله: ﴿إن أحسنتم﴾ أي وقلنا لهم إن أحسنتم ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ قال ابن عباس إن أطعتم الله، عفا عنك المساوىء[٧] ﴿وإن أسأتم﴾ بالفساد وعصيان الأنبياء ﴿فلها﴾ قال يريد فعلى أنفسكم يقع الوبال[٨] ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد المرة الآخرة من إفسادكم قال المفسرون: فأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام فبعث الله عليهم بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلقه إليه، فسبى، وقتل وخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب[٩] وجواب ﴿فإذا﴾ محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ يقال ساءه يسوؤه أي أحزنه، والمعنى ليدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبيكم وتخريب بلادكم وعديت

---

(١) الخلال جمع الخلل والخلل: منفرج ما بين كل شيئين الصحاح ٤/١٦٨٦. انظر لسان العرب ٢/١٢٤٩ ترتيب القاموس ٢/١٠٠.
(٢) سقط في أ، ب.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٧، فتح القدير ٣/٢٠٩ عن الزجاج.
(٤) انظر زاد المسير ٥/١٠.
(٥) انظر زاد المسير ٥/١٠، روح المعاني ١٥/١٨ بلا نسبة فتح القدير ٣/٢١١.
(٦) تهذيب اللغة ١٥/٢٠٩.
(٧) زاد المسير ٥/١٠، البحر المحيط ٦/١٠ بلا نسبة.
(٨) انظر زاد المسير ٥/١٠.
(٩) ذكر الرازي في تفسيره هذا الكلام نقلاً عن الواحدي ثم قال: التواريخ تشهد بأن بختنصر، كان قبل وقت عيسى عليه الصلاة والسلام ويحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام بسنين متطاولة، ومعلوم أن الملك الذي انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له: قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم. قال القرطبي: اختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة فقيل بختنصر. وقال القشيري أبو نصر: لم يذكر غيره وقال السهيلي: وهذا لا يصح لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى ابن مريم عليهما السلام بزمان طويل وقبل الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحو ثلاثمائة سنة، ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعيباً فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها، وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، فغلط عند أهل السير والأخبار لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيباً وفي عهد أرمياء. قالوا: ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كوسك سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة وثلاثاً وستين سنة.
انظر القرطبي (١٠/١٤٤ ـ ١٤٥).
وانظر تفسير الرازي ٢٠/١٢٧ والبحر المحيط ٦/١٠ ومعالم التنزيل ٣/١٠٦ وفتح القدير ٣/٢١٠.

المساءة إلى الوجوه، والمراد بها أصحابها، لما يبدوا فيها من أثر الحزن والكآبة، وقرأ حمزة ليسوءَ على واحد أي ليسوء الله أو ليسوء البعث وجوهكم، وقرأ الكسائي بالنون[١] كقوله بعثنا وأمددنا، وقوله: ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ يقال تبره أي أهلكه، قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتتنه فقد تبرته[٢] والمعنى ليدمروا ويخربوا ما علوا عليه قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ هذا ما أخبر الله به بني إسرائيل في كتابهم والمعنى: لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم قال ﴿وإن عدتم عدنا﴾ قال الحسن: وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة[٣] قال إبراهيم ثم عادوا فأعاد الله بالعرب [٤] ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عباس وغيره: سجناً ومحبساً [٥] وقال مجاهد: يحصرون فيها [٦] وهذا ابتداء إخبار عن الله في عقاب جميع الكافرين.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي يرشد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات أي أعدلها وأصوبها هي كلمة التوحيد. قال الزجاج يهدي للحال التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، والعمل بطاعته[٧] ﴿ويبشر المؤمنين﴾ بالجنة وهو قوله: ﴿أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي ويبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين فعجل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين، وهو قوله ﴿أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ قوله:

وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ هو أن الإنسان ربما يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له، كما يدعو لنفسه بالخير ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء بالخير.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ علامتين تدلان على قدرة خالقهما ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد، يروي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله عز وجل

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٣. البحر المحيط ٦/١١ القرطبي ١٠/١٤٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/١٠٧، زاد المسير ٥/١٢، روح المعاني ١٥/٢١ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/٤٧، زاد المسير ٥/١٢ كلاهما عن قتادة فتح القدير ٣/٢٠ عن أهل السير.

(٥) انظر روح المعاني ١٥/٢١، فتح القدير ٣/٢١١، زاد المسير ٥/١٢ معالم التنزيل ٣/١٠٧ ، بلا نسبة القرطبي ١٠/١٤٧ بلا نسبة.

(٦) زاد المسير ٥/١٢.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٩، فتح القدير ٣/٢١٠.

جبريل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء[١] ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة يبصر فيها ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يتبين العدد ﴿وكل شيءٍ﴾ مما يحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه تبييناً لا يلتبس معه بغيره قوله ﴿وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال مجاهد عمله من خير وشر[٢] قال السدي: ما كتب له من خير وشر[٣]، وقال الحسن وقتادة: سعادته وشقاوته بعمله[٤]، وقال مجاهد في رواية الحكم: مكتوب في ورقة معلقة في عنقه شقي أم سعيد[٥]، ومعنى الطائر ما طار له من خير أو شر أي صار له عند قسمته[٦] من قولهم أمّرت المال وطيرته من القوم فطار له سهمه، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾[٧] قال الأزهري[٨] والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علم منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من علمه عاصياً، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي ما طار له في علم الله بدءاً، وفي عنقه عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس.

وقد روي في هذه الآية حديث مشروح وهو ما أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن الصباح، نا عبد الله بن عمر نا محمد بن معلى نا عمرو بن صبح عن مقاتل بن حيان عن أبي الزبير عن أبي الطفيل سمعت حذيفه بن أسيد[٩] يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن النطفة التي تخلق منها النسمة، تصير في المرأة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ولا يبقى منها شعر ولا بشر[١٠] ولا عرق ولا عصب إلا دخلت فيه، حتى إنها لتدخل بين الظفر واللحم، فإذا مضى لها أربعون يوماً، وأربعون ليلة، أهبطها الله إلى الرحم، فكانت علقة أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم تكون مضغة أربعين يوماً وأربعين ليلة فإذا تمت لها أربعون، بعث الله إليها ملك الأرحام، فيخلق على يده لحمها ودمها وشعرها وبشرها ثم يقول صور فيقول: يا رب ما

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠، الخازن مع البغوي ١٥١/٤ زاد المسير ١٤/٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٦/٤ بسند واه عن ابن عباس مرفوعاً وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٥، تفسير القرطبي ١٥٠/١٠، روح المعاني ٣١/١٥، عنه وعن ابن عباس معالم التنزيل ١٠٨/٣، فتح القدير ٢١٥/٣ كلاهما عن ابن عباس وتفسير الرازي ١٣٤/٢٠ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر ١٦٧/٤ وعزاه للبيهقي في الشعب.

(٣) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٤) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٤، وعزاه لأبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر تفسير الطبري ٥١/١٤، معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٢/١٥.

(٦) انظر لسان العرب ٢٧٣٦/٤ ترتيب القاموس ١١٦/٣.

(٧) سورة الأعراف ١٣١.

(٨) تهذيب اللغة ١١/١٤.

(٩) حُذَيفة بن أسيد بن خالد أبو سرحة الغفاري. بايع تحت الشجرة ونزل الكوفة وتوفي بها وصلى عليه زيد بن أرقم وكبر عليه أربعاً. انظر أسد الغابة (٤٦٦/١).

(١٠) والبشر جمع بشرة والبشرة: أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان انظر لسان العرب ٢٨٦/١ تاج العروس ٤٤/٣ الصحاح ٥٩٠/٢.

أصور؟ أذكر أم أنثى؟ أجميل أم دميم؟ أجعد[١] أم سبط؟ أقصير أم طويل؟ أبيض أم آدم؟ زائد أم ناقص؟ أسوي أم غير سوي؟ فيكتب من ذلك ما يأمره الله به، ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فإن كان سعيداً نفخ فيه بالسعادة في آخر أجله، وإن كان شقياً نفخ فيه بالشقاوة في آخر أجله ثم يقول: اكتب أثرها ورزقها ومصيبتها وعملها بالطاعة والمعصية فسيكتب من ذلك ما يأمر الله به ثم يقول الملك: يا رب، ما أصنع بهذا الكتاب؟ فيقول: علقه في عنقه إلى قضائي عليه[٢] فذلك قوله عز وجل﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة**﴾ الآية وإلى هذا ذهب مجاهد كما ذكرنا عنه فإذا كان يوم القيامة أظهر له ذلك الكتاب فهو قوله ﴿**ونخرج له يوم القيامة**﴾ وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان، فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك، فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة[٣]، وهو قوله: ﴿**كتاباً يلقاه منشوراً**﴾ كقوله ﴿وإذا الصحف نشرت﴾[٤] وقرأ ابن عامر يلقاه[٥] من قولهم: لقيت فلاناً، أي استقبلته به قال الله تعالى ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾[٦] قوله ﴿**اقرأ كتابك**﴾ أي يقال له: اقرأ والقول ههنا مضمر قال الحسن يقرؤه أمياً كان أو غير أمي[٧] وقال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً [٨] ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ الحسيب المحاسب كالشريك والجليس قال الحسن: عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك[٩] والمعنى أن الإنسان يفوض إليه حسابه ليعلم عدل الله بين العباد ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ثم إن كان مؤمناً دخل الجنة بفضل الله لا بعمله وإن كان كافراً استوجب النار بكفره قوله:

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿**من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**﴾ أي ثواب اهتدائه لنفسه ﴿**ومن ضل فإنما يضل عليها**﴾ على نفسه عقوبة ضلاله ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ قال ابن عباس إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني، وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[١٠] قال الزجاج أي أن الآثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره[١١] ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ قال قتادة: إن الله ليس معذباً أحداً حتى يبين له

(١) الجعد: الذي فيه التواء من الشعر. انظر لسان العرب ٦٣١/١، ترتيب القاموس ٤٩٨/١.
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٤ وعزاه لابن مردويه.
(٣) انظر روح المعاني ٣٢/١٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٨/٤ وعزاه لابن جرير.
(٤) سورة التكوير ١٠.
(٥) انظر النشر ٣٠٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٤/٢ القرطبي ١٥٠/١٠، البحر المحيط ١٥/٦.
(٦) سورة الإنسان ١١.
(٧) انظر القرطبي ١٥٠/١٠ ـ ١٥١، تفسير الرازي ١٣٥/٢٠، الطبري ٥٣/١٥ زاد المسير ١٦/٥.
(٨) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، فتح القدير ٢١٥/٣. الطبري ٥٣/١٥. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٤ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.
(٩) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، الرازي ١٣٥/٢٠.
(١٠) انظر روح المعاني ٣٥/١٥ القرطبي ١٥١/١٠.
(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣١/٣ تفسير الرازي ١٣٧/٢، فتح القدير ٢١٣/٣ كلاهما عن الزجاج.

ما به يعذب[١] وهذه الآية تدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل، ولا يجب شيء على أحد قبل بعث الرسول ﷺ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ قال مجاهد أكثرنا فساقها وهو قول عكرمة، وسعيد بن جبير[٢] يقال: أمر القوم إذا اكثروا، وأمرهم الله أي كثرهم[٣].

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير آمرنا بالمد[٤]، وهي اللغة العالية يقال أمر القوم وأمرهم الله أي أكثرهم ونحو هذا روى خارجة عن نافع، والمترف المنعم الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش والمفسرون يقولون في تفسير المترفين الجبارين والمتسلطين والملوك[٥] وقوله: ﴿ففسقوا فيها﴾ أي تمردوا في كفرهم إذ الفسق في الكفر الخروج إلى أفحشه ﴿فحق عليها﴾ قال ابن عباس: استوجبت العذاب[٦] يعني قوله ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها إهلاك الاستئصال ثم ذكر سنته في إهلاك القرون الماضية، تخويفاً لكفار مكة، فقال ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ الآية قوله:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ يعني الدنيا عجلت فكانت قبل الآخرة ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ أي القدر الذي نشاء نعجل له في الدنيا، لا الذي يشاء هو، ﴿لمن نريد﴾ أن نعجل له[٧] شيئاً قدرناه، وهذا ذم لمن أراد بعمله وطاعته وإسلامه الدنيا ومنفعتها وعروضها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له إن قدر [﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها﴾][٨] ثم يدخل النار في الآخرة: لأنه لم يرد الله تعالى بعمله ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مباعداً من رحمة الله ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ عمل بفرائض الله ﴿وهو مؤمن﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من مصدق ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ يضعف لهم الحسنات ويمحو عنهم السيئات ويرفع لهم الدرجات ﴿كلاً نمد﴾ قال الحسن: كلاً نعطي من الدنيا البر والفاجر[٩] وقال الزجاج أعلم

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٥٤.

(٢) انظر تفسير مجاهد ١/٣٥٩ تفسير الطبري ١٥/٥٦، فتح القدير ٣/٢١٤ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٦٩ عن عكرمة وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر تفسير الرازي ٢٠/١٤٠ نقلاً عن المصنف.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦. إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٥. القرطبي ١٠/١٥٢.

(٥) انظر الطبري ١٥/٥٦، الدر المنثور ٤/١٦٩ ـ ١٧٠، روح المعاني ١٥/٤٣ معالم التنزيل ٣/١٠٩.

(٦) انظر القرطبي ١٠/١٥٣، الرازي ٢٠/١٤٠ بلا نسبة معالم التزيل ٣/١٠٩ بلا نسبة.

(٧) في ب (أن نجعل).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/٦٠.

الله أنه يعطي المسلم والكافر وأنه يرزقهما جميعاً[١] ثم فصل الفريقين فقال: ﴿**هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾ ممنوعاً يقال: حظره يحظره حظراً، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك ﴿**انظر**﴾ يا محمد ﴿**كيف فضلنا بعضهم على بعض**﴾ يعني في الرزق فمن مقل ومن مكثر وموسع عليه ومقتر عليه هذا في الدنيا ﴿**وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً**﴾ من الدنيا قال ابن عباس إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم[٢] وقال قتادة: للمؤمنين في الجنة منازل ولهم فضائل بأعمالهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري أنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون نا شريك عن محمد بن جحادة عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام**»[٣].

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله: ﴿**لا تجعل مع الله إلهاً آخر**﴾ لا تعبد معه غيره، ولا تتخذ دونه إلهاً والخطاب للنبي ﷺ والمعنى عام لجميع المكلفين على نحو ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[٤] ﴿**فتقعد مذموماً مخذولاً**﴾ لا ناصر لك. قوله: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ قال ابن عباس يريد وأمر ربك ليس هو قضاء حكم وهو قول مجاهد والحسن وقتادة[٥] وعامة المفسرين[٦] قال الفراء العرب تقول: تركته يقضي أمور الناس[٧] أي يأمر فيها فينفذ[٨] أمره قال الزجاج وقضى ربك معناه أمر لأنه أمر قاطع حتم[٩] قوله: ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ أي أمر أن تحسنوا بالوالدين.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني أنا أبو عمرو القباب نا

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٣، فتح القدير ٣/٢١٧ عن الزجاج.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/٦١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٠ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٣) في إسناد المصنف أحمد بن عبد الرحمن السقطي، وقد تقدم الكلام عليه والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٤١٩، كتاب صفة الجنة باب في درجات الجنة ونسبه للطبراني في الأوسط، وقال فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف.

(٤) سورة الطلاق آية (١).

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٢١٠، البحر المحيط ٦/٢٥، تفسير القرطبي ١٠/١٥٥، عن ابن عباس وقتادة والحسن، روح المعاني ١٥/٥٤ بلا نسبة فتح القدير ٣/٢١٨ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ٤/١٧١ وعزاه لابن جرير ١٥/٦٢، وابن المنذر وانظر تنوير المقباس ٣/١٣٤.

(٦) المصادر السابقة.

(٧) في أ (الدنيا).

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٠.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٣.

الفضل بن دكين[١] نا أبو معاوية النخعي نا أبو عمرو الشياني حدثني صاحب هذه الدار يعني عبد الله بن مسعود قال: سئل النبي ﷺ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لميقاتها، قيل ثم أي؟ قال: بر الوالدين ولو استزدته لزادني)[٢].

أخبرنا: أبو نصر المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن بطه أنا البغوي نا أحمد بن عيسى المصري نا عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن زيان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (من بر والديه طوبى له وزاد الله في عمره)[٣].

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة[٤] نا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن سليمان عن أسيد بن علي بن عبيد مولى بني ساعدة عن أبيه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما[٥].

وقوله﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ يعني الكبر في السن إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا وقرأ حمزة ﴿يبلغان﴾[٦] قال الفراء: ثنى لأن الوالدين قد ذكرا قبله فصار الفعل على عددهما[٧] ثم قال: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ على الاستئناف ﴿فلا تقل لهما أف﴾ قال ابن عباس يريد بالأف الرديء من الكلام، أن تقول لهما: أماتكما الله أراحني

---

(١) الفضل بن دكين وهو لقب، واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي مولى آل طلحة أبو نعيم الملائي الكوفي الأحول. قال يعقوب بن شيبة: أبو نعيم ثقة ثبت صدوق. وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت ابن معين يقول ما رأيت أثبت من رجلين أبي نعيم وعفان، قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: ما رأيت محدثاً أصدق من أبي نعيم، وقال أبو حاتم سألت علي بن المديني من أوثق أصحاب الثوري، قال: يحيى وعبد الرحمن ووكيع وأبو نعيم، وأبو نعيم من الثقات، وقال ابن عمار أبو نعيم متقن حافظ، إذا روى عن الثقات فحديثه أرجح ما يكون. التهذيب (٨/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٥ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير ٢٧٨٢. ومسلم ١/ ٨٩ كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله أفضل ١٣٧ ـ ٨٥. وأحمد في المسند ١/ ٤١٨، والبيهقي في السنن ٢/ ٢١٥، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٤، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٦٦، والخطيب في التاريخ ٢/ ٤٠١.

(٣) في إسناد المصنف أحمد بن عيسى المصري، روى عن عمرو بن أبي سلمة وعبد الله بن يوسف التنيسي وغيرهما. وعنه الحسين بن إسحاق وابن خزيمة في صحيحه، وأحمد بن رشدين وجماعة. قال ابن عدي: له مناكير، وقال الدارقطني: ليس بالقوي وكذبه ابن طاهر. انظر التهذيب (١/ ٦٥ ـ ٦٦)، انظر الكامل لابن عدي ١/ ١٩١ (٣١ ـ ٣١) لسان الميزان ١/ ٢٠٤ الجرح والتعديل ٢/ ٦٤، وفيه زبَّان بن فائد، قال أحمد: أحاديثه مناكير انظر الضعفاء للعقيلي (٢/ ٩٦). الميزان (٢/ ٦٥). أخرجه الحاكم ٤/ ١٥٤ كتاب البر والصلة، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ١٣٦، وعزاه لأبي يعلى والطبراني، وقال فيه زبَّان بن فائد، وثقه أبو حاتم وضعفه غيره، وبقيه رجال أبي يعلى ثقات. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٢، وابن حجر في المطالب ٢٥٢٠، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٦٣.

(٤) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر أبو الحسن عثمان بن محمد ابن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتي العبسي مولاهم الكوفي، صاحب التصانيف وأخو الحافظ أبي بكر. ولد بُعيَد الستين ومائة سئل عنه أحمد بن حنبل فأثنى عليه وقال: ما علمت إلا خيراً. وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون. مات عثمان في ثالث المحرم سنة تسع وثلاثين ومئتين. انظر السير (١١/ ١٥١).

(٥) أخرجه أبو داود ٤/ ٣٣٦، كتاب الأدب باب بر الوالدين، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٨) كتاب الأدب باب صل من كان أبوك يصل (٣٦٦٤) (٥١٤٢)، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٤، كتاب السير وصححه وأقره الذهبي.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٠٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٩٦ البحر المحيط ٦/ ٢٦.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٠.

الله منكما، وقال مجاهد يبلغان أن يخريا أو يبولا فلا تقل لهما أف، ولا تأذيهما كما لم يكونا يتأذيان به منك[١].

وقال ابن قتيبة: لا تستثقل شيئاً من أمرهما الناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أف لـه أخبرنـا: أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب نا جرير أنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة) رواه مسلم[٢]، عن زهير بن حرب، عن جرير وقوله ﴿ولا تنهرهما﴾ يقال: نهره وانتهره، إذا استقبله بكلام يزجره، قال ابن عباس: يريد الجواب بالغلظة[٣] وقال الزجاج لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما[٤] ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ ليناً لطيفاً أحسن ما تجد من القول ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ ألن لهما جانبك متذللاً لهما من رحمتك إياهما، وشفقتك عليهما[٥] وخفض الجناح من السكون وترك التعصب والإباء عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أي مثل رحمتهما إياي في صغري حتى ربياني وقال قتادة هكذا علمتم، وبهذا أمرتم، فخذوا بتعليم الله وأدبه ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي بما تضمرون من البر والعقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر عقوقاً، غفر الله له ذلك، وهو قوله: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله تعالى ﴿فإنه كان للأوابين﴾ الراجعين عن المعاصي، النادمين على الزلات ﴿غفوراً﴾ يغفر لهم ما بدر منهم ثم حض على صلة القرابة وبر الأقارب فقال:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وآت ذا القربى حقه﴾ قال الحسن هو أن تؤتيهم وإن كان يسيراً[٦] ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ قال ابن مسعود التبذير النفقة في غير حق[٧] قال عثمان بن الأسود[٨] كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه إلى أبي قبيس: فقال لو

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٥٩، تفسير الرازي ٥/١٥١، البحر ٦/٢٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧١ وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه مسلم ٤/١٩٧٨، كتاب البر باب رغم أنف من أدرك أبويه ٩ ـ ٢٥٥١ والترمذي ٣٥٤٥، وأحمد في المسند ٢/٢٤٦، والبخاري في الأدب المفرد (٢١ ـ ٦٤٦). قال أهل اللغة معناه ذل، وقيل: كره وخزي هو بفتح الغين وكسرها وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام هو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، وفيه الحث على بر الوالدين، وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة، وأرغم الله أنفه. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٥٩ بلا نسبة، معالم التنزيل ٣/١١٠ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٤، فتح القدير ٤/٢١٨ عن الزجاج.

(٥) في ب (من شفقتك أيهما).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/٧٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٦ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) انظر تفسير أبي السعود ٢/٣٩٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٧، وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان. هذا وقد اختلف في ذلك الحق ما هو؟ فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه لا يجب الإنفاق إلا على الولد والوالدين، وقال قوم: يجب الإنفاق على المحارم بقدر الحاجة، واتفقوا على أن من لم يكن من المحارم كأبناء العم فلا حق لهم إلا الموادة والزيارة، وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء انظر تفسير الرازي (٢٠/١٥٤ ـ ١٥٥).

(٨) عثمان بن الأسود بن موسى بن باذان المكي قال ابن المديني: سألت يحيى ـ يعني ـ القطان عنه فقال: كان ثقة ثبتاً. وقال أحمد. =

أن رجلاً انفق مثل هذا في طاعة الله، لم يكن من المسرفين، ولو أنفق درهماً واحد في معصية الله كان من المسرفين **﴿إن المبذرين﴾** المنفقين في غير طاعة الله **﴿كانوا إخوان الشياطين﴾** لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، وهو كل من أجاب الشيطان إلى ما سول له، فهو من إخوان الشياطين **﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾** قال ابن عباس جاحداً لأنعمه(١) وهذا يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه فيما أنعم عليه قوله **﴿وإما تعرضن عنهم﴾** عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوي القربى والمساكين وابن السبيل **﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾** انتظار رزق يأتيك من الله والمعنى أن تعرض عن السائل إضاقة وإعساراً **﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** أي عدهم عدة حسنة قاله الفراء ومجاهد والكلبي(٢) وقال ابن زيد: قولاً جميلاً، رزقك الله بارك الله فيك(٣).

ويروى أن رسول الله ﷺ (كان إذا سئل، وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي الله به ويكره الرد، فلما نزلت هذه الآية، كان إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله)(٤) ومعنى الميسور اللين والسهل. قوله:

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ الآية.

روى أبو الأحفص عن عبد الله بن مسعود قال: جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا فقال (ما عندنا اليوم شيء قال: فيقول لك اكسني قميصاً، قال: فخلع قميصه ودفعه إليه وجلس في البيت) فأنزل الله هذه الآية(٥).

والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضه إلى عنقك لا تبسط الخير **﴿ولا تبسطها كل البسط﴾** قال ابن عباس أي في النفقة والعطية كأنه نهي عن بذل جميع ما عنده حتى لا يبقى له شيء(٦) وقال مجاهد:

= وابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به ثقة، قال الميموني عن أحمد مات قبل ابن جريج، وقال الواقدي وغير واحد: مات سنة خمسين ومائة. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: ثقة، التهذيب (١٠٧/٧).

(١) انظر تنوير المقباس ١٣٥/٣، معالم التنزيل ١١٢/٣ بلا نسبة.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٢/٢، تفسير الطبري ٧٥/١٥ معالم التنزيل ١١٢/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٦٣/١٠ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧٥/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٤ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن حجر في الكافي الشاف ٩٩ ونسبه لابن حبان والحاكم عن أنس وإسناده ضعيف. وقال: وفي الطبراني في الأوسط عن علي رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، ولم يقل قط لشيء لا.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في المصدر السابق لم أجده، وهو عند الواحدي في أسباب النزول (٢٩٤).

(٦) أسباب النزول للواحدي ٢٩٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٤ وعزاه لابن جرير الطبري.

يعني التبذير والإنفاق فيما لا يصلح وقوله **﴿فتقعد ملوماً﴾** قال السدي تلوم نفسك وتلام محسوراً[١] قال ابن عباس: ليس عندك شيء[٢] يقال: حسرت الرجل بالمسألة أحسره إذا أفنيت جميع ما عنده **﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء **﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** حيث أجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم، قوله **﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾** مفسر في سورة الأنعام إلى قوله: **﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾** أي إثماً كبيراً، يقال: خطىء يخطأ خطأ أي أثم وقرأ ابن عامر (خطأ) بالفتح[٣] وهو اسم من أخطأ، وقد جاء أخطأ بمعنى خطىء أي أثم وإذا كان كذلك كان خطئاً بمعنى خطأ وقرأ ابن كثير (خطاء) بكسر الخاء ممدوداً[٤]، وهو بعيد لا وجه له قوله **﴿ولا تقربوا الزنى﴾** الآية.

سمعت الأستاذ أبا عثمان الحيري [٥] سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن يعقوب سمعت أبا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا[٦] سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء، وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار[٧].

قوله: **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾** قال المفسرون[٨] حقها الذي تقتل به كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس مؤمنة بتعمد[٩] **﴿ومن قتل مظلوماً﴾** يعني بغير إحدى هذه الخصال **﴿فقد جعلنا لوليه﴾** يعني لوارثه الذي له المطالبة بدمه **﴿سلطاناً﴾** قال مجاهد سلطانه حجته التي جعلت له أن يقتل قاتله[١٠] وقال الضحاك هو أنه

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٧٧.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٥٣٠، ذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه عن ابن عباس ٤/١٧٨ وعزاه لابن المنذر وانظر تنوير المقباس ٣/١٣٧.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٧، البحر المحيط ٦/٣٢، تفسير القرطبي ١٠/١٦٤.

(٤) قال أبو حيان: قرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد، وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش عنهما ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما، وقال النحاس: لا أعرف لهذه القراءة وجهاً، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا، وقال الفارسي: هي مصدر من خاطأ يخاطىء، وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ، وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه. قال الألوسي وخرج على وجهين. انظر البحر المحيط (٦/٣٢) انظر روح المعاني ١٥/٦٧.

(٥) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصـدفي. مولده سنة ثلاثين ومئتين بالري. قال ابن نجيد: سمعته يقول: لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً. قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومئتين وصلى عليه الأمير أبو صالح. انظر السير (١٤/٦٣).

(٦) عثمان بن الخطاب أبو عمرو البلوي المغربي أبو الدنيا الأثج ويقال ابن أبي الدنيا طير طرأ على أهل بغداد، وحدث بقلة حياء بعد الثلثمائة عن علي بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذبه النقاد روى عنه المفيد وغيره. ومات سنة سبع وعشرين وثلثمائة.

(٧) ذكره الحافظ في الكافي الشاف، وقال: أخرجه البيهقي في الشعب في السابع والثلاثين وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي وائل عن حذيفة بلفظ (يا معشر الناس) وفي آخره ثم تلا: **﴿ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾**. انظر الكشاف (٣/٢١١).

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/١١٣، الطبري ١٥/٨٠، تفسير القرطبي ١٠/١٦٥ ـ ١٦٦ روح المعاني ١٥/٦٩، ابن كثير ٥/٧٠، الرازي ٢٠/١٦٠.

(٩) هذا مأخوذ من قوله ﷺ لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٦ كتاب الديات باب قوله تعالى: **﴿إن النفس بالنفس﴾** ومسلم ٣/١٣٠٢ كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم.

(١٠) انظر معالم التنزيل ٣/١١٣.

إن شاء قتل وإن شاء عفا وإن شاء أخذ الدية[١] ﴿فلا يسرف﴾ الولي ﴿في القتل﴾ قال ابن عباس هو أن يقتل غير القاتل[٢] وقال مجاهد هو أن يقتل بالواحد الاثنين والثلاثة[٣] والمعنى فلا يسرف الولي في القتل أي لا يتجاوز ما حد له إنه الولي ﴿كان منصوراً﴾ بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه، وقرأ حمزة (فلا تسرف) بالتاء، على مخاطبة الولي[٤]، وقوله:

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ مفسر في سورة الأنعام، قوله ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال الزجاج: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد[٥] ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ عنه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ أتموه ولا تبخسوا منه شيئاً ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ قال ابن عباس والحسن[٦]: هو القبان[٧] وقال هو بالرومية[٨] وقال الزجاج هو ميزان العدل[٩] أي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها، وفيه لغتان: ضم القاف وكسرها ﴿ذلك خير﴾ قال عطاء أقرب إلى الله وقال قتادة خير ثواباً[١٠] ﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة في الجزاء.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ يقال قفا يقفو قفواً إذا اتبع الأثر، قال الكلبي لا تقل ما ليس لك به علم[١١] وقال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم[١٢] والمعنى لا تقولن في شيء مما لا تعلم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ قال الوالبي عن ابن عباس:

---

(١) انظر معالم التنزيل ٣/١١٣ تفسير ابن كثير ٥/٧٠ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/١١٣ تفسير القرطبي ١٠/١٦٦ عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير ومجاهد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١٨١) عن مجاهد وعزاه لابن أبي حاتم، انظر فتح القدير ١/٢٢٥ بلا نسبة.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨١ عن سعيد بن جبير وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر البحر المحيط ٦/٣٣.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٧.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٨.

(٦) انظر معالم التنزيل ٣/١١٤، البحر المحيط ٦/٣٤ كلاهما عن الحسن، روح المعاني ١٥/٧٢ عن الضحاك وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٢ عن الضحاك وعزاه لابن المنذر.

(٧) القبان: هو الذي يوزن به. انظر لسان العرب ٥/٣٥٢٣. الصحاح ٦/٢١٧٩، ترتيب القاموس ٣/٥٥٦.

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/١١٤ عن مجاهد، روح المعاني ١٥/٧٢، فتح القدير ٣/٢٢٦ بلا نسبة، تفسير مجاهد ١/٣٦٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣٨، تفسير القرطبي ١٠/١٦٧، فتح القدير ٣/٢٢٦ كلاهما عن الزجاج.

(١٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٢ عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٥/٨٦ القرطبي ١٠/١٦٧، معالم التنزيل ٣/١١٤، روح المعاني ١٥/٧٣، تفسير الرازي ٢٠/١٦٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٢، وزاد نسبته لابن المنذر.

يسأل الله العباد فيم استعملوها[١] في هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز قوله ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح شدة الفرح قال ابن عباس يريد بالكبرياء والعظمة[٢] وقال الزجاج ولا تمش في الأرض مختالاً فخوراً ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ الخرق الشق يقال خرق ثوبه إذا شقه قال ابن عباس لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ بعظمتك وإنما أنت مخلوق عبد ذليل والمعنى: أنك لا تقدر أن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطول الجبال فلا تستحق الكبر والبذخ ﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه ﴿كان سيئه﴾ قرىء بالإضافة والتنوين[٣] قال الزجاج والإضافة أحسن لأن فيما تقدم من الآيات سيئاً وحسناً، سيئه هو المكروه ويقوى ذلك التذكير في المكروه[٤] ومن قرأ بالتنوين جعل كلا إحاطة بالمنهي عنه دون الحسن المعنى: كل ما نهى الله عنه كان سيئه فكان مكروهاً والمكروه على هذه القراءة بدل من السيئة، وليس بنعت قوله:

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾

﴿ذلك مما أوحى إليك ربك﴾ يعني ما تقدم ذكره من الفرائض والسنن ﴿من الحكمة﴾ من القرآن ومواعظه ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين كأنه قال: ولا تجعل أيها الإنسان، ثم خاطب المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله منكراً عليهم فقال:

أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ يقال: أصفاه بالشيء إذا آثره به قال أبو عبيدة أفأصفاكم خصكم[٥] وقال المفضل أخلصكم وهذا توبيخ للكفار يقال اختار لكم ربكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينه وبينكم فاختصكم بالأجل وجعل لنفسه الأدون؟ ﴿إنكم لتقولون﴾ بهذا الزعم الباطل ﴿قولاً عظيماً﴾ يعظم خطؤه وإثمه قوله ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، مما يوجب الاعتبار به، ومعنى التصريف ههنا التبيين لأنه إنما يصرف القول ليبين، وقوله: ﴿ليذكروا﴾ ليتعظوا ويتدبروه بعقولهم، ويتفكروا فيه، وقراءة حمزة بالتخفيف[٦] بهذا المعنى كقوله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾[٧] وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ قال ابن عباس ينفرون من الحق ويتعبون الباطل[٨]

---

(١) انظر الدر المنثور ٤/١٨٢ بنحوه.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/١١٤ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/١٦٩ بلا نسبة.

(٣) انظر النشر ٢/٣٠٧ الإتحاف ٢/١٩٧ تفسير القرطبي ١٠/١٠٧.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٠.

(٥) انظر مجاز القرآن ١/٣٨٠.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٨.

(٧) سورة البقرة ٦٣.

(٨) انظر تنوير المقباس ٣/١٤١.

والمعنى: وما يزيدهم تصريف الآيات إلا نفوراً، كقوله ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾[(١)] وذلك أنهم اعتقدوا أن القرآن شبه[(٢)] وحيل فنفروا منها أشد النفور، قوله ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وقرأ ابن كثير بالياء[(٣)] على معنى كما يقول المشركون من إثبات الآلهة ﴿إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ إذا لابتغت الآلهة أن تزيل ملك صاحب العرش والمعنى لابتغوا سبيلاً إلى ممانعته ومضادته وهذا قول الحسن والكلبي وسعيد بن جبير[(٤)] ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى﴾ الآية ثم ذكر أن كل ما خلق الله مسبح له فقال ﴿تسبح له السمٰوات السبع﴾ [الآية][(٥)] المراد بالتسبيح ههنا الدلالة على أن الله عز وجل خالق حكيم مبرأ من الأسوأ، والمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله خالقها كما قال ابن عباس في قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي يخشع ويخضع[(٦)] قوله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ مخاطبة للكفار لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون، قوله:

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ

---

(١) سورة فاطر آية ٤٢.

(٢) في ب (سفه).

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٨، تفسير القرطبي ١٠/١٧٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠/١٧٢ عن سعيد بن جبير، وذكره السيوطي في الدر عنه ٤/١٨٣، وعزاه لابن أبي حاتم، انظر روح المعاني ١٥/٨٢.

(٥) سقط في أ، ب.

(٦) انظر زاد المسير ٥/٤٠ وقد اختلف في قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ هل هذا العموم مخصص أم لا؟ فقالت فرقة: ليس مخصوصاً، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه. وأجيبوا بأن المراد بقوله: ﴿لا تفقهون﴾ الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء. وقالت فرقة: قوله ﴿من شيء﴾ عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، وليس ذلك في الجمادات. ومن هذا قول عكرمة: الشجرة تسبح. وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام، وقد قدم الخوان: أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد؟ فقال: قد كان يسبح مرة يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح، وأما الآن فقد صار خوانا مدهوناً. انظر القرطبي ١٠/١٧٣، وانظر البحر المحيط ٦/٤٠.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب[١]، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن فكانوا يأتونه ويمرون به، ولا يرونه[٢].

أخبرنا: محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي نا سفيان عن الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء قالت: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾[٣]، جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يدها فهر[٤] وهي تقول: مذمماً أبينا، ودينه قلينا[٥]، وأمره عصينا ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً اعتصم به **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾** قال، فجاءت، حتى قامت على أبي بكر، ولم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها رواه الحاكم في صحيحه[٦] عن الصبغي عن بشر بن موسى عن الحميدي عن سفيان.

وقوله: **﴿حجاباً مستوراً﴾** قال الأخفش أراد ساتراً والفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: إنه لمشئوم وميمون، وإنما هو شائم ويامن[٧] فقال غيره حجاباً مستوراً عن الأعين لا يبصر إنما هو قدرة من قدرة الله تعالى حجب النبي ﷺ عن أعين أعدائه [حجاب][٨] لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ[٩] ثم ذكر أن الله منعهم من فهم القرآن بقوله: **﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾** وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام، وقوله **﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾** يعني قلت لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾ قال ابن عباس كارهين أن يوحدوا الله[١٠] وقال قتادة إن

---

(١) أم جميل بنت حرب بن أمية شاعرة. انظر جمهرة أنساب العرب ٧٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ عن الزجاج وغيره الرازي ١٧٧/٢٠ الدر المنثور ١٨٦/٤.

(٣) سورة المسد آية (١).

(٤) الفهر: هو الحجر ملء الكف انظر لسان العرب ٣٤٧٩/٥. الصحاح ٨٧٤/٢، ترتيب القاموس ٥٣٠/٣.

(٥) قليته قلى وقلاءً ومقلية: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته انظر لسان العرب ٣٧٣١/٥، الصحاح ٢٤٦٦/٦، ترتيب القاموس ٦٨٥/٣.

(٦) الحاكم ٣٦١/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٦/٤، وعزاه لأبي يعلى، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل. وانظر معالم التنزيل ١١٧/٣، البحر المحيط ٤٢/٦، القرطبي ١٧٤/١٠، تفسير الرازي ١٧٦/٢٠ ـ ١٧٧ فتح القدير ٢٣٣/٣.

(٧) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ عن الأخفش وجماعة تفسير الرازي ١٧٧/٢٠ عنه فتح القدير ٢٣١/٣ عن الأخفش روح المعاني ٨٧/١٥ بلا نسبة.

(٨) سقط في ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ٩٤/١٥، البحر المحيط ٤٢/٦، فتح القدير ٢٣/١، روح المعاني ٨٧/١٥.

(١٠) انظر زاد المسير ٤١/٥.

النبي ﷺ لما قال: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم[1] والمعنى: انصرفوا هاربين عنك كراهية لما يسمعونه من توحيد الله قوله: ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به**﴾ قال المفسرون[2] أمر رسول الله ﷺ أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك عليّ، ودخل عليهم رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، فكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحر، وهو مسحور، فأخبر الله نبيه بذلك، وأنزل عليه نحن أعلم بما يستمعون أي يستمعونه والباء زائدة أخبر الله أنه عالم بتلك الحالة وبذلك الذي كانوا يستمعونه، إذ يستمعون إلى الرسول، ﴿**وإذ هم نجوى**﴾ قال ابن عباس يتناجون فيما بينهم بالتكذيب والاستهزاء[3] ﴿**إذ يقول الظالمون**﴾ يعني أولئك المشركون ﴿**إن تتبعون**﴾ ما تتبعون ﴿**إلا رجلاً مسحوراً**﴾ مخدوعاً والمسحور الذي قد سحر، فاختلط عليه أمره قال ابن الأعرابي: المسحور الذاهب العقل المفسد [أمره][4] ﴿**وانظر كيف ضربوا لك الأمثال**﴾ بينوا لك الأشياء حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلم والمجنون ﴿**فضلوا**﴾ عن الحق ﴿**فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ مخرجاً عن الضلال إلى الهدى، ثم ذكر إنكارهم البعث بقوله: ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً**﴾ قال الفراء[5]: الرفات التراب لا واحد له، وهو مثل الرقاق، والحطام[6] والرفت كسر الشيء بيدك، مثل المدر والعظم البالي وما كسر فهو رفات، مثل الفتات قال ابن عباس رضي الله عنه: أي إذا ذهب اللحم والعروق، وبقيت عظام قد بليت فإذا مسكته بين أصبعيك انسحق [فهو[7] رفات][8] ﴿**ءَإنا لمبعوثون خلقاً جديداً**﴾ أي أنبعث إذا صرنا تراباً؟ وهذا استفهام إنكار وتعجب قال الله تعالى: ﴿**قل كونوا حجارةً أو حديداً**﴾ قال الزجاج[9] إنهم كانوا يقرون أن الله خالقهم وينكرون أنه يعيدهم فقيل لهم استشعروا انكم لو خلقتم من حجارة أو حديد ﴿**أو خلقاً مما يكبر في صدوركم**﴾ الأكثرون قالوا: يعني الموت وليس أكبر في صدور بني آدم من الموت يقول: لو كنتم الموت، لأماتكم الله، ثم أحياكم لأن القدرة التي بها أنشأكم، بها يعيدكم هذا معنى قوله ﴿**فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة**﴾ وقال مجاهد: ما شئتم فكونوا حجارةً أو حديداً أو سماء، أو أرضاً، أو جبلاً، سيعيدكم الله كما كنتم[10] وقوله ﴿**فيسنغضون**﴾ يقال: أنغض رأسه ينغضه إنغاضاً، إذا حركه والمعنى يحركون رؤوسهم تكذيباً لهذا القول واستبعاداً له ﴿**ويقولون متى هو**﴾ أي البعث والإعادة ﴿**قل عسى أن يكون قريباً**﴾ يعني هو قريب، وعسى من الله واجب ثم ذكر أنه متى يكون، فقال: ﴿**يوم يدعوكم**﴾ أي بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة كما قال ﴿**يوم ينادي المناد من مكان قريب**﴾[11]

---

(١) انظر زاد المسير ٥/٤١، تفسير القرطبي ١٠/١٧٦ بلا نسبة.

(٢) انظر الطبري ١٥/٩٦ زاد المسير ١٥/٤١ القرطبي ١٠/١٧٦ ١٧٧، البحر المحيط ٦/٤٣ ـ ٤٤، الخازن مع البغوي ٤/١٦٣، تفسير الرازي ٢٠/١٧٨.

(٣) انظر فتح القدير ٣/٢٣١ بلا نسبة.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٥ تفسير القرطبي ١٠/١٧٧.

(٦) الحطام ما تكسر من الشيء اليابس انظر لسان العرب ٢/٩١٦، الصحاح ٥/١٩٠٠ ترتيب القاموس ١/٦٦٦.

(٧) انظر زاد المسير ٥/٤٤، فتح القدير ٣/٢٣٤.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٤، وانظر ابن كثير ٥/٨٢، معالم التنزيل ٣/١١٨، تفسير القرطبي ١٠/١٧٨، البحر المحيط ٦/٤٦. تفسيرالرازي ٢٠/١٨٠، فتح القدير ٣/٢٣٤.

(١٠) انظر البحر المحيط ٦/٤٦، تفسير الرازي ٢٠/١٨٠، تفسير القرطبي ١٠/١٧٨، ابن كثير ٥/٨٢ بلا نسبة، فتح القدير ٣/٢٣٤ بلا نسبة.

(١١) سورة ق آية ٤١.

﴿فتستجيبون﴾ تجيبون ﴿بحمده﴾ قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم، ويقولون: سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد[١] ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ وتعلمون ما لبثتم في الدنيا إلا قليلاً قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم مع ما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة[٢] ومن المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يستجيبون الله بحمده يحمدونه على إحسانه إليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لأنهم كانوا غير معذبين [٣] وقوله ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ قال الكلبي كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم: إني لم أومر فيهم بشيء فأنزل الله هذه الآية[٤] والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن قال الحسن يقولون له: يهديك الله[٥] ﴿إن الشيطان﴾ هو الذي يفسد بينهم لأنه عدو للإنسان ظاهر العداوة ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ بالإنجاء من كفار مكة وينصركم عليهم ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بتسليطهم عليكم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ حافظاً وكفيلاً أي وما وكل إليهم إيمانهم إن شاء هداهم وإن شاء خذلهم ﴿وربك أعلم بمن في السمٰوات والأرض﴾ قال ابن عباس لأنه خلقهم فهدى بعضهم وأضل بعضهم على علم منه بهم وكذلك تفضيل النبيين بعضهم على بعض كان عن حكمة وعلم، وهو قوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعضٍ﴾ قال قتادة: اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً [وغفر لمحمد ﷺ «ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٦]. وقوله ﴿وآتينا داود زبوراً﴾][٧] قال الزجاج: أي فلا تنكروا تفضيل محمد ﷺ وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور[٨] وقال قتادة «كنا نحدث أنه تحميد وتمجيد لله ليس فيه حلال ولاحرام ولا فرائض ولا حدود»[٩]

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

قوله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ الآية قال المفسرون،:[١٠] ابتلى الله قريشاً وأهل مكة بالقحط سنين فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتم كذباً أنهم آلهة، ثم أخبر عن الآلهة فقال ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ يعني البؤس والشدة ﴿ولا تحويلاً﴾ التحويل النقل من حال إلى حال ومن

---

(١) انظر البحر الميحط ٦/٤٧، تفسير القرطبي ١٠/١٧٩، الرازي ٢٠/١٨١، وذكره السيوطي في الدر ٤/١٨٨ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر فتح القدير ٣/٢٣٥ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/١١٩، عن قتادة البحر المحيط ٦/٤٧، تفسير القرطبي ١٠/١٧٩ روح المعاني ١٥/٩٤، عن قتادة، تفسير الرازي ٢٠/١٨٢، عن الحسن وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١١٨، عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/٤٨، فتح القدير ٣/٣٣٥.

(٤) انظر معالم التنزيل ٣/١١٩. تفسير القرطبي ١٠/١٨٠.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/١٣، البحر المحيط ٦/٤٩، القرطبي ١٠/١٨٠.

(٦) انظر الطبري ١٥/١٠٣، معالم التنزيل ٣/١٢٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٨ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٧) سقط في جـ.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٥.

(٩) معالم التنزيل ٣/١٢٠ بلا نسبة، القرطبي ١٠/١٨١ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١١٨، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١٠) انظر زاد المسير ٥/٤٩، معالم التنزيل ٣/١٢٠، القرطبي ١٠/١٨١ الخازن مع البغوي ٤/١٦٤، روح المعاني ١٥/٩٨.

مكان إلى مكان. قال ابن عباس[١]: «يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى» وفي هذا احتجاج عليهم أنهم في عبادتهم على الباطل قال ابن عباس[٢] في رواية عطاء ثم ذكر أولياءه فقال: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ قال: يتضرعون إلى الله في طلب الجنة والوسيلة الدرجة العليا وقد تكون الوسيلة القربة إلى الله تعالى وما يقربك من رحمته ذكرنا ذلك في قوله ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [٣] قال الزجاج: «المعنى يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله [أي يتقرب إليه] [٤] بالعمل الصالح» [٥]، قال ابن عباس «يتقربون إلى الله بصالح الأعمال فيرجون رحمته، ويريدون جنته، ويخافون عذابه[٦] ﴿**إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾ يحذره المؤمنون المتقون فيطيعون الله خوفاً منه.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

قوله ﴿**وإن من قرية إلا نحن مهلكوها**﴾ قال ابن مسعود: «إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية، أذن الله في إهلاكها»[٧] وقال مقاتل أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب[٨] وقال الزجاج أي ما من أهل قرية إلا وسيهلك إما بموت أو بعذاب يستأصلهم [٩] ﴿**كان ذلك في الكتاب مسطوراً**﴾ قال قتادة قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد[١٠] قوله: ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات**﴾ قال المفسرون سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فأتاه جبريل، فقال إن شئت، كان ما سأل قومك ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا وإن شئت استأنيت بهم، قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية[١١] وتقدير الكلام: وما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ويعني أنهم سألوا الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها، والمعنى: أنا لم نرسل بالآيات، لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة، وسنة الله في الأمم، إذا سألوا الآيات فأتتهم ثم لم يؤمنوا، أن يعذبهم، ولا يمهلهم، وقوله ﴿**وآتينا ثمود الناقة مبصرة**﴾ قال قتادة بينة[١٢]،

---

(١) القرطبي ١٠/١٨١ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٩٨ بلا نسبة.
(٢) القرطبي ١٠/١٨١ بلا نسبة.
(٣) سورة المائدة آية ٣٥.
(٤) سقط في أ.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٦.
(٦) انظر زاد المسير ٥/٥٠.
(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير القرطبي ١٠/١٨٢.
(٨) انظر معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير الرازي ٢٠/١٨٦.
(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٧.
(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، روح المعاني ١٥/١٠٢ بلا نسبة.
(١١) أخرجه أحمد في المسند من حديث ابن عباس ١/٢٨٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٥٣، وعزاه لأحمد والنسائي، وقال هذان إسنادان جيدان، وانظر تفسير الطبري ١٥/١٠٨ أسباب النزول للمصنف (٢٩٥).
(١٢) معالم التنزيل ٣/١٢١ بلا نسبة.

والمبصرة البينة، أراد آية مبصرة أي مضيئة. وهذا كقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾(١) وقوله ﴿فظلموا بها﴾ أي ظلموا أنفسهم بتكذيبها، وقد يكون الظلم الجحد كقوله ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾(٢) أي يجحدون ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي العبر والدلالات ﴿إلا تخويفاً﴾ للعباد ليتعظوا ويخافوا (٣) . قوله ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي فهم في قبضته وهو محيط بهم بالعلم والقدرة قال قتادة يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك (٤) وقال الحسن حال بينهم وبين أن يقتلوك كما قال ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (٥) .وقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ يعني ما أراه الله ليلة الإسراء، وكانت رؤيا يقظة، لا رؤيا منام، وهذا قول سعيد بن جبير وأبي مالك والسدي ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وابن زيد وابن عباس في رواية عكرمة(٦)، قال هي رؤيا عين، أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس وذلك أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، فأنكروا وكذبوا وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً، وكانت تلك الرؤيا فتنة للناس،(٧)؛ وقوله ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ هذا على التقديم والتأخير، والتقدير: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، وهي شجرة الزقوم، وكانت الفتنة فيها ما قال قتادة خوف الله تعالى بها عباده ففتنوا بذلك حتى قال أبو جهل: زعم صاحبكم أن في النار شجراً، والنار تأكل الشجر(٨) وقال ابن الزبعرى(٩) ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد(١٠) قال الزجاج والعرب تقول لكل طعام مكروه وضار:

---

(١) سورة الإسراء آية ١٢.

(٢) سورة الأعراف آية ٩.

(٣) وفي المقصود بهذه الآية خمسة أقوال: العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي الثالث: انها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهل، ثم إلى مشيب لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه. الرابع: القرآن. الخامس: الموت الذريع قاله الحسن. انظر القرطبي ١٠/١٨٣، انظر البحر المحيط ٦/٥٣.

(٤) انظر الطبري ١٥/١١٠، القرطبي ١٠/١٨٣.

(٥) سورة المائدة ٦٧، انظر القرطبي ١٠/١٨٣، البحر المحيط ٦/٥٤، تفسير الرازي ٢٠/١٨٨.

(٦) انظر معالم التنزيل ٣/١٢١، البحر المحيط ٦/٥٤، القرطبي ١٠/١٨٣، الرازي ٢٠/١٨٨.

(٧) في هذه الرؤيا أقوال: القول الأول: أن الله أرى محمداً في المنام مصارع كفار قريش فحين ورد ماء بدر قال: «والله كأني أنظر إلى مصارع القوم». القول الثاني: أن المراد رؤياه التي رآها أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم. فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) الفتح (٢٧) اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدنيتان، وهذا السؤال ضعيف لأن هاتين الواقعتين مدنيتان أما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة. والقول الثالث: قال سعيد بن المسيب رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والإشكال المذكور عائد فيه، لأن هذه الآية مكية وما كان لرسول الله ﷺ بمكة منبر، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أن له بالمدينة منبراً يتداوله بنو أمية. والقول الرابع: وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء، وهذا ما ذكره المصنف واختلفوا في معنى هذه الرؤيا فقال الأكثرون لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال (رأيت بعيني رؤية ورؤيا) الرازي (٢٠(١٨٨).

(٨) انظر تفسير البغوي ٣/١٢٢، القرطبي ١٠/١٨٤، روح المعاني ١٥/١٠٦، البحر المحيط ٦/٥٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩١ بنحوه وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه، وذكره البيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٩) عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبياتاً فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة. انظر الأعلام (٤/٨٧).

(١٠) انظر زاد المسير ٥/٥٥، البغوي ٣/١٢٢، القرطبي ١٠/١٨٤.

ملعون[١] يدل على هذا ما روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الشجرة المذمومة»[٢] ومعنى في القرآن أي التي ذكرت في القرآن.

أخبرنا: إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين الطبري أنا جدي محمد بن الحسين أنا محمد بن حمدويه المروزي نا محمود بن آدم نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك**﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم رواه البخاري[٣] عن ابن المديني عن سفيان ورواه الحاكم[٤] عن محمد بن علي الصنعاني عن الدبري عن عبد الرزاق عن سفيان وقوله ﴿**ونخوفهم**﴾ أي بالآيات والدلالات ﴿**فما يزيدهم**﴾ التخويف ﴿**إلا طغياناً كبيراً**﴾ لأنهم لا يرجعون عن غيّهم. قوله:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ الآية مفسرة فيما تقدم إلى قوله: ﴿**ءَأسجد لمن خلقت طيناً**﴾ قال الزجاج المعنى لمن خلقته طيناً وهو منصوب على الحال[٥]، والمعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين، واعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلاً من الطين، وأنه أكرم ممن خلق من الطين، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد وأن الله عز وجل يصرفها بالإعراض كيف شاء، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع ﴿**قال**﴾ إبليس ﴿**أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ**﴾ أي أرأيت هذا الذي فضلته علي يعني آدم، والكاف في أرأيتك لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخاطبة توكيداً ﴿**لئن أخرتن إلى يوم القيامة**﴾ أي أخرت أجل موتي ﴿**لأحتنكن ذريته**﴾ لأستأصلنهم ولأستولين عليهم بالإغواء والإضلال وأصله من احتناك الجراد الزرع وهو أن تأكله وتستأصله بأحناكها وتفسده وهذا هو الأصل، ثم يسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكاً، وقوله ﴿**إلا قليلاً**﴾ يعني المعصومين قال ابن عباس هم أولياء الله الذين عصمهم، وهم الذين استثنى الله في قوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[٦] قال الله تعالى لإبليس ﴿**اذهب**﴾ وهذا اللفظ يتضمن معنى إنظاره وتأخير أجله ﴿**فمن تبعك**﴾ أي أطاعك واتبع أمرك ﴿**منهم**﴾ من: ذرية آدم

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٨.
(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/١١٣.
(٣) ٨/٢٥٠ كتاب التفسير باب ٩ (٤٧١٦)، والترمذي ٥/٢٨٢ كتاب التفسير ٣١٣٤ وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ١/٢٢١.
(٤) ٢/٣٦٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٩، روح المعاني ١٥/١٠٩.
(٦) سورة الإسراء آية ٦٥، وانظر معالم التنزيل ٣/١٢٢ بلا نسبة، القرطبي ١٠/١٨٦ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/١١٠ بلا نسبة.

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ قال الزجاج[١] موفراً، يقال وفرته، أفره، وفراً وهو موفور، وأنشد لزهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عرضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لاَ يَتقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ [٢]

﴿واستفزز﴾ أي أزعج واستخفف ﴿من استطعت﴾ من بني آدم يقال: أفزه واستفزه أي أزعجه واستخفه[٣]، ومعنى الأمر ههنا: التهديد كما يقال للإنسان: اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله: ﴿بصوتك﴾ قال مجاهد وعكرمة يعني الغناء والمزامير[٤] وقال الوالبي عن ابن عباس صوته دعاء كل داع إلى معصية الله[٥]، وقال عطاء عنه: كل متكلم في غير ذات الله فهو صوت الشيطان وقوله: ﴿وأجلب عليهم﴾ يقال: أجلبوا وجلبوا إذا صاحوا يقول: صح بخيلك ورجلك واحشهم عليهم بالإغواء[٦] وقال الزجاج: يقال: أجلب على العدو إجلاباً، إذا جمع عليه الخيول[٧] والمعنى على هذا أجمع عليهم كل ما تقدر من مكايدك، ويكون الباء في بخيلك زائدة على هذا القول، وكل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده، والرجل جمع راجل وقرأ حفص بكسر الجيم[٨]، قال أبو زيد يقال: رجل ورجل بمعنى راجل[٩] وقوله: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وهي كل ما أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا قال قتادة أما في الأموال فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة، وأما في أولادهم فإنهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم[١٠] وقوله ﴿وعدهم﴾ قال الفراء أي قل لهم لا جنة ولا نار[١١] وقال الزجاج: وعدهم بأنهم لا يبعثون[١٢] قال الله: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال ابن عباس إن أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك[١٣] وقال قتادة: عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون[١٤] ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس قوله:

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٩.

(٢) انظر شرح المعلقات العشر للتبريزي (١٥٢) شرح القصائد التسع لابن النحاس ١/٣٥٢. وقوله: يفره أي يتمه ولا ينقصه، يقال وفرته أفره وفارة ووفرا وفرة. وانظر البيت في روح المعاني (١٥/١١٠)، البحر المحيط (٦/٥٥) تفسير الرازي (٢١/٥).

(٣) انظر لسان العرب ٥/٣٤٠٩، ترتيب القاموس ٣/٤٨٧.

(٤) انظر الطبري ١٥/١١٨، البغوي ٣/١٢٨ عن مجاهد، القرطبي ١٠/١٨٧ عن مجاهد روح المعاني ١٥/١١١ عن مجاهد، البحر المحيط ٦/٥٨ عن مجاهد، تفسير الرازي ٢١/٦ بلا نسبة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٢ عن مجاهد، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١١٨، معالم التنزيل ٣/١٢٣ عن ابن عباس وقتادة تفسير القرطبي ١٠/١٨٧، روح المعاني ١٥/١١١ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/٦ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٥٨ وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) انظر ترتيب القاموس ١/٥٠٩.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٠، تفسير الرازي ٢١/٦ عن الزجاج.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٨. إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠١، البحر المحيط ٦/٥٩، تفسير القرطبي ١٠/١٨٧، معالم التنزيل ٣/١٢٣، الرازي ٢١/٦.

(٩) انظر زاد المسير ٥/٥٨، القرطبي ١٠/١٨٧ بلا نسبة.

(١٠) انظر زاد المسير ٥/٥٨، تفسير البغوي ٣/١٢٣ عن الحسن وقتادة، القرطبي ١٠/١٨٧، الرازي ٢١/٦.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٧.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٠.

(١٣) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٨٨ بنحوه.

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٥/١٢٢.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿ربكم الذي يزجي﴾ أي يسوق ويسير حالاً بعد حال ﴿لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ في طلب التجارة ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ قال ابن عباس يريد بأوليائه وأهل طاعته، وهذا الخطاب خاص للمؤمنين ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني خوف الغرق ﴿في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ أي زال وبطل من تدعون من الآلهة إلا الله تعالى قال ابن عباس نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم، وأخلصتم لله[1] ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق والبحر ﴿إلى البر أعرضتم﴾ عن الإيمان والإخلاص ﴿وكان الإنسان﴾ يعني الكافر ﴿كفوراً﴾ لنعمة ربه، ثم بين أنه قادر أن يهلكهم في البر، فقال: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ أي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر، وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض، أي غاب به فيها، أخبر الله تعالى أنه كما قدر أن يغيبهم في الماء قادر أن يغيبهم في الأرض، وقوله ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ عذاباً يحصبكم أي يرميكم بالحجارة والحصب الرمي، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء حاصب ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ قال قتادة: مانعاً ولا ناصراً[2] ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة﴾ مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً﴾ كاسراً ﴿من الريح﴾ والقصف الكسر بشدة، وأراد ههنا ريحاً شديدة تقصف الفلك، وهو قوله: ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم، حيث سلمتم، ونجوتم في المرة الأولى ويقرأ قوله: ﴿أن يخسف﴾ وأخواته من الأفعال بالياء والنون[3] والمعنى واحد، وكل حسن وتؤكد النون قوله: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ قال الزجاج: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم[4] وهذا معنى قول المفسرين لا برًّا ولا ناصراً، وتبع بمعنى تابع قوله:

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ قال ابن عباس فضلنا كقوله ﴿هذا الذي كرمت علي﴾ والمعنى: فضلناهم بالعقل والنطق والتمييز[5]، وقال عطاء بامتداد القامة[6] وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ليس من دابة إلا وهي

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥/٩٣.

(٢) البغوي ٣/١٢٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٣، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٢، البحر المحيط ٦/٦١.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٢٥، البغوي ١/١٢٥، زاد المسير ٥/٦٢، القرطبي ١٠/١٩٠ بلا نسبة، البحر المحيط ٦/٦١، روح المعاني ١٥/١١٧.

(٦) انظر زاد المسير ٥/٦٣، البغوي ٣/١٢٥، القرطبي ١٠/١٩٠، البحر المحيط ٦/٦١، روح المعاني ١٥/١١٧.

تأكل بفيها إلا ابن آدم، فإنه يأكل بيديه[١] وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: قال «الكرامة الأكل بالأصابع»[٢] ﴿**وحملناهم في البر**﴾ على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ يعني الثمار والحبوب والمواشي والسمن والزبد والحلاوى ﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ قال السدي فضلوا على البهائم والدواب والوحوش وهم الكثير[٣].

أخبرنا الحسين بن محمد بن زكريا الجوهري أنا أبو عمرو بن نجيد نا محمد بن أيوب نا محمد بن سنان العوقي نا عبد الله بن عمر نا سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال (من رأى رجلاً به بلاء قد عوفي منه فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاني به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فقد أدى شكر ذلك البلاء[٤]) قوله: ﴿**ويوم ندعوا كل أناسٍ**﴾ قال الزجاج: يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على معنى اذكر يوم ندعو[٥]. وقوله: ﴿**بإمامهم**﴾ قال مجاهد وقتادة: نبيهم[٦]. ويكون المعنى على هذا: أن ينادى يوم القيامة فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى وعيسى هاتوا متبعي محمد عليهم السلام فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء، فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال: هاتوا متبعي الشيطان، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إمام هدى أو إمام ضلالة[٧] ونحو هذا.

روى الوالبي قال: بأئمتهم في الخير والشر[٨] وقال الضحاك وابن زيد يعني في كتابهم الذي أنزل عليهم[٩]. والمعنى على هذا أن يقال: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمويه نا عبد الله بن عمر بن علي الجوهري نا جعفر بن شعيب الشاشي نا محمد بن يوسف نا أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعيد عن أبي الزبير نا جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (إذا كان يوم القيامة، وجمعت الأمم، فيقال: من هذه الأمة؟ ويتشرف إليها الناس فيقال: هذا محمد في أمته، فينادي المنادي ليكن الآخرون هم الأولين فتأتي فتتخطى رقاب الناس حتى تكون أقرب الناس من الله منزلة، ثم يدعى اليهود فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن اليهود فيقال: ما كتابكم؟ فيقولون: التوراة فيقال: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا موسى فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيراً، ونعبد الله فيقال: اسلكوا بهولاء في جهنم ويدعى النصارى فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن النصارى، فيقال لهم: ما كتابكم؟ فيقولون: الإنجيل، فيقال لهم: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا عيسى ابن مريم، فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عيسى وأمه والله، فيقال: اسلكوا بهؤلاء في

---

(١) انظر الطبري ١٢٦/١٥، البغوي ١٢٥/٣، زاد المسير ٦٣/٥، القرطبي ١٩٠/١٠ البحر المحيط ٦١/٦.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٣، وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٢٥/١٥، تفسير القرطبي ١٩١/١٠ بلا نسبة.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٦٠٩/٥ كتاب الدعوات باب ما يقول إذا رأى مبتلى (٣٤٣٢) وقال غريب من هذا الوجه، وهو عند الترمذي من حديث ابن عمر ٤٩٥/٥ (٣٤٣١) وقال الترمذي: في إسناده عمرو بن دينار، شيخ بصري، وليس هو بالقوي في الحديث، وابن ماجه ١٢٨١/٢، كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل (٣٨٩٢) عن ابن عمر، وابن أبي الدنيا في الشكر (٨٥).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/٣.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٢٧/١٥، تفسير البغوي ١٢٥/٣، القرطبي ١٩٢/١٠، عن مجاهد، البحر المحيط ٦٣/٦.

(٧) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير البغوي ١٢٦/٣، روح المعاني ١٢١/٢٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠.

(٨) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٦٩/٥، البغوي ١٢٥/٣، روح المعاني ١٢١، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك.

جهنم ثم يدعون بشراً كثيراً بما كانوا يعبدون من آلهتهم، منها الحجارة ومنها الشمس والقمر، فيقال: من كان يعبد إلهاً، فليتبعه، تقدمهم آلهتهم، ثم يبقى المسلمون، فيقف بهم ربهم عز وجل فيقول: ما أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون، فيقول: خير اسم، وخير داعية، فيقول من نبيكم؟ قالوا: نبينا محمد ﷺ، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون القرآن فيقول ما تعبدون؟ قالوا: نعبد الله وحده، فيقول: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيتجلى الرب، عز وجل فيخرون له سجداً، فيقولون: أنت ربنا جل جلالك، ثم يمضي النور بأهله[١]): وقوله: ﴿**ولا يظلمون فتيلاً**﴾ أي لا ينقصون من ثوابهم بمقدار فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة، ويضرب مثلاً للشيء الحقير، قوله ﴿**ومن كان في هذه**﴾ يعني في الدنيا، ﴿**أعمى**﴾ عما يرى من قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض والبحار والجبال ﴿**فهو في الآخرة**﴾ أي في أمرها مما لم يعاينه ﴿**أعمى**﴾ أشد عمى، وكلاهما من عمى القلب لا من عمى العين قال قتادة: من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به هذا الذي ذكرنا قول عامة المفسرين[٢] وقال الحسن من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل[٣] توبته اختار أبو إسحاق الزجاج هذا القول فقال: تأويله انه إذا عمي في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمي عن رشده، ولم يتب فهو في الآخرة أعمى، أي أشد عمى وأضل سبيلاً، لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية[٣] واختاره أبو علي الفارسي أيضاً فقال معنى قوله فهو في الآخرة أعمى: أي أشد عمى لأنه في الدنيا كان ممكناً من الخروج عن عماه بالاستدلال ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه، لأنه قد حصل على عمله وكذلك قوله ﴿**وأضل سبيلاً**﴾ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه وقرأ أبو عمرو ﴿**في هذه أعمِي**﴾ بكسر الميم ﴿**فهو في الآخرة أعمَى**﴾ بفتح الميم[٤]، أراد أن يفرق بين ما هو اسم، وبين ما هو أفعل منه، فغاير بينهما بالإمالة وترْكِها، لأن معنى قوله: ﴿**فهو في الآخرة أعمى**﴾ أي أعمى منه في الدنيا ومعنى العمى في الآخرة، أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

قوله ﴿**وإن كادوا ليفتنونك**﴾ أي هموا وقاربوا أن يزيلوك ويصرفوك ﴿**عن الذي أوحينا إليك**﴾ يعني القرآن والمعنى عن حكمه نزلت الآية في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة، فإنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعط غيرهم، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، وقد هم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله

---

(١) بنحوه عن البخاري ١٣/٤٣٢ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (٧٤٤٠). ومسلم ١/١٦٧ كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ٣٠٢ ـ ١٨٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/١٢٨، البغوي ٣/١٢٦، زاد المسير ٥/٦٦، القرطبي ١٠/١٩٣، البحر المحيط ٦/٦٣ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٣.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٤٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٢، تفسير القرطبي ١٠/١٩٤، روح المعاني ١٥/١٢٣.

هذه الآية[1] وكان في إعطائهم ما سألوا، مخالفة لحكم القرآن لذلك قال: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره**﴾ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم قل الله أمرني بذلك، ﴿**وإذاً لاتخذوك خليلاً**﴾ لو فعلت ما أرادوا ﴿**ولولا أن ثبتناك**﴾ على الحق بعصمتنا إياك ﴿**لقد كدت**﴾ هممت وقاربت ﴿**تركن إليهم**﴾ أي تميل شيئاً قليلاً، عبارة عن المصدر، أي ركونا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله أعلم بنيته[2] ثم توعده على ذلك [لو فعله][3] ﴿**إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**﴾ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أي ضعف ما يعذب به غيره قال ابن عباس ورسول الله ﷺ معصوم، ولكن هذا تخويف لأمته، لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه[4]، قوله ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض**﴾ قال قتادة هم أهل مكة بإخراج نبي الله ﷺ منها ولو فعلوا ذلك ما نوظروا، ولكن الله كفهم عن ذلك حتى أمره بالخروج[5] والمعنى: أنهم قاربوا أن يزعجوك من أرض مكة ﴿**ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك**﴾ وخلفك أي بعدك يعني بعد خروجك وخلافك بمعنى خلفك، كقوله تعالى ﴿**بمقعدهم خلاف رسول الله**﴾[6]، وقوله ﴿**إلا قليلاً**﴾ أي لو اخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بمدة يسيرة كسنتنا في من قبلهم، وهو قوله ﴿**سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا**﴾ قال سفيان بن عيينة يقول: لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلا أهلكوا[4] وقال الزجاج: [7] ان سنتنا هذه السنة في من أرسلنا قبلك إليهم، أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم، أو قتلوه أن ينزل العذاب بهم[8] وقوله: ﴿**ولا تجد لسنتنا تحويلاً**﴾ أي ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقبلها قال ابن عباس لا خلف لسنتي ولا لقضائي ولا لموعدي قوله:

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس**﴾ دلوك الشمس، زوالها وميلها في وقت الظهر وكذلك ميلها للغروب هو دلوكها أيضاً قال المبرد: دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب[9] والمفسرون مختلفون فيه، فقوم يقولون: دلوكها زوالها وهو قول الحسن والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة[10] وقال قوم: دلوكها: غروبها وهو قول ابن مسعود وعلي والسدي وابن عباس في رواية سعيد بن جبير[11] قال الأزهري: معنى الدلوك

---

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي ٢٩٧، الطبري ١٥/١٣٠، البغوي ٣/١٢٦ تفسير القرطبي ١٠/١٩٤.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٦٨، الرازي ٢١/١٨. (٣) سقط في ب. (٤) انظر البحر المحيط ٦/٦٥، تفسير القرطبي ١٠/١٩٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٣٢، تفسير البغوي ٣/١٢٧ عن مجاهد وقتادة وعنهما القرطبي في تفسيره ١٠/١٩٥، تفسير الرازي ٢١/٩٢، وذكره السيوطي ٤/١٩٥ وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) سورة التوبة. (٨١). (٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٥.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٣٤. (٩) انظر لسان العرب ٢/١٤١٢، الصحاح ٤/١٥٨٤، ترتيب القاموس ٢/٢٠٥.

(١٠) انظر معالم التنزيل ٣/١٢٨، تفسير القرطبي ١٠/١٩٦، البحر المحيط ٦/٧٠ الرازي ٢١/٢١، الدر المنثور ٤/١٩٥.

(١١) انظر البغوي ٣/١٢٨، ابن كثير ٥/٩٨، القرطبي ١٠/١٩٦، البحر المحيط ٦/٧٠، تفسير الرازي ٢١/٢١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٥ عن ابن مسعود وعلي.

في كلام العرب الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة، قال: والقول عندي: أن زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس[١] والمعنى: أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فتدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان ثم قال ﴿وقرآن الفجر﴾ فهذه خمس صلوات، ومعنى غسق الليل: سواده وظلمته[٢] قال ابن جريج: قلت لعطاء ما غسق الليل؟ قال: أوله حين يدخل[٣] وقال ابن مسعود غسق الليل إظلامه[٤] قال الفراء والزجاج يقال: غسق الليل أغسق إذا أقبل ظلامه[٥] وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ قال ابن عباس[٦] والمفسرون[٧]: يريد صلاة الصبح قال الزجاج أي وأقم قرآن الفجر، قال ـ وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون بقراءة حيث سميت الصلاة قرآناً[٨]، وقوله: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ كلهم قالوا: صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي نا أبو الفضل محمد بن عبد الله ابن خميرويه نا أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي نا أبو اليمان. أخبرني شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: (تفضل صلاة الجماعة صلاة أحدكم وحدة بخمس وعشرين جزءا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ رواه البخاري[٩] عن أبي اليمان قوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾قال ابن عباس فصل بالقرآن[١٠] وقال مجاهد وعلقمة والأسود[١١]: التهجد بعد النوم[١٢] قال الليث: تهجد إذا استيقظ للصلاة[١٣] وقال الأزهري المتهجد القائم إلى الصلاة من النوم وقيل له متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تحرج وتأثم وتحوب[١٤]

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١١٧/١٠.

(٢) انظر لسان العرب ٣٢٥٥/٥، الصحاح ١٥٣٧/٤، ترتيب القاموس ٣٩٣/٣.

(٣) انظر الطبري ١٣٨/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بنحوه عن ابن عباس والرازي ٢١/٢١ عن النضر بن شميل.

(٤) تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، البحر المحيط ٧٠/٦ بلا نسبة، الدر المنثور ١٩٥/٤.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣، تفسير القرطبي ١٩٧/١٠ عن الفراء.

(٦) تفسير القرطبي ١٩٨/١٠ عن الفراء، تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر عن ابن عباس ١٩٦/٤، ونسبه لابن جرير.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٣٩/١٥، تفسير البغوي ١٢٨/٣، تفسير البحر المحيط ٧٠/٦، تفسير القرطبي ١٩٨/١٠، تفسير الرازي ٢٣/٢١، الدر المنثور ١٩٦/٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣.

(٩) أخرجه البخاري ١٣١/٢ كتاب الأذان باب فضل الجماعة (٦٤٧) ومسلم ٤٥٩/١ كتاب المساجد، باب فضلا صلاة الجماعة ٢٧٢ ـ ٦٤٩.

(١٠) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، تفسير الرازي ٢٥/٢١ بلا نسبة.

(١١) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخي عالمها علقمة وخال إبراهيم النخعي الفقيه وأخو عبد الرحمن بن يزيد. أخذ عن معاذ وابن مسعود وحذيفة وبلال والكبار. وكانوا يقولون إنه من أقل أهل بيته اجتهاداً، وكانوا يسمون الأسود من أهل الجنة، مات في سنة خمس وسبعين أو قريباً منها رحمة الله عليه. انظر تذكرة الحفاظ (١/٥٠ ـ ٥١).

(١٢) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٩٩/١٠، البحر المحيط ٧١/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٦/٤ عن علقمة والأسود، وزاد نسبته لابن المنذر، ومحمد بن نصر.

(١٣) انظر تهذيب اللغة ٣٦٠/٦.

(١٤) تهذيب اللغة ٣٥٥/١٥، الرازي ٢٥/٢١ عنه.

وقوله ﴿نافلة لك﴾ معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الأصل، وصلاة الليل كانت زيادة للنبي ﷺ خاصة لرفع الدرجات لا للكفارات، لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليست لنا بنافلة وهذا قول جميع المفسرين[(١)] قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال ابن عباس عسى من الله واجبة، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون والآخرون، تشرف على جميع الخلائق، وتسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، وليس أحد إلا تحت لوائك[(٢)] وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، ومعنى يبعثك ربك مقاماً: يقيمك في ذلك المقام[(٣)].

أخبرنا: أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي أنا أبو عمرو بن مطر نا عبدان الجواليقي نا أبو بكر بن أبي شيبة نا وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾: الشفاعة[(٤)] أخبرنا: أبو الفتح محمد بن علي الكوفي أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن سليمان نا الفضل بن الخصيب نا محمد بن هارون الرازي[(٥)] نا أبو أسامة نا داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي) قوله ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدقٍ﴾ روى قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية[(٦)]، والمعنى: ادخلني المدينة، وأخرجني من مكة، والمدخل والمخرج بمعنى المصدر، وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح، نحو قوله: ﴿قدم صدق﴾[(٧)] ﴿مقعد صدق﴾[(٨)] ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ حجة بينة تنصرني بها على جميع من خالفني، قوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ قال السدي الحق: الإسلام، والباطل الشرك[(٩)]، وقال قتادة الحق القرآن، والباطل الشيطان[(١٠)] ومعنى زهق: بطل واضمحل وكل شيء هلك وبطل فقد زهق.

أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا أبو خيثمة نا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال (دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً رواه البخاري[(١١)]

---

(١) انظر البغوي ٣/١٢٩، القرطبي ١٠/٢٠٠، البحر المحيط ٦/٧١ ـ ٧٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/١٤٣، تفسير الرازي ٢١/٢٦ عن الواحدي زاد المسير ٥/٧٦، البغوي ٣/١٣٠ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/١٤٣، واختاره القرطبي ١٠/٢٠٠، زاد المسير ٥/٧٦، معالم التنزيل ٣/١٣٠، تفسير الرازي ٢١/٢٦.

(٤) في إسناده إدريس بن يزيد الأودي قال أبو حاتم مجهول، وقال ابن عدي: انما هو إدريس بن يزيد الأودي. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يغرب، ويخطىء على قلته، وقول ابن عدي أصوب. انظر التهذيب ١/١٩٥ انظر لسان الميزان (٧/١٧٣) الكاشف (١/١٠٠) والحديث أخرجه الترمذي ٥/٢٨٣ كتاب التفسير سورة الإسراء (١٨/٣١٣٧).

(٥) محمد بن هارون الرازي ثقة. انظر تاريخ أصبهان (٢/١٩٠).

(٦) أخرجه الترمذي ٥/٢٨٤، كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٩)، وقال حسن صحيح.

(٧) سورة يونس آية (٢).

(٨) سورة القمر آية (٥٥).

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٢، تفسير البغوي ٣/١٣٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٠٤ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٢، تفسير البغوي ٣/١٣٢ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/٢٠٤ عن مجاهد، البحر المحيط ٦/٧٤.

(١١) أخرجه البخاري ٨/٢٥٢ كتاب التفسير باب (وقل جاء الحق) (٤٧٢٠).

عن علي بن المديني ومسلم[1] عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن سفيان وقوله ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ قال ابن عباس يريد كل ما كان عن الشيطان كان خارجاً عن الحق، وقوله: ﴿وننزل من القرآن﴾ من هذا الجنس الذي هو القرآن ﴿ما هو شفاء﴾ فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، قال قتادة إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه[2] وعلى هذا: معنى كونه شفاء أنه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك، فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء، وعلى هذا معناه أنه يتبرك به، فيدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار[3]، ويؤكد هذا ماروي عن النبي ﷺ قال: من لم يستشف بالقرآن، فلا شفاه الله[4] وقوله ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ قال ابن عباس: يريد ثواباً لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله بها، ويثيبهم عليها ﴿ولا يزيد﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾ المشركين ﴿إلا خساراً﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين.

أخبرنا: أبو القاسم بن عبدان نا محمد بن عبد الله الضبي أخبرني الحسن بن محمد بن حكيم المروزي نا أبو الموجه أنا عبدان نا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن سليمان عن الجريري عن أبي نضرة العبدي عن أسير بن جابر[5] عن أويس القرني قال: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضاء من الله الذي قضى ﴿شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾[6] قوله:

---

(١) ٣/١٤٠٨ كتاب الجهاد باب إزالة الأصنام ٨٧ ـ ١٧٨١، والترمذي ٥/٢٨٣ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٨)، وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ١/٣٧٧.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٧٩.

(٣) اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب وكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. والثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى، والتعاويذ ونحوها. واختلف العلماء في النشرة وهي أن يكتب شيئاً من أسماء الله أو من القرآن، ثم يغسله بالماء، ثم يمسح به المريض، أو يسقيه فأجازها سعيد بن المسيب. قيل له: الرجل يؤخذ عن امرأته أيحل عنه وينشر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينه عنه، ولم ير مجاهد أن تكتب آيات من القرآن، ثم تغسل، ثم يسقاه صاحب الفزع. وكانت عائشة تقرأ بالمعوذتين في إناء ثم تأمر أن يصب على المريض. وقال المازري أبو عبد الله: النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم، وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي: تحل. ومنعها الحسن وإبراهيم النخعي، قال النخعي: أخاف أن يصيبه بلاء، وكأنه ذهب إلى أنه ما يجيء به القرآن فهو إلى أن يعقب بلاء أقرب منه إلى أن يفيد شفاء. وقال الحسن: سألت أنساً فقال: ذكروا عن النبي ﷺ أنها من الشيطان. وقد روى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان». قال ابن عبد البر وهذه آثار لينة، ولها وجوه محتملة، وقد قيل: إن هذا محمول على ما إذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وعن المداواة المعروفة. والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل فهي كوضوء رسول الله ﷺ. وقال ﷺ (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ومن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل). انظر القرطبي (١٠/٢٠٥ ٢٠٦) البحر المحيط (٦/٧٤).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف: أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحرث الغساني: حدثتنا ساكنة بنت الجعد قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول قال رسول الله ﷺ فذكره. انظر الكشاف ٢/٦٨٩، تفسير القرطبي ٨/٣١٥، كنز العمال (٢٨١٠٦)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ٢٩٦ وهو حديث مرسل فإن أوس لم يدرك النبي ﷺ. وأويس هذا هو ابن عامر القَرني بفتح القاف والمهملة ثم نون مخضرم أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه. شهد صفين مع علي وقتل يومئذ وهو سيد التابعين كما رواه مسلم في صحيحه وله مناقب مشهورة. انظر الخلاصة (١/١٠٧).

(٥) أسير بن جابر أبو الخباز العبدي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ ابن حجر أسير بن جابر في القلب من روايته قصة أويس إلا أنه حكى ما حكى عن إنسان مجهول فالقلب إلى أنه ثقة أميل ورجح البخاري إلى أنه أسير بن عمرو، وأشار إلى تثبيت قول من قال فيه ابن جابر، وقال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث، وذكره العجلي في الثقات من أصحاب عبد الله بن مسعود، وقال ابن حزم أسير بن جابر ليس بالقوي. انظر التهذيب (١١/٣٧٩).

(٦) أخرجه الحاكم ٢/٣٦٥ كتاب التفسير سورة الإسراء وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأسير بن جابر من =

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة، أعرض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله في حال البلوى والمحنة[1] ونأى بجانبه وتعظم وتكبر وبعد نفسه عن القائم بحقوق النعم، ونأى معناه بعد، ونأى بالشيء معناه أبعده وقرأ ابن عامر وناء[2] ، مثل ناع، وهذا على القلب مثل رأى وراء وقرأ حمزة نأى بإمالة الفتحتين[3]، أمال فتحة الهمزة لأن الألف منقلبة عن الياء التي في النأي، أراد أن ينحو نحوها وأمال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقوله: **﴿وإذا مسه الشر كان يئوساً﴾** قال ابن عباس: إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة الله[4]، وهذا من صفة الجاهل بالله، وذم له بأنه لا يثق بتفضل الله على عباده قوله: **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** قال الليث: الشاكلة من الأمور ما يوافق فاعله[5] والمعنى: أن كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل أخلاقه فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الإنعام، واليأس عند الشدة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء يدل على هذا قوله: **﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾** أي بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة، ولا ييئس عند المحنة، قوله:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا علي بن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إني لمع رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكىء على عسيب فمر ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل عليه **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** رواه البخاري[6] عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن

= المخضرمين ولد في حياة الرسول ﷺ وهو من كبار أصحاب عمر رضي الله عنه والحديث عند البخاري ومسلم بخلاف هذا السياق.

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٠٨، تفسير الرازي ٢١/٢٩ وقال: هذا بعيد.

(٢) انظر النشر في القراءات ٢/٣٠٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٣ الرازي ٢١/٣٠، القرطبي ١٠/٢٠٨.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٤٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٣.

(٤) القرطبي ١٠/٢٠٨ بلا نسبة.

(٥) انظر تهذيب اللغة ١٠/٢٤.

(٦) أخرجه البخاري ١/٢٧٠ كتاب العلم باب (وما أوتيم من العلم إلا قليلاً). ١٢٥ (٤٧٢١ ـ ٧٢٩٧ ـ ٧٤٥٦ ـ ٧٤٦٢)، ومسلم ٤/٢١٥٢ كتاب صفات المنافقين باب سؤال اليهود (٣٢ ـ ٢٧٩٤)، والترمذي عن ابن عباس ٥/٢٨٤، كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (١٣٤٠).

الأعمش وقال ابن عباس في رواية عطاء: قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوه عنها ففسر لهم أمر الفتية في سورة الكهف وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح، وأنزل قوله: ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾[1] واختلف العلماء في ماهية الروح فقال قوم: إن الروح هو الدم، ألا ترى أن من نزف دمه مات؟ والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم وزعمت طائفة: أن الروح هو استنشاق الهواء ألا ترى أن المخنوق ومن منع من نسيم الهواء يموت وقال عامة المعتزلة والنجارية[2]: الروح عرض إلا ابن الراوندي[3]، فإنه قال: الروح جسم لطيف أسكن البدن وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسم كان الجسد نورانياً، تبصر العينان، وتسمع الأذنان، ويكون طيباً فإذا خرج، أنتن الجسد ويكون باقياً، فإذا زايله الروح صار فانياً، ويكون حياً، وبخروجه يصير ميتاً، ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً ويكون الجسد علوياً لطيفاً ما دام فيه الروح، فإذا خرج صار سفلياً كثيفاً والاختيار من هذه الأقوال أنه جسم لطيف توجد به الحياة، يدل على هذا قوله تعالى في صفة الشهداء: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾[4] والارتزاق والفرح من صفات الأجسام، والمراد بهذا أرواحهم، لأن أجسامهم بليت في التراب، وكذلك ما روي: (أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش)[5] وهذا الفعل لا يتأتى من العرض.

أخبرنا: أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل أنا عبد المؤمن بن خلف[6] أنا أبي بن خلف بن طفيل أخبرني أبي طفيل بن زيد نا أبو عمير نا أبو عبد الله أحمد بن محمد الجعاب نا نعيم بن عمرو نا سليمان بن رافع البصري عن أبي أمية عن ابن عباس قال إن الروح إذا خرج من الإنسان، مات الجسد وصار الروح صورة أخرى، فلا يطيق الكلام لأن الجسد جرم، والروح يصوت من جوفه ويتكلم، فإذا فارق الروح الجسد صار الجسد صفراً[7]، وصار الروح صورة أخرى، ينظر إلى الناس، يبكونه، ويغسلونه ويدفنونه ولا يستطيع أن يتكلم كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق سمعت له دوياً فإذا خرج منه لم تسمع له صوتاً، وكذلك المزامير فأرواح المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩١، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠، معالم التنزيل ٣/١٣٤، الرازي ٢١/٣١، البحر المحيط ٦/٧٥.

(٢) النجارية أصحاب الحسين بن محمد النجار أكثر معتزلة الري على مذهبه انظر الملل والنحل (١/٨٨).

(٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى راوند من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، انظر الأعلام ١/٢٦٧.

(٤) سورة آل عمران (١٦٩).

(٥) أخرجه مسلم ٣/١٥٠٢ كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٢١ ـ ١٨٨٧) وأبو داود ٣/١٥ كتاب الجهاد في باب فضل الشهادة ٥٢٠، والترمذي ٥/٢١٥ كتاب التفسير سورة آل عمران باب ٤ (٣٠١١)، وقال حسن صحيح، وابن ماجه ٢/٣٩٦ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة (٢٨٠١).

(٦) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل بن زيد بن طفيل الإمام الحافظ القدوة أبو يعلى التميمي النسفي ولد سنة تسع وخمسين ومئتين. وكان من الفقهاء القائلين بالظاهر، ناسكاً كثير العلم، توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة بنسف. انظر السير (١٥/٤٨٠).

(٧) الصفر: الشيء الخالي، انظر لسان العرب ٤/٢٤٥٩، تاج العروس ٣/٣٣٥ ترتيب القاموس ٢/٨٢٨.

ريحها وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم، حتى إذا نفخ في الصور النفخة الأولى، رفع العذاب وكانت الأرواح عند ذلك أرواح المؤمنين، وأرواح الكافرين، ورفع العذاب عن الكفار فيما بين النفختين[١]، فذلك قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فأشياء تفنى ويبقى وجه الله الكريم، هذا الذي ذكرنا كله عند التحقيق ضرب من التكلّف لأن الله تعالى أبهم علم ذلك قال عبد الله بن بريدة: ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري الروح[٢] وقال الفراء الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحداً من خلقه، ولم يعط علمه أحداً من عباده[٣] فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من علم ربي، أي أنكم لا تعلمونه، وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً[٤]﴾ أي بالإضافة إلى علم الله تعالى وذلك أن اليهود تذكر كل شيء بما في كتبهم فقال الله﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقال الزجاج ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ، ولم يبين الله له ذلك قال له ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ يدل على هذا قوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ أي إني أقدر أن آخذ ما أعطيتك كأنه يقول: لم تؤت إلا قليلاً من العلم، ولو شئت أن آخذ ذلك قدرت قال الزجاج لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر[٥].

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا أبو محمد عبد الرحمن بن صالح الأزدي[٦] نا شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن عبد الله قال: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى منه الصلاة، وليصلين أقوام لا خلاق لهم،وسيرفع القرآن من بين أظهركم ثم قرأ عبد الله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾[٧].

وقوله: ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي لا تجد من تتكل عليه في رد شيء منه ﴿إلا رحمة من ربك﴾ لكن الله رحمك، فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ قال ابن عباس يريد حيث جعلتك سيد ولد آدم، وختمت بك النبيين، وأعطيتك المقام المحمود[٨]، ثم احتج على المشركين بإعجاز القرآن فقال:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ

(١) في إسناده نعيم بن عمرو قال أبو حاتم الرازي: مجهول انظر الجرح والتعديل (٨/٤٦٣).
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٠٠) مختصراً ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٠، فتح القدير ٤/٢٥٤ عن الفراء.
(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٨.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥٨.
(٦) عبد الرحمن بن صالح الأزدي. أبو محمد الكوفي. عن شريك وجماعة. وعنه عباس الدوري والبغوي. قال عباس: حدثنا وكان شيعياً. وقال ابن معين: ثقة. وقال صالح جزرة: كان يقرض عثمان. وقال البغوي: سمعته يقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وقال أبو داود: ألف كتاباً في مثالب الصحابة وقال ابن عدي: احترق بالتشيع. وقال أبو أحمد الحاكم: خولف في بعض حديثه. انظر ميزان الاعتدال (٢/٥٦٩).
(٧) أخرجه الحاكم ٤/٥٠٤ كتاب الفتن باب ذكر رفع القرآن عن قلوب المسلمين وصحح إسناده وأقره الذهبي.
(٨) انظر القرطبي ١٠/٢١٠ ـ ٢١١، بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/٤٥ بلا نسبة فتح القدير ٣/٢٥٧ بلا نسبة.

خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن**﴾ الآية قال المفسرون هذا تكذيب للنضر بن الحارث «حيث قال»: (لو شئنا لقلنا مثل هذا)[١] وقال مقاتل وان نبي الله ﷺ تحداهم أولاً فقال: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾[٢] فعجزوا عن ذلك فتحداهم فقال ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [٣] فعجزوا فآيسهم الله عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية، والمثل الذي طلب منهم كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة وقوله: ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾ الظهير المعين المظاهر لك[٤].

قال ابن عباس يريد معينا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه[٥]، قوله ﴿**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن**﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة، وقوله: ﴿**من كل مثل**﴾ أي من الأمثال التي يجب بها الاعتبار ﴿**فأبى أكثر الناس**﴾ يعني أكثر أهل مكة ﴿**إلا كفوراً**﴾ جحوداً للحق، وإنكاراً، وذلك أنهم أنكروا القرآن بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿**وقالوا**﴾ يعني رؤساء مكة ﴿**لن نؤمن لك**﴾ لن نصدقك ﴿**حتى تفجر لنا**﴾ وقرى ﴿**تفجر**﴾ بالتخفيف[٦] يقال: فجرت الماء فجراً، وفجرته تفجيراً، والينبوع عين ينبع منها الماء وذلك أنهم سألوا أن يجري لهم نهراً كأنهار الشام والعراق ﴿**أو تكون لك جنة من نخيل وعنب**﴾ هذا أيضاً كان فيما اقترحوا عليه ﴿**فتفجر الأنهار**﴾ تفتحها وتجريها ﴿**خلالها**﴾ وسط تلك الجنة ﴿**أو تسقط السماء**﴾ قالوا له: أسقط السماء علينا قال ابن عباس يعنون العذاب[٧] ﴿**كما زعمت**﴾ أن ربك إن شاء فعل وقوله ﴿**كسفاً**﴾ جمع كسفة، وهي القطعة، والكسف القطع ويجوز أن يكون الكسف الشيء المقطوع، كقوله ﴿وإن يروا كسفاً من السماء﴾[٨] ومن فتح السين فهو جمع كسفة أيضاً مثل قطعة وقطع قال ابن عباس كسفاً قطعاً[٩] ومن سكن السين فمعناه: أسقط السماء علينا قطعة واحدة[١٠]، وقوله: ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً**﴾ قال قتادة والضحاك عياناً[١١] والمعنى: تأتي بهم، حتى نراهم

---

(١) سورة الأنفال ٣١.

(٢) سورة هود ١٣.

(٣) سورة البقرة ٢٣.

(٤) انظر لسان العرب ٤/٢٧٦٦، ترتيب القاموس المحيط ٣/١٣٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٩، تفسير القرطبي ١٠/٢١١ بلا نسبة.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٤، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤.

(٧) انظر تنوير المقباس ٣/١٥٦.

(٨) سورة الطور ٤٤.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/١٥٩، معالم التنزيل ٣/١٣٧ بلا نسبة انظر زاد المسير ٥/١٥٩، الرازي ٢١/٤٨ بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٥، معالم التنزيل ٣/١٣٧، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤ تفسير الرازي ٢١/٤٨. قرأ ابن عامر كسَفا بفتح السين ها هنا، وفي سائرالقرآن بسكونها، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا، وفي الروم بفتح السين، وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح إلا في الروم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي في الروم بفتح السين، وفي سائر القرآن بسكون السين. انظر تفسير الرازي ٢١/٤٨.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٢، تفسير البغوي ٣/١٣٧ عن قتادة، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤، عن قتادة، وابن جريج، تفسير الرازي ٢١/٤٩.

مقابلة واختاره أبو علي الفارسي فقال: إذا حملته على المعاينة كان القبيل مصدراً كالنذير والنكير ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ [١] وقال عطاء ومجاهد: فوجاً فوجاً [٢] وكل جنس من الناس قبيل، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ [٣] وقوله ﴿أو يكون لك بيت من زخرفٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي من ذهب[٤] قال الزجاج: أصل الزخرف في اللغة الزينة ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب وكان فيما اقترحوا عليه أن يكون له قصور من ذهب[٥] وقوله: ﴿أو ترقى في السماء﴾ يقال: رقيت أرقى رقياً ورقياً قال عبد الله بن أبي أمية: لا أومن بك يا محمد حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه، وأنا أنظر، حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول[٦]، وهو قوله: ﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ قال ابن عباس كتاباً من عند رب العالمين إلى فلان وفلان، يصبح عند كل رجل منا يقرؤه[٧] (قال) النبي ﷺ ﴿سبحان ربي﴾ وقرىء ﴿قل سبحان ربي﴾ على الأمر له بأن يقول سبحان ربي[٨] قال ابن عباس عظم وكرم[٩] ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي أن هذه الأشياء ليست في قوى البشر أن يأتوا بها، فلا وجه لطلبكم مني، مع أني بشر، قوله:

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

﴿وما منع الناس﴾قال ابن عباس يريد أهل مكة[١٠] ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان والتصديق ﴿إذ جاءهم الهدى﴾

---

(١) سورة الفرقان آية ٢١.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٢، تفسير البغوي ٣/١٣٧ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤ عن ابن عباس.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٣، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤ عن ابن عباس وغيره، البغوي ٣/١٣٧ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/٤٩ عن مجاهد ذكره السيوطي في الدر عن قتادة ٤/٣٠٣، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٠، تفسير الرازي ٢١/٤٩ عن الزجاج.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢١/٤٩، الدر المنثور ٤/٢٠٣.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٣، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤. بنحوه بلا نسبة.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٥، تفسير القرطبي ١٠/٢١٤.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٤.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦٤.

البيان والرشاد من الله على لسان محمد ﷺ، وهو القرآن ﴿**إلا أن قالوا**﴾ أي إلا قولهم في التعجب والإنكار ﴿**أبعث الله بشراً رسولاً**﴾ وهو أنهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وفي إنكارهم كون البشر رسولاً اقتضاء أن يبعث إليهم ملك، قال الله تعالى ﴿**قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين**﴾ قال الحسن قانطين[١]، وقال الكلبي مقيمين[٢] وقال الزجاج مستوطنين في الأرض [٣] ومعنى الطمأنينة السكون، والمراد ههنا المقام والاستيطان لأنه يقال: سكن فلان بلد كذا، [إذا استوطن] [٤] وإن كان ماشياً متقلباً في حاجاته، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة وقوله: ﴿**لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً**﴾ أعلمهم الله تعالى أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم، ولو كان في الأرض بدل الآدميين ملائكة لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً، وما بعد هذا مفسر في آخر سورة الرعد.

قوله: ﴿**ومن يهد الله**﴾ قال ابن عباس من يرد الله هداه ﴿**فهو المهتد ومن يضلل**﴾ قال: ومن يخذله ﴿**فلن تجد لهم أولياء من دونه**﴾[٥] يهدونهم من دون الله ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم**﴾.

أخبرنا: أبو عبد الله بن أبي إسحاق أنا محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد الصائغ نا حسين بن محمد المروزي نا شيبان[٦] عن قتادة عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة رواه البخاري[٧] عن عبد الله بن محمد ورواه مسلم[٨] عن عبد بن حميد كلاهما عن يونس بن محمد عن شيبان.

وقوله: ﴿**عمياً**﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: لا يرون شيئاً يسرهم ﴿**وبكماً**﴾ لا ينطقون بحجة ﴿**وصماً**﴾ لا يسمعون شيئاً يسرهم[٩] وقال في رواية عطاء يريد عمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله تعالى وصماً عما مدح الله به أولياءه[١٠] وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: (اخسأوا فيها ولا تكلمون) فيصيرون عمياً بكماً صماً، لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك[١١] وقوله: ﴿**كلما خبت**﴾ يقال: خبت النار، تخبو خبواً، إذا سكن لهيبها[١٢] ﴿**زدناهم سعيراً**﴾ قال ابن عباس سعر العذاب عليهم بأشد مما كان[١٣] وما بعد هذا مفسر في هذه السورة ثم

---

(١) انظر زاد المسير ٥/٨٩.
(٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٣٨ بلا نسبة.
(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦١.
(٤) سقط في ب، ج.
(٥) انظر زاد المسير ٥/٩٠.
(٦) شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي أبو معاوية البصري نزيل الكوفة ثقة صاحب كتاب يقال إنه منسوب إلى «نحوة» بطن من الأزد لا إلى النحو. مات سنة أربع وستين. انظر التقريب ١/٣٥٦، التهذيب ٤/٣٧٣، ٣٧٤.
(٧) ٨/٣٥٠ كتاب التفسير سورة الفرقان باب ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم**﴾ ٤٧٦٠.
(٨) ٤/٢١٦١ صفات المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه (٥٤ ـ ٢٨٠٦). والترمذي ٥/٢٨٥ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٤٢)، وقال حديث حسن وأحمد في المسند ٢/٣٥٤.
(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١٣٨، تفسير القرطبي ١٠/٢١٦ عن الحسن وابن عباس تفسير الرازي ٢١/٥١، البحر المحيط ٦/٨٢.
(١٠) انظر الرازي ٢١/٥١، البحر المحيط ٦/٨٢، زاد المسير ٥/٩٠.
(١١) انظر زاد المسير ٥/٩٠، تفسير البغوي ٣/١٣٨، تفسير القرطبي ١٠/٢١٦، الرازي ٢١/٥١.
(١٢) انظر لسان العرب ٢/١٠٩٨، ترتيب القاموس ٢/١٢.
(١٣) انظر زاد المسير ٥/٩٠.

أجابهم على إنكارهم البعث بقوله: ﴿أولم يروا أن الله﴾ الآية، المعنى: ألم يعلموا أن من قدر على خلق السماوات والأرض في عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم، أي على أن يخلقهم ثانياً وأراد بمثلهم إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له في حالته، فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي أنت لا تفعله، ذكرنا هذا عند قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ماآمنتم به﴾ (١)، ونحو هذا قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (٢) تم الكلام، ثم قال: ﴿وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه﴾ قال ابن عباس: يريد أجل الموت وأجل القيامة (٣). ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة، قوله:

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ قال ابن عباس لو أنتم يا معشر المشركين تملكون خزائن الرزق ﴿إذاً لأمسكتم﴾ لبخلتم قال الزجاج أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحاً وبخلًا، وهو خشية الإنفاق(٤) وقال ابن عباس وقتادة: خشية الفقر والفاقة(٥)، وقال السدي خشية أن تنفقوا فتفتقروا(٦) ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ بخيلاً مسيكاً، يقال: قتر يقتر ويقتر قتراً وأقتر إقتاراً، وقتر تقتيراً، إذا قصر في الإنفاق، ثم ذكر إنكار فرعون آيات موسى عليه السلام، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين بحاله، وتسلية للنبي ﷺ فقال:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بينات﴾ قال المفسرون(٧): هي الطوفان والجراد والقمل، والضفادع، والدم، والعصا ويده والسنون، ونقص من الثمرات، وقال القرظي بدل السنين والنقص فلق البحر والطمس(٨).

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن أيوب الرازي أنا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمه عن صفوان بن عسال(٩) أن يهودياً قال لصاحبه: تعال، حتى

(١) سورة البقرة آية ١٣٧.
(٢) سورة الشورى آية ١١.
(٣) انظر معالم التنزيل ٣/١٣٩ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/٢١٦ بلا نسبة.
(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٢.
(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٠، تفسير البغوي ٣/١٣٩، عن قتادة تفسير القرطبي ١٠/٢١٧، الدر المنثور ٤/٢٠٤.
(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٣٩، بنحوه بلا نسبة.
(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٠، معالم التنزيل ٣/١٣٩، تفسير القرطبي ١٠/٢١٧، تفسير الرازي ٢١/٥٤، البحر المحيط ٦/٨٥، روح المعاني ١٥/١٨٢.
(٨) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٠، تفسير البغوي ٣/١٣٩، القرطبي ١٠/٢١٧، الرازي ٢١/٥٤، البحر المحيط ٦/٨٥، روح المعاني ١٥/١٨٢.
(٩) صفوان بن عسال المرادي صحابي نزل الكوفة. انظر التقريب (١/٣٦٨).

نسأل هذا النبي، قال: فأتياه فسأله عن هذه الآية ﴿ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ﴾، فقال لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة يهود ألا تعدوا في السبت، قال: فقبلوا يده فقالوا: نشهد انك نبي الله قال: فما يمنعكم أن تتبعوني ؟ قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود[١].

قوله: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس يريد المؤمنين من قريظة والنضير[٢] وإنما أمر بأن يسألهم ليكشف لعامة اليهود .يقول علمائهم صدق ما أتى به، وأخبر عنه، فيكون ذلك حجة عليهم وقوله: ﴿إذ جاءهم﴾ يعني موسى ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ قال أبو عبيد والفراء هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون[٣] ويجوز أن يكون مفعولاً من السحر أي إنك قد سحرت، فعمل فيك السحر، فقال موسى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً [ودلالات][٤] وقراءة العامة بفتح التاء وهي قراءة ابن عباس، وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة علي رضي الله عنه[٥] وكان يقول: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[٦] على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى قال الزجاج: الأجود في القراءة فتح التاء لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة فموسى يحتج بما علم هو، لا بما علم موسى[٧] وقوله: ﴿وإني لأظنك يا فرعون﴾ أي أعلمك ﴿مثبوراً﴾ قال ابن عباس ملعوناً[٨] قال الفراء: المثبور الملعون المحبوس عن الخير، تقول العرب: ما ثبرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك[٩] وقال قتادة مهلكاً[١٠] وقال مجاهد هالكاً[١١] وقال أبو عبيدة المعروف في الثبور والهلاك، والملعون هالك[١٢]، قوله: ﴿فأراد﴾ يعني فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ يزعجهم ويخرجهم يعني موسى وبني إسرائيل ﴿من الأرض﴾ أرض مصر قال الزجاج: أراد إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية، فأغرقه الله وقومه، وأورث بني إسرائيل مساكنهم وديارهم[١٣] وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأنه يفعل به وبالمشركين ما فعل بموسى وعدوه، ثم فعل ذلك، أظهر نبيه على المشركين ورده إلى مكة ظاهراً عليها، وقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني القيامة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ قال مجاهد

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٤ والحاكم في المستدرك ٩/١ كتاب الإيمان باب بيان تسع آيات بينات، وصححه وأقره الذهبي وأحمد في المسند ٢٣٩/٤ .

(٢) انظر زاد المسير ٩٣/٥.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٣٩/٣، عنهما تفسير الرازي ٥٥/٢١ عن الفراء تفسير القرطبي ٢١٨/١٠.

(٤) سقط في ب.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٣٠٦/٢، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٦) سورة النمل آية ١٤ . انظر الطبري ١٧٤/١٥، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، تفسير الرازي ٥٥/٢١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣ .

(٨) انظرتفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير القرطبي ٢١٨/١٠، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٢/٢، تفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير البحر المحيط ٨٦/٦، الرازي ٥٦/٢١ كلهم عن الفراء.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، البحر المحيط ٨٦/٦ عن الحسن ومجاهد.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، الرازي ٥٦/٢١ عنه، وعن قتادة.

(١٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٢/١.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

وقتادة جميعاً[(١)]: اللفيف: الجمع العظيم من أخلاط شتى [(٢)]، والمعنى: جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً يعني جميع الخلق، المسلم والكافر، والبر والفاجر قوله:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم **﴿وبالحق نزل﴾** ومع الحق نزل **﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾** لمن أطاع بالجنة **﴿ونذيراً﴾** منذراً مخوفاً لمن عصى بالنار **﴿وقرآنا فرقناه﴾** قال الوالبي فصلناه[(٣)] وقال السدي قطعناه آية آية وسورة سورة، ولم ينزله جملة[(٤)]، قال قتادة كان بين أول القرآن وآخره عشرون سنة[(٥)]، وهو معنى قوله: **﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾** قال مجاهد على تؤدة وترسل[(٦)] وقال الزجاج فرقه الله في التنزيل ليفهمه الناس[(٧)] **﴿ونزلناه تنزيلاً﴾** نجوماً بعد نجوم وشيئاً بعد شيء **﴿قل﴾** لأهل مكة **﴿آمنوا﴾** بالقرآن **﴿أو لا تؤمنوا﴾** وهذا تهديد، أي فقد أنذر الله، وبلغ الرسول ﷺ فاختاروا ما تريدون **﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾** من قبل نزول القرآن، يعني طلاب الدين مثل أبي ذر وسلمان وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو **﴿إذا يتلى عليهم﴾** القرآن **﴿يخرون للأذقان سجداً﴾** قال ابن عباس رضي الله عنه: [للوجوه يريد][(٨)]: يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم[(٩)] واللام ههنا بمعنى على **﴿ويقولون﴾** في سجودهم: **﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا﴾** بإنزال القرآن، وبعث محمد ﷺ **﴿لمفعولاً﴾** وذلك أن هؤلاء كانوا يسمعون أن الله باعث نبياً من العرب، ومنزل عليه الكتاب فلما سمعوا القرآن، سجدوا لله وحمدوه على إنجاز الوعد ببعث الرسول والكتاب **﴿ويخرون للأذقان﴾** كرر القول، دلالة على تكرر الفعل منهم، وقال عبد الأعلى التيمي[(١٠)] إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق ألا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء، فقال **﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم﴾** تلا إلى قوله **﴿يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾**[(١١)] أي يزيدهم القرآن تواضعاً قوله:

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٨، تفسير البغوي ٣/١٤٠ بلا نسبة القرطبي ١٠/٢١٩ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/١٨٧ عن ابن عباس

(٢) انظر لسان العرب ٥/٤٠٥٤، ترتيب القاموس ٤/١٥٨.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٨، تفسير القرطبي ١٠/٢١٩ عن ابن عباس، معالم التنزيل ٣/١٤١ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٩.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٩، تفسير الرازي ٢١/٥٧، روح المعاني ١٥/١٨٨ عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/١٧٩، تفسير البغوي ٣/١٤١ بلا نسبة، القرطبي ١٠/٢٢٠ بلا نسبة، وعن ابن عباس، وابن جريج، روح المعاني ١٥/١٨٨ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٤.

(٨) سقط في جـ.

(٩) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٢١، البحر المحيط ٦/٨٨، تفسير البغوي ٣/١٤١ مختصراً.

(١٠) انظر التاريخ الكبير ٦/٧٢.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٨١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٠٦، وزاد نسبته لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة يا الله، يا رحمن فسمعه أبو جهل، وهم لا يعرفون الرحمن فقال: ان محمداً ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلها آخر مع الله يقال له الرحمن فأنزل الله **﴿قل ادعوا الله﴾**[1] أي قل يامحمد ادعوا الله يا معشر المؤمنين، أو ادعوا الرحمن أي إن شئتم قولوا: ياالله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن قال الزجاج أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحد فقال **﴿أيًّا ما تدعوا﴾**[2] المعنى: أي أسماء الله تعالى تدعوا **﴿فله الأسماء الحسنى﴾** وقوله: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** المخافتة الإخفاء، يقال خفت صوته يخفت خفوتاً إذا ضعف وصوت خفيف والرجل يخافت بقراءته إذا لم يبين قراءته برفع الصوت والجهر رفع الصوت وكان النبي ﷺ إذا جهر بالقرآن، سب المشركون القرآن، فأمره الله ألّا يعرض القرآن لسبهم، ولا يخافت مخافتة لا يسمعها من يصلي خلفه من أصحابه فقال **﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾** أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال نا والدي نا محمد بن إسحاق الثقفي نا عبد الله بن مطيع وأحمدبن منيع[3] قالا: حدثنا هشيم نا أبو بشر حكى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، فكانوا إذا سمعوا القرآن، سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن **﴿ولا تخافت بها﴾** عن أصحابك فلا يسمعون **﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾** رواه البخاري[4] عن مسدد ورواه مسلم[5] عن عمرو الناقد، كلاهما عن هشيم.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٢/١٥، معالم التنزيل ١٤٢/٣، روح المعاني ١٩١/١٥، تفسير القرطبي ٢٢٢/١٠، البحر المحيط ٨٩/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٤، ونسبة لابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٤/٣.

(٣) أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغوي نزيل بغداد الأصم، ثقة حافظ مات سنة أربع وأربعين وله أربع وثمانون. انظر التقريب ٢٧/١، التهذيب ١١/١، ١٢، ١٣.

(٤) ٤٧١/١٣ كتاب التوحيد باب (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) (٧٤٩٠).

(٥) ٣٢٩/١ كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية ١٤٥ ـ ٤٤٦، والترمذي ٢٨٧/٥، كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٦. وقال: حسن صحيح: قال الراغب: عبر بالإنزال دون التنزيل، لأن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك شيئا فشيئا، ومنه قوله تعالى: **﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾**. ومن الثاني قوله تعالى: **﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنا تنزيلا﴾** ويؤيد التفصيل قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾**. فإن المراد بالكتاب الأول القرآن، وبالثاني ما عداه، والقرآن نزل نجوماً إلى الأرض بحسب الوقائع بخلاف غيره من الكتب، ويرد على التفصيل المذكور قوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾**وأجيب بأنه أطلق نزل موضع أنزل، قال: ولولا هذا التأويل لكان متدافعاً لقوله (جملة واحدة) وهذا بناه هذا القائل على أن نزّل بالتشديد يقتضي التفريق، فاحتاج إلى ادعاء ما ذكر، وإلا فقد قال غيره إن التضعيف لا يستلزم حقيقة التكثير بل يرد للتعظيم، وهو في حكم التكثير معنى فبهذا يندفع الاشكال. انظر فتح الباري ٤٧٢/١٣.

أخبرنا: عبد الرحمن بن محد الزمجاري أنا علي بن عبد الرحمن بن أبي السري البكائي أنا محمد بن عبد الله الحضرمي نا عبد الله بن عامر بن زرارة نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن أبيه عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني[١] عن علي قال: كان أبو بكر يخافت إذا قرأ وكان عمر يجهر بقراءته، وكان عمار يأخذ من هذه السورة، ومن هذه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر لم تخافت ؟ فقال إني أسمع من أناجي وقال لعمر: لم تجهر؟ فقال: أفزع الشيطان وأوقظ الوسنان[٢] وقال لعمار: لم تأخذ من هذه وهذه؟ قال تسمعني أخلط به ما ليس منه؟ قال لا، قال: فكله طيب[٣].

قوله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ قال قتادة كذّب الله بهذه الآية اليهود والنصارى وأهل القرى عليه[٤] ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ليس له من يشاركه في ملكه ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ قال مجاهد: لم يخالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد[٥]، والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالاة أحد لذل يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير وهذا معنى قول الزجاج لم يحتج أن ينتصر بغيره[٦] ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه عظمة تامة.

---

(١) هانىء بن هانىء الهمداني الكوفي مستور. انظر التقريب ٢/٣١٥.

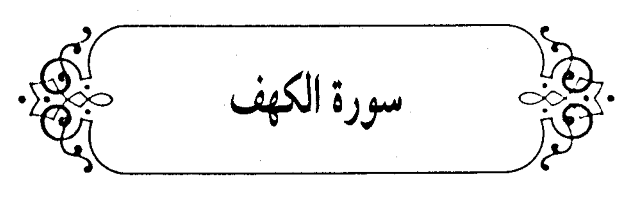
(٢) الوَسَن والوَسْنة والسِّنَة: شدة النوم أو أوله، أو النعاس انظر لسان العرب ٦/٤٨٣٩، ترتيب القاموس ٤/٦١٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/١٠٩، وأبو داود ٢/٣٧ كتاب التطوع باب في رفع الصوت ١٣٢٩.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٢٣ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٨٩، تفسير البغوي ٣/١٤٣ بنحوه، تفسير القرطبي ١٠/٢٢٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٥.



سورة الكهف

مكيّة وآياتها عشر ومائة

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا همام عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف، كانت له نوراً يوم القيامة)[1].

أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو الفضل الزهري نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خلف الجهني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال (من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه)[2].

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ يعني القرآن على محمد ﷺ **﴿ولم يجعل له عوجاً﴾** أي لم يجعله ملتبساً لا يفهم ومعوجاً لا يستقيم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي، قال الزجاج لم يجعل فيه اختلافاً كما قال: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[3] يدل على هذا قوله: **﴿قيماً﴾** قال ابن عباس: مستقيماً عدلاً[4]، وهذا من التقديم والتأخير والتقدير: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.

---

(١) أخرجه مسلم ١/٥٥٥ مختصراً بنحوه، كتاب المسافرين ٢٥٧ ـ ٨٠٩. وانظر التخريج الآتي.

(٢) أخرجه مسلم ١/٥٥٥ كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف (٢٥٧ ـ ٨٠٩) وأبو داود ٤/١١٧ كتاب الملاحم (٤٣٢٣)، والترمذي ٢٨٨٦، وأحمد في المسند ٣/٢٤٩ والبيهقي في السنن (٣/٢٤٩) والحاكم في المستدرك ٢/٣٦٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٠).

(٣) سورة النساء آية ٨٢.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/٢٢٦ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٢٠١ هذا وقد نقل الرازي تفسير (قيماً) بـ(مستقيماً) عن ابن عباس (٢١/٦٤) وقال: وهذا عندي مشكل، لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار، =

وقوله: ﴿**لينذر بأساً شديداً من لدنه**﴾ قال ابن عباس: «لينذر عذاباً شديداً»[(١)] والمعنى لينذر الكافرين بعذاب شديد ﴿**من لدنه**﴾ من عنده ومن قبله، وروى أبو بكر عن عاصم (من لدنه) بشد الدال إلى الضمة، وبكسر النون والهاء[(٢)] وهو لغة الكلابيين، وروى أبو زيد عنهم أجمعين هذا (من لدنه)، فتحوا اللام، وضموا الدال، وكسروا النون[(٣)]. ﴿**ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً**﴾ ثواباً عظيماً وهو الجنة ﴿**ماكثين فيها أبداً**﴾ مقيمين في ذلك الأجر خالدين فيه، ﴿**وينذر**﴾ بعذاب الله ﴿**الذين قالوا اتخذ الله ولداً**﴾ قال الكلبي والسدي: يعني اليهود والنصارى[(٤)] «وقال محمد بن إسحاق» يعني قريشاً في قولهم الملائكة بنات الله[(٥)].

﴿**ما لهم به**﴾ بذلك القول ﴿**من علم**﴾ لأنهم قالوا جهلاً وافتراء على الله ﴿**ولا لآبائهم**﴾ الذين قالوا ذلك ﴿**كبرت كلمة**﴾ قال الفراء كبرت تلك الكلمة كلمة[(٦)] وقال الزجاج كبرت مقالتهم كلمة[(٧)] وكلمة منصوب على التمييز.

وقوله ﴿**تخرج من أفواههم**﴾ أي أنها قول بالفم لا صحة له، ولا دليل عليه ﴿**إن يقولون إلا كذباً**﴾ ما يقولون بذلك القول إلا كذباً، ثم عاتبه على حزنه بفوت ما كان يرجو من إسلامهم بقوله: ﴿**فلعلك باخع نفسك**﴾ قال جماعة المفسرين[(٨)] «قاتل نفسك» يقال: بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء، وقوله ﴿**على آثارهم**﴾ أي من بعدهم، أي من بعد توليهم وإعراضهم عنك ﴿**إن لم يؤمنوا بهذا الحديث**﴾ يعني القرآن ﴿**أسفاً**﴾ قال ابن عباس «غيظاً وحزناً[(٩)]» وفي هذا إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

قوله: ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها**﴾ بما عليها من الماء والنبات والأشجار، والمعادن من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ويدخل في هذا كل ما على الأرض من ذي الروح والجماد. وقوله: ﴿**لنبلوهم**﴾ لنختبر الخلق والمعنى لنعاملهم معاملة المبتلى ﴿**أيهم أحسن عملاً**﴾ هذا أم هذا؟ قال الحسن: أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها[(١٠)] وقال مقاتل «أيهم أصلح فيها من أوتي من المال فأحسن العمل أمّن زهد فيما زين له من الدنيا»[(١١)] ثم أعلم الله عز وجل أنه مبيد ومفن

= وأنه باطل، وأن المراد من كونه (قيماً) أنه سبب لهداية الخلق، وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال فالأرواح البشرية كالأطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم. انظر الرازي (٢١/ ٦٤).

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٦، بلا نسبة، روح المعاني ١٥/ ٢٠٢. بلا نسبة.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٠٩.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٩٢، تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٩ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/ ٦٦ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/ ٢٠٣ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٩٢، الرازي ٢١/ ٦٦ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/ ٢٠٣ بلا نسبة.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٤.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٨.

(٨) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٠، تفسير الرازي ٢١/ ٦٧، روح المعاني ١٥/ ٢٠٤،

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٩٥، روح المعاني ١٥/ ٢٠٥ تفسير البغوي ٣/ ١٤٤، بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣٠ بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٩٥، تفسير البغوي ٣/ ١٤٤ بنحوه بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣١، عن سفيان الثوري مختصراً.

(١١) انظر زاد المسير ٤/ ٧٩، تفسير البغوي ٣/ ١٤٤ بلا نسبة.

ذلك كله بقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ الصعيد المستوي من الأرض والجرز التي لا نبات فيها، وقال مجاهد: «بلاقع ليس فيها نبات»(١). وقال عطاء يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزاً ليس فيها ماء ولا نبات(٢) وقوله:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢﴾

﴿أم حسبت﴾ معناه بل أحسبت ﴿أن أصحاب الكهف﴾ يعني الفتية الذين سئل النبي ﷺ عن قصتهم، والكهف مغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر فهو غار وقوله: ﴿والرقيم﴾ زعم كعب والسدي: «أن الرقيم اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف(٣)» وقال سعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء «الرقيم الكتاب وهو لوح كانت فيه أسماؤهم»(٤) قال الفراء: «ونرى أنه إنما سمي رقيماً، لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه، والرقيم الكتابة» وقوله: ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ قال مجاهد: لم يكونوا بأعجب آياتنا(٥) وقال قتادة: يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك(٦) قال الزجاج: أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف(٧) ليست بعجيبة من آيات الله، لأن خلق السماوات والأرض وما بينهما مما يشاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف قوله: ﴿إذ أوى﴾ أي اذكر لقومك إذ أوى ﴿الفتية﴾ يعني أولئك الشبان، صاروا إلى الكهف، وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً ﴿وهيّىء لنا﴾ وأصلح لنا من قوله: هيأت الأمر، فتهيأ ﴿من أمرنا رشداً﴾ الرُّشْدُ والرَّشدُ والرَّشَادُ نقيض الضلال، أي أرشدنا إلى ما يقرب منك والمعنى: هيىء لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

قوله: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ قال المفسرون(٨): «أنمناهم» والمعنى: سددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها.

وقوله: ﴿سنين عدداً﴾ أي ذات عدد يعني سنين كثيرة، ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم بعد نومهم ﴿لنعلم﴾ قال المفسرون(٩): لنرى، وذكرنا وجه علم الله فيما يستقبل في مواضع(١٠). ﴿أي الحزبين أحصى﴾ قال قتادة ومجاهد أي

---

(١) انظر تفسير مجاهد ١/٣٧٣.

(٢) انظر زاد المسير ٥/١٠٧.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩٨، معالم التنزيل ١/١٤٥ عن كعب تفسير القرطبي ١٠/٢٣٢ عن كعب، الرازي ٢١/٧٠.

(٤) انظر معالم التنزيل ٣/١٤٥ عن سعيد بن جبير، تفسير القرطبي ١٠/٢٣٢، الرازي ٢١/٧٠.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١/٣٧٣.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩٧.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٠.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٠٥، تفسير البغوي ٣/١٥٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٣٦، تفسير الرازي ٢١/٧٠، روح المعاني ١٥/٢١٢، الدر المنثور ٤/٢١٥.

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٣٦، البحر المحيط ٦/١٠٣

(١٠) من هذه المواضع آية ١٤ سورة آل عمران.

الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف أحصى عد مدة لبثهم، وعلم ذلك [١] وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله، ليتبين ذلك ويظهر قوله:

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿نحن نقص عليك نبأهم﴾ خبر الفتية بالحق بالصدق **﴿إنهم فتية﴾** أحداث وشباب **﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** ثبتناهم على الإيمان **﴿وربطنا على قلوبهم﴾** ألهمناهم الصبر **﴿إذ قاموا﴾** بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين، حين قالوا بين يديه: **﴿ربنا رب السموات والأرض﴾** الآية. وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وحده، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططاً، وهو قوله: **﴿لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾** كذباً وجوراً، وأصل الشطط مجاوزة القدر **﴿هؤلاء قومنا﴾** هذا من قول الفتية يعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس **﴿واتخذوا من دونه آلهةً﴾** عبدوا الأصنام **﴿لولا﴾** هلا **﴿يأتون عليهم﴾** على عبادتهم **﴿بسلطان بين﴾** بحجة بينة **﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾** فزعم أن له شريكاً في العبادة، قوله: **﴿وإذ اعتزلتموهم﴾** قال ابن عباس رضي الله عنه: هذا من قول يمليخا وهو رئيس أصحاب الكهف[٢] قال لهم **﴿وإذ اعتزلتموهم﴾** أي فارقتموهم، وتنحيتم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام **﴿وما يعبدون﴾** أي اعتزلتم ما يعبدون **﴿إلا الله﴾** فإنكم لن تتركوا عبادته، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله، فقال اعتزلتم الأصنام، ولم تعتزلوا الله ولا عبادته **﴿فأووا إلى الكهف﴾** صيروا إليه واجعلوه مأواكم **﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾** يبسطها عليكم **﴿ويهيء لكم من أمركم مرفقاً﴾** قال ابن عباس: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه، ويأتكم باليسر وبالرفق واللطف، وكل ما ارتفقت به فهو مرفق، ويقال فيه أيضاً (مرفق) بفتح الميم[٣] وكسر الفاء كقراءة أهل المدينة وهما لغتان في مرفق اليد والأمر، قال الفراء وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر، ومن مرفق الإنسان، وقد تفتح العرب أيضاً الميم فيهما لغتان وكأن الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢١/٧١، روح المعاني ١٥/٢١٢، كلاهما عن مجاهد.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٠٨، تفسير القرطبي ١٠/٢٣٩، بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٢٢٠.

(٣) انظر النشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٠، روح المعاني ١٥/٢٢٢.

المرفق والأمر المرفق من الإنسان[١] قوله: ﴿وترى الشمس إذا طلعت﴾ أي لو رأيتها، لرأيت كما ذكر الله تعالى ﴿تزاور عن كهفهم﴾ تنتحي وتميل عنهم، ومعنى التزاور التمايل من الزور والأزور، وقراءة أهل الكوفة بحذف تاء التفاعل، وقرأ ابن عامر (تزور[٢]) وقال الأخفش لا يوضع الازورار في هذا المعنى وإنما يقال: هذا مزور عني أي منقبض.

وقوله: ﴿ذات اليمين﴾ أي ناحية اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ قال الأخفش والزجاج وأبو عبيدة تعدل عنهم وتتركهم[٣] تقول لصاحبك: هل وردت مكان كذا؟ فيقول المجيب إنما قرضته ذات الشمال، إذا مر به وتجاوز عنه قال الكلبي: يقول: إذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات اليمين يعني يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال يعني شمال الكهف لا تصيبه وكان كهفهم نحو بنات نعش[٤] في أرض الروم أعلم الله تعالى أنه بوأهم في مقناة[٥] من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها، وتغير ألوانهم ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف، ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء، فقال ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي من الكهف والفجوة متسع في مكان ﴿ذلك﴾ أي ذلك التزاور والقرض ﴿من آيات الله﴾ من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية أصحاب الكهف، ولولا ذلك لم يهتدوا، فالمهتدي من هداه الله تعالى كهؤلاء ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ كدقيانوس الكافر وأصحابه، قوله: ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً جمع يقظ، ويقظان ﴿وهم رقود﴾ نائمون، مصدر سمي به كما يقال: قوم ركوع وسجود قال الكلبي: إنما يحسبون أيقاظاً لأن أعينهم مفتحة وهم نيام، ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال ابن عباس: لئلا تأكل الأرض لحومهم[٦] وقال قتادة: ذكر لنا أن لهم في كل عام تقليبتين[٧] وقوله﴿وكلبهم﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين[٨] انهم هربوا من ملكهم ليلاً، فمروا براعٍ معه كلب، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه قال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أولياء الله، فناموا حتى أحرسكم[٩] وقال أبو عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم[١٠] وقوله: ﴿باسط ذراعيه﴾ وهو أن يلقيهما على الأرض مبسوطتين، كافتراش السبع، وقوله: ﴿بالوصيد﴾ قال ابن عباس

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٦.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٠. تفسير القرطبي ١٠/٢٤٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٣، تهذيب اللغة ٨/٣٤٢.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعشٌ، لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش، لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى، واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة، والتأنيث، وقيل: شبهت بحملة النعش في تربيعها، وجاء في الشعر بنو نعش. انظر لسان العرب ٦/٤٤٧٤، ترتيب القاموس ٤/٣٩٩.

(٥) مقناة ومقنوة بغير همز مكان من الظل حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء انظر لسان العرب (٥/٣٧٦٠).

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٤، تفسير القرطبي ١٠/٢٤١، تفسير الرازي ٢١/٨٦.

(٧) تفسير القرطبي ١٠/٢٤١ عن أبي هريرة.

(٨) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٤، تفسير القرطبي ١٠/٢٤١ عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٤١.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٤١، تفسير الرازي ٢١/٨٦.

والمفسرون[١]: يعني فناء الكهف قال أبو عبيدة وأبو عبيد: «الوصيد فناء البيت[٢]» ﴿لو اطلعت﴾ أي أشرفت ﴿عليهم لوليت منهم فراراً﴾ لأدبرت وانقلبت ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ فزعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يدخل عليهم أحد.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة نا يزيد بن هارون أنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذين ذكر الله تعالى في القرآن، فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالاً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فبعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم[٣] وفي قوله: ﴿ولملئت﴾ قراءتان التشديد والتخفيف[٤] والاختيار التخفيف، لأنهم يقولون: ملأني رعباً، ولا يكادون يقولون: ملأني، قوله:

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي وكما فعلنا بهم ما ذكر ﴿بعثناهم﴾ أحييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ كم مر علينا منذ دخلناهذا الكهف؟ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال المفسرون[٥] إنهم دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله تعالى في آخر النهار، ولذلك قالوا: يوماً فلما رأوا الشمس قالوا: أو بعض يوم، وكان قد بقي من النهار بقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ قال ابن عباس: «هو تمليخا رئيسهم، رد علم ذلك إلى الله[٦]» ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ الورق الفضة، مضروبة وغير مضروبة. يقال: وَرِقٌ وَوَرْقٌ، وإنما قال هذه لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة قال ابن عباس وكانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم.

(١) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٤، عن مجاهد والضحاك تفسير القرطبي ١٠/٢٤٣، عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، الرازي ٢١/٨٦، روح المعاني ١٥/٢٢٦ عن ابن عباس.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/٣٩٧، تهذيب اللغة ١٢/٢٢٢.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف، وقال أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده صحيح.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١١، تفسير القرطبي ١٠/٢٤٣، تفسير الرازي ٢١/٨٦.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٥، تفسير القرطبي ١٠/٢٤٤، تفسير الرازي ٢١/٨٧.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٥، تفسير الرازي ٢١/٨٧.

وقوله: ﴿إلى المدينة﴾ يعني دقسوس وهي مدينتهم ويقال: هي اليوم طرسوس، ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ قال عطاء وسعيد بن جبير أحل الذبائح، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، وفيهم قوم يخفون إيمانهم[1] وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم لا تبتع طعاماً فيه ظلم ولا غصب[2] ﴿فليأتكم برزق منه﴾ بما تأكلونه ﴿وليتلطف﴾ وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾ قال ابن عباس: «لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة»[3] قوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا مكانكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم، وهو من أخبث القتل ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ قال ابن عباس: يردوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي إن رجعتم إلى دينهم لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ قال المفسرون إن الفتية لما هربوا من ملكهم، ودخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف ليموتوا عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالوا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له: تندوسيس، وتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من يؤمن بالله تعالى، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا[4] إلى الله تعالى وتضرع وقال: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق ﴿وأن الساعة﴾ آتية ﴿لا ريب فيها﴾ فألقى الله في نفس الرجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني منه حظيرة لغنمه، ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على أمرهم، وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم، وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين فتية بعثهم الله تعالى، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما بلغه الخبر حمد الله، وركب، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف فذلك قوله:

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم وبعثناهم ﴿أعثرنا﴾ أطلعنا وأظهرنا ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وأن القيامة لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ تنازع أهل ذلك الزمان في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم، وفيما يفعلون بعد أن اطلعوا عليهم فقال الله تعالى ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بشأنهم وعددهم، وقال مشركو ذلك الوقت ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ يعني استروهم من الناس بأن تجعلوه وراء ذلك البنيان، كما يقال: بنى عليه جداراً، إذا حوطه وجعله وراء الجدار ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ وهم المؤمنون الذين لم يشكّوا في البعث الملك وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ ذكر في القصة أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً وجعل عنده عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبعث والنشور، لأن المساجد للمؤمنين[5] قوله:

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٤٤، عن ابن عباس بنحوه، تفسير الرازي ٢١/٨٨ عنه.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢١/٨٨، البحر المحيط ٦/١١١.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٤٤، تفسير الرازي ٢١/٨٨ كلاهما بلا نسبة.

(٤) في أ، جـ (وبكى).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٨.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ أخبر الله تعالى أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران[1] إلى النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية[2] منهم «كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم» وقالت النسطورية[3] كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقوله: **﴿رجماً بالغيب﴾** الرجم القول بالظن والحدس [4] وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء والمعنى: ظناً من غير يقين، كأنهم يرجمون القول فيهم بالغيبة عنهم، وإنما حذفت الواو من الجملتين المتقدمتين، لأن الذي فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما عقد الاتباع، لا سيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين.

قال أبو علي الفارسي قوله: رابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى وهي قوله: ثلاثة والتقدير: هم ثلاثة[5] وهذا معنى قول الزجاج[6]: دخول الواو في وثامنهم وإخراجها من الأول واحد وقوله **﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾** أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس، قال ابن عباس أنا من ذلك القليل.

أخبرنا: أبو علي الحسن بن أحمد بن حمشاذ أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان المذكر أنا محمد بن المسيب الأرغياني نا محمد بن النعمان بن شبل الباهلي نا يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: **﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾** قال: أنا من أولئك القليل وهم: مكسملينا وتمليخا، ومرطونس، وبنيونس، وسارينونس، ودنوانس، وكينشيطينونس، وهو الراعي، والكلب اسمه قطمير، كلب أنمر[7] فوق القلطي[8] ودون الكردي قال

---

(١) نَجْران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون وهو في عدة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة. انظر مراصد الاطلاع ١٣٥٩/٣.

(٢) أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده بل هو هو. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** المائدة (٧٢)، وانظر تفصيل ذلك في الملل والنحل (٢/ ٣٠) ويسمون الآن (الأرثوذكس).

(٣) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم أضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به، كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل هذا الضلال المبين في الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٩).

(٤) انظر لسان العرب ١٦٠١/٣، ترتيب القاموس ٣١٢/٢.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٤٩/١٠، البحر المحيط ١١٤/٦.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣.

(٧) النمرة: بالضم: النكتة من أي لون كان، والأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى سوداء، انظر ترتيب القاموس ٤٤١/٤.

(٨) القلطيّ: القصير جداً انظر لسان العرب ٣٧٢٢/٥.

محمد بن المسيب[١] القلطي كلب زيتي وقال ما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث إلا من لم يقدر له، قال: وكتب عني أبو عمرو الحيري [قال الشيخ رضي الله عنه][٢] وصدق ابن المسيب، فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الحيري هذا الحديث مروياً عن ابن المسيب.

أخبرنا: أبو بكر الحارثي نا [أبو الشيخ الحافظ][٣] عبد الله بن محمد بن حيان نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا المحاربي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الله تعالى عدهم، حتى انتهى إلى السبعة وأنا من القليل الذين يعلمونهم، هم سبعة[٤] يعني أصحاب الكهف.

وقوله: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً﴾ المراء في اللغة الجدال، يقال: مارى يماري مماراة ومراء أي جادل والمعنى: لا تقل في أمرهم بغير ما أوحي إليك من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل ﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم﴾ من اليهود وأهل الكتاب ﴿أحداً﴾ قال الفراء هم فريقان أتوه من نجران، يعقوبي، ونسطوري، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فنهي[٥].

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال المفسرون[٦] لما سألت اليهود رسول الله ﷺ عن خبر الفتية، قال: غداً ولم يقل إن شاء الله فحبس عنه الوحي، حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى يقول: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فقل إن شاء الله، قال الأخفش والمبرد ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف [تقول، نقل][٧] شاء إلى لفظ الاستقبال وقوله ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾][٨] الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره وقله إذا تذكرت.

قال سعيد بن جبير: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فنسيت الاستثناء، ثم تذكرت فقل إن شاء الله، وإن كان بعد يوم، أو شهر أو سنة. وقال عمرو بن دينار له أن يستثني متى ذكر ﴿وقل عسى أن يهدين ربي﴾ الآية قال الزجاج عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب إلى الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف[٩] ثم إن الله تعالى فعل به ذلك، حيث أتاه من علم غيوب المرسلين، وخبرهم، ما كان أوضح في الحجة، وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم فقال:

---

(١) محمد بن النعمان بن شبل البصري الباهلي مولاهم، روى عن مالك وعطاف بن خالد، وفضيل بن عياض. روى عنه أبو روق النهراني، التهذيب (٩/٤٩٣).

(٢) سقط في ب، جـ.

(٣) سقط في ب، جـ.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٧، ابن كثير ٥/١٤٤، تفسير القرطبي ١٠/٢٤٩، تفسير الرازي ٢١/٩٠.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٨.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩١، تفسير البغوي ٣/١٥٧، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٠، تفسير الرازي ٢١/٩٢.

(٧) سقط في ب.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٨.

وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

﴿ولبثوا في كهفهم﴾ يعني من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله تعالى وأطلع عليهم الخلق **﴿ثلثمائة سنين﴾** قال الفراء والزجاج وأبو عبيدة والكسائي التقدير: سنين ثلثمائة[1] وقال أبو علي الفارسي سنين بدل من قوله: **﴿ثلثمائة﴾** كما تقول: أعطيته ألفاً دراهم، ومائة أثواباً، وقرأ حمزة «ثلثمائة سنين» مضافة غير منونة وهذه قراءة غير جيدة[2].

قال الأخفش: ولا يحسن إضافة المائة إلى السنين، ولا تكاد العرب تقول: مائة سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة[3] وقوله: **﴿وازدادوا تسعاً﴾** يعني تسع سنين فاستغني عن ذكر السنين بما تقدم من ذكرها ثم أخبر أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: **﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾** وقال الكلبي قالت نصارى نجران: أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت **﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض﴾** أي: «علم ما غاب فيهما عن العباد» **﴿أبصر به وأسمع﴾** هذا لفظ التعجب، كقولك: ما أبصره وأسمعه، والمعنى: ما أبصر الله بكل موجود، وأسمعه لكل مسموع. وقوله: **﴿ما لهم من دونه من ولي﴾** ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر **﴿ولا يشرك﴾** الله **﴿في حكمه أحداً﴾** فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً لله في حكمه وقرأ ابن عامر **﴿ولا تشرك﴾**[4]، على معنى ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً، على النهي عن الإشراك في حكمه. **﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾** معناه: اتبع القرآن، واعمل به **﴿لا مبدل لكلماته﴾** قال ابن عباس لمواعيده وقال الزجاج أي ما أخبر الله به، وما أمر به فلا مبدل له[5] وعلى هذا يكون التقدير: لا مبدل لحكم كلماته **﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾** قال مجاهد والفراء: ملجأ[6] وقال الزجاج: لن تجد معدلاً عن أمره ونهيه[7].

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٨، معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٨.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٢.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣٨، تفسير البغوي ٣/١٥٨ عن الفراء.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣١٠)، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٣، البحر المحيط ٦/١١٧، تفسير الرازي ٢١/٩٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٠.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩، معاني القرآن للفراء ٢/١٣٩، تفسير الرازي ٢١/٩٨، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٣ بلا نسبة، البحر المحيط ٦/١١٨.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٠.

﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

قوله: **﴿واصبر نفسك﴾** الآية أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء في دار السنة يوم الجمعة بعد الصلاة، في شهور سنة ست عشرة، وأربعمائة قال:

أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد ربه الحيري حدثنا: محمد بن إبراهيم البوشنجي نا الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني[١] حدثنا سليمان بن عطاء القرشي عن مسلمة بن عبد الله الجهني[٢] عن عمه أبي مشجعة[٣] عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان، وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصفوف، لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك، وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** حتى بلغ **﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾** يتهددهم بالنار فقام النبي ﷺ، يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله تعالى قال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات»[٤] وهذه الآية مفسرة في سورة الأنعام إلى قوله: **﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾**[٥].

قال الوالبي عن ابن عباس لا تتعداهم إلى غيرهم[٦] وقال الفراء: لا تنصرف عيناك عنهم[٧] وقال الزجاج لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة[٨] وقوله **﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾** يعني مجالسة أهل الشرف والغنى، وتريد ههنا في موضع الحال، أي مريداً، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين، مريداً مجالسة الأشراف، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء، طمعاً في إيمان أتباعهم ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا لأنه لم يمل إلى الدنيا قط، ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء، طمعاً في إيمانهم فعوتب بهذه الآية، وأمر بأن يجعل إقباله على فقراء المسلمين وألا يلتفت إلى غيرهم، وقوله: **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾** قال ابن عباس: يريد عيينة وأشباهه[٩] أي لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك، ومعنى **﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾**[١٠]

---

(١) الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني أبو وهب. صدوق انظر الجرح والتعديل ٩/١٠.

(٢) مسلمة بن عبد الله بن رِبْعي الجهني الحِمْيري مقبول. انظر تقريب التهذيب ٢/٢٤٨.

(٣) أبو مشجعة بن ربعي الجهني مقبول انظر التقريب ٢/٤٧٣.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢١٩، وعزاه لأحمد في الزهد عن ثابت وأخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٢٣٦، أبو نعيم في الحلية ١/٣٤٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٣٢، وانظر أسباب النزول للمصنف ٢٠١.

(٥) سورة الأنعام آية ٥٢.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/٥٩ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٠.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨١.

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

جعلناه غافلاً عن القرآن والإسلام وكلمة التوحيد والإسلام وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه﴾ قال نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد، ﴿واتبع هواه﴾ قال يعني الشرك ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال مجاهد ضياعاً[١] وقال السدي: هلاكاً[٢]، وأمر فرط متهاون به مضيع أصله من التفريط، وهو تقديم العجز، قال الزجاج: ومن قدم العجز في أمره أضاعه الله وأهلكه[٣]ومعنى هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى، وقال الليث: الفرط الأمر الذي يفرط فيه تقول: كل أمر فلان فرط ثم أمره بما يقول لهؤلاء الذين أمروه بتنحية الفقراء وإدناء مجلسهم ليؤمنوا به، فقال ﴿وقل الحق من ربكم﴾ أي هذا الحق من ربكم، قال قتادة يعني القرآن[٤]، وقال الزجاج: أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم[٥] يعني لم آت به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من عند الله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ قال مجاهد والسدي: هذا وعيد من الله تعالى وإنذار[٦] وقد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، فقال: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ أي هيأنا وأعددنا لمن عبد غير الله ناراً ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق كل ما أحاط بالشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط.

أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن أحمد بن حمدان الحيري أنا أحمد بن علي التميمي نا زهير نا الحسن بن موسى نا ابن لهيعة نا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: سرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة[٧] «والمعنى أنهم وراء هذا الجدر وهي محيطة بهم» ﴿وإن يستغيثوا﴾ مما هم فيه من العذاب وشدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير والوالبي والعوفي كدردي الزيت[٨] وهو تفسير النبي ﷺ فيما:

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا: أبو عمرو بن مطر نا إبراهيم بن علي الذهلي نا يحيى بن يحيى نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل ﴿بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت، فإذا قربه إليه، سقط فروة وجهه فيه[٩] وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود أنه

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩ عن مجاهد، وقتادة، روح المعاني ١٥/٢٦٥، البحر المحيط ٦/١٢٠، تفسير الرازي ٢١/١٠٠ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٣٧، روح المعاني ١٥/٢٦٥ عن مجاهد.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨١.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/١٢٠، عن مقاتل، ابن كثير ٥/١٥٠.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨١.

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة، الرازي ٢١/١٠٢ عن علي بنحوه.

(٧) أخرجه الترمذي ٤/٥٠٨ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٤، وقال هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وابن المبارك في الزهد ٢/٩٠، وأبو نعيم في الحلية ١٠/٢٩٠، والحاكم في المستدرك ٤/٦٠١ وانظر زاد المسير ٥/١٣٤.

(٨) انظر البغوي ٣/١٦٠، القرطبي ١٠/٢٥٦، روح المعاني ١٥/٢٦٨ كلهم عن ابن عباس، تفسير الرازي ٢١/١٠٣، البحر المحيط ٦/١٢١. وقوله درديّ الزيت وهو ما يبقى في أسفله انظر لسان العرب (درد).

(٩) أخرجه الترمذي ٤/٦٠٧ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨١، والطبري في تفسيره ١٥/١٥٧، والسيوطي في الدر ٤/٢٢٠، وابن كثير في تفسيره ٥/١٥١، انظر القرطبي ١٠/٢٥٦، روح المعاني ١٥/٢٦٨، البحر المحيط ٦/١٢١.

سئل عن المهل، فدعا بذهب وفضة فخلطهما فأذيبا حتى إذا أزبدا وانماعا، قال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو شراب أهل النار[١].

وهذا القول اختيار الزجاج فقال: إنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب، أو الصفر[٢] أو الفضة وقوله: ﴿**يشوي الوجوه**﴾ قال ابن عباس يشويها حتى يسقط لحمها فيه ثم ذمه فقال: ﴿**بئس الشراب وساءت**﴾ النار ﴿**مرتفقا**﴾ أي منزلاً ومقراً ومجلساً ومعنى المرتفق في اللغة، ما يرتفق به ثم يسمى الدار والمنزل مرتفقاً لأنه مما يرتفق به، ثم ذكر ما وعد المؤمنين، فقال: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً**﴾ أي: لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم بالأعمال الصالحة قوله: ﴿**أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب**﴾ قال الزجاج: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار، وهو زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك يسور في اليد ويتوج على الرأس[٣] قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحد من فضة، وواحد من ذهب، وواحد من لؤلؤ ويواقيت[٤] وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ «**لو أن أدنى أهل الجنة حلية،** عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة، أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً»[٥] وقوله ﴿**ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق**﴾ قال المفسرون[٦] السندس نمارق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه، وهو اسم أعجمي، أصله الفارسية استبر، فنقل إلى العربية وقوله ﴿**متكئين فيها على الأرائك**﴾ الاتكاء التحامل على الشيء، نحو التوكؤ ومنه قوله تعالى: ﴿أتوكأ عليها﴾[٧] والأرائك جمع أريكة وهو سرير في حجلة[٨] قال ابن عباس ومجاهد: الأرائك السرر في الحجال وهي من ذهب مكللة بالدر والياقوت[٩] ﴿**نعم الثواب**﴾ قال ابن عباس طاب ثوابهم وعظم ﴿**وحسنت**﴾ الأرائك ﴿**مرتفقاً**﴾ موضع ارتفاق بمعنى اتكاء.

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ

---

(١) انظر تفسير ابن سعود. تفسير البغوي ٣/ ١٦٠ عن ابن مسعود.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٢.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٨، روح المعاني ١٥/ ٢٧٠ بلا نسبة.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/ ١٢٢، تفسير الرازي ٢١/ ١٠٤ بلا نسبة.

(٥) ذكره الهيثمي في الدر ١٠/ ٤٠٤، وعزاه للطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود، وقال هو ضعيف، وقد وثق وبقية رجاله ثقات وذكره السيوطي في الدر ٤/ ٢٢١، وزاد نسبته للبيهقي في البعث.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٦١، البحر المحيط ٦/ ١٢٢.

(٧) سورة طه آية ١٨.

(٨) موضع يزين بالثياب والستور للعروس ترتيب القاموس ١/ ٥٩٦.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٢٤٣، تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٨، روح المعاني ١٥/ ٢٧٢، تفسير البغوي ٣/ ١٦١.

أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿**واضرب لهم مثلاً رجلين**﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، والآخر كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، وأخذ به عند الله الجنان والقصور حتى نفد ماله، فضربهما الله تعالى مثلاً للمؤمن والكافر الذي ابطرته النعمة[1] وهو قوله ﴿**جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل**﴾ الحق الإحاطة بالشيء، ومنه قوله: ﴿حافين من حول العرش﴾ [2]. يقال: جعلنا النخل مطيفاً بهما ﴿**وجعلنا بينهما**﴾ بين الجنتين ﴿**زرعاً**﴾ ثم أخبر أنهما كانا يؤديان حملهما من نخلهما وأعنابهما، والزرع الذي كان بينهما، قال ﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها**﴾ أي آتت صاحبها أكلها، وهو ما يؤكل منها من الريع ﴿**ولم تظلم منه شيئاً**﴾ لم تنقص، يقال: ظلمه حقه أي نقصه. ﴿**وفجرنا خلالهما**﴾ أنبطنا[3] وأخرجنا وسط الجنتين ﴿**نهراً وكان له**﴾ للأخ الكافر ﴿**ثمر**﴾ قال الوالبي: مال[4] وقال مجاهد ذهب وفضة[5]، وقال قتادة: من كل المال، وقرىء ثمر وثُمر وثمر بضم الثاء وسكون الميم[6] قال الليث: الثمر حمل الشجر والثمر أنواع المال يقال أثمر الرجل إذا كثر ماله وثمر الله مال فلان كثره [7] والثمر تخفيف الثمر مثل عنق وعنق والمفسرون على أن الثمر ههنا الأموال ﴿**فقال لصاحبه**﴾ لأخيه ﴿**وهو يحاوره**﴾ يراجعه الكلام، ويجاوبه ﴿**أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً**﴾ النفر والقوم والرهط معناها الجمع لا واحد لها من لفظها، قال ابن عباس يريد كثرة العبيد وعزه فيهم وقال قتادة وتلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة النفر، وهم الخدم والحشم [8]، وقال غيره: يعني عشيرة ورهطاً [9].

قوله: ﴿**ودخل جنته**﴾ قال المفسرون[10] أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته، يطوف به فيها ويريه اياها، ويعجبه

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٩، روح المعاني ١٥/٢٧٣، كلاهما عن ابن عباس، تفسير الرازي ٢١/١٠٥، البحر المحيط ٦/١٢٤.

(٢) سورة الزمر آية ٧٥.

(٣) الماء ينبط إذا نبع انظر ترتيب القاموس ٤/٣١٤.

(٤) انظر البحر المحيط ٦/١٢٥، عن أبي عمرو بن العلاء.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٢، البحر المحيط ٦/١٢٥، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٢ عن ابن عباس، روح المعاني ١٥/٢٧٢، تفسير الرازي ٢١/١٠٧.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٤، البحر المحيط ٦/١٢٥ تفسير البغوي ٣/١٦٢.

(٧) انظر تهذيب اللغة ١٥/٨٣، تفسير الرازي ٢١/١٠٦.

(٨) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٢، روح المعاني ١٥/٢٧٥.

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١١٦٢، زاد المسير ٥/١٤٢.

(١٠) تفسير البغوي ٣/١٦٢، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٢ بلا نسبة.

منها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ بالكفر بالله ﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ أنكر فناء الدنيا وفناء جنته، وأنكر البعث والثواب والعقاب بقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ قال الزجاج أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا، وقيام الساعة[1] ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ الآية قال ابن عباس: يريد إن كان البعث حقاً[2] ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ أي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه، لكرامتي عليه. ومن قرأ منهما، رد الكناية إلى الجنتين اللتين تقدم ذكرهما[3]، فأجابه صاحبه، مكفراً له بما قال: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ يعني أصل الخلقة ﴿ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ أكملك وجعلك معتدل الخلق والقامة ثم أعلمه أنه موحد، فقال ﴿لكنا هو الله ربي﴾ وأصله لكن أنا، فخففت الهمزة، وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها، فصار لكن فأدغموا النون الأولى في الثانية، فصار لكنّ ومن قرأ (لكنا) بإثبات ألف أنا فإنه أثبت الألف في الوصل[4] كما ثبت في الوقف على لغة من يقول أنا قمت، وهو غير مختار في القراءة، ثم أقبل على أخيه يلومه، قال: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ بمعنى هلا وتأويله التوبيخ، ﴿قلت ما شاء الله﴾ قال الفراء والزجاج: ما في موضع رفع على معنى الأمر ما شاء الله[5]. أي هلا قلت حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، يعني إن شاء إخراب هذه الجنة وإهلاكها، كان ذلك بمشيئته ﴿لا قوة إلا بالله﴾ قال الزجاج لا يقوى أحد على ما في يديه من ملك ونعمة إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله[6]، ثم رجع إلى نفسه، فقال: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ أنا: عماد[7] وأقل مفعول ثان لترى ﴿فعسى ربي أن يؤتيني﴾ قال ابن عباس: في الآخرة[8] ﴿خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء﴾، الحسبان المرامي يرمى بها، قال النضر بن شميل: الحسبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة، ينزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة[9] والمعنى يرسل عليها مرامي من عذابه، إما برداً، وإما حجارة، أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ أرضاً لا نبات فيها والزلق المكان المزلقة، والمعنى أنها تصير جرداء لا نبات فيها ﴿أو يصبح ماؤها﴾ يعني النهر الذي في خلالها ﴿غوراً﴾ غائراً ذاهباً في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ لا يبقى له أثر بطلبه به ﴿وأحيط بثمره﴾ يعني أهلك، وأحيط العذاب بأشجاره ونخيله، ﴿فأصبح﴾ الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ قال ابن عباس يضرب يديه واحدة على الأخرى[10] وتقليب الكفين يفعله النادم كثيراً فصار عبارة عن الندم ﴿على ما أنفق فيها﴾ في جنته ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها وما عرش بكرومها ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ أخبر الله أنه سلبه ما أنعم عليه في الدنيا، فندم حين لم تنفعه الندامة، وتمنى أنه كان موحداً غير مشرك، قوله: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ قال ابن عباس لم ينصره النصر الذين افتخر بهم في قوله ﴿وأعز نفراً﴾[11] ﴿وما كان منتصراً﴾ بأن يسترد بدل ما ذهب منه،

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٦٢.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠١، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٤.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٥، معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٨.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٨.

(٧) عماد أي مسند إليه....

(٨) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٣، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٥، روح المعاني ١٥/٢٨٠.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٤/٣٣٢.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٣، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٦، تفسير الرازي ٢١/١٠٩ كلهم بلا نسبة.

(١١) انظر تنوير المقباس ٣/١٧٧.

وضربت هذه القصة مثلاً للمؤمن والكافر فالكافر تغره دنياه، ويتبجح بها، ويظن أنها تبقى له، والمؤمن من صبر على نوائبها، احتساباً بها جميل الآخرة، ولا يركن إليها، لما يعلم من فنائها، وسرعة انقضائها، وقبل ذكر قصة الأخوين، ذكر الله ما أعد للكافرين والمؤمنين، ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة، فقال ﴿هنالك﴾ قال الكلبي يقول عند ذلك وهو يوم القيامة[١] ﴿الولاية﴾ أكثر القراء على فتح الواو[٢] والولاية نقيض العداوة ويجوز الكسر فيها، ذكرنا ذلك في سورة الأنفال وقوله: ﴿لله الحق﴾ من كسر القاف جعله من وصف الله تعالى، ويدل على صحة هذه القراءة قوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ [٣] وقوله: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ [٤] ومن ضم القاف[٥]، جعله من وصف الولاية وحجته قراءة أبي ﴿هنالك الولاية الحق لله﴾ قال ابن قتيبة: يريد يومئذ يتولون الله تعالى ويؤمنون به، ويتبرأون مما كانوا يعبدون[٦] وذهب آخرون إلى أن الولاية [ههنا][٧] بمعنى تولى الأمر لا إلى معنى الموالاة، فقالوا: معنى الآية في ذلك الموطن الذي هو موطن الجزاء، لا يتمكن أحد من نصر أحد، بل الله تعالى يتولى ذلك، فينصر المؤمنين، ويخذل الكافرين لا يملك ذلك أحد من العباد، فالولاية يومئذ تخلص له، كما قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ [٨] وقوله ﴿هو خير ثواباً﴾ يقول: هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه على تقدير لو كان يثيب غيره، هو [٩] خير ثواباً ﴿وخير عقباً﴾ أي عاقبة طاعته، خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير عقب طاعة وإثابة ثم حذف المضاف إليه قوله:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿واضرب لهم﴾ يعني قومك ﴿ مثل الحياة الدنيا﴾ وهذا مفسر في سورة يونس إلى قوله ﴿فأصبح هشيماً﴾ وهو الكسير المتفتت، والهشم الكسر، والهشيم ما تكسر وتحطم من يبس النبات ﴿تذروه الرياح﴾ الذرو: حمل الريح الشيء، ثم تنشره وتفرقه يقال: ذرته الريح تذروه قال المفسرون[١٠] ترفعه وتفرقه ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدراً﴾ قادراً على إنشاء النبات ولم يكن، ثم أفناه. قوله: ﴿المال والبنون﴾ الآية هذا رد على

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٦٧ بلا نسبة.

(٢) اختلف القراء في لفظ (الولاية) ففي قراءة حمزة والكسائي بكسر الواو، وفي قراءة الباقين بالفتح، وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كسر الواو لحن قال الزمخشري: الولاية بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك. انظر تفسير الرازي ٢١/١١٠، النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٦.

(٣) سورة النور آية ٢٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٦٤.

(٥) قرأ أبو عمرو والكسائي: (الحق) بالرفع، والتقدير هنالك الولاية الحق لله، وقرأ الباقون بالجر صفة لله، كما أشار المصنف رحمه الله، انظر المصادر السابقة.

(٦) انظر غريب القرآن ٢٦٨.

(٧) في ب (هنالك).

(٨) سورة الفاتحة ٤. انظر تفسير الطبري ١٥/٢٥١، زاد المسير ٥/١٤٧.

(٩) في ب، جـ (لكان هو).

(١٠) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٤ عن ابن عباس، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٨ عن أبي عبيدة، روح المعاني ١٥/٢٦٨ عن أبي عبيدة والأخفش.

الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء، أخبر الله تعالى أن ذلك مما يتزين به في الحياة الدنيا، لا مما ينفع في الآخرة ﴿والباقيات الصالحات﴾ يعني ما يأتي به سلمان، وصهيب وفقراء المسلمين، وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك[١].

أخبرنا: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج أنا أبو بكر بن المؤمل أنا الفضل بن محمد البيهقي أنا عبد الله بن صالح نا كثير بن سليم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال لجلسائه: خذوا جنتكم، قالوا: أحضر عدو؟ قال: خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن المقدمات وهن المنجيات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات[٢].

أخبرنا: محمد بن علي بن حبيب الوراق أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا محمد بن حمدون بن خالد نا الحسن بن الفضل نا يوسف بن عيسى نا عكرمة عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: رسول الله ﷺ إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن من الباقيات الصالحات[٣] فتولوها. وقال في رواية سعيد بن جبير: هي الصلوات الخمس وهو قول مسروق وابن مسعود وإبراهيم[٤] وقال في رواية علي بن أبي طلحة هي الأعمال الصالحات وجميع الحسنات وهو قول قتادة[٥] وقال: كل طاعة لله فهي من الباقيات الصالحات[٦] واختاره الزجاج فقال: هي كل عمل صالح يبقى ثوابه[٧].

وقوله: ﴿خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين[٨]: قوله:

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢١/١١٢ بلا نسبة.

(٢) في سنده كثير بن سليم الضبي البصري المدائني ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وقال النسائي: متروك وقال أبو زرعة: واه، انظر ميزان الاعتدال ٣/٤٠٥ تهذيب التهذيب ٨/٤١٦. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٤١، كتاب الدعاء باب دعاء وقت الاضطجاع وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والطبراني في الصغير ١/١٤٥، والخطيب في التاريخ ٩/٣٣٦. وابن عدي في الكامل ٦/٢٠٨٥ وذكره السيوطي في الدر ٤/٢٢٥.

(٣) أخرجه الطبراني موقوفاً كذا في مجمع الزوائد ١/٩٣، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه البغوي في التفسير ٣/١٦٤.

(٤) انظر تفسير البغوي عن سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم وابن عباس، تفسير القرطبي ١٠/٢٦٩ عن ابن عباس وابن جبير وغيرهم.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٥ مختصرا، روح المعاني ١٥/٢٨٧، تفسير الرازي ٢١/١١٢.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٥٦، واختار أن المراد بالباقيات الصالحات جميع أعمال الخير، وقال: فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بحديث «سبحان الله» فإن ذلك بخلاف ما ظن فمراد الحديث من الباقيات سبحان الله.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٢.

(٨) انظر القرطبي ١٠/٢٦٩ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٢٨٧ بلا نسبة.

﴿ويوم﴾ اي وأذكر يوم تسير الجبال من وجه الأرض كما يسير السحاب في الدنيا ، ثم يكسر ، فيعود في الأرض، كما قال **﴿وبست الجبال بساً فكانت هباءاً منبثاً﴾**[١] وقرىء **﴿ نسير ﴾** الجبال على بناء الفعل للفاعل وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله: **﴿وحشرناهم فلم نغادر﴾** وقوله: **﴿وترى الأرض بارزة﴾** أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر، **﴿وحشرناهم﴾** يعني المؤمنين والكافرين **﴿فلم نغادر﴾** لم نترك ولم نخلف **﴿منهم أحداً وعرضوا على ربك﴾** يعني المحشورين **﴿صفاً﴾** مصفوفين كل زمرة وأمة صف **﴿لقد جئتمونا﴾** أي: فيقال لهم: لقد جئتمونا **﴿كما خلقناكم أول مرة﴾** قال ابن عباس حفاة عراة[٢] وقال الزجاج أي بعثناكم وأعدناكم ثانياً كما خلقناكم، لأن قوله **﴿لقد جئتمونا﴾** معناه بعثناكم[٣] **﴿بل زعمتم﴾** خطاب لمنكري البعث خاص، معناه: بل زعمتم في الدنيا **﴿ألن نجعل لكم موعداً﴾** للبعث والجزاء **﴿ووضع الكتاب﴾** يعني كتاب أعمال الخلق والكتاب اسم الجنس فيعم، والمعنى: وضع كتاب كل امرىء في يمينه أو شماله، **﴿فترى المجرمين﴾** يريد المشركين **﴿مشفقين﴾** خائفين **﴿مما فيه﴾** من الأعمال السيئة **﴿ويقولون يا ويلتنا﴾** لوقوعهم في الهلكة يدعون بالويل على أنفسهم **﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾** قال ابن عباس في رواية عكرمة: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك[٤] وقال سعيد ابن جبير: الصغيرة اللحم والكبيرة الزنا[٥] **﴿إلا أحصاها﴾** عدها وأثبتها وكتبها **﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾** مكتوباً مثبتاً ذكره في الكتاب، **﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾** لا يعاقبه بغير جرم ثم أمر نبيه أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء، قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا﴾ إلى قوله **﴿كان من الجن﴾** قال ابن عباس في رواية عطاء إن ملائكة السماء الدنيا يقال لهم الجن[٦] مثل قوله **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾**[٧] يعني حين قالوا: الملائكة بنات الله تعالى وقال شهر بن حوشب قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة من قبيل يقال لهم الجن[٨] وقوله **﴿ففسق عن أمر ربه﴾** خرج من طاعة ربه إلى معصيته في ترك السجود[٩] قال الفراء والعرب تقول:

---

(١) سورة الواقعة ٥ ـ ٦ .

(٢) انظر الطبري ١٥/٥٤٣، تفسير القرطبي ١٠/٢٧١ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٢٩٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/١١٤ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٢.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٦ تفسير القرطبي ١٠/٢٧٢، روح المعاني ١٥/٢٩٢ الدر المنثور ٤/٢٢٦.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٦، القرطبي ١٠/٢٧٢، روح المعاني ١٥/٢٩١.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٥٩، تفسير البغوي ٣/١٦٦.

(٧) سورة الصافات آية ١٥٨.

(٨) انظر روح المعاني ١٥/٢٩٣ بلا نسبة.

(٩) بين الله تعالى: في هذه الآية أن إبليس كان من الجن، وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال. الأول: أنه من الملائكة وكونه من =

فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه[1] ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ قال قتادة والحسن يعني أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[2] وكان مجاهد يذكر من ذريته زلنبور صاحب راية إبليس بكل سوق وثبر صاحب المصائب، والأعور صاحب أبواب الزنا، ومسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس لا يوجد لها أصل، وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسم ولم يذكر الله تعالى، يضره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه وإذا أكل ولم يذكر اسم الله تعالى، أكل معه فهؤلاء ذريته[3] وروى ليث عن مجاهد قال: ذريته الشياطين وقوله ﴿أولياء من دوني﴾ قال الكلبي ليس يصلون له، ولا يصومون ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده، ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ قال الحسن بئس ما استبدلوا نعمة ربهم إذ أطاعوا إبليس فبئس ذلك بدلاً لهم[4]، قوله ﴿ما أشهدتهم﴾ أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته ﴿خلق السماوات والأرض﴾ يعني أنه لم يشاورهم في خلقهما بل خلقهما وخلقهم على ما أراد وقدر من غير مشاورة لهم، وهذا إخبار عن كمال قدرته، واستغنائه عن الأنصار والأعوان يدل على هذا قوله: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً قال قتادة أعواناً يعضدونني عليه والعضد كثيراً ما يستعمل في معنى العون وذلك أن العضد قوام اليد ومنه قوله: ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾[5] أي سنعينك، ونقويك به، ووحد العضد، لوفاق الفواصل قوله ﴿ويوم يقول﴾ قال ابن عباس يريد يوم القيامة، يقول الله تعالى يوم القيامة: ادعوا الذين أشركتم بي، ليمنعوكم من عذابي[6] وهو قوله: ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يجيبوهم، لأنهم كانوا جماداً ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿موبقاً﴾ ذكر في التفسير أنه اسم وادٍ عميق فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وهو قول مجاهد وقتادة[7] ونوف البكالي [8] قال ابن الأعرابي وكل حاجز بين الشيئين فهو موبق[9] قال ابن عباس في رواية الوالبي مهلكاً[10] قال الفراء يقول جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً، أي مهلكاً لهم في الآخرة[11]، والبين على هذا القول معناه التواصل، كقوله ﴿لقد تقطع بينكم﴾[12] في قراءة من قرأ

= الملائكة لا ينافي كونه من الجن ولهُم فيه وجوه الأول: أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ الصافات (١٥٨). ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ الأنعام (١٠٠) والثاني: أن الجن سموا جناً للاستتار، والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن. الثالث: أنه كان خازن الجنة، ونسب إلى الجنة كقولهم كوفي وبصري. والقول الثاني: أنه من الجن الذين هم الشياطين، والذين خلقوا من نار وهو أبوهم. والقول الثالث: قول من قال كان من الملائكة فمسخ. انظر الرازي (١١٦/٢١).

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، روح المعاني ٢٩٣/١٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣. عن قتادة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣.

(٤) انظر زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣ عن قتادة تفسير القرطبي ٢٧٣/١٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ١١٧/٢١ بلا نسبة.

(٥) سورة القصص آية ٣٥.

(٦) انظر زاد المسير ١٥٥/٥، تفسير القرطبي ٤/١١ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٣، عن مجاهد، تفسير القرطبي ٤/١١ عن مجاهد ونوف البكالي.

(٨) نوف بن فضالة البكالي ابن امرأة كعب، شامي مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. انظر التقريب ٣٠٩/٢.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٣٥٤/٩.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٥/٥، تفسير البغوي ١٦٨/٣، تفسير القرطبي ٤/١١، كلاهما عن عطاء والضحاك، روح المعاني ٢٩٨/١٥ بلا نسبة.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، تفسير الرازي ١١٩/٢١، عن الفراء.

(١٢) سورة الأنعام آية ٩٤.

بالرفع، والمعنى: أن تواصلهم وتعاونهم ومخالتهم[١] في الكفر واجتماعهم على عداوة محمد ﷺ يسبب هلاكهم في الآخرة، يقال: وبق وبقاً يوبق فهو وبق ذكره الفراء في المصادر قال وحكى الكسائي وبق يبق وبوقاً فهو وابق، قال ولم أسمعها[٢]، قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ قال ابن عباس يريد المشركين[٣] «رأوها وهي تتلظى حنقاً عليهم» ﴿فظنوا﴾ علموا وأيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ واردوها وداخلوها ومعنى الواقعة الملابسة للشيء بشدة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ لأنها أحاطت بهم من كل جانب فلم يقدروا على الهرب ولا على الرجوع عنها المصرف الموضع الذي يصرف إليه، قوله:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل، وقوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ قال ابن عباس يريد النضر بن الحارث وجداله في القرآن[٤] وقال الكلبي يعني أبي بن خلف[٥] وقال الزجاج معناه كان الكافر، يدل عليه قوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ [٦] قوله ﴿وما منع الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ محمد ﷺ جاءهم من الله تعالى بالرشاد والبيان ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطف على أن يؤمنوا ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ وهو أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا يقول: لقد قدرت على هؤلاء العذاب، فذلك الذي يمنعهم عن الإيمان، وهذه الآية فيمن قتلوا من المشركين ببدر واحد، وهو قوله ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ أي عياناً مقابلة، وقرأ أهل الكوفة قبلاً جمع قبيل [٧] أي: صنفاً صنفاً، وقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين [٨] وأتباعهم وجدالهم بالباطل أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحون ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ليبطلوا به ما جاء به محمد ﷺ، يقال: دحضت

---

(١) الخل: الصديق المختص، انظر ترتيب القاموس ٢/١٠٢. والمخالة: المصادقة.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٧.
(٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٨ بلا نسبة.
(٤) انظر تفسير القرطبي ١١/٦ روح المعاني ١٥/٣٠٠، كلاهما بلا نسبة.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١١/٦ بلا نسبة، روح المعاني ١٥/٣٠٠.
(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٦.
(٧) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٦٠.
(٨) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٧٠، القرطبي ١١/٦ بلا نسبة.

حجته أي بطلت، وأدحضت حجته إذا أبطلتها وقوله: ﴿واتخذوا آياتي﴾ يعني القرآن ﴿وما أنذروا﴾ وما خوفوا به من النار والقيامة ﴿هزواً﴾ مهزواً به، قوله: ﴿ومن أظلم﴾ استفهام معناه التقرير أي لا أحداً ظلم ﴿ممن ذكر﴾ وعظ ﴿بآيات ربه﴾ بالقرآن وما فيه من الوعيد ﴿فأعرض عنها﴾ تهاوناً بها ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ يعني ما سلف من ذنوبه، وما بعد هذا مفسر في سورة الأنعام ﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ إلى الإيمان والقرآن ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ قال الزجاج أخبر الله تعالى أن هؤلاء أهل الطبع على قلوبهم[1] ﴿وربك الغفور﴾ الغافر الساتر على عباده ﴿ذو الرحمة﴾ حين لم يعاجلهم بالعقوبة وهو قوله: ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد﴾ للبعث والحساب ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ منجى وملجأ، قال: وأل يئل وألا، إذا نجا، قوله ﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾ يعني أهلها، ولذلك قال: أهلكناهم قال ابن عباس يريد ما أهلك بالشام واليمن[2] ﴿لما ظلموا﴾ أشركوا وكذبوا الأنبياء ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ يجوز أن يكون المهلك ههنا مصدراً، ويجوز أن يكون وقتاً، والمعنى: جعلنا لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم ومن قرأ: لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام[3] كان المعنى لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتحها، فهو مصدر مثل الهلاك وقوله: ﴿موعداً﴾ أي وقتاً وأجلاً، قوله:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله[4].

أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٧.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٧٠.

(٣) قرأ حفص بفتح الميم، وكسر اللام، وقرأ أبو بكر بفتح الميم واللام انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٢١٨).

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/١٧٠، تفسير القرطبي ١١/٨ بنحوه، تفسير الرازي ٢١/١٢٢.

موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت، فهو ثم، فأخذ حوتاً، فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال: ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما، حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله تعالى، لا تعلمه، علمنيه، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر، فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منك ذكراً، ﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول[١] فلما ركبا في السفينة، لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم، فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، قال: ﴿ألم أقل﴾ ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾؟ قال ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقر هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿إن سألتك عن شيء فلا﴾، إلى قوله: ﴿يريد أن ينقضّ﴾، قال: مائلاً فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لتخذت عليه أجراً قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر، حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، رواه البخاري[٢] عن الحميدي، ورواه مسلم[٣] عن ابن أبي عمر كلاهما عن سفيان.

وقوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ معناه: واذكر ذلك، لما في تلك القصة من العبرة، قوله ﴿لفتاه﴾ أجمعوا على أنه يوشع بن نون، قال الفراء: إنما سمي فتى موسى، لأنه كان ملازماً له، يأخذ عنه العلم ويخدمه[٤] ﴿لا أبرح﴾ لا أزال، ومنه قوله ﴿لن نبرح عليه عاكفين﴾[٥] والمعنى: لا أزال أسير، حتى أبلغ مجمع البحرين، قال قتادة: يعني بحر

(١) نول: أي عطاء، انظر ترتيب القاموس ٤/٤٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٢٦٢ كتاب التفسير باب قوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾، (٤٧٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٨٤٧) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (١٧٠ ـ ٢٣٨٠).

(٤) انظر روح المعاني ١٥/٣١١ بلا نسبة.

(٥) سورة طه آية ٩١.

فارس وبحر الروم، وكان ذلك الموضع الذي وعد موسى للقاء الخضر[١] وقوله ﴿**أو أمضي حقباً**﴾ أي أسير حقباً قال الوالبي «دهراً»[٢] والحقب عند أهل اللغة ثمانون سنة[٣]، والمعنى: لا أزال أسير، وإن احتجت إلى أن أسير حقباً، حتى أبلغ مجمع البحرين ﴿**فلما بلغا**﴾ يعني موسى وصاحبه ﴿**مجمع بينهما**﴾ بين البحرين، وهو حيث وعد للقاء الخضر وقوله: ﴿**نسيا حوتهما**﴾ قال المفسرون[٤] كانا فيما تزودا حوت مملح في زبيل[٥] فكانا يصيبان منه الغداء والعشاء فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر، وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت ندى البحر فتحرك في المكتل فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود معك حوتاً مالحاً فحيث تفقد الحوت ثم، تجد الرجل العالم، فلما انتهيا إلى الصخرة قال لفتاه: امكث حتى آتيك وانطلق موسى لحاجته فجرى الحوت حتى وقع في البحر فقال «قتادة» إذا جاء نبي الله حدثته فأنساه الشيطان، فذلك قوله ﴿**نسيا حوتهما**﴾ وإنما نسيه يوشع أن يذكر قصته لموسى، فأضيف النسيان إليهما توسعاً، لأنهما جميعاً تزودانه، فصار كما يقال: نسي القوم زادهم وإنما نسيه أحدهم، وقوله: ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سرباً**﴾ قال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً، وقال الربيع بن أنس انجاب[٦] الماء عن مسلك الحوت، فصار كوة[٧] لم يلتئم، والسرب معناه في اللغة المحفور في الأرض[٨]، لا نفاذ له، شبه مسلك الحوت في الماء، والماء منجاب عنه بالسرب، كما قال الفراء لما وقع في الماء جمد مذهبه في البحر فكان كالسرب[٩] ﴿**فلما جاوزا**﴾ ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة، وذهب الحوت، انطلقا فأصابهما ما يصيب المسافر من النصب والكلال، ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز الموضع الذي يريده فدعا بالطعام ليأكل، وهو قوله: ﴿**آتنا غداءنا**﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداء ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ وهو الإعياء من العناء والفعل نصب ينصب، فلما قال له موسى ذلك، تذكر قصة الحوت، فقال لموسى: ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة**﴾ يعني حين نزلا هناك ﴿**فإني نسيت الحوت**﴾ أن أحدثكه، ثم اعتذر فقال: ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**﴾ وذلك أنه لو ذكر لموسى قصة الحوت عند الصخرة، ما جاوزها موسى، وما ناله النصب الذي اشتكاه ﴿**واتخذ**﴾ الحوت ﴿**سبيله في البحر عجباً**﴾ أي سبيلاً عجباً، وهو أن الماء انجاب عنه، وبقي كالكوة لم يلتئم، فلما قال هذا يوشع ذكر موسى ما كان عهد إليه أنه يدلك عليه بعض زادك ﴿**قال ذلك ما كنا نبغ**﴾ أي نطلب ونريد من العلامة ﴿**فارتدا على آثارهما**﴾ رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا منه ﴿**قصصاً**﴾ يقصان آثارهما قصصاً، والقصص اتباع الأثر، ومنه قوله: ﴿**قصيه**﴾[١٠]، قوله: ﴿**فوجدا عبداً من عبادنا**﴾ أي أدركا الخضر واسمه بليا بن ملكان، وإنما سمي الخضر

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٢٧١، تفسير البغوي ٣/ ١٧١.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٢٧١، روح المعاني ١٥/ ٣١٢ عن ابن عباس. تفسير البغوي ٣/ ١٧١ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢١/ ٢٤ بلا نسبة.

(٣) انظر لسان العرب ٢/ ٩٣٨.

(٤) انظر روح المعاني ١٥/ ٣١٤، تفسير الرازي ٢١/ ١٢٤.

(٥) الزبيل وعاء يحمل فيه انظر لسان العرب ٣/ ١٨٠٨ (زبل).

(٦) انجاب الماء: أي انخرق. انظر ترتيب القاموس ٥٠٨ ـ ٥٥١.

(٧) الكوُّ: الخرق في الحائط انظر ترتيب القاموس ٤/ ١٠٤.

(٨) انظر ترتيب القاموس ٢/ ٥٤٣.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٤.

(١٠) سورة القصص آية ١١.

لأنه إذا صلى في مكان، اخضر ما حوله ﴿**آتيناه رحمة من عندنا**﴾ يعني نبوة[١] ﴿**وعلمناه من لدنا علماً**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أعطيناه علماً من علم الغيب[٢]، فقال: ﴿**له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾ أي علماً ذا رشد والرشد والرشد لغتان كالنُخل والنَّخل، قال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: ﴿**هل أتبعك**﴾ الآية: وقال «الزجاج»: وفيما فعل موسى وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه[٣]، فقال له الخضر: ﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾ قال ابن عباس لن تصبر على صنيعي، لأني علمت غيب علم ربي ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً**﴾ أي لم تعلمه، والخبر علمك بالشيء، يقول كيف تصبر على أمر ظاهره منكر، وأنت لا تعلم باطنه؟ ﴿**قال**﴾ له موسى: ﴿**ستجدني إن شاء الله صابراً**﴾ أصبر على ما أرى منك ﴿**ولا أعصي لك أمراً**﴾ لا أخالفك في شيء ﴿**قال**﴾ له الخضر ﴿**فإن اتبعتني**﴾ أي صحبتني ﴿**فلا تسألني عن شيء**﴾ مما أفعل مما تنكره ﴿**حتى أحدث لك منه ذكراً**﴾ حتى أكون أنا الذي أفسره لك، لأنه قد غاب علمه عنك، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهم سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فحملوهما بغير أجرة، فذلك قوله:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

﴿**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**﴾ أي شقها، قيل: إنه قلع لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بثوبه، وقال منكراً عليه: ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً**﴾ منكراً عظيماً ويقال: أمر الأمر إذا كبر إمراً، والإمر: الاسم منه، فقال له الخضر: ﴿**ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً قال**﴾ موسى: ﴿**لا تؤاخذني بما نسيت**﴾ أي عقلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك ونسيت ذلك وقال الكلبي يقول: بما تركت من وصيتك وعلى هذا القول النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة[٤] ﴿**ولا ترهقني من أمري عسراً**﴾ لا تكلفني مشقة قال أبو زيد أرهقته عسراً إذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر لا بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك. قوله:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾

﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله**﴾ روي في حديث أبي بن كعب أنهما خرجا، حتى لقيا غلاماً يلعب مع

---

(١) الخضر نبي عند الجمهور، وقيل: عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. وقيل: كان ملكاً، أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول الصحيح. انظر القرطبي (١٢/١١). انظر البغوي ١٧٣/٣، روح المعاني ١٣٢/١٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٣/١١ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠١/٣.

(٤) في معنى الآية قولان أحدهما: يروى عن ابن عباس، قال: هذا من معاريض الكلام والآخر: أنه نسي فاعتذر ففيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره. انظر القرطبي (١١(١٥).

الصبيان فقال به هكذا كأنه اجتذب رأسه فقلعه، وأشار «عبدالرزاق» حين روى هذا الحديث بأصابعه الثلاثة السبابة والوسطى والإبهام وفتحها وروى سعيد بن جبير عن ابـن عباس أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصحهم قال موسى حين رأى ذلك: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ قال ابن عباس ومجاهد لم يبلغ الحلم[1] ومعنى الزكـية الطاهرة من الذنوب، وذلك لأنه كان صغيراً لم يبلغ حد التكليف، وقرىء ﴿زاكية﴾[2] وهي البريئة من الذنوب، قال الفراء: الزاكية والزكية مثل القاسية والقسية[3] وقوله: ﴿بغير نفس﴾ يعني بغير قتل نفس يعني القود ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فظيعاً منكراً لا يعرف في شرع، فقال الخضر ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ يعني سؤال توبيخ وإنكار ﴿بعدها﴾ بعد النفس المقتولة ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبراً، وهذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره.

وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال لقد استحى نبي الله موسى عندها ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب[4] وقراءة العامة بتشديد النون من ﴿لدن﴾[5] والأصل لدن، ثم يزاد نون مع الياء، نحو مني، وعني، ثم يدغم النون الساكنة في التي تزاد مع الضمير فيصير لدني مشدداً ومن خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو ضربني، وقد جمع الشاعر بين اللغتين في قوله:

قَدْني مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قدني

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا

---

(١) انظر زاد المسير ٥/١٧٣.

(٢) قرأ الجمهور (زاكية) بالألف وقرأ الكوفيون وابن عامر (زكيّة) بغير ألف وتشديد الياء. انظر تفسير القرطبي ١١/١٥ النشر في القراءات العشر ٢/٣١٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢١ تفسير البغوي ٣/١٧٥.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٥٥.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٣٠ وعزاه لعبد بن حميد، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قرأ الجمهور: (منه لدُنِّي) بضم الدال إلا أن نافعاً وعاصماً خففا النون، فهي (لدن) اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي فرسي، وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه. وقرأ أبو بكر عن عاصم (لَدْني) بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون. وروي عن عاصم (لُدْني) بضم اللام وسكون الدال. انظر القرطبي ١١/١٧. وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٢.

(٦) هذا صدر بيت من الرجز لأبي نخيلة، وقيل لحميد الأرقط وعجزه:

.... ليس الإمام بالشحيح الملحد

انظر الكتاب ٢/٣٧١ ابن يعيش ٣/١٢٤ أمالي الشجري ١/١٤ الخزانة ٢/٤٤٩ العيني ١/٣٧٥ الهمع ١/٦٤ الأشموني ١/١٢٥ التصريح ١/١١٢ الخبيبان بهيئة التصغير هما عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ومصعب أخوه.

رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله **﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾** قال ا بن عباس: هي انطاكية[1] وقال ابن سيرين: الأبلَّة[2] **﴿استطعما أهلها﴾** سألاهم الطعام **﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾** روى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً[3]» والتضييف والإضافة بمعنى واحد **﴿فوجدا فيها﴾** في تلك القرية **﴿جداراً يريد أن ينقض﴾** الإرادة في صفة الجدار مجاز، ومعناه قرب أن ينقض، وذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل، قال الزجاج [4] والجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المريدين القاصدين فوصف الإرادة إذ كانت الصورتان واحدة وأنشد الراعي يصف إبلا:

فِي مَهْمِهٍ فَلِقَتْ بِهِ هَامَاتها   فَلَقَ الْفُئُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نصُولا[5]

ومعنى الانقضاض السقوط بسرعة، يقال انقض الحائط إذا وقع وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه فسقط على شيء، وقوله: **﴿فأقامه﴾** أي سواه، لأنه وجده مائلاً، وفي حديث «أبي بن كعب» انتهيا إلى جدار مائل، فدفعه بيده، فقام فقال موسى: **﴿لو شئت لتخذت عليه﴾** أي على إقامته وإصلاحه **﴿أجراً﴾** قال الفراء: لو شئت لم تقمه، حتى يقرونا، فهو الأجر[6] وقرأ أبو عمرو لتخذت[7] يقال: تخذ فلان، يتخذ تخذاً مثل اتخذ، ألزمت التاء الحرف كأنها أصلية لما رأوا التاء في اتخذ ظنوها أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ، كما قالوا: تقي من اتقى، **﴿قال﴾** الخضر **﴿هذا فراق بيني وبينك﴾** أي هذا الكلام والإنكاء علي بترك الأجر، هو المفرق بيننا، قال الزجاج: المعنى هذا فراق بيننا، أي هذا فراق اتصالنا، وكرر بين تأكيداً[8]، ولما قال الخضر هذا، أخذ موسى بطرف ثوبه، فقال: حدثني بتأويل ما صنعت فقال: **﴿سأنبئك بتأويل ما لم تَسْطِعْ عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾** يعني أن أصحابها كانوا مساكين، لم يكن لهم مال غير تلك السفينة، فكانوا يعملون عليها[9] يأخذون أجرتها **﴿فأردت أن أعيبها﴾** أجعلها ذات عيب قال مجاهد أخرقها**﴿وكان وراءهم ملك﴾** قال «المفسرون»[10] يعني أمامهم وراء يكون

---

(١) انظر زاد المسير ١٧٥/٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ تفسير القرطبي ١٧/١١ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٣/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٨٨/١٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ القرطبي ١٧/١١، عن قتادة وابن سيرين ابن كثير ٢٨٨/٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب فضائل الخضر عليه السلام.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٥) البيت للراعي النميري انظر لسان العرب (رود).

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٦/٢.

(٧) قرأ الجمهور: (لاتّخَذْت) وأبو عمرو (لتخِذْتَ) وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد من الأخذ مثل قولك: تَبع واتّبع، وتَقى واتّقى. وأدغم بعض القراء الذال في التاء، ولم يدغمها بعضهم. انظر القرطبي ٢٣/١١. انظر النشر في القراءات العشر ٣٤١/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٣/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٩) انظر زاد المسير ١٧٨/٥.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٧٦/٣ روح المعاني ٩/١٦ تفسير الرازي ١٣٦/٢١ البحر المحيط ١٥٤/٦ تفسير القرطبي ٢٤/١١.

بمعنى أمام، كقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾[(١)]، ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾[(٢)] قال عباد بن صهيب: قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن أبي خالد، فمررت بشيخ جالس، فقلت: يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد؟ فقال لي: وراءك، فقلت: أرجع؟ قال: أقول وراءك، وترجع؟ فقلت: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا، ثم قال حدثني عكرمة عن ابـن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، قال: لو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه، ولكن كان بين أيديهم[(٣)] والمعنى كل سفينة صالحة، وكذا كان يقرأ ابـن عباس وأبي وحذفت للعلم بها، قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها متخرقة، تركها، ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها، ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ وابـن عباس وأبي كانا يقرآن: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾ أي يرهق الغلام أبويه ﴿طغياناً وكفراً﴾ لذلك قتلناه، قال «المفسرون»[(٤)]: خشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه ويدينا بدينه.

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزني، أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن الحسين الزجاج نا محمد بن أيوب نا القعنبي نا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقبة بن مصقلة[(٥)] عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن جبير عن ابـن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر، طبع كافـراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً» رواه مسلم في الصحيح[(٦)] عن القعنبي وقال قتادة قال مطرف أيم الله، إنا لنعلم أنهما فرحا به يوم ولداه، وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش، كان فيه مهلكتهما فالمؤمن حقيق أن يرضى بما قسم الله له، فإن قضاء الله تعالى للمؤمن، خير من قضائه لنفسه وما قضي لك يا ابـن آدم فيما تكره، خير مما قضي لك فيما تحب، فاستخر الله تعالى، وارض بقضائه[(٧)] وقوله ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ يعطيهما الله ولداً بدلاً منه، خيراً منه ديناً قاله سعيد بن جبير وقتادة[(٨)] وقال الكلبي خيراً منه صلاحاً[(٩)] والزكاة: الصلاح والزاكي الصالح ﴿وأقرب رحماً﴾ الرحْم والرحُم العطف والرحمة، قال ا بن عباس وقتادة وأوصل للرحم،وأبر بوالديه[(١٠)] قال عطاء عن ابن عباس أبدلهما به جارية ولدت سبعين نبياً[(١١)] ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ يعني القرية المذكورة في قوله: ﴿أتيا أهل قرية﴾ ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال «قتادة» كان ذهباً وفضة[(١٢)].

وهو تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن

---

(١) سورة إبراهيم آية ١٦.

(٢) سورة إبراهيم آية ١٧.

(٣) انظر زاد المسير ١٧٨/٥ البحر المحيط ١٥٤/٦ عن قتادة تفسير القرطبي ٢٥/١١ بلا نسبة.

(٤) تفسير البغوي ١٧٦/٣ روح المعاني ١١/١٦ تفسير الرازي ١٣٧/٢١ البحر المحيط ١٥٥/٩ تفسير القرطبي ٢٥/١٨.

(٥) رقبة بـن مصقلة العبدي: الكوفي أبو عبد الله، ثقة مأمون، وكان يمزح. مات سنة تسع وعشرين. انظر تقريب ٢٥٢/١.

(٦) ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام وأخرجه أبو داود (٤٧٠٥).

(٧) انظر تفسير الطبري ٤/١٦ تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٨) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ روح المعاني ١١/١٦ عن ابن عباس تفسير الرازي ١٣٧/٢١ بلا نسبة تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٩) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ تفسير الرازي ١٣٧٨/٢١ بلا نسبة.

(١٠) انظر روح المعاني ١١/١٦ البحر المحيط ١٥٥/٦ بلا نسبة.

(١١) انظر الطبري ٣/١٦ تفسير البغوي ١٧٧/٣ البحر المحيط ١٥٥/٦ زاد المسير ١٨٠/٥.

(١٢) انظر زاد المسير ١٨١/٥ روح المعاني ١٢/١٦.

عبدوس الطرائفي [١]، نا عثمان بن سعيد، نا صفوان بن صالح الدمشقي [٢] نا الوليد بن مسلم نا يزيد بن يوسف الصنعاني [٣]، عن يزيد عن مكحول عن أم الدرداء[٤] عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال كان ذهباً وفضة رواه الحاكم في صحيحه[٥] عن أبي الوليد الفقيه، عن حسام بن بشر عن صفوان وقال ابـن عباس في رواية عطاء كان لوحاً من ذهب فيه مكتوباً عجباً لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجباً لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟ عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي،وفي الشق الآخرأنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي،وفي الشق الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وهذا قول أكثر أهل التفسير[٦].

وروي ذلك أيضاً مرفوعاً، أخبرنا أبو سعد النصروي أنا أبو العلاء أحمد بن محمود الأهوازي[٧]، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن نا أحمد بن يحيى الصوفي، نا ضرار بن صرد[٨] نا محمد بن مروان نا أبان[٩] عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يوقن بالموت، ثم كيف يفرح؟ وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا، وتقلبها بأهلها، ثم يطمئن إليها[١٠] قال الزجاج: المعروف في اللغة أن الكنز إذا أفرد، فمعناه المال المدفون، فإذا لم يكن المال قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز ههنا بالمال أشبه، قال: وجائز أن يكون الكنز مالاً، مكتوب فيه علم على ما روي، فهو مال وعلم عظيم من توحيد الله تعالى، وإعلام أن محمداً ﷺ مبعوث[١١].

وقوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصـلاح أبيهما، ولم يـذكر منهمـا

---

(١) الشيخ المسند الأمين أبو الحسن، أحمد بن محمد بن عبدوس بن سلمة العنزي النيسابوري الطرائفي. وتوفي في رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة.

(٢) صفوان بن صالح بن صفوان الثقفي، مولاهم أبو عبد الملك الدمشقي، ثقة وكان يدلس تدليس التسوية، قاله أبو زرعة الدمشقي مات سنة ثمان أبو سبع أو تسع وثلاثين وله سبعون سنة. انظر التقريب ١/٣٦٨، التهذيب ٤/٤٢٦.

(٣) يزيد بن يوسف الرحبي الصنعاني صنعاء دمشق ضعيف انظر التقريب (٢/٣٧٢).

(٤) أم الدرداء الصغرى إسمها هجيمة بنت حبي الأوصابية، وكانت فقيهة عالمة زاهـدة لبيبة قـالت: أفضل العلم المعـرفة، وقـال ميمون بن مهران: ما دخلت عليها إلا وجدتها مصلية، بقيت إلى بعد الثمانين. انظر الخلاصة (١/٣٩٩).

(٥) ٢/٣٦٩ وقال صحيح وتعقبه الذهبي وقال: بل يزيد متروك.

(٦) انظر الطبري ١٦/٦ تفسير البغوي ٣/١٧٧ روح المعاني ١٦/١٣ تفسير القرطبي ١١/٢٧.

(٧) أحمد بن محمود بن زكريا بن خرزاذ أبو بكر القاضي الأهوازي، ثقة انظر تاريخ بغداد ٥/١٥٧.

(٨) ضرار بن صرد التيمي أبو نعيم الطحان الكوفي، صدوق له أوهام وخطـأ ورمي بالتشيع. وكان عارفاً بالفرائض مات سنة تسع وعشرين. انظر التقريب ١/٣٧٤.

(٩) أبان بن صالح بن عميد بن عبيد القرشي مولاهم، وثقه الأئمة، ووهم ابن حزم فجهله وابن عبد البر فضعفه، مات سنة بضع عشرة وهو ابن خمس وخمسين. انظر التقريب ١/٣٠.

(١٠) قال الحافظ في الكاف الشاف: رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسدي الصغير متروكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٧.

صلاحاً[١] وقال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء [٢].

أخبرنا: عمرو بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، نا زنجويه بن محمد[٣] نا إسحاق بن منصور المروزي نا الحسين بن علي عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال: إن الله عز وجل ليحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم[٤].

وقوله: ﴿**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما**﴾ قال ابن عباس أن يكبرا ويعقلا[٥] ﴿**ويستخرجا كنزهما**﴾ وذلك أن الخضر لو لم يقم الجدار لكان ينقض ويؤخذ ذلك الكنز الذي تحته قبل بلوغ الغلامين الأشد، فأمر الخضر، حتى أقام الجدار، وهو قوله: ﴿**رحمة من ربك**﴾ أي رحمهما الله بذلك رحمة ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ قال ابن عباس: انكشف لي من الله تعالى علم، فعلمت به ﴿**ذلك تأويل**﴾ قال: يريد هذا تفسير ﴿**ما لم تسطع عليه صبراً**﴾ قوله:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

﴿**ويسألونك عن ذي القرنين**﴾ الآية، ذكرنا أن اليهود سألت النبي ﷺ عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها، هذه الآية من جوابهم واختلفوا في ذي القرنين فقال مجاهد: كان نبياً وهو قول عبد الله بن عمرو[٦] وقال علي رضي الله عنه: كان عبداً صالحاً، أحب الله، فأحبه الله تعالى، وناصح الله تعالى فنصحه الله تعالى[٧]. وروي ذلك مرفوعاً: «أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً» قال الزهري: وإنما سمي ذا القرنين، لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها[٨] واختار الزجاج هذا القول، فقال: يجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي ذا القرنين لأنه بلغ قطري الأرض، مشرق الأرض ومغربها[٩] وقال أبو الطفيل: أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه فمات، فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله، فضربوه على قرنه الآخر فمات، ثم بعثه الله تعالى، فسمي ذا القرنين، وهذا القول يرويه أبو الطفيل

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٦/٧ تفسير البغوي ١٧٧/٣ تفسير الرازي ١٣٨/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٨/٢١ تفسير القرطبي ٢٧/١١.

(٣) الشيخ القدوة، الزاهد العابد، الثقة، أبو محمد، زَنْجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللَّبَّاد. توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة. انظر السير ٥٢٢/١٤.

(٤) تفسير البغوي ١٧٧/٣.

(٥) انظر زاد المسير ١٨٢/٥ تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة.

(٦) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ١٧٨/٣ تفسير روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٧) انظر زاد المسير ١٨٣/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ بلا نسبة البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٢٤/١٦ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٩/٢١ بلا نسبة.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣.

عن عليّ رضي الله عنه[1]، وقوله: ﴿قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ أي خبراً يتضمن ذكره قوله: ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ قال عليّ: سخر الله له السحاب، فحمله عليها، ومد له في الأسباب، وبسط النور له فكان الليل والنهار عليه سواء[2]، وهذا معنى تمكينه في الأرض وهو أنه سهل عليه المسير فيها، وذلّل له طرقها وحزونها، حتى تمكن منها إن شاء ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ قال قتادة والوالبي عن ابن عباس: علماً يتسبب به إلى ما يريد [3] وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب، وقوله: ﴿فأتبع سبباً﴾ قال «المفسرون»[4] طريقاً والمعنى طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس، وقال «الزجاج»: فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي وذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً، فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب[5] والقراءة الجيدة ﴿فأتبع﴾[6] وقرىء ﴿فأتبع﴾ بقطع الألف، ومعناه لحق، كقوله: ﴿فأتبعه الشيطان﴾[7] قوله: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي ذات حمأة، وهو الطين الأسود المنتن، وهذه قراءة «ابن عباس، وقراءة ابن الزبير وابن مسعود» حامية من غير همز[8] وهي فاعلة من حميت، فهي حامية، أي حارة.

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار نا محمد بن عباد نا سفيان عن زياد بن أبي سعد، سمع ابن حاضر[9] يقول: اختلف ابن عباس، وعمرو بن العاص عند معاوية فقال ابن عباس في عين حمئة، وقال عمرو في عين حامية، فسألوا كعباً فقال: إني أجدها في كتاب الله تغرب في طينة سوداء فقال: رجل لابن عباس ألا أعينك؟ قال: بلى قال: قال تبع[10]:

قَـدْ كَـانَ ذُو الْقَرْنَيـن عمرٌو مُـسْلِماً ... مَلكَـاً تَـدِينُ لَـهُ الْـمُلُوكُ وَتَـسْجُـدُ

بَـلَغَ الْمَشَـارِقَ وَالْمَغَـارِبَ يَبْتَغِي ... أَسْبَـابَ أَمْـرِ مَنْ حَكِيم مُـرْشِـد

---

(١) روح المعاني ١٦/ ٢٤ البحر المحيط ٦/ ١٥٨.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٧٨ روح المعاني ١٦/ ٣٠.

(٣) انظر زاد المسير ٥/ ١٨٥ تفسير البغوي ٣/ ١٧٨ بلا نسبة.

(٤) انظر زاد المسير ٥/ ١٨٥ تفسير البغوي ٣/ ١٧٨ روح المعاني ١٦/ ٣١، البحر المحيط ٦/ ١٥٩.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠٨.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (فأتبع سبباً) مقطوعة الألف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو (فاتَّبعَ سبباً) بوصلها أي اتبع سبباً من الأسباب التي أوتيها. قال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ الصافات (١٠) ومنه الإتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح. قال النحاس: واختار أبو عبيد قراءة أهل الكوفة قال: لأنها من السير، وحكى هو والأصمعي أنه يقال: تبعه واتبعه إذا سار ولم يلحقه، وأتبعه إذا لحقه قال أبو عبيد: ومثله (فأتبعوهم مشرقين) قال النحاس وهذا التفريق وإن كان الأصمعي قد حكاه لا يقبل إلا بعلة أو دليل. وقوله عز وجل: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ الشعراء (٦٠) ليس في الحديث أنهم لحقوهم وإنما الحديث: لما خرج موسى عليه السلام وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه انطبق عليهم البحر، والحق في هذا أن تبع واتبع وأتبع لغات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاق أو لا يكون. القرطبي ١١/ ٣٣ النشر ٢/ ٣١٤ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٢٣.

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٥.

(٨) قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائي (حامية) أي حارة والباقون (حمئة) أي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء، انظر تفسير القرطبي ١١/ ٣٣ روح المعاني ١٦/ ٣١ البحر المحيط ٦/ ١٥٩ تفسير الرازي ٢١/ ١٤١.

(٩) ابن حاضر. شيخ لأبي داود الطيالسي. مجهول. انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٥٩٠.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٧٩ روح المعاني ١٦/ ٣٢ البحر المحيط ٦/ ١٥٩ بلا نسبة.

فَـرَأَى مَغيبَ الشَّمْسِ عِنْـدَ مَغِيبِهَـا ... فِـي عَيْـنِ ذِي خُـلُبٍ وثَـأْوا حَـرْمَـدِ[١]

قوله: ﴿ووجد عندها قوماً﴾ أي عند العين ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ قال «ابن الأنباري» إن كان ذو القرنين نبياً، فإن الله قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي، ومن قال: لم يكن نبياً قال: معنى قلنا ألهمنا، لأن الإلهام ينوب عن الوحي كقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾[٢] أي ألهمناها، وقوله: ﴿إما أن تعذب﴾ الآية قال المفسرون [٣] يريد إما أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإما أن تأسرهم، فتعلّمهم الهدي، وتبصرهم الرشاد قال قتادة قضى فيهم بقضاء الله وكان عالماً بالسياسة[٤]، فقال ﴿أما من ظلم﴾ قال ابن عباس أشرك [٥] ﴿فسوف نعذبه﴾ نقتله إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد قتلي إياه ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ يعني في النار ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى﴾ قال الفراء[٦] الحسنى الجنة، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء، كما يقال: ﴿حق اليقين﴾[٧] ﴿ولدار الآخرة﴾[٨] وقرأ أهل الكوفة فله جزاء نصباً[٩]، وهو مصدر وقع موقع الحال، المعنى: فله الحسنى جزاء[١٠] مجزياً بها، وقال «ابن الأنباري» جزاء نصب على المصدر، المعنى فيجزى الحسنى جزاء ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ قولاً جميلاً، قوله:

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿ثم أتبع سبباً﴾ إخبار عن ذي القرنين أنه سلك طريقاً يوصله إلى المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال «الحسن» وقتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، لأنهم كانوا في مكان لا يستقرعليه البناء[١١]، وقال الكلبي كانوا حفاة عراة، يفرش أحدهم أذنه، ويلبس الأخرى[١٢] وقوله:

---

(١) هذه الأبيات لتبع. انظر لسان العرب (أوب ـ حرمد) وانظر القرطبي ١١/٣٤.
(٢) سورة القصص آية (٧).
(٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٧٩ زاد المسير ٥/١٨٩. تفسير القرطبي ١١/٣٥.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٥/١١٩.
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٥/١١٩ روح المعاني ١٦/٣٤ بلا نسبة تفسير الرازي ٢١/١٤٣ بلا نسبة.
(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٥٩.
(٧) سورة الواقعة آية ٩٥.
(٨) سورة يوسف آية ١٠٩.
(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٤ تفسير البغوي ٣/١٧٩ القرطبي ١١/٣٦ البحر المحيط ٦/١٦٠.
(١٠) انظر البيان ٢/١١٦.
(١١) انظر تفسير الطبري ١٦/١٤ تفسير البغوي ٣/١٧٩ روح المعاني ٢١/٣٦، عن سمرة بن جندب البحر المحيط ٦/١٦١.
(١٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٧٩ روح المعاني ١٦/٣٦ بلا نسبة.

﴿كذلك﴾ أي وجد قوماً كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك **﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾** علمنا ما كان عنده من الجيوش والعدة **﴿ثم أتبع سبباً﴾** ثالثاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض وهو قوله **﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾** وقرىء بفتح السين [1] قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسد ما وراءه فهو سد وسد، نحو الضعف والضعف، والفقر والفقر [2]، قال ابن عباس وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن سواهم [3] **﴿وجد من دونهما﴾** يعني أمام السدين **﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾** لا يعلمونه، لأنهم لا يعرفون غير لغتهم، وقرىء بضم الياء [4] والمعنى لا يكادون يفقهون أحداً قولاً، فحذف أحد المفعولين، قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم **﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾** أكثر أهل العلم على أن هذين اسمان أعجميان مثل طالوت وجالوت، وهاروت وماروت، لا ينصرفان للتعريف والعجمة، والقراءة فيهما بترك الهمز [5] وقرأ عاصم بالهمز، قال الليث، الهمز لغة رديئة وقال «ابن الأنباري»: وجه همزه وإن لم يعرف له أصل، أن العرب قد همزت حروفاً لا يعرف للهمز فيها أصل، مثل: لبأت ورثأت [6]، واستنشأت الريح [7] وإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر نا أبو عمرو بن مطر أنا جعفر بن المستفاض نا محمد بن المصفى نا يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن الأعمشى عن شقيق عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم، حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله، صفهم لنا، قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، قلت: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طوال الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية [8].

[وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من طوله مفرط في الطول ولهم مخالب في الأظفار من أيدينا، وأنياب كأنياب السباع ولهم هلب [9] من الشعر في أجسادهم يواريهم من الحر والبرد [10]] [11]

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص، انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥، إتحاف فضلاء البشر ٣/١٨٠ تفسير البغوي ٣/١٨٠.

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٢/٢٧٦.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٦/١٦ تفسير البغوي ٣/١٨٠ بلا نسبة.

(٤) قرأ حمزة والكسائي (يُفْقِهُونَ) بضم الياء، وكسر القاف، من أفقه إذا أبان أي لا يفقهون غيرهم كلاماً وقرأ البَاقون بفتح الياء والقاف، أي يعلمون. والقراءتان صحيحتـان، انظر القرطبي ١١/٣٨٣، النشر ٢/٣١٥.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٥ روح المعاني ١٦/٣٩ البحر المحيط ٦/١٦٣ تفسير الرازي ٢١/١٤٥.

(٦) رثأت لغة في رثيت فلاناً أي مدحته بعد موته انظر اللسان (رثأ).

(٧) استنشأت لغة في استنشيت الريح أي وجدت طيبها عند شمها، انظر اللسان (نشأ).

(٨) قال الحافظ في الكافي الشاف: قال ابن عدي: هذا موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغـازي، وإنما هـو العكاشي.

(٩) الهلب جمع أهلب وهو الكثير شعر الرأس والجسد، انظر اللسان (هلب). (١٠) انظر تفسير البغوي ٣/١٨١. (١١) سقط في جـ.

وقال وهب: هم من ولد يافث بن نوح أبو الترك[1] وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير، فجاء ذو القرنين، فضرب السد فبقيت خارجه[2]، وقال «قتادة»: إن ذو القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك[3]، وقال «كعب» هم نادرة في ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم [4] وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء [5].

قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ قال قتادة هما حيان حياة سوء، كانا أهل بغي وظلم على من جاورهما، وقال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه[6] ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ وقرىء خراجاً[7] قال ابن عباس يريد جعلاً[8] قال الليث: الخرج والخراج واحد، وهو شيء يخرجه القوم من مالهم بقدر معلوم والمعنى هل نخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟ ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير﴾ قراءة العامة بنون واحدة مشددة[9] فأدغموا الأولى في الثانية لاجتماعهما كقوله:﴿لا تأمنا على يوسف﴾ [10] وقرأ ابن كثير بنونين من غير ادغام لأنهما من كلمتين والنون الثانية غير لازمة، لأنك تقول: مكنتك، والمعنى أن ذا القرنين قال: ما مكني الله فيه من الاتساع في الدنيا خير من خرجكم الذي تبذلونه لي قال ابن عباس يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم وقوله ﴿فأعينوني بقوةٍ﴾ قال: يريد بقوة الأبدان قال الزجاج: بعمل تعملونه معي[11] ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ سداً وحاجزاً والردم: سد الباب والثلمة[12] ﴿آتوني زبر الحديد﴾ قال ابن عباس: احملوها إلي وقال «الفراء»: معناه ايتوني بها، فلما ألقيت الياء زيدت ألف زبر الحديد قطعة واحدتها زبرة قال ابن عباس وهي قطع على قدر الحجارة التي يبنى بها ومعنى الآية أنه يأمرهم أن ينقلوا إليه زبر الحديد ليعمل بها الردم في وجوه يأجوج ومأجوج، فأتوه بها، فبناه ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ سوى بينهما بأن وضع بعضها على بعض والصدفان جانبا الجبل، قال «الأزهري» يقال لجانبي الجبل صدفان إذا تحاذيا،لتصادفهما أي تلاقيهما[13] وقرىء ﴿الصَدَفين﴾ بفتح الصاد والدال(والصُدْفين) بضم الصاد وسكون الدال[14]، وكلها لغات في هذه الكلمة

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/١٨١ روح المعاني ١٦/٣٨.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٠ البحر المحيط ٦/١٦٣. روح المعاني ١٦/٣٨.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٠ روح المعاني ١٦/٣٨ البحر المحيط ٦/١٦٣، تفسير الرازي ٢١/١٤٥.

(٤) انظر روح المعاني ١٦/٣٨.

(٥) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٠.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/١٨١ ـ ١٨٢ روح المعاني ١٦/٣٩ تفسير الرازي ٢١/١٤٥.

(٧) هي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٥،تفسير القرطبي ١١/٤٠ تفسير البغوي ٣/١٨٢.

(٨) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ٣/١٨٢ تفسير الرازي ٢١/١٤٥ البحر المحيط ٦/١٦٤ روح المعاني ١٦/٣٩.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٥ تفسير القرطبي ١١/٤١.

(١٠) سورة يوسف آية ١١.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣١١.

(١٢) الثلمة الخرق في الجدار وغيره انظر اللسان (ثلم).

(١٣) انظر تهذيب اللغة ١٢/١٤٦ تفسير القرطبي ١١/٤١ عنه.

(١٤) قرأ نافع وحمزة والكسائي (الصَّدَفَيْن) بفتح الصاد وشدها، وفتح الدال وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن =

فاشية، وقوله: ﴿قال انفخوا﴾ قال «ابن عباس» انفخوا على زبر الحديد بالكير [١] ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ حتى إذا صارت كالنار، والحديد إذا حمي بالفحم والمنافخ صار كالنار ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ قال المفسرون [٢] أذاب النحاس، ثم أفرغه على زبر الحديد، فاختلط، ولصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلداً من حديد والنحاس قال قتادة هو كالبرد الحبير طريقة سوداء، وطريقة حمراء[٣] والقطر: النحاس الذائب، والإفراغ الصب، ومنه قوله تعالى ﴿أفرغ علينا صبراً﴾[٤] قوله: ﴿فما اسطاعوا﴾ أصله استطاعوا فلما اجتمع المتقاربان، وهما التاء والطاء، أحبوا التخفيف بالحذف قال ابن السكيت: يقال: ما استطيع، وما أسطيع، وما استتيع، وما استيع أربع لغات وقرأ حمزة (فما اسطّاعوا) مشددة الطاء[٥] أدغم تاء الافتعال في الطاء وقوله: ﴿أن يظهروه﴾ أي يصعدوه ويعلوه يقال: ظهرت السطح إذا صرت فوقه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ يقال نقبت الحائط إذا خرقت فيه خرقاً يخلص إلى ما وراءه، قال الزجاج: ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله، لشدته وصلابته[٦].

أخبرنا: محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو زيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن يأجوج ومأجوج يحفرونه في كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله تعالى كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم إرجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى، فيعودون إليه وهو كهيئته، حين تركوه بالأمس، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فينشفون المياه، وتتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً[٧] في أقفائهم فيهلكون، فقال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر من لحومهم شكراً[٨] ولما فرغ ذو القرنين من بنائه ﴿قال هذا﴾ أي هذا التمكين الذي أدركت به السد ﴿رحمة من ربي﴾ قال ابن عباس

= عبد العزيز، وهي اختيار أبي عبيدة لأنها أشهر اللغات. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (الصُّدُفين) بضم الصاد والدال. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الصُّدْفَيْن) بضم الصاد وسكون الدال نحو الجُرْف والجُرُف. فهو تخفيف، وقرأ ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال. وقرأ قتادة بين الصَّدْفَين بفتح الصاد، وسكون الدال، وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحان. انظر القرطبي ٤٢/١١.

(١) انظر روح المعاني ٤١/١٦ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣٥ البحر المحيط ١٦٤/٦ روح المعاني ٤١/١٦ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٢٦.

(٥) «فما اسطاعوا» بتخفيف الطاء قراءة الجمهور وقيل: هي لغة بمعنى استطاعوا، وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء، فقالوا: اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال: استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة. وقرأ حمزة وحده(فما اسطّاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا، ثم أدغم التاء في الطاء فشددها. وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي: هي غير جائزة، وقرأ الأعمش (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) بالتاء في الموضعين. انظر القرطبي ٤٣/١١.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٢/٣.

(٧) النغف هو الدود يكون في أنوف الإبل والغنم انظر اللسان ٤٤٨٩/٦ (نغف).

(٨) أخرجه الترمذي ٣١٣/٥ كتاب التفسير وابن ماجه ١٣٦٥/٢ كتاب الفتن، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

معونة من ربي، حيث ألهمني وقواني[١] ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني القيامة وقال الكلبي: أجل ربي أن يخرجوا منه[٢] ﴿جعله دكاً﴾ أي دكه دكاً [ومن قرأه دكاء][٣] كان التقدير: جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها، وتقدم الكلام في هذا في سورة الأعراف ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ يعني بالثواب والعقاب في القيامة «وقال الكلبي»: وكان أجل ربي بخروجهم حقاً كائناً.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، يقال: ماج الناس إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء، ثم ذكر نفخ الصور، فقال: ﴿ونفخ في الصور﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ حشرنا الخلق كلهم ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أظهرنا لهم جهنم، حتى شاهدوها ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ الغطاء ما غطى الشيء وستره، وهذا كقوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾[٤] وصف الله الكفار بأنهم عمي عن آيات الله تعالى وأدلة توحيده، لما سبق لهم من الشقاوة.

وقوله ﴿عن ذكري﴾ قال ابن عباس: عما جاء به محمد ﷺ من البينات والهدى[٥] ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لعداوتهم النبي ﷺ، كانوا لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلوه عليهم، كما تقول للكاره لقولك: ما تقدر أن تسمع كلامي، قوله: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يقول: أفظنوا أنهم يتخذونهم أرباباً من دوني؟ وعني بالعباد المسيح والملائكة، وقال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم، وأطاعوهم من دون الله[٦] تعالى وقال «مقاتل» يعني الأصنام، سماها عباداً كما قال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾[٧] وجواب هذا الاستفهام محذوف قال «ابن عباس» يريد أني لا أغضب لنفسي[٨] والمعنى أفحسبوا أن تتخذوهم أولياء فلا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ قال الزجاج: يعني منزلاً[٩] وهو معنى قول ابن عباس: يريد هي مثواهم ومصيرهم[١٠] وقال غيره: النزل ما يهيأ للضيف إذا نزل[١١] والمعنى: أن جهنم معدة لهم [عندنا، كما يهيأ النزل للضيف.

---

(١) انظر زاد المسير ١٩٥/٥.
(٢) انظر زاد المسير ١٩٥/٥ تفسير القرطبي ٤٣/١١ بلا نسبة.
(٣) سقط في ب.
(٤) سورة البقرة آية ٧.
(٥) انظر زاد المسير ١٩٦/٥.
(٦) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٦/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦، تفسير الرازي ١٤٨/٢١ بلا نسبة.
(٧) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ البحر المحيط ١٦٦/٦ روح المعاني ٤٦/١٦ تفسير الرازي ١٤٨/٢١.
(٨) انظر زاد المسير ١٩٦/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.
(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٤/٣.
(١٠) انظر زاد المسير ٩٧/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.
(١١) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٧/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

قوله ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً**﴾][1] يعني بالقوم الذين هم أخسر الخلق فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿**الذين ضل سعيهم**﴾ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ﴿**وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾ يظنون أنهم بفعلهم محسنون ﴿**أولئك الذين كفروا بآيات ربهم**﴾ جحدوا دلائل توحيده وقدرته ولقائه، وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك أنهم بكفرهم بالنبي ﷺ وبالقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء وقوله: ﴿**فحبطت أعمالهم**﴾ أي بطل اجتهادهم ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**﴾ قال «ابن الأعرابي» في هذه الآية: العرب تقول: ما لفلان وزن عندنا أي قدر لخسته ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له، لخفته، وسرعة طيشه، وقلة تثبته[2]، والمعنى على هذا أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله تعالى قدر ولا منزلة.

أخبرنا: سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر، أنا جدي أنا أبو عمرو أحمد بن محمد الحرشي، نا محمد بن يحيى أنا يحيى بن عبد الله بن بكير نا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة رواه مسلم[3] عن أبي بكر بن إسحاق عن يحيى بن بكير ورواه البخاري[4] عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن أبي مريم كلاهما عن المغيرة بن شعبة.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا إسحاق بن أحمد الفارسي نا أبو زرعة نا أبو الوليد أنا ابن أبي الزناد[5] عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة، اقرأوا إن شئتم: ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**﴾[6] وقوله: ﴿**ذلك**﴾ أي الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿**جزاؤهم جهنم بما كفروا**﴾ أي بكفرهم واتخاذهم ﴿**آياتي**﴾ يعني القرآن ﴿**هزواً**﴾ مهزوًا به ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً**﴾ أي منزلاً، ويجوز أن يراد بالنزل ما يقام للنازل، ويقدر المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس، أو نعيمها نزلاً، ومعنى كانت لهم قال ابن الأنباري أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا[7] والفردوس في اللغة جنة ذات

---

(١) سقط في ب.

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٣/٢٥٦.

(٣) ٤/٢١٤٧ كتاب صفات المنافقين.

(٤) ٨/٢٧٩ كتاب التفسير (٤٧٢٩).

(٥) عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف انظر الميزان ٢/٥٧٥.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٥٤، وعزاه لابن عدي وهو ضعيف لضعف ابن أبي الزناد كما تقدم.

(٧) انظر زاد المسير ٥/١٩٩.

كروم، قال «المبرد»: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب[١]، وقال مجاهد: هو البستان بالرومية[٢] واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية[٣].

أخبرنا: عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب أخبرني هشام بن عبد الملك، نا همام بن يحيى، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى، فاسألوه الفردوس[٤]).

وأخبرنا عمر، أنا عبد الله أنا محمد أنا سهل بن بكار[٥] نا أبو قدامة، عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: جنات الفردوس أربع، اثنتان من ذهب، حليهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة، حليهما، وآنيتهما، وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن رواه البخاري ومسلم[٦]، عن إسحاق الحنظلي عن عبد العزيز بن عبد الصمد[٧] «عن أبي عمران الجوني» قوله: ﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾ والحول: اسم بمعنى التحويل يقوم مقام المصدر، يقال حولوا عنه تحويلاً وحولاً قال ذلك الليث وابن الأعرابي وابن قتيبة والأزهري[٨] وقال أبو عبيدة: حولاً [٩] تحولاً وهو قول الفراء[١٠]، وقال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى والجنة ليست هكذا[١١] قوله: ﴿قل لو كان البحر﴾ الآية. روى عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾[١٢] قال ابن الأنباري سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد وقال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي[١٣] وقال ابن عباس يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد[١٤]،

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١٣/ ١٥٠.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٨٦ تفسير الرازي ٢١/ ١٤٩ البحر المحيط ٦/ ١٦٨، روح المعاني ١٦/ ٥٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤/ ١٩ كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٢ ـ ٥/ ٣١٦.

(٥) سهل بن بكار بن بشر الدارمي البصري أبو بشر المكفوف، ثقة ربما وهم مات سنة سبع أو ثمان وعشرين. انظر التقريب (١/ ٣٣٥).

(٦) ١/ ١٦٣ كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين، والترمذي ٤/ ٦٧٣ كتاب صفة الجنة، وابن ماجة ١/ ٦٦ المقدمة.

(٧) عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أبو عبد الله البصري، ثقة حافظ، مات سنة سبع وثمانين. انظر التقريب ١/ ٥١٠.

(٨) انظر تهذيب اللغة ٥/ ٣٤٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧١.

(٩) تهذيب اللغة ٥/ ٢٤٣.

(١٠) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٨.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٨٦.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٨٦ أسباب النزول للمصنف ٣٠٧ تفسير القرطبي ١١/ ٤٦.

(١٣) انظر تفسير البغوي ٣/ ١٨٦ البحر المحيط ٦/ ١٦٨ روح المعاني ١٦/ ٥٢.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/ ١٦٨.

وكلام القديم سبحانه وتعالى صفة من صفات ذاته، فلا يجوز أن يكون لكلامه غاية ومنتهى، كما ليس له غياية وَحَدّ، وأوصاف ذاته غير محدودة أيضاً وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم: أي شيء الذي أوتيتم في علم الله تعالى، وكلماته التي لا تنفد لو كتبت بماء البحر ﴿ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر في كثرة مائه ﴿مدداً﴾ زيادة له، والمدد كل شيء زاد في شيء قوله:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال «ابن عباس» علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له[1]، وقوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله، فيذكر ذلك مني، وأحمد عليه، فيسرني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾[2] يخاف البعث والمصير إلى الله تعالى ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ خالصاً لا يرائي به ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سعيد بن جبير: لا يرائي قال عطاء عن ابن عباس قال الله تعالى: ولا يشرك بعبادة ربه ولم يقل: ولا يشرك به، لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويحب أن يحمد عليه، قال: ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كي لا يعظمه من يصله بها وقال الحسن: هذا فيمن أشرك بعمله يريد الله به والناس.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد عن ليث عن شهر عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس[3] قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك، ثم قرأ هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[4].

أخبرنا: عبد القاهر بن طاهر التميمي أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أمية بن بسطام، نا يزيد بن زريع، نا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عملاً عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» رواه مسلم[5] عن زهير عن أبي ذر بن علية عن روح.

---

(١) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٢٩ كتاب الرقاق انظر تفسير القرطبي ١١/٤٧.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، الخزرجي. قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم روى عنه أهل الشام. وقال مالك: شداد بن أوس هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنه ابن أخيه. روى عنه ابنه يعلى ومحمود بن لبيد، وأبو الاشعث الصنعاني، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم. وكان شداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى. انظر أسد الغابة (٢/٥٠٧).

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢١ وعزاه لأحمد (٤/١٢٥) وقال فيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وغيره، وضعفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات.

(٥) ٤/٢٢٨٩ كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن إبراهيم المزكي[١] أنا عبيد الله بن محمد الزاهد نا عبد الله بن محمد المنيعي، حدثني هارون بن عبد الله، نا محمد بن بكر البرساني[٢] نا عبد الحميد بن جعفر أخبرني أبي[٣] عن زياد بن مينا[٤] عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك»[٥]. [والله أعلم][٦].

---

(١) الإمام القدوة الرباني، أبو حامد أحمد ابن الشيخ المزكي أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري. ولد سنة بضع وعشرين وثلاث مائة. قال الحاكم: خرجت له(الفوائد) ومولده في سنة ثلاث وعشرين. قال: توفي في شعبان سنة ست وثمانين وثلاث مائة. انظر السير (١٦/٩٦).

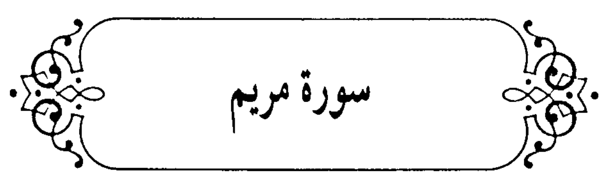
(٢) محمد بن بكر بن عثمان البرساني أبو عثمان البصري، صدوق يخطىء من التاسعة مات سنة أربع ومائتين التقريب (٢/١٤٧).

(٣) جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، الأوسي، المدني، عن أنس ومحمد بن لبيد وسليمان بن يسار. عنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب والليث. موثق. انظر الخلاصة (١/١٦٨).

(٤) زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة، قال الأزدي: فيه لين. انظر ميزان الاعتدال (٢/٩٥).

(٥) أخرجه الترمذي ٥/٣١٤ كتاب التفسير وابن ماجه ٢/١٤٠٦ كتاب الزهد.

(٦) سقط في أ، ب.



سورة مريم

مكيّة وآياتها ثمان وتسعون

[أخبرنا[1] أبو سعيد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك الكوفي، نا أحمد بن عبد الله بن يونس[2]، نا سلام بن سليم[3] نا هارون بن كثير[4] عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى وعيسى [وموسى[5]] وهارون وابراهيم واسحق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات، وبعدد من دعا لله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً[6].

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى

---

(١) من هنا بياض في النسخة (أ).

(٢) في هـ : يوسف وهو تحريف وهو: ـ أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي توفي سنة ١٢٧ هـ عن أربع وتسعين سنة. تذكرة الحفاظ ١/٤٠٠ تهذيب التهذيب ١/٥١ شذرات الذهب ٢/٥٩ طبقات الحفاظ ص ١٧٤.

(٣) سلام بن سليم المدائني أبو الأحوص الحنفي ت سنة ١٧٩ هـ تذكره الحفاظ ١/٢٥٠ تهذيب التهذيب ٤/٢٨٢، طبقات الحفاظ ص ١٠٦.

(٤) هارون بن كثير قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: قال ابن عدي: هارون بن كثير شيخ ليس بمعروف روى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب وفيه فضائل القرآن سورة سورة، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد، قلت روى بعض طرقه زيد بن أسلم وهو تحريف والصواب زيد بن سالم. لسان الميزان ٦/١٨١ ط أوني.

(٥) ساقط من النسخة هـ.

(٦) من ترجمة هارون بن كثير تعرف بأن الأحاديث الواردة في فضائل السورة سورة سورة موضوعة وقد نبه على ذلك ابن الجوزي في كتاب الموضوعات فقال: وقد عرف هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة فيه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ثم يقول فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ وقد دلل ابن الجوزي على ذلك فقال: وقال الخليلي في الإرشاد روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقلت له من أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمعارف ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن وروى المؤلف بسنده عن محمود بن غيلان فإني سمعت مؤملا يقول حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب فقلت من حدثك قال حدثني رجل بالمدائن وهو حي فسرت إليه فقلت من حدثك قال شيخ بواسط وهو حي فسرت إليه فقال حدثني شيخ بالبصرة فسرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فسرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ فقال هذا الشيخ فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن قال المؤلف: وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة باب فضائل القرآن ٢/٢٢٦.

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿**كهيعص**﴾ أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي بقراءتي عليه في شوال سنة ست وعشرين وأربعمائة، أنا أبو عبد الله محمد بن نصير القرشي من أصله العتيق سنة ستين وثلثمائة، نا أبو عبد الله بن محمد بن أيوب بن يحيى، أنا أحمد بن يونس، نا زهير[١] قال سئل عطاء بن السائب عن كهيعص فحدثنا عن سعيد بن جبير[٢] أن ابن عباس حدثهم أن كاف من كريم وهاء من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وقال في رواية عطاء والكلبي[٣] معناه كاف لخلقه هاد لعباده، يده فوق أيديهم عالم ببريته، صادق في وعده، وعلى هذا كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله.

وقرىء هايا بالتفخيم والإمالة [وإمالة] هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء ما يتهجى به فلما كانت أسماء غير حروف جاز فيه الإمالة، ويدلك على أنها أسماء (أنك) إذا أخبرت عنها أعربتها كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتها فكما ان أسماء العدد قبل ان تعربها أسماء كذلك هذه الحروف.

قوله: ﴿**ذكر رحمة ربك**﴾ قال الزجاج: ذكر مرتفع بمضمر المعنى: هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك ﴿**عبده زكريا**﴾ يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد ﴿**إذ نادى ربه نداءً خفياً**﴾ خافياً يخفي ذلك في نفسه لا يريد رياءً وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء ﴿**قال رب إني وهن العظم مني**﴾ وهن يهن وهنا ووهنا إذا ضعف أراد أن عظامه فترت وذهبت قوته لكبره وقال قتادة[٤] شكا ذهاب أضراسه ﴿**واشتعل الرأس شيباً**﴾ انتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار في الحطب وهذا من أحسن الاستعارة إذ شبه بياض الشيب وانتشاره في الرأس بشعاع النار في الحطب وانتشارها قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان وأنشد لبيد[٥]:

إن ترى رأس أمس واضحاً سلط الشيب عليه فاشتعل[٦]

﴿**ولم أكن بدعائك**﴾ أي بدعائي إياك ﴿**رب شقياً**﴾ قال ابن عباس لم تكن تخيب دعائي يقال شقي فلان بكذا إذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه، يقول: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب.

قوله: ﴿**وإني خفت الموالي من ورائي**﴾ يعني: الذين يلونه في النسب وهم العصبة وبنو العم وورثته.

---

(١) زهير بن معاوية بن خديج بن عبد الرحمن أبو خيثمة الكوفي توفي سنة ١٧٧ هـ تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٢ إلى هنا ينتهي بياض النسخة أ.

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الوالبي أبو محمد ت سنة ٩٢ هـ تذكره الحفاظ ١/ ٧٦ تهذيب التهذيب ٤/ ١١ شذرات الذهب ١/ ١٠٨.

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو أبو النضر الكوفي الكلبي تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٨.

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري البداية والنهاية ٩/ ٣١٣ تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢، شذرات الذهب ١/ ١٥٣.

(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري شاعر مخضرم ت سنة ٤١ هـ خزانة الأدب ١/ ٣٣٧، الشعر والشعراء ص ٢٣١، الإعلام ٥/ ٢٤٠ ط دار العلم.

(٦) البيت في ديوانه من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ويأسه لفقد أخيه مطلعها:

إنّ تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل

انظر ديوان لبيد ص ١٣٩، ١٤٠.

والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه الدين ونبذهم إياه فسأل ربه ولياً يرث نبوته وعلمه، لئلا يضيع الدين، وحمله على هذه المسئلة ما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين[١] وقتل الأنبياء[٢]، وهذا معنى قول **عطاء عن ابن عباس**: يريد بالموالي بني اسرائيل وكانوا يبدلون الدين ويقتلون الأنبياء **﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾** عقيماً لا تلد وهذا إخبار عن خوفه فيما مضى من الزمان حين كانت امرأته لا تلد وكان هو آيساً[٣] من الولد **﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾** ابناً صالحاً تتولاه **﴿يرثني ويرث﴾** بالرفع[٤] من صفة الولي كأنه سألَ ولياً وارثاً علمه ونبوته، والجزم على جواب[٥] الأمر فصح الشرط بأن يقول إن وهبت ورث. قال ابن عباس: يريد النبوة فيكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء وقال الكلبي: يريد مكاني وحبورتي. وقال قتادة يرث نبوتي وعلمي. وقال ابن قتيبة: لم يرد يرثني مالي، وأي مال كان لزكريا حتى يسأل الله أن يهب له ولداً يرثه لقد جل هذا المال إذاً وعظم قدره ونافس عليه منافسة أبناء الدنيا، وإنما كان زكريا نجاراً وكان حبراً وكلا هذين الأمرين يدل على أنه لا مال له. أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا أبو[٦] عمرو محمد بن أحمد الحيري، أنا عمر بن موسى بن مجاشع نا هدبة، نا حماد ابن[٧] سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجاراً» [٨] رواه مسلم عن هدبة **﴿ويرث من ءال يعقوب﴾** النبوة. فقال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب **﴿واجعله رب رضياً﴾** قال ابن عباس: يكون عندي مرضياً في الصلاح والعقاب والنبوة فاستجاب الله دعاءه فقال **﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلامٍ اسمه يحيى﴾** تقدم تفسيره في سورة آل عمران **﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾** أكثر المفسرين على أن معناه لم يسم أحداً قبله يحيى، ويثبت في هذا له فضيلتان أحداهما: أن الله تولى تسميته، ولم يكلها إلى الأبوين، والثانية: أنه سماه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الاسم على فضله، قال الزجاج: سمي يحيى لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها، وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبيه وقال في رواية الوالبي[٩] يقول[١٠]: لم تلد العواقر مثله ولداً وهو قول مجاهد قال: يعني: لم يجعل له مثلاً في الفضل.

---

(١) إلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانو يفسقون﴾ البقرة: ٥٩.

(٢) أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿. . وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ البقرة: ٦١.

(٣) آيسا: يقال أيست منه إياساً لغة في يئست منه يأساً ومصدرهما واحد بمعنى القنوط الصحاح للجوهري مادة: أيس.

(٤) قراءة الرفع في (يرثني) قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر ويعقوب وخلف. انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر ٢/٣٩٧.

(٥) قراءة الجزم في (يرثني) قرأ بها أبو عمرو والكسائي. انظر: السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣١٧، والاتحاف ص ٤٦٧.

الحبورة: جمع الحبر وهو الرجل الصالح والحبر أيضاً العالم في بني اسرائيل لسان العرب: مادة حبر.

(٦) كلمة أنا اختصار لكلمة أخبرنا، ونا اختصار لكلمة حدثنا ولقد أتت النسخة (أ) بلفظ أخبرنا وحدثنا في جميع الأحاديث أما بقية النسخ فقد أتت بلفظ: «أنا»، و«نا».

(٧) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ت سنة ١٦٧ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨٦ تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٧ تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٨) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل زكريا عليه السلام ٤/١٨٤٧ ط الحلبي.

(٩) سعيد بن جبير وقد تقدم.

(١٠) في أ، ب عن ابن عباس يقول زيادة.

والمراد بالسمي: المثل والنظير كقوله تعالى ﴿هل تعلم له سمياً﴾ [١] أي مثلاً وعدلاً، ولم يكن ليحيى مثل من البشر من حيث أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط. أخبرنا أبو القاسم بن أبي نصر الجذامي، أنا محمد [بن عبد الله[٢]] بن محمد بن حمدويه، نا محمد بن يعقوب[٣] بن سنان، نا أحمد بن عبد الجبار[٤]، نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن سعيد[٥] عن سعيد بن المسيب حدثني عمرو بن العاصي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم ولى رسول الله ﷺ يده فأخذ عوداً صغيراً ثم قال وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود لذلك سماه الله سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين [٦].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾

قوله ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ مفسر في سورة آل عمران إلى قوله ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ يقال: عتا الشيخ يعتو عتياً إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاث إذا صار إلى [حال[٧]] اليبس والجفاف. قال قتادة ومجاهد: هو نحول العظم، وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: عن قوله عتياً فقال: المعنى اليبوس من الكبر، وقرىء[٨] عتياً بالكسر[٩] [وكذلك][١٠] صلياً[١١] [وبكياً][١٢] وجثياً[١٣] يجوز فيها الكسر أيضاً، وذكرنا هذا في قوله «من حليهم وحليهم»[١٤] ﴿قال﴾ الله ﴿كذلك﴾ أي الأمر كما قيل لك هبة الولد على الكبر ﴿قال ربك هو على هين﴾ قال ابن عباس: يريد: [أن][١٥] أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ من قبل يحيى، وقرىء خلقناك[١٦] لكثرة ما جاء من لفظ الخلق مضافاً إلى لفظ الجمع كقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾[١٧] في

---

(١) مريم: ٦٥.
(٢) ساقط من جـ.
(٣) محمد بن يعقوب بن يونس بن معقل بن سنان الأموي النيسابوري ولد سنة ٢٤٧ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ العبر ٢/٢٧٣ طبقات الحفاظ ص ٣٥٤.
(٤) أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي ت سنة ٢٧٢ هـ الجرح والتعديل ١/٦٢ تهذيب التهذيب ١/٥١.
(٥) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي أبو سعيد البصري ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ١١/٢١٦.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك. كتاب التفسير تفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرك ٢/٣٧٣ ط بيروت بياض في هـ ما بين الأقواس داخل الحديث. ومعنى: وحصوراً: أي لا يأتي الناس. الصحاح: حصر.
(٧) عن هـ فقط.
(٨) في هو يقال.
(٩) قراءة الكسر (عتياً، بكياً، حلياً، جثياً) قرأ بها حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة ووافقها حفص إلا في بكيا فقد قرأها بالضم. انظر السبعة ص ٤٠٧ والنشر ٢/٣١٧.
(١٠) ساقط من د.
(١١) مريم: ٧٠ ونصها ﴿ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾.
(١٢) ساقط من د وهي آية (٥٨) من هذه السورة تبدأ بقوله تعالى ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾.
(١٣) مريم ٦٨، ٢/١.
(١٤) الأعراف ١٤٨.
(١٥) من هـ فقط.
(١٦) قراءة (خلقناك) بالنون قرأ بها حمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٠٨.
(١٧) المؤمنون: ١٢، الحجر: ٢٦ وبلفظ: لقد خلقنا الإنسان في الإنسان: ٢.

مواضع ﴿ولقد خلقناكم﴾ (١) وقوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ يريد أنه كان عدماً فأوجده بقدرته قال الزجاج: أي يخلق الولد لك كخلقك.

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

﴿قال رب اجعل لي ءاية﴾ قال قتادة سأل نبي الله آية على حمل امرأته بعد ما شافهته الملائكة بالبشارة قال ابن الأنباري: ووجه ذلك أن نفسه تاقت إلى سرعة الأمر فسأل الله آية يستدل على قرب ما من به عليه فـ ﴿قال﴾ الله ﴿ءايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال﴾ أي تمنع الكلام فلا تقدر عليه ثلاث ليالٍ ﴿سوياً﴾ صحيحاً من غير بأس ولا خرس، قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض، وسوياً: منصوب على الحال، وقد مضى مثل هذا في سورة آل عمران ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال ابن زيد (٢) من مصلاه ﴿فأوحى إليهم﴾ قال ابن عباس وقتادة: أومأ إليهم وأشار، وقال مجاهد كتب لهم في الأرض: أن ﴿سبحوا﴾ صلوا ـ لله ﴿بكرة وعشياً﴾ والمعنى: أنه [كان](٣) يخرج على قومه بكرةً وعشياً فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام: خرج عليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

قوله: ﴿يا يحيى﴾ قال الزجاج: المعنى فوهبنا له وقلنا [له] يا يحيى(٤) ﴿خذ الكتاب﴾ يريد التوراة ﴿بقوة﴾ قال مجاهد: بجد ﴿وءاتيناه الحكم صبياً﴾. قال ابن عباس: آتيناه النبوة في صباه، وهو ابن ثلاث سنين. وقال مجاهد: الحكم الفهم، وهو: أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة ﴿وحناناً من لدنا﴾ الحنان: العطف والرحمة. قال الوالبي عن ابن عباس: يقول رحمة من عندنا، وهو قول جماعة المفسرين ﴿وزكاة﴾ قال ابن عباس: يعني: بالزكاة طاعة الله والإخلاص وقال قتادة: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك وابن جريج. معنى الآية: وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في الإخلاص ﴿وكان تقياً﴾ قال ابن عباس: جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري. قال المفسرون: وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها، أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ (٥) الحافظ، نا عبد الله بن محمد بن حبال(٦)، نا عمرو بن علي، نا أبو عاصم العباداني عن

---

(١) الأعراف: ١١.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوي المدني مولاهم ت سنة ١٨٢ هـ طبقات المفسرين للداودي ١/٢٦٥.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا هـ وقلنا يا يحيى.

(٥) أبو الشيخ الحافظ أبو محمد ـ عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني ولد سنة ٢٧٤ هـ وتوفي سنة ٣٦٩ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٥ شذرات الذهب ٣/٦٩ طبقات الحفاظ ص ٣٨١.

(٦) ي هـ: عمران.

علي بن زيد[1] عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لخلق أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا قلنا يا رسول الله ومن أين ذلك قال أما إنه لم يعمل سيئة ولم يهم بها[2]».

قوله: ﴿وبراً بوالديه﴾ البر: يعني: البار كالصب[3] والطب[4] فعل بمعنى فاعل والمعنى لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿ولم يكن جباراً﴾ قال ابن عباس: هو الذي يقتل ويضرب على الغضب والعصي العاصي قال: يريد لا يرتكب لي معصية ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ الآية قال عطاء: يريد سلام عليه مني في الأيام، وقال الكلبي: سلام له منا وقال سفيان بن عيينه: أوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً عما كان فيه، ويوم يموت فيرى أحكاماً ليس له بها عهد، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره فخص الله يحيى بن زكريا بالكرامة والسلام في المواطن الثلاثة.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

قوله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ قال: واذكر من أمر مريم لأهل مكة ﴿إذ انتبذت﴾ قال: الكلبي: تنحت من أهلها ممن كانوا معها في الدار يقال: انتبذ فحل ناحية أي تنحى ناحية وقال قتادة: انفردت، قال ابن قتيبة: اعتزلت[5] مكاناً شرقياً أي إلى مكان في جانب الشرق قال عطاء:[6] إن مريم تمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس. وقال عكرمة: أرادت الغسل من الحيض فتحولت إلى مشرقة دارهم للغسل ﴿فاتخذت من دونهم﴾ من دون أهلها لئلا يروها ﴿حجاباً﴾ ستراً وحاجزاً ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ بينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أجرد مضيء الوجه وهو قوله ﴿فتمثل لها﴾ أي تصور لها ﴿بشراً سوياً﴾ معتدلاً تاماً. قال ابن عباس: فلما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد فـ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي مخلصاً مطيعاً فستنتهي بتعوذي بالله منك إن كنت تقياً ﴿قال﴾ جبريل ﴿إنما أنا رسول ربك ليهب لك﴾[7] أي أرسلني ليهب لك، ومن قرأ لأهب[9] أسند الفعل إلى جبريل والهبة من الله ولكن أسند إلى الرسول، وقوله: ﴿غلاماً زكياً﴾ قال ابن عباس: يريد نبياً، وقال الضحاك: صالحاً طاهراً من الذنوب ﴿قالت﴾ مريم ﴿أنى يكون لي

---

(١) علي بن زيد بن جدعان أبو الحسن القرشي الجرح والتعديل ٣/١٨٦ تذكرة الحفاظ ١/١٤٠ طبقات الحفاظ ص ٥٨.

(٢) قال عنه ابن كثير حديث ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة تفسير ابن كثير ٥/٢١٢ ط الشعب.

(٣) الصب: العشق يقال رجل صب: عاشق مشتاق والصبابة رقة الشوق الصحاح للجوهري مادة صبب.

(٤) الطب العالم بالطب والماهر فيه الصحاح للجوهري مادة طبيب.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٣).

(٦) روى ذلك ابن جرير في تفسيره عن السدي ص ١٦/٤٦ وهو ضعيف الحديث.

(٧) وقراءة (لأهب) بالهمزة قرأ بها ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨ والنشر ٢/٣١٧.

غلام ولم يمسسني بشر﴾ ولم يقربني زوج **﴿ولم أك بغياً﴾**[١] فاجرة زانية وإنما لم تقل بغية لأنه مصروف عن وجهه وهو فعيل بمعنى فاعل يقال: المرأة تبغي بغاء إذا فجرت، قال ابن عباس: قالت مريم ليس لي زوج ولست بزانية ولا يكون الولد إلا من الزوج أو من الزنا **﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾** مفسر في هذه السورة، قال ابن عباس: يريد يسير[٢] أن أهب لك غلاماً من غير محل **﴿ولنجعله آيةً للناس﴾** دلالة على قدرتنا كون غلام ليس له أب **﴿ورحمة منا﴾** لمن تبعه وصدقه **﴿وكان أمراً مقضياً﴾** وكان خلقه أمراً محكوماً به مفروغاً عنه سابقاً في علم الله أن يقع.

۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾

قوله **﴿فحملته﴾** قال ابن عباس: دنا منها جبريل فأخذ ردني[٣] قميصها بأصبعيه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها بعيسى عليه السلام ووجدت حسّ الحمل[٤] فذلك[٥] قوله **﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً﴾** أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس: أقصى الوادي وهو بيت لحم فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج **﴿فأجاءها المخاض﴾** قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: ألجأها يقال جاءها وأجاءها بمعنى واحد والمخاض وجع الولادة [واختلفوا في مدة حملها فقال بعضهم: تسعة أشهر على ما جرت العادة به. وقيل ثمانية أشهر ليكون أيضاً آية لأنه إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة][٦].

وقوله: **﴿إلى جذع النخلة﴾** قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة وإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سعف والجذع ساق النخلة فـ**﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا﴾** اليوم وهذا الأمر استحياء من الناس وخوف الفضيحة **﴿وكنت نسياً منسياً﴾**[٧] النسي ما أغفل من شيء حقير ونسي قال ابن عباس وقتادة: شيئاً متروكاً لا يذكر، وقال عكرمة ومجاهد حيضة ملقاة والمنسي [المتروك][٨] الذي لا يذكر، تقول: يا ليتني كنت ذلك النسي الذي لا يذكر ولا يطلب، وقرىء نسياً بالفتح[٩] قال الفراء: هما لغتان مثل الجسر والجسر والوتر والوتر، والنسي: ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها[١٠] قال ابن عباس: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها:

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا

---

(١) ساقط من جـ.
(٢) في أ، ب بشيراً.
(٣) ردني القميص بالضم أصل الكم ومقدم كم القميص: لسان العرب: ردأ.
(٤) رواه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عساكر عن ابن عباس ٣/ ٢٦٥ ورواه ابن جرير عن وهب بن منبه ورواية أخرى عن السدي بسند فيه انقطاع ابن جرير ١٦/ ٤٨.
(٥) في هـ: وذلك.
(٦) ما بين القوسين ساقط من هـ، وفي قوله في المولود إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش نظر فإن المولود قد يعيش إذا جاء لستة أشهر لا لثمانية.
(٧) ساقط من جـ، د، هـ.
(٨) ساقط من د.
(٩) قراءة الفتح لحمزة والباقون بكسر النون السبعة لابن مجاهد (٤٠٨).
(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٦٤.

جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

﴿**فناداها من تحتها**﴾ وكان أسفل منها تحت الأكمة ﴿**ألا تحزني**﴾ وهذا قول السدي وقتادة والضحاك[1]: أن المنادي جبريل ناداها من سفح الوادي، ومن قرأ فناداها من تحتها[2] قال: هو عيسى، وهو قول: مجاهد والحسن بين الله لها الآية في عيسى فكلمها ليزول ما عندها من الوحشة والجزع ﴿**ألا تحزني قد جعل ربك تحتك**﴾ أي تحت قدميك ﴿**سرياً**﴾ وهو النهر وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل [الله][3] الماء فيه لمريم وأحيا ذلك الجذع حتى أورق وهو قوله ﴿**وهزي إليك**﴾ الهز: التحريك، يقال هزه فاهتز، والمعنى: اجذبي إليك ﴿**بجذع النخلة**﴾ والباء فيه زائدة[4]، قال الفراء: العرب تقول: هزه وهز به[5] [ومنه] قوله: ﴿**فليمدد بسبب**﴾[6] معناه: فليمدد سبباً، وقوله: ﴿**تساقط [عليك]**﴾[7] أي تتساقط فأدغمت التاء في السين، ومعناه: تسقط عليك النخلة ﴿**رطباً جنياً**﴾ وقرأ حمزة[8] تساقط مخففاً، حذف التاء التي أدغمها غيره وروى حفص عن عاصم تساقط على وزن تفاعل وساقط بمعنى أسقط والمساقطة والتساقط على ما ذكرنا بمعنى الإسقاط، والرطب: النضيج من البسر، والجني: بمعنى المجني[9] يقال: جنيت الثمرة واجتنيتها قوله ﴿**فكلي**﴾ أي من الرطب ﴿**واشربي**﴾ من السري[10] ﴿**وقري عيناً**﴾ بولدك عيسى، يقال: قررت به عيناً أقر قرة، بعضهم يقول: قررت أقر، وجاء في التفسير: طيبي نفساً ﴿**فإما ترين**﴾ أصله: إما ترى ثم دخله نون التوكيد فكسر الياء لالتقاء الساكنين كما تقول للمرأة أخشين [زيداً][11] والمعنى فإما ترين ﴿**من البشر أحداً**﴾ فسألك عن ولدك ﴿**فقولي إني نذرت للرحمن صوماً**﴾ قال ابن عباس: صمتاً والمعنى: أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم. قال قتادة: صامت من الكلام والطعام، وقال السدي وابن زيد: كان في بني اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي[12]

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي ت سنة ١٠٢ هـ تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر من تحتها بفتح الميم والتاء، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (من تحتها) بكسر الميم والتاء. السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨.
قراءة (من تحتها) بفتح الميم قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر انظر السبعة ص ٤٠٨ والنشر ٢/٣١٨.

(٣) ساقط من النسخة (د) وحياة الجذع حتى صار فيه ثمراً رواه ابن جرير عن اسباط عن السدي والسدي معروف بضعفه. ابن جرير ١٦/٥٤.

(٤) قال ابن جرير: وأدخلت الباء في قوله: وهزي إليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن، وإنما تفعل العرب ذلك لأن الأفعال يكنى عنها بالباء فيقال إذا كنيت عن ضربك عمراً فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزي إليك جذع النخلة ابن جرير ١٦/٥٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤، وفي د: وهز به قوله وقال الألوسي: الفعل هنا بمنزل الكلام فلذا عدي بالباء: أي فعل (الهز بجذع النخلة) كما في الألوسي ١٦/ ٨٤.

(٦) الحج: ١٥ ـ كتب بالقلم.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٩.

(٩) في النسخة أ المجتنى.

(١٠) السري: الجدول والنهر الصغير. ابن جرير ١٦/ ٥٣.

(١١) ساقط من (د).

(١٢) رواه ابن جرير عن الضحاك تفسير ابن جرير ١٦/٥٧.

يدل على هذا قوله ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ أي إني صائمة فلا أكلم اليوم أحداً وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر قال ابن مسعود ووهب [١] أمرت بالصمت لأنها لم تكن لها حجة عند الناس في شأن ولدها فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها بما يبرىء ساحتها [٢].

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿فأتت به﴾ يعني بعيسى ﴿قومها تحمله﴾ قال الكلبي: إنها ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملت عيسى إلى قومها، فلما دخلت عليهم بكوا وخافوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ عظيماً منكراً لا يعرف منك ولا من أهل بيتك، والفري: الأمر العظيم ﴿يا أخت هارون﴾ قال ابن عباس وقتادة: هارون رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح، والمعنى: يا شبيهته في العفة وعلى هذا يدل حديث المغيرة بن شعبة وهو ما أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن محمويه أخبرنا والدي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم [٣]، نا أبو سعيد الأشج، نا عبد الله بن إدريس أنا أبي عن سماك بن حرب [٤] عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرؤون: يا أخت هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى فلم أدر ما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم [٥] رواه مسلم عن الأشج، وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها وكان أمثل رجل في بني إسرائيل، وقال السدي: عنوا هارون أخا موسى ونسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده كما يقال للتميمي يا أخا تميم [٦] وقوله ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾ قال ابن عباس: يريد زانياً ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ زانية: أي لم يكونا زانيين فمن أين لك هذا الولد ﴿فأشارت إليه﴾ أي إلى عيسى وهو يرضع بأن كلموه، فتعجبوا من ذلك ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ في الحجر رضيعاً، قال أبو عبيدة [٧] كان ها هنا حشو زائد [٨] والمعنى: كيف نكلم صبياً في المهد، وبهذا قال كثير من أهل التفسير وقال الزجاج: الأجوز أن

---

(١) هو وهب بن منبه وستأتي ترجمته بعد.

(٢) تفسير ابن جرير ١٦/ ٥٧.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن وهرام ت سنة ٣٣٧ هـ تاريخ الإسلام ٣/ ٢٨٥.

(٤) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار أبو المغيرة الكوفي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٤/٢٣٣ الجرح والتعديل ٢/ ٢٧٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ص ١٦٨٥ ط الحلبي ونجران موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة معجم البلدان ٥/ ٢٦٦.

(٦) لم أعثر على قول الكلبي، أما قول السدي فقد ذكره ابن جرير في تفسيره ١٦/ ٥٩.

(٧) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي البصري اللغوي توفي سنة ٢١٠ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/ ٢٥٦.

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة بلفظ كان فضل ٢/ ٧ ولم يوافق أبا عبيدة على رأيه هذا كثير من المفسرين فقد قال أبو حيان وقيل قامة وينتصب =

يكون من في معنى الشرط والجزاء المعنى: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه واختاره ابن الأنباري، وقال: هذا كما تقول كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ معناه: من يكن لا يقبل والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء، قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم لم يزد على أن ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه و ﴿**قال إني عبد الله**﴾ قال ابن عباس: أقر بالعبودية على نفسه وبربوبية الله أول ما تكلم ﴿**آتاني الكتاب وجعلني نبياً**﴾ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة فيما قضى وهذا إخبار عما سبق له مما هو كائن قوله: ﴿**وجعلني مباركاً أين ما كنت**﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿**وجعلني مباركاً أين ما كنت**﴾ قال: نفاعاً حيث ما توجهت(١) وقال مجاهد: معلماً للخير، وقال عطاء: لأني أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته ﴿**وأوصاني بالصلاة**﴾ أمرني بإقامتها ﴿**والزكاة**﴾ يعني زكاة الأموال ﴿**وبراً بوالدتي**﴾ قال ابن عباس: لما قال بوالدتي ولم يقل بوالدي علموا أنه نبي من الله ﴿**ولم يجعلني جباراً**﴾ متعظماً يقتل ويضرب على الغضب ﴿**شقياً**﴾ عاصياً لربه ﴿**والسلام علي**﴾ قال المفسرون: السلامة علي من الله ﴿**يوم ولدت**﴾ حتى لم يضرني شيطان، والآية مفسرة في هذه السورة قالوا لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم**﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله وأنه إله ﴿**قول الحق**﴾ أي القول الحق فأضيف القول إلى الحق كما قيل حق اليقين ووعد الصدق، والمعنى: هذا الكلام قول الحق يعني: ما ذكر من صنعته وأنه ابن مريم قول الحق، من نصب قول الحق فهو نصب على المصدر، أي قال قول الحق ﴿**الذي فيه تمترون**﴾ الذي من نقب عيسى، ويمترون: يشكون ويختلفون، فيقول قائل: هو ابن الله، ويقول آخر هو الله ثم نفى عن نفسه اتخاذ الولد فقال: ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد**﴾ قال ابن الأنباري: ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد، أي ما يصلح له ولا يستقيم فنابت اللام عن الفعل وذلك أن الولد مجانس للوالد وكذلك من اتخذ ولداً بما يتخذه من جنسه، والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له ولد ولا يتخذ ولداً، قال الزجاج: من في قوله من ولد مؤكدة تدل على نفس الواحد والجماعة، فلا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر، ثم نزه نفسه عن مقالتهم بقوله ﴿**سبحانه**﴾ ثم بين السبب في كون عيسى من غير أب فقال ﴿**إذا قضى أمراً**﴾ إذا أراد أن يحدث شيئاً ﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ لا يتعذر عليه إيجاده على الوجه الذي أراده ﴿**وإن الله ربي وربكم**﴾ هذا إخبار عن عيسى أنه قال ذلك المعنى: ولأن الله ربي وربكم، ويجوز أن يرجع إلى قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة

= صبياً على الحال في هذين القولين. والظاهر أنها ناقصة فتكون بمعنى صار، أو وتبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي، ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله عفواً رحيماً، والمعنى كان وهو الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان هذه بأن ترادف لم يزل، وقال الزمخشري لا يقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا القريبة خاصة والدال عليه معنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضيه أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً ا هـ البحر المحيط لأبي حيان ١٨٧/٦.

(١) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد وتابعه في ذلك ابن كثير تفسير ابن جرير ٦١/١٦.

وبأن الله ربي وربكم، ومن كسر جعله معطوفاً على قوله إني عبد الله[1]، ويجوز أن يكون استئنافاً من غير عطف، وقوله ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾ أي هذا الذي أخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة قوله: ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم**﴾ يعني: بينهم، ومن زائد[2]، قال المفسرون: كانوا أحزاباً متفرقين بينهم في أمر عيسى فقال بعضهم هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: بالثلاثة[3] ﴿**فويل**﴾ فشدة عذاب ﴿**للذين كفروا**﴾ بالله، بقولهم في المسيح ﴿**من مشهد يوم عظيم**﴾ من حضورهم ذلك اليوم للجزاء والحساب.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا**﴾**قال قتادة: ذلك والله يوم القيامة، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر**، وقال الحسن[4]: لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ يعني: الكافرين والمشركين ضلوا في الدنيا وعموا عن الحق، وآثروا الهوى على الهدى، قوله ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد من الإحسان، وقال أكثر المفسرين: يعني الحسرة حين يذبح الموت بين الفريقين، فلو مات أحد فرحاً لمات أهل الجنة، ولو مات أحد حزناً لمات أهل النار أخبرنا الشيخ أبو سهل عبد الواحد بن محمد الخشاب شيخ الصوفية قراءة عليه في شهر شعبان سنة خمس عشرة وأربعمائة أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحبري أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي نا عثمان بن أبي شيبة[5] نا جرير عن الأعمش [عن أبي صالح][6] عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون [وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون][7] فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكلهم قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت يا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون**﴾ رواه مسلم[8] عن عثمان بن أبي شيبة، وقوله ﴿**إذ قضي الأمر**﴾ قال مقاتل بن سليمان: قضي لهم العذاب في الآخرة ﴿ **وهم** ﴾ في الدنيا ﴿**في غفلة**﴾ وقال ابن جريج والسدي: إذ قضي الأمر إذ ذبح الموت وهو

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو(وأن الله) بفتح الهمزة السبعة لابن مجاهد ص ٤١٠ وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي فقد قرؤوا (وإن الله) بكسر همزة ان على الاستئناف السبعة ص ٤١٠ والنشر ٣١٨/٢.

(٢) هذا على مقاييس النحويين في كتبهم أما كتاب الله فلا زياده فيه ولا نقصان.

(٣) أي قال بعضهم (بالآب والابن والروح القدس).

(٤) الحسن بن أبي الحسن البصري من سادة التابعين ت سنة ١١٠ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨ الدرر الكامنة ١٢٨/١.

(٥) عثمان بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن الكوفي ت سنة ٣٣٩ هـ تاريخ بغداد ٢٣٢/١١، تذكرة الحفاظ ٤٤٤/٢، شذرات الذهب ٩٢/٢.

(٦) ما بين القوسين ساقط من جـ وهو: أبو صالح السمان ابن ذكوان الزيات المدني تذكرة الحفاظ ٨٩/١، طبقات الحفاظ ص ٣٣ طبقات ابن سعد ٢٢٢/٥.

(٧) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٨) رواه مسلم في كتاب الجنة. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨ ط الحلبي والبخاري في كتاب التفسير سورة مريم ١١٧/٦ ط الشعب.

في غفلة في الدنيا عما يصنع بالموت ذلك اليوم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بما يصنع[1] بالموت في ذلك اليوم ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ نميت سكانها فنرثها ﴿ومن عليها﴾ لأنا نميتهم ونهلكهم وهذا كقوله ﴿ونحن الوارثون﴾[2] ﴿وإلينا يرجعون﴾ يردون بعد الموت.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ اذكر لقومك قصته ﴿إنه كان صديقاً﴾ كثير الصدق ﴿نبياً إذ قال لأبيه [يا أبت][3] لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ [وبخه على عبادته شيئاً لا سمع له ولا بصر][4] ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ لا يدفع عنك ضراً ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ على ما جاءني من ربي لأرشدك إلى دين مستقيم ﴿[يا أبت] لا تعبد الشيطان﴾ لا تطعه فيما يزن لك من الكفر والمعاصي ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ عاصياً ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك للشيطان ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ قريناً في النار فقال أبوه مجبهاً[5] له.

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾

﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أتاركها أنت، وتارك عبادتها ﴿لئن لم تنته﴾ عن شتمها وعيبها ﴿لأرجمنك﴾ لارمينك بالقول القبيح وأشتمنك ﴿واهجرني ملياً﴾ تباعد عني ملياً حيناً وزماناً طويلاً، والملي: من الدهر حين طويل يقال: أقام بموضع كذا ملياً [أي حيناً وزماناً طويلاً][6] فـ ﴿قال﴾ إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه [وذلك][7] أنه لم يؤمر بقتاله على كفره ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وذلك أنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله في أبيه[8] فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له والمعنى: سأسأل لك التوبة تنال بها مغفرته ﴿إنه كان بي حفياً﴾[9] باراً لطيفاً، يقال: حفى به حفوة إذا بره وألطفه ﴿وأعتزلكم﴾ أتنحى عنكم وأفارقكم ﴿وما تدعون من دون الله﴾ وأعتزل ما تعبدون [من دون][10]

---

(١) في هـ: لما يصنع ذلك اليوم.
(٢) الحجر: ٢٣
(٣) ليست في هـ: يا أبت في الآيتين.
(٤) ساقط من جـ.
(٥) في هـ مجيباً، ولكن مجبها بمعنى معنفاً له وموبخاً ففي لسان العرب جبهت فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غلظة لسان العرب مادة جبه.
(٦ ـ ٧) ساقط من هـ.
(٨) فيما عدا هـ بأبيه.
(٩) حفياً: معناه كان عالماً لطيفاً يجيب دعوته، ولحفي معان أخرى كثيرة ليس هذا موضعها وإنما يراجع لسان العرب مادة «حفا».
(١٠) ساقط من (د).

الله يعني الأصنام ﴿وأدعو ربي﴾ أعبده ﴿عسى أن لا أكون بدعائي ربي شقياً﴾ أرجو لا أشقى بعبادته، يعني كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام لأنها لا تنفعهم ولا تجيب دعاءهم

فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ هجرهم فخرج إلى ناحية الشام ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله ﴿وكلاًّ﴾ من هذين ﴿جعلنا نبياً﴾ ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ المال والولد وهذا قول الأكثرين قالوا: يعني ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقال آخرون: يعني الكتاب والنبوة ﴿وجعلنا لهم لسان صدق﴾ ثناء حسناً في الناس ﴿علياً﴾ مرتفعاً سايراً في الناس فكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

قوله ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾[1] أخلص العبادة والتوحيد لله ومن قرأ مخلصاً[2] فهو الذي أخلصه الله من الدنس ﴿. . . . ونادیناه﴾ قال ابن عباس: يريد حين[3] أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله ﴿يا موسى إني أنا الله﴾[4] ﴿من جانب الطور﴾ من ناحية الجبل وهو جبل بين مصر ومدين[5] واسمه زبير[6] ﴿الأيمن﴾ يعني الذي يلي يمين موسى ﴿وقربناه نجيا﴾ مناجياً، والنجي: بمعنى المناجى، كالجليس والنديم[7] قال ابن عباس: قربه الله وكلمه، ومعنى هذا التقريب أن أسمعه كلامه قال الزجاج: قربه منه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ من نعمتنا﴿أخاه هرون نبياً﴾ قال ابن عباس: يريد حين سألني فقال ﴿اجعل لي وزيراً من أهلي[8]﴾.

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفى به وقال مقاتل[9]:

---

(١) (مخلِصاً) بكسر اللام وهي قراءة: نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبي عمرو وابن عامر ورواية عن عاصم انظرالسبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/ ٢٩٥.

(٢) (مخلَصاً) بفتح اللام وهي قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم. انظر السبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/٢٩٥.

(٣) في هـ: حيث.

(٤) القصص: ٣٠.

(٥) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل وبها استسقى موسى عليه السلام لبنات شعيب معجم البلدان ٥/ ٧٧.

(٦) معجم البلدان ٣/ ١٣٢. (٧) بمعنى المجالس والمنادم. (٨) طه: ٢٩.

(٩) مقاتل بن حيان النبطي أو بسطام البلخي له ترجمة في: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٢٩، طبقات الحفاظ ص ٧٦ تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٧.

أقام ينتظر إنساناً لميعاد ثلاثة أيام. وقال الكلبي: أقام حتى حال عليه الحول ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ إلى جرهم [١] ﴿وكان يأمر أهله﴾ [٢] قال ابن عباس يريد قومه قال الزجاج: أهله جميع أمته، قال مقاتل نظيره ﴿وأمر أهلك بالصلوٰة﴾ [٣] أي قومك وقوله ﴿بالصلوٰة والزكاة﴾ قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله عليهم، وهي: الحنيفية التي فرضت علينا ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ قال: يريد قام لله بطاعته.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

وقوله في ذكر ادريس ﴿... ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال مجاهد رفع ادريس ولم يمت كما رفع عيسى قال المفسرون: رفع إلى السماء الرابعة. أخبرنا محمد بن إبراهيم عن محمد بن يحيى، أنا [محمد][٤] بن جعفر بن الهيثم نا أبو بكر الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر، نا حسين[٥] بن محمد المروزي نا سفيان عن قتادة عن انس أن نبي الله ﷺ قال لما عرج بـي رأيت إدريس في السماء الرابعة[٦].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ثم بين مراتبهم في شرف النسب فقال: ﴿من ذرية آدم﴾ يعني ادريس ونوحاً ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ يعني في السفينة ويريد إبراهيم لأنه من [ولد][٧] سام بن نوح ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ يريد اسماعيل واسحق ويعقوب وقوله ﴿وإسرائيل﴾ يعني ومن ذريته وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فكان لإدريس ونوح شرف القرب [من آدم ولإبراهيم شرف القرب][٨] من نوح واسماعيل واسحق ويعقوب ولما تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ أي هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾ قال ابن عباس: سجّداً لله متضرعين إليه قال الزجاج: قد بين الله أن الأنبياء كانوا إذا أسمعوا آيات الله سجدوا وبكوا.

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال السدي: هم اليهود والنصارى وقال مجاهد وقتادة: هم من هذه الأمة عند

---

(١) جرهم بطن من القحطانية كانت منازلهم أولاً باليمن ثم انتقلوا إلى الحجار فنزلوه ثم نزلوا بمكة واستوطنوها. معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة ١/١٨٣.

(٢) في أ: أهله (بالصلوة) وهي مكررة.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) ساقط من جـ ولفظ أنا بعدها ساقط من هـ.

(٥) حسين بن محمد بن بهرام المروزي التميمي أبو أحمد ت سنة ٢١٣ هـ انظر تاريخ بغداد ٨/٨٨، طبقات الحفاظ ص ١٦١.

(٦) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ١/١٤٥.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) ساقط من هـ ط الحلبي.

قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الأمة قوم يتنابزون[1] بالزنا ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة ﴿**أضاعوا الصلوٰة**﴾ قال الأكثرون أخروها عن وقتها، قال ابراهيم: أضاعوا الوقت وقال عمر بن العزيز: شربوا الخمر فأضاعوها، وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس[2] ﴿**واتبعوا الشهوات**﴾ المعاصي وشرب الخمر، والمعنى: آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ﴿**فسوف يلقون غيا**﴾ قال ابن مسعود ومجاهد وعطاء عن ابن عباس: هو واد في جهنم. أخبرنا أبو منصور بن يحيى التميمي أنا عبد الله بن محمد بن نصير القرشي، نا محمد بن أيوب أنا عمرو بن مرزوق، نا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله[3] في قوله ﴿**فسوف يلقون غيا**﴾ قال: نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم[4]، وليس معنى يلقون يردون فقط لأن اللغاء معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ﴿**إلا من تاب**﴾ من التقصير في الصلاة ﴿**وآمن**﴾ من اليهود والنصارى[5] ﴿**وعمل صالحاً**﴾ بطاعة الله ﴿**فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً**﴾ قال ابن عباس: لا ينقصون ثواباً.

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

﴿**جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب**﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم عابوا عما فيها مما لا عين رأت، والمعنى: أنهم لم يروها فهي غيب لهم ﴿**إنه كان وعده مأتياً**﴾ قال الفراء: لم يقل آتياً لأن كل ما أتاك فقد أتيته[6] ونحو هذا قال الزجاج، وقال ابن جريج[7]: وعده في هذه الآية موعود وهو الجنة، ومأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته ﴿**لا يسمعون فيها لغواً**﴾ وهو الهذر وما يلغى من الكلام ﴿**إلا سلاماً**﴾ لكن يسمعون سلاماً وهو أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب الملائكة بالسلام قال الزجاج: السلام اسم جامع للخير لأنه متضمن السلام والمعنى: ان أهل الجنة لا يسمعون ما يؤذيهم وإنما يسمعون ما يسلمهم ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا**﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء قال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم

(١) في هـ يتبارون والنص في تفسير الطبري ١٦/٧٥.

(٢) لابن جرير رأي نقله عن العلماء في هذا المعنى يقول فيه: أضاعوا الصلاة أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً. تفسير الطبري ١٦/٧٤ وفيه أيضاً عن ابن مسعود وقد سئل عن إضاعتها قال عن مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك إلا الترك قال: ذاك الكفر وقال القرطبي في تفسيره وجملة القول في هذا الباب أن من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن من حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ولا دين لمن لا صلاة له. الجامع لأحكام القرآن ١١/١٢٣ ط دار الكتاب العربي.

(٣) أي ابن مسعود.

(٤) روى الهيثمي نحوه في كتاب التفسير سورة مريم وقال رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه مجمع الزوائد ٧/٥٥ ورواه ابن جرير بالنص ١٦/٧٥.

(٥) في هذا نظر فإن الإيمان لا يقتصر على اليهود والنصارى بل ينطبق القول على كل من تاب وآمن سواء كان قبل ذلك يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو ولد مسلماً.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٠.

(٧) في جـ ابن جرير.

يؤيد هذا قول الله تعالى في سورة الزمر ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾.

الغداء والعشاء أعجب به فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل [ولا نهار][1] إنما هو ضوء ونور وقال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء فذكر الله جنته فقال: لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا.

قوله ﴿**تلك الجنة**﴾ يعني الجنة التي ذكرها في قوله ﴿**فأولئك يدخلون الجنة**﴾ ﴿**التي نورث من عبادنا**﴾.

وذلك أن الله تعالى يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وجوز أن يكون معنى يورث تعظيم ذلك وننزلهم إياها وتكون كالميراث لهم من جهة أنها تمليك مستأنف وقوله ﴿**من كان تقياً**﴾ أي من اتقى معصية الله وعقابه بالطاعة والإيمان.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

قوله ﴿**ومانتنزل إلا بأمر ربك**﴾ أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا أبو بكر محمد بن علي القفال أنا اسحق بن محمد بن اسحق الرسغني، نا جدي، نا المغيرة، نا عمر بن ذر عن أبيه[2] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل ﴿**وما نتنزّل إلا بأمر ربك**﴾ الآية كلها قال: وكان هذا جواباً لمحمد ﷺ رواه[3] البخاري[4] عن أبي نعيم عن عمر بن ذر قال المفسرون استبطأ رسول الله ﷺ جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل إني كنت لمشتاقاً إليك قال: وأنا والله يا محمد قد كنت إليك مشتاقاً ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ونزلت هذه الآية[5] وقوله ﴿**له ما بين أيدينا**﴾ أي من أمر الآخرة والثواب والعقاب ﴿**وما خلفنا**﴾ ما مضى من الدنيا ﴿**وما بين ذلك**﴾ ما يكون هذا الوقت إلى يوم القيامة، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل واختيار الزجاج ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ قال ابن عباس: تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي، والنسي: بمعنى النـاسي وهو التارك ﴿**رب السموات والأرض**﴾ مالكها ﴿**وما بينهما**﴾ وما لك ما بينها ﴿**فاعبده**﴾ وحده لأن عبادته بالشرك كلا عبادة ﴿**واصطبر لعبادته**﴾ أصبر على أمره ونهيه ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً؟ وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وقتاده وقال في رواية عكرمة: **هل** تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره؟ وقال في رواية عطاء **هل** تعلم أحداً يسمى الله غيره؟ وقال الزجاج: تأويله ـ والله أعلم ـ **هل** تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون؟ وعلى هذا: لا سمي لله في جميع أسمائه لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه فلله حقيقة ذلك الوصف.

---

(١) ساقط من هـ، د.

(٢) ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني أبو عمر الكوفي ت سنة ٨٠ تهذيب التهذيب ٢١٨/٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة مريم ١١٨/٦ وبدء الخلق ١٣٧/٤ ط الشعب.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري ت سنة ٢٥٦ انظر البداية والنهاية ٣٤/١١ تاريخ بغداد ٤/٢ تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢.

(٥) في ابن كثير رواه ابن أبي حاتم وهو غريب ٣٤٤/٥ ط الشعب والسيوطي في الدر المنثور، عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم الدر ٢٧٩/٣.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾

وقوله ﴿**ويقول الإنسان**﴾ معناه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ﴿**أإذا ما متّ لسوف أخرج حياً**﴾ يقول ذلك استهزاء وتكذيباً منه بالبعث قال ابن عباس في رواية عطاء يعني: الوليد بن المغيرة وقال في رواية الكلبي: نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول زعم محمد أن الله يبعثنا بعد ما نموت فقال الله مجيباً لذلك الكافر ﴿**أو لا يذكر الإنسان**﴾ أو لا يتذكر هذا الجاحد أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة وهو قوله ﴿**أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**﴾ ثم أقسم أنه يحشرهم فقال ﴿**فوربك لنحشرنهم**﴾ أي لنجمعنهم في المعاد ﴿**والشياطين**﴾ وذلك أن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿**ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً**﴾ يعني في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، يقال: جلس القوم حول البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به، وقوله ﴿**جثياً**﴾ قال مجاهد: مستوقرين[(١)] على الركب جمع جاث من قولهم: جثا على ركبته يجثو جثواً، وقال ابن عباس: جثيا جماعات، وهو قول مقاتل، وهو جمع جثوة وجثوة وهي المجموع من التراث والحجارة ﴿**ثم لننزعن**﴾ لنأخذن ولنخرجن ﴿**من كل شيعة**﴾ من كل فرقة وجماعة ﴿**أيهم أشد على الرحمن عتياً**﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم، قال الأحوص[(٢)]: بدىء بالأكابر جرماً، وقال قتادة: لننزعن[(٣)] من كل أهل دين قادتهم ورؤسائهم في الشر والعتيّ ها هنا: مصدر كالعتو، وهو التمرد في العصيان، وأما رفع أيهم فقال الزجاج: فيه ثلاثة أقوال: أحدها [أنه][(٤)] على الاستئناف ولننزعن يعمل في موضع من كل شيعة هذا قول يونس[(٥)] وقال الخليل انه على معنى: الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتياً، وقال سيبويه[(٦)]: أيهم ها هنا مبني على الضم تقول اضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل[(٧)] ﴿**ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً**﴾ يقال: صلى النار يصلاها صلياً أي دخلها وقاسى حرها، يعني أن الأولى بها صلياً الذين هم أشد على الرحمن عتياً على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾

قوله: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ وما منكم أحد[(٨)] إلا وارد جهنم ﴿**كان على ربك**﴾ كان ورودكم جهنم ﴿**حتماً**﴾ الحتم: إيجاب القضاء والقطع بالأمر، يقال كان ذلك حتماً أي موجباً ﴿**مقضياً**﴾ قضاه الله عليكم وأكثر

---

(١) معنى مستوقرين: استوقر ووقر طعاماً أخذه واستوقر إذا حمل حملاً ثقيلاً واستوقرت الإبل سمنت وحملت شحوماً (اللسان فصل الواو حرف الراء).

(٢) الأحوص بن جواب الضبي الكوفي صدوق ت سنة ٢١١ هـ تقريب التهذيب ١/٤٩.

(٣) في هـ: لننزعن من كل شيعة أي من كل. . . الخ.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) يونس بن حبيب البصري ت سنة ١٨٢ هـ انظر طبقات المفسرين للداودي.

(٦) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه ت سنة ١٨٠ هـ بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢٢٩، نزهة الألباء ص ٦١.

(٧) الكتاب لسيبويه ٢/٣٩٨.

(٨) في هـ: إلا هو.

الناس على الحكم بظاهر الآية (وهو أن الخلق كلهم يردون النار ثم ينجي الله المؤمنين أخبرنا أبو القاسم بن حمدان نا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، نا سعيد بن محمد مسعود، نا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل عن السدي: قال سألت مرة الهمداني[1] عن قوله تعالى **﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾** فحدثني ان عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال «يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه[2]» وقال ابن عباس في هذه الآية الورود الدخول وأخذ بيد مجاهد وقال: أما أنا وأنت فسندخلها، وخاصة نافع بن الأزرق[3] فقال إن الشيء ربما ورد الشيء ولكن لا يدخله فقال ابن عباس يا ابن الأزرق أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل ينجينا الله منها أم لا؟ وكان[4] أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني ثم يبكي قال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون[5] عنها وبكى عبد الله بن رواحة وقال آية نزلت ينبئني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبئني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني، وقال: الحسن كيف لا يحزن المؤمن؟ وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر [منها][6] ثم إن الله تعالى قادر بلطفه أن يسلم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروا بها ويخرجوا منها سالمين فقد أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا عبد الله بن محمد بن نصير، نا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، نا صالح بن غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمية[7] قال: اختلفنا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً[8] أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي[9] نا [سهل بن عثمان][10] عن ثور[11] عن خالد بن معدان قال إذا

---

(١) مرة: الطيب بن شراحيل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي ت ٧٦ هـ تذكرة الحفاظ ١/ ٦٧ طبقات ابن مسعود ٦/ ٧١، طبقات الحفاظ (٢٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ٨/ ١٤٦ ط الشعب، مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٨٧ ط الحلبي ومعنى حضر الفرس / عدوه وإسراعه الصحاح للجوهري مادة حضر.

(٣) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي رأس فرقة الازارقة ت سنة ٦٥ هـ انظر لسان الميزان ٦/ ١٤٤ الكامل لابن الأثير ٤/ ٦٥، الأعلام ٧/ ٣٥١ ط دار العلم.

(٤) تفسير ابن جرير ١٦/ ٨٤، ابن كثير ٥/ ٢٤٨.

(٥) تفسير ابن جرير ص ١٦/ ٨٢.

(٦) ساقط من جـ وفي هـ: عنها.

(٧) أبو سمية عن جابر مقبول من الرابعة التقريب ٢/ ٤٣١.

(٨) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٨ ط بيروت وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٧/ ٥٥ ط بيروت وحديث خالد بن معدان التالي: رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي: فيه يحيى بن يونس ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد باب في الأرواح ٢/ ٣٢٩.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٠ طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٨٢ طبقات الحفاظ ص ٣٠٠.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب) وهو: سهل بن عثمان بن فارس العسكري الكندي ت سنة ٢٣٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٢، خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣٣ طبقات الحفاظ ص ١٩٧.

(١١) ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الشامي الحمصي ت سنة ١٥٣ تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٥ تهذيب التهذيب ٢/ ٣٥ طبقات الحفاظ ص ٧٧.

دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم: بلى ولكن مررتم بها وهي خامدة.

أخبرنا اسماعيل بن النصر آباذي، أنا محمد بن إبراهيم المحاملي، نا محمد بن ابراهيم البوشنجي[١]، نا سليم بن منصور بن عمار حدثني أبي قال حدثني بشير بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال «تقول النار يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[٢] وروى عثمان بن الأسود[٣] عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها وعلى هذا من حم من المسلمين فقد وردها لأن الحمى من فيح جهنم[٤] وقد قال ﷺ «الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار»[٥] ويدل على صحة هذا التأويل ما أخبرنا أبو منصور بن طاهر أنا أبو سعيد الخلالي، نا محمد بن الحسين[٦] بن قتيبة، نا عبيدة بن عبد الرحيم[٧]، نا أبو أسامة حماد بن أسامة[٨]، نا عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «أنه عاد مريضاً من وعك كان به فقال أبشر إن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار»[٩] وقال ابن زيد: ورود المسلمين النار: العبور على الجسر وورود الكافرين أن يدخلوها، قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك وصدقوا ﴿ونذر الظالمين﴾ قال المشركين والكفار ﴿فيها جثياً﴾ قالوا على الركب، وقالوا جميعاً كما فسرنا فيما قبل. قوله:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

---

(١) محمد بن ابراهيم بن سعيد البوشنجي أبو عبد الله ت سنة ٢٩١ هـ طبقات الحفاظ (٢٨٦) تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢، تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٢) قال عنه الهيثمي رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البعث باب ما جاء في الميزان والصراط والورود ٣٦١/١٠.

(٣) عثمان بن الأسود موسى بن باذان المكي ت سنة ١٥٠ هـ تهذيب التهذيب ١٠٧/٧.

(٤) في هذا انظر حيث أنه لا علاقة بين مرض المرء في الدنيا ونعيمه أو عذابه في الآخرة اللهم إلا تكفير ذنوبه إن صبر على بلاء نزل به من عند الله.

(٥) قال الهيثمي: رواه أحمد الطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلسطيني ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف مجمع الزوائد كتاب الجنائز باب في الحمى ٣٠٥/٢.

(٦) في جـ الحسن.

(٧) في ب عبيدة بن عبد الرحمن.

(٨) حماد بن أسامة بن زيد القرشي الكوفي ت سنة ٢٠١ هـ عن ثمانين سنة انظر تذكرة الحفاظ ٣٢١/١ تهذيب التهذيب ٢/٣ طبقات الحفاظ (١٣٤).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره وابن كثير وقال: غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه تفسير ابن كثير ٢٥٠/٥ ط الشعب وتفسير الطبري ٨٣/١٦ وقد أيد القرطبي القول القائل بأن ورود المؤمن هو الحمى تفسير القرطبي ١٣٨/١١ أما الألوسي فبعد أن أورد أحاديث الحمى قال: والحق أنه لا دلالة فيه على عدم ورود المؤمن المحموم في الدنيا النار في الآخرة، وقصارى ما يدل عليه أنه يحفظ من ألم النار يوم القيامة، وقيل أن الورود الحضور والقرب كما في قوله ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ واختار بعضهم أن المراد حضورهم جاثين حواليها. انظر روح المعاني ١٢٢/١٦ والرأي عندي أن الورود للمؤمن المرور من فوقها والعبور على الجسر لحديث البخاري ومسلم «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم. . . . الخ» وقد مر هذا الحديث.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ يعني [على][١] المشركين ﴿آياتنا بينات﴾ يريد القرآن ﴿قال الذين كفروا﴾ مشركو قريش ﴿للذين آمنوا﴾ لفقراء المؤمنين ﴿أي الفريقين﴾ أنحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ وقرىء مقاماً بضم الميم[٢] وهما المنزل والمسكن ﴿وأحسن ندياً﴾ الندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم ومنه قوله ﴿وتأتون في ناديكم[٣] المنكر﴾ والمعنى: إن المشركين قالوا لفقراء المؤمنين أنحن أم أنتم أعظم شأناً وأعز مجلساً؟ افتخروا عليهم بمساكنهم ومجالسهم، فقال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ الأثاث المال أجمع الإبل والغنم والعبيد والمتاع قال ابن عباس والسدي: الأثاث المال وقال قتادة: أحسن أثاثاً أكثر أموالاً، الحسن: الأثاث اللباس. والرئي: المنظر، فعل من رأيت، والمصدر الرأي والرؤية كالطحن والرعي، والمفسرون يقولون: الرأي: المنظر وقال الحسن: الصور، وقرىء [ريا][٤] بغير همز[٥] قال الزجاج: وله تفسيران أحدهما: أن الأول بطرح الهمز، الثاني أنه من الري الذي هو ضد العطن والمراد به أن منظرهم مرتو من النعمة كأن النعيم بين فيهم لأن الريّ[٦] يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول، والمعنى: ان الله قد أهلك قبلهم أقواماً كانوا أكثر متاعاً وأحسن منظراً فأهلك أموالهم، وأفسد عليهم جوهم، فليخافوا نقمة الله بالاهلاك كسنة من قبلهم من الكفار.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

قوله: ﴿قل من كان في الضلالة﴾ قال ابن عباس: قل لهم يا محمد من كان في العماية عن التوحيد ودين الله ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ [هذا لفظ الأمر ومعناه الخبر أي مده الرحمن مداً][٧] وكذا فسره ابن عباس فقال: يريد فإن الله يمد له فيها حتى يستدرجه وقال الزجاج: تأويله أن الله جعل جزاء ضلالته أن يتركه ويمده فيها لأن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن المتكلم يقول أفعل ذلك وآمر به نفسي، ومعنى مده الله في ضلالته: أمهله وطول عمره فيها ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ يعني الذين مدهم[٨] الله في الضلالة وأخبر عن الجماعة لأن لفظ من يصلح للجماعة ثم ذكر ما يوعدون فقال ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني القتل والأسر، أو القيامة والخلود في النار ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة ﴿وأضعف جنداً﴾ وهذا رد عليهم في قولهم ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

قوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ قال الربيع بن أنس يريد أنه يزيد الذين اهتدوا بكتابه ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات فيصدقون بها، وقال الزجاج المعنى أن الله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافر أن يمده في ضلالته ﴿والباقيات الصالحات﴾ الأذكار والأعمال الحسنة من الطاعات التي تبقى لصاحبها ولا تحبط ﴿خير

(١) ساقط من د، هـ.
(٢) قراءة ﴿خير مقاماً﴾ بضم الميم قرأ بها ابن كثير السبعة ص ٤١١ والنشر ٢/ ٣١٩.
(٣) العنكبوت: ٢٩.
(٤) عن هـ فقط.
(٥) قراءة (ريا) بغير همزة قرأ بها ابن عامر ورواية عن نافع السبعة ص ٤١١ والنشر ١/ ٣٩١.
(٦) في هـ: الذي وهو تصحيف.
(٧) ما بين القوسين ساقط من (جـ).
(٨) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

عند ربك ثواباً﴾ جزاء في الآخرة مما يفتخر به الكفار من مالهم وحسن معاشهم **﴿وخير مرداً﴾** المرد ـ ها هنا ـ مصدر، مثل الرد والمعنى: وخير رد للثواب[١] على عامليها ليس كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت، ويقال هذا الأمر رد عليك أي أنفع لك والمعنى: أنه يرد عليك ما تريد.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

وقوله **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾** قال جماعة أهل التفسير: نزلت في العاص[٢] بن وائل وذلك أن خباب بن الأرت كان له عليه دين فأتاه يتقاضاه فقال لا أقضيك حتى تكفر بإله محمد فقال خباب: والله لا أكفر بإلّه محمد حياً ولا ميتاً ولا حين أبعث قال: فدع مالك قبلي فإذا بعثت أعطيت مالاً وولداً وقضيتك[٣] مما أعطى يقول ذلك مستهزءاً فأنزل الله **﴿أفرأيت الـذي كفر بآياتنا﴾**[٤] يعني العاص كفر بالقرآن **﴿وقال لأوتين﴾** لأعطين **﴿مالاً وولداً﴾** يعني في الجنة بعد البعث وقرىء وولداً بضم الواو[٥] وهما واحد مثل العرب والعرب والعجم والعجم. وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المزكي، أنا عبيد الله بن محمد [بن محمد][٦] بن بسطة [٧] أنا عبد الله بن عبد العزيز، نا أبو خيثمة، نا وكيع[٨]، نا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال كنت رجلاً قيناً [٩] وكان لي على العاصي بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت لن أكفر به حتى تموت وتبعث، فقال: فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أفيك إذا رجعت إلى مالي وولدي قال: فنزلت فيه **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾**[١٠] رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان ورواه مسلم عن الاشج عن وكيع وكلاهما عن الاعشى قال الله تعالى تكذيباً[١١] له ومنكراً عليه **﴿أطلع الغيب﴾** قال ابن عباس ومجاهد: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة أم لا؟ وقال الكلبي: أنظر في اللوح المحفوظ؟ **﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾** قال ابن عباس [أم][١٢] قال لا اله إلا الله فأرحمه بها؟ وقال قتادة: يعني أقدم عملاً صالحاً يرجوه؟ **﴿كلا﴾** ليس الامر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد، ويجوز أن معنى كلا أي أنه لم يطلع [على][١٣] الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً **﴿سنكتب ما يقول﴾** سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه به

---

(١) في هـ: رد الثواب.

(٢) العـاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم توفي كافراً بالأبواء بين مكة والمدينة نسب قريش للزبيري ص ٤٠٨.

(٣) في ب وقضيتك وقيت وليس لها موضع.

(٤) قرأ نافع وعاصم وابن عامر بفتح الواو وقرأ الباقون بضم الواو وسكون اللام السبعة ٤١٢.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١١١/٤ ط بيروت.

(٦) ساقط من هـ د في هـ عبد الله بن محمد.

(٧) في جـ: بطر.

(٨) وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرواس الكوفي ت سنة ١٩٧ هـ تذكرة الحفاظ ٣٠٧/١.

(٩) القين: الحداد الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكير اللسان مادة قين.

(١٠) رواه البخاري في كتاب البيوع باب ذكر القين والحداد (٧٩/٣) والتفسير سورة مريم ١١٨/٦، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢١٥٢) ط الحلبي.

(١١) في هـ مكذباً.

(١٢ ـ ١٣) ساقط من هـ.

في الآخرة ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ نزيده عذاباً فوق العذاب ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه، وهذا قول ابن عباس وقتادة، ﴿ويأتينا فرداً﴾ يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني أهل مكة عبدوا الأصنام من دون الله ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة[١]، وهذا معنى قول ابن عباس: ليمنعوهم مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله قال الله تعالى: ﴿كلا﴾ قال ابن عباس: يريد لا يمنعهم مني شيء ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ تجحد الآلهة عبادة المشركين لها كما قال: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾[٢] وذلك أنها كانت جماداً لا تعلم العبادة ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ يصيرون أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم، وقال ابن قتيبة: أي أعداء يوم القيامة، وكانوا في الدنيا أولياءَهم[٣] قوله: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ ذكر الزجاج في هذا وجهين: أحدهما: أنا خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم منهم ونعذهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[٤]، الوجه الثاني وهو المختار: أنهم أرسلوا عليهم وقُيّضوا لهم بكفرهم كما قال ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً﴾ [٥] فمعنى الارسال ههنا التسليط.

وقوله ﴿تؤزهم أزاً﴾ الأز التحريك والتهييج، قال ابن عباس في رواية الوالبي: تغريهم إغراءً وقال في رواية عطاء نزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، وهو قول قتادة، وقال السدي نستعجلهم استعجالاً ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي يطلب العذاب لهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ قال ابن عباس: يعني أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة إلى الاجل الذي أجلت لعذابهم وهذا من أبلغ الوعيد والمعنى: أنا أجلناهم إلى أجل يبلغونه تعد أنفسهم إلى تمام ذلك الأجل. قوله:

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه ﴿إلى الرحمن﴾ إلى جنته ومحل كرامته ﴿وفداً﴾ جمع وافد كما يقال راكب وركب وصاحب وصحب فقال وفد الوافد يفد وفداً ووفادة إذا خرج إلى ملك في فتح أو أمر قاله ابن عباس. أخبرنا أبو سعد البصري، أنا محمد بن جعفر بن مالك القطيعي [٦]، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سويد بن سعيد، أنا علي بن مسهر عن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/١٧١ وفي النسخ: من الأخرة واللفظ من كتاب المعاني.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٥).

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) الزخرف: ٣٦.

(٦) محمد بن جعفر بن مالك بن حمدان أبو بكر القطيعي ت سنة ٣٦٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١/٨٧.

عبد الرحمن بن إسحاق، نا النعمان بن سعد[١] قال كنا جلوساً عند علي[٢] رضي الله عنه فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[٣] ﴿ويسوق المجرمين﴾ الكافرين ﴿إلى جهنم ورداً﴾ عطاشا مشاة قال قتادة: سيقوا إليها وهم ظماء[٤] والورد الجماعة التي ترد الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد العطش ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ لا يشفعون ولا يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض وهو قوله ﴿إلا من اتخذ﴾ على معنى لكن من اتخذ ﴿عند الرحمن عهداً﴾ فإنه يملك الشفاعة، قال ابن عباس: العهد شهادة أن لا اله إلا الله ويتبرأ إليه من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

قوله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله، قال الله مخاطباً لهم: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ عظيماً في قول الجميع ومعنى الآية قلتم قولاً عظيماً كما قال ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾[٥].

﴿تكاد السموات يتفطّرن منه﴾ وتنشق الأرض[٦] أي تدنو من الانشقاق وقرىء ينفطرن[٧] منه وكلاهما واحد يقال انفطر الشيء وتفطر إذ تشقق[٨] ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط ﴿هدًّا﴾ الهد: الكسر الشديد يقال هدني هذا الأمر وهد ركني، والمعنى: تسقط الجبال وتكسر كسراً، قال المفسرون: لما قالوا اتخذ الله ولدا اقشعرت الأرض وشاك الشجر وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وفزعت السماوات والأرض والجبال[٩] ﴿أن دعوا﴾ قال الفراء: من أن دعوا ولأن دعوا[١٠] ﴿للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن اتخاذ الولد يقتضي

---

(١) النعمان بن سعد الانصاري الكوفي انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٥٣.

(٢) علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ت سنة ٤٠ هـ عن ستين سنة. الاصابة ٢/ ٥٠١ تاريخ بغداد ١/ ١٣٣ شذرات الذهب ١/ ٤٩.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي وهو ضعيف وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرك ٢/ ٣٧٧.

(٤) في هـ: ظلماء.

(٥) الاسراء: ٤٠.

(٦) قراءة (ينفطرن) بالياء والنون قرأ بها: ابن عامر وحمزة وأبو جعفر ويعقوب وخلف وأبو عمرو والكسائي السبعة ص ٤١٢.

(٧) قراءة (يتفطرن) بالياء والتاء قرأ بها ابن كثير ورواية عن عاصم السبعة ص ٤١٢ والنشر ٢/ ٣١٩.

(٨) في فيما عدا جـ: انشق.

(٩) ذكر ابن جرير نحوا من هذا عن ابن عباس وكعب الاحبار. تفسير ابن جرير ١٦/ ٩٩.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٣ والفرق بين التفسيرين في: أن دعوا، ولأن دعوا: أن الجملة إذا أدخلت عليها اللام فهي اللام التعليلية =

مجانسة، وكل من اتخذ ولداً اتخذه من جنسه، والله تعالى منزه من أن يجانس شيئاً أو يجانسه شيء فمحال في وصفه اتخاذ الولد ﴿إن كل﴾ ما كل ﴿من في السموات والأرض﴾ من الملائكة والمخلوقين ﴿إلا آتي الرحمن﴾ إلا يأتيه يوم القيامة ﴿عبداً﴾ ذليلاً خاضعاً، يعني: أن الخلق عبيده[1] وأن عيسى وعزيراً من جملة العبيد ﴿لقد أحصاهم﴾ عرف عددهم ﴿وعدهم عدًّا﴾ ولا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم مع كثرتهم ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾. قال ابن عباس ومجاهد: يحبهم[2] ويحببهم إلى المؤمنين، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال «المحبة في صدور المؤمنين إن الله أعطى المؤمنين المقة [3] والألفة والمحبة في صدور الصالحين»[4] وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أبو الأزهر[5] [أحمد بن الازهر][6]، نا عبيد الله بن محمد بن عبد المجيد الحنفي، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[7] حدثني أبي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[8].

قوله ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي هوناه وأنزلناه بلغتك ليسهل عليك الابلاغ لتبشر به [المتقين][9] بالقرآن من

= فالجملة عليه لما تضمنته الآية السابقة، أما إذا لم تدخل عليها اللام فتؤول أن وما بعدها بمصدر مجرور بالابدال في منه انظر الالوسي ١٦/١٤١.

(١) فيما عدا د، هـ عبده.

(٢) في هـ: يحبرهم.

(٣) في تاج العروس: ومق إذا أحب فهو وامق. فصل الواو من باب القاف.

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ونسبه للطبراني في الاوسط والكبير عن ابن عباس وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف المجمع كتاب التفسير سورة مريم ٧/ ٥٥.

(٥) أحمد بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدي الينسابوري أبو الازهر ت سنة ٢٦١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٥، تهذيب التهذيب ١/١١ طبقات الحفاظ ص ٢٤٠.

(٦) ليست في د، هـ.

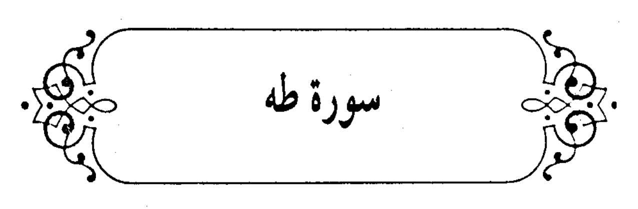
(٧) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوي مولى ابن عمر انظر تهذيب التهذيب ٦/٢٠٦، التقريب ١/٤٨٦.

(٨) رواه البخاري في كتاب الادب باب المقة من الله تعالى: ٨/١٧ ط الشعب، مسلم في البر باب إذا أحب الله عبداً أحببه لعباده ٤/٢٠٣٠ ط الحلبي.

(٩) ليست في جـ وفي هـ: فنشر به وهو تصحيف.

أطاعك ﴿**وتنذر به قوماً لدًّا**﴾ جمع ألد وهو الخصم[1]، قال قتادة: جدلاً بالباطل يعني قريشاً ثم أنذرهم وخوفهم بقوله ﴿**وكم أهلكنا قبلهم**﴾ قبل هؤلاء ﴿**من قرن**﴾ بتكذيب الرسل ﴿**هل تحس منهم**﴾ هل ترى من الذين أهلكناهم ﴿**من أحد أو تسمع لهم ركزاً**﴾ أي صوتاً، والركز: الصوت الخفي قال الحسن: ذهب القوم فلا تسمع لهم صوت، وقال قتادة: هل ترى من عين أو هل تسمع من صوت.

(١) في هـ: الخصيم.



سورة طه

مكيّة وآياتها خمس وثلاثون ومائة

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، نا خشنام بن بشر بن المغيرة، نا إبراهيم بن المنذر الخزامي، نا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار حدثني عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم[1] بهذا».

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿**طه**﴾ أكثر المفسرين على أن معناه: يا رجل[2] يريد النبي ﷺ وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومجاهد [وابن عباس في رواية عطاء][3] والكلبي، غير أن بعضهم يقول: هي بلسان الحبشة وبالنبطية والسريانية، ويقول الكلبي: هي بلغة عك[4]. قال ابن الانباري: ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لأن الله تعالى لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش ﴿**ما نزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ لتتعب وتبلغ من الجهد ما بلغت وذلك أنه لما أنزل عليه الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى أنه كان يصلي على إحدى رجليه يراوح بين قدميه لطول قيامه فيشتد ذلك عليه[5] فأمره الله تعالى أن يخفف على نفسه وذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل ذلك التعب ﴿**إلا تذكرةً**﴾ قال

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني في الاوسط وفيه ابراهيم بن مهاجر ٥٦/٧ ضعفه البخاري بهذا الحديث ووثقه ابن معين مجمع الزوائد كتاب التفسير وسورة طه.

(٢) هذا القول اختيار ابن جرير وقد ذكر فيها وجهاً آخر أنها من الحروف المقطعة من أوائل السور وتأخد حكمها تفسير الطبري ١٠٣/١٦ وقد سار على هذا المنوال ابن كثير في تفسيره ٢٦٦/٥ ط الشعب أما القرطبي فقد زاد فيها رأياً آخر أنها اسم من أسماء الله تعالى أو قسم أقسم به أو اسم للنبي ﷺ أو اسم للسورة ومفتاح لها يفسر القرطبي ١٦٦/١١ وأقرب الاقوال للصواب إما أنها بمعنى يا رجل فهي لغة قبائل من العرب أو أنها من الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) ساقط من جـ، ولقد قال الهيثمي تعليقاً على هذا القول: رواه الطبراني وفيه محمد بن السائب وهو متروك مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٥٦/٧.

(٤) عك: يقصد قبيلة عك وهم بنو عك بن الديث بن عدنان انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه عن البزار بسند فيه ضعف ٥٥/٧.

المبرد: لكن تذكرة أي لكن أنزلناه تذكرة أي لتذكر به من يخشى الله، والتذكرة مصدر كالتذكير﴿تنزيلاً﴾ أي نزلناه. **﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾** قال ابن عباس: أخبر بعظمتـه.

﴿الرحمن﴾ مرفوع على خبر ابتداء مضمر لأنه لما قال: ممن خلق بينه فكأنه قال هو الرحمن **﴿على العرش استوى﴾** أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك. أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد [العروضي][١]، أنـا أبو منصـور الأزهري[٢]،أنا أبو الفضل المنذري قال سئل أبو العباس أحمد[٣] بن يحيى عن قول الله تعالى **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** فقال: الاستواء الإقبال على الشيء ونحو هذا قال الفراء والـزجاج في قـوله عـز وجل **﴿ثم استـوى إلى السماء﴾**[٤] ولا يصح الاستواء في صفة الله تعالى إلا من هذا الوجه وما سواه فهو باطل فاسد[٥].

---

(١) ليست في د.

(٢) في هـ بن زهري.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت سنة ٢٩١، انظر نزهة الألباء ص ٢٢٨، إنباه الرواة ١٣٩/١.

(٤) البقرة: ٢٩.

(٥) يوضح السيوطي هذه القضية فيقول:[١]

من المتشابه آيات الصفات نحو (الرحمن على العرش استوى) (ولتصنع على عيني) و (يد الله فوق أيديهم). وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الايمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها. سئل مالك عن الآية (الرحمن على العرش استوى) فقال: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية المذهب في هذا عند أهل العلم من الائمة قبل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الاحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم وذهب طائفة من أهل السنة على أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه، فقال في الرسالة النظامية الذي نرتضيه دينا، وندين به عقداً، اتباع سلف هذه الأمة، بأنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة من صدر هذه الأمة وساداتها، وإياه اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمـة الحديث وأعلامـه وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريباً للسـان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه، وآمنا به على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، قال: وما كان معناه من هذه الالفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى ﴿يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾[٢] فنحمله على حق الله وما يجب له.

ومن ذلك صفة الاستواء، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة:

(أ) حكى مقاتل عن ابن عباس، أن «استوى» بمعنى استقر، وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل، قال الاستقرار يشعر بالتجسيم.

(ب) استوى بمعنى استولى ورد بوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما، فأي فائدة في تخصيص العرش.

والآخر: أن الاستيلاء، إنما يكون بعد قهر وغلبة، والله سبحانه منزه عن ذلك.

(جـ) أنه بمعنى صعد، قال أبو عبيدة: ورد بأنه تعالى منزه عن الصعود أيضاً.

(د) أن التقدير: «الرحمن علا» أي ارتفع من العلو، والعرش له استوى ورد بوجهين أحدهما: أنه جعل على فعلاً، وهي حرف هنا باتفاق، فلو كانت فعلاً لكتبت بالألف كقوله: «علا في الأرض»[٣].

والآخر: أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء.

(هـ) أن الكلام تم عند قوله: ﴿الرحمن على العرش﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿استوى له ما في السموات وما في الأرض﴾.

ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها. =

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١٢/٣. (٢) الزخرف: ٥٦. (٣) القصص: ٤.

قوله ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي أنه مالك كل شيء ومدبره ﴿**وما بينهما**﴾ يعني الهواء ﴿**وما تحت الثرى**﴾ هو التراب الندي قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء، والمفسرون يقولون أراد الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الارض[١] ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله عز وجل ﴿**وإن تجهر بالقول**﴾ أي ترجع صوتك به ﴿**فإنه يعلم السر وأخفى**﴾ أي فلا تجهد[٢] نفسك برفع الصوت فإنك وإن لم تجهر علم الله السر وأخفى، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة السر ما أسررت في نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك مما يكون في غد علم الله فيهما سواء[٣] والتقدير: وأخفى منه إلا أنه حذف للعلم به، وهذا كقولك فلان كالفيل أو أعظم منه ﴿[الله][٤] **لا إله إلا هو**﴾ أي لا معبود يستحق العبادة غيره ﴿**له الاسماء الحسنى**﴾ يعني التسعة والتسعين التي ورد بها الخبر[٥] والحسنى تأنيث الأحسن.

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

قوله ﴿**وهل أتاك حديث موسى**﴾ هذا استفهام تقرير بمعنى الخبر أي: وقد أتاك، ونحو هذا قال ابن عباس؛ يريد وقد أتاك حديث موسى ﴿**إذ رأى ناراً**﴾ قال ابن عباس: كان موسى رجلاً غيوراً لا يحب الرفقة لئلا ترى امرأته فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى ناراً من بعيد[٦] ﴿**فقال لأهله**﴾ يريد امرأته ﴿**امكثوا**﴾ أقيموا مكانكم ﴿**إني آنست ناراً**﴾ رأيتها وأبصرتها ﴿**لعلي آتيكم منها بقبس**﴾ القبس: شعلة من نار يقبسها من معظم النار ﴿**أو أجد على النار هدى**﴾ قال ابن عباس: من يدل على الطريق وقال مجاهد: هادياً يهدي إلى الطريق، قال الفراء: أراد هادياً فذكره

= قلت ولا يتأتى له في قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾[١].

(و) إن معنى (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه، كقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾[٢] أي قصد وعمد إلى خلقها، قاله الفراء والاشعري وجماعة أهل المعاني.

(ز) الاستواء المنسوب إلى الله تعالى بمعنى اعتدل، أي قام بالعدل، كقوله تعالى ﴿قائماً بالقسط﴾[٣] والعدل: هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه أعطى لمعرفة كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة[٤]. ا. هـ.

(١) لقد ثبت خطأ هذا القول بعد ما ثبت كروية الأرض وصعود الانسان إلى القمر وقد روى ابن جرير قريباً من هذا القول عن الضحاك ومحمد بن كعب تفسير ابن جرير ١٦/١٠٥ وابن أبي حاتم عن السدي ولكن السدي متروك الحديث كما بين العلماء ذلك وقال ابن كثير هذا حديث غريب جداً ورفعه فيه نظر ابن كثير ٥/٢٦٨.

(٢) في هـ: تجهر.

(٣) في هـ: سر.

(٤) ساقط من ب.

(٥) روى البخاري هذا الخبر «إن لله تسعة وتسعين اسماً ومائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة» صحيح البخاري كتاب الشهادات باب ما يجوز من الشروط في الاسلام ٣/٢٥٩ ط الشعب.

(٦) روى نحوه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس ١٦/١٠٧ والسدي: ضعيف الحديث.

---

(١) فصلت: ١١.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٢: ١٥.

(٤) السجدة: ٤.

بلفظ المصدر[١] قال السدي: لأن النار لا تخلو من أهل لها وناس عندها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾

﴿فلما أتاها﴾ قال ابن عباس[٢]: لما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة يا موسى وهو قوله **﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾** وقرىء بفتح الالف[٣] على معنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل إني أنا ربك[٤] قال وهب: نودي من الشجرة فقيل يا موسى فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل فأيقن به[٥]، وقوله **﴿فاخلع نعليك﴾** روى ابن مسعود عن النبي ﷺ «كانت نعلا موسى من جلد حمار ميت»[٦] وهذا قول أكثر المفسرين: قيل لموسى لا تدخل الوادي وهما عليك. وقال الحسن: كانتا من جلد بقرة[٧] ذكية ولكن أمر بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد قال: يقول أفض بقدميك إلى بركة [هذا الوادي وهو قوله **﴿إنك﴾ بالوادي**][٨] المقدس **﴿طوى﴾**[٩] أي المطهر، وقال الوالبي: المقدس المبارك، وذكرنا هذا عند قوله **﴿الأرض المقدسة﴾**[١٠]وطوى: اسم الوادي في قول جميع المفسرين[١١]قوله **﴿وأنا اخترتك﴾** قال الكلبي: اخترتك برسالتي لكي تقوم بأمري **﴿فاستمع لما يوحى﴾** إليك مني أمره بعبادته وأخبره بالتوحيد فقال **﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾** أي أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها أو لم تكن هذا قول عامة المفسرين، وروي ذلك مرفوعاً أخبرنا عمر بن أحمد بن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٥ بتصرف.

(٢) خبر ابن عباس هذا أورد السيوطي قريباً منه عن وهب بن منبه وقال أخرجه أحمد في الزهد وعن ابن جبير وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر ٤/٢٩٠.

(٣) قراءة (أني) بفتح الألف قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٧ والنشر ٢٥/٣١٩.

(٤) قراءة (إني) بكسر الألف قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وفتح نافع وحده الياء من (أني) السبعة ص ٤١٧ النشر ٢/٣١٩.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب الدر المنثور ٤/ ٢٩٠.

(٦) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة طه وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد نبه الذهبي أن فيه حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين المستدرك ٢/٣٧٩.

(٧) أي مذبوحة وليست بميتة.

(٨) ساقط من حـ، د عدا كلمة بالواد فليست في د فقط.

(٩) ساقط من د والنص في تفسير ابن جرير ١٦/١٩ وجميع الاخبار التي مضت في قصة موسى من الدخيل على كتاب الله تعالى وبين ذلك صاحب رسالة الدخيل في تفسير الخازن.

وهي رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين ـ ص ١٣٤/١٣٧.

(١٠) المائدة: ٢١.

(١١) طوى موضع بالشام وهو اسم أعجمي للوادي المذكور بالقرآن انظر معجم البلدان ٤/٤٤.

عمر الماوردي، أنا عبد الله[١] [الرازي [٢]، أنا محمد] بن أيوب، أنا هدبة بن خالد، نا همام [٣]، نا قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ وأقم الصلاة لذكري» [٤] رواه مسلم عن هدبة، قال الحسن: أقم الصلاة لأن تذكرني لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله، وهذا قول مجاهد قال: إذا صلى العبد ذكر الله ثم أخبره بمجيء الساعة فقال ﴿إن الساعة﴾ يعني القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال أكثر المفسرين: أخفيها من نفسي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة[٥]، قال قطرب والمبرد[٦]: هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي لم أطلع عليه أحداً، ومعنى الآية: أن الله بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب، قال قتادة هي في بعض القراءة أكاد أخفيها من نفسي [٧] ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين[٨] قال ابن الانباري: والمعنى في إخفائها: التهويل والتخويف لأن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقوله ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ أي بما تعمل من خير وشر، واللام في لتجزى متعلقة بقوله: إن الساعة آتية.﴿فلا يصدّنك﴾ لا يمنعنك ولا يصرفنك ﴿عنها﴾ عن الإيمان ﴿من لا يؤمن بها﴾ بأنها آتية ﴿واتبع هواه﴾ مراده وخالف أمر الله ﴿فتردى﴾ فتهلك.

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ قال الزجاج: ما التي بيمينك؟ ومعنى سؤال موسى عما في يده من العصا التنبيه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها ﴿قال﴾ موسى ﴿هي عصاي أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها إذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ﴿وأهش بها على غنمي﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم[٩] فقال: هش يهش هشا إذا خبط الشجر ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ المآرب الحوائج واحدتها [١٠] مأربة ومنه المثل ([مأربة] [١١] لا حفاوة) وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه[١٢] العصا من السفر ﴿قال﴾ الله ﴿ألقها يا موسى﴾

(١) في هـ عبد الله بن محمد.

(٢) ساقط من جميع النسخ عدا جـ، هـ.

(٣) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبو عقبة الصنعاني الأنباري ت سنة ١٣١ هـ تهذيب التهذيب ١١/ ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب من نسي صلاة فيصلها إذا ذكرها، ومسلم في كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الغائبة ١/ ٤٧١، ٤٧٧.

(٥) انظر ابن جرير الطبري ١٦/ ١١٣.

(٦) المبرد: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس ت سنة ٢٨٥ طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٥ بغية الوعاة ١/ ٢٧٠.

(٧) قراءة (أكاد أخفيها من نفسي) نص الفراء في كتابه معاني القرآن على أنها قراءة أبي بن كعب معاني القرآن ٢/ ١٧٦ بتحقيق محمد على النجار وتفسير ابن جرير ١٦/ ١١٣.

(٨) تفسير ابن جرير ١٦/ ١١٣. (٩) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٧. (١٠) في هـ: واهدتها.

(١١) ساقط من هـ ومثل مأربة لا حفاوة أورده صاحب كتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال ص ٢/ ٢٧٣ للميداني ٣/ ٢٣٤ بلفظ:

ما كان من زيد فتى الشقاوة مأربه هاتيك لا حفاوة

والمأربة الحاجة من الأرب وحفي به حفاوة اهتم بشأنه وبالغ في إكرامه أي إكرامه لك لحاجة لا لمحبة للرجل إذا كان يتملى.

(١٢) في هـ فيها.

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الأصفهاني، نا أحمد بن محمد بن سريح، نا محمد بن رافع، نا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول[١]: قال له الرب: ألقها يا موسى، فظن موسى أنه يقول: ارفضها فألقاها على وجه الرفض ثم حانت منه لفتة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يمر بالصخرة مثل الخلفة[٢] من الإبل فيلقمها ويطعن بنابه في أصل الشجرة العظيمة فيحتها عيناه تـوقـدان ناراً وقد عاد المحجن[٣] عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف فـ ﴿قال خذها﴾ بيمينك ﴿ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ وعلى موسى حينئذ[٤] مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها أوكى طرف الدرعة على يده فقال ملك: يا موسى أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين[٥]، قال المفسرون: أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون ولا يولي مدبراً قوله ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ قال السدي: نردها عصا كما كانت، والسيرة الهيئة والحالة، يقال لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه عاد إلى سيرته، قال الزجاج المعنى: سنعيدها إلى سيرتها، فلما حذفت إلى وصل إليها الفعـل فنصبها.

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قوله ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ قال الفراء والزجاج: جناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه[٦]، وهذا قول مجاهد قال كفك تحت عضدك وقوله ﴿تخرج بيضاء﴾[٧] قـال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً فذلك قوله ﴿بيضاء من غير سـوءٍ﴾ أي من غير بـرص في قول الجميـع، قال الليث[٨]: ويكنى بالسوء عن البرص[٩] وقوله ﴿آية أخرى﴾ أي دلالة على صدقك سوى العصا ﴿لنريك من آياتنا

(١) روى هذا الخبر السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد في الزهد عن وهب بن منبه الدر المنثور ٢٩٠/٣ ط طهران ولكن وهبا معروف بحديثه عن أهل الكتاب.

(٢) الخلفة من الابل: الحوامل من النوق: القاموس المحيط فصل الخاء باب الفاء.

(٣) المحجن: عصا معقفة الرأس كالصولجان: اللسان فصل الحاء حرف النون.

(٤) في هـ: يومئذ.

(٥) روى هذا الخبر أحمد بن حنبل في كتابه الزهد عن وهب بن منبه ص ٦٢، ٦٣ ط بيروت.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٧٨/٢.

(٧) في هـ: بيضاء من غير سوء وما بين القوسين مكرر فيها.

(٨) الليث بن نصر بن سيار الخراساني انظر انباه الرواه ٤٢/٣، بغية الوعاة ٢٧٠/٢.

(٩) تهذيب اللغة للأزهري ١٣٣/١٣ بلفظ السوء كناية عن البرص.

الكبرى﴾ أراد الآية الكبرى، قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ جاوز القدر في العصيان، وذلك أنه خرج في معصيته إلي فتجاوز به معاصي الناس **﴿قال رب اشرح لي صدري﴾** قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أنه كان يضيق صدراً بما كلف من مقاومة فرعون [وجنده][1] [وحده][2] فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحد لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وإن اشتدت شوكته وكثر[3] جنوده **﴿ويسر لي أمري﴾** سهل علي ما بعثتني له **﴿واحلل عقدة من لساني﴾** قال ابن عباس يريد أطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي وهو قوله **﴿يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي﴾**عوناً وظهيراً من أهل بيتي، قال الزجاج: اشتقاقه في اللغة[4] من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من التهلكة والوزير الذي يعتمد الملك على رأيه في الأمور ويلتجىء وقوله **﴿هارون أخي﴾** مفعول الجعل على تقدير **اجعل** هارون أخي وزيري**﴿اشدد به أزري﴾** قو ظهري وأعني به، والأزر: الظهر **﴿وأشركه في أمري﴾** اجمع بيني وبينه في النبوة، وقرأ ابن عامر **أشدد** به أزري وأشركه في أمري على الجواب[5] والمجازاة، والوجه: الدعاء على ما قرأت به العامة[6] لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله **﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري﴾** فكما أن ذلك كله دعاء فكذلك ما عطف عليه قوله **﴿كي نسبحك كثيراً﴾** قال الكلبي: يقول: نصلي لك كثيراً **﴿ونذكرك كثيراً﴾** بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك ومنيت به علينا من تحميل رسالتك **﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾** عالماً إذ خصصتنا بهذه النعمة، فاستجاب الله دعاءه.

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ [أعطيت ما سألت][7] وسؤل الانسان: أمنيته التي يطلبها فلين الله له صدره وحل العقدة من لسانه وبعث معه أخاه هارون ثم أخبر بمنته عليه قبل هذا فقال: **﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾** أي أحسنا إليك وأنعمنا عليك قبل هذه المرة ثم فسره بقوله **﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾** أي ألهمناها حين عييت بأمرك ما كان فيه سبب نجاتك من القتل ومعنى ما يوحى ما يلهم ثم فسر ذلك الايحاء فقال **﴿أن اقذفيه في التابوت﴾** أي اجعليه فيه بأن ترميه فيه **﴿[فاقذفيه][8] في اليم﴾** قال ابن عباس يريد النيل واليم البحر والنهر الكبير **﴿فليلقه اليم**

---

(١) ساقط من د، هـ.
(٢) ليست في أ، ب.
(٣) في د: وظهر.
(٤) فيما عدا هـ: من اللغة.
(٥) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤١٨.
(٦) قراءة العامة اشدد به أزري على الدعاء في السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/٣٢٠.
(٧) ساقط من جـ.
(٨) ساقط من جـ.

بالساحل﴾ وهو شط البحر والوادي **﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾** [يعني فرعون][١] **﴿وألقيت عليك محبة مني﴾** قال عطاء عن ابن عباس لا يلقاك أحد إلا أحبك لا مؤمن ولا كافر وقال عكرمة: حسن وملاحة فحيث أبصرت وجهه آسية قالت لفرعون ﴿قرة عين لي ولك﴾[٢] وقال قتادة: ملاحة كانت في عين موسى ما رآه أحد إلا عشقه[٣]، وقال عبيدة: يقول جعلت لك محبة عند غيري أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك امرأته آسية فتبنتك[٤] **﴿ولتصنع على عيني﴾** ولتربى وتغذى بمرأى مني يقال: صنع الرجل جاريته إذا رباها وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه وتفسير قوله على عيني بمرأى مني صحيح ولكن لا يكون لموسى في هذا تخصيص فإن جميع الأشياء بمرأى من الله والصحيح في هذا قول قتادة: لتغذى على محبتي وإرادتي وهذا القول اختيار أبي عبيدة وابن الانباري قال أبو عبيدة لتغذى على محبتي وما أريد والعرب تقول اتخذ شيئاً على عيني أي على محبتي وقال ابن الانباري: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار من قول العرب غذي على عيني أي على المحبة مني والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك وقولها هل أدلك على من يكفله لأن هذا كان من أسباب تربية موسى على ما أراد الله[٥] وهو قوله **﴿إذ تمشي أختك﴾** يعني حين قالت لها أم موسى قصيه فاتبعت موسى على أثر الماء، وقوله **﴿فتقول هل أدلكم﴾** يعني حين أبى موسى المراضع فقالت هل[٦] أدلكم **﴿على من يكفله﴾** أي يرضعه ويضمه إليه فقيل لها ومن هي؟ قالت أمي قالوا أمك لها لبن قالت لبن أخي هارون فأرسلوها فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله **﴿فرجعناك إلى أمك﴾** أي رددناك إليها **﴿كي تقر عينها﴾** بك وبرؤيتك **﴿وقتلت نفساً﴾** يعني القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه **﴿فنجيناك من الغم﴾** من غم مخافة أن تقتل[٧] به خلصناك منه حين هربت إلى مدين **﴿وفتناك فتوناً﴾** قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومجاهد في رواية [ابن][٨] أبي نجيح الفتون وقوعه في محنة [بعد محنة][٩] خلصه الله منها أولها: أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاؤه في البحر ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي ثم خروجه إلى مدين خائفاً يترقب، وكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير ويقول عند كل بلية وهذا من الفتون يا ابن جبير[١٠] وعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن

---

(١) ليست في جـ.

(٢) القصص: ٩.

(٣) ليس المقصود بالعشق هنا معناه الرخيص الذي يكون بين الرجل والمرأة ولكن معناه أحبه حباً شديداً عفيفاً فإن العشق يكون في عفاف الحب ودعارته ويراجع لسان العرب مادة عشق.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩ مع تصرف.

(٥) روح المعاني للألوسي (١٦/ ١٩٠) ط الفكر.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ: يقتل بك.

(٨) ساقط من جـ، وابن أبي نجيح: عبد الله يسار المكي ثقة الميزان ٢/ ٥٢٧.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) حديث الفتون مروي بطوله في تفسير ابن كثير وقال عنه: وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مما أبيح نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار أو غيره والله أعلم. تفسير ابن كثير سورة طه. كذلك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/ ١٢٦، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجانه رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٧/ ٦٦ وحديث الفتون يضم معظم أقوال ابن عباس السابقة في حديث موسى.

كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث وشائب، والفتون مصدر وقوله ﴿**فلبثت سنين في أهل مدين**﴾ تقدير الكلام: وفتناك فتوناً فخرجت إلى [أهل][١] مدين فلبثت سنين، ومثل هذا الحذف[٢] في التنزيل كثير قال الفراء: وهو من كلام العرب، أن تجتزىء بحذف كثير من الكلام إذا كان المعنى معروفاً[٣] ومدين بلد شعيب وكان على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى فأقام بها عشر سنين.

قوله ﴿**ثم جئت على قدر يا موسى**﴾ يعني على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء هذا قول المفسرين والمعنى: على الوعد الذي وعده الله وقدره في علمه أن يوحى إليه بالرسالة وهو أربعون سنة، وهذا معنى قول محمد بن كعب ثم جئت على القدر الذي قدرت أن تجيء.

قوله ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾ الاصطناع: اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه إلى إنسان قال ابن عباس: يريد اصطنعتك لوحيي ورسالتي والمعنى لتتصرف على إرادتي ومحبتي وذلك أن تبلغة الوحي وقيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته. وقال الزجاج: تأويله اخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي**﴾ قال ابن عباس: يعني الآيات التسع[٤] التي بعث بها موسى ﴿**ولا تنيا**﴾ لا تضعفا ولا تفترا يقال ونى يني ونياً إذا ضعف ﴿**في ذكري**﴾ قال الفراء: في ذكري وعن ذكري سواء[٥] والمعنى لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما وذكر النعمة شكرها ﴿**اذهبا إلى فرعون**﴾ تكرير الامر بالذهاب للتأكيد ﴿**إنه طغى**﴾ مر تفسيره ﴿**فقولا له قولاً ليناً**﴾ قال ابن عباس والسدي: كنياه[٦]، واختلفوا في كنيته فقيل: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة[٧] وقال مقاتل: يعني بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا محمد بن الحسن[٨] الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا أبو عمرو[٩] عن[١٠]أسباط عن السدي[١١]قال: القول اللين أن موسى أتاه فقال له تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكاً لا ينزع منك[١٢] حتى تموت ولا ينزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فقال فرعون: إن لي ذا أمر وهو غائب حتى يقدم فلم يلبث أن قدم

(١) ليست في جـ.
(٢) في هـ الحرف.
(٣) معاني القرآن للفراء: ٢/١٧٩.
(٤) آيات موسى التسع: العصا، واليد، والاخذ بالسنين، والبحر، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدم. انظر تفسير ابن كثير سورة الاسراء ٣/٦٦ ط الحلبي وابن جرير ١٥/١١٤.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٩.
(٦) ابن جرير ١٦/١٢٩.
(٧) الدر المنثور عن ابن المنذر وابن حميد عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري الدر ٣/٣٠٨.
(٨) في هـ: الحسين.
(٩) فيما عدا جـ أنا عمرو.
(١٠) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف. تهذيب التهذيب ١/٢١٢.
(١١) من المعروف أن السدي متهم في حديثه فلا يصح مثل حديثه هذا وإنما هو من المنقول عن أهل الكتاب فلا يعتد به.
(١٢) أي الملك.

هامان فقال له فرعون أعلمت أن موسى قد دعاني إلى أمر أعجبني وأخبره [١] بالذي دعاه إليه وأردت أن أقبله منه فقال له هامان قد كنت أرى أن لك رأياً بيناً أنت رب فتريد أن تكون مربوباً وبينا أنت تعبد فتريد أن تعبد فقلبه عن رأيه ذلك فأنبى [٢] قال [الشيخ] [٣] سمعت إسماعيل بن أبي القاسم النصراباذي سمعت والدي سمعت أحمد بن محمد الازرقي [٤] سمعت محمد بن إبراهيم يقول حضرت مجلس يحيى بن معاذ وقرأ رجل هذه الآية فقولا له قولاً ليناً فبكى يحيى ثم قال إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا إله فكيف رفقك بمن يقول أنت إلهي إن قول إلا إله إلا الله يهدم كفر خمسين سنة فما تصنع بذنوب خمسين سنة وقوله ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي ادعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق وقد كشف الزجاج عن هذا المعنى فقال: المعنى في هذا عند سيبويه اذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون وإنما تبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم وقال ابن الانباري مذهب الفراء في هذا: كي يتذكى أو يخشى في تقديركما وما تمضيان عليه[٥].

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أن يبادر ويعجل بعقوبتنا يقال فرط فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أي بدر وسبق وقوله ﴿أو أن يطغى﴾ أي يتجاوز الحد في الاساءة بنا أخبرنا [أبو سعد][٦] عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا علي بن الحسن[٧] بن جعفر الرصافي، أنا ابراهيم بن محمد القرشي، أنا سالم بن جنده، نا أبي عن عبيد الله بن عمر عن عتبة عن أبيه[٨] عن جده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه فليقل اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وأحزابه أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك»[٩] ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع وأرى﴾ قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه والمعنى: لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾ أرسلنا إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي خل عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة ﴿قد جئناك بآية

---

(١) في هـ: وأخبرني.

(٢) هذا من الاسرائيليات التي لا تكذب ولا تصدق ويجوز روايتها ما لم تخالف أمراً من أمور العقيدة.

(٣) ساقط من أ، د.

(٤) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة أبو الوليد الازرقي ت سنة ٢٢٢ هـ التهذيب ١/٧٩.

(٥) ولابن جرير هنا رأي أردت إضافته للمقام قال: معنى لعل ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى فقولا له قولاً ليناً فانظر هل يتذكر ويراجع أو يخشى فيرتدع عن طغيانه، أو أن لعل ههنا بمعنى كي والمعنى: اذهبا إلى فرعون إنه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر ويخشى كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك. تفسير ابن جرير بتصرف ١٦/١٩.

(٦) ساقط من د.

(٧) في هـ: الحسين.

(٨) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله ت سنة ٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٥/٣١١.

(٩) روى الهيثمي نحوه عن الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد كتاب الأدعية باب ما يقول إذا خاف سلطاناً ١٠/١٨٧.

من ربك﴾ يعني العصا وقيل اليد **﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾** قال الزجاج: ليس يراد به التحية وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله يدل على هذا المعنى قوله:

﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي: إنما يعذب من كذب بما جئنا به وأعرض عنه فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب فأتيا فرعون وبلغاه الرسالة.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

﴿قال﴾ فرعون **﴿فمن ربكما يا موسى﴾** من إلهكما الذي أرسلكما؟

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ أي صورته خلق كل جنس من الحيوان على صورة أخرى فلم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الانسان [**﴿ثم هدى﴾**][1] والمعنى: ثم هداه لما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه إلى غير ذلك والاحتجاج على فرعون من هذا الجواب أنه قد ثبت خلق وهداية للخلائق ولا بد لها من خالق وهاد، وذلك الخالق والهادي هو الرب لا رب غيره، فلما دعاه إلى دين الله واتباع الهدى **﴿قال﴾** له فرعون **﴿فما بال القرون الأولى﴾** معنى البال: الحال والشأن، والمعنى ما حالها فإنها [٢] لم تقر بالله وبما تدعوا إليه ولكنها عبدت الأوثان، ويعني بالقرون الأولى: الأمم المتقدمة مثل قوم نوح وعاد وثمود فـ**﴿قال﴾** موسى **﴿علمها عند ربي﴾** قال الزجاج: أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها والتقدير علم أعمالها عند ربي **﴿في كتاب﴾** قال الكلبي: يعني اللوح المحفوظ، والمعنى: أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم أي أنهم يجازون بما عملوا وأنت تجازى بما تعمل وقوله **﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾** تأكيد وتحقيق للجزاء بالأعمال أي لا يخطىء ربي ولا يتسرع ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم، قال السدي: لا يغفل ولا يترك شيئاً وأصل الضلال في اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن وضل الكافر عن المحجة وضل الناس إذا غاب عنه حفظه ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى عن شيء ولا يغيب عنه شيء ثم زاد في الاخبار عن الله وبيان وصفه فقال:

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ وقرىء مهداً[٣] وهو مصدر كالفراش والمهاد[٤]: مثل الفراش والبساط وهما اسم ما يفرش ويبسط **﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾** والسلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الارض لأجلكم طرقاً تسلكونها كما قال ابن عباس: سهل لكم فيها طرقاً **﴿وأنزل من**

---

(١) ساقط من جميع النسخ عدا (د).

(٢) في هـ: فإنهما.

(٣) قراءة (مهداً) بغير ألف قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي. السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/ ٣٢٠.

(٤) قراءة (مهاداً) بالألف قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف السبعة ص ٤١٨. والنشر ٢/ ٣٢٠.

السماء ماء﴾ يعني المطر وتم الاخبار عن موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه متصلاً بالكلام الأول بقوله **﴿فأخرجنا به﴾** بذلك الماء **﴿أزواجاً من نبات شتّى﴾** قال ابن عباس: أصنافاً من النبات مختلفة أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، وكل لون منها زوج، ولا واحد لشتى من لفظه **﴿كلوا﴾** أي مما أخرجنا بالمطر من النبات والثمار **﴿وارعوا أنعامكم﴾** يقال رعت الماشية الكلأ رعيا ورعاها صاحبها رعاية إذا أسرحها في المراعي والمعنى: أسيموا مواشيكم فيما انبتناه بالمطر، ومعنى هذا الامر التذكير بالنعمة **﴿إن في ذلك﴾** مما ذكر **﴿لآيات لأولي النهى﴾** لذوي العقول الذين يتناهون بعقولهم عن معاصي الله، وإنما خص أولي النهي لأنهم أهل التفكر والاعتبار، قوله **﴿منها﴾** أي من الارض وجرى ذكرها في قوله **﴿جعل لكم الارض﴾** **﴿خلقناكم﴾** يعني آدم خلق من الارض والبشر كلهم منه **﴿وفيها نعيدكم﴾** بعد الموت **﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾** عند البعث كما أخرجكم أولاً عند خلق آدم من الأرض.

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

﴿ولقد أريناه﴾ يعني فرعون **﴿آياتنا كلها﴾** يعني الآيات التسع **﴿فكذب﴾** نسب جميعها إلى الكذب **﴿وأبى﴾** أن يقبل التوحيد ونسب إلى موسى السحر وهو قوله **﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾** يعني مصر **﴿بسحرك يا موسى﴾** تريد ان تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها **﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾** فلنقابلن ما جئتنا به من السحر بسحر مثله **﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾** مكاناً لا يقع منا خلاف في حضوره تعد لحضورنا ذلك المكان **﴿لا نخلفه نحن ولا أنت﴾** ثم بين ذلك فقال **﴿مكاناً سوى﴾** وقرىء سوى[1] بضم السين والمعنى: مكانا تستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر، وهذا معنى قول المفسرين، قال قتادة: نصفاً، وقال مقاتل: عدلاً بيننا وبينك، وقال مجاهد: منصفاً، فواعده موسى يوماً معلوماً ويوماً ووقتاً معلوماً وهو قوله **﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾** قال مجاهد وقتادة والسدي: كان ذلك يوم عيد لهم يتزينون فيه، وقال[2] سعيد بن جبير: كان ذلك يوم عاشوراء[3] **﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾** يعني ضحى ذلك اليوم، ويريد بالناس أهل مصر يقول يحشرون إلى ضحى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك، قال الفراء: يقول: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد[4]، قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم.

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ

---

(١) قراءة (سوى) بضم السين قرأ بها: ابن عامر وعاصم وحمزة انظر السبعة ص ٤١٨.

(٢) تفسير ابن جرير ١٦/١٣٥.

(٣) انظر تفسير ابن كثير حيث قال: ولا منافاة، وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما في الصحيح ٣/١٥٦ ط الحلبي.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٢.

أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

﴿فتولى فرعون﴾ قال مقاتل أعرض عن الحق وعما يلزمه من الطاعة **﴿فجمع كيده﴾** مكره وحيلته وذلك جمعه السحرة **﴿ثم أتى﴾** حضر الموعد **﴿قال لهم موسى﴾** أي للسحرة الذين جمعهم فرعون **﴿ويلكم﴾** ألزمكم الله الويل، **﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾** قال ابن عباس: لا تشركوا بالله أحداً **﴿فيسحتكم بعذاب﴾** ويقرأ بضم الياء يقال[١]: سحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه، قال ابن عباس ومجاهد: فيهلككم، وقال قتادة: فيستأصلكم **﴿وقد خاب من افترى﴾** قال ابن عباس: خسر من ادعى مع الله إلّهاً آخر، وقال قتادة: خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً قوله **﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾** تناظروا في أمر موسى وتشاوروا يعني السحرة سرا من فرعون فقالوا:[٢] إن غلبنا موسى اتبعناه، وهذا القول اختيار الفراء والزجاج، وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون **﴿إن هذان لساحران﴾** يعنون موسى وهارون، قال ابن عباس في رواية عطاء: هي لغة بلحرث[٣] بن كعب يعني قوله إن هذان. وإجماع النحويين ان هذا لغة حارثية وذلك أن بلحرث بن كعب وخثعم[٤] وزبيراً وقبائل[٥] من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون أتاني الزيدان ومررت بالزيدان، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً فعاملوا ياء التثنية أيضاً هذه المعاملة كما قال قائلهم:

أي قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها[٦]

وهذه ليست ياء التثنية ولكن لما كانت اللام في عليها مفتوحة قلبوها ألفاً وحكى هذه اللغة جميع النحويين وقرأ أبو عمرو إن هذين بالياء[٧] بخلاف المصحف واحتجاجه في ذلك بما روي أنه غلط من الكاتب وأن في الكتاب غلط ستقيمه العرب بألسنتها، وقال الزجاج لا أجيز هذه القراءة لأنها خلاف المصحف ولا أجيز مخالفته لأن اتباعه سنة، وقرأ ابن كثير إن هذان بتخفيف[٨] إنْ على معنى ما هذان إلا ساحران وإنْ إذا خففت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها

---

(١) الضم في فيسحتكم قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم من أسحت أما باقي القراء ورواية عن عاصم فقد قرأ (فيسحتكم) بفتح الياء من سحت السبعة ص ٤١٩، والنشر ٢/٣٢٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٣، والكلبي هذاهو من حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالكذب ووضع الحديث، وعلى هذا فكل قول للكلبي بعد ذلك لا يعتد به ويراجع كتاب المجروحين لابـن أبي حاتم ٢/٢٥٣، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(٣) بلحارث بن كعب: فخذ من القحطانية وهم بنو الحارث بن كعب من مذحج. انظر نهاية الأرب للنويري ٢/٢٠٣ معجم قبائل العرب ١/١٠٢.

(٤) قبيلة خثعم بنو خثعم بن أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث ينتهي نسبه إلى سبأ جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٧ تحقيق عبد السلام هارون.

(٥) بنو زبير: بنو زبير بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي تحقيق ابراهيم الابياري ص ٢٦٩ الجمهرة ص ١٧٢.

(٦) البيت في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥٠ وفي الهامش أنشده أبو الغول لبعض أهل اليمن كما في نوادر أبي زيد ص ٥٨ وعن أبي حاتم أن أبا عبيدة اتهم المفضل بصنعه. الخصائص لابن جني ٢/٢٦٩ وفي القاموس المحيط عجز البيت بهذا اللفظ طاروا علاهن فشك علاها القاموس ماده طار.

(٧) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ والنشر ٢/٣٢١.

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩. وهذا الموضع فيه خلاف كبير بين العلماء ولكن أكتفي هنا برأي ابن جريـر الطبري في تفسيره في=

واستحسن الزجاج هذه القراءة قال: وكان الخليل يقرأ بهذه القراءة والاجماع أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل،

= تخريج هذه القراءة حيث يقول: وقد اختلفت القراء في قراءة قوله إن هذان لساحران، فقرأ عامة قراء الامصار إنّ هذان بتشديد إنّ وبألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول إن خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام، ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما وقال بعض نحويي الكوفة ذلك على وجهين، أحدهما: على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما بالألف.

قال وحكي عنه أيضاً هذا خط يد أخي أعرفه، قال: وذلك وإن كان قليلاً أقيس لأن العرب قالوا مسلمون، فجعلوا الواو تابعة للضمة لأنها لا تعرف ثم قالوا رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه فقالوا رجلان في كل حال، قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان، إلا بني كنانه فإنهم منعوا على القياس يقولون: رأيت كلا الرجلين ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة.

قال: الوجه الآخر أن تقول الألف في هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نونا ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه، قال وكان القياس أن يقولوا الذون، وقال آخر منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج إلى الانبساط. . . .

ثم يقول ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندنا (انّ) بتشديد نونها وهذان بالألف لاجماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف ووجهه إذا قرىء كذلك مشابهته الذين، إذ زادوا على الذي النون وأبقوا جميع أحوال الاعراب على حال واحدة، وهي لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن. اهـ تفسير ابن جرير ١٦/ ١٣٦.

أما احتجاج أبي عمرو على قراءته: أنه هذين بما روي أنه غلط الكاتب فهذا مما لا يستساغ قبوله وقد وفى الدكتور عبد الحي الفرماوي هذه المسألة حقها في كتابه رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين فأكتفي بنقل رأيه إذ يقول: الشبهة الثانية: فيما نسب إلى «عائشة رضي الله عنها» ـ: يقولون روى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن: عن قوله تعالى (إن هذان لساحران) [طه: ٦٣]، وعن قوله تعالى (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) [النساء: ١٦٢] وعن قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) [البقرة: ٦٢].

فقالت: يا ابن أختي: هذا من عمل الكتاب الكتبة، أخطأوا في الكتاب أي في الكتابة[١] ويقول السيوطي: إسناده صحيح على شرط الشيخين[٢].

وقد ذكر بعض العلماء هذه الروايات في كتبهم بحسن قصد من غير تحر ولا دقة فاتخذها أعداء الاسلام من المارقين والمستشرقين ذريعة للطعن في الاسلام وفي القرآن، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم والجواب عن هذه الشبهة.

أولاً: رد الخبر.

أ ـ راوي هذا الخبر: هو أبو معاوية الضرير، الذي شهد علماء الحديث[٣] أن في أقواله أحاديث مضطربة، وأنه ربما دلس، وأنه كان مرجئاً خبيثاً.

ب ـ وأيضاً: فأن ينسب إلى أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها ـ مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها، ومعرفتها بلغة قومها ـ لحنت الصحابة، وخطأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ، ولا يجوز.

جـ ـ وعلى كل: فهذه الروايات، مهما يكن سندها صحيحاً ـ كما يقول الشيخ الزرقاني ـ فانها مخالفة للمتواتر القاطع، من دقة عمل الصحابة، وتصويب كتابتهم[٤].

د ـ ولم يعد أحد من المسلمين يركن إليها، أو يعبأ بها، وليس لها وزن، أو اعتبار أمام تواتر الصحف، وهي أضعف ـ كما يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي ـ من أن تخصص في وجه ما يبطلها من الروايات التي تلقاها المسلمون بإجماع وقبول.

وليس لذي عدل ونصفة، أن يعارض بهذه الروايات الباطلة، والآثار الساقطة، ما ثبت بالتواتر جيلاً إثر جيل إلى يومنا هذا، لأن معارض التواتر القاطع، ساقط مردود. =

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٦، المقنع ص ١٢٦.
(٢) الاتقان ١/ ١٨٢.
(٣) العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١/ ٢٤١، تهذيب التهذيب ٩/ ١٣٨.
(٤) مناهل العرفان ١/ ١٨٦.

وقوله ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾ تقدم تفسيره ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال الفراء[١]: العرب تقول هؤلاء طرقة قومهم وطرائق قومهم لا طراقهم، والمثلى: تأنيث الأمثل وهو الأفضل يقال: فلان أمثل قومه أي أفضلهم، وهم الأماثل، روِي الشعبي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية قال: يصرفا وجوه الناس إليهما والمعنى أن يغلبا بسحرهما فيميل إليهما السادة والاشراف منكم، وقال قتادة طريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدة وأموال فقالوا: إنما يريدان أن يذهبا بهما لأنفسهما وهذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد[٢] ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة، واختاره أبو عبيدة فقال: بطريقتكم المثلى بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه[٣] ثـم تواصوا فيما بينهم فقالوا: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ قال الفراء: الاجمـاع الإحكام والعـزيمة على الشيء تقـول: أجمعت الخروج وعلى الخروج مثل أزمعته[٤]، وقرأ أبو أبو عمرو فاجمعوا[٥] موصولاً من الجمع وحجته قوله فجمع كيده والمعنى لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به، استظهاراً للمبالغة في سحرهم ﴿ثم ائتوا صفًّا﴾ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم وأشد لهيبتكم، وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين، وقال أبو عبيدة الصف موضع المجمع ويسمى المصلى الصف[٦]، وقال الزجاج: وعلى هذا معناه ثم ائتوا المواضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ قال ابن عباس: قد سعد اليوم من غلب، ومعنى استعلى: علا بالغلبة.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ أي اختر أحد هذين، والمراد بالالقاء إلقاء العصي على الأرض وكـانت السحرة معهم عصـا وكان مـوسى قد ألقى عصـاه يوم دخـل على فرعـون فلما أراد السحـرة معارضته قالوا له هذا القول فـ ﴿قال﴾ موسى ﴿بل ألقوا﴾ أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزتـه أظهر إذا ألقـوا هم ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وقوله ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ قال عطاء كان عدد السحرة سبعين ألف رجل مع

= هـ ـ يجاب عن تصحيح السيوطي. بأن هذه الرواية على فرض صحتها، فهي رواية آحادية، لا يثبت بها قرآن وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر، فهي باطله مردودة، ولا الثقات إلى تصحيح هذه الرواية وأمثالها فإن من قواعد المحدثين أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروى، كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة، أو الاجماع الذي في أو صريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل، أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور، وهذه الروايات: مخالفة للمتواتر القطعي ـ كما سبق الذي تلقته الامة بالقبول فهي باطلة لا محالة اهـ[١].

(١) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٥. (٢) في د: أبو زيد. (٣) مجاز القرآن ٢/٢٣.

(٤) معاني القرآن ٢/١٨٥.

(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ وفيها قـرأ أبو عمر فاجمعوا مفتوحة الميم من جمعتـه ورواية أخرى عنه فأجمعوا بألف مقطوعة.

(٦) مجاز القرآن ٢/٢٣.

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ص ١٣١.

كل رجل عصا وحبل غليظ مثل حبال السفر[١] وقال عكرمة: كانوا تسعمائة، وقال محمد بن إسحاق[٢] كانوا خمسة عشر ألف ﴿**يخيل إليه**﴾ إلى موسى ﴿**من سحرهم أنها تسعى**﴾ قال الكلبي: خيل إلى موسى أنها حيات كلها وأنها تسعى على بطنها، يقال: خيل إليه إذا شبهه له أدخل عليه التهمة والشبهة ﴿**فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ أي أحس ووجد خوفاً لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا فخاف أن يلتبس على الناس أمره ولا يؤمنوا به فقال الله ﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ عليهم بالظفر والغلبة ﴿**وألق ما في يمينك**﴾ يعني العصى ﴿**تلقف ما صنعوا**﴾ قال الزجاج: القراءة بالجزم جواب الامر[٣] ويجوز الرفع على معنى الحال كأنه قال ألقها متلقفة ﴿**إنما صنعوا كيد ساحر**﴾[٤] أي أن الذي صنعوه كيد ساحر[٤] وقرىء كيد سحر والمعنى كيداً من سحر كما قالوا قميص حرير وجوبة خز ﴿**ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾ قال ابن عباس: ولا يسعد الساحر حيث ما كان، وروى جندب بن[٥] عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الساحر فاقتلوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يأمن حيث وجد»[٦]

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف[٧] إلى قوله ﴿**إنه لكبيركم الذي علمكم السحر**﴾ قال ابن عباس: يريد معلمكم، قال الكسائي الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيري، وقال محمد بن إسحاق إنه لعظيم السحار والكبير في اللغة الرئيس، ولهذا يقال للمعلم الكبير، وقوله: ﴿**لأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ في بمعنى على كقوله ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه﴾[٨] أي عليه ﴿**ولتعلمن**﴾ أيها السحرة ﴿**أينا أشد عذاباً**﴾ لكم ﴿**وأبقى**﴾ وأدوم أنا على إيمانكم أو رب موسى على ترككم الإيمان به ﴿**قالوا لن نؤثرك**﴾ لن نفضلك ولن نختارك ﴿**على ما جاءنا من البينات**﴾ قال مقاتل: يعني اليد والعصا، وقال عكرمة والقاسم بن أبي بزة هو أنهم ما رفعوا رؤوسهم حيث خروا

---

(١) رواه ابن جرير عن القاسم بن أبي بزة. ابن جرير ١٦/١٣٩.

(٢) محمد بن إسحاق بن خيار أبو عبد الله المطلبي ت ١٥١ هجرية، تهذيب التهذيب ٣٨/٩ ومن المعروف عن ابن إسحاق أنه ضعيف الحديث فلا يعتد من قوله هذا.

(٣) قراءة الجزم في تلقف قرأ بها جميع القراء عدا ابن عامر فقد قرأ و حده تلقف برفع الفاء وتشديد القاف السبعة ص ٤٢٠ والنشر ٣٢١/٢.

(٤) قراءة كيد سحر بغير ألف قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢١ والنشر ٣٢١/٢.

(٥) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله الصحابي توفي في فتنة ابن الزبير انظر أسد الغابة ٣٦١/١، تهذيب التهذيب ١١٧/٢.

(٦) أخرج الترمذي نحوه في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ٦٠/٤ حديث ١٤٨٥، وأخرجه السيوطي في الدر المنسوب عن ابن أبي حاتم وغيره في تفسير سورة طه ٣٠٣/٣.

(٧) في أ الأحزاب.

(٨) الطور: ٣٨.

سجداً حتى رأو الجنة والنار، ورأو منازلهم في الجنة التي إليها يصيرون[١]، وقوله ﴿والذي فطرنا﴾ ذكر الفراء والزجاج فيه وجهين أحدهما لن نؤثرك على الله الذي خلقنا والثاني: أنه قسم[٢] ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا فأما الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ قال ابن عباس يريد الشرك الذي كنا فيه ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال ابن عباس: إن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر[٣] وذكر في التفسير أنه أكره السحرة على معارضة موسى بالسحر ﴿والله خير وأبقى﴾ قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عقاباً، وقال محمد بن كعب: خير منك [ثواباً][٤] إن أطيع وأبقى عذاباً منك إن عُصي، وهذا جواب قوله ولتعلمن أينا أشد عذاباً [وأبقى][٥] وها هنا انتهى الاخبار عن السحرة.

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

قول الله تعالى ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك: المجرم الكافر، وقال في رواية عطاء: يريد الذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه قال المبرد: لا يموت ميتة مريحة ولا يحيا حياة تنفعه[٦] فهو يألم كما يألم الحي ويبلغ به حالة الموت في المكروه إلا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم والعرب تقول فلان لا حي ولا ميت إذا كان غير منتفع بحياته وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم[٧]

﴿ومن يأته مؤمناً﴾ مصدقاً بما جاء من عند الله ﴿قد عمل الصالحات﴾ قال ابن عباس: قد أدى الفرائض ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يعني درجات الجنة وبعضها أعلى من بعض والعلى[٨] جمع العليا وهو تأنيث الأعلى[٩] أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، أنا محمد بن أيوب، نا مسلم بن إبراهيم، نا مالك بن مغول[١٠]، نا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كأضوأ كوكب دري وإن أبا بكر وعمر منهم»[١١] قوله:

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن القاسم الدر المنثور ٩٤/٣٠٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٧.
(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٦/١٤٢.
(٤) ليست في هـ.
(٥) ليست في د.
(٦) فيما عدا (د) ممنعه.
(٧) البيت في لسان العرب فصل الطاء حرف الميم.
(٨) في هـ: وأعلى.
(٩) في هـ: العليا.
(١٠) مالك بن مغول بن عاصم البجلي ت سنة ١٥٨ هـ طبقات الحفاظ (٨٥) التهذيب ١٠/٢٣.
(١١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٤/١٤٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الجنة باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكواكب في السماء وليس فيه وإن أبا بكر وعمر منهم وروى أبو داود هذه الزيادة في سننه، كتاب الحروف والقراءات الحديث (٣٩٨٧) ٤/٣٩٠ ط الحلبي.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي**﴾ أي سربهم ليلاً من أرض مصر ﴿**فاضرب لهم طريقاً في البحر**﴾ اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا ﴿**يبسا**﴾ لا نداوة فيه ولا بلل يابساً وذلك ان الله تعالى أيبس[1] لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء وطين ﴿**لا تخاف دركاً**﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من خلفك ﴿**ولا تخشى**﴾ من البحر غرقاً وقرأ حمزة لا تخف[2] جزماً على النهي له من الخوف معناه: لا تخف أن يدركك فرعون واستأنف قوله ولا تخشى على معنى وأنت لا تخشى كقوله ﴿يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [3] ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده**﴾ أتبع هـا هنا مطاوع [متعد][4] من تبع والباء في بجنوده زيادة، والمعنى: أمرهم أن يتبعوا موسى وقومه، وكان هو أيضاً في جنوده ﴿**فغشيهم**﴾ علاهم وسترهم ﴿**من اليم ما غشيهم**﴾ قال ابن الأنباري: يعني البعض الذي غشيهم لأنه لم يغشهم كل مائه بل الذي غشيهم بعضه فقال الله تعالى: الذي غشيهم ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء قوله ﴿**وأضل فرعون قومه**﴾ يعنى حين دعاهم إلى عبادته ﴿**وما هدى**﴾ وما أرشدهم حين أوردهم مواقع الهلكة وهذا تكذيب له في قوله ﴿**وما أهديكم إلا سبيل الرشاد**﴾[5] ثم ذكر الله منته على بني إسرائيل فقال:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم**﴾ يعني فرعون غرقه بمرأى منهم ﴿**وواعدناكم جانب الطور الأيمن**﴾ [وهو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن][6] فيؤتيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ﴿**ونزلنا عليكم المن والسلوى**﴾ يعني في التيه وهذا مخاطبته لمن كان في عصر النبي ﷺ من اليهود قوله ﴿**كلوا**﴾ أي وقلنا لهم كلوا ﴿**من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه**﴾ أي لا تنظروا فيما أنعمت عليكم فتتظالموا وقال الكلبي لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين ﴿**فيحل عليكم غضبي**﴾ [تجب لكم عقوبتي][7] وقرىء فيحل ﴿**ومن يحلل**﴾ بالكسر[8] والضم [9] قال الفراء: الكسر أحب إلي من الضم لأنه من الحلول بمعنى الوقوع ويحل الكسر يجب وجاءني التفسير بالوجوب لا بالوقوع هذا كلامه[10] أو يحل بالكسر من قولهم حل الشيء يحل حلا وحلالاً إذا انحلت عنه عقدة التحريم وزال عنه[11] الحظر وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعاً محظوراً عنهم فإذا طغوا ارتفع ذلك الحظر فحل لهم العذاب وقوله ﴿**فقد هوى**﴾ أي هلك وسقط في النار يقال هوى يهوي هوياً إذا وقع في مهواه.

---

(١) في هـ: يبس.

(٢) ابن مجاهد السبعة ص ٤٢١ والنشر ٢/٣٢١.

(٣) آل عمران: ١١.

(٤) عن أ.

(٥) الزخرف: ٢٩.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالضم قرأ بها الكسائي وحده السبعة ص ٤٢٢.

(٩) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالكسر قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف النشر ٢/٣٢١ السبعة ص ٤٢٢.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٨.

(١١) في جـ منه.

قوله ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ قال ابن عباس: تاب من الشرك ﴿وآمن﴾ وحد الله وصدقه ﴿وعمل صالحاً﴾ أدى فرائض الله ﴿ثم اهتدى﴾ قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله له، قال في رواية أبي صالح علم أن لهذا ثواباً، وهو قول الثوري والشعبي ومقاتل، وقال قتاده: ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وهذا اختيار الزجاج لأنه يقول ثم أقام إيمانه أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد المهرجاني، أنا أحمد بن علي، نا أبو سعيد الاشج، نا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب[1] عن سعيد بن جبيرثم اهتدى قال: لزم السنة والجماعة.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾

قوله ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال المفسرون: كانت المواعدة أن يوافي موسى وجماعة من وجوه قومه فسار موسى بهم ثم عجل من فيهم شوقاً إلى ربه وخلف السبعين ليلحقوا به فقال الله ما الذي حملك على العجلة حتى خلفت قومك وخرجت من بينهم[2] ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾ قال الكلبي ليزداد رضا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنا قد فتنا قومك﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة وقال ابن الأنباري صيرناهم مفتونين أشقياء بعبادة العجل لما سبق لهم في حكمتنا ﴿من بعدك﴾ من بعد انطلاقك من بينهم ﴿وأضلهم السامري﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد أن الضلالة كانت على يد السامري يعني أنه كان سبب إضلالهم وقال الكلبي: صرفهم السامري إلى عبادة العجل قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان السامري من أهل باجربى[3] وقع بأرض مصر فدخل في بني إسرائيل وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقوله ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾[4] [حزينا بما فعلوا][5] تقدم [تفسيره][6] في سورة الأعراف ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً﴾ صدقا لإثبات[7] الكتاب ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم أن تصنعوا صنيعاً يكون سبب غضب ربكم ﴿فأخلفتم موعدي﴾ ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي بيان هذا قوله ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾[8] فقال الذين لم يعبدوا العجل ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً أي لم نطق رد عبدة العجل من عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم وقلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً وافتتن الباقون بالعجل وكانوا

---

(١) العوام بن حوشب بن يزيد أبو عيسى الواسطي ت سنة ١٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٦٣/٨.
(٢) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق ١٤٦/١٦.
(٣) باجربى قرية من أعمال بـلخ قرب الرقة من أرض الجزيرة. معجم البلدان ٣١٣/١.
(٤) هذا الخبر مروي في حديث الفتون لابن عباس وقد تقدم تخريجه.
(٥) ساقط من هـ.
(٦) ساقط من أ، د.
(٧) في هـ: لاتياء.
(٨) الاعراف: ١٥٠.

جميعاً ستمائة ألف[١] وأكثر القراءة بالكسر[٢] في بملكنا والمعنى بملكنا أمرنا ومن قرأ بملكنا بفتح الميم[٣] فهو المصدر الحقيقي يقال ملكت الشيء أملكه ملكاً والملك[٤] ما ملك ومن قرأ بضم الميم[٥] فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل فقالوا **﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾** أي أثقالاً وأحمالاً، قال قتادة: كانت حليا تعوروها [٦] من آل فرعون فساروا وهي معهم وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي: ان الأوزار هي الأحمال وزينة القوم حليّ آل فرعون استعاره بنو إسرائيل قبل خروجهم من مصر فبقي في أيديهم وكان موسى أمرهم بذلك وقرىء حملنا بالتشديد وضم [٧] الحاء والمعنى: جعلونا نحملها قال أبو عبيدة: الوجه القراءة الأولى [٨] لأن التفسير قد جاء أنهم حملوا معهم ما كان في أيديهم من حليّ آل فرعون وقوله **﴿فقذفناها﴾** قال السدي: قال هارون لهم الحليّ غنيمة ولا تحل لكم الغنيمة فاحفروا لها حفرة فاطرحوها فيها حتى يرجع موسى فيقضي فيها [٩] فذلك قوله **﴿فقذفناها﴾** أي طرحناها في الحفيرة، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أوقد لهم هارون ناراً وقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون معهم من الحليّ فيقذفونه[١٠] فيها حتى انسكبت[١١] الحليّ فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة: وقد كان في طرف عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاوز ببني إسرائيل فقذفها فيه وهو قوله **﴿فكذلك ألقى السامري﴾** يعني ما كان معه من التراب **﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾** قال عطاء عن ابن عباس: يريد لحماً ودماً له خوار كما يخور الحي من العجول وقال قتادة: جعل يخور خوار البقرة وقال الحسن: صور بقرة صاغها من الحليّ التي كان معهم ثم ألقي على أثر فرس جبريل فانقلب حيواناً يخور [١٣] **﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾** يعني قال السامري ذلك ومن تابعه ممن افتتن بالعجل، قال سعيد بن جبير: عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوه شيئاً قط وقوله **﴿فنسي﴾** قال السدي: يقول ترك موسى إلهه ها هنا وذهب يطلبه وقال قتادة: يقول إن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فعيرهم الله تعالى بصنيعهم وقال موبخاً **﴿أفلا يرون أن لا**

---

(١) روى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الذين عبدو العجل سبعين ألفاً. ابن جرير ٢/٧٣ تحقيق شاكر.

(٢) قراءة (بملكنا) بكسر الميم قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٣٢٢.

(٣) قراءة (بملكنا) بفتح الميم قرأ بها نافع وعاصم. السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٣٢٢.

(٤) هـ: وأملم.

(٥) قراءة (بملكنا) بضم الميم قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢٣ النشر ٢/٣٢٢.

(٦) أي أخذوها عارية ثم يردونها وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن مجاهد، وابن عباس وغيرهم تفسير ابن جرير ١٦/١٤٦.

(٧) قراءة (حملنا) بتشديد الميم وضم الحاء قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو جعفر ورواية عن عاصم وأبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٣٢٢.

(٨) القراءة الاولى (ملكنا) بفتح الحاء وتخفيف الميم وقد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم ورواية عن أبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٣٢٢.

(٩) ابن جرير عن السدي ١٦/١٤٨ والسدي ضعيف الحديث حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالضعف فلا تقبل روايته انظر التاريخ الكبير للبخاري ١/٣٢، والمجروحين لابن أبي حاتم ٢/٢٥٣، والميزان ٤/٣٢، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(١٠) في هـ: فيقذفونها.

(١١) في هـ: انسكبت.

(١٢) في أ: حبر.

(١٣) كل هذه الاخبار رواها الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي يعلى وتقدم في حديث الفتون في هذه السورة، ومجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ومثل هذا من ادعاءات أهل الكتاب التي لا تتفق مع عقيدة المسلمين من أنه لا يحيي ولا يميت إلا الله (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير) الآيات (٤٩، ٥٠) الشورى.

يرجع إليهم قولاً﴾ أنه لا يرجع إليهم قولاً أي لا يرد لهم جواباً كما قال ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾[١] **﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾** توبيخ لهم إذ عبدوا من لا يملك ضر من ترك عبادته ولا نفع عنده.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل أن يأتي موسى لما رأى ما وقعوا فيه **﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾** ابتليتم به **﴿وإن ربكم الرحمن﴾** لا العجل **﴿فاتبعوني﴾** في عبادته **﴿وأطيعوا أمري﴾** لا أمر السامري فعصوه **﴿وقالوا: لن نبرح [عليه عاكفين][٢]﴾** لن نزال مقيمين على عبادة العجل **﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾** فلما رجع موسى.

قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

﴿قال: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ بعبادة العجل **﴿أن لا تتّبعـنِ﴾** لا زائدة أي ما منعك من اتباعي واللحوق بي[٣] **﴿أفعصيت أمري﴾** إذ أقمت فيما بينهم وقد كفروا، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه فـ **﴿قال يا ابن أم﴾** قرىء بالفتح[٤] والكسر[٥] ومعنى الكلام فيه في سورة الاعراف **﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾** أي بشعر رأسي **﴿إني خشيت﴾** [إن][٦] فارقتهم واتبعتك **﴿أن تقول فرقت بين بني اسرائيل﴾** فرقت جماعتهم، وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً حزب يسيرون معه وحزب يتخلفون عنه من الايمان والانكار على عبدة العجل وحزب مع السامري فلا يؤمن أن يصيروا في الخلاف إلى التسافك فاعتذر بهذا وقوله **﴿ولم ترقب قولي﴾** أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي فلما اعتذر هارون بهذا العذر.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ

---

(١) الاعراف: ١٤٨.

(٢) ساقط من ب.

(٣) وقيل ان لا ليست بزائدة من وجهين أحدهما: أن التقدير ما دعاك إلى الا تتبعني لان الصارف عن الشيء داع إلى تركه فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل.
الثاني: أن التقدير ما منعك من الا تتبعني، وهذا أقرب مما قبله لأن فيه إيفاء المنع على أصله، وعدم زيادتها أولى، لأن حذف حرفي الجر مع أنه كثير كثرة لا تصل إلى المجاز والزيادة في درجته قالوا: وفائدة زيادتها الاثبات، فإن وضع لا نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للاثبات ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٧٩.

(٤) قراءة (يبنؤمَ) بفتح الميم قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢.

(٥) قراءة (يبنؤمِّ) بكسر الميم قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢.

(٦) ليست في هـ.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿قال﴾ موسى للسامري: **﴿فما خطبك يا سامري﴾** أي ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت **﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾** أي علمت ما لم تعلموا وعرفت ما لم تعرفوا فقال له موسى وما الذي أبصرت دون بني إسرائيل قال **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾** يريد أثر فرس جبريل، وذلك أنه قبض قبضة من تراب حافر فرسه وألقي في نفسي[(١)] أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ودم فحين رأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً حدثتني نفسي بذلك[(٢)] **﴿فنبذتها﴾** فألقيتها في صورة العجل **﴿وكذلك﴾** وكما حدثتك يا موسى **﴿سولت لي نفسي﴾** زينت لي نفسي من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل **﴿قال﴾** له موسى **﴿فاذهب﴾** أي من بيننا **﴿فإن لك في الحياة﴾** ما دمت حياً **﴿أن تقول لا مساس﴾** قال ابن عباس: لك ولولدك والمساس فقال: من المماسة[(٣)] ومعنى لا مساس: لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد عاقبهُ الله بذلك فكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى إن بقاياهم [إلى][(٤)] اليوم يقولون ذلك[(٥)]، وذكر أنه إن مس واحد من غيرهم واحد منهم حم كلاهما في الوقت وقوله **﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾** أي وعدا لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الموعد ولن يتأخر عنك، قال الزجاج: أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد ومن قرأ بكسر[(٦)] اللام كان المعنى: لا تخلف ذلك الموعد أي ستأتيه ولا مذهب لك عنه **﴿وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾** قال ابن عباس: يريد الذي تعبده وظللت عليه مقيماً، يعني العجل وظللت هو الأصل ولكن اللام الاولى حذفت لثقل التضعيف والكسر والعرب تفعل ذلك كثيراً تقول مست لي ومسست، وقوله **﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾** قال ابن عباس: حرقه بالنار ثم ذراه في اليم وهو النسف ومعناه نقص الشيء لتذهب به الريح وهو التذرية، وذكر في التفسير أن موسى أخذ العجل فذبحه فسالت منه دم[(٧)] لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم أحرقه بالنار ثم ذراه في البحر ثم أخبرهم موسى عن إلههم فقال **﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾** أي هو الذي يستحق العبادة لا العجل **﴿وسع كل شيء علماً﴾** علمه علماً تاماً ولم يقصر عنه علمه.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

﴿كذلك﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وقومه **﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾** من أخبار من

---

(١) في هـ: نفسه.

(٢) في حديث الفتون عن ابن عباس ما يكذب هذا القول فقد قال: اجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار ثم قال ابن عباس ولا ـ والله ـ ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل دبره فتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٧/٦٤.

(٣) في أ، ب فقال من المسيسة.

(٤) ليست في ب، جـ.

(٥) ابن جرير الطبري ١٦/١٥٢ عن قتادة.

(٦) قراءة كسر اللام في (لن تخلفه) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة لابن مجاهد (ص ٤٢٤) والنشر ٢٠/٣٢٢.

(٧) هذا القول رواه ابن كثير في تفسيره عن قتادة بدون إسناد تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٤ وقد قدمنا قول ابن عباس في العجل وأنه لا روح فيه فلا=

مضى وتقدم ﴿وقد ءاتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني القرآن ثم أوعد على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حملاً ثقيلاً من الاثم ﴿خالدين فيه﴾ أي في عذاب ذلك الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ قال الكلبي: بئس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن وقوله:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وقرأ أبو عمرو ننفخ[١] على معنى إضافة الامر بالنفخ إلى الله ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله ﴿ونحشر المجرمين﴾ والوجه قراءة العامة لقوله ﴿ونفخ في الصور﴾[٢] وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور﴾[٣] في سورتين قال ابن عباس: يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الهاً [وقوله][٤] ﴿زرقاً﴾ قال: يريد زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العين كعين السنور، والمعنى في هذا تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿يتخافتون﴾ يتسارون[٥] فيما بينهم فيقولون ﴿إن لبثتم﴾ أي ما لبثتم أي من النفخة الأولى إلى الثانية ﴿إلا عشراً﴾ [إلاّ عشر][٦] ليالي وذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو أربعون سنة استقصروا مدة لبثهم لهول ما عينوا قال الله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي بما يتسارون[٧] بينهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعقلهم وأعدلهم قولاً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ نسوا مقدار لبثهم[٨] لشدة ما دهمهم قوله:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ويسئلونك عن الجبال﴾ قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف[٩] رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية، وقوله ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ قال المفسرون يصيرها الله رمالاً تسيل ثم يصيرها كالصوف المنفوش يطيرها الرياح ﴿فيذرها﴾ أي يدع أماكنها من الارض إذا نسفها ﴿قاعاً﴾ قال الفراء: القاع: ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب نصف النهار وجمعه قيعة ومنه قوله ﴿كسراب بقيعة﴾[١٠] ﴿صفصفاً﴾ والصفصف الأملس الذي لا نبات فيه[١١] ونحو هذا قال المفسرون ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: ليس

= يصدق هذا القول بحال ومن أين آتاه هذا الدم وقد صنع من مصوغات قوم فرعون التي جلبها بنو إسرائيل معهم.

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة (٤٢٤) والنشر ٣٢٢/٢.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) النمل: ٨٧ وقراءة العامة (ينفخ) بضم الياء وفتح الفاء قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ونافع انظر السبعة ص ٤٢٤ والنشر ٣٢٢/٢.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) فيما عدا ب: ويتشاورون.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في أ: يتشارون.

(٨) في هـ: مكثهم.

(٩) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية واشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف واسمه قيس بن منبة بن بكْر بن هوازن، انظر نهاية الارب ص ١٩٨ لابي العباس أحمد القلقشندي ط دار الكتب الاسلامية بيروت.

(١٠) النور: ٣٩.

(١١) معاني القرآن للفراء ١٩١/٢.

فيه منخفض ولا مرتفع، وقال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً وقال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة، وقال الحسن: العوج ما انخفض من الارض والأمت ما نشز من الروابي، وتقول العرب ملأسقاءه حتى ليس فيه أمت إذا لم ينثن لتمام الامتلاء، قوله ﴿يومئذ يتبعون الداعي﴾ قال الفراء: يعني صوت الداعي للحشر[١] قال المفسرون: يتبعون صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة ﴿لا عوج له﴾ لا عوج لهم عن الداعي فلا يقدرون إلا أن يتبعوه قال ابن عباس: كلهم تبع الصوت لا يتعوج عنه ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ سكتت وذلت وخضعت ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ قال أكثر المفسرين: يعني صوت نقل الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الابل في المشي، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعني تحريك الشفاه بغير منطق، وهو قول مجاهد الكلام الخفي، والمعنى على هذا التفسير سكتت الأصوات فلا يجهر أحد بكلام إلا كالسر من الإشارة بالشفة وتحريك الفم من غير صوت.

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن﴾ أي لا تنفع الشفاعة أحد من الناس إلا من أذن الله أن يشفع له فذلك الذي ينفعه الشفاعة ﴿ورضي له قولاً﴾ قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن[٢] ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ الكناية راجعة إلى الذين كفروا في قوله ﴿يتبعون الداعي﴾ قال ابن عباس: يريد ما قدموا وما خلفوا، وقال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ الكناية تعود إلى ما في قوله ما بين أيديهم وما خلفهم أي هو يعلم ذلك وهم لا يعلمونه، ويجوز [أن تعود][٣] الكناية إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

قوله ﴿وعنت الوجوه [للحي القيوم][٤]﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: ذلت وهو قول قتادة، وقال في رواية عطاء خضعت وقال طلق بن حبيب[٥] هو السجود على الجبهة، قال الزجاج: معنى عنت في اللغة خضعت [وسمي الاسير عانياً لخضوعه في يد من أسره][٦] يقال عنا يعنو [عنوا][٧] إذا خضع ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ من للجنس، والمعنى: من يعمل الصالحات وهو مؤمن لأن غير المؤمن لا يقبل عمله ولا يكون صالحاً ﴿فلا يخاف [ظلماً][٨]﴾ أي فهو لا يخاف وقرأ ابن كثير: فلا يخف على[٩]

---

(١) في النسخ صوت الحشر والتصحيح من معاني القرآن للفراء ٢/١٩٣.
(٢) ويؤيد هذا قول الله تعالى في سورة التوبة (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) التوبة: ١١٣، ١١٤.
(٣) ساقط من د.
(٤) ساقط من جميع النسخ عدا د.
(٥) طلق بن حبيب البصري صدوق عابد ت بعد التسعين من الهجرة انظر التقريب ١/ ٣٨٠.
(٦) ما بين القوسين ساقط من د.
(٧) ساقط من هـ.
(٨) أو ظلماً ساقط من ب.
(٩) في ب فلا يخاف.

النهي[1] فهو حسن لأن المعنى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فليأمن لأنه لم يفرط فيما وجب عليه ونهيه عن الخوف أمر بالأمن وقوله ﴿ظلماً ولا هضماً﴾ الهضم: النقص، يقال: يهضمني فلان حقي أي ينقصني. قال الوالبي عن ابن عباس لا يخاف أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ولا أن يهضم من حسناته، وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿وكذلك﴾ كما بينا في هذه السورة ﴿أنزلناه﴾ أنزلنا هذا الكتاب ﴿قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد﴾ بينا فيه ضروب الوعيد، قال قتادة: يعني وقائعه في الأمم المكذبة ﴿لعلهم يتقون﴾ ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن[2] قبلهم ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ يجدد لهم القرآن اعتباراً فيتذكروا به عقاب الله للأمم[3] فيعتبروا، وقوله ﴿فتعالى الله﴾ أي جل عن إلحاد الملحدين وعما يقول المشركون في صفته ﴿الملك﴾ الذي بيده الثواب والعقاب فهو يملكها ﴿الحق﴾ معناه ذو الحق، وقد تقدم الكلام فيه ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ قال ابن عباس والمفسرون: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك يقول﴿ولا تعجل بالقرآن﴾[4] أي بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك وهذا كقوله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾[5] ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي بالقرآن ومعانيه وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً وإيماناً ويقينا.

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قوله ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ أي أمرناه وأوصينا إليه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكر في قوله ﴿لعلهم يتقون﴾ والمعنى أنهم إن نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه

---

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٤.

(٢) في هـ: ممن.

(٣) في هـ: عتاب الله في الامم.

(٤) أخرجها البخاري في كتاب بدء الوحي ٤/١ وكتاب التوحيد باب قوله تعالى لا تحرك به لسانك ١٨٧/٩ ط الشعب. ومسلم في كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة ٣٣٠/١ ط الحلبي.

(٥) القيامة: ١٦.

﴿فنسي﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي ترك عهدي وما أمر به[١] ﴿ولم نجد له عزماً﴾ معنى العزم في اللغة [توطين النفس][٢] على الفعل، قال عطية العوفي: لم نجد له حفظاً لما أمر به وقال الحسن: صبرا عما نهي عنه، وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً عليه[٣] حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، وقال الحسن: كأن عقل آدم مثل عقل جميع ولده فقال الله ﴿ولم نجد له عزماً﴾ أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد المخلدي، نا أحمد بن إسماعيل بن يحيى بن حازم، نا كامل بن مكرم، نا جبريل بن مجاع، نا إبراهيم بن يوسف[٤]، نا وكيع عن أبي فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامه الباهلي قال: لو أن أحلام بني آدم وضعت في كفة ووضع حلم آدم لرجح حلمه حلمهم ثم قرأ فنسي ولم نجد له عزماً[٥] وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ قال عطاء: يريد شقاء الدنيا ونصبها، وقال الحسن عنى به شقاء الدنيا لا ترى ابن آدم إلا ناصباً شقياً، وقال السدي يعني الحرث والزرع والعجن والخبر ولم يقل فتشقيا لأن أول الآية خطاب لآدم[٦] ﴿إن لك﴾ يا آدم ﴿ألا تجوع﴾ في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ وعده الله في الجنة الشبع والاكتساء وألا يصيبه فيها عطش ولا حر وهو قوله ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ ومن قرأ وإنك بالكسر[٧] فعلى الاستئناف وعطف جملة كلام على جملة والظمأ مصدر قولك ظمأ يظمأ إذا عطش، ويقال: ضحى الرجل يضحى ضحاً وضحياً إذا أبرز الشمس فأصابه حرها قال الضحاك عن ابن عباس: يقول: لا تعطش فيها كما يعطش أهل الدنيا ولا يصيبك فيها حركما يصيب أهل الدنيا والمعنى لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ كقوله ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾[٨] وقد تقدم ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وملك لا يبلى﴾ جديد ولا يفنى وهذا كقوله ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية﴾[٩] وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله ﴿وعصى آدم ربه﴾ أي بأكل الشجرة التي نهي عنها ﴿فغوى﴾ أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل ضل حيث طلب الخلد والملك بأكل ما نهي عن أكله، هذان قولان حكاهما المفسرون وقال ابن الأعرابي: الغيّ الفساد، ومعنى فغوى ها هنا: فسد عليه عيشه قال ابن قتيبة: أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخدايعه والقسم له بالله أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغروره ولم يكن ذنبه عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة فنحن نقول عصى آدم وغوى كما قال الله ولا نقول آدم عاصٍ وغاوٍ كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه قد قطعه وخاطه ولا نقول هو خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به[١٠] أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى ،أنا أبو بكر[١١] محمد بن جعفر بن الهيثم الانباري ،نا محمد بن أبي[١٢] العوام ،نا محمد بن عبد العزيز الرملي، نا سليمان بن حبان الاحمر، نا ابن أبي ذياب عن سعيد بن

---

(١) في د ترك أمري وما عهد به.

(٢) في هـ: بياض.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٣).

(٤) ابراهيم بن يوسف بن اسحاق بن أبي اسحاق السبيعي الكوفي ت سنة ١٩٨ تهذيب التهذيب ١٠/١٨٣.

(٥) تفسير ابن جرير ١٦/١٦١.

(٦) أولاً أن السعي وتحصيل المعاش مما يقوم به الرجل وما هو مكلف به أما النساء فقد أمرن بالقرار في بيوتهن ورعاية الابناء.

(٧) قراءة (وإنك) بكسر الهمزة قرأ بها نافع وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٢٢٤ والنشر ٢/٣٢٢.

(٨ ـ ٩) الاعراف: ٢١.

(١٠) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣١٢ باختصار.

(١١ ـ ١٢) ساقط من د، هـ.

أبي سعيد ويزيد بن هرمز[1] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لقي موسى آدم فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك [2] الجنة وأمر الملائكة فسجدوا لك فأخرجت الناس [من الجنة] [3] بذنبك وخطيئتك فقال له آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وأنزل عليك التوراة فيها تبيان كل شيء فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني قال بأربعين سنة قال فوجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني أن أعمل عملاً [قد كتبه علي] [4] قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى[5] رواه مسلم عن إسحاق بن موسى الانصاري عن انس بن عياض عن ابن أبي ذياب قوله ﴿**ثم اجتباه ربه**﴾ قال ابن عباس: اصطفاه ﴿**فتاب عليه**﴾ فعاد عليه بالعفو ﴿**وهدى**﴾ هداه للتوبة حتى قال ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . . . الآية﴾[6] وما بعد هذا مفسر في سورة البقرة إلى قوله:

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾. أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا محمد بن فضيل بن غزوان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة من الحساب ذلك بأن الله يقول ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾[7] قال الشعبي: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية.

قوله ﴿**ومن أعرض عن ذكري**﴾ قال عطاء عن موعظتي وقال الكلبي عن القرآن فلم يؤمن ولم يتبعه ﴿**فإن له معيشة ضنكاً**﴾ الضنك الضيق والشدة وكل ما ضاق فهو ضنك يقال منزل ضنك وعيش ضنك وضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكاً وأكثر ما جاء في تفسير المعيشة الضنك عذاب القبر عن النبي ﷺ وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أخبرنا أبو ابراهيم الواعظ، أنا بشر بن[8] أحمد بن محمود، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض[9]، نا أحمد بن عيسى، نا عبد الله بن وهب أنا عمرو بن[10] الحرث أن أبا السمح حدثه عن أبي حجرة عن أبي هريرة عن رسول ﷺ «إن

---

(١) يزيد بن هرمز المدني (ليس بقوي). ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٠.

(٢) في هـ: فاسكنك.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من د، وسقطت هـ ما بين قوله أربعين سنة الاولى والثانية.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة طه ٦/ ١٢٠ ط الشعب، ومسلم في كتاب العذر باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ٤/ ٢٠٤٢.

(٦) الاعراف: ٢٣.

(٧) إلى هنا ساقط من د وقد روى ابن جرير هذا الخبر بعدة طرق عن ابن عباس انظر تفسير ابن جرير ١٦/ ١٦٣.

(٨) حديث (إن المعيشة الضنك عذاب القبر) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرك كتاب التفسير سورة طه ٢/ ٣٨١ وقال عنه الهيثمي فيه المسعودي قد اختلط وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٩) أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري ت سنة ٢٤٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/ ٦٥.

(١٠) في هـ: ابن.

للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعاً وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»[١] أخبرنا أبو نصر المخلدي، أنا إسماعيل بن نجيد، أنا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمرو الضرير، أنا حماد، أنا أبو حازم المدني[٢] عن النعمان بن أبي عياش[٣] الزرقي عن أبي سعيد الخدري في قوله عز وجل ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً قال المعيشة الضنك عذاب القبر يلتئم على صاحبه فلا يزال يعذب حتى يبعث وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ضغطة القبر حتى يختلف أضلاعه[٤] وقوله ﴿**ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ قيل في التفسير أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها والاعمى إذا أطلق كان الظاهر عمى البصر يدل على هذا قوله ﴿**قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً**﴾ قال الفراء يقال: انه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره[٥] ﴿**قال**﴾ الله مجيباً لهذا الكافر ﴿**كذلك**﴾ أي الامر كما ترى ﴿**أتتك آياتنا فنسيتها**﴾ فتركتها ولم تؤمن بها ﴿**وكذلك اليوم تنسى**﴾ وكما تركتها في الدنيا نتركك اليوم في النار.

وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

﴿**وكذلك**﴾ وكما ذكرنا ﴿**نجزي من أسرف**﴾ أشرك ﴿**ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**﴾ أفظع وأعظم مما ذكر من عذاب القبر.

أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿**أفلم يهد لهم**﴾ يبين لهم إذا انظروا يعني كفار مكة ﴿**كم أهلكنا قبلهم من القرون**﴾ يقول أفلم يبين لهم طريق الاعتبار كثرة أهلاكنا القرون قبلهم بتكذيب الرسل فيعتبروا ويؤمنوا وقوله ﴿**يمشون في مساكنهم**﴾ يعني أهل مكة كانوا يتجرون ويسيرون في مساكن عاد وثمود فيها علامات الإهلاك أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين رأوا مساكنهم وهو قوله ﴿**إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك**﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله وأجل مسمى ﴿**لكان لزاماً وأجل مسمى**﴾ لكان العذاب لازماً لهم واللزام مصدر وصف به العذاب.

---

(١) رواه ابن كثير عن ابن أبي حاتم وقال رفعه منكر جداً تفسير ابن كثير سورة طه وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه البزار وفيه من لم أعرفه مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٢) أبو حازم سلمة بن دينار الاعرج ت سنة ١٤٠.
تذكرة الحفاظ ١/١٣٣ تهذيب التهذيب ٤/١٤٣، شذرات الذهب ١/٢٠٨.

(٣) النعمان بن أبي عياش الزرقي الانصاري أبو سلمة المدني تهذيب التهذيب ١٠/٤٥٥.

(٤) قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في المعيشة الضنك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/١٦٥ وابن كثير عن ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير ٣/١٦٩ ط الحلبي.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٩٤.

قوله ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم ثم حكم بالقتل فنسخ الصبر ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صل لله بالحمد له والثناء عليه ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يريد الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني العصر ﴿ومن ءاناء الليل﴾ساعاته واحدها إنْيٌ قال ابن عباس يريد أول الليل المغرب والعشاء ﴿فسبح وأطراف النهار﴾ يريد الظهر وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ، نا عبدان بن أحمد، نا عثمان بن أبي شيبة، نا جرير ووكيع[1] وأبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير[2] قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ليلة أربعة عشرة[3] فقال «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم إن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»[4] رواه البخاري عن إسحاق بن ابراهيم عن جرير ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة ووكيع وقوله ﴿لعلك ترضى﴾ قال ابن عباس: ترضى الثواب والمعاد ومن[5] ضم التاء[6] فمعنا ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة واختار أبو عبيدة هذه القراءة واضعاً لها معنين ترضا تعطى الرضا والآخر يرضاك الله وتصديقها قوله ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾[7] قال وليس في الأخرى إلا وجه واحد قوله:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

﴿ولا تمُدَّن عينيك . . . الآية﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال: قل له إن رسول الله ﷺ يقول يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تعزية له عن[8] الدنيا «وقد فسرنا هذه الآية في سورة الحجر» قال أبي بن كعب في هذه الآية فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير لله نعمة عليه إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وقوله ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية قال ابن عباس والسدي: زينة الدنيا وقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنجعل[9] ذلك فتنة وضلالة بأن أزيد

---

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك أبو عبد الله الصحابي اليماني ت سنة ٥١ هـ تهذيب التهذيب ٢/١٧٣ أسد الغابة ١/٣٣٢.

(٣) ليست في أ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر ١/١٤٥، مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ١/٤٣٩ ط الحلبي.

(٥) في هـ، د العقاب.

(٦) قرأ الكسائي (ترضى) بضم التاء واخلف عن عاصم وقرأ الباقون (ترضى) بفتح التاء السبعة لابن مجاهد/ ٤٢٥.

(٧) مريم: ٥٥.

(٨) قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير والبزار وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البيوع باب البيع إلى أجل ١٠/١٢٦ ط بيروت رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/١٦٩.

(٩) في هـ: ليجعل.

لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿ورزق ربك﴾ في المعاد يعني الجنة ﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدوم.

قوله ﴿وأمر أهلك بالصلوٰة﴾ قال سعيد بن جبير: قومك يعني من كان على دينه كقوله ﴿وكان يأمر أهله بالصلوٰة﴾[(١)] وقد تقدم أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري أخبرنا حمزة بن شبيب المعمري، أنا أبو عمرو بن عبد الله البصري، نا محمد بن[(٢)] عبد الوهاب، أنا أبو النعمان، نا ابن المبارك حدثني معمر عن محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام ان رسول الله ﷺ وسلم كان إذا نزل بأهله خير أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة[(٣)] وقوله ﴿واصطبر عليها﴾ أي اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿لا نسألك رزقاً﴾ لخلقنا ولا لنفسك ﴿نحن نرزقك والعاقبة﴾ قال ابن عباس[(٤)] والسدي يعني الجنة ﴿للتقوى﴾ قال الأخفش: لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتقوني قوله:

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتي بها الأنبياء نحو الناقة والعصا ﴿أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ بيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما كفروا ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤالهم الآيات كحال أولئك وهذا البيان إنما قص عليهم في القرآن ﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ يعني مشركي مكة ﴿بعذاب من قبله﴾ القبل بعث محمد ونزول القرآن ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك ﴿فنتبع آياتك﴾ نعمل بما فيها ﴿من قبل أن نذل﴾ بالعذاب ﴿ونخزى﴾ في جهنم ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ نحن نتربص بكم وعداً لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا الدوائر فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ إذا جاء الامر وقامت القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ الدين المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة انحن أم أنتم.

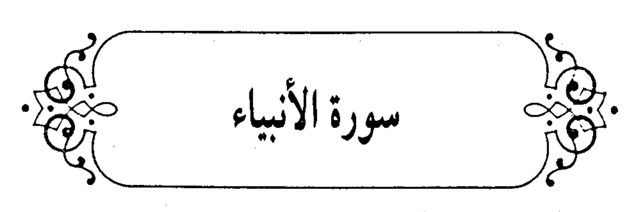
---

(١) مريم: ٥٥.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي النيسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٣٢٠.

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع عن الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٤) ليست في أ، جـ.



سورة الأنبياء

مكيّة وآياتها اثنتا عشرة ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن عبيد[١] الله بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة [الباهلي][٢] عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»[٣]

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿**اقترب**﴾ افتعل من القرب يقال: قرب الشيء واقترب ﴿**للناس**﴾ يعني: أهل مكة ﴿**حسابهم**﴾ محاسبة الله [إياهم][٤] على أعمالهم قال الزجاج: المعنى [اقترب للناس وقت حسابهم][٨] يعني [يوم][٩] القيامة كما قال ﴿اقتربت الساعة﴾ [٥] واقتراب حسابهم: يحمل على أن ما هو آت قريب ﴿**وهم في غفلة**﴾ عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿**معرضون**﴾ عن التأهب له بالإيمان بمحمد ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم**﴾ من وعظ بالقرآن على لسان محمد ﴿**محدث**﴾ بالإنزال لأن القرآن أنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة فالإحداث يعود إلى الإنزال وقوله ﴿**إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين ﴿**لاهية قلوبهم**﴾ غافلة عما يراد بهم ﴿**وأسروا النجوى**﴾ تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بين من هم فقال ﴿**الذين ظلموا**﴾ أشركوا بالله والذين في محل رفع على البدل من الضمير في وأسروا قال المبرد: وهذا كقولك في الكلام: إن الذين إلى الدار انطلقوا بنو عبد الله على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم**﴾ أي أنه آدمي لحم ودم مثلكم ليس مثل الملائكة

---

(١) فيما عدا د، هـ عبيد الله

(٢) ساقط من جـ، د، هـ

(٣) هذا الحديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج ٧، ٨ بياض في هـ

(٤) ساقط من ب

﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ قال السدي: يقولون ان متابعة محمد متابعة السحر والمعنى: أتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر ﴿قل﴾ [(١)] لهم يا محمد ﴿ربي يعلم القول في السماء والأرض﴾ أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض وقرأ أهل الكوفة: قال ربي[(٢)] على معنى قال محمد ربي ﴿يعلم القول﴾ وكذا هو في مصاحفهم ﴿وهو السميع﴾ لما تكلموا به ﴿العليم﴾ بما قالوا.

قوله ﴿بل قالوا﴾ معنى بل ها هنا: انتقال إلى خبر آخر عنهم على أن الأول مفروغ عنه، وليس معنى بل من الله على الترك للأول بإبطال[(٣)] له والمشركون مما دخلتهم من الحيرة في أمر محمد ﷺ لا يدرون ما قصته فمرة قالوا للقرآن إنه سحر، ومرة قالوا ﴿أضغاث أحلام﴾ قال قتادة: تخاليط أحلام رآها في النوم، ومرة قالوا: إنه مفتر وهو قوله بل افتراه﴾ أي اختلقه من[(٤)] نفسه ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ قال ابن عباس: [بآية][(٥)] مثل الناقة[(٦)] والعصا[(٧)] قال الزجاج: اقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال فقال الله مجيباً لهم ﴿ما آمنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ يعني أهلها ﴿أهلكناها﴾ وصف للقرية، والمعنى: ما آمنت قرية مهلكة بالآيات المرسلة ﴿أفهم يؤمنون﴾ يعني أن الأمم التي أهلكناها بتكذيب الآيات لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم فكيف يؤمن هؤلاء يعني أن مجيء الآيات لو كان سبباً للإيمان من غير إرادة الله لهم [ذلك][(٨)] لكان سبباً لإيمان أولئك [فلما أبطل أن يكون سبباً لإيمان أولئك][(٩)] بطل أن يكون سبباً لإيمان هؤلاء

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾

قوله ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ لقولهم: هل هذا إلا بشر مثلك؟ يقول الله: لم نرسل قبل محمد إلا رجالاً من بني آدم لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعني أهل الكتابين[(١٠)] في قول أكثر المفسرين

---

(١) في د. قال

(٢) يقصد بأهل الكوفة: حمزة وخلف وحفص وقراءتهم (قال) بالألف ذكرها ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٨ وابن الجزري في النشر ٢/٣٢٣

(٣) في هو: بالابطال

(٤) في هو: في

(٥) ساقط من جـ.

(٦) الناقة: كانت معجزة لنبي الله صالح عندما أرسله الله لقومه ثمود، فلقد سألوه أن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم ناقة عشراء تمخض فأخذ عليهم العهود والمواثيق لأن أجابهم الله إلى سؤالهم ليؤمنن به فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة عشراء يتحرك جنينها بين جنبيها ووضعت جنينها بين أظهرهم وكانت تشرب ماءهم وتعطيهم بدله لبناً ويشربون يوماً ولكنهم مع ذلك كفروا وعقروا الناقة فأرسل الله عليهم صيحة واحدة أهلكت المكذبين جميعاً: انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٢٨ ط الحلبي

(٧) العصا: كانت معجزة من الله لسيدنا موسى عليه السلام إذا ألقاها تنقلب حية تسعى وألقاها على عصيّ السحرة وحبالهم ـ بين يدي فرعون وملئه فابتلعتها جميعاً.

(٨) ساقط من د.

(٩) من جـ.

(١٠) أهل الكتابين: هم اليهود والنصارى والكتابين: التوراة والإنجيل.

﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أن الرسل بشر وذلك أن اليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً وإن أنكروا نبوة محمد ـ ﷺ ـ وهذا الأمر بالسؤال للمشركين لأنهم[1] إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن ﴿وما جعلناهم﴾ يعني الرسل ﴿جسداً﴾ قال الزجاج: هو واحد ينبىء عن جماعة أي وما جعلناهم ذوي أجساد ﴿لا يأكلون الطعام﴾ وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام؟ فأعلموا أن الرسل جميعاً كانوا يأكلون الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ يعني يموتون كسائر البشر ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك من كذبهم وهو قوله ﴿فأنجيناهم﴾ أي من العذاب ﴿ومن نشاء﴾ قال ابن عباس: يعني الذين صدقوهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ قال: يريد المشركين وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر منته عليهم بالقرآن فقال:

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ يا معشر قريش ﴿كتاباً فيه ذكركم﴾ قال: يريد فيه شرفكم كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾[2] وذلك أنه كتاب عربي بلغة قريش، وقال الحسن: فيه ذكركم أي ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ﴿أفلا تعقلون﴾ ما فضلتكم به على غيركم انزلتكم حرمي وبعثت فيكم نبيّي ثم خوفهم فقال ﴿وكم قصمنا﴾ القصم: كسر الشيء ودقه قال مجاهد والسدي: اهلكنا وقال الكلبي: عذبنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أي كافرة، يعني: أهلها ﴿وأنشأنا﴾ وأحدثنا [وأوجدنا][3] بعد إهلاك أهلها ﴿قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا بحاسة البصر، ويجوز أن يكون المعنى لما ذاقوا عذابنا، قال المفسرون: هؤلاء كانوا قوماً كذبوا نبيهم وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر[4] حتى قتلهم وسباهم ونكّل فيهم وعلى ما قالوا الآية مخصوصة[5] وإن وردت عامة وقوله ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي يفرون وينهزمون ويهربون وأصله من ركض الرجل مركل[6] الدابة برجليه يقال ركض الفرس إذ كده بساقيه ﴿لا تركضوا﴾ أي قيل لهم لا تركضوا وذلك أنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء: لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ أي خولتم ونعمتم، وقال ابن قتيبة: إلى نعمكم التي أترفتم[7] وقد بيّنّا هذا عند قوله ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[8] وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي شيئاً من دنياكم والمعنى ان الملائكة استهزأت[9]

---

(١) في هـ: وهم.

(٢) الزخرف: ٤٤ (٣) ساقط من هـ.

(٤) بخت نصر: كان والياً لملك الفرس على منطقة الأهواز إلى الروم وهو الذي بعث لقتال بني إسرائيل بالشام بعد إعتدائهم على رسله فقتل منهم الكثير وفرقهم في بقاع الأرض. انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/٣٩.

(٥) تفسير ابن جرير عن مجاهد ١٧/٨ ولكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٦) المركل من الدابة حيث تصيب الدابة برجلهم إذا حركتها للمشي (اللسان: فصل الراء حرف اللام)

(٧) في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة أترفتكم ص ٢٨٤.

(٨) الإسراء: ١٦.

(٩) كان الأولى أن يقول (استهزؤوا) هروباً من التعبير المشعر بزعم الذين كفروا بأن الملائكة إناث.

بهم فقالوا لهم ارجعوا إلى مساكنكم لعلكم تسئلون شيئاً من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاءً بهم وهذا قول قتادة في هذه الآية وهو الصحيح فـ ﴿قالوا﴾ عند ذلك ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى: أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا هذا على سبيل الندم حين لم ينفعهم الندم، قال الله تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ [ما زالت تلك الكلمة التي هي قولهم يا ويلنا دعاءهم يدعون بها ويرددونها] (١) ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل ﴿خامدين﴾ يعني ميتين كخمود النار إذا طفئت.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ يريد لم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً [بل] (٢) خلقناها لأمر وهو ما ذكر ابن عباس فقال لأجازي أوليائي وأعذب أعدائي وقال غيره: خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبروا بخلقها ويتفكروا فيها فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقها قوله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد النساء، وهو قول الحسن وقتادة قالا اللهو بلغة اليمن المرأة وقال في رواية الكلبي: يعني الولد، وهو قول السدي، وقوله ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ قال المفسرون: من الحور العين، وهذا إنكار على من أضاف الصاحبة والولد إلى الله واحتجاج عليهم بأنه لو كان جائزاً في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ولستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، قال الزجاج: المرأة لهو الدنيا وكذلك الولد، والمعنى: على ذي اللهو أي الذي يلهى به، ومعنى اللهو طلب الترويح عن النفس يقول: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهـو أو امرأة ذات لهو لاتخذناه من لدنا وقد أحسن ابن قتيبة في شرح الآية كل الإحسان فقال التفسير أن [المرأة والولد] (٣) في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهوه، وولده لهوه، ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع كني عنه باللهو كما كني عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت ... وأن لا يحسن اللهـو أمثالي (٤)

أي النكاح، وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه ما قالت قال الله عز وجل: لو أردنا أن نتخذ أي صاحبة وولداً كما يقولون لاتخذنا [ذلك] من لدنا أي من عندنا ولم نتخذه من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل

(١) ساقط من د
(٢) ساقط من هـ
(٣) ساقط من جـ، د، هـ
(٤) والبيت في ديوانه من قصيدة يتغزل ويصف مغامراته وصيده وسعيه إلى المجد ديوان امرىء القيس ص ١٤٠ ط بيروت من قصيدة مطلعها:

ألا عم صباحاً أيهـا الـطلل البـالي ... وهـل يعمن من كان في العصـر الخـالي

وزوجه يكونان عنده لا عند غيره[١] وقوله ﴿إن كنا فاعلين﴾ المفسرون يقولون: ما كنا فاعلين، قال الفراء والمبرد والزجاج: يجوز أن [تكون إن][٢] للنفي كما ذكر المفسرون نحو قوله ﴿إن أنت إلا نذير﴾[٣] ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾[٤] ويكون المعنى تحقيقاً لكذبهم أي ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولداً، قالوا: ويجوز أن تكون إن للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا قال الفراء: وهذا أشبه الوجهين بمذهب العربية[٥] قوله ﴿بل﴾ أي دع ذاك الذي قالوا فإنه كذب وباطل ﴿نقذف بالحق على الباطل﴾ نسلط الحق على باطلهم ونلقيه عليه حتى يذهبه وعنى بالحق القرآن وبالباطل كذبهم ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ويكسره وقال الزجاج: يذهبه ذهاب الصغار والإذلال وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل ﴿فإذا هو زاهق﴾ زائل ذاهب من قوله ﴿وزهق الباطل﴾[٦] والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ لكم يا معشر الكفار الويل من كذبكم ووصفكم الله بما لا يجوز ثم بين أن جميع المؤمنين عبيده فقال: ﴿وله من في السموات والأرض﴾ عبيداً وملكاً ﴿ومن عنده﴾ يعني الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ قال الزجاج: أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولاد الله عباد الله لا يأنفون من عبادته ولا يتعظمون عنا كقوله ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته﴾[٧] ﴿ولا يستحسرون﴾ يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيا، قال قتادة ومقاتل: لا يعيون، وقال السدي: لا ينقطعون عن العبادة ﴿يسبحون الليل والنهار﴾ ينزهون الله دائماً بقولهم سبحان الله ﴿لا يفترون﴾ لا يضعفون ولا يملون، قال الزجاج: مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء فكذلك تسبيحهم دائم أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الشيباني عن حسان بن المخارق عن عبد الله بن الحارث قال قلت لكعب[٨] أرأيت قول الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم شأن أما تشغلهم حاجة قال يا ابن أخي جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تتنفس وكذلك جعل لهم التسبيح[٩] ثم عاد إلى توبيخ المشركين فقال:

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أم اتخذوا آلهة﴾ هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة ﴿من الأرض﴾ وأصنامهم كانت من الأرض [من. أي][١٠] جنس كان من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة ﴿هم ينشرون﴾ يحيون يقال: أنشر الله الميت فنشر وهذا توبيخ لهم، على عبادتهم جماداً من الأرض لا يقدر على شيء، ثم ذكر الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال ﴿لو كان فيهما﴾ أي في السماء والأرض آلهة معبودون يستحقون العبادة ﴿إلا الله﴾ معناه غير الله وهو صفة للآلهة على معنى آلهة [هم][١١] غير الله كما يزعم المشركون وهذا قول جميع النحويين الأخفش والزجاج وأبي علي الفسوي

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٢٤).
(٢) ساقط من ب
(٣) فاطر: ٢٣
(٤) الملك: ٢٠
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٠.
(٦) الإسراء: ٨١
(٧) الأعراف: ٢٠٦
(٨) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ت سنة ٣٢ هـ عن مائة واربع سنين، تذكرة الحفاظ ١/٤٩، والأعلام ٥/٢٢٨.
(٩) الطبري ١٧/٧٠
(١٠) ساقط من د
(١١) ساقط من أ، وفي د هي.

كلهم قالوا إلا ليس باستثناء ها هنا ولكنه مع ما بعده صفة للآلهة في معنى غير [قال][١] الزجاج: وكذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها وأنشد وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك[٢] إلا الفرقدان[٣] قال: المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه وقوله ﴿لفسدتا﴾ أي لخربتا وبطلتا وهلكتا وهلك من فيهما[٤] لوجود[٥] التماني بين الآلهة فلا يجري أمر العالم على النظام لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه عما يصفه به الكافرون عن الشريك والولد بقوله ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون﴾ أي لا يسأل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه والناس يُسألون عن أعمالهم، والمعنى: أنه لا يسأل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال [لهم][٦] يوم القيامة: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلته لم فعلته. أخبرنا أبو بكر الحارثي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، نا عقبة بن مكرم، نا أبو عاصم، نا عروة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين [٧] [٩] أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أليس قد قضي عليه ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما [٨] يستقبلون فيما أتاهم به نبيهم وأخذت عليهم به الحجة قلت بل هو شيء قد قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق قال فهل يكون ذلك ظلماً قلت إنه ليس من شيء إلا وهو خلق الله وملك يده ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال ثبتك الله إنما أردت أن أحرز[١٠] عقلك قال [عمران بن حصين][١١] جاء رجل من جهينة[١٢] أو مزينة[١٣] إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أليس قد قضي عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به بينهم وأخذت عليهم به الحجة فقال بل شيء قضي عليهم ومضى قال ففيم العمل أو فيم نعمل قال: من خلقه الله لإحدى المنزلتين ألهمه وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿فألهمها فجورها وتقواها[١٤]﴾[١٥] ولما أبطل الله أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ أبطل جواز اتخاذ إله[١٦] سواه من حيث الأمر فقال:

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) في أ، ب: أخيك.

(٣) البيت لعمرو بن معديكرب قاله قبل أن يسلم يضرب مثلاً لطول ما نادماه الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٤/٧٦ ط دار النهضة

(٤) فيما عدا هـ، د: فيها.

(٥) في هـ: بوجود.

(٦) ساقط من

(٧) في هـ: كما.

(٨) في هـ: فما.

(٩) عمران بن حصين أبو نجيد الخزاعي ت سنة ٥٢ هـ انظر أسد الغابة ٤/٢٨١، الاصابة ٣/٢٧ تذكرة الحفاظ ١/٢٩ شذرات الذهب ١/٥٨

(١٠) في هـ، د: اجرب.

(١١) ساقط من جميع النسخ عدا «د».

(١٢) قبيلة جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة الجمهرة (٤٤٤).

(١٣) قبيلة مزينة بنو عثمان وأويس ابني عمرو بن طابخة بن الياس بن مضر. الجمهرة (٤٨٠).

(١٤) الشمس: ٨

(١٥) اخرجه البخاري بمعناه في كتاب القدر باب جف القلم على علم الله ١١/٤٩ فتح الباري. عن عمران بن الحصين، وأخرجه مسلم في كتاب القدر. باب كيفية خلق الآدمي ٤/٢٠٤١ ط الحلبي.

(١٦) في هـ: اليه.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة**﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿**قل هاتوا برهانكم**﴾ بينتكم على ما تقولون من جواز اتخاذ إله سواه ﴿**هذا ذكر من معي**﴾ يعني القرآن يقول فيه خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بمالهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿**وذكر من قبلي**﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب والمعنى: هذا القرآن وهذه الكتب التي[1] أنزلت قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به، قال الزجاج: قل[2] لهم هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر من قبلي إلا توحيد الله يدل على صحة هذا المعنى قوله بعد هذا ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق[3] فقال: ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون**﴾ عن التأمل والفكر وما يجب عليهم من الإيمان.

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً**﴾ قال ابن عباس: يريد من الملائكة ﴿**سبحانه**﴾ نزه نفسه عما يقولون ﴿**بل عباد**﴾ بل هم عباد يعني الملائكة ﴿**مكرمون**﴾ أكرمتهم واصطفيتهم ﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، وقال ابن قتيبة: لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى، ثم يقولون عنه كما لا يعملون حتى يأمرهم وهو قوله ﴿**وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم**﴾ ما قدموا من أعمالهم[4] ﴿**وما خلفهم**﴾ وما أخروا منها أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: لمن رضي عنه ﴿**وهم من خشيته**﴾ أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿**مشفقون**﴾ خائفون لا يأمنون مكره ﴿**ومن يقل [منهم]**﴾[5] من الملائكة ﴿**إني إله من دونه**﴾ من دون الله ﴿**فذلك نجزيه جهنم**﴾ قال المفسرون: يعنى إبليس[6] لأنه أمر بطاعة نفسه، ودعا إلى عبادته ﴿**كذلك**﴾ كما جزيناه جهنم ﴿**نجزي الظالمين**﴾ يعني: المشركين.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

---

(١) في هـ: الذي

(٢) فيما عدا (د) قيل لهم.

(٣) ساقط من جـ

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٥

(٥) ساقط من هـ

(٦) انظر ابن جرير ١٣/١٧، وأقول: يدخل تحت حكم هذه الآية كل من ادعى لنفسه الألوهية من دون الله سواء كان جناً أو إنساً.

وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿**أو لم ير الذين كفروا**﴾ أو لم يعلموا ﴿**أن السموات والأرض كانتا رتقاً**﴾ الرتق: السد يقال: رتقت الشيء فارتتق[١] ﴿**ففتقناهما**﴾ قال ابن عباس: فتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات،كانت السماوات لا تنزل مطراً والأرض لا تنبت نباتاً[٢] ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ أي وأحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء، والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء فهو مخلوق من الماء كقوله ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾[٣] قال أبو العالية: يعني النطفة وعلى هذا لا يتعلق هذا بما قبله، وهو احتجاج على المشركين بقدرة الله ﴿**أفلا يؤمنون**﴾ أفلا يصدقون بعد هذا البيان؟ ﴿**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم**﴾ مفسر في سورة النحل ﴿**وجعلنا فيها**﴾ في الرواسي ﴿**فجاجاً**﴾ قال أبو عبيدة: هي المسالك[٤]، وقال الزجاج: كل مخترق بين جبلين هو فج قال ابن عباس: جعلنا بين الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار، وقوله ﴿**سبلاً**﴾ تفسير للفجاج وبيان أن تلك الفجاج نافذة مسلوكة فقد يكون الفج غير نافذ ﴿**وجعلنا السماء سقفاً**﴾ السقف من أسماء السماء، قال الله تعالى ﴿والسقف المرفوع﴾[٥] والسماء للأرض كالسقف للبيت، وقوله ﴿**محفوظاً**﴾ قال ابن عباس: [من الشياطين بالنجوم][٦] دليله قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾[٧] وذكر الزجاج وجهاً آخر [قال][٨]: حفظه من الوقوع على الأرض إلا بإذنه دليله قوله ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾[٩] ﴿**وهم**﴾ يعني: المشركين ﴿**عن آياتها**﴾ شمسها وقمرها ونجومها ﴿**معرضون**﴾ لا يتدبرونها ولا يتفكرون فيها فيعلموا أن خالقها لا شريك له ﴿**وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل**﴾ يعني: الطوالع ﴿**في فلك**﴾ الفلك في كلام العرض كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وتفلك ثدي الجارية، قال السدي: في مجرى واستدارة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء وكل شيء استدار فهو فلك، وهذا قول أكثر المفسرين، قالوا: الفلك مدار النجوم الذي يضمها، قال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة وقوله: ﴿**يسبحون**﴾ أي يجرون بسرعة كالسابح في الماء وقد قال في موضع آخر ﴿والسابحات سبحاً﴾[١٠] يعني النجوم، والسبح لا يختص بالجري في الماء فقد يقال للفرس الذي يمد يديه[١١] في الجري سابح قوله:

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ الخلد: اسم من الخلود، وهو البقاء الدائم يقول:ما خلدنا قبلك أحداً من

---

(١) فارتتق أي التأم والمراد هنا: أنهما كانتا ملتئمتان ففتقهما الله، السماء بالمطر والأرض بالنبات.
(٢) انظر ابن جرير ١٧/١٥ عن عطية العوفي وعكرمة.
(٣) النور: ٤٥.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣٧.
(٥) الطور: ٥
(٦) بياض في هـ
(٧) الحجر: ١٧
(٨) بياض في هـ
(٩) الحج: ٦٥
(١٠) النازعات: ٣
(١١) فيما عدا هـ: رجليه.

بني آدم يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ومن بني آدم في الموت ﴿**أفإن مت فهم الخالدون**﴾ يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقيل لهم إن مات محمد فأنتم أيضاً تموتون لأن كل نفس ذائقة الموت قالت عائشة رضي الله عنها «استأذن أبو بكر[١] على رسول الله ﷺ وقد مات وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت**﴾ ثم خرج إلى الناس فخطب[٢] وقوله: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ قال الوالبي عن إبن عباس: نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء، وقال إبن زيد: نبلوكم بما تحبون وبما تكرهون، لننظر كيف شكركم وكيف صبركم ﴿**وإلينا ترجعون**﴾ تردون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها، قوله:

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

﴿**وإذا رآك الذين كفروا**﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين ﴿**إن يتخذونك إلا هزواً**﴾ أي ما يتخذونك إلا مهزوءاً به قال السدي: نزلت في أبي جهل مرّ به النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف[٣] وقوله ﴿**أهذا الذي**﴾ فيه إضمار القول ومعنى ﴿**يذكر آلهتكم**﴾ قال ابن عباس: يعيب[٤] أصنامكم، قال الزجاج: يقال فلان يذكر الناس أي يغتابهم ويذكرهم بالعيوب، وفلان يذكر الله أي بصفة بالتعظيم ويثني عليه، وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه وعلى ما قل لا يكون الذكر في كلام العرب العيب وحيث يراد به العيب حذف منه السوء وقوله ﴿**وهم بذكر الرحمن هم كافرون**﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن فكفروا بالرحمن.

قوله ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾ قال قتادة: خلق الإنسان عجولاً والإنسان إسم الجنس قال القرآن كأنه يقول بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة[٥] وقال الزجاج: خوطبت العرب بما تفعل والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كما تقول أنت من لعب وخلقت من لعب يريد المبالغة في وصفه بذلك، ويدل على هذا المعنى قوله ﴿**وكان الإنسان عجولاً**﴾[٦] وقال عكرمة: لما خلق آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل[٧] وهذا قول سعيد بن جبير والسدي والكلبي، وعلى هذا المراد بالإنسان آدم وإذا كان آدم خلق من عجل على معنى أنه خلق عجولاً وجد ذلك في أولاده وأورث أولاده العجلة حتى إستعجلوا في كل شيء والآية نازلة في أهل مكة حين استعجلوا العذاب قال ابن عباس في رواية عطاء خلق الإنسان من عجل يريد: النضر بن الحارث وهو الذي قال ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾[٨] الآية يدل على هذا قوله ﴿**سأريكم آياتي**﴾ قال يريد القتل ببدر ﴿**فلا تستعجلون**﴾ أي أنه نازل.

---

(١) أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي ت سنة ١٣ عن سنة ٦٣ أسد الغابة ٣/٣٠٩ تذكرة الحفاظ ١/٢ شذرات الذهب ١/٢٧ طبقات الحفاظ (٢)، العبر ١/١٦

(٢) روى الهيثمي نحوه عن أبي يعلى والطبراني وقال رجالها رجال الصحيح غير موسى بن الزمعي كتاب التفسير سورة الأنبياء

(٣) ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٤/٣١٩ طـ دار المعرفة بيروت ولكن السدي معروف بأنه ضعيف الحديث.

(٤) في هـ يعني

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٣

(٦) الإسراء: ١١

(٧) تفسير ابن جرير ١٧/٢٠

(٨) الأنفال: ٣٢

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

﴿**ويقولون**﴾ يعني المشركين ﴿**متى هذا الوعد**﴾ الذي تعدنا يريدون وعد يوم القيامة ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في هذا الوعد قال الله تعالى [﴿**لو يعلم الذين كفروا**﴾][1] أي لو عرفوا ذلك الوقت وهو قوله ﴿حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ قال ابن عباس: يريد ساعة يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم النار ﴿ولا عن ظهورهم﴾ لإحاطتها بهم ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ يمنعون مما نزل بهم، وجواب لو محذوف على تقدير لو علموا ذلك ما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد؟ ﴿**بل تأتيهم**﴾ يعني الساعة ﴿**بغتة**﴾ فجأة ﴿**فتبهتهم**﴾ تحيرهم يقال: بهته يبهته إذا واجهه بشيء يحيره ذكرنا ذلك عند قوله ﴿فبهت الذي كفر﴾[2] ﴿**فلا يستطيعون ردها**﴾ صرفها عنهم ﴿**ولا هم ينظرون**﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة، ثم عزى نبيه فقال:

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ أي كما استهزأ قومك[3] بك ﴿**فحاق**﴾ نزل وأحاط ﴿**بالذين سخروا منهم**﴾ من الرسل ﴿**ما كانوا به يستهزئون**﴾ يعني: العذاب الذي استهزأوا به، قوله ﴿**قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**﴾ قال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، قال الزجاج: معناه من يحفظكم من بأس الرحمن كما قال: ﴿**فمن ينصرني من الله**﴾[4] أي من عذاب الله ونحو هذا قال الفراء[5] والمعنى: من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة. وهو استفهام إنكاري [أي][6] لا أحد يفعل ذلك يقال: كلأه الله كلاً أي حفظه وحرسه، وقوله ﴿**بل هم عن ذكر ربهم معرضون**﴾ أي عن القرآن وعن مواعظ الله لا يتفكرون ولا يعتبرون ﴿**أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا**﴾ تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿**لا يستطيعون نصر أنفسهم**﴾ أي فكيف تنصرهم وتمنعهم إذا لم تقدر على منع أنفسها عما يراد بها وقوله ﴿**ولا هم**﴾ يعني الكفار ﴿**منا يصحبون**﴾ قال الكلبي[7] يقول[8] لا يجارون[9] من عذابنا وقال ابن قتيبة: أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار[10] والعرب تقول: صحبك الله أي حفظك الله وأجارك، ثم ذكر أن هؤلاء اغتروا بطول الامهال إذا لم يعاجلوا بالعقوبة فقال:

---

(١) ساقط من جـ

(٢) البقرة: ٢٥٨

(٣) فيما عدا هـ: استهزئي بك.

(٤) هود: ٦٣

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٤

(٦) من هـ فقط.

(٧) في أ، ب: الكافرون

(٨) ساقط من هـ

(٩) في أ: لا يجازون

(١٠) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٦

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ يعني أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم **﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك فقال الله ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾** قال الضحاك: ألم ير المشركون الذين يحاربون رسول الله ويقاتلون إنا ننقصهم له فنأخذ ما حولهم من قراهم وأراضيهم أولا يرون أنهم المنقوصون والمغلوبون، وقال الحسن: ننقصها من أطرافها: ظهور النبي ﷺ على من قاتله أرضاً فأرضاً قوماً فقوماً **﴿أفهم الغالبون﴾** أي ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله هو الغالب، تفسير هذا تقدم في آخر سورة الرعد.

قوله **﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾** أي أخوفكم بالقرآن، والمعنى: إنما أنذركم بالوحي الذي يوحيه الله إلي لا من قبل نفسي، وذلك أن الله أمره بإنذارهم كقوله ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾[(١)] وقوله: **﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾** تمثيل للكفار بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا أنذروا شيئاً، كذلك هؤلاء في تركهم الانتفاع بما سمعوا كالصم الذين لا يسمعون، وقرأ ابن عامر: ولا تسمع الصم على إسناد الفعل إلى المخاطب[(٢)] والمعنى: أنهم معاندون فإذا اسمعتهم لم يعملوا بما يسمعوه كما لا يسمع الصم، قال أبو علي الفارسي: ولو كان كما قال ابن عامر فكان إذا تنذرهم ليحسن نظم الكلام فأما ما ينذرون فحسن أن تتبع قراءة العامة قوله **﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾** قال المبرد: النفحة الدفعة[(٣)] من الشيء التي دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف للضربة الخفيفة وهذا موافق لقول ابن عباس في تفسير نفحة قال طرف وقال ابن كيسان[(٤)]: قليل، وقال ابن جريج: نصيب من قولهم نفحه من ماله إذا أعطاه، ومعنى الآية: لئن[(٥)] أصابهم طرف من العذاب لأيقنوا بالهلاك ودعوا على أنفسهم بالويل مع الإقرار بأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب محمد ﷺ، قوله **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾** وقال الزجاج القسط: مصدر يوصف به تقول: ميزان قسط وموازين قسط، والمعنى: ذات قسط وذكرنا الكلام في الموازين عند قوله ﴿فمن ثقلت موازينه﴾[(٦)] أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا إبراهيم بن محمد بن الحسن، نا محمد بن هاشم البعلبكي، نا الوليد بن[(٧)] مسلم، نا عثمان بن أبي العاتكة[(٨)] عن

---

(١) الأنعام: ٥١

(٢) ابن مجاهد السبعة (٤٢٩) وابن الجزري النشر ٢/٣٢٣

(٣) في ب: الوقعة.

(٤) ابن كيسان محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن ت سنة ٢٩٩ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/٢٣٢، الأعلام ٥/٣٠٨

(٥) في هـ: لمن

(٦) الأعراف: ٨

(٧) الوليد بن مسلم الدمشقي القرشي أبو العباس توفي سنة ١٩٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ١/٣٠٢، تهذيب التهذيب ١١/١٥١، شذرات الذهب ١/٣٤٤.

(٨) عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي أبو حفص الدمشقي ت سنة ١٥٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٧/١٢٤

علي بن يزيد[١] عن القاسم [٢] عن أبي إمامة أن رسول الله ﷺ قال «يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم ولا تغرنكم قرابتكم مني فإني لا أملك لكم من الله شيئاً فبكت عائشة وقالت يا رسول الله ونكون يوم لا تغني عنا من الله شيئاً فقال: نعم في ثلاثة مواطن يقول الله عز وجل ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه. . .﴾[٣] الآية وعند النور والظلمة [وعلى الصراط][٤] من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء كبكبه في النار»[٥] ومعنى قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ لا ينقص من إحسان محسن ولا يزيد في إساءة مسيء ﴿وإن كان مثقال حبة﴾ قال الزجاج: وإن كان العمل مثقال حبة، وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الظلامة مثقال حبة وقال: وهذا حسن لتقدم قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ وعلى ما قال أبو علي يكون تأويل قوله فلا تظلم نفس شيئاً لأن المظلومين يستوفون[٦] حقوقهم من الظالمين حتى لا يبقى لأحد عند أحد ظلامة ولو مثقال حبة ﴿من خردل﴾ وقوله ﴿أتينا بها﴾ قال الزجاج: جئنا بها يعني: أحضرناها للمجازاة بها وعلى ما قال أبو علي أتينا بها للمحاسبة عليها يدل على صحة[٧] هذا قوله ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال السدي: مُحصين، والحسب معناه: العد، وقال ابن عباس: عالمين حافظين، وذلك أن من حسب شيئاً علمه وحفظه أخبرني محمد بن عبد العزيز المروزي، نا محمد بن الحسين الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا محمد بن عبيد[٨]، عن يوسف بن صُهيب، عن موسى بن أبي المختار عن بلال،[٩] رجل من بني عبس[١٠] عن حذيفة قال ان جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه زن بينهم ورد بعضهم على بعض ولا ذهب يومئذ[١١] ولا فضة فيرد المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على الظالم فيرجع وعليه مثل الجبل.

---

(١) علي بن يزيد بن أبي خلال الالهاني أبو عبد الملك ت بعد المائة والعشرين انظر: تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧

(٢) القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني الجوشني، تهذيب التهذيب ٣١٢/٨

(٣) المؤمنون: ١٠٣

(٤) ساقط من هـ

(٥) أخرج الهيثمي نحوه عن عائشة وقال رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب البعث باب ما جاء في الميزان والصراط والورود ٣٥٨/١٠. ويوضح معنى النور والظلمة في الحديث ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: لن يدعوا الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً، وكل منافق نوراً فإذا استووا على الطراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: (انظرونا نقتبس من نوركم)، وقال المؤمنون (ربنا أتمم لنا) فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً. المعجم الصغير للطبراني ١٢٧/١، وروى ابن جرير عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: (انظرونا نقتبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: «ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور» تفسير ابن جرير ١٢٩/٢٧

(٦) في هـ: تستوفي.

(٧) فيما عدا هـ: يدل على هذا

(٨) محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحدب ت سنة ٢٠٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٣٣٣/١ شذرات الذهب ١٤/٢ طبقات ابن سعد ٣٧٧/٦.

(٩) بلال بن يحيى العبسي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٥٥/١.

(١٠) بنو عبس: عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان جمهرة أنساب العرب (٢٥٠).

(١١) يؤيد هذا القول حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، =

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله ﴿**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان**﴾ قال مجاهد وقتادة: يعني التوراة التي تفرق بين الحلال والحرام ﴿**وضياء**﴾[1] من صفة التوراة مثل قوله ﴿فيها هدى ونور﴾[2] والمعنى: أنهم استضاءوا بها حتى اهتدوا في دينهم ومعنى ﴿**وذكراً للمتقين**﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ﴿**الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾ أي في الدنيا غائبين عن الآخرة وأحكامها ﴿**وهم من الساعة**﴾ أي من أهوالها وعذابها ﴿**مشفقون**﴾ خائفون، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال ﴿**وهذا ذكر**﴾ قال الزجاج: المعنى هذا القرآن ذكر لمن تذكر به وعظة لمن اتعظ ﴿**مبارك أنزلناه**﴾ كثير خيره ﴿**أفأنتم**﴾ يا أهل مكة ﴿**له منكرون**﴾ إياه جاحدون، وهذا إستفهام توبيخ وتعيير.

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

وقوله ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده**﴾ أي هداه ﴿**من قبل**﴾ [أي من قبل][3] بلوغه، والمعنى: آتيناه هذا صغيرا حين كان في السرب[4] حتى عرف الحق من الباطل ﴿**وكنا به عالمين**﴾ علمنا أنه موضع لإيتاء الرشد وأنه يصلح للنبوة، ثم بين متى أتاه فقال: ﴿**إذ قال لأبيه وقومه**﴾ أي في ذلك الوقت الذي قال لهم وهم يعبدون الصنم ﴿**ما هذه التماثيل التي**﴾ يعني الأصنام والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل، وقوله: ﴿**أنتم لها عاكفون**﴾ أي على عبادتها مقيمون، فأجابوه بأنهم وجدوا آباءهم يعبدونها فاقتدوا بهم على طريق التقليد في عبادتها، فأجابهم إبراهيم بأنهم فيما فعلوه وآباؤهم كانوا في ضلال مبين بعبادة الأصنام وهذا الذي ذكرنا معنى قوله ﴿**قالوا وجدنا آباءنا**﴾ إلى قوله ﴿**أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول حق أم لاعب مازح، وهذا جهل منهم تخيلوا المحق لاعباً فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم وهو قوله ﴿**قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم**﴾ أي على أنه رب السموات والأرض ﴿**من الشاهدين**﴾.

= فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار» رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤ ط الحلبي.

(١) فيما عدا د، هـ وضياء وذكراً وهي مكررة

(٢) المائدة: ٤٤

(٣) عن هـ

(٤) السرب: الطريق أو المذهب والمعنى آتيناه رشده وهو لم يزل في بداية الطريق حتى عرف الحق من الباطل. انظر اللسان: مادة سرب والصحاح: سرب

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ معنى الكيد: ضر الشيء بتدبير عليه **﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾** ينطلقوا ذاهبين، قال المفسرون: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد قالوا لإبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فقال إبراهيم سراً منهم **﴿وتالله لأكيدن﴾** الآية ولم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد وهو الذي أفشاه عليه قوله **﴿فجعلهم جذاذاً﴾** الجذ: القطع والكسر والجذاذ: قطع ما كسر الواحد جذاذة وهو مثل الحطام والرفات والدقاق[1] وقرأ الكسائي بكسر الجيم[2] على أنه جمع جذيذ مثل ثقال وثقيل وخفيف وخفاف والجذيذ: بمعنى المجذوذ وهو المكسور قال المفسرون: لما انطلقوا إلى عيدهم رجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج[3] فذلك قوله **﴿إلا كبيراً لهم﴾** قال الزجاج: أي كسر الأصنام إلا أكبرها **﴿لعلهم إليه يرجعون﴾** أي إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه وتنبهوا إلى جهلهم وعظيم خطاهم ولما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم وهم جذاذ **﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾** استفهموا عمن صنع ذلك وأنكروا عليه فعله بقولهم **﴿إنه لمن الظالمين﴾** أي فعل ما لم يكن له أن يفعله فقال من سمع من إبراهيم قوله **﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾** **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾** أي بالغيب **﴿يقال له إبراهيم﴾** وشاعت القصة حتى بلغت نمروذ [وأشراف قومه][4] **﴿قالوا فأتوا به﴾** أي بالذي يقال له إبراهيم **﴿على أعين الناس﴾** أي ظاهراً بمرأى من الناس حتى يروه **﴿لعلهم يشهدون﴾** عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل هذا قول الحسن وقتادة والسدي قالوا: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، وقال محمد بن إسحاق: لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به[5] أي يحضرون فلما أتوا به **﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا﴾** أسند فعله إلى كبير الأصنام إقامة للحجة عليهم قال: غضب من أن يعبدوا معه الصغار فكسرهن. أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي، أنا محمد بن أحمد بن علي المقري، أنا الحسن بن سفيان النسوي[6] أنا هشام بن عمار، نا محمد بن عيسى، نا زهير بن محمد[7] عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة إنها أختي، وقوله إني سقيم»[8] قال المفسرون: وجاز أن يكون الله قد أذن له في ذلك ليوبخ قومه ويعرفهم خطأهم كما أذن

---

(١) الدقاق: بالضم الشيء القليل انظر مختار الصحاح مادة د ق ق

(٢) النشر ٢/٣٢٤، والسبعة لابن مجاهد ص ٤٢٩

(٣) هذا قول السدي ومجاهد وابن جريج وابن إسحاق: انظر تفسير ابن جرير ١٧/٢٩

(٤) ساقط من أ وقد روى ابن جرير ذلك عن ابن إسحاق ١٧/٣٠

(٥) تفسير ابن جرير ١٧/٣٠

(٦) الحس بن سفيان بن عامر الحافظ الشيباني النسوي ت سنة ٣٠٣ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٣ طبقات الحفاظ ص ٣٠٥

(٧) زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني ت سنة ١٦٢ هـ انظر: تهذيب التهذيب ٣/٣٤٩

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ٤/١٧١ ط الشعب، مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/١٨٤٠ ط الحلبي

ليوسف حتى أمر مناديه فقال لإخوته ﴿إنكم لسارقون﴾[1] ولم يكونوا سرقوا [شيئاً][2] وقوله ﴿فسئلوهم إن كانوا ينطقون﴾ إلزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدرون على النطق.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم فقال بعضهم لبعض ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ هذا الرجل في مسئلتكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فسئلوها، وقال عطاء عن ابن عباس: إنكم أنتم الظالمون حيث عبدتم من لا يتكلم وكان هذا إقرار منهم على أنفسهم بالكفر ثم أدركتهم الشقاوة فعادوا إلى كفرهم وهو قوله ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ النكس: رد الشيء وقلبه على آخره يقال: نكست فلاناً في ذلك الأمر أي رددته فيه بعدما خرج منه، والمعنى: ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم فـ﴿قالوا﴾ لإبراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ قال ابن عباس: لقد علمت أن هذه الأصنام لا تتكلم، وهذا اعتراف منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم وبخهم إبراهيم فـ﴿قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً [إذ عبدتوها][3] ﴿ولا يضركم﴾ إذا لم تعبدوها، وفي هذا حث على عبادة من يملك النفع والضر وهو الله تعالى، ثم حقرهم وحقر معبودهم فقال ﴿أف لكم﴾ أي نتناً لك ﴿ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ أليس لكم عقل فتعلموا أن [هذا][4] الأصنام لا تستحق العبادة [فلما][5] لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب [غضبوا][6]

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾

﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ أي بتحريق إبراهيم لأنه يعيبها ويطعن عليها فإذا أحرقتموه كان ذلك نصر منكم إياها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم ناصريها والمعنى: لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار، قال السدي: جمعوا الحطب حتى ان الرجل ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشتري به حطباً فيلقي في النار وحتى إن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً فتلقيه في النار حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق[7] وهو أول منجنيق صنع فوضعوه فيه ثم رموه فبلغنا أن السماوات والأرض والجبال والملائكة قالوا: ربنا عبدك إبراهيم يحرق فيك فقيل لهم: إن استغاث بكم فأغيثوه فقال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل فنزل جبريل معه فضرب النار فقال ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فلم يبق

---

(١) يوسف: ٧٠
(٢) ساقط من هـ
(٣) لفظ إذ عبدتوها عن هـ
(٤) ساقط من هـ
(٥) بياض في هـ
(٦) المنجنيق: القذاف التي ترمى بها الحجارة لفظ أعجمي معرب وأصلها بالفارسية من جي نيك أي ما أجودني. اللسان مادة مجنق.
(٧) رواه ابن جرير عن السدي ٣٣/١٧ ولكن من المعروف أن السدي مكذوب الحديث فلا يعتد بقوله هذا

يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها عنيت والمعنى: كوني برداً وسلامة قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا أبو علي بن أحمد السرخسي، أنا أبو لبابة محمد بن المهدي، نا عمارة، نا شجاع بن أبي نصر [١] عن عباد بن كثير عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة [٢] عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «ان نمروذ الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فأوحى الله إلى النار [أن][٣] كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ولولا أنه قال وسلاماً لأذاه البرد وقتله كالبرد فرأى أبو إبراهيم بعد سبعة أيام في المنام أن إبراهيم خرج من الحائط الذي أوقد عليه فيه فطلب فلم يقدر عليه فأتى نمزوذ فقال: ائذن لي لأخرج عظام إبراهيم من الحائط فأدفنها فانطلق نمروذ إلى الحائط ومعه الناس فأمر بالحائط فنقب فإذا إبراهيم في روضة تزهر [٤] وثيابه تفدى على طنفسة من طنافس الجنة عليه قميص من قمص الجنة»[٥] وقال كعب الأحبار ما أحرقت النار من إبراهيم غير وثاقه [٦] فذلك قوله ﴿وأرادوا به كيداً﴾ يعني التحريق بالنار ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ قال ابن عباس: هو أن الله سلط البعوض على نمروذ وخيله حتى أخذت لحومهم وشربت دمائهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك.

وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ونجيناه﴾[٧] أي من نمروذ وكيده ﴿ولوطاً﴾ وهو ابن أخي إبراهيم [وهو لوط بن هاران بن تارخ][٨] وكان قد آمن به وهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام وهو قوله ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث أكثر الأنبياء ﴿ووهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق﴾ حين سأل الولد فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾[٩]

---

(١) عباد بن كثير الثقفي البصري ت ما بين الأربعين والخمسين ومائة ولقد بين ابن حجر بأنه متروك الحديث. تهذيب التهذيب ١٠١/٥ تقريب التهذيب ١٩٣/١.

(٢) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري البخاري والمدني ت سنة ٢٣١. تهذيب التهذيب ٢٣٩/١، الجرح والتعديل ٢٢٦/١.

(٣) ساقط من هـ، جـ، د

(٤) في هـ: تهتز.

(٥) الدر المنثور ٣٤/٤ ابن عساكر ١٤٦/٢، ومن سند الحديث نستطيع أن نحكم بأن هذا الحديث «ضعيف» لضعف سنده حيث أن عباد ابن كثير متروك الحديث.

(٦) تفسير ابن جرير ٣٣/١٧.

(٧) في د، هـ ونجيناه ولوطاً.

(٨) ساقط من هـ، د

(٩) الصافات: ١٠٠، واستشهاده بهذه الآية في غير موضعه حيث أنها وردت في إسماعيل على نحو ما ستقف عليه في دراسة موضوع الذبيح.

فاستجاب الله دعاءه ووهب له إسحاق ﴿ويعقوب نافلة﴾ النافلة: الزيادة على الأصل وهو ولد الولد، قال ابن عباس: نفله يعقوب أي زاده ولداً من إسحاق كأنه سأل واحداً فأعطاه الله يعقوب زيادة على ما سأل، قال الفراء: النافلة يعقوب[١] خاصة لأنه ولد الولد وقوله ﴿وكلاً﴾ [يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب][٢] ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء صالحين بطاعة الله ﴿وجعلناهم أئمة﴾ رؤساء يقتدى بهم في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم [بذلك][٣] ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة ﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾ يعني: النبوة ﴿وعلماً[٤] ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني: إتيانهم الذكور وما كانوا يأتونه من المنكرات واراد بالقرية أهلها ثم ذمهم فقال ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا﴾ بانجائنا إياه من القوم السوء ﴿إنه من الصالحين﴾ يعني: من الأنبياء.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ [دعا ربه (من قبل)][٥] من قبل إبراهيم ولوط لأنه كان قبلهما دعا على قومه بالهلاك فقال ﴿رب لا تذر﴾[٦] الآية.

﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ يعني: من كان معه في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس: يريد الغرق وتكذيب قومه له ﴿ونصرناه من القوم﴾ أي منعناه من أن يصلو إليه بسوء.

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قوله ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾[٧] أكثر المفسرين على أن الحرث كان كرماً[٨] قد تدلت عناقيده وقال قتادة: كان زرعاً ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعت ليلاً في قول الجميع قال ابن السكيت:[٩] النفش أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع قال المفسرون: دخل رجلان على داود وعنده ابنه سليمان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث إن هذا تفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم يبقى منه شيئاً فقال: لك رقال الغنم، فقال سليمان أو غير ذلك ينطلق أصحاب الكرم بالغنم فيصيبوا من ألبانها ومنافعها ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى إذا

---

(١) في معاني القرآن: ليعقوب ٢/٢٠٧
(٢) ساقط من هـ، د
(٣) ساقط من هـ
(٤) ساقط من جـ
(٥) ساقط من جـ
(٦) نوح: ٢٦
(٧) في د، هـ: في الحرث ـ إذ نفشت ـ وهي مكررة.
(٨) الكرم: شجرة العنب.
(٩) ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ت سنة ٢٤٤ هـ نزهة الألباء ١٧٨، انباه الرواة (١١)، والنص في كتابه إصلاح المنطق ص ٤١ ط ثالثة

كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك[١] فهو قوله ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ قال ابن عباس: لم يغب عني من أمرهم شيء قال الفراء: جمع أقلين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله ﴿فإن كان له إخوة﴾[٢] وهو يريد أخوين والحكم الذي حكما به بعضه موافق بشرعنا وبعضه مخالف أما الموافق فهو الحكم بالضمان على صاحب الماشية إذا أفسدت بالليل حرثاً وكذا هو في شرعنا وهو ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد المنصوري، أنا علي بن عمر[٣] الحافظ، نا أبو بكر النيسابوري، نا أبو الأزهر[٤] وأحمد بن يوسف[٥] قالا: نا عبد الرزاق[٦]، نا معمر[٧] عن الزهري عن حرام بن محيصة[٨] عن أبيه أن ناقة للبراء وقعت في حائط قوم فأفسد، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظ الأموال بالنهار، وعلى أهل الماشية حفظها بالليل[٩] أما المخالف لشرعنا فهو أن الحكم عندنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو بالمثل لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها، وقوله ﴿ففهمناها سليمان﴾ أي القضية والحكومة. كنى عنها لأنه ما يدل عليها من ذكر الحكم ﴿وكلاًّ﴾ منهما ﴿ءاتينا حكماً﴾ نبوة ﴿وعلماً﴾ بأمور الدين ﴿وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ وهو أنه كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وهو قوله ﴿والطير وكنا فاعلين﴾ يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء[١٠] الحكم والتسخير ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ اللبوس: الدرع لأنها تلبس، قال قتادة: أول من صنع الدروع داود وإنما كانت صفائح فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله ﴿ليحصنكم﴾ أي ليحرزكم[١١] ويمنعكم يعني اللبوس ومن قرأ بالتاء[١٢] فلتقدم قوله وعلمناه ومن قرأ بالياء[١٣] حمله على المعنى لأن معنى اللبوس الدرع وقوله: ﴿من بأسكم﴾ أي من حربكم، وقال السدي: من وقع السلاح فيكم ﴿فهل أنتم﴾ يا معشر أهل مكة ﴿شاكرون﴾ نعمي بطاعة الرسول وتصديقه، وقوله ﴿ولسليمان الريح﴾ المعنى: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب قال ابن عباس: إن أمر

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود ١٧/٢٨.

(٢) النساء: ١١

(٣) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي أبو الحسن الدارقطني ولد سنة ٣٠٦ تاريخ بغداد ١٢/٣٤ تذكرة الحفاظ ٣/٩٩١، شذرات الذهب ٣/١١٦

(٤) أبو الأزهر: أحمد بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدي النيسابوري ت سنة ٢٦١ تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٥ تهذيب التهذيب ١/١١، العبر ٢/٢٦.

(٥) أحمد بن يوسف السلمي المعروف بمحمد بن يوسف السلمي النيسابوري ت سنة ٢٦٤ الجرح والتعديل ١/٨١

(٦) عبد الرزاق بن همام بن ماتع الحميري توفي سنة ٢١١ طبقات ابن سعد ٥/٣٩٩.

(٧) معمر بن راشد الأزدي البصري اتوفي سنة ١٥٢ هـ طبقات ابن سعد ٥/٣٩٧ تذكرة الحفاظ ١/١٩٠.

(٨) حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود الأنصاري ت سنة ١١٣ تهذيب التهذيب ٢/٢٢٣.

(٩) أخرجه ابن حنبل في السفر ٥/٤٣٥ أبو داود في كتاب البيوع باب المواشي تفسد زرع القوم حديث ٣٥٦٩ ٣/٣٩٨ ابن ماجة في كتاب الأحكام باب الحكم فيما أفسدت المواشي حديث ٢٣٣٢ ٢/٧٨

(١٠) ساقط من جـ

(١١) في هـ: ليحرنكم.

(١٢) التاء على التأنيث، ورواه أبو بكر عن عاصم ورويم بالنون، وقرأ الباقون بالياء على التذكير النشر ٢/٣٢٤ السبعة (٤٣٠) وقراءة (لتحصنكم) بالنون قرأ بها أبو بكر ورويم عن عاصم السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٢/٣٢٤

(١٣) قراءة (ليحصنكم) بالياء قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وخلف وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٢/٣٢٤.

الريح أن تعصف عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخت وذلك قوله ﴿رخاءاً حيث أصاب﴾[١]﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام وقد مر في هذه السورة، قال الفراء: كانت تجري بسليمان إلى موضع ثم تعود به من يوم إلى منزله[٢]﴿وكنا بكل شيء﴾ علمناه ﴿عالمين﴾ بصحة هذا[٣] التدبير فيه علمنا أنه ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ الغوص: الدخول تحت الماء كانوا يستخرجون له الجواهر من البحر ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ سوى الغوص من البناء وغيره من الأعمال ﴿وكنا لهم حافظين﴾ من أن يفسدوا ما عملوا قاله الفراء[٤] والزجاج قوله:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ دعا ربه ﴿إني مسني الضر﴾ أصابني الجهد ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بمسألة الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت، وقال رجل لأبي عبد الله الناجي يا أبا عبد الله: الراضي يسأل ربه قال يعرض قال: مثل أيش قال مثل قول أيوب ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وقال العلماء: لم يكن جزعاً من أيوب مع ما وصفه الله به من الصبر إذ يقول ﴿إنا وجدناه صابراً﴾[٥] وكان هذا دعاء منه ألا ترى أن الله قال ﴿فاستجبنا له﴾ على ان الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما من اشتكى إلى الله فليس بجازع وقوله يعقوب عليه السلام ﴿أشكو بثي وحزني إلى الله﴾[٦] لا يحمل [على الجزع][٧] قال سفيان بن عينية: وكذلك من شكا إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ في مرضه «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»[٨] وقال عليه السلام «بل أنا واراساه»[٩] قوله ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ قال ابن عباس: يريد الأوجاع ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قال ابن مسعود وقتادة والحسن: أحيا الله له أولاده الذين هلكوا في بلائه وأوتي مثلهم في الدنيا. وأخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جويبر عن الضحاك عن إبن عباس: قال سألت نبي الله ﷺ عن قوله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته إليه وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا وأهبط الله إليه ملكاً فقال يا أيوب إن الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج إلى أندرك[١٠] فبعث الله إليه سحابة حمراء فهبطت عليه بجراد الذهب والملك قائم معه فكانت الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها في أندره فقال الملك: يا

---

(١) ص: ٣٦ وروى ابن أبي حاتم نحواً من هذا الخبر عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الدر المنثور ٤/٣٢٦ وابن جرير عن محمد بن إسحاق بسند فيه انقطاع ابن جرير ١٧/٤٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٩ وابن جرير في تفسيره ١٧/٤٢

(٣) ليست في هـ.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٩ وابن جرير بدون ذكر سند وابن أبي حاتم عن السدي تفسير ابن جرير ١٧/٤٣ والدر المنثور ٤/٣٢٧.

(٥) ص: ٤٤

(٦) يوسف: ٨٦

(٧) ساقط من جـ

(٨) رواه البخاري في كتاب الأحكام. باب الاستخلاف

(٩) هو في المسند لابن حنبل ٤/١١٨، ٦/٤٣٨.

(١٠) الأندر: البيدر أو الحديقة فيها الزروع والنخيل والكروم. اللسان: فصل النون حرف الراء.

أيوب أما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال: إن هذه بركة من بركات ربي ولست[١] أشبع منها[٢] ﴿**رحمة من عندنا**﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا ﴿**وذكرى للعابدين**﴾ قال ابن عباس: موعظة للمطيعين.

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿**وذا الكفل**﴾ قال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس فلا يغضب فادفع إليه ملكك ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل [بذلك][٣] ووفى به فشكر الله له ونبأه ولذلك سمي ذا الكفل[٤]، وقوله ﴿**كل من الصابرين**﴾ أي على طاعة وعن معاصي الله ﴿**وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين**﴾ يعني: ما أنعم الله به عليهم من النبوة وما صيرهم إليه في الجنة من الثواب.

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿**وذا النون**﴾ يعني: يونس بن متى عليه السلام حبسه الله في بطن النون وهو الحوت ﴿**إذ ذهب مغاضباً**﴾ قال الضحاك: مغاضباً لقومه وهو قول ابن عباس في رواية العوفي قال: إن شعياء النبي والملك الذي كان في وقته وذلك أن القوم أرادوا أن يبعثوه إلى ملك قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل فقال يونس لشعياء: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا قال فهل سماني لك؟ قال: لا قال: فها هنا غيري أنبياء فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه[٥] فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان وإنما حبس في بطن الحوت بتركه ما أمره به شعياء وقومه لأن الله تعالى قال فيه ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾[٦] والمليم: الذي أتى ما يلام عليه[٧]، وقال جماعة من المفسرين ان يونس لما أخبر قومه عن الله أنه منزل العذاب بهم لأجل معلوم ثم بلغه بعد ما مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه

---

(١) في هـ: وليس

(٢) روي في البخاري مختصراً كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا ١/٧٨ ط الشعب والنص في الدر المنثور عن ابن مردويه وابن عساكر الدر المنثور ٥/٥٦٦٠ دار الفكر ولكن من المعروف أن طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس طريق منقطعة ولا يعتد بهذا السند انظر الاتقان ٢٠٨/٤٨

(٣) ساقط من جـ

(٤) روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي موسى الأشعري وفيه أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً: ابن جرير ١٧/٦٠.

(٥) في جـ: ولقوله.

(٦) الصافات: ١٤٣

(٧) خبر العوفي عن ابن عباس لم أعثر عليه ولقد بين علماء الجرح والتعديل بأن عطية العوفي كان شيعياً مدلساً وعلى ذلك فلا يعتد بحديثه هذا. انظر: الميزان ٣/٧٩، المجروحين ٢/١٧٦ وتهذيب التهذيب ٧/٢٢٤، الضعفاء ٣/٣٥٩

وكان مشتهياً أن ينزل بأس الله بهم لطول ما قاس من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم (فذهب مغاضباً لربه) أي لأمر ربه وهو رفعه العذاب عن قومه كره ذلك وغضب منه ومضى على وجهه مضي الآبق الناد يقول الله تعالى ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾[١] وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وقال: والله لا أرجع إلى قومي كذاباً أبداً وعدتهم العذاب في يوم فلم يأت وروي في الحديث: أنه كان ضيق الصدر قليل الصبر على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل[٢] وقوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي لن نقضي عليه[٣] [من العقوبة][٤] [ما قضيناه][٥] وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك وعطية يقال: قدر الله الشيء وقدره أي قضاه وهذا القول اختيار الفراء[٦] والزجاج، وقال آخرون لن نقدر عليه لن نضيق عليه الحبس من قوله عز وجل ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾[٧] أي من ضيق عليه وقد ضيق الله على يونس تضييقه على معذب في الدنيا وهذا معنى قول عطاء والحسن: ظن أن لن نعاقبه، وقال ﴿فنادى في الظلمات﴾ أكثر المفسرين قالوا: يعني ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر[٨] وقال سالم[٩] بن أبي الجعد: حوت في حوت في ظلمة، وقوله ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ قال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه فقال إني كنت من الظالمين حين ذهبت مغاضباً ولم أعبد غيرك وهذا معنى قوله ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك ﴾ الآية: أخبرنا عبد القاهر بن طاهر[١٠] أنا القاسم بن غانم بن حمويه نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عمرو بن الحصين[١١] نا معتمر عن معمر[١٢] عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ قال إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخي يونس ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[١٣] قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿ونجيناه من الغم﴾ من تلك الظلمات ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ إذا دعوني كما أنجينا ذا النون وروي عن عاصم أنه قرأ نجى المؤمنين مشددة الجيم[١٤] وجميع النحويين حكموا على هذه القراءة بالغلط وأنها لحن ثم ذكر الفراء وجهاً فقال: أضمر المصدر في ننجي فنوى به الرفع ونصب المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيداً ثم يقول زيداً على إضمار المصدر.

---

(١) الصافات: ١٤٠.
(٢) ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/٦١ عن ابن عباس ووهب بن منبه
(٣) فيما عدا هـ تقضي عليه (ما قضينا)
(٤) ساقط من أ
(٥) عن هـ، د فقط
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٩
(٧) الطلاق: ٧
(٨) انظر تفسير ابن جرير ١٧/٦٤ عن ابن عباس
(٩) سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني مولاهم الكوفي ثقة وكان يرسل كثيراً توفي سنة ٩٨ هـ انظر التقريب ١/٢٧٩ وقد روى ابن جرير خبره في تفسيره ١٧/٦١.
(١٠) عبد القاهر بن طاهر الفقيه ابن منهورت سنة ٤٢٧ هـ تاريخ الاسلام ٧/١٧١.
(١١) عمرو بن الحصين العقيلي الكلابي أبو عثمان البصري انظر: تهذيب التهذيب ٨/٢١
(١٢) معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري ت سنة ١٥٢ انظر طبقات الحفاظ ص ٨٢، تذكرة الحفاظ ١/١٩٠ شذرات الذهب ١/٢٣٥
(١٣) قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الأنبياء ٧/٦٨.
(١٤) النشر في القراءات ٢/٣٢٤ السبعة (٤٣١)

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا [(١)]

قال أبو علي الفارسي: هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر وراوي هذه القراءة عن عاصم [(٢)] غالط في الرواية فإنه قرأ ننجي بنونين كما روى حفص عنه ولكن النون الثانية من ننجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام فظن أنه إدغام ويدل على هذا إسكانه الياء من ننجي ونصب قوله المؤمنين ولو كان على ما لم يسم فاعله ما سكن الياء ولوجب أن يرفع المؤمنين.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

وقوله ﴿**وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً**﴾ قال ابن عباس: وحيد بلا ولد، وهذا كقوله ﴿هب لي من لدنك ولياً يرثني﴾[(٣)] وقوله:

﴿**وأنت خير الوارثين**﴾ ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه وأنه أفضل من يبقى حياً بعد ميت وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو، وقوله ﴿**وأصلحنا له زوجه**﴾ قال قتادة: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً، وقال الكلبي: كانت عقيماً فأصلحت له بالولد فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة[(٤)] وهذا قول أكثرهم أن إصلاح زوجه إزالة عقرها[(٥)] وقوله ﴿**إنهم**﴾ يعني زكريا وامرأته ويحيى وبعض المفسرين يذهب إلى أن الكفاية تعود إلى الأنبياء الذين ذكرهم الله في هذه السورة، ومعنى ﴿**يسارعون في الخيرات**﴾ يبادرون في طاعة الله وأداء فرائضه ﴿**ويدعوننا رغباً ورهباً**﴾ أي للرغبة والرهبة [رغبة في الجنة وخوفاً من النار][(٦)] ﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾ قال قتادة: ذللا لأمر الله.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿**والتي**﴾ يعني: مريم ﴿**أحصنت فرجها**﴾ حفظت فرجها ومنعته عما لا يحل وقال الفراء: ذكر المفسرون أنه جيب درعها[(٧)] وهذا محتمل لأن الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين وموضع جيب درع المرأة مشقوق وهو فرج، وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع ﴿**فنفخنا فيها**﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها فأجرينا فيها روح المسيح كما تجري الريح بالمنفخ، وذلك أن الله تعالى أجرى فيها روح المسيح بنفخ جبريل وأحدث بذلك النفخ عيسى في رحمها[(٨)] وقوله ﴿**من روحنا**﴾ أضاف الروح إليه إضافة الملك للتشريف[(٩)]

---

(١) البيت لجرير وليس في ديوانه الخصائص لابن جني ١/٣٩٧، وانظر أيضاً شرح المفصل لابن يعيش ٧/٧٥ خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٧ وفقيرة: اسم أم الفرزدق.

(٢) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي أبو بكر المقرىء ت سنة ١٢٧ هـ تهذيب التهذيب ٥/٣٩

(٣) مريم: ٦

(٤) قول الكلبي لم أعثر عليه وقد بينا بأن الكلبي متروك الحديث

(٥) تفسير ابن جرير ١٧/٦٧

(٦) ساقط من هـ، د

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٠

(٨) رواه ابن جرير بدون يقين قائل تفسير ابن جرير ١٧/٦٧

(٩) في أ، ب: بالتشريف

والتخصيص وهو يريد روح عيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني ما ظهر فيها من الأعجوبة التي دلت على قدرة الله ووحد الآية بعد ذكرهما جميعاً لأن الآية فيهما واحدة وهي ولادة من غير فحل قوله:

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾

﴿إن هذه أمتكم﴾ قال ابن عباس: يريد دينكم وهو قول الحسن ومجاهد والجميع، قال ابن قتيبة: والأمة الدين[١] ومنه قوله ﴿إنا [وجدنا آباءنا][٢] على أمة﴾[٣] أي على دين، والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أمة فتقام الأمة مقام الدين، وقوله ﴿أمة واحدة﴾ قال ابن عباس ديناً واحداً والمعنى: أن هذه الشريعة التي نبينها[٤] لكم في كتابكم ديناً واحداً إبطالاً لما سواها من الأديان وهي نصب على الحال ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أي لا دين سوى ديني ولا رب غيري ثم ذكر اليهود والنصارى وذمهم بالاختلاف فقال ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا [فيه][٥] فرقاً وأحزاباً، يعني: طوائف اليهود والنصارى. قال الكلبي: فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض والتقطع في هذه الآية بمنزلة التقطيع ثم أخبر أن مرجع جميع أهل الأديان إليه وأنه مجاز جميعهم فقال ﴿كل إلينا راجعون ومن يعمل من الصالحات﴾ أي شيئاً منها من أداء الفرائض وصلة الرحم ونصرة المظلوم وغيرها من أعمال البر ﴿وهو مؤمن﴾ مصدق بمحمد ﷺ وبما جاء به[٦] ﴿فلا كفران لسعيه﴾ لا جحود لعمله، يعني أنه يقبل ويشكر بالثواب عليه ﴿وإنا له كاتبون﴾ نأمر الحفظة أن يكتبوا لذلك العامل ما عمل ليجازى به وقوله:

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿وحرام على قرية﴾ قال قتادة: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها ونحو هذا قال عكرمة عن ابن عباس وعطاء والكلبي قال عطاء: يريد حتماً مني، وقال الكلبي: يقول وجب على أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ يريد عذبناها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ إلى الدنيا، والمعنى: أن الله كتب على من أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة وأن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتماً وفي هذا تخويف لكفار مكة أنهم إن عذبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة، وذهب ابن جريج وأبو عبيدة[٧] وابن قتيبة وجماعة إلى أن لا في قوله: ﴿لا يرجعون﴾ زيادة[٨] وقالوا المعنى: حرام على قرية مهلكة ترجعوهم إلى الدنيا[٩] كما قال ﴿فلا يستطيعون توصية

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٨)
(٢) ساقط من هـ
(٣) الزخرف: ٢٢، ٢٣
(٤) في هـ: بينتها
(٥) ساقط من هـ
(٦) ب وبما جاء به ـ فقال ـ وليس موضع
(٧) في د: وأين.
(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)
(٩) وقيل أن (لا) نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الدنيا. انظر الإتقان ٢/ ٢٣٠ وقال الزركشي في البرهان قد تجيء مؤكدة للنفي في غير موضعها الذي تستحقه ـ كقوله: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) انظر البرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٥٧

ولا إلى أهلهم يرجعون﴾[١] ومن قرأ وحرم فهو بمعنى[٢] حرام كما قيل حل وحلال وقوله **﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾** معنى فتحهما إخراجهما عن السد الذي جعلا وراءه وكأنهما قيدا بذلك السد فإذا ارتفع السد انفتحا وقوله **﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾** الحدب كل أكمة مرتفعة من الأرض، وينسلون من النسلان وهو كمشية الذئب إذا أسرع، والمعنى وهم من كل شيء من الأرض يسرعون، يعني: أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الحزامي، نا محمد بن عبد الله بن الحكم، نا أحمد بن سليمان[٣]، نا الحسن بن مكرم، نا يزيد بن هارون، نا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم[٤] عن مؤثر بن غفارة عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري بالنبي ﷺ ليلة أسري به لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم موسى فلم يكن عنده منها علم، فرجعوا إلى عيسى فقال: عهد الله إلي فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال: فأهبط فأقتله ويرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إليّ فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم ويجأرون إلي فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحمل أجسادهم فيقذفها في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد الله إلي إذا كان ذلك أن الساعة من الناس كالحامل المتم[٥] لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً[٦] أم نهاراً قال عبد الله: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب[٧] ينسلون **﴿واقترب الوعد الحق﴾** قال ابن عباس: يريد القيامة **﴿فإذا هي﴾** فإذا القصة **﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾** أي القصة أن أبصارهم تشخص في ذلك اليوم قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو قوله: وقالوا: **﴿يا ويلنا قد كنا﴾** في الدنيا **﴿في غفلة من هذا﴾** اليوم **﴿بل كنا ظالمين﴾** أنفسنا بتكذيب الرسل، ثم خاطب أهل مكة فقال:

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأوثان **﴿حصب جهنم﴾** الحصب: ما رميت به في النار، قال ابن عباس:

---

(١) يس: ٥٠

(٢) قراءة (وحرم) بكسر الحاء واسكان الراء من غير ألف، قرأ بها حمزة والكشافي وأبو بكر انظر السبعة ص ٤٣١ والنشر ٢/٣٢٤.

(٣) أحمد بن سليمان بن عبد الملك بن أبي شيبة الجزري ت سنة ٢٦١ هـ تهذيب التهذيب ١/٣٣

(٤) جبلة بن سحيم اليمني أبو سويرة ت سنة ١٢٦ هـ تهذيب التهذيب ٢/٦١

(٥) في (هـ) المستمر

(٦) في هـ، د اليلا

(٧) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير: سورة الأنبياء وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه المستدرك ٢/٣٨٤، ابن ماجة في الفتن حديث رقم ٤٠٨١ ٢/١٣٦٥ابن جرير ١٧/٧٢

يريد وقودها[(١)]، وقال مجاهد وقتادة وعكرمة حطبها، وقال الضحاك: يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء ﴿**أنتم لها واردون**﴾ فيها داخلون ﴿**لو كان هؤلاء**﴾ يعني: الأصنام ﴿**آلهة**﴾ كما يزعم الكفار ﴿**ما وردوها**﴾ يعني: العابدين والمعبودين لقوله﴿**وكل فيها خالدون لهم فيها**﴾ في جهنم ﴿**زفيروهم فيها لا يسمعون**﴾ قال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب[(٢)] غيره.

قوله ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**﴾[(٣)] قال أكثر المفسرين: لما نزل ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ أتى ابن الزبعرى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألست تزعم أن عزيراً رجل صالح وأن عيسى رجل صالح وأن مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى، قال: فإن الملائكة وعيسى ومريم وعزيراً يعبدون من دون الله فهؤلاء في النار فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني هؤلاء الذين ذكرهم سبقت لهم من الله السعادة ﴿**أولئك عنها**﴾ عن جهنم ﴿**مبعدون لا يسمعون حسيسها**﴾ أي حسها وحركة تلهبها والحس والحسيس الصوت تسمعه من الشيء يمر منك قريباً ﴿**وهم فيما اشتهت أنفسهم**﴾ من النعيم ﴿**خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾ قال أكثرهم: يعني: إطباق جهنم على أهلها وقال الحسن: هو أن يؤمر بالعبد إلى النار، وقال ابن جريج: هو ذبح الموت بين الفريقين[(٤)]أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا محمد بن أحمد السراج، أنا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا عباد بن أحمد العرزمي، نا عمي عن أبيه عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أم[(٥)] به قوماً محتسباً ورجل أذن محتسباً ومملوك أدى حق الله عز وجل وحق مواليه وتتلقاهم الملائكة وتستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا[(٦)]»

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ملكاً يقال له سجل هو الذي يطوي كتب بني آدم، إذا رفعت إليه وهذا قول السدي قال: السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان دفع إليه كتابه فطواه ونحو هذا روي عن ابن عمر أنه قال: السجل ملك[(٧)] والمراد بالكتاب والكتب على إختلاف القراءتين[(٨)] الصحائف

---

(١) في هـ: وقوعها.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب التفسير سورة الأنبياء ـ بألفاظ متقاربة وقال: رواه الطبراني، وفيه الحماني وهو ضعيف.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة، مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الأنبياء ١٠/٣٦٠.

(٤) تقدم حديث ذبح الموت في سورة مريم عند قوله تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة)

(٥) في أ: أمر.

(٦) قال الهيثمي رواه الترمذي باختصار وقد رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقرىء ذكره ابن حبان في الثقات. انظر مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فضل الاذان ١/٣٢٧.

(٧) في هذا نظر فلقد جاء في كتب اللغة أن السجل: كتاب العهد ونحوه وجاء في التفسير أن السجل الصحيفة التي فيها الكتاب وأمرنا أن نفسر كلام الله بما يتفق ومقاييس اللغة العربية التي نزل بها القرآن وأيد ابن جرير هذا الرأي بعد أن أورد رأي الواحدي ١٧/٧٨.

(٨) قراءة (للكتاب) بالألف قرأبها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر، أما قراءة (للكتب) بغير ألف جمعاً فقد=

كما تقول: كطي زيد الكتب وتكون اللام زائدة كقوله ﴿ردف لكم﴾[١] وقال مجاهد السجل: الصحيفة فيها الكتب وهو قول قتادة والكلبي وإختيار الفراء[٢] وابن قتيبة[٣] وعلى هذا القول الكتاب والكتب يراد بها المكتوب ولما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة جعل السجل كأنه يطوي الكتاب، وقوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم أول. أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا محمد بن كثير، أنا سفيان حدثني المغيرة بن النعمان[٤] حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ألا إن أول من يكسى يوم القيامة[٥] إبراهيم» رواه البخاري عن محمد بن كثير وقال الزجاج المعنى: نبعث الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء والخلق ها هنا: مصدر لا يعني المخلوق وقوله ﴿وعداً علينا﴾ أي وعدناكم ذلك وعداً علينا ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدناكم من ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

وقوله ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من السماء ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أم الكتاب الذي عند الله هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد واختيار الزجاج قال: الزبور جميع الكتب التوراة والإنجيل والقرآن [زبور][٦] لأن الزبور والكتاب في معنى واحد يقال زبرت الشيء [وكتبت] [٧] وقوله ﴿أن الأرض﴾ يريد أرض الجنة كقوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾[٨] ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني: المؤمنين العاملين بطاعة الله يرثونها كقوله ﴿يرثون الفردوس﴾[٩] ﴿إن في هذا﴾ يعني: القرآن ﴿لبلاغاً﴾ لكفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة وتبلغ[١٠] أي كفاية، والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة، وقوله ﴿لقوم عابدين﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سماهم عابدين ونحو هذا روي عن رسول الله ﷺ أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ[١١] أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة نا الفضل بن محمد بن إبراهيم الشعبي[١٢]، نا عبد الله بن أبي عثمان، نا عبد الرحيم العمي[١٣] عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

= قرأبها حمزة والكشافي وخلف وحفص عن عاصم. انظر النشر ٢/٣٢٤.

(١) النمل: ٧٢

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٣

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)

(٤) المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٧١.

(٥) البخاري كتاب التفسير سورة الأنبياء ٦/١٢٢ ط الشعب.

(٦) ليست في هـ

(٧) ما بين القوسين ساقط من جـ، هـ.

(٨) الزمر: ٧٤

(٩) المؤمنون: ١١

(١٠) تفسير ابن جرير ١٧/٨٢

(١١) إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان بن رزين انظر: ميزان الاعتدال ١/٢١٥

(١٢) الفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل الشعبي ت سنة ٣٠٨ هـ/لسان الميزان ٦/٨٢

(١٣) عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي البصري أبو زيد. تهذيب التهذيب ٦/٣٠٥

قرأ إنَّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ثم قال: هي الصلوات الخمس في الجماعة في المسجد[١] ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ قال ابن عباس: يريد للبر والفاجر لأن كل نبي غير محمد إذا كذّب أهلك الله من كذبه وأخر من كذبه إلى موت أو قيامة والذي صدقه عجلنا له الرحمة في الدنيا والآخرة وقد قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[٢] أخبرنا أبو إبراهيم الصوفي، أنا أبو عمرو بن مطر، أنا محمد[٣] بن عبدوس نا محمد بن عباد، نا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»[٤].

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إلّه واحد فهل أنتم مسلمون﴾ منقادون إلى ما يوحي إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الأمر كقوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [٥] ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم للحرب ﴿على سواء﴾ أي إيذاناً على سواء إعلاماً يستوي في علمه الجميع، ولم نبدأ به دونكم لتتأهبوا لما يراد منكم ﴿وإن أدري﴾ ما أدري ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يعني: أجل القيامة لا يدري به أحد [إلا الله] [٦] ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ ما تعلنون ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ سركم لا يغيب عن علمه شيء منكم ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ قال الزجاج: ما أدري [٧] لعل ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبار، يعني ما أخبرهم به من أنه لا يدري وقت عذابهم وهو القيامة فكأنه قال لعل تأخير العذاب عنكم اختبار [لكم] [٨] ليرى كيف صنيعكم، وقوله ﴿ومتاع إلى حين﴾ أي تستمتعون إلى انقضاء آجالكم، قوله ﴿قل رب احكم بالحق﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي هو حق نازل بهم ويدل على هذا ما روي أنه كان إذا شهد قتالاً قال رب احكم بالحق[٩] قال الكلبي فحكم عليهم بالقتل يوم بدر[١٠]

---

(١) الدر المنثور عن ابن عباس ٥/٦٨٧ طـ دار الفكر، ولكن هذا الحديث ضعيف وذلك لضعف عبد الرحيم بن زيد العمي فقد حكم علماء الجرح والتعديل بأنه متروك الحديث انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي: ٣/٧٨ والتاريخ الكبير للبخاري ٣/٢/١٠٤ والميزان ٢/٦٠٥

(٢) الدارمي ١/٩ طـ دار إحياء السنة.

(٣) ساقط من جـ

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ص ٢٠٠٦ طـ الحلبي.

(٥) المائدة: ٩١

(٦) عن أ فقط

(٧) لفظ ما أدري ساقط من جميع النسخ عدا هـ

(٨) ساقط من جـ

(٩) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ١٧/٨٤.

(١٠) يقصد غزوة بدر وكانت بين المسلمين ومشركي قريش وتمت في رمضان من السنة الثانية للهجرة وكان النصر فيها للمسلمين انظر سيرة ابن هشام ١/٦٠٦ وأُحد: وكانت أيضاً بين المسلمين ومشركي قريش وكانت عند جبل أحد وعلى مشارف المدينة وكان النصر فيها=

ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين ويوم الخندق والمعنى على هذا افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقرأ حفص قال رب احكم بالحق[1] يعني [قال][2] الرسول ذلك، وقوله ﴿**وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون**﴾ من كذبكم وباطلكم في قولكم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقولكم ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ والوصف بمعنى الكذب ذكر في مواضع من التنزيل كقوله ﴿سيجزيهم وصفهم﴾[3] وقوله ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾[4].

= في بادىء الأمر للمسلمين ثم لما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ كر عليهم المشركون فسلبوهم النصر انظر سيرة ابن هشام ٢/٦٠ ط الحلبي. ويوم الأحزاب يقصد يوم تخريب الأحزاب بفعل يهود قريش وغطفان وأشجع ومرة في شوال من السنة الخامسة لاستئصال شأفة المسلمين بالمدينة ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ورجعوا بخفي حنين سيرة ابن هشام ٢/٢١٤ ط الحلبي. ويوم حنين: يقصد غزوة حنين في السنة الثامنة بعد الفتح وكانت بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف كان النصر فيها حليفاً للمسلمين، انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٣٧

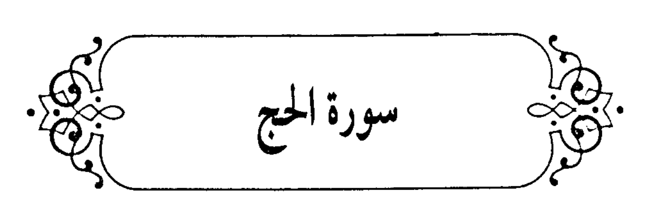
(١) النشر ٢/٣٢٥ السبعة ص ٤٣١

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) الأنعام: ١٣٩.

(٤) الأنبياء: ١٨.

ويؤيد هذا الرأي ما جاء في لسان العرب «مادة وصف» وقوله عز وجل: (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أراد ما تصفون من الكذب.



سورة الحج

مدنيّة وآياتها ثمان وسبعون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن جعفر الحيري، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي»[1] بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾

﴿**يا أيها الناس**﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة[2] ﴿**اتقوا ربكم**﴾ اتقوا عقابه بطاعته ﴿**إن زلزلة الساعة**﴾ الزلزلة: شدة الحركة على الحال الهائلة قال علقمة والشعبي: هي من اشراط الساعة وهي في الدنيا قبل يوم القيامة، وقال الحسن والسدي وهذه الزلزلة تكون يوم القيامة[3] وروي عن ابن عباس أنه قال: زلزلة الساعة قيام الساعة يعني: أنها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقوله ﴿**شيء عظيم**﴾ يعني: أنه لا يوصف لعظمه ﴿**يوم ترونها**﴾ ترون تلك الزلزلة ﴿**تذهل**﴾ في هذا[4] اليوم ﴿**كل مرضعة عما أرضعت**﴾ تنسى وتترك كل والدة ولدها يقال: وهل عن كذا يذهل ذهولاً إذا تركه أو شغله عنه شاغل، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهو قوله ﴿**وتضع كل ذات حمل حملها**﴾ يعني: من هول ذلك اليوم وهذا يدل على أن هذه الزلزله تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حبلى وعند شدة الفزع تلقي المرأة جنينها ﴿**وترى الناس سكارى**﴾ من شدة الخوف ﴿**وما هم**

---

(١) بينا بأن هذه الاحاديث موضوعة في أول سورة مريم ونزيد هنا ما قاله صاحب كتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس حيث يقول: ومن الأحاديث الموضوعة احاديث وضعها بعض الزنادقة أو جهلة المتصوفة في فضائل السور ـ إلا ما استثني ـ ولا يغتر بذكر الواحدي والثعلبي والزمخشري والبيضاوي لها في تفاسيرهم كما نبه على ذلك الحفاظ، وكما اشار إلى ذلك الحافظ العراقي بقوله:

وكل من أودعه كتابه كالواحدي مخطىء صوابه

كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد الفجلوتي ٢/٤١٤

(٢) هذا القول على التعريف القائل بأن المكي ما وقع خطابا لاهل مكة كيا أيها الناس والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ولكن هذا الرأي مرجوح لأنه تعريف غير جامع لجميع الآيات والسور ويراجع في ذلك مناهل العرفان للزرقاني ١/١٨٥.

(٣) روى ابن جرير هذه الاقوال في تفسيره ١٧/٨٥

(٤) في هـ: في ذلك.

بسكارى﴾ من الشراب هذا قول جميع المفسرين والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم يضطربون اضطراب السكران من الشراب يدل على صحة هذا قراءة من قرأ ﴿وتُرى الناس﴾[١] بضم[٢] التاء أي تظنهم قال الفراء: ولهذه القراءة وجه جيد[٣] وسكارى وقرىء سكرى[٤] قال الفراء: ولهذه القراءة وجه جيد في العربية لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى والمرضى والزمنى، والعرب تجعل فعلى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان [واحده][٥] فاعلا [أو كان][٦] فعيلا أو فعلان وقوله ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ دليل على ان سكرهم من خوف العذاب. اخبرنا الاستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد، أنا إبراهيم بن عبد الله العبسي[٧]، أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون[قال][٨] فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيقولون ومن ذلك الواحد فقال رسول الله ﷺ تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج وماجوج ومنكم واحد، فقال الناس: الله اكبر فقال رسول الله ﷺ: والله اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال: يكبر الناس، فقال رسول الله ﷺ: ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض[٩] رواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة[١٠] عن وكيع كلاهما عن الاعمش.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

قوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدال وكان ينكر ان الله قادر على إحياء من بلي[١١]، وقال عطاء عن ابن عباس يريد الوليد وعتبه بن ربيعة، والمعنى: أنه

---

(١) قرأ يونس بالاماله في الوصل بخلاف عنه والباقون بالفتح هذا في حال الوصل واما الوقف فوقف بالامالة المحضة أبو عمرو وحمزة والكسائي روى بين بين والباقون بالفتح كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر ص (٨٥).

(٢) ما بين الاقواس بياض في هـ.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٢/٢١٤.

(٤) قراءة وسكرى بفتح السين واسكان الكاف من غير ألف قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة صـ ٤٣٤ والنشر ٢/٣٢٥

(٥) ساقط من هـ.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) إبراهيم بن عبد الله العبسي أبو شيبة الكوفي ت سنة ٢٦٥ هـ التهذيب ١/١٣٦.

(٨) ساقط من هـ.

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ٦/١٢٢ ط الشعب ورواه مسلم في كتاب الايمان باب يقول الله لآدم أخرج ابعث النار ١/٢٠١ ط الحلبي بألفاظ متقاربة.

(١٠) أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ت سنة ٢٣٥ هـ البدايه والنهاية ١٠/٣١٥، تاريخ بغداد ١٠/٦٦، شذرات الذهب ٢/٨٥.

(١١) رواه ابن جرير ١٧/٧٩.

يخاصم في قدرة الله ويزعم أنه غير قادر على البعث بغير علم في ذلك إنما يقوله باغواء الشيطان وطاعته إياه وهو قوله **﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾** قال ابن عباس: المريد المتمرد على الله **﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾** قال ابن عباس: قضى الله إن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده وجره إلى عذاب السعير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكة **﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾** قال ابن عباس في: شك من القيامة **﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾** قال الزجاج: أي تدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فانكم لا تجدون في القدرة فرقا بين ابتداء الخلق وبين اعادته، وهو قوله **﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾** يعني: خلق آدم **﴿ثم من نطفة﴾** يعني خلق ولده **﴿ثم من علقة﴾** وهي الدم الجامد قبل أن ييبض وذلك ان النطفة المخلوق منها الولد تصير دما غليظاً ثم تصير لحماً وهو قوله **﴿ثم من مضغة﴾** والمضغة قطعة لحم وقوله **﴿مخلقة وغير مخلقة﴾** قال ابن الاعرابي: مخلقة قد برأ خلقه وغير مخلقة لم تصور[1]، قال السدي: هذا في السقط والمرأة تسقط النطفة بيضاء والعلقة تسقط قد صور بعضه، وتسقط وقد صور كله فعلى هذا القول المخلقة وغير المخلقة في السقط، وذهب الاكثرون إلى ان المخلقة ما أكمل خلقه فينفخ الروح فيه، وهو الذي يولد لتمام حياً وما سقط كان غير مخلقة أي غير حي بإكمال خلقه بالروح وهذا معنى قول ابن عباس رواية عطاء وعكرمة والكلبي ويدل على صحة التفسير: ما أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا أبو يحيى الرازي، نا العسكري، نا ابن أبي زائده[2] عن عامر عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه فقال: أي رب مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قيل غير مخلقة قذفتها الارحام دما ولم تكن نسمة وإن قيل مخلقة، قال رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ ما الاجل؟ ما الأثر؟ ما الرزق؟ بأي أرض تموت؟ فيقال اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها قصة هذه النطفة فيذهب فيجدها في أم الكتاب فتخلق فتعيش من أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في المكان الذي ثبت لها ثم تلا عامر يا أيها الناس إنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغه مخلقة وغير مخلقة [3] وقوله [**﴿لنبين لكم﴾** قال ابن عباس][4] لنبين لكم ما تأتون وما تذرون، يعني: أن الله خلق بني آدم ليبين لهم ما يحتاجون إليه في العبادة، وقال صاحب النظم ليبين لكم أن البعث حق، لأن الآية نزلت دلالة على البعث **﴿ونقر﴾** ونثبت **﴿في الأرحام ما نشاء﴾** فلا يكون سقطاً **﴿إلى أجل مسمى﴾** إلى

(١) تهذيب اللغة للازهري ٧/٢٨.

(٢) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني أبو سعيد الكوفي ت سنة ١٨٤ هـ عن ثلاث وتسعين سنة انظر التقريب ٢/٢٤٧.

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ٤/٢٠٣٦ ط الحلبي.

(٤) ساقط من هـ.

أجل الولادة ﴿**ثم نخرجكم طفلاً**﴾ قال الزجاج: طفلاً في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعة ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم**﴾ [فيه إضمار تقديره ثم نعمركم لتبلغوا أشدكم][١] يعني: الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين [إلى الاربعين][٢] ﴿**ومنكم من يتوفى من قبل**﴾ بلوغ الاشد ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر**﴾ أي أخسه وأدونه، وهو الخرف ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾ قال ابن عباس: يبلغ السن من بعد ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصير بهذه الحالة واضح بقوله ﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين [آمنوا وعملوا][٣] الصالحات]﴾[٤] قال: الا الذين قرأوا القرآن ثم دلهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال ﴿**وترى الأرض هامدة**﴾ قال ابن عباس: هي التي تلبدت وذهب عنها الندى، وقال مجاهد: هالكة يعني جافة يابسة [وقال ابن قتيبة ميتة يابسة][٥] كالنار إذا طفئت فذهبت ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**﴾ تحركت بالنبات، وذلك ان الأرض ترتفع عن النبات فذلك تحركها وهو معنى قوله: ﴿**وربت**﴾ أي ارتفعت [وزادت وقال المبرد أراد واهتز وربى نباتها فحذف المضاف والاهتزار][٦] في النبات أظهر يقال: اهتز النبات إذا طال ﴿**وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾ قال ابن عباس من كل صنف حسن والبهجة: حسن الشيء ونضارته والبهيج: الحسن، وقد بهج ومنه قوله: ﴿[حدائق][٧] ذات بهجة﴾[٨] أي تبهج الناظر وتمتعه برؤيتها قوله ﴿**ذلك بأن الله**﴾ أي فعل الله ذلك يعني: ما ذكر من ابتداء الخلق وإحياء الأرض بأنه ﴿**هو الحق**﴾ أي ذو الحق يعني: أن جميع ما يأمر به ويفعله هو الحق لا الباطل كما يأمر به الشيطان من الباطل ﴿**وأنه يحيـي الموتى**﴾ أي وبأنه يحيـي الموتى، والمعنى: فعل ما فعل بقدرته على إحياء الموتى وبأنه قادر على ذلك، وقادر على ما أراد وهو قوله ﴿**وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة**﴾ أي ولتعلموا ان الساعة ﴿**آتية**﴾ والمعنى بدء الخلق وإحياء الارض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها إن القيامة آتية وأن البعث حق وهو قوله ﴿**وأن الله يبعث من في القبور**﴾.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

وقوله ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾ تقدم تفسيره وقوله ﴿**ولا هدى [ولا كتاب منير**[٩]]﴾ قال ابن عباس: ليس معه من ربه رشاد ولا بيان ولا كتاب له نور ﴿**ثانيَ عطفه**﴾ يقال: ثنيت الشيء إذا عطفته ومنه قوله ﴿يثنون صدورهم﴾[١٠] والعطف: الجانب وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان أي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء، قال ابن عباس: مستكبراً في نفسه، وقال مجاهد وقتادة: لاويَ عنقه، وقال ابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه كبرا، وقال الزجاج: وهذا لا يوصف به المتكبر والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله منكرا، وقوله ﴿**ليضل عن سبيل الله**﴾ ليذهب عن طاعة الله، والمعنى: أنه يجادل ليضل عن سبيل الله لا أن له على ما

(١) ساقط من د.
(٢) ساقط من جـ.
(٣) ساقط من د، وعملوا الصالحات ليست في هـ.
(٤) التين: ٥، ٦.
(٥) ساقط من هـ والعباره في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٠).
(٦) ساقط من د، هـ.
(٧) ليست في هـ.
(٨) النمل: ٦٠.
(٩) ساقط من أ، ب، هـ.
(١٠) هود: ٥.

يجادل فيه حجة ﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: ما أصابه يوم بدر وهو أبو جهل قتل بدر[١] وأوعد بعذاب الآخرة وهو قوله ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ والآية مفسرة في سورة الأنفال.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾

قوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ اكثر المفسرين قالوا على شك [وضلالة][٢] وأصله: من حرف الشيء وهو طرفه، نحو حرف[٣] الجبل والدكان والحائط الذي عليه القائم غير مستقر، فالذي يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه، فهو يعرض ان يقع في أحد جانبي الطرف فقيل للشاك في دينه إنه يعبد الله على حرف لأنه ليس على يقين في وعده ووعيده بخلاف المؤمن لانه لو عبده على يقين وبصيرة، ولم يكن على حرف يسقط عنه بأدنى شيء يصيبه وهذا المعنى ظاهر في قوله ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثر ماله إطمأن على عبادة الله بذلك الخير ﴿وإن أصابته فتنة﴾ اختبار بجدب وقلة ماله ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان، والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة [مهاجرين من باديتهم][٤] فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه مهراً حسنا وكثر ماله رضي واطمأن وقال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا خيراً وإن أصابه وجع [المدينة][٥] وولدت امراته جارية واجهضت رماكه[٦] وذهب ماله أتاه الشيطان [فقال][٧] ما أصبت في هذا الدين إلا شرًّا فينقلب عن الدين[٨] وقوله ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ يعني: هذا الشاك خسر دنياه حيث لم يظفر[٩] بما طلب من المال، وخسر آخرته بارتداده عن الدين ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الخسران المبين﴾ الضرر الظاهر ﴿يدعو من دون الله﴾ أي هذا المرتد يعبد سوى الله ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده ﴿ولا ينفعه﴾ إن اطاعه ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد، ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيدا قيل لضره إنه أقرب من نفعه على معنى انه كائن وقوله ﴿لبئس المولى﴾ أي الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ أي

---

(١) العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن ابن جريج بدون تحديد لشخص معين. تفسير الطبري ٩٣/١٧.

(٢) ساقط من د، هـ.

(٣) في جـ: طرف جبل ساقط من د.

(٤) عن جـ فقط.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) الرمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل والرمكة كل لون يخالط غيرته سواد ولون الرماد (اللسان رمك).

(٨) البخاري كتاب التفسير سورة الحج ذ ١٢٣/٦ ط الشعب.

(٩) في جـ: يظهر.

الصاحب والمخالط يعني الصنم، يخالطه العابد ويصاحبه، ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ وقوله ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان، قوله ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ أي لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً وهو تفسير قوله ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ فليشدد حبلا في سقفه ﴿ثم ليقطع﴾ أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، والمعنى: فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله مظهره ولا ينفعه غيظه وهو قوله ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي صنيعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده وغيظه ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آيات بينات﴾ وقال ابن عباس: يريد لأهل التوحيد ﴿وأن الله [يهدي]﴾[١] [أي وأنزلنا إليك ان الله يهدي][٢] ﴿من يريد﴾ [قال ابن عباس: يريد أهل التوحيد][٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ ظاهر متقدم إلى قوله ﴿إن الله يفصل بينهم﴾ يقضي بينهم ﴿يوم القيامة﴾ بإدخال المؤمنين الجنة والآخرين[٤] النار ﴿إنّ الله على كل شيء﴾ من اعمال هؤلاء ﴿شهيد﴾ عالم بما شاهده

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم ﴿أن الله يسجد له من في السموات﴾ يعني: أهل السماوات إلى قوله ﴿والدواب﴾ وصف الله تعالى هذه الاشياء بالسجود له وهو خضوعها وذلتها[٥] وانقيادها لخالقها فيما يريد منها ومعنى السجود في اللغة: الخضوع، وقوله ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ فقال ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ [أي ممن ﴿لا﴾[٦] يوحده وأبى السجود، قال الفراء: قوله حق عليه العذاب يدل على أن المعنى: وكثير أبى السجود

---

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) من جـ فقط.

(٤) فيما عدا هـ والاخرين

(٥) في د، تذللها.

(٦) ساقط من أ.

لأنه لا يحق عليه العذاب[١] إلا بتركه السجود[٢] **﴿ومن يهن الله فماله من مكرم﴾** من يشقه الله فما له من مسعد **﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾** في خلقه من الاهانة والكرامة والشقاوة والسعادة.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله **﴿هذان خصمان﴾** الفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا جميعاً في قوله إن الذين آمنوا والخصم يقع على الواحد [والجميع][٣] ولهذا قال **﴿اختصموا في ربهم﴾** لانهم جمعان وليسا برجلين ومثله **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾**[٤] والمعنى: اختصموا في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين: نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون: بل نحن أحق بالله منكم[٥] آمنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم أنتم بنبينا حسداً فكان هذا خصومتهم في ربهم وهذا قول جماعة المفسرين، وكان أبو ذر يقسم أن هذه الآية نزلت في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي، نا يوسف بن يعقوب القاضي، نا عمرو بن مرزوق، أنا شعبة عن أبي هاشم عن أبي مجلز قيس بن[٦] عباد قال سمعت ابا ذر يقول: أقسم بالله لنزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم في هؤلاء الستة حمزة وأبي عبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة[٧] رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم[٨] ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان كلاهما عن أبي هاشم وهو ما عليه جماعة المفسرين ثم بين حال الفريقين فقال **﴿الذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار﴾** قال الازهري[٩]: أي سويت وجعلت لبوسا لهم[١٠] وقال ابن عباس: حين صارو إلى جهنم ألبسوا مقطعات النيران وقوله **﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾** روى أبي هريره أنه قرأ هذه الآية ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوف الكافر فيسلت ما في جوفه حتى يحرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما[١١] كان وهذا معنى قوله تعالى **﴿يصهر به﴾** أي بذلك الحميم **﴿ما في بطونهم والجلود﴾** وفسر الصهر بالاذابة والاحراق

---

(١) ساقط من هـ ما بين الاقواس من قوله: أي ممن.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٩ بتصرف.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) في جـ: لانا أمنا ولفظ منكم ساقط من هـ.

(٦) قيس بن عباد القيسي الضبعي أبو عبد الله البصري قتله الحجاج انظر التهذيب ٨/ ٤٠٠.

(٧) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ٦/١٢٣، مسلم في كتاب التفسير باب قوله تعالى هذان خصمان اختصموا إلى ربهم ٤/٢٣٢٣.

(٨) هشيم بن بشير بن أبي حازم ت سنة ٨٣ هـ تذكرة الحفاظ ٢٤٨١.

(٩) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الازهر الازهري الشافعي ولد سنة ٢٨٢ ت سنة ٣٧٠ مقدمة تهذيب اللغة، شذرات الذهب ٣/٧٢، بغية الوعاة (٨).

(١٠) تهذيب اللغة للازهري ١/١٨٨.

(١١) رواه الترمذي في كتاب أبواب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/٣٠٧ ط الحلبي، والحاكم في كتاب التفسير سورة الحج وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرك مع التلخيص ٢/٣٨٧.

والإنضاج، وهو قول المفسرين [قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج وقال قتادة ومجاهد تذاب والمعنى: أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق[1] بهذا] الحميم وتشوى جلودهم فيتساقط من حره، قوله ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾ قال الليث المقمعة شبه الجزر من الحديد يضرب بها الرأس وجمعها المقامع[2] من قولهم قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً.

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن علي، نا يحيى [3] بن يحيى، نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع الثقلان ما أقلّوه من الارض[4] قال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم**﴾ يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم حتى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع، قال المفسرون: ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى اعلاها فيريدون الخروج منها فيردهم الخزان فيها ويقولون لهم ﴿**ذوقوا عذاب الحريق**﴾ والحريق: اسم من الاحتراق، وقال الزجاج: وهذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الآخر ـ الذين هم المؤمنون:

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا**﴾ الآية ـ وهي مفسرة في سورة الكهف إلى قوله ﴿**ولؤلؤ**﴾ وهو ما يستخرج من البحر والمعنى: انهم يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ أي منها بأن يرصع اللؤلؤ في الذهب وقرىء ولؤلؤا[5] بالنصب على ويحلون لؤلؤا وقوله ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾ يعني انهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال قال أبو سعيد الخدري من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة كلهم غيره قال الله عز وجل ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾.

أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا بشر بن أحمد بن بشر، نا يحيى بن محمد البحتري، نا عبيد الله بن معاذ، نا أبي، نا شعبة حدثني خليفة بن كعب[6] قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول لا تلبسوا الحرير فاني سمعت عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخره [ومن لم يلبسه[7] في الآخرة] لم يدخل الجنة لأن الله تعالى يقول ﴿ولباسهم فيها حرير﴾[8] ﴿**وهدوا إلى الطيب من القول**﴾ قال ابن عباس: يريد لا اله

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) تهذيب اللغة للازهري ١/ ٢٩٤.

(٣) يحيى بن يحيى بن قيس الغساني. الميزان ٤/ ٤١٣.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أبي سعيد الخدري بالفاظ متقاربة المسند ٢/ ٢٩ والمقصود بالثقلين: الانس والجن، وفي سند هذا الحديث ابن لهيعة وفيه ضعف.

(٥) قراءة (ولؤلؤا) بالنصب قرأ بها عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٥ والنشر ٢/ ٣٢٦.

(٦) خليفة بن كعب التميمي أبو ذبيان البصري، تهذيب ٣/ ١٦٢.

(٧) ساقط من هـ، د.

(٨) رواه البخاري في باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز فيه من غير «من لم يلبسه.. الخ» كذلك في مسلم: كتاب اللباس

إلا الله والحمد لله وزاد ابن زيد: والله أكبر وقال السدي: إلى القرآن ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أرشدوا إلى الاسلام وهو دين الله وطريقه والحميد في أفعاله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ عطف المضارع على لفظ الماضي لأن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ويقوي[١] هذا قوله ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾[٢] ويجوز أن يكون المعنى: إن الذين [كفروا][٣] فيما مضى وهم الان يصدون مع ما تقدم من كفرهم، والمعنى: يمنعون الناس عن طاعة الله ﴿والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء﴾ أي مستقراً ومنسكاً وتعبداً كما قال: ﴿وضع للناس﴾[٤] قال المفسرون: جعلناه للناس خلقناه وبنيناه[٥] للناس كلهم لم نخص به منهم بعضاً دون بعض، قال الزجاج: جعلناه للناس وقف التمام، ثم قال: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ وسواء رفع على انه خبر ابتداء مقدم، المعنى: العاكف والبادي فيه سواء، ومن نصب فقال سواء كان التقدير مستوياً فيه العاكف والباد، فرفع العاكف بسواء كما يرفع بمستوى العاكف المقيم فيه والبادي الذي ينتابه من غير أهله في قول الجميع ومعنى البادي النازع إليه من غربة، من قولهم بدا القوم إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء وإنما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس أحدهما باحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أن لا يخرج أحد من بيته، وهذا قول قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس ومن مذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام[٦] بالمسجد الحرام على قولهم الحرم كله كقوله ﴿أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾[٧] وقال آخرون: المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه، وظاهر القرآن يدل على هذا، والمراد باستواء العاكف والبادي فيه استواؤهما في تفضيله وتعظيم حرمته، وإقامة المناسك به وهذا مذهب مجاهد والحسن وقول من أجاز بيع دور مكة وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدعون أنهم أربابه وولاته وقوله ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ [اتفقوا على ان الباء في بإلحاد زيادة والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم][٨] ومعنى الالحاد في اللغة العدول عن القصد واختلفوا في معناه ها هنا فقال مجاهد وقتادة هو الشرك وعبادة غير الله، وقال آخرون: هو كل شيء كان منهياً

= البخاري ١٩٣/٧ ط الشعب، مسلم ٦٤٤/٣ ط الحلبي وقد رواه أحمد بن حنبل في المسند ونبّه على أن عبارة من لم يلبسه... الخ من كلام ابن الزبير ٢٥١/١ ط دار المعارف.

(١) فيما عدا جـ على هذا.

(٢) النحل: ٨٨ وفي النسخ بلفظ إن الذين كفروا والتصحيح من المصحف

(٣) ساقط من جـ.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) في هـ وبيناه.

(٦) يراجع في ذلك تفسير الألوسي سورة الحج ١٣٨/١٧ فقد ذكر هذه القضية بتفصيل وتوضيح أكثر.

(٧) الاسراء: ١.

(٨) ساقط من هـ اتفقوا على أن الباء في بإلحاد زيادة: فهذا غير مسلم فإن في الآية وجوها اخرى: منها أن الباء للملابسة، أو الباء للسببية أو للتعديه انظر الألوسي سورة الحج ١٣٨/١٧ وقال الزركشي في البرهان: الجمهور على انها - يقصد الباء - لا تجيء زائدة وانه إنما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدمها على السواء وليس كذلك في هذا الموضع البرهان ٢٥٣/٤.

عنه، وحتى شتم الخادم وقال عطاء: هو دخول مكة بغير إحرام، وأذى حمام مكة وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها، وعلى هذا القول الالحاد بالظلم هو استحلال محظورات الاحرام وركوبها وقال الضحاك: ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها ونحو هذا قال ابن مسعود فيما أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري[١]، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن يحيى، نا محمد بن يوسف[٢] عن سفيان عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ قال لو أن رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو أن رجلاً همّ بقتل رجل عند البيت وهو بعدن أبين[٣] أذاقه الله من عذاب أليم[٤] قال السدي: إلا أن يتوب.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قوله ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم ومعنى بوأنا ها هنا: بيناً مكان البيت، قال السدي: أن الله تعالى لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً[٥] فكنست له ما حول الكعبة عن الاساس الاول الذي كان البيت عليه قبل أن يرفع أيام الطوفان[٦] وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فيها رأس يتكلم فقامت بحيال البيت وقالت: يا إبراهيم ابن علي قدري[٧] وقوله ﴿ألا تشرك بي شيئاً﴾ أي وأوحينا إليه[٨] الا تعبد معي غيري، قال المبرد: كأنه قيل له وحدني في هذا البيت لأن معنى: لا تشرك بي شيئاً وحد الله وطهر بيتي من الشرك وعبادة الأوثان والآية مفسرة في سورة البقرة، قوله: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ قال جماعة المفسرين: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله أذن وعلي البلاغ فعلا على المقام فأشرف به حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وغرباً وقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم فأجابه من كان في أصلاب الرجال

---

(١) أبو بكر بن الحسن الحيري ت سنة ٤٢١ هـ وله ست وتسعون سنة دول الاسلام ١/ ٢٥١.

(٢) محمد بن يوسف البخاري أبو أحمد البيكندي تهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٨.

(٣) عدن أبين مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. معجم البلدان ٤/ ٨٩.

(٤) قال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح مجمع الزوائد ٧/ ٧٠ كتاب التفسير سورة الحج. والحاكم في المستدرك كتاب التفسير سورة الحج ٢/ ٣٨٧.

(٥) الخجوج من الريح الشديد المر. اللسان خجج.

(٦) رواه ابن جرير عن السدي: ١٧/ ١٠٥، ولكن السدي متروك الحديث.

(٧) رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن السدي انظر الدر المنثور ٦/ ٣١ ط دار الفكر ومن الثابت أن الكلبي متهم في حديثه فلا يعتد بحديثه هذا.

(٨) في هـ: اليك.

وأرحام النساء لبيك اللهم لبيك[١] أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا القاسم بن غانم بن حمويه، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا زكريا بن يحيى[٢]، نا أبو خلف عبد الله بن عيسى[٣] الخزاز، نا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لما أمر الله إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس صعد أبا قبيس[٤] ووضع أصبعيه في أذنيه وقال يا أيها الناس أجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال [وأول][٥] من أجابه أهل اليمن فليس أحد يحج البيت إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم ذلك اليوم[٦] فذلك قوله ﴿**يأتوك رجالاً**﴾ فمن أتى الكعبة حاجا فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداء ورجال جمع راجل مثل قائم وقيام ﴿**وعلى كل ضامر**﴾ أي ركبانا والضمور: الهزال، قال ابن عباس: يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد ضمر، والمعنى: **يأتوك** مشاة وركبانا أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق [المزكي][٧]، أنا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن حاتم، نا يحيى بن سليم الطائفي عن محمد بن مسلم عمن ذكره وهو إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لبنيه: يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا إليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قال قيل: وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف[٨] وقوله: ﴿**يأتين من كل فج عميقٍ**﴾ أي طريق بعيد وذكرنا الفج عند قوله ﴿**فجاجاً سبلاً**﴾[٩] أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه، أنا محمد بن أحمد بن سنان، أنا أحمد بن علي الموصلي ، نا إبراهيم بن الحجاج، نا صالح المري عن يزيد[١٠] الرقاشي عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبراً أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق، فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئهم لمحسنهم، واعطيت لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم، فإذا افاض القوم إلى جمع ووقفوا، عادوا في الرغبة والطلب [إلى الله يقول: ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب][١١] فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم[١٢]قوله تعالى ﴿**ليشهدوا**﴾ ليحضروا: يعني: الذين يأتون ﴿**منافع [لهم]**﴾ أكثر المفسرين: جعلوها منافع][١٣]الدنيا، وقالوا: يعني: التجارة والاسواق وهو قول سعيد بن جبير والسدي وابن عباس في رواية أبي رزين ومنهم من خصها بمنافع الآخرة وهو قول سعيد بن المسيب والعوفي، واختيار الزجاج، قال: ليشهدوا ما

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك موقوفاً على ابن عباس باختصار المستدرك كتاب التفسير سورة الحج ٢/٣٨٩ وابن جرير في تفسيره ١٧/١٠٦.

(٢) زكريا بن يحيى الباهلي انظر: تاريخ بغداد ٨/٤٥٨.

(٣) عبد الله عيسى الخزاز أبو خلف البصري: التهذيب ٥/٣٥٣.

(٤) أبو قبيس: جبل بمكة.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في الدر المنثور رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس الدر المنثور ٦/٣٢ طـ دار الفكر ورواه ابن جرير في تفسيره بالفاظ متقاربة ١٧/١٠٦.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٨) رواه الحاكم في كتاب المناسك باب فضيلة الحج ماشيا وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرك ١/٤٦١.

(٩) الانبياء: ٣١.

(١٠) يزيد الرقاشي: ابن ابان الرقاشي البصري الميزان ٤/٤١٨.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه صالح المري وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الحج، باب فضيلة الوقوف بعرفة والمزدلفة ٣/٢٥٧.

(١٣) ساقط من هـ، د.

ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم ومنهم من جعلها شائعة في الاجر والتجارة وهو قول مجاهد ورواية عطاء عن ابن عباس قال: منافع لهم في الدنيا والآخرة أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة، نا المفضل بن محمد بن إبراهيم[١] الشعبي، نا محمد بن يوسف، نا أبو فرة قال ذكر أبو الحكم عن عبد الله بن المبارك [٢] عن عبد الله بن لهيعة عن كثير بن الحارث عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول إذا وقف بعرفة: اللهم انك دعوت إلى حج بيتك ووكدت المنفعة على شهود مناسكك وقد جئتك فاجعل منفعة ما تنفعني به أن تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وان تقيني عذاب النار وقوله ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ﴾ قال الحسن ومجاهد يعني: أيام العشر قيل لها معلومات للحرص[٣] على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد أيام الحج وهي يوم [٤] عرفة والنحر وأيام التشريق واختاره الزجاج قال: لأن الذكر ها هنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي على ذبح ما رزقهم من البدن [من الابل][٥] والبقر والضأن والمعز، هذه الأيام تختص بذبح الأضاحي، قال قتادة: كان يقال: إذا ذبحت نسيكتك فقل: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك عن فلان وأول وقت الذبح إذا مضى صدر يوم النحر إلى أن تغرب الشمس من آخر أيام التشريق وقوله ﴿فكلوا منها﴾ يعني: من الأنعام التي تنحر وهذا أمر إباحة إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله أن ذلك جائز، هذا قول جماعتهم غير أن هذا في هدي كان صاحبه متطوعاً به فأما إذا كان في كفارة أو جبرانا لنقصان فلا يحل لصاحبه الأكل[٦] منه، وقوله: ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البؤس: هو شدة الفقر، قوله ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ التفث: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث وقضاؤه نقضه وإذهابه والحاج مغير شعث لم يدهن ولم يستحدّ فإذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالقلم والحلق وقص الشارب[٧] وليس الثياب ونتف الإبط وحلق العانة فهو قضاء التفث، قال الزجاج: كأنه الخروج من الإحرام إلى الاحلال، قوله ﴿وليوفوا نذورهم﴾ قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البدن وقال آخرون: يعني: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، وربما ينذر الرجل أن يتصدق إن رزقه الله لقاء الكعبة وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل أن يتصدق ويهديها إلى أهل مكة ولذلك قال: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أي: وليوفوها بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالايفاء الاتمام وقوله ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ يعني الطواف الواجب ويسمى طواف الافاضة[٨] [لأنه يكون بعد الإفاضة] حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو العباس بن يعقوب المعقلي، نا ابو بكر محمد بن اسحاق الصغاني[٩] نا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث، حدثني عبد الرحمن بن[١٠] خالد عن ابن شهاب عن محمد

---

(١) المفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل بن عامر بن شراحيل الشعبي ت سنة ٣٠٨ اللسان ٨٢/٦.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي أبو عبد الرحمن المروزي ت سنة ١٨١ عن ثلاث وستين سنة. تاريخ بغداد ١٥٢/١٠، تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ التهذيب ٣٨٢/٥.

(٣) في جـ: للجزم.

(٤) في هـ والفجر بدلا من النحر.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) الام للشافعي ٢٣٢/٢ ط الشعب.

(٧) في د: الاظفار.

(٨) في هـ: الاضافة وما بعدها ساقط من هـ.

(٩) محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني الخراساني ت سنة ٢٧٠ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٢٥٦ تاريخ بغداد ٢٤٠/١، تذكرة الحفاظ ٥٧٣/٢.

(١٠) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر أبو خالد الفهمي المصري ت سنة ١٢٧ التهذيب ١٦٥/٦.

ابن عروة[١] عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط[٢]» وهذا قول أكثر المفسرين قالوا: لم يسلط عليه جبار أراد دخوله ولكن يذل له ويتواضع، وقال الحسن: البيت العتيق القديم، وهو قول ابن زيد يدل عليه قوله تعالى ﴿ إن أول بيتٍ وضع للناس﴾[٣] وهو ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد[٤] أنا أبو عمرو بن محمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان، نا سفيان [بن][٥] وكيع، نا أبي عن زمعة[٦] بن صالح عن سلمة بن وهرام[٧] عن عكرمة عن ابن عباس قال: حج النبي ﷺ فلما أتى وادي عسفان[٨] قال «لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات حمر خطمهن الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق»[٩].

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

قوله **﴿ذلك﴾** أن الأمر ذلك يعني: ما ذكر من أعمال الحج **﴿ومن يعظم حرمات الله﴾** قال الليث: الحرمة ما لا يحل انتهاكه[١٠] وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وهي في هذه الآية ما نهي عنها، ومنع من الوقوع فيها، وتعظيمها: ترك ملابستها، وكثير من الناس اختاروا في معنى الحرمات ها هنا: انها المناسك، لدلالة ما يتصل بها من الآيات، وقال ابن زيد: المراد بالحرمات ها هنا: البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام [والاحرام][١١] ويدل على هذا قوله **﴿والحرمات قصاص﴾**[١٢] وقوله **﴿فهو﴾** أي التعظيم **﴿خير له عند ربه﴾** يعني: في الآخرة **﴿وأحلت لكم الأنعام﴾** الابل والبقر **﴿إلا ما يتلى عليكم﴾** تحريمه في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾** أي كونوا على جانب منها فإنها رجس أي سبب رجس وهو العذاب أو المأثم قال الزجاج: من ها هنا تخليص جنس

(١) محمد بن عروة بن الزبير بن العوام الاسدي التهذيب ٣٤٣/٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الحج والهيثمي وقال رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قيل ثقة وقد ضعفه الائمة أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد كتاب الحج باب منعة الجبابرة ٢٩٦/٣.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) سعيد بن محمد بن عبدان النيسابوري تاريخ بغداد ١٠٦/٩.

(٥) ساقط من د.

(٦) زمعة بن صالح الجندي اليماني التهذيب ٣٣٨/٣.

(٧) سلمة بن وهرام اليماني التهذيب ١٦١/٤.

(٨) وادي عسفان موضع بين مكة والمدينة على بعد ستة وثلاثين ميلا من مكة وهو حد لمنطقة تهامة. معجم البلدان ١٢١/٤.

(٩) في مجمع الزوائد لقد مر بهذا الوادي هود وصالح على بكرات حمر.... الخ
وقال رواه أحمد وفيه زمعة بن صالح فيه كلام وقد وثق مجمع الزوائد كتاب الحج باب التواضع في الحج ٢٢٠/٣ والراجح حديث الهيثمي، وذلك لأن إبراهيم هو الذي قام ببناء البيت والاذان في الناس بالحج.

(١٠) تهذيب اللغة للازهري ٤٤/٥.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) البقرة: ١٩٤.

من أجناس[١]، والمعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك بالله وكان أهل الجاهلية يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، ويريدون الصنم وقال الزجاج المراد بقوله الزور هاهنا: تحليلهم بعض الأنعام، وتحريم بعضها من البحيرة[٢] والسائبة[٣] وقولهم هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله الكذب وقال ابن مسعود: يعني شهادة الزور أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبد الله بن محمد الزاهد، أنا أبو القاسم المنيعي، نا جدي، نا مروان بن معاوية عن سفيان بن زياد الأسدي عن فاتك بن[٤] فضالة عن أيمن بن خزيم[٥] أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال: «أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾[٦]» يريد أنه قد جمع بين عبادة الوثن وشهادة الزور، قوله ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ ذكر معنى الحنيف فيما تقدم قال قتادة وعبد الله بن[٧] القاسم: كانت حنيفية في الشرك كانوا يحجون البيت ويحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت في حق المؤمنين ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ [أي حجاجا لله وهم مسلمون موحدون ثم ضرب لمن أشرك مثلا فقال: ﴿ومن يشرك بالله] [٨] فكأنما خر من السماء﴾ أي سقط من السماء ﴿فتخطفه الطير﴾ أي تأخذه بسرعة من قولهم: خطف يخطف خطفا، إذا سلبه، ومنه قوله ﴿يخطف أبصارهم﴾[٩] قال ابن عباس: يريد تخطف لحمه ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ [بعيد يقال: سحق سحقاً فهو سحيق][١٠]، قال الزجاج: أعلم الله أن بعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محاله، إما باستلاب الطير لحمه، واما بسقوطه في المكان السحيق قوله:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي الامر ذلك الذي ذكرناه ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ قال مجاهد: يريد استعظام البدن واستسمانها [واستحسانها][١١] وهو قول ابن عباس في رواية مقسم، والشعائر جمع الشعيرة وهي البدن إذا أشعرت أي أعلم[١٢] عليها بأن يجرح[١٣] سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي، والذي يهدي مندوب إلى طلب الأسمن

---

(١) معنى تخليص جنس من اجناس: ان تذكر شيئاً تحته اجناس، والمراد أحدهما، فاذا اردت واحدا منها بينته كهذة الآية فلما اقتصر عليه المراد، فلما خرج بذكر الاوثان علم انها المراد من الجنس وقرنت بمن للبيان، فلذلك قيل: انها للجنس واما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر والتقدير: واجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان، فهي راجعة إلى معنى الصفة البرهان ٤/٤١٧.

(٢) البحيرة: ابنة السائبه وحكمها حكم امها الصحاح للجوهري مادة بحر.

(٣) السائبة الناقة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر ونحوه وقد قيل هي أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعاً الصحاح مادة ساب.

(٤) فاتك بن فضالة بن شريك بن سلمان بن خرشة الكوفي التهذيب ٨/٢٥٥.

(٥) أيمن بن خزيم بن الأخرم بن شداد الاسدي (مختلف في صحبته) تهذيب التهذيب ١/٣٩٢، اسد الغابة ١/٣٩٢.

(٦) مسند ابن حنبل ٤/٣٢١ ط بيروت.

(٧) في هـ: بن أبي القاسم.

(٨) ساقط من جـ والعبارة: في حق المؤمنين ساقط من هـ.

(٩) البقرة: ٢.

(١٠) ساقط من د، هـ.

(١١) ساقط من جـ، د، هـ.

(١٢) في هـ: اعلمت.

(١٣) في هـ: يخرج.

والأعظم ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أي فبان تعظيمها ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم وأضاف التقوى إلى القلوب لأن[1] حقيقة التقوى تقوى القلوب قوله: ﴿لكم فيها﴾ في الشعائر ﴿منافع﴾ بركوبها وشرب لبنها ان احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى أن ينحر فهذا قول عطاء بن أبي رباح ومذهب الشافعي وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوباً غير فادح فلا بأس[2] والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها إنما يكون قبل أن يسميها هديا فإذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله: إلى أجل مسمى وبعد أن سميت هديا لا ينتفع بها غير أهل[3] الله، والقول هو الأول لقوله تعالى ﴿لكم فيها منافع﴾ أي في الشعائر وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال اركبها فقال إنها بدنة فقال اركبها ويحك أو ويلك[4]: وقوله ﴿ثم محلها﴾ أي حيث يحل نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ يعني عند البيت، وهو الحرم كله.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله﴿ولكل أمة﴾[5] أي جماعة مؤمنة يعني: من الذين سلفوا ﴿جعلنا منسكاً﴾ المنسك ها هنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح القربان قال مجاهد يريد إراقة الدماء، وقال عكرمة وقتادة ومقاتل: يعني: ذبح وقرأ حمزه بكسر السين [6] والفتح أولى [7] لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين والمعنى جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ أي على نحر ما رزقهم ﴿من بهيمة الأنعام﴾ وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة وأن التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين المطمئنين إلى الله ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إذا خوفوا بالله خافوا ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب في طاعة الله ﴿والمقيمين الصلاة﴾ في أوقاتها يؤدونها كما استحفظهم الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره قوله:

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

---

(١) فيما عداها أي لأن... الخ.

(٢) الام للشافعي ٢/١٨٣ ط الشعب.

(٣) المراد بأهل الله: الفقراء والمساكين.

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج ركوب البدن ٢/٢٠٥ ط الشعب، مسلم كتاب الحج باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج اليها ٢/٩٦٠ ط الحلبي.

(٥) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٦) قراءة (منسكا) بكسر السين لم يقرأ بها حمزة وإنما قرأ بها أيضاً الكسائي وخلف انظر السبعة ص ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

(٧) قراءة (منسَكا) بفتح السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب انظر السبعة ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

﴿والبدن﴾ جمع بدنة ويجوز بضم الدال [مثل ثمرة][١] وثمر وثمر وهي الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي[٢] **﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾** أي من أعلام دينه والمعنى: جعلنا لكم فيها عبادة لله من سوقها إلى البيت وتقليدها وإشعارها ونحرها والاطعام منها **﴿لكم فيها خير﴾** يعني: النفع في الدنيا والأجر في الآخرة **﴿فاذكروا إسم الله عليها﴾** على نحرها **﴿صواف﴾** قال ابن عباس وابن عمر: قياما مقيدة سنة محمد ﷺ وقال مجاهد: إذا عقلت احدى يديها وقامت على ثلاث تنحر كذلك ويسوى بين أوظفتها[٣] لئلا يتقدم بعضها على بعض **﴿فإذا وجبت جنوبها﴾** سقطت إلى الأرض وذلك عند خروج الروح منها وهو وقت الأكل منها وهو قوله: **﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾** قال ابن عباس في رواية عطاء القانع الذي لا يسأل والمعتر الذي يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل وهذا قول زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبير والحسن، وقال الوالبي وعكرمة وقتادة ومجاهد: القانع الذي يقنع ويجلس في بيته والمعتر الذي يعتريك ويسألك وروى العوفي عن ابن عباس أن كليهما الذي لا يسأل قال: القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك ويقال: قنع قنوعا إذا سأل وقنع يقنع قناعة إذا رضي بما قسمه له وترك المسألة والتعرض قال أبو زيد سأل القانع السائل قال بعضهم المتعفف، وكل يصلح، والمعتر من قولهم عره واعتره وعراه واعتراه إذا أتاه يطلب معروفة إما سؤالا أو تعرضا وقوله **﴿كذلك﴾** أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما **﴿سخرناها لكم﴾** نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون **﴿لعلكم تشكرون﴾** لكي تشكروا إنعام الله عليكم، قال ابن عباس: شكر الله طاعة له واعتراف بإنعامه قوله:

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ قال الكلبي: كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا دماءها حول البيت قربة إلى الله وأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله هذه الآية قال مقاتل: لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يرفع إلى الله الأعمال الصالحة والتقوى وهو ما أريد به وجه الله تعالى قال الزجاج: أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به وحقيقته معنى هذا الكلام يعود إلى القبول وذلك ان ما يقبله الانسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله الخلق كعادتهم في تخاطبهم، والمعنى: لن يقبل الله اللحوم ولا دماء إذا كانت من غير تقوى الله وإنما يتقبل منكم ما تتقونه به وفي هذا دليل على أن شيئا من العبادات لا يصلح إلا بالنية وهو أن ينوي بها التقرب إلى الله واتقاء عقابه وقوله: **﴿كذلك سخرها لكم﴾** تقدم تفسيره **﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾** على ما بين لكم وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا **﴿وبشر المحسنين﴾** قال ابن عباس: يريد الموحدين.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

---

(١) ساقط من د.

(٢) انظر اللسان مادة: بدن.

(٣) الأوظفة جمع وظيف وهو لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق لسان العرب. فصل الواو حرف الفاء.

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم وقرىء يدافع[1] وهو بمعنى يدفع وإن كان من المفاعلة ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ قال ابن عباس: يريد الذين خانوا الله وجعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه، وقال الزجاج: من ذكر غير اسم الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحة فهو خوان كفور، قوله:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إذن للذين يقاتلون بأنهم﴾ الآية قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون اصحاب النبي ﷺ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوب ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ﷺ: اصبروا فإني لم أومر بالقتال[2] حتى هاجروا فأنزل الله هذه الآية بالمدينة وهي أول آية أنزلت في القتال وقرىء أذن بفتح الألف[3] على إسناد الفعل إلى الله تعالى لتقدم ذكره، قوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بإيذائهم وإخراجهم عن ديارهم وقصدهم بالضرب والإهانة وقرىء يقاتلون بفتح التاء[4] أي الذين[5] يقاتلهم المشركون المؤمنون ويقوي هذه القراءة أن الفعل الذي بعده مسند إلى المفعول به وهو قوله ظلموا وفي الآية محذوف تقديره: أذن لهم أن يقاتلوا أو بالقتال ثم وعدهم النصر فقال ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ يعني المؤمنين ثم وصفهم فقال ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه هذا من الاستثناء المنقطع المعنى: لكن بأن يقولوا ربنا الله[6] أخرجوهم بتوحيدهم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ وقرىء ولولا دفاع الله[7] وتقدم الكلام في هذا وقوله ﴿لهدمت﴾ يقال: هدمت البناء إذا قضضته فانهدم وقرى بالتشديد[8] والتخفيف[9] يكون للكثير والقليل والتشديد[10] يختص به الكثير وقوله ﴿صوامع﴾ قال مجاهد والضحاك: يعني صوامع الرهبان وقال قتادة الصوامع للصابئين وهي متعبداتهم ﴿وبيع﴾ جمع بيعة وهي كنيسة النصارى ﴿وصلوات﴾ وهي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا ﴿ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ بمعنى: مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ ومعنى الآية يقول: لولا دفع الله الناس عن القتال ببعض الناس لهدم في شريعة[11] كل نبيّ

---

(١) قراءة (يدافع) بالالف قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبو عمرو انظر: السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٢/٣٢٦، ولفظ من المرافعة من هـ فقط.

(٢) ذكره كثير من المفسرين بدون إسناد وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٦٤ في بيعة العقبة الثانية رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.

(٣) قراءة (اذن) بفتح الألف، قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي. السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٢/٣٢٦.

(٤) قراءة (يقاتلون) بفتح التاء، قرأ بها نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٢/٣٢٦.

(٥) في جـ: الذي.

(٦) كتاب سيبويه ٢/٣٢٥ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٧) قراءة (دفاع) بكسر الدال وألف بعدها قرأ بها نافع وأبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٢/٣٢٧.

(٨) قراءة التشديد (لهدمت) قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وخلف انظر السبعة ص ٤٣٨ النشر ٢/٣٢.

(٩) قراءة التخفيف في (لهدمت) قرأ بها نافع وابن كثير وابو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٢/٣٢٨.

(١٠) في هـ: الفساد.

(١١) في هـ: كل شريعة.

المكان الذي يصلي فيه فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقوله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي ينصر دينه وشريعته ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه وقدرته، وقال مقاتل: عزيز في انتقامه من عدوه.

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه يعني: ان هذا صفة من قوله ﴿من ينصره﴾ ومعنى: ﴿مكناهم في الأرض﴾ نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد، قال قتادة ومقاتل هم اصحاب محمد ﷺ، وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة أهل[١] الصلوات الخمس، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قرنا بالصلاة والزكاة ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ كقوله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾[٢] والمعنى: انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ومدع ثم عزى نبيه عليه السلام عن تكذيبهم اياه وخوف مخالفيه بذكر من كذب نبيه فأهلك بقوله:

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿وإن يكذبوك﴾ إلى قوله ﴿فأمليت للكافرين﴾ أي أخرت عقوبتهم وأمهلتهم يقال: أملى الله لفلان في العمر إذا أخر عنه أجله وقوله ﴿ثم أخذتهم﴾ أي بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام معناه التقرير تقول كيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكا وبالعمارة[٣] خراباً والنكير اسم من الإنكار قال الزجاج: أي أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر كيف عذب أهل القرى المكذبة فقال ﴿وكأين من قرية أهلكتها﴾ وقرىء اهلكناها[٤] كقوله ﴿وكم قصمنا من قرية﴾[٥] ﴿[وكم من قرية]﴾[٦] أهلكناها والاختيار التاء لقوله[٧] ﴿فأمليت﴾ وقوله ﴿وهي ظالمة﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قوله ﴿من قريةٍ﴾ لأن المعنى

---

(١) فيما عدا هـ: هم أهل.

(٢) فاطر: ٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (اهلكناها) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا أبو عمرو فقد قرأ (اهلكتها) بالتاء المضمومة من غير ألف. انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٧/٢.

(٥) الانبياء: ١١.

(٦) ساقط من د، هـ والآية من سورة الاعراف (٤).

(٧) فيما عدا د كقوله.

وكم من بئر معطلة ﴿وقصر مشيد﴾ تركوا بعد إهلاكهم، والمعطلة: المتروكة من العمل والاستقاء، ومعنى التعطيل: الترك من العمل، والمشيد: المطول المرفوع، من قولهم: شاد بناء[1] إذا رفعه، ذكرنا ذلك في قوله ﴿بروج مشيدة﴾[2] ثم حث على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة فقال ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ قال ابن عباس: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى: فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ اخبار الأمم المكذبة، قال ابن قتيبة وهل شيء ابلغ في العظة والعبر من الآية لأن الله أراد أفلم يسيروا في الارض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو فيروا بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها وبئراً يشرب أهلها قد عطلت وقصراً بناه ملكها بالشيد قد خلا من السكن وتداعى من الخراب[3] فيتعظوا بذلك ويخافوا من عقوبة الله مثل الذي نزل بهم ثم ذكر الله تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر وإنما عميت قلوبهم فقال ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ذكر الفراء والزجاج أن[4] قوله التي في الصدور من التوكيد الذي تريده العرب في الكلام كقوله ﴿عشرة كاملة﴾[5] وقوله ﴿ويقولون بأفواههم﴾ [6] وقوله ﴿يطير بجناحيه﴾ [7] قوله:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ أي يسألونك أن تأتي بعذابهم عاجلاً ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا قال ابن عباس: يعني: يوم بدر ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال مجاهد وعكرمة وابن زيد: هو من أيام الآخرة ويدل على هذا ما روي «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام»[8] والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة قال الفراء: وفي هذه الآية وعيد[9] لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة وذكر الزجاج وجهاً آخر فقال أعلم الله أنه لا يفوته شيء وان يوما عنده وألف سنة في قدرته واحد و[لا][10] فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلا أن الله تفضل بالإمهال وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال: المعنى: ان يوماً عنده في الامهال وألف سنة سواء لأنه قادر عليهم متى شاء أخذهم، وقرىء يعدون بالياء[11] والتاء[12] فمن قرأ بالياء فلقوله يستعجلونك ومن قرأ بالتاء فلأنه أعم من خطاب المستعجلين[13] والمؤمنين ثم أعلم أنه قد أخذ قوماً بعد الإملاء والتأخير فقال ﴿وكأين من قريةٍ أمليت لها﴾ الآية وما بعدها ظاهر إلى قوله:

---

(١) في جـ: شاد بناه يشيد شيدا.
(٢) النساء: ٧٨.
(٣) في هـ: بالخراب.
(٤) في هـ: إلى.
(٥) آية (١٩٦) سورة البقرة والنص في معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٨.
(٦) آل عمران: ١٦٧.
(٧) الانعام: ٣٨.
(٨) رواه الترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في فضل الفقر وقال حسن غريب من هذا الوجه ٤/٥٧٦ ط الحلبي.
(٩) فيما عدا جـ وعد.
(١٠) ساقط من جـ.
(١١) قراءة (يعدون) بالياء قرأ بها كثير وحمزة والكسائي وخلف بالياء. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.
(١٢) قراءة (تعدون) بالتاء قرأ بها: ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر وعاصم ونافع ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.
(١٣) فيما عدا هـ: لأنه خطاب للمستعجلين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿**والذين سعوا في آياتنا**﴾ أي عملوا في إبطالها ﴿**معاجـزين**﴾ ظانين ومقدرين أن يعجزونا ويفوتونا لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وهذا معنى قول قتادة: ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم، وهذا كقوله ﴿**أم حسب الذين يعملون [السيئات]**[١] **أن يسبقونا**﴾[٢] ومن قرأ معجزين[٣] فالمعنى: أنهم كانوا يعجزون من اتبع النبي ﷺ أي ينسبونهم إلى العجز، ثم أخبر عن هؤلاء أنهم أصحاب النار بقوله ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾ الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته إياه شفاها، والنبي: الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول[٤] وقوله ﴿**إلا إذا تمنى**﴾ قال ابن عباس: إلا إذا قرأ، وقال المفسرون: تلا، وذكرنا التمني بمعنى: القراءة في قوله: ﴿**إلا أمانيّ**﴾[٥]، وقوله ﴿**ألقى الشيطان في أمنيته**﴾ أي تلاوته، قال: جماعة من المفسرون إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه فجلس يوماً ما في مجلس لهم وقرأ عليهم سورة النجم فلما أتى إلى قوله ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾[٦] ألقى الشيطان في أمنيته[٧] حتى وصل (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبريل وأخبره بما جرى من الغلط على لسانه فاشتد ذلك على رسول ﷺ فأنزل الله هذه الآية[٨] وهذا قول ابن عباس والسدي ومجاهد وقتادة والزهري وسعيد بن جبير وغيرهم ، قال عطاء عن ابن عباس: إن شيطاناً يقال له الأبيض أتى النبي ﷺ فألقى في قراءته وإنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى،

---

(١) ساقط من أ، ب.

(٢) العنكبوت: ٤

(٣) قراءة (معجزين) بتشديد الجيم من غير ألف، قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.

(٤) للتوسع انظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٢٣/٥٠.

(٥) البقرة: ٧٨.

(٦) النجم: ١٩، ٢٠.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) قال ابن كثير عن هذه الرواية رويت من طرق كلها مرسلة ولم أر من أسندها من وجه صحيح، وقال الهيثمي رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الحج ٧/٧٢ وسوف نفرد هذا البحث بدراسة منفصلة في قسم الدراسة.

وقال السدي عن أصحابه: لما وقع من هذا ما وقع أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد ويخبره أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله ولم يبعث نبي إلا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه ﴿**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾ وعلى هذا معنى قوله ﴿**إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**﴾ إذا احب شيئاً ألقى الشيطان في محبته وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل ثم لا يقارون على ذلك[١] وعلى ما قال ابن عباس إنما قاله الشيطان على [لسان][٢] رسول الله ﷺ ولم يكن له من ذلك إحساس قبل كانت فتنة من الله لعباده المؤمنين والمشركين وهو قوله ﴿**ليجعل ما يلقي الشيطان فتنةً**﴾ أي محنة، ولله أن يمتحن بما يشاء، واللام في قوله ليجعل متعلقة بقوله ألقى، أي: ليجعل الله ما يلقي فتنة ﴿**للذين في قلوبهم مرض**﴾ شك ونفاق وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع، فازدادوا عتوا، وظنوا أن محمد يقول الشيء من عند نفسه ثم يندم فيبطله، وكذلك المشركون ازدادوا شراً وضلالة وتكذيباً وهو قوله ﴿**والقاسية قلوبهم**﴾، قال ابن عباس: يريد المشركين وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله ﴿**وإنّ الظالمين**﴾ يعني: أهل مكة ﴿**لفي شقاقٍ بعيدٍ**﴾ لفي خلاف شديد ثم وصف حال المؤمنين في هذه الفتنة فقال: ﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم**﴾ التوحيد والقرآن، وقال السدي: والتصديق بنسخ الله وهو قوله ﴿**أنه الحق من ربك**﴾ ان نسخ ذلك وابطاله حق من الله ﴿**فيؤمنوا به**﴾ فيصدقوا بالنسخ ﴿**فتخبت له قلوبهم**﴾ ترق قلوبهم للقرآن فينقادوا لأحكامه بخلاف المشركين الذين قيل فيهم ﴿**والقاسية قلوبهم**﴾ ثم بين أن هذا الإيمان والاخبات إنما هو بلطف الله وهدايته إياهم فقال: ﴿**وإن الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم**﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿**ولا يزال الذين كفروا**﴾ يعني: المشركين ﴿**في مريةٍ منه**﴾ في شك مما القى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ﴿**حتى تأتيهم الساعة بغتة**﴾ يعني ساعة موتهم أي حتى يموتوا أو يقتلوا وهو قوله ﴿**أو يأتيهم عذاب يوم عقيم**﴾ يعني: يوم بدر في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي: وسمى الله ذلك اليوم عقيماً لأنه لم تكن فيه للكفار بركة ولا خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، قاله الضحاك واختاره الزجاج.

قوله ﴿**الملك يومئذٍ**﴾ يعني: يوم القيامة ﴿**لله**﴾ من غير منازع ولا مدع فلا مالك ولا ملك يومئذٍ إلا الله وحده ﴿**يحكم بينهم**﴾ مما ذكر من قوله ﴿**فالذين ءامنوا**﴾ إلى قوله ﴿**عذاب مهين**﴾ ثم ذكر فضل المهاجرين[٣] فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) معنى لا يقارون على ذلك أي لا يوافقون على ذلك ولا يثبتون عليه انظر اللسان: قرر.
وسنتناول ذلك بالتفصيل في مبحث «الغرانيق» إن شاء الله.

(٢) ساقط من د.

(٣) في د: المجاهدين.

﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ من مكة إلى المدينة **﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين﴾** قال السدي: هو رزق الجنة **﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾** لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الاعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المصدر وبمعنى المكان فإذا كان بمعنى المصدر فالمراد به إدخالا يكرمون به فيرضونه وقرىء مدخلاً بفتح الميم[1] على تقدير: فيدخلون مدخلا يرضونه **﴿وإن الله[2] لعليم﴾** بنياتهم **﴿حليم﴾** عن عقابهم **﴿ذلك﴾** أي الامر ذلك الذي قصصنا عليك ثم قال **﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾** من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن: بمعنى: قاتل المشركين كما قاتلوه **﴿ثم بغي عليه﴾** أي ظلم بإخراجه من[3] منزله يعني: ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حين أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم قاتلوا المشركين دفعاً لهم عن أنفسهم ثم أخرجوا من ديارهم فوعدهم الله النصر بقوله **﴿لينصرنه الله﴾** يعني المظلوم الذي[4] بغي عليه **﴿[إن الله][5] لعفو غفور﴾** قال ابن عباس: عفا من مساوىء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

﴿ذلك﴾ أي ذلك النصر **﴿بأنه﴾** القادر على ما يشاء فمن قدرته انه **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع﴾** لدعاء المؤمنين **﴿بصير﴾** بهم حيث جعل فيهم البر والتقوى والإيمان **﴿ذلك﴾** الذي فعل من نصر المؤمنين **﴿بأن الله هو الحق﴾** ذو الحق في قوله وفعله فدينه حق وعبادته حق **﴿وأن ما يدعون﴾** يعني: المشركين **﴿من دونه هو الباطل﴾** الذي ليس عنده ضر ولا نفع **﴿وأن الله هو العلي﴾** العالي على كل شيء بقدرته **﴿الكبير﴾** الذي يصغر كل شيء سواه.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾

قوله: **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾** يعني: المطر **﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾** بالنبات **﴿إن الله لطيف﴾** بارزاق عباده واستخراج النبات من الأرض **﴿خبير﴾** بما في قلوب العباد عند تأخر المطر **﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾** عبيداً وملكاً **﴿وإن الله لهو الغني﴾** عن عباده **﴿الحميد﴾** إلى أوليائه

---

(١) في هـ: وانه لعليم.

(٢) فيما عدا جـ، هـ عن.

(٣) في هـ: اخرجوهم.

(٤) تفسير ابن جرير ١٧/١٣٦.

(٥) ساقط من جـ.

وأهل طاعته ﴿**الم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض**﴾ قال ابن عباس: يريد البهائم التي تركب[١] ﴿**والفلك تجري في البحر بأمره**﴾ وسخر لكم الفلك في حال جريها ﴿**ويمسك السماء أن**[٢] **تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من السماء حتى لا تقع عليهم فيهلكوا ﴿**وهو الذي أحياكم**﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿**ثم يميتكم**﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿**ثم يحييكم**﴾ للبعث والحساب ﴿**إن الإنسان**﴾ يعني: المشرك ﴿**لكفور**﴾ لنعم الله حين ترك توحيده.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿**لكل أمة**﴾[٣] لكل قرن مضى ﴿**جعلنا منسكا هم ناسكوه**﴾ قال ابن عباس: يريد شريعة هم عاملون بها ﴿**فلا ينازعنك في الأمر**﴾ يعني: في الذبائح وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة وقالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم[٤] قال الزجاج: ومعنى القول: فلا ينازعنك أي لا تنازعهم أنت كما تقول لا يخاصمنك فلان في هذا أي لا تخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين اثنين ولا يجوز لا يضربنك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك ان المخاصمة لا تتم إلا باثنين فاذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هنالك[٥] ﴿**وادع إلى ربك**﴾ إلى الإيمان به والعمل بما شرعه ﴿**إنك لعلى هدى**﴾ دين ﴿**مستقيم وإن جادلوك**﴾ خاصموك في امر الذبيحة ﴿**فقل الله أعلم بما تعملون**﴾ من التكذيب فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿**الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**﴾ تذهبون فيه إلى خلاف ما نذهب.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض**﴾ قال ابن عباس: يريد قد علمت وأيقنت ذلك وهذا استفهام يراد به التقرير ﴿**إن ذلك في كتاب**﴾ يعني: ما يجري في السماء والارض كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿**إن ذلك**﴾ ان علمه بجميع ذلك ﴿**على الله يسير**﴾ سهل لا يتعذر عليه العلم به.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ

---

(١) تسخير الله لا يقتصر على البهائم وحدها وإنما تشمل كل ما على وجه الارض ينتفع به الانسان ولكنه في البهائم أوضح لانه لولا تسخير الله لها لما تمكن الانسان من ركوبها والانتفاع بها وذلك لقوتها ووحشيتها.

(٢) في هـ: لئلا.

(٣) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٤) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ١٣٩/١٧ ورواه السيوطي عن ابن المنذر موقوفاً على مجاهد تفسير الآية الدر ٧١٣/٦ ط دار الفكر.

(٥) فيما عدا جـ: هناك.

يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿**ويعبدون من دون الله**﴾ يعني: أهل مكة ﴿**ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ حجة ﴿**وما ليس لهم به علم**﴾ انها آلهة ﴿**وما للظالمين من نصير**﴾ وما للمشركين من مانع من العذاب قوله ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينـاتٍ**﴾ يعني: القرآن ﴿**تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر**﴾ قـال مقاتـل: ينكرون القـرآن أن يكون من الله والمنكـر بمعنى: الإنكار، والتأويل أثر الإنكار من الكراهية والعبوس ﴿**يكادون يسطون**﴾ يقعون بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ[١] ﴿**بالذين يتلون عليهم آياتنا**﴾ أي يكادون يبسطون اليهم أيديهم بالسوء، يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف والشدة ﴿**قل**﴾ لهم يا محمد ﴿**أفأنبئكم بشر من ذلكم**﴾ بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تسمعون ثم ذكر ذلك فقال: ﴿**النار**﴾ أي هو النار ﴿**وعدها الله الذين كفروا**﴾ أي يصيرهم إليها ﴿**وبئس المصير**﴾ هي، وقوله:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

﴿**يا أيها الناس ضرب مثل**﴾ قال الاخفش: إن قيل فأين المثل الذي ذكره الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى: ان الله قال ضرب لي مثل أي شبه بي الاوثان ثم قال ﴿**فاستمعوا له**﴾ لهذا المثل الذي جعلوه مثلا وتأويلا للآية جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها ثم بين ذلك فقال: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله**﴾ يعني: الأصنام وكانت ثلثمائة وستين حول الكعبة ﴿**لن يخلقوا ذباباً**﴾ في صغره ومكثه ﴿**ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً**﴾ مما عليهم، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدرون أن يستردوه من الذباب ويستنقذوه منه فذلك قوله ﴿**لا يستنقذوه منه**﴾[٢] وقال السدي: كانوا يجعلون للاصنام طعاماً فيقع عليه الذباب فيأكل منه فلا يستطيع أن يستنقذه منه وقوله ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: الطالب الصنم والمطلوب الذباب وروي عنه على العكس من هذا، وهو ان الطالب الذي يطلب ما يسلب من الطيب على الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منع السلب وقال السدي: الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه وهذا معنى قول الضحاك العابد والمعبود ﴿**ما قدروا الله حق قدره**﴾ ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له ﴿**إن الله لقوي**﴾ على خلقه ﴿**عزيز**﴾ في ملكه.

ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً**﴾ يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ﴿**ومن الناس**﴾ يريد النبيين أخبر الله ان الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه فيجعلهم رسله وانبياءه ﴿**إن الله سميع**﴾ لمقالتهم ﴿**بصير**﴾ بمن

(١) في هـ: الغيظ وهم. . . وليس لها موضع.

(٢) روى ذلك ابن جرير ١٧/ ١٤٠.

يتخذه رسولاً ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس: ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ ما خلفوا وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم وما هم غافلون[١] عنه مما لم يعملوا بعد[٢]، قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنو اركعوا واسجدوا﴾ قال المفسرون: يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا بحر[٣] بن نصر[٤]، قال قرأ علي ابن وهب: أخبرك ابن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر قال: قلت لرسول الله ﷺ في سورة الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما[٥] وقوله ﴿واعبدوا ربكم﴾ قال مقاتل: يقول: وحدوا ربكم، يعني: أن من أشرك بعبادته غيره لم يوحده[٦] ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن عباس: يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، وقوله:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ أكثر المفسرين حملوا الجهاد ها هنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى، وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى، وقال مقاتل بن حيان: هو أن يجتهدوا في العمل وقال مقاتل بن سليمان: نسختها الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[٧] وحمله الضحاك على مجاهدة الكفار فقال: جاهدوا بالسيف من كفر بالله وان كانوا الآباء والابناء وروى عبد الله[٨] بن المبارك: أنه حمله على مجاهدة الهوى والنفس ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم واصطفاكم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق فالمعنى: ما جعل من التوبة والكفارات جعلها الله مخرجاً من الذنوب فمن أذنب ذنباً لم يبق في ضيق ذلك الذنب وله منه مخرج إما بالتوبة أو القصاص أو بنوع كفارة أو

---

(١) في هـ: عاملون مما لم يعملوا.

(٢) أرى أن رأي ابن عباس هو الذي يستقيم مع المعنى المراد من قوله ما بين ايديهم وما خلفهم.

(٣) بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولاهم المصري ولد سنة ١٨٠ ت سنة ٢٦٧ التهذيب ١/ ٤٢٠.

(٤) في النسخة هـ: بصر بن نصر وهو تصحيف.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٤/ ١٥١، ١٥٥ وأبو داود في كتاب الصلاة باب تفريع أبواب السجود حديث ١٤٠٢ ٢/ ٣٥٤ ط الحلبي. والترمذي أبواب السفر باب في السجدة في الحج حديث ٢٥٧٨/ ٤٧٠ ط الحلبي، الحاكم في المستدرك كتاب التفسير سورة الحج وقتيبة بن لهيعة ٢/ ٣٩٠.

(٦) في هـ: يوحدوه.

(٧) التغابن: ١٦.

(٨) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ت سنة ١٨١ هـ عن ثلاث وستين سنة انظر التقريب ١/ ٤٤٥.

برد مظلمة فلم يبتل المؤمنين بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج، وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كالقصر[١] والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبي واختيار الزجاج. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني اسرائيل من الإصر[٢] والشدائد التي كانت عليهم وضعها الله تعالى على هذه الامة وقوله ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ قال الاخفش والمبرد والفراء والزجاج: أي عليكم ملة أبيكم[٣] والمعنى اتبعوها [واحفظوها] [٤] والخطاب ان كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة وإن كان خطاباً عاماً فهو أبو المسلمين كلهم لأن حقه عليهم كحق الوالد وأمرنا باتباع ملته جملة[٥] لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ وقوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ أي الله تعالى سماكم بهذا الاسم قبل إنزال القرآن في الكتب التي أنزلت قبله ﴿وفي هذا﴾ يعني: القرآن، وقال مقاتل: من قبل يعني: في أم الكتاب ﴿ليكون [الرسول]﴾[٦] أي اجتباكم الله وسماكم المسلمين ليكون الرسول محمد ﷺ ﴿شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة بالتبليغ ﴿وتكونوا﴾ انتم ﴿شهداء على الناس﴾ ان الرسل بلغتهم وهذا كقوله ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾[٧] الآية وقوله ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قال مقاتل[٨]: فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله.

حدثنا المفضل بن اسماعيل، نا جدي الامام أبو بكر الإسماعيلي، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، نا زكريا بن يحيى[٩] البلخي، نا عمر بن هارون، نا عثمان بن عطاء الخراساني[١٠] عن أبيه[١١] عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة»[١٢] وقوله ﴿واعتصموا بالله﴾ قال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره وقال الحسن: تمسكوا بدين الله وقال مقاتل: ثقوا بالله ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم والذي يتولى أموركم ﴿فنعم المولى﴾ هو لكم ﴿ونعم النصير﴾.

---

(١) فيما عدا هـ: كالقطر.

(٢) الإصر: الاثم والعقوبة، وأصله: من الضيق والحبس. النهاية لابن الاثير باب الهمزة مع الصاد.

(٣) في معاني القرآن للفراء: أي وسع عليكم ملة أبيكم ٢/٣١.

(٤) ساقط من ب.

(٥) ليث في هـ.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا أ.

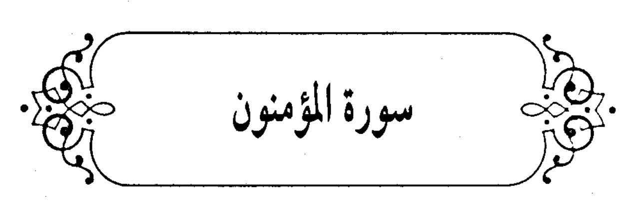
(٧) البقرة: ١٤٣.

(٨) في ب:، هـ: قتادة.

(٩) زكريا بن يحيى بن صالح بن سليمان البلخي أبو يحيى ت سنة ٢٣٣ عن ست خمسين سنة التقريب ١/٢٦٢.

(١٠) عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) شذرات الذهب ١/١٩٢، طبقات الحفاظ ص ٦٠ ولقد قال فيه السيوطي: قال ابن حبان كان رديء الحفظ.

(١١) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بانه حديث ضعيف لضعف عطاء الخراساني وولده عثمان بن عطاء.



سورة المؤمنون

مكيّة وآياتها ثماني عشرة ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الزعفراني، أنا أبو عمرو السجستاني[1]، أنا أبو الفضل الأسدي، أنا أبو عبد الله الربوعي، نا سلام بن سليم، نا [هارون بن كثير][2] عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت»[3].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١١﴾

بسم اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم:

«حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري املاءً، أنا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد الابيوردي، نا عبد الرزاق نا يونس بن سليم عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عثمان[4] القاري قال سمعت عمر بن الخطاب[4] يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنّا [وأعطنا][5] ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارْضَ عنا ثم قال لقد انزلت علينا عشر آيات من اقامهنّ دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون إلى عشر آيات» رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه [6] عن القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن

---

(١) في هـ: السختياني.

(٢) ساقط من جـ، وفي د، هـ حدثنا سلام بن سليم الاسناد الذي ذكر عن أبيّ.

(٣) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم وأول الحج.

(٤) ساقط من جـ، د وفي هـ عبد الرحمن عبد الهادي وهو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمي القارىء تهذيب التهذيب ٦/٢٢٧.

(٥) من: ب.

(٦) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١/٣٤، والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون ٥/٣٢٦ ط الحلبي، والحاكم في المستدرك كتاب التفسير سورة المؤمنون ٢/٣٩٢.

عبد الرزاق [١] فكأني سمعت هذا الحديث من [٢] القطيعي، قال الفراء: قد ها هنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال قد يقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه ألا ترى أنهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها ويكون المعنى في الآية أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال[٣] قال ابن عباس: قد سعد المصدقون وبقوا في الجنة ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ ساكتون متواضعون، قال ابن عباس: خشع من خوف الله فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره، وقال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ فطأطأ رأسه[٤]» ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك بالله، وهو قول الضحاك، وقال الحسن: عن المعاصي، قال الزجاج: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يحمد من القول والفعل ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ أي مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل. قال ابن عباس: للصدقة الواجبة مؤدون ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ قال الليث[٥]: الفرج اسم يجمع سوءات الرجال والنساء فالقبلان وما حواليهما كله فرج، والمراد بالفروج ها هنا فروج الرجال خاصة قال الكلبي: يعني يعفون عما لا يحل لهم ﴿**إلا على أزواجهم**﴾ على ها هنا بمعنى من في قول الفراء[٦]، وقال الزجاج: المعنى: أنهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم، ودل على المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية، قال مجاهد: يحفظ فرجه إلا من امرأته أو [من][٧] أمته فانه لا يلام على ذلك ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**﴾ أي طلب سوى الأزواج والإماء المملوكة ﴿**فأولئك هم العادون**﴾ الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل ﴿**والذين هم لأماناتهم**﴾ وقرأ ابن كثير لأمانتهم[٨] واحدة وذلك أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثير وإن كان مفرداً في اللفظ والامانة[٩] تختلف نحو الامانة التي بين العبيد في حقوقهم كالودائع والبضائع وما تكون اليد فيه يد أمانة وتكون الأمانة التي بين الله وبين عباده كالصيام والاغتسال والصلاة ويجب على المؤمن الوفاء بجميع ضروب الأمانات وقوله ﴿**وعهدهم راعون**﴾ قال ابن عباس إذا عاهد رجلاً وفى له ومعنى: راعون حافظون ﴿**والذين هم على صلواتهم**﴾ وقرىء صلاتهم [١٠] ومن أفرد فلأن الصلاة في الأصل مصدر ومن جمع[١١] فلأنه قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها ومعنى الآية والذين هم ﴿**يحافظون**﴾ على الصلوات المكتوبة فيقيمونها في أوقاتها[١٢]

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحيري أبو بكر الصنعاني ت سنة ٣١١ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ١٥٤.

(٢) في هـ: عن.

(٣) وقال الزركشي في البرهان: واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا ان تكون جواباً لمتوقع، كقوله تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله. البرهان في علوم القرآن ٤/٣٠٥.

(٤) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون، وقال صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قال مرسل، وعقب الذهبي بأن الصحيح أنه مرسل. المستدرك ٢/٣٩٣.

(٥) في هامش النسخة أ: الفراء، ونص الليث في تهذيب اللغة للأزهري ١١/٤٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣١.

(٧) ليست في جـ، د.

(٨) النشر في القراءات العشر ٢/٣٢٨ والسبعة ص ٤٤٤.

(٩) في هـ. والامانات.

(١٠) قراءة ﴿**صلاتهم**﴾ بالإفراد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٢/٣٢٨.

(١١) قراءة ﴿**صلواتهم**﴾ بالجمع قرأ بها. ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وحفص ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٢/٣٢٨.

(١٢) وإن قيل لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها. انظر الكشاف للزمخشري ٣/٤٢ بيروت.

﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات **﴿هم الوارثون﴾** يرثون منازل أهل النار من الجنة أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان حدثني أبو العباس بن ماهان البشتري بها، أنا أحمد بن القاسم بن نصر الفرائضي، نا أبو همام الوليد(١) بن شجاع، نا أبو معاوية، نا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله عز وجل: أولئك هم الوارثون(٢) ثم ذكر ما يورثون فقال: **﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** قال ابن عباس: يريد خير الجنان وقال مجاهد: من حفظ عمل العشرة من سورة المؤمنين ورث الفردوس. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن العباس بن(٣) أيوب، نا محمد بن أبي معشر، حدثني أبي عن عون بن عبد الله بن الحارث عن أخيه عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث قيل: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال الذي يقر السوء لأهله(٤).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** السلالة مايسل من الشيء أي ينزع ويستخرج يقال للنطفة سلالة وللولد سليل قال ابن عباس في رواية ابن يحيى الأعرج(٥) السلالة صفو الماء وقال مجاهد: مني بني آدم وقال عكرمة [هو](٦) الماء يسلّ من الظهر سلاً، والمراد بالإنسان ولد آدم وهو اسم الجنس يقع على الجميع، وقوله **﴿من طين﴾** يعني طين آدم والسلالة إنما تولدت(٧) من طين خلق آدم كما قال الكلبي: يقول من نطفة سلت سلاً النطفة من طين والطين آدم **﴿ثم جعلناه﴾** يعني ابن آدم الذي هو الإنسان **﴿نطفة في قرار مكين﴾** يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هيىء لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذي جعل له **﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾** مفسر في سورة الحج إلى قوله **﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾** وقرىء كلاهما عظماً على الواحد(٨) قال الزجاج: التوحيد والجمع جائزان والواحد يدل على الجمع كما قال [الشاعر](٩)

في خلقكم عظم وقد شجينا(١٠)

---

(١) أبو همام: الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس الكوفي الكندي ت سنة ٢٢٣ هـ التهذيب ١١/١٣٩.

(٢) في مجمع الزوائد هذا صحيح على شرط الشيخين مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة المؤمنون.

(٣) محمد بن العباس أيوب أبو جعفر الاصبهاني ت سنة ٣٠١ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٧٤٧، العبر ٢/١٢٠ طبقات الحفاظ (٣١٥).

(٤) حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن أبا معشر أحد رواته متروك الحديث ولكن روى الإمام أحمد في مسنده حديث ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث. المسند ٢/١٣٤، ٦٩، ١٢٨.

(٥) أبو يحيى الأعرج: مصدع المعرقب الأعرج الأجرد عرقبه بن بشر بن مروان انظر كتاب الميزان ٦/٨٢٠.

(٦) ساقط من د. (٧) في هـ: يولد.

(٨) قراءة (عظما) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على الإفراد، قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم أما قراءة الجمع (عظاماً) فقد قرأ بها باقي القراء انظر: السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) هذا عجز بيت للمسيب بن زيد صدره لا تنكر القتل وقد سبينا.

=

يريد في خلوقكم عظام، وقوله ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال ابن عباس: يعني: الروح فيه وذلك أنه كان عظماً ولحماً مواتاً فلما جعل فيه الروح صار خلقاً آخر وهو قول السدي ومجاهد والشعبي وعكرمة والأكثرين وعن مجاهد أيضاً قال: هو أن يستوي شبابه وهو قول الضحاك، وقال قتادة: يعني نبات الشعر والأسنان، وقال الحسن: يعني: ذكر وأنثى، وقوله ﴿فتبارك الله﴾ أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ المصورين والمقدرين والخلق في اللغة: التقدير يقال: خلقت الاديم[1] إذا قسته لتصنع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية يصنعون ويصنع[2] والله خير الصانعين يقال رجل خالق، أي صانع ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لمبعثون﴾ عند آجالكم ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ للجزاء والحساب قوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ قالوا كلهم يعني: سبع سموات كل سماء طريقة سميت لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وأنزلنا منها عليهم الماء وهو قوله:

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر يعلمه الله وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة ﴿فأسكناه في الأرض﴾ يريد ما يبقى في الغدران[3] والمستنقعات والدحلان[4] أقر الله الماء فيها لينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر اخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين النقيب، أنا جدي، أنا محمد بن الحسين البزار، نا عثمان بن سعيد، نا سعيد بن سابق الاسكندراني، نا مسلمة بن علي[5] عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «إن الله أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم فذلك قوله عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

= انظر المقتضب ٢/١٧٠ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(١) الاديم: الجلد المدبوغ. لسان العرب فصل الهمزة حرف الميم.

(٢) فيما عدا هـ: ويصنع الله.

(٣) الغدران: جمع غدير وهي مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً اللسان مادة غدر.

(٤) الدحلان: جمع الدحل وهو الهوة تكون في الأرض وفي سافل الأودية فيها ضيق ثم تتسع الصحاح مادة دحل.

(٥) مسلمة بن علي بن خلف أبو سعيد الدمشقي ت قبل سنة ١٩٠ هـ التهذيب ١٠/١٤٦ ولقد بين ابن حجر في التقريب بأنه متروك الحديث. التقريب ٢/٢٤٩. وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال وقال ليس بشيء وذكر روايته لهذا الحديث وبعد أن أورده قال: رواه مسلمة عن مقاتل غير محفوظ بل هو منكر المتن، الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٢٣١٥.

الأرض) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة ويرفع كل ذلك إلى السماء[١]» وذلك قوله: ﴿**وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين هذا الحديث رواه الإمام أبو العباس الحسن[٢] بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة انا سعيد بن محمد بن أحمد العدل، أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان قال وجدت فيما اجاز لي عثمان بن سعيد، أنا سعيد بن سابق الاسكندراني فذكر الحديث[٣] ثم ذكر الله تعالى ما أنبت من السماء فقال: ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة**﴾ عطف على قوله جنات والمفسرون كلهم يقولون يعني: شجرة الزيتون وخصت بالذكر لأنه لا يتعاهدها أحد بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة فذكرت النعمة فيها وقوله ﴿**تخرج من طور سيناء**﴾ قرى بفتح السين[٤] وكسرها[٥]/وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي اسم المكان الذي به هذا الجبل في اصح الأقوال[٦] وسيناء في قول مجاهد اسم حجارة بعينها اضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقال الكلبي: طور سيناء الجبل المشجر، وقال عطاء يريد: الجبل الحسن وقوله ﴿**تنبت بالدهن**﴾ أي تنبته لأنه يعصر من الزيتون الزيت والباء في بالدهن للتعدي يقال: أنبته ونبت به ومن قرأ تنبت بضم التاء[٧] فإن جعلت أنبت بمعنى كقول زهير[٨]:

«حتى إذا أنبت البقل»

فهذه القراءة كالأول سواء وإن جعلت تنبت من الانبات الذي هو مضارع[٩] أنبت فالباء في بالدهن زيادة كزيادتها

---

(١) في الدر المنثور اخرجه ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر ٦/٩٥ دار الفكر ولكن في صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة. كتاب الجنة ونعيمها باب ما في الدنيا من أنهار الجنة. والإنزال هنا انزال مجازي لا حقيقي.

(٢) في جـ ابن الحسن.

(٣) في الدر المنثور اخرجه ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر المنثور ٦/٩٥ ط دار الفكر.

(٤) قراءة (سيناء) بفتح السين، قرأ بها: أبو جعفر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وابن عامر وعاصم. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٥) قراءة (سيناء) بكسر السين، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٦) على هامش النسخة (ب) هذه العبارة أضيفها: قطن بالمكان أقام به والجمع قطان وقاطنة وقطين أيضاً والقطن الخدم والأتباع والقطين سكن الدار يقال جاؤوا بقطينهم ومنه قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل.

(٧) قراءة (تنبت) بضم التاء وكسر الباء قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو أما باقي القراء فقد قرءوا (تنبت) بفتح التاء وضم الباء السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٨) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ت سنة ١٣ قبل الهجرة سنة ٦٠٩ م الاعلام للزركلي ٣/٥٢، الأغاني ١٠/٢٨٨ ط الدار وما ورد جزء من بيت في قصيدة من ديوانه يمدح بها سنان بن أبي حارثة يقول فيها:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

شرح شواهد المغني للسيوطي ط لجنة التراث العربي ١/٣١٤ وديوان زهير ص ١١١ ومطلع هذه القصيدة:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالقبل

(٩) فيما عدا أ: مطاوع.

في قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾[1] وقوله: ﴿وصبغ للآكلين﴾ الصبغ والصباغ ما يصطبغ به من الأدم وذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت المغمس فيه للائتدام به والمراد بالصبغ بالزيت في قول ابن عباس: فإنه يدهن به ويؤتدم، وقال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودهناً فالأدم الزيتون والدهن الزيت قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ مفسرة في سورة النحل إلى قوله ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿ومنها تأكلون﴾ من لحومها وأولادها والكسب عليها ﴿وعليها﴾ يريد الإبل خاصة ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ قال الكلبي: ما في البحر فالسفن وما في البر فالإبل وهذا كقوله ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾[2].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ قال ابن عباس: يعزي نبيه ﷺ بأن غير أمته قد كذبوا الأنبياء وجحدوا البعث ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أطيعوه ووحّدوه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ ما غيره رب ﴿أفلا تتقون﴾ [أفلا تتقونه][3] بالطاعة والتوحيد ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ يعني الاشراف والرؤساء وذوي الأمر منهم ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي أنه آدمي لا فضل له عليكم ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع ﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد شيء سواه ﴿لأنزل ملائكته﴾ ولم يرسل بشراً آدمياً ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿في آبائنا الأولين﴾ في الأمم الماضية ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ حالة جنون ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ انتظروا موته فتستريحوا منه.

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ بتكذيبهم والمعنى: انصرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم ﴿فأوحينا إليه﴾ مفسر في سورة هود إلى قوله: ﴿فاسلك فيها﴾ أي: أدخل في سفينتك ﴿وقل رب أنزلني منزلاً﴾ يجوز أن يكون المنزل بمعنى الإنزال، والمعنى: إنزالا ﴿مباركاً﴾ قال مقاتل: يعني: بالبركة أنهم توالدوا وكثروا و [يجوز][4] أن يكون المنزل موضعاً للإنزال كأنه قيل أنزلني مكاناً أو موضعاً؛ وهو قول الكلبي: منزلاً

(١) البقرة: ١٩٥، وقوله إن الباء في (بالدهن زيادة) هذا غير مسلم فإن الباء هنا متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ومستصحبة له انظر: تفسير روح البيان ٧٦/٦.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من جـ.

مباركاً بالماء والشجر، وقرأ وعاصم منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي[١] يعني: موضع نزول قال المفسرون: إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك الحمد لله وعند نزوله أنزلني منزلاً مباركاً ﴿وأنت خير المنزلين﴾ قال ابن عباس: يريد من السفينة ولذلك قيل له ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾[٢] وهذا جواب دعائه ﴿إن في ذلك﴾ يعني في أمر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله ﴿لآيات﴾ لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ وما كنا إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره، وقوله:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ يعني: عاداً قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ هوداً وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿أيعدكم أنكم مخرجون﴾ [قال الزجاج: أنكم موضعها نصب على معنى أيعدكم أنكم مخرجون][٣] إذا متم فلما طال الكلام أعيد ذكرانه كما قال عز وجل ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾[٤] المعنى: فله نار جهنم ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ بعد الأمر جداً حتى امتنع وهو اسم سمي به الفعل وهو بعد كما قالوا صه بمعنى: اسكت ومه بمعنى: لا تفعل وليس له اشتقاق وفيه ضمير يقع عائد إلى قوله ﴿إنكم مخرجون﴾ الذي هو بمعنى الإخراج، والتقدير هيهات هو أي الإخراج، والمعنى: بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون وهو بعد الموت استبعد اعداء الله إخراجهم ونشرهم لما كانت العدة به بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في قوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾[٥] قال ابن عباس في هذه الآية ينفون أن ذلك لا يكون، وقال الكلبي: يقولون: بعيد بعيد ما وعدكم[٦] ليوم البعث، قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت فقل هيهاه[٧] يدل على [هذا][٨] ما

---

(١) قراءة منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي: هي قراءة عاصم في رواية ابن بكر أما حفص فقد روي عنه (منزلاً) بضم الميم وفتح الزاي كما قرأ بقية القراء. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٢) هود: ٤٨.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) التوبة: ٦٣.

(٥) يس: ٧٩.

(٦) في هـ: ما بعدكم.

(٧) وقف البزي والكسائي على هيهات هيهات الأولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على المرسوم كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر لأبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الانصاري ص ٨٥.

(٨) ليست في هـ.

روي عن سيبويه أنه قال هي بمنزلة علقاه يعني في التأنيث[١] وإذا كان كذلك كان الوقف بالهاء قال الفراء: كان الكسائي يختار الوقف بالهاء وأنا أختار التاء وعنده أن هذه التاء ليست بتاء[٢] التأنيث، قوله ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ قالوا ما الحياة إلا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التيَ تعدنا بعد البعث[٣] ﴿نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ نهلك نحن ويبقى [أبناؤنا[٤] ويهلك أبناؤنا[٥]] ويبقى أبناؤهم ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ ما هو إلا مفتر كاذب [٦] على الله في ذكر البعث [٧] ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما يقول ﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ تقدم تفسيره [٨] ﴿قال﴾ الله ﴿عما قليل﴾ من الزمان والوقت يعني: عند الموت أو عند نزول العذاب بهم ﴿ليصبحن نادمين﴾ على الكفر والتكذيب ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح بهم جبريل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم بتصدع قلوبهم وقوله ﴿بالحق﴾ أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم ﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو ما جاء به السيل من نبات قد يبس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وحشيش وعيدان شجر فهو غثاء، والمعنى: صيرناهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء من نبات الأرض [فهمدوا] [٩] ﴿فبعداً﴾ أي ألزمهم الله بعداً من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المكذبين المشركين وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [أي][١٠] بعضها في إثر بعض غير متصلين لأن بين كل نبيين دهراً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي[١١]: يقال واترت الخبر أتبعت بعضه[١٢] بعضاً وبين الخبرين هنيهة وهي كالدعوى والتقوى وأكثر العرب على ترك تنوينها وقرأ ابن كثير تتراً[١٣] منونة وتتراً على هذه القراءة فعلاً والألف فيها كالألف في رأيت زيداً وعمراً فإذا وقفت كانت الألف بدلاً من التنوين وحقها أن تفخم ولا تمال، قال المبرد: من قرأ تترى فهو مثل شكوى ومن قرأ تترًى مثل شكوت شكوى وعلى القراءتين جميعاً التاء الأولى بدل من الواو وتتراً مصدراً واسم قام مقام الحال لأن المعنى متواترة، وقوله ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ اهلكنا الأمم بعضهم في أثر بعض ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٢٩٠.
(٢) في هـ. بهاء والنص في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٥.
(٣) في د بعد الموت البعث وفي هـ بعد الموت والبعث.
(٤) في هـ ويبقي آباؤنا.
(٥) ساقط من هـ.
(٦) في هـ: مفتر كذباً.
(٧) في هـ: حكم.
(٨) عند الحديث عن قصة نوح وقومه.
(٩) ساقط من جـ.
(١٠) من جـ.
(١١) الأصمعي: عبد الملك بن قريب أبو سعيد ت سنة ٢١٣ هـ.
انظر: نزهة الالباء للانباري ص ١٢١، طبقات المفسرين للداووي ١/ ٣٥٤.
(١٢) في هـ: بعضها.
(١٣) ليست قراءة ابن كثير وحده وإنما قرأ بها أيضاً: أبو جعفر وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٤٦، والنشر ٢/ ٣٢٨.

ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

وقوله ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ يعني الدلائل التي كانت لهما ﴿وسلطان مبين﴾ وحجة بينة يعني: اليد والعصا ﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا﴾ قال ابن عباس عن عبادة الله تعالى، وقال مقاتل: تكبروا عن الإيمان بالله ﴿وكانو قوماً عالين﴾ قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم وهو معنى قول ابن عباس: علوا على بني اسرائيل علواً كبيراً، وقال مقاتل: يعني متكبرين عن توحيد الله يدل عليه قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أنصدق إنسانين من لحم ودم ليس لهما علينا فضل ﴿وقومهما﴾ يعني: بني اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ قال ابن عباس: مطيعون قال أبو عبيدة: العرب تسمي كل من دان لملك عابد له[1] وقال المبرد: العابد المطيع الخاضع ﴿فكذبوهما﴾ يعني موسى وهارون ﴿فكانوا من المهلكين﴾ بتكذيبهما ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا به من الضلالة، قال مقاتل: يعني بني إسرائيل لأن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه قوله:

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آيةً﴾ هذا كقوله ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾[2] وقد تقدم وقوله ﴿وءاويناهما﴾ أي وجعلناهما يأويان ويرجعان ﴿إلى ربوة﴾ وهي المكان المرتفع من الأرض، قال ابن عباس[3]: يريد دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل ورواية[4] عكرمة عن ابن عباس، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال: وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً[5] وقال السدي: إنها أرض فلسطين وهو قول أبي هريرة وقوله ﴿ذات قرار﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار ﴿ومعين﴾ يعني: الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله ﴿يا أيها الرسل﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي ومقاتل: يعني محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذي[6] أمروا، قوله ﴿كلوا من الطيبات﴾ قال ابن عباس من الحلال [وقال الضحاك: أمرهم الا يأكلوا الإحلالاً طيباً][7] وقال الحسن اما والله ما عنى به أصفركم ولا

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢/٥٩.

(٢) الانبياء: ٩١.

(٣) في هـ: قال عبد الله بن سلام: هي دمشق وهو قول إسماعيل بن المسيب ومقاتل... الخ.

(٤) في هـ، د في رواية وهذا القول من تفسير ابن جرير ١٨/٢٠.

(٥) تفسير ابن جرير ١٨/٢١ وإن كان في هذا القول نظر بعد ما ثبتت كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس.

(٦) في هـ كما.

(٧) ساقط من د، هـ.

أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه ﴿واعملوا صالحاً﴾ [أي][١] بما أمركم الله به وأطيعوهفي أمره ونهيه ﴿إني بما تعملون عليم﴾ لا يخفى علي شيء[٢] من أعمالكم.

﴿وإن هذه أمتكم﴾ ان في قراءة من[٣] قرأ بفتح الألف معطوفة على الجار في قول الخليل وسيبويه التقدير: ولأن هذه أمتكم[٤] ﴿أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أي اتقـون[٥] لهذا ومن قرأ بالتخفيف فإن هي [٦] المخففة من المشددة كقوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [٧] ومن كسر مع التشديد [٨] فهو على الاستئناف ومعنى الآية قال مقاتل: يقول هذه التي أنتم عليها ملة الإسلام، ملة واحدة عليها كانت الانبياء والمؤمنون الذين نجوا من العذاب، والمعنى: أنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهو قوله ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ والكلام في الاثنين قد تقدم، وقوله ﴿زبراً﴾ قال المبرد: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور، هـو الفرقـة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، قال الكلبي: يعني مشركي العرب [واليهود][٩] والنصارى تفرقوا احزاباً ﴿كل حزب بما لـديهم فرحـون﴾ بما عنـدهم من الدين راضـون يرون أنهم على الحق ﴿فـذرهم في غمـرتهم﴾ في [حيرتهم][١٠] وغفلتهم وضلالتهم وجهالتهم قال مقاتل: يعني كفار مكة، وقوله ﴿حتى حين﴾ قال ابن عباس: يريد[١١] نزول العذاب بالسيف أو بالموت ﴿أيحسبـون أنما[١٢] نمدهم به من مال وبنين﴾ أي: أيحسبـون أن ما يعطيهم الله في هذه الدنيا من الأموال والبنين إنما يعطيهم ثواباً ومجازاة لهم لا بل هو استدراج لهم من الله وهو معنى قوله ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ ومعنى نسارع: نسرع [أي][١٣] أيحسبون أنا نتعجل في تقديم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم حين بسطنا لهم الرزق وأكثرنا أولادهم ﴿بل لا يشعرون﴾ لا يعلمون أن ذلك شر لهم، ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ الإشفاق: الخوف، تقول: أنا مشفق من هذا الأمر أي خائف، والمعنى: أنهم لما هم عليه من خشية الله خائفون من عذابه ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس: يصدقون[١٤] بالقرآن أنه من

---

(١) لفظ أي ساقط من «هـ».

(٢) في هـ عليه.

(٣) قراءة (أن) بفتح الألف وتشديد النون قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٢/٣٢٨.

(٤) الكتاب لسيبويه ٣/١٢٦.

(٥) في جـ: اتقوني.

(٦) في د، هـ كان، وقراءة (أن) بفتح الألف وتخفيف النون قرأ بها ابن عامر انظر: السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٢/٣٢٨.

(٧) يونس: ١٠.

(٨) قراءة (إن) بكسر الهمزة مع التشديد قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٢/٣٢٨.

(٩) ساقط من هـ.

(١٠) ساقط من د.

(١١) في هـ: يعني.

(١٢) في جـ: يحسبون.

(١٣) ليست في هـ.

(١٤) في هـ: مصدقون.

عند الله ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ لا يعبدون معه غيره ﴿والذين يؤتون ما ءاتوا﴾ أي يتصدقون ويعملون الأعمال الصالحة﴿وقلوبهم [وجلة][1]﴾ خائفة أن لا يقبل منهم، قال مجاهد: المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل وقال الحسن: المؤمن جمع إحساناً وشفقة والمنافق جمع إساءة وأمناً وإيتاء المال في هذه الآية عبارة عن الأعمال الصالحة إذ هو الأفضل والأشق على النفس أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، نا جرير عن ليث عن عمرة[2] عن عائشة قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة. . .﴾ الآية فقال: يا ابنة الصديق الذي يصومون وهم يفرقون[3] أن لا يقبل منهم ويصلون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم ويتصدقون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم[4] أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق، أنا أبو بكر القطيعي، نا إدريس بن عبد الكريم المقري، نا عاصم بن علي، نا أبو الاشهب[5] العطاري عن الحسن في قوله﴿والذين يؤتون ما ءتوا﴾ قال:كان[6] ما عملوا من أعمال البر يرون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله،قال الزجاج: قلوبهم خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون، قال صاحب النظم: فالوجل واقع على مضمر وقوله ﴿أنهم إلى ربهم﴾ سبب له على تأويل: وقلوبهم وجلة لا يقبل منهم لعلمهم أنهم إلى ربهم ﴿راجعون﴾ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله يخافون أن لا يقبل منهم قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون في الأعمال الصالحة ﴿وهم لها﴾ أي إليها ﴿سابقون﴾ قاله الفراء[7] والزجاج، وقال ابن عباس: ينافسون فيها أمثالهم من أهل البر والتقوى، وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى[8] الخيرات.

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

قوله ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي: إلا طاقتها من العمل فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فيصلي جالساً وقد سبق هذا في آخر سورة البقرة ﴿ولدينا كتاب﴾ يريد اللوح المحفوظ وفيه مكتوب كل شيء سبق في علم الله ﴿ينطق بالحق﴾ يبين[9] بالصدق ومعنى الآية :لا نكلف نفساً إلا ما اطاقت من العمل وتعلم اين تعمل[10]، لأنا قد اثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه ﴿وهم لا يظلمون﴾ [أي][11] لا ينقصون من ثواب أعمالهم، ثم عاد إلى ذكر الكفار فقال: ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ في غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة ﴿من دون [ذلك]﴾[12]

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية ت سنة ٩٨ هـ عن سبع وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٢/٣٢٨.

(٣) يفرقون: من الفرق بالتحريك وهو الخوف، أي يخافون.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٦/١٥٩، ٢٠٥ والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون بألفاظ متقاربة ٥/٣٢٧ ط الحلبي. والحاكم في المستدرك كتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرك ٢/٣٩٣

(٥) أبو الاشهب العطاري: جعفر بن صبان السعدي البصري ولد سنة ٧١ هـ الميزان ١/٤٠٥.

(٦) فيما عدا جـ: كانوا.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٩.

(٨) في هـ: في.

(٩) في جـ: بين.

(١٠) أي: أي شيء تعمل.

(١١) ليست في هـ.

(١٢) الكلام يقتضي حذفها.

أعمال المؤمنين التي ذكرها الله ﴿ **هم لها عاملون** ﴾ إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أن هذا اخبار عما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم أن يعملوها ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم**﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿**بالعذاب**﴾ بالسيوف يوم بدر ﴿**إذا هم يجأرون**﴾ يصيحون إلى الله ويصيحون ويقال لهم ﴿**لا تجأروا اليوم إنكم لا تنصرون**﴾ لا تمنعون منا نزلت في الذين قتلوا ببدر[١]، ثم ذكر أن اعراضهم عن القرآن أوجب أخذهم بالعذاب بقوله ﴿**لقد كانت آياتي تتلى عليكم**﴾ يعني القرآن ﴿**فكنتم على أعقابكم تنكسون**﴾ تتأخرون عن الإيمان به ﴿**مستكبرين**﴾ الكناية تعود إلى البيت أو الحرم أو[٢] البلد مكة في قول الجميع وهو كناية عن غير مذكور والمعنى: مستكبرين بالبيت والحرم لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف وقوله ﴿**سامراً**﴾[٣] السامر الجماعة يسمرون بالليل أي يتحدثون ﴿**تهجرون**﴾ يجوز أن يكون من الهجران وهو قول الحسن ومقاتل واختيار المفضل، والمعنى تهجرون القرآن وترفضونه فلا تلتفتون إليه ولا تنقادون له كما قال ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون**﴾ ويجوز أن يكون من الهجر وهو قول القبيح يقال: هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق وهو قول السدي والكلبي ومجاهد وقتادة وكانوا إذا خلوا حول البيت سبوا النبي ﷺ والقرآن وقالوا فيهما السوء[٤] ويقال في هذا المعنى أيضاً أهجر إهجاراً إذا أفحش في منطقه وهو قراءة ابن عباس ومجاهد[٥] قال الله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿**أفلم يدبروا القول**﴾ أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق محمد ﷺ ﴿**أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**﴾ قال ابن عباس: يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم فكذلك بعثنا محمداً إلى قومه[٦] ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون**﴾ قال ابن عباس: أليس هو محمد بن عبد الله يعرفونه صغيراً وكبيراً صادق اللسان يفي بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعدما عرفوا صدقه وأمانته ﴿**أم يقولون به جنة**﴾ قال ابن عباس: يريدون[٧] به جنون ترونه به ﴿**بل جاءهم بالحق**﴾ بالتنزيل الذي هو الحق، يعني القرآن ﴿**وأكثرهم للحق**[٨] **كارهون ولو اتبع الحق**

(١) ابن جرير عن مجاهد وابن جريج والضحاك ١٨/٢٩.

(٢) في هـ والحرم والبلد انظر ابن جرير ١٨/٣٠.

(٣) فيما عدا د سامراً تهجرون وهي مكررة.

(٤) انظر تفسير ابن جرير ١٨/٣٢

(٥) قراءة ابن عباس ومجاهد (تهجرون) بضم التاء وكسر الميم قرأ بها أيضاً نافع وحده. انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٢/٣٢٩، ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٣٩.

(٦) ساقط من د، هـ.

(٧) في هـ يريد أي جنون.

(٨) فيما عدا د: له.

أهواءهم﴾ قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدي: الحق هو الله والمعنى: لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً **﴿لفسدت السموات والأرض﴾**[١] [أي ومن فيهن][٢] وقال الزجاج والفراء ويجوز أن يكون المراد بالحق القرآن أي لو نزل بما تحبون[٣] من جعل شريك واثبات آلهة لفسدت السماوات والأرض ﴿ومن فيهن﴾[٤] كقوله ﴿لو[٥] كان فيهما آلهة [إلا الله[٦]] لفسدتا﴾ **﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾** أي بما فيه فخرهم وشرفهم، قال ابن عباس: هو كقوله ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه[٧] ذكركم﴾ **﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾** قال: يريد تولوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة **﴿أم تسألهم﴾** على ما جئتهم به من الإيمان والقرآن **﴿خرجا﴾** أجراً ومالاً يعطونك **﴿فخراج ربك خير﴾** فما يعطيك الله من أجره وثوابه ورزقه خير لك **﴿وهو خير الرازقين﴾** أفضل من أعطى وآجر[٨] **﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾** وهو دين الإسلام **﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** بالبعث والثواب والعقاب **﴿عن الصراط لناكبون﴾** عن الدين مائلون عادلون يقال: نكب فلان عن الطريق تنكب نكوباً إذا عدل عنه **﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾** يعني: الجوع الذي أصابهم بمكة سبع سنين[٩] **﴿للجوا في طغيانهم يعمهون﴾** لتمادوا في ضلالتهم[١٠] يترددون.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني الجوع **﴿فما استكانوا لربهم﴾** ما تواضعوا ولا[١١] انقادوا **﴿وما يتضرعون﴾** وما يرغبون إلى الله في الدعاء **﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾** قال ابن عباس في رواية الوالبي يعني يوم بدر وهو قول مجاهد واختيار الزجاج وقال في رواية عطاء: يريد الموت **﴿إذا هم فيه مبلسون﴾** آيسون من كل خير.

---

(١) روى هذا الرأي ابن جرير في تفسيره ١٨/٣٣.

(٢) عن هـ.

(٣) فيما عدا هـ ما يحبون.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٩.

(٥) آية (٢٢) سورة الانبياء.

(٦) من د، هـ.

(٧) الانبياء: ١٠.

(٨) في هـ واجر عليهم.

(٩) يوضح ابن جرير معنى هذه الآية فيقول: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال (للجوا في طغيانهم) يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم (يعمهون) يعني يترددون ثم يورد ما يؤيد هذا المعنى عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد اكلنا العلهز يعني: الوبر والدم فانزل الله (ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) وفي حديث آخر عن عكرمة عن ابن عباس: أن أبا أثال الحنفي لما اتى النبي ﷺ وهو أسير فخلى سبيله فلحق بمكة فجاء بين أهل مكة وبين الميرة: يعني القمح ـ من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: اليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى. فقال قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله ولقد اخذناهم بالعذاب الآية جامع البيان للطبري ١٨/٣٤.

(١٠) في جـ: اضلالهم.

(١١) في جـ، د: وما.

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ خلق لكم ﴿السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ قال مقاتل يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم ويوحدونه ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ يحيي الولد في الرحم فيولد حياً ثم يميته ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ قال الفراء: هو الذي جعلهما مختلفين[1] يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ ما ترون من صنعه فتعتبرون ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ قال الكلبي: كذبت قريش بالبعث مثل ما كذب الأولون وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ﴿سيقولون الله﴾ أي يقرون بأنها مخلوقة له ﴿قل أفلا تذكرون﴾ تتفكرون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى، قوله ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله﴾ وقرىء[2] لله وكذلك ما بعده فمن قرأ الله فعلى ما يقتضيه اللفظ من جواب السائل لأنك إذا قلت من رب السماوات فالجواب الله ومن قرأ لله فعلى المعنى لأن معنى من رب السماوات لمن السماوات فيقال لله كما يقال من مالك هذه الدار فيقال: لزيد لأن معناه لمن هذه الدار فإذا قالوا ذلك و﴿قل أفلا تتقون﴾ عبادة غيره ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ الملكوت الملك والتاء زيادة للمبالغة نحو جبروت ورهبوت ﴿وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ يقال: أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته وأجرت عليه إذا حميت عنه والمعنى: أنه يمنع من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراد بسوء وقوله ﴿فأنى تسحرون﴾ قال الفراء والزجاج: تصرفون[3] عن الحق وتخدعون، والمعنى: يخيل لهم الحق باطلاً والصحيح فاسداً ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما يضيفون إلى الله عن الولد والشريك ثم نفاهما عن نفسه فقال:

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ لاعتزل[4] وانفرد بخلقه فلا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ولمنع[5] الإلـه الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ طلب

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤١.

(٢) قراءة (لله) قرأ بها أبو عمرو وحده في الأولى ﴿سيقولون الله... الله﴾ بالألف في الاخيرتين وقرأ بقية القراء في الثلاثة (لله... لله... لله). انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/٣٢٨.

(٣) في هـ: يصدقون والنص في معاني الفراء ٢/٢/٢٤١.

(٤) فيما عدا هـ: اعتزال.

(٥) في هـ ومنع

بعضهم مغالبة بعض وهذا معنى قول المفسرين: لقاتل بعضهم بعضاً كما يفعل الملوك في الدنيا ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال [سبحانه[1] وتعالى] ﴿سبحان الله عما يصفون عالم الغيب [والشهادة][2]]﴾ بالجر[3] من نعت الله والرفع على خبر ابتداء محذوف [يعني:[4] هو عالم][5]

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿قل ربِّ[6] إما تريني ما يوعدون﴾ إن أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل ببدر ﴿رب فلا تجعلني [في القوم الظالمين][7]﴾ أي مع القوم الظالمين، قال الكلبي: مع الفئة الباغية، قال الزجاج: أي إن انزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم، ثم أخبر انه قادر على ذلك بقوله ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ثم أمره بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ يعني بالأحسن: الإعراض والصفح، والسيئة: أذى المشركين إياه، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يكذبون ويقولون من الشرك أي إنا نجازيهم بما يستحقون، ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان ليسلم في دينه فقال ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أمتنع واعتصم بك ﴿من همزات الشياطين﴾ معنى الهمز في اللغة: الدفع، وهمزات الشياطين: دفعهم بالاغواء إلى المعاصي وهو معنى قول المفسرين نزعاتهم ووساوسهم، وذلك أن الشيطان إنما يدفع الناس إلى المعاصي بما يوسوس إليهم ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في أموري أي أن يصيبوني بالسوء لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء ثم أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ أي إلى الدنيا ردوني إليها وإنما قال: ارجعوني كما يقال للجماعة لأن الله عز وجل يخبر عن نفسه بما يخبر به عن الجماعة في نحو قوله ﴿إنا لنحن نحيي وتميت﴾[8] وأمثاله فكذلك جاء الخطاب في ارجعون في مقابلته، قوله ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما

(١ + ٢) ساقط من هـ.

(٣) قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر برفع الميم السبعة (٤٤٧) قراءة عالم باجلر قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/٣٢٩.

(٤) ساقط من هـ: قراءة (عالم) بالرفع، قرأ بها: نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/٣٢٩.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: رب يا رب.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) آية (٢٣) الحجر وفي النسخ (نحن نحيى) والتصحيح من المصحف.

تركت﴾ قال ابن عباس: أشهد أن لا إله إلا الله، وقال قتادة: أما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة[١] ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها وقوله **﴿فيما تركت﴾** قال ابن عباس: فيما مضى من عمري قال الله **﴿كلا﴾** لا يرجع إلى الدنيا **﴿إنها﴾** إن مسألة الرجعة **﴿كلمة هو قائلها﴾** كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقوله **﴿ومن ورائهم برزخ﴾** يعني أمامهم وبين أيديهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين، وهو ها هنا ما بين الموت والبعث قال مجاهد [حاجز[٢]] حجاب[٣] بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه **﴿إلى يوم يبعثون﴾**

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿فإذا نفخ في الصّور﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير هي النفخة الأولى،وقال في رواية عطاء هي النفخة الثانية **﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾** قال: يريد لا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا **﴿ولا يتساءلون﴾** كما يتساءل[٤] العرب في الدنيا من أي قبيلة أنت، ولا بد من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ إنما يرتفع التواصل والتفاخر والتساؤل وهذه الآية لا تنافي قوله **﴿وأقبل بعضهم على بعض[٥] يتساءلون﴾** لأن للقيامة أحوال ومواطن منها ما يشغلهم عظم الأمر عن المسألة ومنها حال يفيقون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس في رواية المنهال عن عمرو ولما سئل عن الاثنين فقال هذه ثارات[٦] يوم القيامة قوله **﴿فمن ثقلت موازينه﴾** وهذه الآية والتي بعدها تقدم تفسيره قوله **﴿تلفح وجوههم النار﴾** اللفح: الاحراق يقال: لفحته النار والسموم إذا أحرقته **﴿وهم فيها كالحون﴾** الكلوح: بدو الأسنان عند العبوس وقال الزجاج: الكالح الذي قد تشمرت شفتاه عن أسنانه نحو ما ترى رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه قال ابن مسعود ككلوح الرأس النضيج أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا محمد بن عبد الله [بن محمد[٧] بن نظير] أنا محمد بن أيوب أنا [محمد[٨]] بن الحماني نا عبد الله بن المبارك عن سعيد[٩] بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته»[١٠] رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن الحسن بن حكيم[١١] عن أبي الموجه عن عبدان عن ابن المبارك. ويقال:

---

(١) في هـ: أهل وعشيرة.
(٢) ليست في هـ.
(٣) في هـ: حجاز.
(٤) في هـ: تساءلوا.
(٥) الصافات: ٢٧ .
(٦) أي أحوال يوم القيامة مرة بعد مرة ومفرد ثارات ثارة انظر اللسان ماة: ثير.
(٧) ساقط من هـ، ساقط من جـ، د.
(٨) في د: اخا محمد بن نصير وفي هـ: ابن الجاني.
(٩) سعد بن يزيد الحميري القتباني أبو شجاع الاسكندراني ت سنة ١٥٤ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠١/٤ الجرح والتعديل ٧٣/٢.
(١٠) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرك ٣٩٤/٢.
والترمذي بألفاظ متقاربة وقال حسن صحيح غريب كتاب التفسير سورة المؤمنون ٣٢٨/٥ ط الحلبي.
(١١) في هـ: حليم.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿**ألم تكن آياتي**[١]﴾ يعني القرآن ﴿**تتلى عليكم**﴾ تخوفون بها ﴿**فكنتم بها تكذبون**﴾ في الدنيا ﴿**قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا**﴾ وقرىء شقاوتنا[٢] ومعناهما واحد وهما مصدران، قال مجاهد ومقاتل: غلبت علينا شقاوتنا التي كتبت علينا في الدنيا فلم نهتد وهو قوله: ﴿**وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها**﴾ من النار قال ابن عباس: سألوا الرجعة ﴿**فإن عدنا**﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿**فإنا ظالمون**﴾ قال:

قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿**اخسأوا فيها**﴾ قال المبرد: الخسأ: إبعاد بمكروه وقال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط وأبعدوا بعد الكلب ﴿**ولا تكلمون**﴾ في رفع العذاب عنكم اخبرنا أحمد بن إبراهيم المقري، أنا سعيب بن محمد البيهقي، أنا مكي بن عبدان[٣]، نا أبو بكر الازهر، نا روح[٤] نا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو[٥] أن أهل جهنم يدعون مالكاً أربعين عاماً فلا يجيبهم ثم يقول: إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما يمسي القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق [٦] وقال القرظي إذا قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم ودعاؤهم وأقبل بعضهم يقبح [٧] في وجه بعض واطبقت عليهم ﴿**إنه كان فريق من عبادي**﴾ قال ابن عباس يريد المهاجرين ﴿**فاتخذتموهم سخرياً**﴾ وقرىء بكسر السين ها هنا وفي سورة ص[٨] واتفقوا على الضم في سورة الزخرف يقال: سخر منه وسخر به سخرية وسخرياً إذا هزىء ومن السخرة التي هي بمعنى العبودية يقال اتخذت فلاناً سخرياً بالضم لا غيره ومن اتفقوا على الضم في الأخرى[٩] لأنه من السخرة، قال أبو عبيدة: سخرياً يسخرون منهم وسخرياً يسخرونهم[١٠] وقال يونس: سخرياً من السخرة [مضموم] [١١] ومن الهزء سخري

---

(١) فيما عدا هـ آياتي تتلى عليكم وهي مكررة.

(٢) قراءة (شقاوتنا) بالألف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر النشر ٢/ ٣٢٩.

(٣) مكي بن عبدان التميمي ت سنة ٣٢٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٢.

(٤) روح بن جناح الاموي أبو سعد (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٢، وفي الكامل لابن عدي قال عن روح وربما اخطأ في الاسانيد وهو ممن يكتب حديثه. الكامل ٣/ ١٠٠٥.

(٥) في أ، ب، بن عمرو

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٥/ ٥٩.

(٧) في هـ: ينبع السبعة ص ٤٤٧، والنشر ٢/ ٣٢٩.

(٨) قراءة (سخرياً) بكسر السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/ ٣٢٩.

(٩) من قوله ﴿**ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً**﴾ الزخرف: ٣٢.

(١٠) مجاز القرآن لابى عبيدة ٢/ ٦٢ بتصرف.

(١١) ساقط من جـ.

وسخري وعلى القراءتين جميعاً هو مصدر وصف به ولذلك أفرد ابن عباس: يريد تستهزئون بهم وقال مقاتل: إن كفار قريش كانوا يستهزئون من عمار وبلال وخباب وصهيب[١] وسلمان وسالم وقوله ﴿**حتى أنسوكم ذكري**﴾ أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم وبالضحك منهم فنسب الانساء إلى عباده المؤمنين وأن لم يفعلوه لما كانوا السبب كقوله ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس[٢]﴾ لما كانت سبباً في الاضلال نسب الاضلال إليها معنى قول المفسرين تركم الاستهزاء لا تؤمنون بالقرآن ﴿**إني جزيتهم اليوم بما صبروا**﴾ على أذاكم واستهزائكم ﴿**إنهم هم الفائزون**﴾ [**في موضع**[٣] المفعول الثاني لجزيت، والمعنى جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز ومن كسر[٤] استأنف وأخبر فقال انهم هم **الفائزون**] أي الذين قالوا ما أرادوا قوله:

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

«قال كم لبثتم في الأرض» قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم في الأرض يعني الدنيا وفي القبور ﴿**عدد سنين**﴾ وقرىء قل[٥] أي قل أيها الكافر المسئول عن قدر لبثه كم لبثتم ﴿**قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم**﴾ قال ابن عباس: انساهم الله قدر لبثهم فيرون أنهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم لعظيم[٦] ما هم بصدده من العذاب بسوء[٧] ذلك قوله ﴿**فاسأل العادين**﴾ يعني الملائكة ﴿**قال إن لبثتم**﴾ أي قال الله تعالى: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً لأن مكثهم في القبور وإن طال فإنه متناه قليل عند طول مكثهم في عذاب جهنم لأنه خلود ولا يتناهى وقوله ﴿**لو أنكم كنتم تعلمون**﴾ أي قدر لبثكم[٨] في الدنيا.

قوله: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً**﴾ العبث في اللغة: اللعب يقال عبث عبثاً فهو عابث لاعب بما لا يعنيه ومعناه للعبث[٩] قال ابن عباس: يريد كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى[١٠]﴾ أن يهمل كما تهمل البهائم والمعنى: افحسبتم أنكم خلقتم للعبث فتعبثوا ولا تعملوا بطاعة الله ﴿**وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ في الآخرة للجزاء ﴿**فتعالى الله**﴾ عما يصفه به الجهال من الشريك والولد ﴿**الملك الحق**﴾

---

(١) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل الربعي النمري ت سنة ٣٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة. اسد الغابة ٣/٣٦، ط الشعب.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (أنهم) بكسر الهمزة قرأ بها حمزة والكسائي وخارجة عن نافع انظر: السبعة ص ٤٤٩، والنشر ٢/٣٢٩.

(٥) قراءة (قل) بغير ألف قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٤٤٩ والنشر ٢/٣٣٠.

(٦) في هـ: تعظيم.

(٧) في هـ: نسوا.

(٨) في هـ: أو.

(٩) في هـ: العبث.

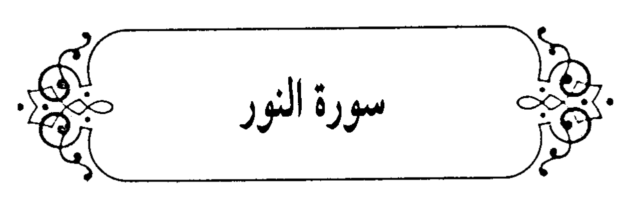
(١٠) القيامة: ٣٦.

لأنه ملك غير مملك وكل ملك غيره فملكه مستعار لأنه يملك ما ملكه الله ثم وحد نفسه فقال ﴿**لا إله إلا هو رب العرش الكريم**﴾ السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن، ثم أوعد من أشرك به فقال:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به**﴾ أي إلهاً لم ينزل بعبادته كتاب ولا بعث بها رسول ﴿**فإنما حسابه عند ربه**﴾ أي ان حساب عمله عند الله فهو يجازيه بما يستحق كما قال: ﴿ثم إن علينا حسابهم[1]﴾ ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**﴾ لا يسعد من كذب وجحد، ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين فقال: ﴿**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**﴾ أي أفضل رحمة من الذين يرحمون.

(١) الغاشية: ٢٦.



سورة النور

مدنيّة وآياتها أربع وستون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الخفاف ملازم الجامع أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسلم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال لي رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي[(١)]. أخبرنا الاستاذ أبو منصور البغدادي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، نا محمد بن عبد الله بن مسلم[(٢)] الحضرمي، نا محمد بن إبراهيم الشامي[(٣)]، نا شعيب بن إسحاق[(٤)] الدمشقي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور يعني النساء رواه[(٥)] الحاكم (أبو عبد الله)[(٦)] في صحيحه عن أبي علي الحافظ عن الباغندي عن عبد الوهاب[(٧)] بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق ورواه الاستاذ أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره عن ابن فنجويه الدينوري عن [ابن أبي شيبة] عن محمد بن أحمد الكرابيسي عن سليمان بن توبة[(٨)] عن محمد[(٩)] الشامي فكأني سمعته ممن سمع منه شيخه.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿سورة أنزلناها﴾ قال الزجاج: هذه سورة أنزلناها ورفعها بالابتداء قبيح لأنها نكرة، وأنزلناها صفة لها ﴿وفرضناها﴾ أي فرضنا فرائضها أي الفرائض المذكورة فيها فحذف المضاف وحجة[(١٠)] التخفيف قوله: ﴿إن الذي

---

(١) لم نعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٢) في جـ، د: سليمان.

(٣) محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي الدمشقي السائح (كذاب) انظر الميزان ٣/٤٤٦.

(٤) شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الدمشقي الأموي ولد سنة ١١٨ هـ ٩ وتوفي سنة ١٨٩ هـ التهذيب ٤.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير سورة النور وقال صحيح الإسناد وعقب عليه الذهبي بقوله: بل موضوع وآفته عبد الوهاب أحد رواته قال أبو حاتم كذاب المستدرك مع التلخيص ٢/٣٩٦.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان السلمي العرضي أبو الحارث ت سنة ٢٤٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٦.

(٨) سليمان بن توبة النهرواني أبو داود البغدادي ت ٢٦ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤/١٧٦.

(٩) لفظ محمد ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(١٠) قراءة (فرضناها) بالتخفيف، قرأ بها: ابن كثير وابن عامر انظر: السبعة ص ٤٥٤٢ والنشر.

فرض عليك القرآن﴾[١] والتشديد [٢] في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرائض المذكورة في القرآن، وقال مجاهد يعني الأمر بالحلال والنهي عن الحرام وهذا يعود إلى معنى اوحيناهـا قوله ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ معنى الجلد ضرب الجلد يقال: جلده إذا ضرب جلده مثل رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه ومعنى الآية الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين ﴿**فاجلدوهما مائة جلدة**﴾ هذا يجب بنص الكتاب ويجب بالسنة تغريب[٣]. أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل، نا موسى[٤] بن هارون، نا قتيبة[٥] عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله[٦] بن عتبة عن ابن أبي هريرة وزيد[٧] بن خالد الجهني أنهما قالا: أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله انشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله فقال الخصم الآخر وهو افقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: ان ابني كان عسيفاً على هذا فزنا بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت [رجلاً[٨] من أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام واغد يا أنيس[٩] على امرأة هذا فارجمها ان اعترفت قال فغدا إليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت رواه البخاري[١٠] ومسلم كلاهما عن قتيبة وقوله ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة**﴾ يقال: رأف رأفة ورآفة مثل النشأة والنشاءة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة[١١] ولعلها لغة، والمعنى لا تأخذكم الرأفة بهما فتعطلوا الحدود ولا تقيموها رحمة عليهما وشفقة بهما وهذا قول عطاء ومجاهد، وقال الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم قالوا: يوجع الزاني ضرباً ولا يخفف رأفة، وقوله: ﴿**في دين الله**﴾ قال ابن عباس في حكم الله كقوله ﴿**ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك**﴾[١٢] أي في حكمه ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله**﴾ [وبالبعث[١٣]] ﴿**واليوم الآخر**﴾ قال مقاتل: إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبالبعث الذي فيه جزاء الاعمال فلا تعطلوا الحدود وهذا يقوي القول الأول لأن هذا كالوعيد في ترك الحدود ﴿**وليشهد عذابهما**﴾ وليحضر ضربهما ﴿**طائفة من المؤمنين**﴾ نفر من المسلمين يكون ذلك نكالاً[١٤] لهما وقال الحسن أمر أن يعلن ذلك.

---

(١) آية (٨٦) سورة القصص وفي د: لرادك إلى معاد تكملة للآية.

(٢) قراءة التشديد في (فرضناها) قرأ بها: أبوعمرو ونافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وعاصم انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/ ٣٣٠.

(٣) يرى أبو حنيفة عدم وجوب التغريب وأنه ليس من الحواتم هو تعزير وسياسة فإذا رأى الإمام فيه مصلحة نفذه على قدر ما يرى وإلا فلا وانظر في ذلك تفسير الألوسي ١٨/ ٨١.

(٤) موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان أبو عمران ولد سنة ٢١٤ ت سنة ٢٩٤ هـ تذكرة الحفاظ ٢٨/ ٦٦٩ طبقات الحفاظ ص ٢٩٢.

(٥) قتيبة بن سعيد بن جميل بن ظريف الثقفي أبو رجاء البغدادي ت ٢٤٠ هـ التقريب ٢/ ١٢٣، التهذيب ٨/ ٣٦٠.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) زيد بن خالد الجهني أبو عبد الرحمن المدني الصحابي ت ٦٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠.

(٨) ليست في هـ.

(٩) انيس بن الضحاك الأسلمي، انظر: اسد الغابة ١/ ١٦٣.

(١٠) رواه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود ٣/ ٢٤٠ ومسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(١١) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٢) والنشر ٢/ ٣٣٠.

(١٢) يوسف: ٧٦.

(١٣) ساقط من جـ، د، هـ.

(١٤) في هـ: نكالهما.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

قوله ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم [ذلك][(١)] على المؤمنين﴾ قال أكثر المفسرين: كانت بالمدينة نساء بغايا لهنّ علامات كعلامات البياطرة وكن مخاصيب الرجال[(٢)] فلما قدم المهاجرون المدينة لم يكن لهن مساكن ولا عشائر فأرادوا أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم فنهوا عن ذلك ونزلت هذه[(٣)] الآية ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا المعلنات، وذكر أن من فعل ذلك وتزوج بواحدة منهن فهو زانٍ فالتحريم كان خاصة على أولئك دون الناس،ومذهب سعيد بن جبير أن[(٤)] هذه الآية منسوخة نسخها قوله ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[(٥)] قال أبو عبيد مذهب مجاهد أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة ومذهب سعيد أن التحريم كان عاماً ثم نسخته الرخصة فإن تزوج امرأة تبين منها الفجور لم يكن ذلك تحريماً بينهما ولا طلاقاً ولكنه يؤمر بطلاقها ويخاف عليها الاثم في امساكها لأن الله تعالى إنما اشترط على المؤمنين نكاح المحصنات فقال ﴿والمحصنات من[(٦)] المؤمنات﴾[(٧)] فأما حديث الاستمتاع الذي قال للنبي ﷺ ان امرأته لا تمنع يد لامس[(٨)] فأمره النبي ﷺ بالاستمتاع بها وامساكها فهذ خلاف الكتاب والسنة لأن الله تعالى إنما أذن في نكاح المحصنات خاصة ثم أنزل في القاذف لامرأته آية اللعان وسنة رسول الله ﷺ التفريق بينهما فلا يجتمعان ابداً فكيف يأمر بالاقامة على عاهرة لا تمتنع ممن ارادها وفي حكمه أن يلاعن بينهما ولا يقرّ قاذفاً على حاله والحديث ليس يثبت عن النبي ﷺ إنما عبرته هارون بن رياب[(٩)] عن عبد الله بن عيد وعبرته عبد الكريم الجزري عن ابن الزبير[(١٠)] وكلاهما يرسله فإن ثبت فإن تأويله أن الرجل وصف امرأته بالخرف وضعف الرأي وتضييع ماله فهي تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق وهذا أشبه بالنبي ﷺ وأجرى بحديثه هذا كله كلام أبي عبيد[(١١)]، قوله:

---

(١) من د فقط.

(٢) في النسخ الرجال هو تصحيف فقد جاء في اللسان: الرجل إذا كان كثير خير المنزل يقال انه خصيب الرجل وعلى هذا يستقيم المعنى أي كان عندهن خير كثير.

(٣) في المستدرك للحاكم كلام قريب من هذا المعنى في كتاب التفسير سورة النور ٢/٣٩٦ وفي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن مقاتل كلام قريب من هذا الدر ٦/١٢٧.

(٤) في حـ، د: المسيب.

(٥) النور: ٣٢.

(٦) النساء: ٣٤.

(٧) للألوسي في هذه الآية رأي خلاصته (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) تقبيح لأمر الزاني أشد تقبيح بأنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به أن ينكح العفيفة المؤمنة وإنما يليق به أن ينكح زانية هي في ذلك طبقة كما قيل: وافق شن طبقة أو مشركة هي أسوأ منه حالاً واقبح أفعالاً (فلا ينكح) خبر مراد منه لا يليق به أن ينكح كما نقول السلطان لا يكذب أي لا يليق به أن يكذب نزل فيه عدم لياقة الفعل منزلة عدمه وهو كثير في الكلام ثم المراد اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنا يكون فيه من تقبيح الزنا ما فيه ا. هـ. وانظر تفسير الألوسي فقد عرض هذه المسألة ببسط واسهاب. روح المعاني ١٨/٤٨.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/١٣٨.

(٩) هارون بن رياب التميمي الاسيدي أبو بكر. تهذيب التهذيب ١١/٤.

(١٠) في حـ، د، هـ: أبي.

(١١) في هـ: أبي عبيد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يرمونهن بالزنا والاحصان المشروط في المقذوفة حتى يجب الحد على القاذف خمسة أوصاف البلوغ والعقل والاسلام والحرية والعفة عن الزنا، وقوله **﴿ثم لم يأتوا﴾** أي على ما رموهن به من الزنا **﴿بأربعة شهداء﴾** عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك **﴿فاجلدوهم﴾** يعني الذين يرمون بالزنا **﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾** المحدود في القذف لا تقبل شهادته **﴿أولئك هم الفاسقون﴾** العاصون في مقالتهم ثم استثنى فقال: **﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾** يذهب[1] كثير من العلماء إلى أن هذا الاستثناء يعود إلى الفسق فقط وأما الشهادة فلا تقبل أبداً، وهذا قول شريح[2] وإبراهيم (وإسحاق)[3] وقتادة واختيار أهل العراق وقالوا: قضاء من الله أن لا تقبل شهادته أبداً وإنما نسخت توبة الفسق وحده وقد رأى آخرون أنها نسخت الفسق وإسقاط الشهادة معاً وهو قول الزهري والقاسم بن محمد وعطاء وطاووس والشعبي وعكرمة ومجاهد وقول أهل الحجاز جميعاً واختيار الشافعي وقول ابن عباس في رواية الوالبي قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل، قال أبو عبيدة وكلا الفريقين تأول هذه الآية، فالذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله أبداً ثم استأنف فقال: **﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾** فأوقع التوبة على الفسق خاصة دون الشهادة، وأما الآخرون فذهبوا إلى أن الكلام معطوف بعضه على بعض ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل كلام، والذي نختار هذا[4] القول لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راكبها ولا خلاف في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب فالرامي أيسر جرماً إذا نزع وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر إذا أسلم وأصلح قبلت شهادته فالقاذف حقه أيضاً إذا تاب وأصلح أن تقبل شهادته وهذا معنى قول الشافعي إذا قبلتم توبة الكافر والقاتل عمداً فكيف لا تقبلون شهادة القاذف وهو أقل ذنباً وقد قال الشعبي: يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته وهذا إجماع الصحابة، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب المعقلي، أنا الربيع، أنا الشافعي،[5] أنا سفيان بن عيينة قال: سمعت الزهري قال: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة تقبل شهادتك أو إن تبت قبلت شهادتك فإن قيل فما الفائدة في قوله أبداً، قيل أبد كل إنسان مقدار مدته فيما يتصل بقضيته تقول: الكافر لا تقبل منه شيئاً أبداً معناه ما دام كافراً كذلك القاذف لا تقبل شهادته أبداً ما دام قاذفاً فإذا زال عنه الكفر زال أبداً، وإذا زال عنه الفسق زال أبداً، لا فرق بينهما في ذلك،[6] قوله: **﴿وأصلحوا﴾** قال ابن عباس: يريد إظهار التوبة وقال مقاتل: وأصلحوا العمل **﴿فإن الله غفور﴾** لقذفهم **﴿رحيم﴾** بهم حيث تابوا. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك عن جويبر عن

---

(١) فيما عدا هـ: فذهب.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي ت سنة ٧٨ عن مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ١/٥٩، التهذيب ٤/٣٢٦/ شذرات الذهب ١/٨٥/، ابن سعد ٦/٩٠.

(٣) ساقط من حـ، د.

(٤) فيما عدا هـ: نختار (من) هذا.

(٥) بين الشافعي في كتابه الأم هذه المسألة ببسط وتوضيح ٧/٤١ ط الشعب.

(٦) الام للشافعي ٧/١٤١ ط الشعب، أسد الغابة ٦/٣٨.

الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات الآية قال عاصم بن عدي[١] يا رسول الله لو وجدت على بطن امرأتي رجلاً فقلت لها يا زانية اتجلدني بمائتين جلدة إلى أن آتي باربعة شهداء قد قضى الرجل منها حاجته ثم مضى!؟ قال: كذلك أنزلت يا عاصم بن عدي فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع فقال ما وراءك، قال شر وجدت شريك بن سحماء[٢] على بطن امراتي خولة يزني بها وخولة بنت عاصم فقال هذا والله سؤالي النبي ﷺ آنفاً (فرجع إلى النبي ﷺ) فأخبره هلال بن أمية[٣] بالذي كان فبعث إليها فقال ما يقول زوجك قالت يا رسول الله إن ابن السحماء كان يأتينا في منزلنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي[٤] وخرج زوجي ولم ينكر علي[٥] ساعة من ليل ولا نهار فلا أدري أدركته الغيرة أو قل عليه بالطعام فأنزل الله تعالى آية اللعان:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ الآيات فأقامه النبي ﷺ بعد العصر عن يمين النجم فقال: يا هلال أنت الشاهد أنك رأيتها تزني فقال: أشهد بالله لقد رأيته[٦] على بطنها يزني بها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما برئت منه ولا بريء منها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما قربتها منذ أربعة أشهر وإن حملها هذا الذي في بطنها من شريك بن سحماء[٧] واني من الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فقال القوم آمين فقال النبي ﷺ يا خولة ويحك إن كنت ألممت بذنب فأقري به فإن الرجم بالحجارة في الدنيا أيسر عليك من غضب الله في الآخرة، وإن غضبه عذاب فقالت يا رسول الله كذب فاقامها مقامه فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه لمن الكاذبين ما رآه على بطني يزني بي وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد برئت من الزنا وبريء شريك بن سحماء مني وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد قربني منذ أربعة أشهر وإن ما في بطني من هلال بن أمية وإنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما النبي ﷺ وقال لا يجتمعان أبداً إلى أن تقوم الساعة[٨] فمعنى قوله: ﴿والذين يرمون﴾ أي الزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات﴾ ويقرأ أربع بالنصب[٩] فقال الزجاج: من قرأ بالرفع[١٠] فعلى خبر الابتداء المعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القاذف أربع والدليل على هذا قوله: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات﴾ ومن نصب فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع

---

(١) عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان الأوسي الانصاري ت سنة ٤٥ هـ عن مائة وخمس عشرة سنة انظر: أسد الغابة ٣/١١٤.

(٢) شريك بن سحماء وهي أمه، وأبوه عبده بن معتب بن الجد بن العجلان البلوي. انظر أسد الغابة ٢/٥٢٢ ط الشعب.

(٣) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي. اسد الغابة ٥/٤٠٦.

(٤) في جـ: عنده،

(٥) في هـ: على.

(٦) في هـ: اني قد رأيتها.

(٧) في جـ: سمحاء وهو تصحيف.

(٨) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة النور ٦/١٢٦ باختصار، وكذلك مسلم في كتاب اللعان ٢/١١٢٩ وأبو داود في كتاب الطلاق باب في اللعان حديث ٢٢٥٦ مختصراً، واحمد بن جنبل في المسند ١/٢٣٨ بلفظ مختلف، وابن جرير في تفسيره ٨٠/٦٨.

(٩) قراءة النصب في (أربع) قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ونافع. انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/٣٣٠.

(١٠) قراءة (أربع) بالرفع قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف انظر: السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/٣٣٠.

شهادات قوله ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ قال ابن عباس وذلك إن الرجل يذكر أنه رأى مع امرأته رجلاً أربع مرات ثم يقول في الخامسة: اللهم العنه إن كان كذب عليها وقرأ نافع[1] أن مخففة لعنة[2] بالرفع قال سيبويه لا تخفف في الكلام وبعدها الاسماء إلا وأنت تريد الثقيلة[3] وقال الأخفش لا أعلم الثقيلة إلا أجود في العربية لأنك إذا خففت فالأصل الثقيلة فتخفف وتضمر الشأن فأن تجيء بالأصل ولا تحذف شيئاً ولا تضمر أجود ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أي ويدفع عنها الحد ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ تقول المرأة أربع مرات: اشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما قذفني به وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان من الصادقين فذلك قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾[4] وقرأ حفص: والخامسة[5] نصباً على المعنى كأنه قال: وتشهد الخامسة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي ستره ونعمته لولا ها هنا محذوف الجواب قال الزجاج: المعنى: لولا فضل الله لنال الكاذب منهما عذاب عظيم أي لبين الكاذب من الزوجين فيقام عليه الحد ﴿وأن الله تواب﴾ يعود على من رجع عن معاصي الله إلى ما يجب بالرحمة ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الحدود.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾

قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ يعني: بالكذب على عائشة رضي الله عنها والإفك: أسوأ الكذب وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه والإفك هو الحديث المقلوب عن وجهه ومعنى القلب في هذا الحديث أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف الحسب[6] والنسب لا القذف [الذي رموها به][7] فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح وكذب ظاهر وكانت قصة الإفك على ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، أنا الحسن بن عبد الله النحوي بعسكر مكرم، نا محمد بن عبد الرحمن بن صالح النماري، نا أبو الربيع[8] الزهراني، نا فليح بن سليمان[9] المدني عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن[10] وقاص الليثي وعبيد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه

---

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولد سنة ٧٠ هـ. وت. سنة ١٥٠ هـ طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٢٠.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٣) الكتاب لسيبويه ٣/ ١٦٣.

(٤) ويتبادر إلى الذهن سؤال: هل اللعان تفريق أم طلاق؟ ذهب أبو حنيفة إلى أنه طلاق وتقع به طلقة بائنة فلو كذب نفسه يحل له تزوجها وذهب الائمة الثلاثة إلى أنه تفريق تثبت به الحرمة كحرمة الرضاع فلا يجتمعان بعد ذلك ابداً، انظر تفسير الالوسي ١٧/ ٢١٠.

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٦) في جـ، د، هـ، من المسبب.

(٧) ساقط من د، هـ.

(٨) أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٣٣٤ هـ انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٨، تذكرة الحفاظ ص ٢٠٣.

(٩) فليح بن سليمان بن أبي المغيرة الخزاعي المدني انظر: تذكرة الحفاظ ٩١/ ٢٢٣، شذرات الذهب ١/ ٢٦٦ طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧.

(١٠) علقمة بن وقاص الليثي توفي في خلافة عبد الملك بن مروان... انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٠، تذكرة الحفاظ ١١/ ٥٣ طبقات الحفاظ ص ١٦.

قال الزهري: فكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت امتصاصاً ووعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً رووا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه قالت [عائشة][١] فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ ذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوة وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل [فقمت حين أذنوا بالرحيل][٢] فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار[٣] قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين [كانوا][٤] يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه[٥] ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعوا إليّ وبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة[٦] فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي [بن][٧] سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك فهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه [حين][٨] أشتكي إنما كان يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا أشعر بالسر[٩] حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن يتخذ الكنف وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح[١٠] وهي بنت أبي رهم وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً قد شهد بدرا فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي أبوي قالت[١٢]: وأنا أريد حينئذ

---

(١) ليست في هـ.

(٢) ساقط من ب.

(٣) ظفار مدينة باليمن في موضعين احداهما قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري وبها كان مسكن ملوك حمير ـ معجم البلدان ٦٠/٤.

(٤) ساقط من.

(٥) في جـ: حملوه.

(٦) أي في وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء. النهاية لابن الأثير باب الواو مع الغين.

(٧) ساقط من أ، د، ابن ابي له ذكر في ترجمة ولده عبد الله اسد الغابة ٢٩٦/٣.

(٨) ليست في هـ.

(٩) فيما عدا جـ بالشر.

(١٠) أم مسطح بنت أبي رهم القرشية التيمية. الاصابة ٤٩٦/٤

(١١) في هـ: قال.

أن أتيقن الخبر من قبلها فأذن لي رسول الله فجئت أبوي فقلت يا أمه ما يتحدث الناس قالت أي بنية هـوني عليـك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قال فقلت: سبحان الله أو قد[١] تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب حين استلبث[٢] الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك وما تعلم إلا خيراً وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة[٣] فقال: يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة؟ قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت أمراً أغمطه قط عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال ـ وهو على المنبر ـ يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فـوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك [منه][٤] إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام سعد بن[٥] عبادة ،وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن حملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتلنه ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت [لعمر الله][٦] لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس[٧] والخزرج[٨] حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي أستأذنت علي امراة من الانصـار فأذنت لهـا فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس [قالت ولم يجلس][٩] عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهراً لا يوحى إليه شيء في شأني قالت فتشهد رسول الله ﷺ ثم[١٠] قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ [كلامه][١١]قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ قالت: والله ما أدري ما أقول [لرسـول الله][١٢][فقلت][١٣]وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ والله لقد عرفت أنكم قد

---

(١) في د، هـ: لقد.

(٢) استلبث: استفعل من اللبث وهو الابطاء والتأخير النهاية لابن الاثير ٤/٢٢٤.

(٣) بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها انظر الاصابة ٤/٢٥١.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الانصاري الخزرجي ت سنة ١٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٣/٤٧٥

(٦) ساقط من د.

(٧) قبيلة الاوس هم بنو الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء بطن عظيم من الازد من القحطانيين معجم قبائل العرب ١/٥٠.

(٨) والخزرج هم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن البهلول بن عمرو بطن من الازد القحطانية وكانت العرب تطلق على الاوس والخزرج اسم الخزرج معجم قبائل العرب ٣/٩٩٦.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) ساقط من د وفي هـ مقالته.

(١٢) ساقط من د، هـ.

(١٣) ساقط من جـ، هـ.

سمعتم هذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقوني [ولئن اعترفت لكم ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقوني][١] والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[٢] قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن ـ والله ـ ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني احقر في نفسي من أن يتكلم الله فيّ بوحي [٣] يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ـ ﷺ ـ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه ﷺ وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء [٤] عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات فلما أنزل الله هذه الآيات في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً [أبداً][٥] بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب[٦] بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمت وما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت حمنة بنت جحش[٧] تحارب لها فهلكت فيمن هلك [٨] رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي الربيع الزهراني فذلك قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ أي جماعة منكم أيها المؤمنون ذكرتهم عائشة فيما أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، أنا حماد بن سلمى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم أربعة حسان ابن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش[٩]، قوله ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ لا تحسبوا الإفك شراً لكم، قال مقاتل: لأنكم تؤجرون على ما قيل لكم من الأذى ﴿بل هو خير لكم﴾ لأن الله يأجركم ويظهر براءتكم والخطاب لعائشة وصفوان فيما ذكر أهل التفسير، وقال الزجاج: يعني عائشة وصفوان ومن بسببهما [سب][١٠] من النبي ﷺ وأبي بكر ويكون الخطاب لكل من رمى بسب وذلك أن من سب عائشة فقد سب النبي ﷺ وسب أبا بكر وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: يريد خيراً لرسول الله ﷺ وبراءة لسيدة النساء أم المؤمنين وخيراً

---

(١) ساقط من د.

(٢) يوسف: ١٨.

(٣) فيما عدا جـ. بأمر.

(٤) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي: النهاية لابن الأثير باب الباء مع الراء.

(٥) ساقط من د.

(٦) زينب بنت جحش الاسدية أم المؤمنين ت سنة ٢٠ هـ عن خمسين سنة الاصابة ٤/ ٣١٣.

(٧) حمنة بنت جحش الاسدية الاصابة ٤/ ٢٧٥.

(٨) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً وفي كتاب التفسير سورة النور ٦/ ١٢٧: ١٣٢، والايمان باب التوحيد ٩/ ١٧٦ ط الشعب.

ومسلم كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/ ٢٩ ط الحلبي.

(٩) رواه مسلم في كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/ ٢١٣٨.

رواه صاحب المسند ٦/ ٣٥ وأبو داود في كتاب الحدود باب القذف والترمذي في كتاب التفسير سورة النور حديث ٣٢٣١.

(١٠) ساقط من هـ.

لأبي بكر وأم عائشة ولصفوان بن المعطل وقوله ﴿**لكل امرىء منهم**﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿**ما اكتسب من الاثم**﴾ جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿**والذي تولى كبره**﴾ استبد بمعظمه وانفرد به، قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث وكبر الشيء: معظمه بالكسر وهو عبد الله بن أبي في قول مجاهد ومقاتل والسدي وعطاء عن ابن عباس وقوله ﴿**منهم**﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿**له عذاب عظيم**﴾ قال ابن عباس: يريد في الدنيا الجلد جلده رسول الله ﷺ ثمانين جلدة[١] وفي الآخرة يصيره الله إلى النار ثم أنكر على الذين خاضوا في الإفك فقال:

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿**لولا إذ سمعتموه**﴾ هلا إذ سمعتم أيها العصبة الكاذبة قذف عائشة بصفوان ﴿**ظن المؤمنون والمؤمنات**﴾ من العصبة الكاذبة يعني[٢] حمنة بنت جحش وحسان ومسطحاً ﴿**بأنفسهم خيراً**﴾ قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ألا ترى إلى قوله ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾[٣] قال الزجاج: ولذلك يقال [للقوم][٤] الذين يقتل بعضهم بعضاً إنهم يقتلون أنفسهم وقال المبرد: ومثله قوله ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾[٥] ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾ هذا القذف كذب بين ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء**﴾ هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء يشهدون بأنهم عاينوا منها ما رموها به ﴿**فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله**﴾ في حكمه ﴿**هم الكاذبون**﴾ ثم ذكر الذين قذفوا عائشة فقال:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ في الدنيا والآخرة ولولا ما من الله به عليكم ﴿**لمسكم**﴾ لأصابكم ﴿**فيما أفضتم فيه**﴾ فيما[٦] أخذتم وخضتم فيه من الكذب والقذف ﴿**عذاب عظيم**﴾ في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: عذاب لا انقطاع له، ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب لولا فضله فقال: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم**﴾ قال مجاهد ومقاتل: بعضكم عن بعض، وقال [الكلبي وذلك][٧] أن الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، قال الزجاج: معناه يلقيه بعضكم إلى بعض ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾ من غير أن تعلموا أن الذي قلتم حق ﴿**وتحسبونه هيناً**﴾ تظنون أن ذلك القذف سهل لا إثم فيه ﴿**وهو عند الله عظيم**﴾ في الوزر ثم زاد في الإنكار عليهم فقال:

---

(١) قال الهيثمي روى الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير. لهم عذاب أليم يعني وجيع في الدنيا والآخرة فكان عذاب عبد الله بن أبي في الدنيا الجلد وفي الآخرة النار، روي نحو هذا عن قتادة باسناد جيد وعن مجاهد باسنادين رجال احدهما ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧/٧٨.

(٢) في هـ: غير.

(٣) آية (٢٩) النساء وفي د، هـ: ﴿ولا تلمزوا﴾ وهي آية أخرى من الحجرات (١١).

(٤) ساقط من.

(٥) آية (٥٢) البقرة.

(٦) في جـ: من.

(٧) ساقط من د، هـ.

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ ما يحل وما ينبغي لنا **﴿أن نتكلم بهذا﴾** سبحانك ها هنا معناه كقول الأعمش(١):

[أقول لما جاءني فخره](٢) سبحان من علقمة الفاخر(٣)

﴿هذا بهتان﴾ افتراء وكذب **﴿عظيم﴾** يتحير من عظمه ثم وعظ الذين خاضوا في الإفك فقال **﴿يعظكم الله﴾** قال ابن عباس: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد ينهاكم الله **﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾** لمثل هذا القذف **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** يعني أن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة **﴿ويبين الله لكم الآيات﴾** في الأمر والنهي **﴿والله عليم﴾** بأمر عائشة **﴿حكيم﴾** حكم ببراءتها ثم هدد القاذفين فقال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أن يفشو ويظهر الزنا **﴿في الذين آمنوا﴾** بأن ينسبوها إليهم ويقذفوهم بها **﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾** يعني الجلد **﴿والآخرة﴾** يعني عذاب النار **﴿والله يعلم﴾** سر ما خضتم فيه وما فيه من سخط الله **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** ذلك ثم ذكر فضله ومنته عليهم بتأخير العقوبة فقال:

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لعاقبكم فيما قلتم لعائشة وهذا جواب لولا وهو محذوف **﴿وأن الله [رؤوف رحيم](٤)﴾** رؤوف بكم ورحمكم فلم يعاقبكم في أمر عائشة [قال ابن عباس](٥) يريد مسطحاً وحمنة وحسان، قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** [قال مقاتل يعني تزيين الشيطان في قذف عائشة](٦) **﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾** قال ابن عباس بعصيان الله وكل ما يكره الله مما لا يعرف في شريعة ولا سنة **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم [من أحد]﴾**(٧) قال مقاتل: ما صلح والزكاة تكون بمعنى: الصلاح يقال: زكى يزكو زكاة، وقال ابن قتيبة: ما ظهر والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح أحد وآخرون يقولون: هذا الخطاب للذين خاضوا في

---

(١) الاعمش: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمذاني الشاعر انظر الاعلام ٣/٣١٢ ط دار العلم.

(٢) ساقط من جـ، د، هـ.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه (٩٤) طـ دار صادر بيروت وفيه فجره والفاجر بدلاً من فخره والفاخر، وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح بن عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما، مطلعها:

شاقتك من قتلة أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر

وفي معنى سبحان واستعمالاتها يراجع اللسان مادة سبح.

(٤ + ٥ + ٦ + ٧) ساقط من هـ.

الإفك[١]، والمعنى: ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الـذي فعل وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم ﴿أبداً ولكن الله يزكي من يشاء﴾ [قال[٢] فقد شئت أن أتوب عليكم لأن الله يطهر من يشاء من الإثم بالرحمة والمغفرة فيوفقه [للتوبة] [٣] ﴿والله سميع عليم﴾ علم ما في نفوسكم من الندامة والتوبة، قوله:

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿ولا يأتل﴾ قال جماعة المفسرين لا يحلف يقال ألى يُؤلي إيلاءً ويألى يتألى تألياً وائتلى يأتلي ائتلاءً إذا حلف، وقوله: ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أولو[٤] الغنى والسعة في المال وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حلف أن لا ينفق على مسطح[٥] وكان ابن خالته ولا يصله بشيء أبداً وذلك قوله ﴿أن يؤتوا﴾ قال الزجاج: أن لا يؤتوا فحذف لا ﴿أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ يعني مسطحاً وكان من المهاجرين قال[٦] [ابن عباس][٧] قال الله لأبي بكر قد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل والمعرفة بالله وصلة الرحم وعندك السعة فتعطف على مسطح فله قرابة وله هجرة وله مسكنة وقوله ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ قال مقاتل: قال النبي ﷺ لأبي بكر أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى قال فاعف واصفح قال قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفي أبداً بعد اليوم وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم وقالت عائشة لما نزلت هذه الآية فقال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأطلب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها [منه][٨] أبداً[٩].

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله ﴿إن الـذين يرمـون المحصنات﴾ العفـائف ﴿الغافـلات﴾ عن الفواحش كغفلة عـائشة عمـا قيل فيهـا ﴿المؤمنات﴾ المصدقات بتوحيد الله وبرسوله ﴿لعنوا في الدنيا﴾ عذبوا بالجلد ثمـانين جلدة ويعذبون بالنـار في ﴿والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ قال مقاتل: هذه الآية خاصة في عبد الله بن أبي المنافق ورميه عائشة وقال سعيد بن جبير هذا الحكم خاصة فيمن يقذف عائشة فمن قذفها كان من أهل هذه الآية، وقال الضحاك والكلبي: هذه الآية في

---

(١) في هـ: بالافك.

(٢+ ٣) ليست في هـ.

(٤) في هـ: أولى.

(٥) في هـ، د أن ينفع مسطحاً.

(٦) في هـ: قاله.

(٧) ساقط من ب.

(٨) ساقط من د ويليها في نفس النسخة وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم فيما عدا جـ ويقذف.

(٩) رواه البخاري مختصراً في كتاب التفسير سورة النور ٦/ ٣٤ ط الشعب والهيثمي في المجمع عن الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وليس فيه والله لا أنزعها منه ابداً مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧/ ٧٩.

عائشة وأزواج رسول الله ﷺ خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة أخبرنا أحمد[1] بن محمد بن إبراهيم أنا شعيب بن محمد أنا مكي بن عبدان، نا أبو الأزهر، نا روح، نا الثوري، نا خصيف[2] قال: قلت لسعيد بن جبير من قذف محصنة لعنه الله قال: لا، إنها في عائشة خاصة قوله ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم**﴾ قال الكلبي: تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا [به من الفرية في قذف عائشة ﴿**وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**]﴾[3] قال ابن عباس: تتكلم الجوارح وتنطق بما عملت في الدنيا ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**﴾ يجازيهم الله جزاءهم الواجب ﴿**ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين حيث لا ينفعه. قوله:

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ أي الخبيثات من الكلام والقول للخبيثين من الناس ﴿**والخبيثون**﴾ من الناس ﴿**للخبيثات**﴾ من الكلام والمعنى أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس وكل كلام إنما يحسن في أهله فيضاف شيء القول إلى من يليق به ذلك وكذلك الطيب من القول وعائشة لا يليق بها الخبيثات من الكلام فلا يصدق فيها لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة بالخبيث ومدح للذين برأوها بالطهارة وقال ابن زيد الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين ﴿**والطيبات**﴾ من النساء ﴿**للطيبين**﴾ من الرجال ﴿**والطيبون للطيبات**﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقوله ﴿**أولئك مبرءون**﴾ يعني الطيبات والطيبين مبرءون ﴿**مما يقولون**﴾ أي الخبيثات والخبيثون ﴿**لهم مغفرة ورزق كريم**﴾ في الجنة، أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الاسماعيلي، أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، نا أبو العباس أحمد بن سهل الاشناني[4]، نا بشر[5] بن الوليد الكندي[6]، أنا عمر [بن][7] حفص عن سليمان[8] عن علي بن زيد جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر النبي ﷺ أن يتزوجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ولقد قبض وإن رأسه في حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة ببيتي وإن كان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وإني لمعه

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يزدن المقرىء الانباري أبو عبد الله ت سنة ٣٢٤ هـ الميزان ١/ ١٣٠.

(٢) خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحضرمي ت سنة ١٣٧ التهذيب ٣/ ١٤٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) أحمد بن سهل الاشناني النيسابوري الفقيه ت سنة ٢٩٦ تذكرة الحفاظ (٢٩٦).

(٥) في د: بشير.

(٦) بشير بن الوليد الكندي الفقيه ت سنة ٢٣٨ ميزان الاعتدال ١/ ٣٢٦.

(٧) في هـ، د: أبو حفص.

(٨) سليمان بن فيروز الكوفي الشيباني أبو إسحاق ت سنة ١٤١ هـ تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٣، طبقات الحفاظ ص ٦٦.

في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عندي من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً[(١)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم**﴾ أي بيوتاً ليست لكم ﴿**حتى تستأنسوا**﴾ قال جماعة المفسرين حتى تستأذنوا وقال ابن عباس أخطأ الكاتب حتى تستأنسوا إنما هي حتى تستأذنوا[(٢)] وقال أهل المعاني الاستئناس الاستعلام يقال أنست منه كذا أي علمت والمعنى: حتى تستعلموا وتنظروا وتتعرفوا ﴿**وتسلموا على أهلها**﴾ هو أن يقول السلام عليكم أدخل ولا يجوز دخول بيت غيرك إلا باستئذان لهذه الآية ﴿**ذلكم خير لكم**﴾ أي أفضل من أن تدخلوا بغير إذن ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به قال عطاء: قلت لابن عباس أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال أيسرك أن ترى منهم عورة قلت: لا قال: فاستأذن ﴿**فإن لم تجدوا فيها**﴾ أي في البيوت أحداً ﴿**فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم**﴾ وإن وجدوها خالية لم يجز لها إذن أيضاً وإن أمر بالانصراف انصرف ولم يقم على باب البيت وهو قوله ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**﴾ أي خير وأفضل من القعود على الأبواب ﴿**والله بما تعملون**﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿**عليم**﴾ فلما نزلت آية الاستئذان قالوا فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله ﴿**ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة**﴾ قال المفسرون: يعني بيوتاً ليس فيها ساكن [فالبيوت][(٣)] التي ينزلها المسافرون لا جناح أن يدخلها بغير استئذان[(٤)] وقوله ﴿**فيها متاع لكم**﴾ أي منافع من إتقاء البرد والحر والاستمتاع بها.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ عما لا يحل وعن الفواحش هذا قول عامة المفسرين، وقال أبو العالية المراد بحفظ الفرج في هذه الآية حفظه عن الرؤية ووقوع البصر عليه ﴿**ذلك**﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿**أزكى لهم**﴾ خير لهم وأفضل عند الله ﴿**إن الله خبير بما يصنعون**﴾ في الفروج والأبصار ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج فقال:

---

(١) قال الهيثمي رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره بعضه وفي اسناد أبي يعلى من لم أعرفهم مجمع الزوائد كتاب المناقب باب فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مجمع الزوائد ٩/٢٤١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وفيه نظر فان قراءة تستأنسوا هي المتواترة والاستئناس في الآية ابلغ من الاستئذان فليس فيه مجرد طلب الإذن وإنما فيه أن يأنس لك من في البيت وأيضاً لا يصح هذا القول (أخطأ الكاتب) عن ابن عباس فإنه روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهي أوهى الطرق واضعفها عن ابن عباس والكلبي متروك الحديث كما بينا من قبل.

(٣) ليست في هـ.

(٤) انظر ابن جرير ١٨/٩٠.

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿[وقل][1] للمؤمنات [يغضضن][2] من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ يعني: الوجه والكفين وهو قول سعيد بن جبير والضحاك، وقال مجاهد عن ابن عباس يعني: الكحل والخاتم والقلب والخضاب، وقوله **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** الخمر جمع الخمار وهي ما تغطي به المرأة رأسها والمعنى: وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطتهن وأعناقهن [كما][3] قال ابن عباس: تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها **﴿ولا يبدين زينتهن﴾** يعني: الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب والخمار إلا لازواجهن[4] وهو قوله **﴿إلا لبعولتهن أو ءابائهن أو ءاباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهنّ أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾** وقد جمع الله تعالى في هذه الآية بين الأزواج والمحارم وبين الفريقين وفرق وهو أن الزوج يحل له النظر إلى جميع بدن امرأته سوى الفرج[5] وليس للمحارم أن ينظروا إلى ما بين السرة والركبة من المرأة ومعنى **﴿أو نسائهن﴾** يعني المؤمنات فلا يجوز لامرأة مؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها، وقوله **﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾** يعني المماليك والعبيد،[6] ويجوز للمرأة أن تظهر لمملوكيها إذا كانوا عفيفين ما تظهر لمحارمها وقوله **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾** أكثر القراء على خفض غير بالصفة للتابعين[7] ومن نصب كان استثناءاً والمعنى يبدين زينتهن للتابعين إلا

(١ + ٢) ساقط من جـ.

(٣) ليست في هـ.

(٤) الصحيح: لا يضعن عنهن الجلباب والخمار إلا أمام أزواجهن أو آبائهن . . الخ.

(٥) في هذا نظر: فلقد قال ابن العربي في أحكام القرآن: اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج زوجه على قولين، أحدهما: يجوز لأنه إذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى وقيل لا يجوز، لقول عائشة في ذكر حالها مع رسول الله ﷺ «ما رأيت ذلك منه ولا رأى مني» والأول أصح وهذا محمول على الأدب. أحكام القرآن ٣/ ١٣٧٠ وقال ابن الجوزي في كتابه احكام النساء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ قط. أو ما رأيت فرج النبي ﷺ قط» رواه ابن ماجة في النكاح / ٦١٩ وابن حنبل في المسند ٦/ ١٩٠ والبيهقي ٧/ ٩٤ ـ وهذا عين الصواب فإن الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين فالاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة فينبغي لهما جميعاً الحذر من ذلك ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح ا. هـ. أحكام النساء لعبد الرحمن بن الجوزي ص ٣٥١.

(٦) هذا في الاماء وأما العبيد فهم كلا جانب سواء بسواء ويراجع تفسير الألوسي ١٨/ ١٤٣.

(٧) قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب ونافع وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥، والنشر ٢/ ٣٣١.

ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة والإرب الحاجة ومعنى التابعين غير أولي الإربة هم الذين لا حاجة لهم من النساء ولا يحملهم إربهم على أن يراودوا النساء وهذا قول مجاهد وعكرمة والشعبي، وقال قتادة هو الذي يتبعك فيصيب من طعامك ولا همة له في النساء وقال مقاتل: يعني: الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه وقال الحسن: هم قوم طبعوا[١] على التخفيف وكل الرجال منهم يتبع الرجل يخدمه بطعامه ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا أصبغ[٢]، أنا ابن وهب، أنا يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن هيتاً[٣] كان يدخل على أزواج النبي ﷺ وكانوا لا يعدونه من أولي الإربة من الرجال[٤] وقوله ﴿**أو الطفل**﴾ يعني به الجماعة من الاطفال ﴿**الذين لم يظهروا على عورات النساء**﴾ لم يقودا عليها ومنه قوله ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾[٥] يعني: الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجليها ليسمع قعقعة الخلخال فيها فنهيت عن ذلك، وقال عطاء عن ابن عباس ولا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها أو يتبين لها خلخال ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً**﴾ عما كنتم تعملون في الجاهلية، والمعنى: راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه. أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا أبو عمرو بن مطر، أنا أبو خليفة، نا أبو الوليد، نا شعبة أخبرني عمرو بن مرة[٦] سمعت أبا بردة يقول سمعت رجلاً من جهينة يقال الاغر[٧] من أصحاب النبي ﷺ يحدث ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة[٨] رواه مسلم عن أبي شيبة عن غندر[٩] عن شعبة، وقوله ﴿**أيها المؤمنون**﴾ وقرأ ابن عامر بضم الهاء[١٠] ومثله ﴿يا أيّه الساحر﴾[١١] ﴿أيّه الثقلان﴾[١٢] قال أبو علي الفارسي: وهذا لا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من أي فينبغي أن يكون المضموم[١٣] آخر الاسم ولو جاز أن يضم[١٤] الميم في اللهم لأنه آخر الكلمة وينبغي أن لا يقرأ بهذا ولا يؤخذ به.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ

---

(١) في أ: طمعوا.
(٢) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع القرشي الاموي أبو عبد الله ت سنة ٢٢٥ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٧ تهذيب التهذيب ١/٣٦١، شذرات الذهب ٢/٥٦.
(٣) في د، هـ، فخنثا وهو مخنث يدعى هيتا تفسير القرطبي سورة النور.
(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٧/٢٠٥، ومسلم كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب ٤/١٧١٥.
(٥) الصف: ١٤.
(٦) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي ت سنة ١١٦ هـ تذكرة الحفاظ ١/١٢١، التهذيب.
(٧) الاغر بن يسار الجهني، اسد الغابة ١/١٣٢.
(٨) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار منه ٤/٢٠٧٦.
(٩) غندر بن محمد بن جعفر الهذلي البصري ت سنة ١٩٣ هـ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٠، التهذيب ٩/٩٦، شذرات الذهب ١/٣٣٣.
(١٠) لابن مجاهد ص ٤٥٥.
(١١) الزخرف: ٤٩.
(١٢) سورة الرحمن: ٣١.
(١٣) في هـ: المظهر.
(١٤) في هـ، د الياء.

أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله **﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾** يقال فلانة أيم إذا لم يكن لها زوج بكراً كانت أو ثيباً والجمع أيامى والأصل أيائم فقلبت ورجل أيّم لا زوج له، قال السدي: من لم يكن له زوج من امرأة أو رجل فهو أيم، وهذا قول جماعة المفسرين، والمعنى: زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم، وهذا الأمر ندب واستحباب أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، نا محمد بن يعقوب، أنا محمد بن إسحاق الصغاني، أنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة [(١)] عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال «من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح[(٢)]» أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا محمد بن عبد[(٣)] الله بن علي بن زياد، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، نا سعيد بن واقد،[(٤)] نا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[(٥)]». أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الجرجاني، أنا عبد الله بن زيدان البجلي، نا أبو كريب، نا المحاربي[(٦)] عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال تزوجت؟ قلت لا. قال: فتزوج قال: ولقيني في العام المقبل فقال: [هل][(٧)] تزوجت؟ فقلت: لا فقال: اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء يعني النبي ﷺ **﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾** قال مقاتل: [يقول: زوجوا المؤمنين من عبادكم وإمائكم][(٨)] فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، فمعنى الصلاح: ها هنا الايمان ثم رجع إلى الأحرار فقال **﴿إن يكونوا فقراء﴾** لا سعة لهم للتزوج **﴿يغنهم الله من فضله﴾** [وعدهم أن يوسع عليهم عند التزوج قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر وقال قتادة: ذكر [لنا][(٩)] أن عمر بن الخطاب كان يقول ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة والله يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله][(١٠)] **﴿والله واسع﴾** لخلقه **﴿عليم﴾** بهم، قوله **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾** أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة **﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾** يوسع عليهم من رزقه **﴿والذين يبتغون الكتاب﴾** يطلبون المكاتبة **﴿مما ملكت أيمانكم﴾** من العبيد والاماء يقال كاتب الرجل عبده وأمته مكاتبة وكتاباً فهو مكاتب والعبد مكاتب

---

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفي نزيل مكة ثبت حافظ توفي سنة ١٣٢ هـ انظر التقريب ١/٤٤، تهذيب ٢/٤٢٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح بألفاظ متقاربة ٢/٧.

(٣) في د، هـ عبيد الله.

(٤) سعيد بن واقد بن عبد الملك بن واقد الحراني. الميزان ٢/١٥٠.

(٥) رواه مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢/١٠١٨، رواه البخاري كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم ٧/٣ طـ الشعب.

(٦) المحاربي: عبد الرحمن بن محمد بن زيادة المحاربي الكوفي تذكرة الحفاظ ١/٣١٢، شذرات الذهب ١/٣٤٣، ابن سعد ٦/٢٧٣.

(٧) ساقط من أ، د، هـ.

(٨) ساقط من جـ. (٩) ساقط من د.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من هـ من قوله: وعدهم أن يوسع عليهم.

وهو أن يقول: كاتبت على أن تعطيني كذا وكذا في نجوم معلومة فإذا أدى ذلك فالعبد حر ولا بد من التنجيم وأقله نجمان وصاعداً، ولا يصح جمعه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يصح والآية عليه لأن أصل الكتاب من الكتب وهو الضم والجمع، وأقل ما يقع عليه الضم والجمع نجمان، وهو أن العبد يجمع نجوم المال إلى مولاه، ولا يجوز أن يكاتب عبداً غير بالغ ولا عاقل لقوله ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ ولا يصح الطلب من الأطفال والمجانين وعند أبي حنيفة: إذا كان العبد مراهقاً يجوز ان يكاتب والآية حجة عليه، وقوله ﴿فكاتبوهم﴾ أمر ندب واستحباب في قول الجمهور وقال قوم إنه أمر إيجاب وهو قول عمرو بن دينار[1] وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس وقوله ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أكثر المفسرين قالوا يعني: المال وهو قول مجاهد وعطاء والضحاك وطاووس والمقاتلين وقال الحسن إن كان عنده مال وكاتبه والا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح فيسألهم، وقال عبد لسلمان[2]: كاتبني فقال مال؟ قال لا قال أفتطعمني أوساخ الناس فأبى عليه، وكان قتادة يكره أن يكاتب العبد لا يكاتبه[3] إلا ليسأل الناس، وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله إن علمتم فيهم خيراً قوة على الكسب وأداء المال هو قول ابن عمرو وابن زيد واختيار مالك والشافعي[4] والفراء والزجاج. قال الفراء: يقول إن رجوتم عندهم وفاءً وتأدية للمال، وقال الزجاج: إن علمتم أنهم يكسبون ما يؤدونه وهذا القول أصح لأنه لو أريد بالخير المال لقيل إن علمتم لهم خيراً فلما قال عليهم كان الأظهر الاكتساب والوفاء وأداء الأمانة وقوله ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ يقول: حطوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً قال مجاهد:[5] ربع المال وقال الآخرون لا يتقدر بشيء يحط عنه ما أحب أو يردعليه شيئاً مما يأتيه به، أو يعطيه مما في يده شيئاً يستعين به على أداء المال وقال عطاء عن ابن عباس: يريد سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون، وقوله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ يعني إماءكم وولائدكم على الزنا نزلت في عبد الله بن أبي [6] كان يكره جواري له على الكسب بالزنا[7] وقوله ﴿إن أردن تحصناً﴾ قال ابن عباس تعففاً وتزويجاً وإنما شرط إرادة التحسن لأن الإكراه لا يكون[8] إلا عند إرادة التحصن فإن لم ترد بغت بالطبع[9]، وقوله ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي من كسبهن وبيع أولادهن ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ يعني للمكرهات ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة من الحلال والحرام ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي شبهاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة للمتقين﴾ نهياً للذين يتقون الشرك والكبائر.

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

---

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الجمحي ت سنة ١٢٥ هـ عن ثمانين سنة انظر: تذكرة الحفاظ ١/١١٣ تهذيب التهذيب ٨/٢٨، ابن سعد ٥/٣٥٣، طبقات الحفاظ (ص ٤٣).

(٢) سلمان: سلمان الخير الفارسي أبو عبد الله ابن الاسلام ت سنة ٣٦ هـ تهذيب التهذيب ٤/١٣٨.

(٣) في هـ فقال لما يكاتبه.

(٤) نص الشافعي على ذلك في كتاب الأم ٧/٣٦٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥١.

(٦) عبد الله بن ابي بن سلول: له ذكر في ترجمة ولده عبد الله بن عبد الله بن ابي أسد الغابة ٣/٢٩٦.

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧/٨٣.

(٨) في النسخ الاخرى لا يتصور.

(٩) ليس هذا الشرط لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البقاء وهن يردن التعفف.

دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويري الأبصار حقيقة ما تـراه، وورد النـور في صفـة الله تعـالى لأنـه هـو الـذي يهـدي المؤمنين ويبين لهم مـا [يهتدون بـه][1] من الضلالة قال ابن قتيبة: أي بنوره يهتدي من في السماوات والأرض[2] وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين هادي أهل السماوات والأرض وقوله ﴿مثل نوره﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقال السدي: مثل نوره في قلب المؤمن وكذا هو في قراءة ابن مسعود وكان أبي يقرأ مثل نور المؤمن[3] قال: وهو عبد قد جعل الإيمان والقرآن في صدره ﴿كمشكاة﴾ وهي كوة غير نافذة في قول الجميع ﴿فيها مصباح﴾ يعني السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل قال الزجاج: النور في الزجاج وضوء النار أبين منه في كل شيء يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال: ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه وقرأ أبو عمرو مكسورة الدال مهموزة[4] وهو فعيل من الدرء بمعنى الدفع والكوكب إذادفع ورمي من السماء لرجم الشيطان[5] يضاعف ضوؤه، قال أبو عمرو لم اسمع أعرابياً يقول إلا كأنه كوكب درّيء بكسر الدال أخذوه من درأت النجوم تدرأ إذا اندفعت وقرأ حمزة بضم الدال مهموزاً[6] وأنكره الفراء والزجاج وأبو العباس قالوا هو غلط [لأنه ليس في الكلام فعيل قال الزجاج][7] والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا لأنه ليس في كلام العرب شيء على هذا الوزن قوله ﴿توقد﴾ مفتوحة التاء والدال قراءة أبي عمرو[8] وهي البينة لأن المصباح هو الذي توقد وقرىء توقد بضم الياء والدال[9] أي المصباح وقرىء توقد[10] أي الزجاج، والمعنى: على مصباح الزجاجة ثم حذف المضاف [وقوله ﴿من شجرة مباركة﴾ أي من زيت شجرة مباركة بحذف المضاف][11] يدلك على ذلك قوله ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون وهي كثيرة البركة وفيها أنواع المنافع لأن الزيت يسرج به، وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون وتفله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد زكريا الشيباني،[12] أنا بشر بن أحمد بن محمود، أنا أبو جعفر محمد بن موسى الحلواني، نا زهير بن محمد، أنا عبد

---

(١) ساقط من أ.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٢.

(٣) رواها ابن جرير بسنده عن أبيّ تفسير ابن جرير ١٨/١٠٥.

(٤) ابن مجاهد في السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٥) في ب، د: الشياطين.

(٦) قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر (دريء) بضم الدال مهموز، السبعة (٥٤٦).

(٧) ساقط من د، هـ والنص في معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢.

(٨) السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٩) قراءة يوقد بضم الياء والدال قرأ بها: نافع وابن عامر وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١٠) قراءة (تُوقد) بضم التاء والدال قرأ بها حمزة وعاصم في رواية ابي بكر والكسائي انظر: السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١١) ساقط من هـ.

(١٢) أبو بكر ت سنة ٣٨٨ هـ عن اثنين وثمانين سنة، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٣، طبقات الحفاظ ص ٤٠١.

الرزاق، أنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة[١]» ثم فسرها فقال ﴿زيتونة﴾ وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أصفى وأضوأوقوله ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب هي ضاحية للشمس لا يظلها[٢] جبل ولا شجر ولا كهف وزيتها يكون أصفى، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي ونحوه قال قتادة والسدي والأكثرون واختيار الفراء والزجاج، قال الفراء: الشرقية التي تأخذها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت لأن لها سترا والغربية التي تصيبها الشمس بالعشي ولا تصيبها بالغداة [٣]، وقوله ﴿يكاد زيتها﴾ زيت الزيتون يعني دهنها يكاد يضيء المكان من صفائه من غير أن يصيبه النار بأن يوقد به وهو قوله ﴿ ولو لم تمسسه نار﴾ قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن فالمشكاة قلبه والمصباح هو الايمان والقرآن والزجاجة صدره، ومعنى قوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار: يكاد[٤] قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى قوله: ﴿نور على نور﴾ قال مجاهد: النار على الزيت وقال الكلبي: المصباح نور والزجاجة نور وهو مثل لإيمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الإيمان ونور القرآن وقوله ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس: لدينه الاسلام، وإن شئت قلت للقرآن ﴿ويضرب الله الأمثال﴾ يبين الله الأشياء للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك ﴿والله بكل شيء عليم﴾ [عالم][٥].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾

قوله ﴿في بيوت﴾ يعني المساجد ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أمر الله أن تبنى والمراد برفعها بناؤها كقوله ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾[٦] وقال الحسن: ترفع تعظم والمعنى لا يتكلم فيها بالخنا [٧] ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال مقاتل [وابن عباس][٨]: يوحد الله فيها ﴿يسبح له فيها﴾ يصلي لله في قلب البيوت يعني الصلوات [المفروضة][٩] ﴿بالغدو والآصال﴾ بالبكر والعشايا وقرأ ابن عامر[١٠] يسبَّح بفتح الباء أي يصلى لله فيها ثم فسر من يصلي فقال ﴿رجال﴾ وكأنه قيل من يسبح؟ فقيل: رجال ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ لا تشغلهم تجارة ﴿ولا بيع﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه [١١]وخص قوم التجارة ها هنا بالشراء لذكر البيع بعدها ﴿عن ذكر الله﴾ عن حضور المساجد لإقامة الصلوات، قال الثوري: كانوا يشترون ويبيعون ولا يدعون الصلوات في الجماعات في المساجد ﴿وإقام الصلاة﴾ أداؤها لوقتها واتمامها وإنما ذكر اقامة الصلاة بعد قوله عن ذكر الله والمراد به الصلاة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك بلفظ كلوا. . . وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بأنه صحيح المستدرك كتاب التفسير سورة النور ٢/٣٩٨ ط بيروت.

(٢) في ب لا يضلها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣.

(٤) في هـ، يقال.

(٥) عن أ.

(٦) البقرة: ١٢٧.

(٧) الخنا قبيح الكلام وأفحشه، انظر اللسان مادة خنا.

(٨ + ٩) ليست في هـ.

(١٠) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٦).

(١١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣.

المفروضة بياناً أنهم يؤدونها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتهالم يكن من مقيمي الصلاة وقوله ﴿**وإيتاء الزكاة**﴾ قال ابن عباس إذا حضر وقت الزكاة لم[1] يحبسوها عن وقتها ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب**﴾ بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك ﴿**والأبصار**﴾ تتقلب من أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل قوله: ﴿**ليجزيهم الله**﴾ أي يسبحون الله ليجزيهم ﴿**أحسن ما عملوا**﴾ أي ليجزيهم بحسناتهم ولهم مساوىء من الأعمال لا يجزيهم بها ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ مفسر فيما تقدم، ثم ذكر الكفار وضرب المثل لأعمالهم فقال:

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**﴾ السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء ويكون نصف النهار والقيعة جمع قاع نحو جار وجيرة وهو ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب، وقوله ﴿**الظمآن ماءً**﴾ يعني الشديد العطش[2] يقال: ظمأ يظمأ ظمأ فهو ظمآن ﴿**حتى إذا جاءه**﴾ جاء إلى الشراب وإلى موضعه رأى أرضاً لا ماء فيها وهو قوله ﴿**ولم يجده شيئاً**﴾ أي شيئاً مما حسب وقدر، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أعمال الكفار إذا احتاجوا إليها مثل الشراب إذا رآه الرجل وقد احتاج إلى الماء فأتاه فلم يجده شيئاً فذلك مثل عمل الكافر يرى أن له ثواباً وليس له ثواب، قال ابن قتيبة: الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعه كما يحسب العطشان الشراب من البعد ماء يرويه حتى إذا جاءه أي مات لم يجد عمله شيئاً لأن الله قد أبطله بالكفر ومحقه[3] وقوله ﴿**ووجد الله عنده**﴾ قال الفراء: وجد الله عند عمله يعني قدم على الله[4] ﴿**فوفاه حسابه**﴾ جازاه بعمله وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم، وقوله ﴿**والله سريع الحساب**﴾ مفسر في سورة البقرة، قوله ﴿**أو كظلمات**﴾ قال الزجاج: أعلم الله أن أعمال الكافر إن مثلت بما يوجد فمثلها مثل الشراب وإن مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف وهذا قول عامة المفسرين ان التمثيل بالظلمات وقع لأعمال الكافر وقوله ﴿**في بحر لجي**﴾ اللجي[5] العظيم اللجة ومعناه كثرة الماء وقال ابن عباس والمفسرون: هو العميق الذي يبعد عمقه ﴿**يغشاه موج**﴾ أي يعلو[6] ذلك البحر اللجي موج ﴿**من فوقه موج**﴾ يعني موجاً[7] من فوق الموج ﴿**من فوقه**﴾ من فوق الموج ﴿ **سحاب ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج وفوق الموج ظلمة السحاب ومن قرأ ظلمات بالكسر والتنوين[8] جعلها بدلاً من الظلمات الأولى ومن أضاف السحاب إلى الظلمات[9] فارتفعت وقت تراكمها كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع وظهر في الوقت الذي يكون فيه المطر والرحمة، والمعنى أن الكافر يعمل في حيرة لا يهتدي لرشده فهو في جهله وحيرته كمن [هو][10] في

---

(١) فيما عدا د، هـ، الصلاة.

(٢) في أ، د من العطش.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٤.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٥) في هـ/ اللجة عظيم.

(٦) في هـ يعملوا وهو تصحيف.

(٧) في هـ فوقا.

(٨) قرأ ابن كثير ظلمات بالكسر والتنوين، السبعة (٤٥٧) والنشر ٢/٣٣٢.

(٩) قراءة (سحاب ظلمات) بالاضافة رواها البزي انظر: النشر ٢/٣٣٢.

(١٠) ساقط من جـ، د، هـ.

هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه مقلب في ظلمات وجهالة وقوله ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ تأكيد لشدة هذه الظلمات، قال الحسن لم يرها ولم يقارب[١] الرؤية قال الفراء: لأن أقل من الظلمات التي وصفها[٢] لا يرى فيه الناظر كفه[٣] ومعنى لم يكد يراها نفي المقاربة من الرؤية وقوله ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ قال ابن عباس والسدي ومقاتل: من لم يجعل [له][٤] ديناً وإيماناً وهدى فما له من دين، قال الزجاج: من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره ﴿والطير﴾ أي ويسبح له الطير ﴿صافات﴾ باسطات أجنحتها في الهواء وخص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض[٥] وقوله ﴿كل﴾ أي من الجملة التي ذكرها ﴿قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال مجاهد: الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ لا يخفى عليه طاعتهم وصلاتهم وتسبيحهم ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ قال الكلبي: يعني خزائن المطر والرزق والنبات لا يملكها أحد غيره ﴿وإلى الله المصير﴾ مرجع العباد بعد الموت، قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ يسوقه سوقاً رقيقاً ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يضم بعضه إلى بعض أي يجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ يجعل بعضه يركب بعضاً ﴿فترى الودق﴾ القطر والمطر، قال الليث: الودق المطر كله شديده وهينه[٦] ﴿يخرج من خلاله﴾ جمع خلل وهو مخارج القطر وقوله ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي من جبال [في السماء وتلك][٧] الجبال من برد، قال ابن عباس: أخبر الله أن في السماء جبالاً من برد ومفعول الإنزال محذوف والتقدير: وينزل من السماء من جبال من

---

(١) فيما عدا هـ: يقالب.

(٢) في هـ وضعها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٤) ساقط من د.

(٥) وقيل: خص الطير بالذكر لاندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضع ابنائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي تسبحه الطير حال كونها صافات أجنحتها. انظر روح المعاني للألوسي ١٨/١٨٧.

(٦) تهذيب اللغة للازهري ٩/٢٥١.

(٧) بياض في هـ مابين القوسين.

برد فيها برداً فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه ومن الأولى لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال [التي في السماء](١) جنس البرد ﴿**فيصيب به**﴾ بالبرد ﴿**من يشاء**﴾ **فيضره في زرعه وثمرته** ﴿**[ويصرفه عن من يشاء]**(٢)﴾ فلا يضره في زرعه وثمرته ﴿**يكاد سنا برقه**﴾ يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾(٣) والسنا: الضوء، مثل سنا النار، وسنا البدر، وسنا البرق، وقال السدي: يكاد ضوء البرق يلتمع البصر فيذهب به قوله ﴿**يقلب الله الليل والنهار**﴾ يعني: يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل ﴿**إن في ذلك**﴾ التقليب ﴿**لعبرة لأولي الأبصار**﴾ لدلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أنا محمد بن مكي، أنا أحمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، نا سفيان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال [قال رسول الله ﷺ](٤) قال الله: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا(٥) الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار(٦).

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

قوله: ﴿**والله خلق كل دابة**﴾ يعني: كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل الجن والملائكة لأنا لا نشاهدهم(٧) وقوله ﴿**من ماء**﴾ أي من نطفة ﴿**فمنهم من يمشي على بطنه**﴾ كالحيات والهوام والحيتان ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ كالانسان والطير ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾ كالبهائم والانعام قال المبرد: قوله: كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على باب الأغلب لذلك قال: من لغير ما يعقل، ثم ذكر قدرته على خلق ما يريد فقال: ﴿**يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ولقد أنزلنا آيات مبينات**﴾ يعني: القرآن أي هو المبين للهدى والاحكام ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه [وجنته](٨) ثم ذكر أهل النفاق وشكهم في الدين فقال

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

---

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من د.

(٣) البقرة: ٢٠

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: وان.

(٦) رواه مسلم في كتاب الالفاظ من الادب باب النهي عن سبب الدهر ٤/١٧٦٢.

(٧) وقيل بدخول الجن والملائكة في مضمون الآية وفي عموم الدابة والمقصود: كل ما دب على وجه الارض ويراجع في ذلك تفسير الالوسي ١٨/١٩٣.

(٨) ساقط من جـ.

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ويقولون﴾ يعني: المنافقين **﴿ءامنا بالله﴾** صدقنا بتوحيد الله **﴿وبالرسول﴾** [محمد][1] ﷺ **﴿وأطعنا﴾** هما فيما حكما **﴿ثم يتولى فريق﴾**[2] يعرض عن طاعتهما طائفة **﴿منهم من بعد ذلك﴾** من بعد قولهم ءامنّا **﴿وما أولئك﴾** الذين يعرضون عن حكم والله ورسوله **﴿بالمؤمنين﴾** **﴿وإذا دعوا إلى الله﴾** إلى كتاب الله[3] **﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾** الرسول فيما اختصموا فيه **﴿إذا فريق منهم معرضون﴾** عما يدعوا إليه **﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾** مسرعين طائعين، قال الزجاج: الاذعان: الاسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحق أي طاوعني فيما[4] كنت ألتمس منه وصار يسرع إليه أخبر الله أن المنافقين يعرضون عن حكم الرسول لعلمهم بأنه يحكم بالحق فإذا كان لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً ثم أخبر بما في قلوبهم من الشك فقال: **﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا﴾** شكوا في القرآن وهذا استفهام ذم وتوبيخ **﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾** الحيف الميل في الحكم فيقال: حاف في قضيته أي جار فيما حكم **﴿بل أولئك هم الظالمون﴾** أي لا يظلم الله ورسوله في الحكم بل هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول ثم نعت الصادقين من إيمانهم فقال: **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله [ليحكم بينهم]**[5] **أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾** قال مقاتل وابن عباس: يقولون سمعنا قول النبي واطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضر بهم ثم أثنى على من أطاعهما فقال: **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** قال ابن عباس: يريد فيما ساءه وسره **﴿ويخشى الله﴾** في ذنوبه التي عملها **﴿ويتقه﴾** فيما بعد لم يعصه. وقراءة العامة يتقيه موصولة بياء هو الوجه لأن ما قبل الهاء متحرك وحكمها إذا تحرك ما قبلها أن يتبعها الياء[6] في الوصل وروى قالون بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء[7] لأن حركة ما قبل الهاء ليست تلزم الا ترى أن الفعل إذا رفع. . .[8] اختير حذف الياء بعد الهاء مثل عليه وقرأ أبوعمرو ويتقه[9] جزماً وذلك أن ما يلحق هذه الهاء من الواو والياء[10] زائداً فرد إلى الأصل وحذف الزيادة[11] وقرأ حفص ساكنة القاف مكسورة[12] الهاء قال ابن الأنباري وهو على لغة من يقول: لم ازيدا ولم اشتر طعاماً ما. . .[8] يسقطون الياء للجزم ثم يسكنون الحرف الذي قبلها ومنه قول الشاعر[10]:

قال سُليمى اشتر لنا دقيقاً[13]

---

(١) من هـ فقط.

(٢) في، ب، هـ، فريق منهم.

(٣) في هـ إلى الله ورسوله وهي مكرره.

(٤) فيما عدا: لما.

(٥) ساقط من هـ.

(٦+ ٧) في هـ: الهاء.

(٨) موضع البياض كلمتان غير مقروءتين.

(٩) روى ذلك ابن مجاهد في السبعة ص ٤٥٧.

(١٠) في هـ: والتاء.

(١١) ساقط من هـ.

(١٢) السبعة ص ٤٥٨.

(١٣) هذا صدر بيت وعجزه:

واشتركيما نتخذ خرديقا

أنشده الفراء كما في النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٠ ولسان العرب مادة خردق ولقد جاء هذا البيت برواية أخرى:

قالت سليمى اشترينا سويقا وهات خبز البر أو دقيقا =

وقوله ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ يعني: المطيعين لله ورسوله الخائفين المتقين الذين قالوا [١] ما طلبوا من رضا الله وقيل جنته ولما بين الله كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالجهاد والخروج من ديارنا وأموالنا لخرجنا فقال الله:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن**﴾ إلى الجهاد ﴿**قل لا تقسموا**﴾ لا تحلفوا وتم الكلام ثم قال ﴿**طاعة معروفة**﴾ أي طاعة حسنة للنبي ﷺ بنية خالصة، قال مقاتل بن سليمان: معناه ليكن منكم طاعة، وقال الزجاج: تأويله طاعة معروفة أحسن من قسمكم بما لا تصدقون فيه فحذف خبر الابتداء للعلم به وقوله ﴿**إن الله خبير بما تفعلون**﴾ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم بالطاعة فقال ﴿**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ ثم خاطبهم فقال ﴿**فإن تولوا**﴾ أي تتولوا فحذف احدى التائين أي قال تعرضوا عن طاعتهما ﴿**فإنما عليه**﴾ على الرسول ﴿**ما حمل**﴾ من التبليغ واداء الرسالة ﴿**وعليكم ما حملتم**﴾ من الطاعة ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾ تصيبوا الحق ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾ ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين لكم، وقوله:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم**﴾ قال أبي بن كعب: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة آوتهم الأنصار ومنهم العرب عن قوس واحده وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا اترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية[٢] وقوله ﴿**ليستخلفنهم** [أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها][٣] وقوله ﴿**كما استخلف الذين من قبلهم**﴾ قال مقاتل: يعني بني إسرائيل إذا اهلت الجبابرة بمصر

= وهو للعذافري الكندي يقال: شار العسل ونحوه واشتاره إذا اجتناه وأخذه من مكانه،فقوله اشتر من الاشتيار،ويحتمل انه من الاشتراء وسكنت راؤه للضرورة أي طلب لنا سويقاً، وفي بقية الرجز انها طلبت منه لحما وخادما وصبغا فقال:

باسم لو كنت لذا مطيقا ما كان عيسى عندكم ترنيقا

انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٩٧/٣ ومعنى ترنيقا: أي مدة ترنيق الطائر أي صف جناحه في الهواء.

(١) في هـ قالو.

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٨٣/٧.

(٣) ساقط من هـ.

وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وروى أبو بكر بن عياش[١] استخلف بضم التاء وكسر اللام[٢] ووجهه أنه اريد [به][٣] ما أريد باستخلف وإذا كان المعنى: كذلك فالوجه قراءة العامة، قوله ﴿**وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم**﴾ قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها، ويظهر دينهم على جميع الأديان ﴿**وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**﴾ قال مقاتل: يفعل بهم ذلك وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكن لهم الأرض وابدلهم أمناً من بعد خوف وبسط لهم في الأرض فقد أنجز الله موعده لهم[٤]، وقوله ﴿**يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾ استئناف كلام في الثناء عليهم ﴿**ومن كفر بعد ذلك**﴾ يعني بهذه النعم وليس يعني الكفر بالله، والمعنى من جحد حق هذه النعم ﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾ قال ابن عباس: العاصون لله، قال المفسرون وأول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخواناً متحابين.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله ﴿**لا تحسبن الذين كفروا**﴾ يعني: اهل مكة[٥] ﴿**معجزين في الأرض**﴾ يعجزوننا ويفوتونا هرباً أي أن قدرة الله محيطة بهم ومن قرأ بالياء ففاعل الحسبان على هذه القراءة الذين كفروا[٦] وكأنه قيل وتحسبن الذين كفروا[٧] أنفسهم معجزين ثم أوعدهم فقال ﴿**ومأواهم النار ولبئس المصير**﴾ قوله:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

---

(١) أبو بكر بن عياش بن سالم الاسدي الكوفي المقري واسمه كنيته ت سنة ١٩٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/٢٦٥، طبقات القراء لابن الجزري ١/٣٢٥، ابن سعد ٦/٢٦٩.

(٢) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٨) والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٢.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) في هـ ففعل لهم بهم.

(٥) لا يخص هذا الحكم أهل مكة وحدهم وإنما ينطبق على كل من كفر بالله سواء كان من أهل مكة أو من غيرها والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٦) قراءة (لا يحسبن) بالياء، قرأ بها: ابن عامر وحمزة وانظر السبعة ص ٤٥٩ والنشر ٢/ ٢٧٧.

(٧) ساقط من هـ.

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ أي في الدخول عليكم ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ يعني العبيد والاماء قال عطاء: ذلك على كل كبير وصغير ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من احراركم من الرجال والنساء ﴿ثلاث مرات﴾ يعني ثلاثة أوقات ثم فسرها فقال ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ وذلك إن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ يريد المقيل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها أمر الله بالاستئذان في الأوقات التي يتخلى فيها الناس ويتكشفون، وفصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال ﴿ثلاث عورات لكم﴾ أي هذه الأوقات ثلاث عورات [لكم](١) وسمى هذه الأوقات عورات(٢) لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عوراته ومن قرأ ثلاث [عورات](٣) بالنصب(٤) جعله بدلاً من قوله ثلاث مرات، قال السدي: كان أناس من الصحابة يعجبهم أن يوافقوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجون إلى الصلاة فأخبرهم الله أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا في هذه الساعات الثلاثة قال موسى بن أبي عائشة قلت للشعبي في هذه الآية: أمنسوخة هي قال: لا قلت: قد تركها الناس(٥) قال الله المستعان وقوله ﴿ليس عليكم﴾ يعني المؤمنين الاحرار ﴿ولا عليهم﴾ يعني الخدم والغلمان ﴿جناح﴾ حرج ﴿بعدهن﴾ بعد مضي هذه الأوقات لا حرج في أن [لا](٦) تستأذنوا في غير هذه الأوقات ﴿طوافون عليكم﴾ يريد انهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات بغير اذن قال مقاتل: ينقلبون فيكم ليلاً ونهاراً ﴿بعضكم على بعض﴾ أن يطوف بعضكم (٧) [وهم] (٨) المماليك عل بعض وهم الموالي قوله ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ يعني من الاحرار ﴿فليستأذنوا﴾ أي في جميع الأوقات في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الأوقات، والطفل والمملوك يستأذنان في الثلاث عورات، وقوله ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال، قال سعيد [بن المسيب] (٩) ليستأذن الرجل على أمه فإنما انزلت هذه الآية في ذلك قوله ﴿والقواعد من النساء﴾ يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر قال الزجاج: القاعدة التي قعدت عن التزوج، وهذا معنى قوله ﴿اللاّتي لا يرجون نكاحاً﴾ قال السدي: هن(١٠) اللاتي تركن الأزواج وكبرن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ يعني الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والمراد(١١) بالثياب ها هنا ما ذكر لا كلّ الثياب، وقوله ﴿غير متبرجات بزينة﴾ التبرج أن تظهر المرأة محاسنها من وجهها وجسدها من غير أن يدن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن قال مقاتل لها أن تضع الجلباب تريد بذلك أن تظهر قلائدها وقرطها وما عليها من الزينة ثم قال: ﴿وإن يستعففن﴾ فلا يضعن الجلباب ﴿خير لهن والله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبهم.

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) ساقط من د، هـ، وساقط من هـ، أيضاً إلى لفظ عورات.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (ثلاث) بالنصب، قرأها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٥٩، والنشر في القراءات العشر ٣٣٢/٢.

(٥) في هـ الناس لا يعلمون بها.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) في جـ، بعضكم على بعض وليس لها موضع.

(٨ + ٩) ساقط من جـ.

(١٠) في هـ: هي.

(١١) فيما عدا هـ والمراد.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾** قال سعيد بن المسيب إن المسلمين كانوا إذا غزوا وخلفوا زمناهم[1] وكانوا يدفعون إليهم مفاتيحهم أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غيب فنزلت هذه الآية رخصة لهم، ومعنى الآية نفي الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت أقاربهم أو بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو، وقوله **﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾** أي ليس عليكم حرج[2] أن تأكلوا من أموال عيالكم وازواجكم وبيت المرأة كبيت الرجل[3] وقال ابن قتيبة: أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم[4] ثم ذكر بيوت القرابات بعد الأولاد فقال **﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم﴾** وهذه الرخصة في أكل مال القرابات[5] وهم لا يعلمون ذلك كرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مر في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفاً بعباده ورغبة عن[6] دناءة الأخلاق وضيق النظر[7] وقوله **﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾** يعني بيوت عبيدكم ومما يملكون وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفتاح معناها الخزائن كقوله **﴿وعنده مفاتح الغيب﴾**[8] ويجوز

---

(١) الزمنى: جمع زمن، يقال رجل زمن أي مبتلى بين الزمانة وهي العاهة في الجسد. انظر اللسان مادة زمن.

(٢) في هـ: ليس عليكم حرج في انفسكم أن تأكلوا.

(٣) في هـ الزوج.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٨.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: لهم.

(٧) كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ فقد قال القرطبي: انها من قوله تعالى **﴿ولا على انفسكم﴾** الآية، قال عبد الرحمن بن زيد: هذا شيء قد انقطع كانوا في أول الإسلام ليس على أبوابهم اغلاق وكانت الستور مرخاة فربما جاء الرجل فدخل على البيوت فيأكل منها في غياب أصحابها ثم اتخذت الابواب فلا يحل لأحد أن يفتحها فذهب هد وانقطع وقال ﷺ «لا يحتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه» خرج الائمة: هـ تفسير القرطبي ٣١٢/١٢ ط دار الكتاب العربي وذهب ذلك أيضاً فلقد قال كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ بقوله ﷺ: «لا يحلّ مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وقوله تعالى **﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا﴾** الآية وقوله **﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾** الآية فإنهم إذا منعوا من منزله ﷺ إلا بالشرط المذكور وهو إكرام الناس واقلهم جاهاً فغيره ﷺ يعلم بالطريق الاولى. تفسير الالوسى ٢٢٠/١٨

(٨) الانعام: ٥٩.

أن تكون التي يفتح بها، وهذا قول عطاء عن ابن عباس، وقال آخرون أمضى قوله ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ ما خزنتموه لغيركم[١]، قال ابن عباس: يعني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيقته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته، قال عكرمة[٢]: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير، وقال السدي: الرجل يولى طعام[٣] غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه، وقوله ﴿أو صديقكم﴾ قال المقاتلان انطلق رجل غازياً يدعى الحارث بن عمرو واستخلف[٤] مالك بن زيد في أهله وخزانته فلم يأكل من ماله شيئاً حتى صار مجهوداً فأنزل الله وصديقكم يعني الحارث بن عمرو وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم[٥] بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية والمعنى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا من غير أن تتزودوا وتعملوا، وقوله ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ قال أكثر المفسرين نزلت في بني ليث بن بكر وهم[٦] من كنانة[٧] كان الرجل منهم لا يأكل، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما كانت معه الإبل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه[٨] ومعنى أشتاتاً: متفرقين جمع شتت، وقوله ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على أهله ومن في بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه قال ابن عباس: هو المسجد إذا دخلته فقل[٩] السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[١٠] أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد البغدادي أنا أبو بكر محمد بن المؤمل أنا الفضل بن محمد، نا ابن [أبي][١١] مريم، أناابن لهيعة حدثني أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً ما فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وإذا ذكر اسم الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدركتم العشاء والمبيت»[١٢] وقوله ﴿تحية من عند الله﴾ قال ابن عباس: أي هذه تحية حياكم الله بها، وقال الفراء: أي أن الله يأمركم[١٣] بما تفعلونه طاعة له وقوله ﴿مباركة طيبة﴾ قال ابن عباس: حسنة جميلة وقال الزجاج: أعلم الله

---

(١) في جـ: يغيركم.

(٢) عكرمة البربري مولى ابن عباس أبو عباس أو أبو عبد الله المدني ت سنة ١٠٥ هـ عن ثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ ص ٣٧ شذرات الذهب ١/ ١٣٠، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣.

(٣) فيما عدا هـ: طعامه.

(٤) الحارث بن عمرو بن ثعلبة بن غنم الباهلي أسد الغابه ١/ ٤٠٤ ط الشعب.

(٥) في هـ والمحترم.

(٦) بنو ليث بن بكر ذكر نسبهم كاملا في جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي ص ٣٤٠ ط دار المعارف.

(٧) وكنانه قبيلة عظيمة من العدنانية وهم بنو كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضربن نزار بن معد بن عدنان معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة ٣/ ٩٩٦.

(٨) تفسير ابن جرير عن قتادة وابن جريج وابن زيد تفسير ابن جرير ١٨/ ١٣١.

(٩) في هـ: دخلتم موضع فقل بياض.

(١٠) روى ابن جرير هذه الأخبار في تفسيره بالفاظ متقاربة ١٨/ ١٣٢.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) رواه الحاكم بالفاظ متقاربة وقال هذا حديث غريب الاسناد والمتن المستدرك كتاب التفسير سورة النور ٢/ ٤٠٢. وقال عنه الهيثمي رواه الطبراني وفيه أبو الصبا عبد الغفور وهو متروك مجمع الزوائد كتاب الادب باب السلام عند دخول المنزل ٧/ ٣٨.

(١٣) في هـ: امركم.

أن السلام مبارك طيب لما فيه من الأجر والثواب وقوله ﴿كذلك﴾ أي كبيانه في هذه الآية ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ يفصّل الله لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا عن الله أمره ونهيه وقوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أي على أمر طاعة يجتمعون[١] عليها نحو الجمعة والفطر والجهاد وأشباه ذلك ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم[٢] قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده، وقال الزجاج: أعلم الله أن المؤمنين إذا كانوا مع نبيه فيما يحتاج فيه[٣] إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنوه وكذلك ينبغي أن يكونوا مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه في جمع من جموعهم الا بإذنه[٤] وللإمام أن يأذنه وله أن لا يأذن على ما ترى لقوله عز وجل ﴿فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله﴾ أي واستغفر لهم لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذراً.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

قوله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [علمهم الله فضل النبي ﷺ على سائر البرية في المخاطبة وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعو بعضهم بعضاً قولوا: يا رسول الله يا نبي الله][٥] في لين وتواضع وخفض صوت وقوله ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من جملتهم واللواذ أن يستتر بشيء قال ابن عباس هو أن يلوذ بغيره فيهرب وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد من غير[٦] استئذان ومعنى ﴿قد يعلم الله﴾ التهديد بالمجازاة ثم حذرهم بالفتنة والعذاب فقال ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يعرضون عن أمره ودخلت عن لتضمن المخالفة معنى الإعراض أن تصيبهم فتنة قال

---

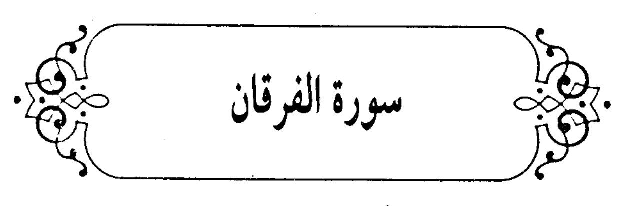
(١) في هـ: يجمعوا.
(٢) تفسير ابن جرير ١٨/ ١٣٥ والدر المنثور عن ابن أبي حاتم باختصار ٦/ ٢٢٦ ط دار الفكر.
(٣) ليست في هـ.
(٤) في هـ: باذنهم.
(٥) ساقط من د.
(٦) في هـ بغير وقد روى ابن جرير هذا الخبر في تفسيره باختلاف يسير ١٨/ ١٣٤.

ابن عباس ضلالة يعني الكفر وقال مجاهد بلاء في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ثم عظم نفسه فقال:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إلا إن لله ما في السموات والأرض﴾[1] عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعني يوم البعث يعلمه الله متى هو ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾.

(١) في جـ: وما في الأرض.



سورة الفرقان

مكيّة وآياتها سبع وسبعون

أخبرنا أبو سعد محمد بن الخفاف، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن يونس، نا سلام، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي [بن كعب](1) قال: قال رسول الله ﷺ [من قرأ سورة الفرقان يبعث يوم القيامة وهو مؤمن(2) أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من القبور ودخل الجنة بغير حساب](3).

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿تبارك﴾ قال ابن عباس: تعالى عما يقول(4) القائلون [فيه بسوء](5) وقد تقدم تفسيره **﴿الذي نزل الفرقان﴾** يعني: القرآن(6) الذي فرق الله [به](7) بين الحق والباطل **﴿على عبده﴾** محمد **﴿ليكون﴾** محمد بالقرآن **﴿للعالمين﴾** يعني الجن والإنس **﴿نذيراً﴾** مخوفاً من عذاب الله ثم عظم نفسه فقال **﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً﴾** كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون **﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾** يشاركه فيما خلق **﴿وخلق كل شيء﴾** مما يطلق في صفته المخلوقة **﴿فقدره تقديراً﴾** هيأه لما يصلح له وسواه، قال المفسرون: قدر له تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ثم ذكر ما صنع المشركون فقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ يعني: الاصنام اتخذها أهل مكة **﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾** أي وهي مخلوقة **﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً﴾** فيدفعونه عن أنفسهم **﴿ولا نفعاً﴾** فيجرونه إلى أنفسهم والمعنى: لا يملكون لأنفسهم دفع ضر ولا جر نفع لأنها جماد لا قدرة لها **﴿ولا يملكون موتاً﴾** أن تميت أحداً **﴿ولا حياة﴾** أن تحيي أحداً **﴿ولا**

---

(1) ساقط من د.

(2) في هـ: يؤمن.

(3) حديث لا أصل له وتراجع أول مريم والحج.

(4) فيما عدا هـ قال.

(5) ساقط من د.

(6) فيما عدا هـ: الفرقان.

(7) ساقط من هـ.

نشوراً﴾ ولا بعثاً للأموات أي فكيف يعبدون من لا يقدر على أن يفعل شيئاً من هذا ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ثم أخبر عن تكذيبهم بالقرآن فقال:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا **﴿إلا إفك﴾** كذب **﴿افتراه﴾** محمد واختلقه من تلقاء نفسه **﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾** قالوا أعان محمداً على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى[١] ويسار غلام ابن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب[٢] قال الله تعالى **﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾** أي فقد جاءوا شركاً وكذباً حين زعموا أن القرآن ليس من الله **﴿وقالوا أساطير الأولين﴾** أي ما سطره الأولون من أحاديث المتقدمين [وذلك أن النصر بن الحارث، قال هذا القرآن أحاديث الأولين] [٣] مثل حديث اسفنديار ورستم **﴿اكتتبها﴾** انتسخها محمد من عداس وجبر ويسار ومعنى اكتتب: أمر أن يكتب له **﴿فهي تملى عليه﴾** تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها لأنه لم يك كاتباً **﴿بكرة وأصيلاً﴾** غدوة وعشياً قالوا هؤلاء الثلاثة يعلمون محمداً طرفي النهار قال الله تعالى **﴿قل﴾** لهم يا محمد **﴿أنزله الذي يعلم السر﴾** أنزل القرآن الذي لا يخفى عليه شيء **﴿في السموات والأرض إنه كان غفوراً﴾** لأوليائه **﴿رحيماً﴾** بهم.

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين **﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾** أنكروا أن يكون

---

(١) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود أسلم بعد الفتح وتوفي في آخر زمان معاوية عن مائة وعشرين سنة انظر: نسب قريش ص ٤٢٦ وأسد الغابة ٢/٧٥ ط الشعب.

(٢) رواه ابن جرير عن مجاهد بدون تحديد لأشخاص ١٨/١٣٧.

(٣) ساقط من هـ ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن محمد بن إسحاق بسند فيه من لا يعرف عن عكرمة عن ابن عباس. تفسير ابن جرير ١٨/١٣٧.

الرسول بشر يأكل الطعام ويمشي في الطريق. كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة والمعنى: أنه ليس يملك ولا ملك وذلك أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يتبدلون فعجبوا [من ذلك][1] أن يكون مثلهم في الحال [لا][2] يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال والله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله **﴿لولا أنزل إليه[3] ملك فيكون معه نذيراً﴾** [وذلك][4] أنهم قالوا للنبي ﷺ سل ربك أن ينزل[5] معك ملكاً يصدقك بما تقول حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً ويجعل لك جناناً وكنوزاً يغنيك بها عن طلب المعاش[6] وهو قوله **﴿أو يلقى إليه كنز﴾** قال ابن عباس ومقاتل أو ينزل إليه مال من السماء **﴿أو تكون له جنة﴾** بستان **﴿يأكل منها﴾** من ثمارها من قرأ بالنون[7] أراد أنه يكون له بذلك مزية علينا في الفضل بأن نأكل من جنته **﴿وقال الظالمون﴾** المشركون للمؤمنين **﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾** ما تتبعون إلا مخدوعاً مغلوباً على عقله **﴿انظر﴾** يا محمد **﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾** يعني حين مثلوه بالمسحور وبالمحتاج المتروك والناقص عن القيام بالامور **﴿فضلوا﴾** بهذا يعني الهدى **﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾** لا يجدون[8] إلى الحق طريقاً وقال مقاتل: لا يجدون مخرجاً مما قالوا يعني: أنهم كذبوا فيما زعموا فلزمهم ذلك الكذب ولم يجدوا منه مخرجاً حجة أو برهان[9] ثم أخبر الله تعالى أنه لو شاء لأعطى نبيه ﷺ من الدنيا خيراً مما قالوا فقال تبارك وتعالى: **﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾** الذي قالوا أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا وهو قوله **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه [إياها][10] في الآخرة، وقوله **﴿ويجعل لك قصوراً﴾** من قرأ بالجزم[11] كان المعنى إن شاء يجعل لك قصوراً[12] قال الزجاج: أي سيعطيك الله في الآخرة أكثر مما قالوا ثم أخبر عن تكذيبهم بالبعث وأوعدهم على ذلك بالنار فقال: **﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾** ناراً تتلظى[13] ثم وصف ذلك السعير فقال: **﴿إذا رأتهم من مكان بعيدٍ﴾** قال الكلبي والسدي [ومقاتل][14] من مسيرة مائة عام **﴿سمعوا لها تغيظاً﴾** أي صوت تغيظ كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ وهو الغضب **﴿وزفيراً﴾** قال عبيد بن عمير[15] إن جهنم لتذفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك مقرب إلا خرّ لوجهه **﴿وإذا ألقوا منها﴾** من جهنم **﴿مكاناً ضيقاً﴾** قال المفسرون يضيق عليهم كما يضيق الزج[16] في الرمح وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية «والذي نفسي بيده إنهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط»[17] **﴿مقرنين﴾** قال مقاتل: موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين **﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾** دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك كما يقول القائل

---

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ليست في هـ.

(٣) في حـ: عليه.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: يبعث.

(٦) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٩٧ ط الحلبي وتفسير الطبري ١٨/١٣٧.

(٧) قراءة (نأكل منها) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. بالنون انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣

(٨) في هـ لا تجدون مخرجاً.

(٩) فيما عدا هـ وحجة وبرهان.

(١٠) قراءة الجزم قرأ بها: أبو عمرو وأبو جعفر وحمزة والكسائي ونافع وحفص عن عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣.

(١١) قراءة الرفع في (ويجعل) قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٢/٣٣٣.

(١٢) ساقط من هـ.

(١٣) فيما عدا هـ: تلظى.

(١٤) ليست في هـ.

(١٥) عبيد بن عمير مولى ابن عباس انظر تهذيب التهذيب ٧/٧٢ وفي د: عبيد بن بن عمر وهو خطأ.

(١٦) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح والجمع زججة بوزن عنبة الصحاح زجج.

(١٧) رواه ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد الدر المنثور ٦/٢٤٠ ط دار الفكر.

واهلاكاه أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا إسماعيل بن نجيد، آنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، نا عبيد الله بن محمد العبسي، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد (بن) جدعان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار يضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول واثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقول الله عز وجل: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً»[1] قال الزجاج: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال:

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قل أذلك خير﴾ يعني: السعير خير ﴿أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ وهذا على التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خير وقوله ﴿كانت لهم جزاء ومصيراً﴾ أي ثواباً ومرجعاً ﴿لهم فيها﴾[2] أي أن في جنة الخلد ﴿ما يشاؤون﴾ [أي القدر الذي يشاؤون][3] ﴿خالدين﴾] [4] كان ذلك الخلود [والدخول] [5] ﴿على ربك وعداً مسئولاً﴾ وذلك أن الله وعد المؤمنين الجنة على لسان الرسل فسألوه ذلك الوعد في الدنيا فقالوا: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [6] وقال القرظي إن الملائكة تسأل لهم ذلك وهو قوله ﴿ربنا وأدخلهم جنات [7] عدن. . . . الآية﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم﴾ يجمعهم: يعني كفار مكة والمشركين ومن كان يعبد غير الله ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ قال مجاهد: [يعني: عيسى وعزيراً والملائكة][8] وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني: الاصنام ثم يأذن لها في الكلام ويخاطبها ﴿فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ أنتم أمرتموهم بعبادتكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ أم هم أخطأوا الطريق ﴿قالوا سبحانك﴾ نزهوا الله من أن يكون معه إله ﴿ما كان ينبغي لنا [أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ ما كان ينبغي لنا][9] أن نعبد غيرك ونتخذ غيرك ولياً ومعبوداً [أي][10] فكيف ندعو إلى عبادتنا إذا كنا نحن لا نعبد غيرك فذكر

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١٥٣/٣ وقال عنه الهيثمي رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق المجمع باب صفة النار في أهل النار.

(٢) في هـ موضع هذه العبارة خالدين فيها.

(٣) في حـ موضع هذه العبارة الذي يشتهون وفي هـ يشأوون من الوقت.

(٤) ساقط من د. هـ.

(٥) ساقط من حـ.

(٦) آل عمران: ١٩٤.

(٧) غافر: ٨.

(٨) تفسير ابن جرير ١٤٢/١٨.

(٩ ـ ١٠) ساقط من هـ.

من جواب المعبودين ما دل على أنهم لم يأمروهم بعبادتهم، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان بالله بقولهم ﴿**ولكن متعتهم وآباءهم**﴾ قال ابن عباس: أطلت لهم العمر وأفضلت عليهم ووسعت لهم في الرزق ﴿**حتى نسوا الذكر**﴾ تركوا الموعظة والايمان بالقرآن ﴿**وكانوا قوماً بوراً**﴾ فاسدين هالكين قد غلب عليهم الشقاء والخذلان يقال: رجل بائر وقوم بور، وهو الفاسد الذي لا خير فيه فيقال للكفار حينئذ ﴿**فقد كذبوكم بما تقولون**﴾ أن: كذبكم المعبودون بقولهم لكم انهم آلهة شركاء لله، ومن قرأ بالياء[1] كان المعنى: كذبوكم بقولهم (سبحانك ما كان ينبغي لنا. . . الآية) وقوله ﴿**فما يستطيعون صرفاً**﴾ أي ما يستطيع المعبود صرف العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء[2] فالمعنى: ما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرفاً ﴿**ولا نصراً**﴾ من العذاب لأنفسكم ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب،وعلى قراءة العامة[3] وإلا أن ينصروكم من عذاب الله وبدفعه عنكم ﴿**ومن يظلم منكم**﴾ يشرك بالله ﴿**نذقه**﴾ في الآخرة ﴿**عذاباً كبيراً**﴾ شديداً ثم رجع إلى مخاطبة النبي ﷺ يعزيه فقال:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾

﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام**﴾ كما تأكل أنت ﴿**ويمشون في الأسواق**﴾ قال الزجاج: هذا احتجاج عليهم في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ فقيل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعاً منهم وقوله ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾ بلية أبتلي الشريف بالوضيع والعربي بالمولى فإذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال: أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض[4] وهذا قول الكلبي واختيار الفراء والزجاج وقال مقاتل: هذا في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون (انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا[5] ورذالينا فقال الله لهؤلاء الفقراء) [6] ﴿**أتصبرون**﴾ على الأذى والاستهزاء. ﴿**وكان ربك بصيراً**﴾ أن صبرتم فصبروا فأنزل الله فيهم ﴿**إني جزيتهم اليوم بما صبروا**﴾ [7] ﴿**وكان ربك بصيراً**﴾ عمن يجزع وعمن يصبر.

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾

---

(١) قراءة (بما يقولون) بالياء قرأ بها قنبل عن أبي عزة عن ابن كثير. انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٢/٣٣٤.

(٢) قراءة (تستطيعون) بالتاء قرأ بها حفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٢/٣٣٤.

(٣) قراءة العامة (يستطيعون) بالياء قرأ بها جميع القراء عدا رواية حفص عن عاصم المتقدمة.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٥.

(٥) تفسير ابن جرير عن ابن عباس ١٨/١٤٥.

(٦) المؤمنون: ١١١.

(٧) ساقط من جـ.

قوله ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يخافون البعث ﴿لولا﴾ [هلا][١] ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا أنك رسوله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ تكبروا حيث سألوا من الآيات ما لم تسأله آية ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ غلوا في القول غلواً شديداً حين قالوا نرى ربنا وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم طلبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما والعتو مجاوزة القدر في الظلم ثم أعلم الله أن الموقف[٢] الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وأن الله قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يعني يوم القيامة ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ لا بشارة لهم في الجنة والثواب، قال الزجاج: والمجرمون في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً[٣] عليكم [أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى كما يبشر المؤمنون قوله][٤] ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ أي قصدنا وعمدنا، قال ابن عباس: لم يكن الله غائباً عن أعمالهم، ولكن يريدوعمدنا إلى أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ قال ابن شميل: الهباء التراب الذي تطيره الريح كأنه دخان، وقال الزجاج: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وهذا قول المفسرين والمنثور المفرق والمعنى: ان الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور ثم ذكر فضل أهل الجنة على أهل النار فقال: ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿خير مستقراً﴾ أفضل منزلاً في الجنة ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قائلة قال الأزهري: القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها[٥] قال ابن مسعود وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[٦].

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

قوله ﴿ويوم تشقق السماء﴾ عطف على قوله يوم يرون الملائكة وفي تشقق قراءتان بتشديد الشين وتخفيفها فمن شدد أدغم التاء في الشين[٧] والاصل تتشقق ومن خفف[٨] حذف ولم يدغم وقوله ﴿السماء بالغمام﴾ قال أبو علي الفارسي[٩]: تشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وإنما تتشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء

(١) فيما عدا هـ: القدر.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) تفسير ابن جرير ١٩/ ٣.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد أبو منصور سنة ٣٧٠ هـ ٩/ ٣٠٦.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ١٨/ ٤.

(٧) قراءة (تشقق) بتشديد الشين، قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٢/ ٣٣٤.

(٨) قراءة (تشقق) بتخفيف الشين، قرأ بها أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي انظر: السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٢/ ٣٣٤.

(٩) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ولد سنة ٣٨٨ هـ وت سنة ٣٧٧ انظر وفيات الأعيان ١/ ١٣١، نزهة الألباء (٣٨٧).

التي قبلها[١] ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة، قال ابن عباس: يريدون أن يـوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ عسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلوها في دار الدنيا وفي الآية تبشير للمؤمنين حيث خص الكافرين بشدة ذلك اليوم قوله ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ قال مجاهد: ان عقبة بن[٢] أبي معيط دعا مجلساً فيهم النبي ﷺ لطعام فأبى النبي ﷺ أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فشهد بذلك عقبة فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له فقال صبوت يا عقبة فقال لا والله ما صبوت وإن أخاك على ما تعلم ولكني صنعت طعاماً فأبى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فأنزل الله ﴿ويوم يعض الظالم﴾ يعني: عقبة على يديه تحسراً وندماً قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان لا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل[٣] ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ ليتني اتبعت محمداً واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني أبياً ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ صرفني وردني عن القرآن والإيمان به بعد إذ جاءني مع الرسول وتم الكلام ها هنا ثم قال الله تعالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ يعني: الكافر يتبرأ منه يوم القيامة قوله:

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

﴿وقال الرسول﴾ يعني محمداً ﷺ، يشكو قومه إلى الله ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ قال ابن عباس: هجروا القرآن وهجروني وكذبوني وقال مقاتل: تركوا الإيمان بالقرآن[٤] وجانبوه، والمعنى: جعلوه مهجوراً متروكاً لا يستمعونه ولا يتفهمونه، فعزاه الله عز وجل فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه، قال مقاتل: يقول لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك [قد][٥] لقيت هذا التكذيب من قومهم ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ هادياً لك وناصراً لك على أعدائك. قوله:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال الكفار لرسول الله ﷺ: هلا أتيتنا بقرآن

---

(١) روى هذا الخبر ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس عن يوسف بن مهران عن علي بن جدعان وعلي بن جدعان ضعيف الحديث تفسير ابن جرير ١٨/٥.

(٢) عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قتل صبراً يوم بدر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي (١١٤).

(٣) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد تفسير ابن جرير ١٩/٧ ـ رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر المنثور ٢٥٢/٦ ط دار الفكر.

(٤) في د: بالقول.

(٥) ليست في هـ.

جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، والمعنى: هلا نزل عليه القرآن في وقت واحد قال الله تعالى ﴿**كذلك**﴾ أي أنزلناه متفرقاً ﴿**لنثبت به فؤادك**﴾ لنقوي به قلبك فيزداد بصيرة وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوى لقلبه ﴿**ورتلناه ترتيلاً**﴾ قال ابن عباس: بيناه تبييناً وقال السدي: فصلناه تفصيلاً وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض، قال ابن الأعرابي ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين[١] قوله ﴿**ولا يأتونك**﴾ يعني المشركين ﴿**بمثل**﴾ يضربونه لك في إبطال أمرك ومخاصمتك ﴿**إلا جئناك [بالحق]**﴾[٢] بالذي هو الحق لترد به خصومتهم وتبطل به كيدهم﴿**وأحسن تفسيراً**﴾ مما أتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً، والتفسير: تفصيل من الفسر، وهو كشف ما غطي قوله ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم**﴾ قال مقاتل: هم كفار مكة وذلك أنهم قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: هم شر خلق الله فقال الله ﴿**أولئك شر مكاناً**﴾ منزلاً ومصيراً ﴿**وأضل سبيلاً**﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آباذي[٣] نا محمد بن إبراهيم المجامعي أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا أحمد بن حنبل، نا يونس بن محمد، نا شيبان عن قتادة عن أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة[٤] رواه البخاري عن عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

قوله: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً**﴾ قال مقاتل والكلبي: معيناً على الرسالة ﴿**فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا**﴾ يعني فرعون وقومه، وذلك أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه ﴿**فدمرناهم تدميراً**﴾ أهلكناهم بالعذاب إهلاكاً ﴿**وقوم نوح لما كذبوا الرسل**﴾ قال الزجاج: من كذب نبياً فقد كذب جميع الأنبياء ﴿**أغرقناهم**﴾ بالطوفان ﴿**وجعلناهم للناس**﴾ من بعدهم ﴿**آية**﴾ عبرة ودلالة على قدرتنا قال ابن عباس: وهذا تعزية للنبي ﷺ وتخويف للمشركين ﴿**وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً**﴾ سوى ما حل بهم في الدنيا وقوله ﴿**وعاداً وثمود**﴾ تقدم تفسيره ﴿**وأصحاب الرس**﴾ قال السدي: هو بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار فنسبوا إليها وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة قال سألته عن أصحاب الرس فقال هم الذين قتلوا صاحب ياسين الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين ورسوه

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/٢٦٨.

(٢) ساقط من د، حـ، هـ.

(٣) في هـ. النصر آباذي، نا محمد بن إبراهيم النصر آباذي، نا محمد بن إبراهيم... الخ.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الفرقان ٦/٣٧ ط. الشعب، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب يحشر الكافر على وجهه ٤/٢١٦١.

في بئر لهم يقال له الرس أي دسوه فيها وقال قتادة: حدثنا أن أصحاب الرس كانوا أهل فلج باليمامة[١] وآبار كانوا عليها وقال وهب: كانوا أهل بئر نزولا عليها وأصحاب مواشي فكذبوا شعيباً فانهارت البئر بهم وبمنازلهم فهلكوا جميعاً[٢] وقوله[٣] ﴿**وقروناً بين ذلك كثيراً**﴾ أي وأهلكنا قروناً بين عاد إلى أصحاب الرس ﴿**وكلاً ضربنا له الامثال**﴾ قال مقاتل: وكلاً بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿**وكلاً تبرنا تتبيراً**﴾ أهلكنا بالعذاب إهلاكاً، قال الزجاج: وكل شيء كسرته وفتّته فقد تبرته ﴿**ولقد أتوا**﴾ يعني كفار مكة ﴿**على القرية**﴾ يعني قرية لوط ﴿**التي أمطرت مطر السّوْء**﴾ يعني: الحجارة ﴿**أفلم يكونوا يرونها**﴾ في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا ثم أخبر أن الذي جرأهم على التكذيب أنهم لا يصدقون بالبعث فقال ﴿**بل كانوا لا يرجون نشوراً**﴾ لا يخافون بعثاً ولا يصدقون به، قوله:

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً**﴾ وما يتخذونك إلا مهزوءاً به ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء فقال ﴿**أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾ أي إذا رأوك قالوا أهذا الذي بعثه الله [إلينا[٤] رسولاً] ﴿**إن كاد ليضلنا عن آلهتنا**﴾ قال ابن عباس لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا ﴿**لولا أن صبرنا عليها**﴾ أي على عبادتها قال الله ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب**﴾ في الآخرة عياناً ﴿**من أضل سبيلاً**﴾ من أخطأ طريقاً عن الهدى؟ أهم أم المؤمنون؟ثم عجب نبيّه ﷺ من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى فقال ﴿**أرأيت من اتخذ إلّهه هواه**﴾ قال عطاء عن ابن عباس أرأيت من ترك عبادة إلّهه وخالفه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي؟ قال مقاتل: وذلك ان الحارث بن قيس السهمي هوي حجراً فعبده، وقال سعيد بن جبير كان أهل الجاهلية ليعبدون الحجر فإذا رأوا أحسن منه أخذوه وتركوا الاول[٥] وقال الحسن: يقول لا يهوى شيئاً إلا اتبعه، وقال ابن قتيبة :يقول يتبع هواه ويدع الحق فهو كالإلّه له[٦] والمعنى: أنه أطاع هواه وركبه فلم يبال[٧] عاقبة ذلك وقوله ﴿**أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾ أي أفأنت عليه كفيل حافظ يحفظه عليه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله أي لست[٨] كذلك قال الكلبي نسختها آية القتال [﴿**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل[٩] سبيلاً**﴾].

---

(١) اليمامة: كان اسمها قديماً «جوت» فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم أحد الملوك وبين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام للراكب على الجمال معجم البلدان ٤٤٢/٥ لياقوت الحموي.

(٢) روى ابن جرير كل هذه الاخبار في تفسيره ثم عقب عليها بقوله: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت إلى فرط بأهل . . تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الاخدوذ فإن يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا بنبيهم في حفرة ا هـ تفسير ابن جرير ١١/١٩.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) تفسير ابن جرير ١١/١٩.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٣.

(٧) في هـ: ينال.

(٨) في هـ: ليست.

(٩) ساقط من أ، جـ، هـ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

قوله ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل**﴾ قال مقاتل: ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف وقال الزجاج: ألم تر ألم تعلم وهذا من رؤية القلب، وذكر أن هذا على القلب بتقدير ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وهو ظل لا شمس معه فهو ظل ممدود ﴿**ولو شاء**﴾ الله ﴿**لجعله ساكناً**﴾ دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس ومعنى ساكناً مقيماً كما يقال فلان يسكن بلد كذا إذا قام به وقوله ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**﴾ قال ابن عباس: تدل الشمس على الظل يعني: أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة فكل الاشياء تعرف بأضدادها وقوله ﴿**ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً**﴾ قال الكلبي: إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً خفياً والمعنى: ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً قوله: ﴿**وهو الذي جعل لكم الليل لباساً**﴾ يعني: أن ظلمته تلبس كل شخص وتغشاه كاللباس الذي يشتمل على لابسه، والله تعالى ألبسنا الليل وغشاناه لنسكن فيه كما قال ﴿**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾[1] وقوله ﴿**والنوم سباتاً**﴾ قال الزجاج: السبات أن تنقطع عن الحركة والروح في يديه أي جعلنا نومكم راحة لكم ﴿**وجعل**[2] **النهار نشوراً**﴾ قال ابن عباس ومقاتل: ينتشرون فيه لابتغاء الرزق والنشور ها هنا معناه التفرق والانبساط في التصرف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وهو الذي أرسل الرياح بشراً**﴾ [**بين يدي رحمته**]﴾[3] سبق الكلام فيه في سورة الاعراف وقوله ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهوراً**﴾ قال االأزهري: الطهور في اللغة الطاهر المطهر والطهور ما يتطهر به كالوضوء الذي يتوضأ به والفطور ما يفطر عليه ومنه الحديث (**هو الطهور ماؤه**) [4] قال ابن عباس: [يريد] [5] المطر وقال مقاتل طهوراً للمؤمنين ﴿**لنحيي به بلدة ميتاً**﴾ لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت، قال ابن عباس: لنخرج به النبات والثمار وإنما قال ميتاً لأنه أريد بالبلدة المكان ﴿**ونسقيه مما خلقنا أنعاماً**﴾ أي ونسقي من ذلك الماء أنعاماً وبشراً كثيراً وهو قوله ﴿**وأناسي كثيراً**﴾ واحدها إنس ﴿**ولقد صرفناه بينهم**﴾ أي صرفنا الماء المنزل من السماء مرة لبلدة ومرة لبلدة أخرى قال ابن عباس: ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه الآية وهذا كما روي أن النبي ﷺ قال: «ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم

---

(١) يونس: ٦٧.

(٢) في هـ: والنهار نشوراً.

(٣) ساقط من ب.

(٤) رواه ابن حنبل في المسند ٣/١٥، وأبو داود في كتاب الطهارة باب ما جاء في بثر بضاعة ١/٢٤ والترمذي في أبواب الطهارة باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء ١/٩٥ ط الحلبي، والحديث ونص الأزهري في تهذيب اللغة ٦/١٧٢ للأزهري.

(٥) ساقط من جـ.

بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار»[١] وقوله ﴿ليذكروا﴾ أي ليتفكروا في قدرة الله وموضع النعمة منه بما أحيا بلادهم به من الغيث ويحمدوه على ذلك ومن قرأ بالتخفيف[٢] فمعناه: ليذكروا موضع النعمة به فيشكروه ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ إلا كفراً بالله وبنعمته وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا[٣] وقوله:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً لعظم كرامتك لدينا[٤] ﴿فلا تطع الكافرين﴾ وذلك حين دعي إلى دين آبائه ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ تاماً شديداً.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما في مجاريهما أو خلاهما كما ترسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني أحد البحرين ﴿عذب﴾ طيب يقال: عذب عذوبة فهو عذب ﴿فرات﴾ الفرات أعذب المياه يقال: فرت الماء يفرت فروتة إذا عذب فهو فرات ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً من قدرة الله ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ خلق من النطفة إنساناً ﴿فجعله[٥] نسباً وصهراً﴾ الصهر حرمة الختونة[٦] والمعنى: فجعله ذا نسب وصهر، قال المفسرون: النسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿وأمهات نسائكم﴾[٧] ومن هنا إلى قوله ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ تحريم الصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح كالنسب المحرم حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر ستة في الآية التي ذكر فيها المحرمات والسابقة في قوله ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾[٨] ﴿وكان ربك قديراً﴾ على ما أراد. قوله:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧ وَتَوَكَّلْ عَلَى

---

(١) رواه الحاكم موقوفاً على ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين المستدرك كتاب التفسير سورة الفرقان ورواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود أيضاً. تفسير ابن جرير ١٩/١٥.

(٢) قراءة (ليذكروا) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها، قرأ بها حمزة والكسائي وخلف انظر: السبعة ص ٤٦٥ والنشر ٢/٣٠٧.

(٣) النوء: النجم إذا مال للمغيب كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فتقول مطرنا بنوء كذا. اللسان نوء.

(٤) في هـ: لدينك.

(٥) في هـ وجعله.

(٦) والختونة المصاهرة بين الرجل والمرأة فأهل بيت المرأة أختان أهل بيت الزوج وأهل بيت الزوج أختان المرأة وأهلها اللسان. فصل الخاء حرف النون.

(٧) النساء: ٢٣.

(٨) النساء: ٢٢.

ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم﴾ أن عبدوه ﴿ولا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ الظهير: العون المعين، قال الحسن: عوناً للشيطان على ربه بالمعاصي، وقال الزجاج: لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان، قال المفسرون: عنى بالكافر أبا جهل[1] ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿قل ما أسئلكم عليه﴾ على القرآن وتبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على دعائهم إلى الله شيئاً من أموالهم لقالوا: إنما تطلب[2] أموالنا وقوله ﴿إلا من شاء﴾ معناه لكن من شاء ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ما له فعل ذلك والمعنى: لا أسئلكم لنفسي أجراً ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى مرضاة الله قوله ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ تفسير هذه الآية ظاهر وقوله: ﴿الذي خلق السموات﴾ مفسر في سورة الاعراف إلى قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾ قال الكلبي: يقول[3] فاسأل الخبير بذلك يعني بها: ذكر من خلق السماوات والارض والاستواء على العرش، وهذا الخطاب ظاهره للنبي ﷺ والمراد به غيره كقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾[4] الآية قوله ﴿وإذا قيل لهم﴾ [لكفار مكة][5] ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة قال الزجاج: الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب الاولى ولكنهم لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فلما سمعوه أنكروه فـ ﴿قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ استفهام إنكاري أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ومن قرأ بالياء[6] بالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له ﴿وزادهم نفوراً﴾ قال مقاتل: زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان قوله:

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد بروج النجوم يعني منازلها الاثني عشر وقال الحسن ومجاهد: هي النجوم الكبار، وهو قول قتادة سميت بروجاً لظهورها ﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ يعني الشمس كقوله ﴿وجعل الشمس[7] سراجاً﴾ وقرأ حمزة سرجاً[8] قال الزجاج أراد بالشمس

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس: تفسير ابن جرير ١٩/١٨.

(٢) في هـ: يطلب.

(٣) فيما عدا ب، هـ: يقال.

(٤) يونس: ٩٤.

(٥) ساقط من ب، د، هـ.

(٦) قراءة (يأمرنا) بالياء قرأ بها حمزة والكسائي انظر النشر ٢/٣٣٤.

(٧) نوح: ١٦.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف (سرجا) بضم السين والراء من غير ألف على الجمع انظر النشر ٢/٣٣٤.

والكواكب معها ومن حجة هذه القراءة قوله ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾[1] **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾** قال أبو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة للنهار والنهار خلفة لليل لأن أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده قال الفراء: يقول: يذهب هذا ويجيء هذا وقال ابن زيد يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان، وقال قتادة: إن المؤمن قد ينسى بالليل ويتذكر[2] بالنهار وينسى بالنهار ويتذكر بالليل وقال الحسن: جعل أحدهما خلفاً للآخر فإن فات رجلاً من النهار شيء أدركه بالليل وإن فاته شيء بالليل أدركه بالنهار وهو قوله **﴿لمن أراد أن يذكر﴾** وقرأ حمزة مخففاً[3] على معنى أنه يذكر الله بتسبيحه[4] فيهما قال الفراء ويذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى **﴿واذكروا[5] ما فيه﴾** وفي حرف عبد الله وتذكروا ما فيه[6] وفي جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما صاحبه اعتبار واستدلال على قدرته ومتسع لذكره وطاعته أيضاً وقوله **﴿أو أراد شكوراً﴾** يقال شكر يشكر شكوراً وشكراً ومنه قوله ﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾[7] قال ابن عباس يريد لمن أراد أن يتعظ ويطيعني وقال مجاهد: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قوله **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾** الهون: مصدر الهين في السكينة والوقار يقال: هو يمشي هوناً، قال الحسن وعطاء والضحاك ومقاتل: حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد وقال قتادة: تواضعاً لله لعظمته **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾** يعني السفهاء **﴿قالوا سلاماً﴾** قال ابن عباس: لا يجهلون مع من يجهل وقال الحسن: يقول إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا وقال قتادة: كانوا لا يتجاهلون أهل الجهل وقال مقاتل بن حيان: قالوا سلاماً: أي قولاً يسلمون فيه من الاثم قال الحسن: هذا صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحون بين أطرافهم وهو قوله **﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾** قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات يبيت نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقاً، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجداً وقياماً وذكر الكلبي عن ابن عباس قال: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً **﴿والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾** الغرام: العذاب اللازم أو الشر اللازم، قال مقاتل: إن عذابها لازم كلزوم الغريم للغريم. وقال الزجاج: الغرام أشد العذاب **﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾** إن جهنم بئس موضع قرار

---

(١) الملك: ٥.

(٢) فيما عدا جـ يذكر.

(٣) قرأ حمزة وخلف بتخفيف الذال مسكنة وتخفيف الكاف مضمومة انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٤) في هـ بتسبيح.

(٥) البقرة: ٦٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧١ وفيه وفي قراءتنا (واذكروا ما فيه) بدلاً من قال الله تعالى.

(٧) الانسان: ٩.

وإقامة هي ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ يقال قتر الرجل على عياله يقتر وقتر قتراً وأقتر اقتاراً[١]: إذا ضيق ولم ينفق إلا قدر ما يمسك الرمق قال أبو عبيدة وهي: ثلاث لغات معناها لم يضيقوا في الإنفاق ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي كان إنفاقهم بين الاسراف والاقتار لا إسرافاً يدخل في حد التبذير ولا تطبيقاً يصبر به في حد المانع لما يجب، وهذا هو المحمود من النفقة وعد عمر رضي الله عنه من الإسراف أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا أكله وقال كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كلما يشتهي وقال قتادة: الإسراف النفقة في معصية الله والاقتار الامساك عن حق الله والقوام من العيش ما أقامك وأغناك قوله:

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ روى[٢] سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا وزنوا وأكثروا ثم أتوا النبي ﷺ فقالوا إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا والدي، أنا محمد بن إسحاق الثقفي، نا إسحاق[٣] بن إبراهيم الحنظلي، نا جرير عن منصور بن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال: قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون[٤] رواه البخاري ومسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير وقوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل هذه الخصال جميعاً ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقوبة وجزاءً لما فعل قال الفراء آثمه الله إثماً وأثاماً أي جازاه جزاء الإثم[٥] وقال المفسرون: أثام واد في جهنم من دم وقيح ثم ذكر ما يجازى به وفسر لقي الأثام بقوله: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ ومن رفع (يضاعف ويخلد)[٦] استأنف وقطعه مما قبله قوله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل [عملاً] صالحاً﴾[٧] قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون قالوا: ما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وآتينا الفواحش فنزلت هذه الآية. أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو الحسن السراج، نا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا إبراهيم بن محمد بن عباس

(١) في جـ واقتتر اقتتاراً.

(٢) في أ، ب: رواه والخبر رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الزمر باب قوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحافظ الحنظلي أبو يعقوب ت سنة ٣٣٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١/١٨٢.

(٤) رواه البخاري باختلاف يسير في كتاب التفسير سورة البقرة ٦/٢٢ ط الشعب ومسلم في كتاب الايمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ٤/٩٠ ط الحلبي.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٦٠.

(٦) قراءة (يضاعف، ويخلد) بالرفع قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٧) ساقط من جـ، هـ.

الشافعي، نا عبد الله بن رجاء[1] عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قرأنا على عهد رسول الله ﷺ سنتين والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله . . . الآية[2] ثم نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها وبإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً[3] قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه ﴿**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ قال التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقال الحسن: أبدلهم بالعمل السيّىء العمل الصالح وبالشرك إخلاصاً وإسلاماً وبالفجور إحصاناً، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي يبدل الله سيآتهم يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام بالشرك إيماناً [وبقتل النفس التي حرم الله[4]] قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة[5] وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول[6] وعمرو بن ميمون واحتجوا بالحديث الصحيح الذي أخبرناه أبو منصور بن طاهر التميمي، أنا أبو عمر بن مطر، نا إبراهيم بن علي الذهلي، نا يحيى بن يحيى، أنا وكيع عن الأعمش عن المعرور بن سويد[7] عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي [كبار][8] ذنوب ما أراها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجده[9] رواه مسلم عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش أخبرنا أحمد بن ابراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن بطة، نا أبو القاسم ابن بنت منيع، أنا محمد بن هارون الجدي، نا أبو المغيرة الحمصي، نا صفوان بن عمرو، نا عبد الرحمن بن جبير أن رجلاً أتى النبي ﷺ طويل شطب ممدود فقال أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها فلم يترك منها وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه فهل لذلك من توبة قال هل أسلمت قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرات يجعلهن الله لك خيرات قال وغدراتي وفجراتي قال نعم فقال[10] الله أكبر فما زال يكبر[11] حتى توارى[12] قوله ﴿**ومن تاب وعمل صالحاً**﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء ومن آمن يعني ممن لم يقتل ولم يزن وعمل

---

(١) عبد الله بن رحاب المكي أبو عمرو البصري ت سنة ٢١٩ هـ انظر. طبقات الحفاظ (١٧٢)، التهذيب ٥/٢٠٩، طبقات ابن سعد ٥/٣٦٦.

(٢) في هـ: التي.

(٣) قال الهيثمي رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران قد وثقا وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الفرقان ٧/٨٤.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٥) في هـ، جـ: وبقتل المؤمنين موضع هذه العبارة.

(٦) مكحول الدمشقي أبو عبد الله الفقيه ت سنة ١١٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٠٧، شذرات الذهب ١/١٤٦، التهذيب ١٠/٢٧٩.

(٧) المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي عاش مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ١/٦٧ التهذيب ١٠/٢٣٠ طبقات ابن سعد ٦/٨٠.

(٨) ساقط من جـ، د، هـ.

(٩) رواه مسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٧٥ ط الحلبي بالفاظ متقاربة.

(١٠) في هـ: قال قال. . .

(١١) في هـ: أكبر.

(١٢) رواه ابن الأثير في أسد الغابة ١/٥٢٥ ط الشعب. وقال عنه الهيثمي رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير =

صالحاً يريد الفرائض فإنه يتوب إلى الله متاباً قال: يريد أني فضلتهم وقدمتهم على من قاتل نبيي واستحل محارمي وعلى هذا معنى الآية ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً ولم يكن من القبيل الذين زنوا وقتلوا فإنه يتوب إلى الله أي يعود إليه بعد الموت متاباً حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

وقوله: ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ أكثر المفسرين على أن الزور ها هنا بمعنى الشرك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله[١] وقال قتادة: لا يشهدون الزور لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية: لا يشهدون الزور اللهو والغناء وقال علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور[٢] وقوله﴿**وإذا مروا باللغو**﴾يعني بالمعاصي كلها قاله[٣] الحسن والكلبي﴿**مروا كراماً**﴾ مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلّون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله، يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه والمعنى: مروا منزهين أنفسهم معرضين عنه ويكون التقدير وإذامروا بأهل اللغو وذوي[٤] اللغو مروا كراماً فلم يجاوروهم فيه ولم يخوضوا معهم فيه﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم**﴾ قال مقاتل: إذا وعظوا[٥] بالقرآن﴿**لم يخروا عليها صماً وعمياناً**﴾ يقول لم يقعوا عليها صماً لم يسمعوها وعمياً لم يبصروها ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا بها وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها[٦] وقال الحسن: كم من قارىء يقرأها يخر عليها أصم أعمى﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا**﴾ الذرية تكون واحداً وجمعاً فكونها للواحد قوله﴿**رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**﴾[٧] وكونها للجمع قوله:﴿**ذرية**[٨] **ضعافاً**﴾ فمن أفرد[٩] في هذه الآية استغنى عن جمعها لما كانت للجمع ومن جمع[١٠] فلأن الاسماء التي للجمع قد تجمع نحو قوم وأقوام ورهط وأرهاط وقوله﴿**قرة أعين**﴾القرة: مصدر يقال:

= محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة.
مجمع الزوائد كتاب التوبة باب فيمن يعمل الحسنات بعد السيئات ٢٠١/٩ وأراد بقوله حاجة ولا داجة: الحاجة: الصغيرة من الذنوب والداجة الكبيرة لسان العرب باب الدال حرف الجيم.

(١) ساقط من جـ.
(٢) روى ابن جرير كل هذه الأقوال في تفسيره ٣١/١٩.
(٣) في هـ: قال.
(٤) ساقط من جـ.
(٥) ساقط من جـ.
(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٥.
(٧) آل عمران: ٣٨.
(٨) النساء: ٩.
(٩) قراءة ذريتنا بالافراد قرأ بها: ابن كثير ويعقوب وابن عامر والمدنيان وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٣٣٤.
(١٠) قراءة (ذرياتنا) بالجمع، قرأ بها: ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٣٣٤/٢.

قرت عينه قرة قال ابن عباس: يريد أبراراً أتقياء وقال مقاتل يقولون: اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك وقال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله، وقوله ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي يقتدى بنا في الخير، قال مكحول: أئمة في التقوى يقتدي بنا المتقون، وقال قتادة: قادة في الخير قال الفراء: إنما قال إماماً ولم يقل أئمة كما قال ﴿أنا رسول رب العالمين﴾[١] للاثنين[٢] يعني: أنه من الواحد الذي أريد به الجمع قال مقاتل: أخبر الله تعالى عن أعمالهم ثم أخبر عن ثوابهم فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾

﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ وهي كل بناء عال مرتفع قال مقاتل يعني غرف الجنة وقال عطاء: يريد غرف الزبرجد والدر والياقوت ﴿بما صبروا﴾ أي على دينهم وعلى أذى المشركين وقال مقاتل: على أمر الله ﴿ويلقون فيها﴾ وقرىء بالتخفيف[٣] فمن شدد فحجته قوله ﴿ولقاهم نضرة﴾[٤] ومن خفف فحجته قوله ﴿فسوف يلقون غيا﴾[٥] وقوله ﴿تحية وسلاماً﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب تعالى بالسلام قوله ﴿خالدين﴾ مقيمين ﴿فيها﴾ من غير موت ولا زوال ﴿حسنت﴾ الغرف[٦] ﴿مستقراً ومقاماً﴾.

قوله ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ العبوء قلة المبالاة[٧] يقال عبأ عبئاً ومعابأة قال أبو عبيدة: يقال ما عبأت به شيئاً[٨] أي لم أعره اهتماماً فوجوده وعدمه عندي سواء وقال الزجاج: تأويل ما يعبأ بكم: أي وزن يكون لكم عنده، وقال مجاهد ما يفعل بكم ربي وقال ابن عباس: ما يصنع بكم ربي ﴿لولا دعاؤكم﴾ لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ومعنى الآية أي مقدار ووزن لكم عند الله لولا أنه خلقكم لتعبدوه وتطيعوه وهذا معنى قول ابن عباس أي انما أريد منكم أن توحدوني وقال مقاتل والكلبي والزجاج لولا عبادتكم وتوحيدكم إياه وفيه دليل على أن من لا يعبد الله ولا يوحده ولا يطيعه لا وزن له عند الله. وقوله ﴿فقد كذبتم﴾ الخطاب لأهل مكة أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوا دعوته ﴿فسوف يكون لزاماً﴾[٩] تهديد لهم، قال الزجاج: تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم فلا تعطون التوبة والمفسرون يقولون في تفسير اللزام أنه يوم بدر والمعنى أنهم قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم فلحقهم الوعيد الذي ذكر الله ببدر[١٠].

---

(١) الشعراء: ١٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٤.

(٣) قراءة (يلقون) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف قرأ بها: حمزة والكسائي وابن عامر وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٥/٣٣٥ وقراءة (يلقون) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٤٦٦.

(٤) الانسان: ١١.

(٥) مريم: ٥٩.

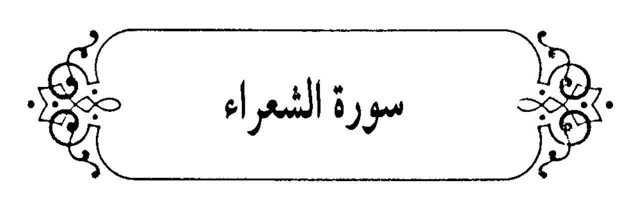
(٦) في هـ الغرفة.

(٧) ساقط من جميع النسخ جـ.

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٢.

(٩) في أ: لزاماً مكررة وفي هـ لزاماً: لازماً.

(١٠) روى ذلك ابن جرير في تفسيره: عن ابي بن كعب، وابن مسعود، وقتادة وغيرهم وذكر في معنى اللزام أقوالاً أخرى منها: أنه بمعنى فقال أي فسوف يكون فقالا أو بمعنى الموت أو بمعنى فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير وشر تفسير ابن جرير ١٩/٣٦.



سورة الشعراء

مكيّة وآياتها سبع وعشرون ومائتان

أخبرنا أبو عثمان الزعفراني، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود[١] وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ أجمعين»[٢].

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿**طسم**﴾ قال الوالبي عن ابن عباس طسم قسم وهو من أسماء الله عز وجل وقال مجاهد هو اسم للسورة، وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقال القرظي: قسم الله بطوله وسنائه وملكه وباقي الآية وقد تقدم تفسيره ﴿**لعلك**﴾ باخع نفسك فسرناه في سورة الكهف. قال المفسرون: لما كذبت قريش رسول الله ﷺ شق ذلك عليه وكان يحرص على ايمانهم فأنزل الله هذه الآية وهي كالأنكار عليه وذلك أنه كان يعلم إن الله [إن][٣] لم يهدهم لم يهتدوا فما يغني عنهم حرصه، ومعنى الآية **لعلك** قاتل نفسك لتركهم الإيمان ثم أعلم أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك فقال: ﴿**وإن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾ قال ابن جريج: لو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية، وقال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله، وذلك قوله ﴿**فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾ [جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين][٤] للرجال وذلك أن الاعناق إذا خضعت فأصحابها خاضعون، قال الأخفش: يجعل الخضوع مردوداً على المضمر الذي، أضيفت[٥] الأعناق إليه، وقال جماعة من المفسرين المراد بالأعناق الجماعات يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات جماعات [قوله][٦] ﴿**وما يأتيهم من ذكر من الرحمن**﴾ أي وعظ وتذكير من الله يعني القرآن

---

(١) في أ، جـ، د: هارون

(٢) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٣) ساقط من هـ، وانظر تفسير بن جرير ١٩/٣٧

(٤) ساقط من أ، هـ.

(٥) فيما عدا: أضيف

(٦) ليست في هـ

﴿**محدث**﴾ في الوحي والتنزيل، قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول وقوله ﴿**فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون**﴾ الآية مفسرة في سورة الأنعام، ثم ذكر ما يدلهم على قدرته فقال ﴿**أو لم يروا إلى الأرض**﴾ يعني المكذبين ﴿**كم أنبتنا فيها**﴾ بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿**من كل زوج كريم**﴾ من كل صنف وضرب حسن في المنظر مما يأكل الناس والأنعام، قال الزجاج: معنى زوج نوع، وكريم محمود فيما يحتاج إليه، والمعنى: من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين ﴿**إن في ذلك**﴾ يعني ما ذكر من الانبات في الأرض ﴿**لآية**﴾ تدل على أن الله قادر لا يعجزه شيء ﴿**وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾ في علم الله يقول: قد سبق في علمي أن أكثرهم لا يؤمنون ﴿**وإن ربك لهو العزيز**﴾ المنتقم من اعدائه ﴿**الرحيم**﴾ بأوليائه.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

﴿**وإذ نادى**﴾ واتل على قومك إذ نادى الله [﴿**موسى**﴾][1] حين رأى الشجرة والنار بأن قال له يا موسى ﴿**أن ائت القوم الظالمين**﴾ يعني: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب، ثم أخبر عنهم فقال: ﴿**قوم فرعون ألا يتقون**﴾ الا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**رب إني أخاف أن يكذبون**﴾ بالرسالة، ويقولون: لست من عند الله ﴿**ويضيق صدري**﴾ بتكذيبهم إياي ﴿**ولا ينطلق لساني**﴾ لا ينبعث بالكلام[2] للعلة التي كانت بلسانه ﴿**فأرسل إلى هارون**﴾ جبريل ليكون معي معيناً ﴿**ولهم علي ذنب**﴾ قتلت منهم قتيلاً يعني الرجل الذي وكزه فقضى عليه، والمعنى ولهم علي [دعوى] ذنب ﴿**فأخاف أن يقتلون**﴾[3] ﴿**قال**﴾ الله ﴿**كلا**﴾ لن يقتلوك به لأني لا أسلطهم عليك ﴿**فاذهبا**﴾ أنت وأخوك ﴿**بآياتنا**﴾ أي ما أعطاهما[4] من المعجزة ﴿**إنا معكم مستمعون**﴾ قال ابن عباس: يريد نفسه وهذا كما قال ﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾[5] وإنما قال معكم لأنه أجراهم مجرى[6] الجماعة، والمعنى: نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به ﴿**فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين**﴾ الرسول واحد في موضع التثنية ها هنا كما قال ﴿**وهم لكم عدو**﴾[7] ﴿**أن أرسل معنا بني إسرائيل**﴾ أي بأن أرسلهم وأطلقهم من الاستعباد وحل عنهم فأتياه وبلغاه الرسالة فقال: ﴿**قال ألم نربك فينا وليداً**﴾ صبياً صغيراً وذلك أنه ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً وهو قوله[8] ﴿**ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾ قال ابن عباس: ثمانية عشر سنة، وقال

(١) ساقط من هـ
(٢) فيما عدا هـ الكلام
(٣) في النسخ يقتلوني والتصحيح من المصحف.
(٤) في هـ أعطاهما
(٥) طه: ٤٦
(٦) في هـ: معكما، وأجراهما
(٧) آية: ٥٠.
(٨) ما بين القوسين [ ] ساقط من أ

مقاتل: ثلاثين سنة، وقال الكلبي: أربعين سنة ﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت**﴾ يعني قتل القبطي ﴿**وأنت من الكافرين**﴾ قال الحسن والسدي: أي بإلهك كنت معنا على ديننا الذي تصيب وقال الفراء: وأنت من الكافرين لنعمتي ولتربيتي، وهذا قول مقاتل وعطاء وعطية ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾ أي فعلت تلك الفعلة وأنا من الجاهلين لم يأتني من الله [شيء][1] ﴿**ففررت منكم**﴾ ذهبت من بيتكم حذراً على نفسي إلى مدين ﴿**لما خفتكم**﴾ أن تقتلوني بمن قتلته ﴿**فوهب لي ربي حكماً**﴾ نبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم ﴿**وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل**﴾ يقال: استعبدت فلاناً وأعبدته وتعبدته وعبدته أخذته عبداً، قال الزجاج: المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار أن يكون ما ذكر فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبكيت للمخاطب على معنى انك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم فكيف تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له، وزاد الأزهري هذا بياناً فقال: إن فرعون لما قال لموسى ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى له وتلك نعمة تعتد بها علي لأنك عبدت بني إسرائيل ولو لم تتعبدهم لكفلني أهلي[2] ولم يلقوني في اليم أي فإنما صارت لك نعمة علي لما أقدمت عليه من ما حظره الله عليك[3] قال المبرد يقول التربية كانت بالسبب[4] الذي ذكر من التعبد أي تربيتك إياي كانت لأجل التملك والقهر لقومي.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿**قال فرعون وما رب العالمين**﴾ قال محمد بن إسحاق: يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه أي ما إلهك هذا فأجابه موسى بما يدل عليه من خلقه ما يعجز المخلوقون على أن يأتوا بمثله ﴿**قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ أنه خلق ذلك فلما قال موسى ذلك تحير فرعون ولم يرد جواباً ينقض به هذا القول فـ ﴿**قال لمن حوله ألا تستمعون**﴾ قال ابن عباس: يريد الا تستمعون مقالة موسى. فزاد موسى في البيان فـ ﴿**قال ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾ أي الذي خلق آباءكم الأولين وخلقكم من آبائكم فلم يجبه فرعون أيضاً بما ينقض قوله وإنما قال ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾ أي ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن له إلهاً غيري فلم يشتغل موسى بالجواب عما نسبه إليه من الجنون ولكنه اشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة فـ ﴿**قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ توحيد الله وقال أهل المعاني: إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول فلم يجبه فرعون في هذه الاشياء بنقض لحجته بل

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟

(١) ليست في هـ
(٢) في هـ فلم
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٢/٢
(٤) في هـ: السبب

أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ أي: لأحبسنك مع من حبسته في السجن فـ﴿قال﴾ موسى حين توعده بالسجن ﴿أو لو جئتك بشيء مبين﴾ يعني أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف فيه صدقي وكذبك، وبعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله:

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم عيدهم يوم الزينة ﴿وقيل للناس﴾ لأهل مصر ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ لتنظروا ما يفعل الفريقان ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ على أمرهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ لموسى وأخيه وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

﴿لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا بالمغفرة ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون في الآخرة ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ مفسر في سورة طه ﴿أن كنا﴾ لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ بآيات موسى من جملة السحرة وغيرهم وفي هذا الحال.

۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ مفسر في سورة طه ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يحشرون الناس ويجمعون له الجيش وقال فرعون ﴿إن هؤلاء﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لشرذمة﴾ عصابة، قال المبرد: الشرذمة القطعةمن الناس غير الكثير وجمعها الشراذم وقوله﴿قليلون﴾ قال الفراء: يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون[1]

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٠

قال المفسرون: وكان الشرذمة الذين ملكهم فرعون ستمائة ألف[١] ولا يحصى عدد أصحاب فرعون قوله ﴿**وإنهم لنا لغائظون**﴾ يقال غاظه وأغاظه وغيظه: إذا اغضبه والغيظ الغضب، ومنه قوله تعالى ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [٢] قال مقاتل وإنهم لنا لغائظون بقتلهم أبكارنا ثم هربهم منا، وقال غيره أي بما أخذوه من العواري التي اتخذوها في الحلي وخروجهم من أرضنا على مخالفة لنا ﴿**وإنا لجميع حذرون**﴾ وقرىء حاذرون[٣] قال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر[٤] المخلوق كذلك لا تلقاه[٥] إلا حذراً[٦] وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ، وقال أبو عبيدة رجل حذر وحذر[٧] وحاذر وأهل التفسير يقولون في تفسير حاذرون مؤدون مقوون أي ذوو أداء وقوة مستعدون شاكرون ومعنى حذرون: خائفون شرهم ﴿**فأخرجناهم**﴾ يعني فرعون وقومه ﴿**من جنات**﴾ قال مقاتل: يعني البساتين ﴿**وعيون**﴾ أنهار جارية ﴿**وكنوز**﴾ يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة سمي كنزاً لأنه لم يعط حق الله منها[٨] وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً ﴿**ومقام كريم**﴾ قال المفسرون: هو المجلس الحسن من مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف[٩] بها الاتباع ﴿**كذلك**﴾ كما وصفنا ﴿**وأورثناها بني إسرائيل**﴾ وكذلك إن الله رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الأموال والعقار والمساكن وقوله:

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**فأتبعوهم مشرقين**﴾ يعني: قوم فرعون أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس وذلك قوله ﴿**فلما ترائى الجمعان**﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهم صاحبه، قال مقاتل: عاين بعضهم بعضاً ﴿**قال أصحاب موسى إنا لمدركون**﴾ أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿**قال**﴾ موسى ثقة بنصر الله ﴿**كلا**﴾ لن يدركونا ﴿**إن معي ربي**﴾ ينصرني ﴿**سيهدين**﴾[١٠] سيدلني على طريق النجاة ﴿**فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق**﴾ أي فضرب فانفلق فانشق الماء اثني عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم فذلك قوله ﴿**فكان كل فرق**﴾ أي كل قطعة من البحر ﴿**كالطود**﴾ كالجبل ﴿**العظيم وأزلفنا ثم الآخرين**﴾ قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم، قال مقاتل قربنا فرعون وجنوده في مسلك بني إسرائيل إلى الغرق وذلك أنه لما تتابع[١١] آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل من البحر أمر البحر فانطبق عليهم[١٢] فذلك قوله ﴿**وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية**﴾ إن في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ﴿**وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾ لم يكن أكثر أهل مصر[١٣] مصدقين

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٤٧

(٢) الملك: ٨

(٣) قراءة (حاذرون) بألف بعد الحاء قرأ بها: عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧١ والنشر ٢/٣٣٥

(٤) في هـ: ويحذر

(٥) في هـ: يلقاه

(٦) معاني القرآن ٢/٢٨٠.

(٧) مجاز القرآن ٢/٨٦

(٨) في هـ: منه

(٩) في هـ: تخف

(١٠) في هـ: سيهد بني وهو تحريف

(١١) فيما عدا هـ: تتابع

(١٢) تفسير ابن جرير ١٩/٤٩

(١٣) في هـ: المصر

بتوحيد الله، ولم يكن آمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون وخربيل المؤمن ومريم بنت موشا [(١)] التي دلت على عظام يوسف[(٢)] ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في انتقامه من اعدائه حين انتقم منهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين حين انجاهم من العذاب.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

قوله ﴿**واتل عليهم نبأ إبراهيم**﴾ حدث قومك حديثه وأخبرهم خبره ﴿**إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين**﴾ فنقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها ﴿**قال هل يسمعونكم**﴾ أي يسمعون دعاءكم ﴿**إذ تدعون أن ينفعونكم أو يضرون**﴾ قال ابن عباس: يريد هل يرزقوكم أو يكشفون عنكم الضر أو يملكون لكم ضراً والمعنى: هل ينفعونكم بشيء إن عبدتموهم أو يضرونكم إن لم تعبدوهم ﴿**قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك**﴾ كما نفعله ﴿**يفعلون**﴾ وهذا اخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام وترك الاستدلال ﴿**قال**﴾ لهم إبراهيم مبتدئاً ﴿**أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون**﴾ يعني الماضين الأولين ﴿**فإنهم عدو لي**﴾ إي أعاديهم وأتبرأ منهم ﴿**إلا رب العالمين**﴾ لكن رب العالمين أعبده ولا أتبرأ منه ثم ذكر نعمة الله عليه فقال: ﴿**الذين خلقني فهو يهدين**﴾[(٣)] إلى الدين والرشد لا ما تعبدون أخبر أن الذي يهدي هو الله الذي خلق ﴿**والذي هو يطعمني ويسقين**﴾ أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[(٤)] وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض فهو الذي يشفي[(٥)] وهو الله عز وجل ولم يقل وإذا أمرضني لأنه يقال مرضت وإن كان المرض بخلق الله وقضائه، ولا يقال: أمرضني الله ﴿**والذي يميتني**﴾ في الدنيا ﴿**ثم يحييني**﴾ للبعث، قال صاحب النظم: كانوا لا يدفعون الموت إلا انهم يجعلون له سبباً سوى الله ويكفرون بالبعث فأعلم إبراهيم: أنه هو الذي يميت ويحيي ﴿**والذي أطمع**﴾ قال مقاتل أرجو وهذا تلطف من إبراهيم في حسن الاستدعاء وخضوع لله تعالى وقوله ﴿**أن يغفر لي خطيئتي**﴾ المفسرون يقولون: يعني الكذبات الثلاث قوله ﴿إني سقيم﴾[(٦)] وقوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾[(٧)] وقوله لسارة هي أختي، وزاد الكلبي والحسن قوله ـ للكواكب ـ هذا ربي وقال الزجاج: إن الأنبياء بشر ويجوز أن تقع عليهم الخطيئة إلا انهم لا يكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون وقوله ﴿**يوم الدين**﴾ يريد يوم الجزاء

---

(١) في هـ: ناموسا

(٢) انظر تفسير ابن جرير ١٩/ ٤٩.

(٣) في هـ: يهديني

(٤ ـ٥) في هـ: يشفيني

(٦) الصافات: ٨٩

(٧) آية ٦٣ الأنبياء ولقد خرجنا هذا الحديث في سورة الأنبياء عند الحديث عن إبراهيم.

والحساب أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرآباذي أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، نا أبو بكر بن أبي شيبة، نا حفص بن غياث بن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن ابن[1] جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه؟ قال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم[2] عن أبي بكر بن أبي شيبة قوله:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

﴿رب هب لي حكماً﴾ قال ابن عباس: معرفة بالله وحدود أحكامه، وقال مقاتل: يعني الفهم والعلم ﴿وألحقني بالصالحين﴾ يعني: المتقين، قوله ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ يعني ثناءً حسناً ﴿في الآخرين﴾ في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ من الذين يرثون الفردوس ﴿واغفر لأبي إنه كان من الظالمين﴾ المشركين، وهذا إنما قاله قبل أن يتبرأ منه ذكرنا ذلك في آخر سورة براءة ﴿ولا تخزني﴾ قال مقاتل والكلبي: لا تعذبني ﴿يوم يبعثون﴾ يوم يبعث الخلق ثم فسر ذلك اليوم فقال ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ يعني لا ينفع المال والأولاد أحد ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ سلم من الشرك والنفاق، قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن، وقلب الكافر والمنافق مريض، وقوله:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ قربت الجنة لأولياء الله حتى نظروا إليها ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت وكشف الغطاء عنها ﴿للغاوين﴾ الضالين عن الهدى ﴿وقيل لهم﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون منه ثم يؤمر بهم فيلقون في النار فذلك قوله: ﴿فكبكبوا فيها﴾ قال الزجاج: طرح بعضهم على بعض، وقال ابن قتيبة: ألقوا على رؤوسهم[3]، وقال مقاتل: قذفوا فيها ﴿هم والغاوون﴾ قال السدي: يعني الآلهة والمشركين، وقال عطاء: هم وما يعبدون من دون الله ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ يعني ذرية إبليس كلهم ﴿قالوا﴾ [يعني الغاوين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع معبوديهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ

(١) ابن جدعان: عبد الله بن جدعان التيمي، خزانة الأدب ٥٣٧/٣ التبيين في أنساب القرشيين /٣٠٢ لابن قدامه المقدسي.
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً ١٩٥/١ ط الحلبي.
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣١٨)

نسويكم برب العالمين﴾](١) والله ما كنا إلا في ضلال حيث سويناكم بالله فأعظمناكم وعدلناكم به ﴿وما أضلنا﴾ عن الهدى ﴿إلا المجرمون﴾ قال مقاتل: الشياطين، وقال الكلبي: إلا أولونا الذين اقتدينا بهم ﴿فما لنا من شافعين﴾ من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين حيث يشفعون لأهل التوحيد ﴿ولا صديق حميم﴾ ذي قرابة يهمه أمرنا والحميم القريب الذي توده ويودك قال ابن عباس: ان المؤمن يشفع يوم القيامة للمؤمن المذنب: أخبرنا أحمد بن(٢) محمد بن إبراهيم أنا الحسين بن محمد بن الحسن الثقفي، نا محمد بن الحسن بن علي اليقطي، أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي، نا صفوان بن صالح، نا الوليد بن مسلم نا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه الحميم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم(٣) ثم قالوا ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ المصدقين بالتوحيد أي لتحل لنا الشفاعة كما حلت لأهل التوحيد ﴿إن في ذلك﴾ فيما أخبر من قصة إبراهيم ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم والباقي قد تقدم تفسيره إلى قوله:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قال الزجاج: دخلت التاء وقوم مذكرون(٤) لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة قوم نوح المرسلين لأن من كذب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ ابن أبيهم والأخوة كانت من جهة النسب لا من جهة الدين ﴿ألا تتقون﴾ عذاب الله بتوحيده وطاعته ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم ﴿فاتقوا الله﴾ بطاعته وعبادته ﴿وأطيعون﴾ فيم آمركم به من الإيمان والتوحيد ﴿وما أسألكم عليه﴾ على الدعاء إلى التوحيد ﴿من أجر إن أجري﴾ ما أجري(٥) وثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ والرسل إذا لم يسألوا أجراً كانوا أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة.

۞ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أنصدق لقولك ﴿واتبعك الأرذلون﴾ قال عطاء: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز وقال الضحاك وعكرمة: يعنون الحاكة والاساكفة قال الزجاج: والصناعات لا تضر في باب الديانات ﴿قال﴾ نوح ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن ادعوهم ﴿إن حسابهم﴾ ما حسابهم فيما يعملون ﴿إلا على

---

(١) ساقط من هـ
(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله المقرىء الأنباري، الميزان ١/ ١٣٠.
(٣) وردت أحاديث في شفاعة الرجل للرجل في مجمع الزوائد تدور حول هذا المعنى بأسانيد مختلفة بعضها صحيح وبعضها فيه كلام مجمع الزوائد كتاب البعث باب شفاعة الصالحين ١٠/ ٣٨١ أما هذا الحديث فإن في سنده انقطاعاً بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير
(٤) في هـ: والقوم مذكر
(٥) في هـ: ما جزائي

ربي لو تشعرون﴾ لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ ما أنا بالذي لا يقبل[١] الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون عندكم ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أنذركم النار وأبين لكم ما يقربكم من الله.

قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾ قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالرجم[٢]، وقال الضحاك من المشتومين، وقال قتادة من المضروبين بالحجارة ﴿قال﴾ نوح ﴿رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ فاقض بينهم قضاء يعني العذاب لأنه قال ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ أي من ذلك العذاب ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ قال ابن عباس ومقاتل: الذي قد ملىء من الناس والطير والحيوان كلها ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ بعد نجاة نوح ومن معه ﴿الباقين﴾ قوله:

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

﴿كذبت عاد المرسلين﴾ القبيلة لأنه أريد بعاد قبيلة عاد والباقي مفسر إلى قوله ﴿أتبنون بكل ريع آية﴾ وهو المكان المرتفع قال أبو عبيدة: الريع الارتفاع جمع ريعة[٣]، قال الوالبي عن ابن عباس: يعني بكل شرف، وقال مقاتل والكلبي والضحاك: بكل طريق ﴿آية﴾ بنياناً وعلماً ﴿تعبثون﴾ بمن يمر بالطريق، والمعنى أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرون منهم[٤] ويعبثون بهم وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا هذا في بنيان [بروج][٥] الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً، وقال عطاء عن ابن عباس يريد: يبنون ما لا يسكنون وعلى هذا القول جعل هو بناءهم ما يستغنون عنه ولا يسكنونه عبثاً منهم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطوعي، أنا محمد بن أحمد بن علي المقرىء، أنا أحمد ابن المثنى، نا أبو بكر بن أبي شيبة، نا الفضل بن دكين[٦] عن زهير عن عثمان بن حكيم عن

(١) فيما عدا هـ أقبل

(٢) يؤيد هذا القول ما جاء في لسان العرب مادة (رجم) ان الرجم يأتي بمعنى: القتل، والشتم، واللمس، والطرد.

(٣) هامش معاني القرآن للفراء ٢/٢٨١

(٤) في هـ: فيسخروا... ويعبثوا

(٥) ساقط من هـ

(٦) الفضل بن دكين: عمرو بن حماد الملائي الكوفي أبو نعيم ت سنة ٢١٨ هـ انظر: تاريخ بغداد ٢/٣١٦، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٢، طبقات الحفاظ ص ١٥٩

إبراهيم بن محمد بن حاطب عن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه هذا لرجل من الانصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ فسلم على الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه فشكا ذلك إلى اصحابه فقال والله [إني][1] لأنكر نظر[1] رسول الله ﷺ ما أدري ما حدث في وما صنعت قالوا: خرج رسول الله ﷺ فرأى قبتك فقال: لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة [فقال ما فعلت القبة][2] التي كانت ها هنا قالوا شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، قال إن كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه[3] قوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ المصانع التي يتخذها الناس من الأبنية والآبار قال أبو عبيدة كل قباء مصنعة[4]، قال ابن عباس: هي الأبنية، وقال مجاهد وقتادة والكلبي هي القصور والحصون ﴿لعلكم تخلدون﴾ أي كأنكم تخلدون قاله[5] أكثر المفسرين والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم يخلدون فيها ولا يموتون[6] ولعل يأتي في الكلام بمعنى كان قال يونس في قوله ﴿لعلك باخع نفسك﴾[7] معناه كأنك فاعل ذلك إن لم يؤمنوا ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ قال ابن عباس يريد الضرب بالسياط ضرب الجبارين والقتل بالسيف بغير حق، والمعنى إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم قتلتم ومعنى الجبار ها هنا القتال على الغضب بغير حق، وقال الزجاج: وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم فأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز وقوله ﴿واتقوا الذي أمدكم [بما تعلمون][8]﴾ أي أعطاكم ما تعلمون من الخير ثم أخبرنا بالذي أعطاهم فقال ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم﴾ قال ابن عباس: يريد إن عصيتموني ﴿عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة يريد الذي أهلكوا به.

قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ قال الكلبي نهيتنا أو لم تكن من الناهين لنا ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قال مقاتل: قالوا ما هذا العذاب الذي تقول يا هود إلا كذب الأولين وهو قول ابن مسعود ومجاهد، والخلق والاختلاق: الكذب، ومنه قوله ﴿وتخلقون إفكاً﴾[9] وقرىء: خلق الأولين[10] بضم الخاء واللام أي عادة الأولين، والمعنى: ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نفعل ﴿فكذبوه﴾ بالعذاب في الدنيا فأهلكناهم بالريح وما بعد هذا مفسر في السورة إلى قوله:

---

(١) ساقط من هـ ولفظ: نظر بعدها ساقط من هـ
(٢) ساقط من هـ
(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد باب في البناء والخراب بألفاظ مختلفة ٢/١٣٩٣.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٨
(٥) في هـ: قال
(٦) في هـ فلا
(٧) الشعراء: ٣
(٨) ساقط من هـ
(٩) العنكبوت: ١٧
(١٠) قراءة (خلق) بضم الخاء واللام، قرأ بها ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب وخلف انظر النشر ٢/٣٣٦ والسبعة ص ٤٧٢

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿اتتركون فيما ها هنا﴾ قال مقاتل: يعني فيما أعطاهم الله من الخير ﴿آمنين﴾ من الموت والعذاب ثم أخبر عن ذلك فقال ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ يعني :ما يطلع منها من الثمر والهضيم النضيج الرخص[1] اللين اللطيف اليانع، كل هذا من ألفاظهم ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ حاذقين بنحتها وهو من قولهم: فره الرجل فراهة فهو فاره وقرىء فرهين[2] قال أبو عبيدة أشرين بطرين والهاء من فرهين بدل من الحاء والفرح في كلام العرب بالحاء الأشر البطر ومنه قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾[3]، قوله ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ قال ابن عباس: [المشركين، وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقرو الناقة[4] وهم ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ لا يطيعون الله فيما أمرهم به

قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿قالوا﴾ لصالح ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أي ممن سحروا مرة بعد مرة وقال ابن عباس][5]: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب والمعنى: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا، قال مقاتل: قالوا إنما أنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء لست بملك ولا رسول ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ انك رسول الله إلينا، قال ابن عباس: إنهم قالوا: إن كنت صادقاً فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً[6]، فخرج بهم إلى هضبة من الأرض [فإذا][7] [هي][8] تمخض كما يمخض الحامل فانشقت عن الناقة[9] قال: ﴿هذه ناقة لها شرب﴾ حظ ونصيب من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ قال قتادة: إذ كان يوم شربها شربت مائهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وما بعد هذا مفسر فيما مضي إلى قوله:

---

(١) الرخص: بتسكين الخاء: الناعم يقال: هو رخص الجسد بين الرخاصة والرخوصة مختار الصحاح مادة رخص.

(٢) قراءة فرهين بغير ألف: قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٧٢ والنشر ٢/٣٣٦.

(٣) آية (٧٦) القصص والنص في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة/ ٣١٩.

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/٦٣

(٥) ساقط من هـ

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٢

(٧) ساقط من د

(٨) ساقط من د، هـ

(٩) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٦٣ الدر المنثور ٥/٩٢

أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿**أتأتون الذكران**﴾[١] وهو جمع الذكر ضد الأنثى، قال مقاتل: يعني نكاح الرجال ﴿**من العالمين**﴾ من بني آدم ﴿**وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**﴾ يعني فروج نسائهم قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال ﴿**بل أنتم قوم عادون**﴾ ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ﴿**قالوا لئن لم تنته**﴾ لئن لم تسكت ﴿**[يا لوط]**[٢] **لتكونن من المخرجين**﴾ من بلدتنا ﴿**قال إني لعملكم**﴾ يعني [٣] إتيان الرجال ﴿**من القالين**﴾ المبغضين، يقال: قليته أقليه قلى ثم دعا فقال ﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون**﴾ أي من عذاب ما ما يعملون قال المفسرون: عقوبة صنيعهم ﴿**فنجيناه وأهله**﴾ قال ابن عباس: يعني بناته ﴿**إلا عجوزاً**﴾ يعني امرأته ﴿**في الغابرين**﴾ الباقين في العذاب ﴿**ثم دمرنا الآخرين**﴾ اهلكناهم بالخسف والحصب وهو أن الله خسف بقراهم وارسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية وهو قوله ﴿**وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين**﴾ فبئس مطر الذين أنذروا بالعذاب.

كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

قوله ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين**﴾ قال ابن عباس: يريد شعيباً وحده والأيك[٤] شجر الدوم وهو المقل وكان أكثر شجرهم الدوم[٥]، وقال مجاهد: الأيكة الغيضة من الشجر الملتف، وقرأ الحجازيون أصحاب ليكة ها هنا وفي ق بغير همز والهاء مفتوحة[٦] قال أبو علي الفارسي: الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتها وألقيت حركتها على اللام فقلت ليكة كما قالوا: لحمر، وقول من قال أصحاب ليكة مشكل لأنه فتح التاء مع إلحاق الألف واللام الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال: مررت بلحمر فتح الآخر مع إلحاق لام المعرفة وقوله:

۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ

(١) في هـ: الذكران من العالمين وهي مكررة

(٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: مضى.

(٤) في هـ: الأيكة

(٥) من ضخام الشجر ولها خوص كخوص النخل وتخرج أقناء كأقناء النخل لسان العرب فصل الدال حرف الميم.

(٦) قراءة (ليكة) بلام مفتوحة من غير ألف وصل فيها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التأنيث في الوصل قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن عامر انظر: النشر ٢/٣٣٦.

أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن يقال: أخسرت الكيل والوزن أي أنقصته، ومنه قوله تعالى ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾(١) وقوله **﴿والجبلة الأولين﴾** الجبلة: الخليقة يعني الأمم المتقدمين قبلهم، ولما أمرهم بإتمام الكيل والوزن وتقوى الله كذبوه وسألوه العذاب إن كان صادقاً وهو قوله **﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾** ومضى تفسير هذا **﴿قال﴾** شعيب **﴿ربي أعلم بما تعملون﴾** أي من نقصان الكيل والوزن، والمعنى: انه اعلم به فهو مجازيكم ومعذبكم إن شاء وليس عندي العذاب **﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾** قال المفسرون: بعث الله عليهم حراً شديداً أخذ أنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرباً(٢) إلى البرية فبعث الله عليهم سحاباً أظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ونادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً(٣) فذلك قوله **﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾** ومعنى الظلة ها هنا: السحاب التي قد أظلتهم.

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

قوله **﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾** يعني القرآن **﴿نزل به الروح الأمين﴾** نزل الله بالقرآن جبريل وهو أمين الله [فيما بين الله وبين أنبيائه فيما استودعه الله](٤) من الرسالة إليهم، وقوله **﴿على قلبك﴾** أي تلاه عليك حتى وعيته بقلبك **﴿لتكون من المنذرين﴾** [ممن أنذر بآيات الله المكذبين](٥) **﴿بلسان عربي مبين﴾** قال ابن عباس: بلسان قريش لتفهموا ما فيه فلا يقولوا لانفسهم ما يقول محمد.

وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

﴿وإنه﴾ وإن ذكر القرآن وخبره **﴿لفي زبر الأولين﴾** لفي كتبهم يعني أن الله أخبر في كتبهم عن القرآن وأنزله على النبي المبعوث في آخر الزمان، قال مقاتل: وإن أمر محمد ونعته وذكره لفي كتب الأولين وهذا كقوله ﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾(٦) قوله **﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء**

(١) المطففين: ٣
(٢) في هـ: هرباً
(٣) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٦٧
(٤) ساقط من د، هـ
(٥) ساقط من أ
(٦) الأعراف: ١٥٧

بني إسرائيل﴾ قال الزجاج: أن يعلمه اسم كان وآية خبره والمعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن محمداً نبي حق علامة ودلالة على نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، قال عطية[١] وكانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد[٢] وأسيد[٣]، وقرأ ابن عامر تكن بالتاء[٤] رفعاً قال الفراء والزجاج: جعل آية هي الاسم وأن يعلمه خبر تكن[٥] **﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾** يقول لو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان **﴿فقرأه عليهم﴾** بغير لغة العرب ما آمنوا به وقالوا ما نفقه هذا فذلك قوله **﴿ما كانوا به مؤمنين﴾** ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ قال ابن عباس والحسن وغيرهما: سلك الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين، قال مقاتل: يعني مشركي مكة أخبر الله أنه أدخل الشرك وجعله في قلوبهم فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم وهو قوله **﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾** يعني عند الموت **﴿فيأتيهم﴾**[٦] يعني العذاب **﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾** به في الدنيا فيتمنى الرجعة والنظرة وهو قوله **﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾** أي لنؤمن ولنصدق، قال مقاتل: فلما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا فمتى العذاب تكذيباً به فقال الله تعالى **﴿أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت﴾** يا محمد **﴿إن متعناهم﴾** يعني: كفار مكة **﴿سنين﴾** قال عطاء: يريد منذ [أن][٧] خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي، وقال الكلبي: يعني مدة أعمارهم **﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾** من العذاب **﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾** به في تلك السنين، المعنى: أنهم[٨] وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط **﴿وما أهلكنا من قرية﴾** بالعذاب في الدنيا **﴿إلا لها منذرون﴾** يعني ولا ينذرونهم بالعذاب أنه نازل بهم **﴿ذكرى﴾** موعظة وتذكيراً **﴿وما كنا ظالمين﴾** فنعذب على غير ذنب ونعاقب من غير تذكير وإنذار.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

---

(١) عطية العوفي
(٢) أسد بن سعية القرظي أسد الغابة ١/٩٣
(٣) وأسيد بن عبيد من بني هلال بني عم بني قريظة أسلموا بعد الأحزاب أسد الغابة ١/٩٣
(٤) في هـ: آية رفع وانظر السبعة لابن مجاهد (٤٧٣) والنشر ٢/٣٣٦
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٣ بتصرف
(٦) في هـ: فيأتيهم [بغتة] وهي مكررة.
(٧) ساقط من هـ
(٨) في هـ: أنه.

﴿وما تنزلت به﴾ [أي القرآن] [(١)] ﴿الشياطين﴾ [قال مقاتل] [(٢)] قالت قريش: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد فأنزل الله ﴿وما تنزلت به﴾ أي بالقرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ وما يقدرون أن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينه وبين السمع بالملائكة والشهب وهو قوله ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ قال عطاء: عن استماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرجمون بالنجوم.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ وذلك حين دعي إلى دين آبائه فقال الله لا تعبد معه إلهاً آخر ﴿فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك قوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أي رهطك الأدنين وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة أخبرنا أبو عبيد[(٣)] الله محمد بن عبد الله الفارسي، نا أبو الفضل محمد بن عبيد الله الهروي، أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان اخبرني شعيب[(٤)] عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد[(٥)] الرحمن أن أبا هريرة قال قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين فقال «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً [يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً] [(٦)] يا عباد بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئاً [يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئاً] [(٧)] يا فاطمة[(٨)] بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً» رواه البخاري [(٩)] عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة عن وهب عن يونس عن الزهري أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الخلالي، أنا عبد الله بن زيدان [بن يزيد] [(١٠)] البجلي، نا أبو كريب، نا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوني قالوا بلى.

(١ ـ ٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: أبو عبد الله بن محمد

(٤) شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشر توفي سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢١، شذرات الذهب ٦/ ٢٥٧، طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ت سنة ٩٤ هـ عن اثنين وسبعين سنة تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣ تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥ شذرات الذهب ١/ ١٠٥

(٦) من د فقط.

(٧) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه انظر الإصابة ٤/ ٣٤٨ وما بين القوسين ساقط من (جـ)

(٨) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ توفيت سنة ١١ هـ الإصابة ٤/ ٣٧٧.

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الشعراء ٦/ ١٤٠، ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) بألفاظ متقاربة ١/ ١٩٤ ط الحلبي

(١٠) ساقط من هـ

[قال] فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب[١]: تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخرها» [٢] رواه مسلم عن أبي كريب ورواه البخاري عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الاعمش قوله ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿لمن اتبعك من المؤمنين﴾ قال ابن عباس يريد أكرم من اتبعك من المصدقين بتوحيد الله وألزمهم القول أظهر لهم المحبة والكرامة ﴿فإن عصوك﴾ يعني عشيرتك ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ من الكفر وعبادة غير الله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ فوض إليه جميع أمرك وثق بالله العزيز في نقمته الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى الصلاة في قول ابن عباس ومقاتل، وقال مجاهد يراك حين تقوم أينما كنت ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي ويرى ركوعك وسجودك وقيامك مع المصلين في الجماعة، والمعنى: يراك إذا صليت وحدك ويراك إذا صليت في الجماعة راكعاً وساجداً وقائماً هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة يريد في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الامة وما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الانبياء حتى ولدته أمه[٣] ﴿إنه هو السميع﴾ لقولك ﴿العليم﴾ بما في قلبك من الإيمان ثم قال لكفار مكة:

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ ثم أخبر فقال ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ على كل كذاب فاجر، قال قتادة: هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون إلى أوليائهم من الأنس وهو قوله ﴿يلقون السمع﴾ أي يلقون ما سمعوه إلى الكهنة ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً وهذا كان قبل أن يوحى إلى النبي ﷺ وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. قوله ﴿والشعراء﴾ قال ابن عباس يريد شعراء المشركين، وذكر مقاتل اسماءهم فقال: منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وأبو سفيان بن الحارث بن المطلب وهبيرة[٤] بن أبي وهب المخزومي ومسافع[٥] بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة[٦] عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأمية بن أبي الصلب الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد، وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويرددون عنهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه فذلك قوله ﴿يتبعهم الغاوون﴾ يعني الذين يرددون هجاء المسلمين،

---

(١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم نسب قريش ٨٩

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) ٦/٢٢١ وسورة الشعراء ٦/١٤٠ ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ١/١٩٤ بألفاظ متقاربة.

(٣) روى الهيثمي عن ابن عباس: (وتقلبك في الساجدين) من صلب نبي إلى صلب نبي حتى حدث نبياً رواه البزار ورجاله ثقات كتاب علامات النبوة باب في كرامة أصله ﷺ ٨/٢١٤

(٤) هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي مات كافراً هارباً بنجران نسب قريش (٣٤٤)

(٥) مسافع بن عبد مناف الشاعر الجمحي نسب قريش ص ٢٩٨.

(٦) أبو عزة الشاعر: عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي قتل صبراً بعد أحد في حمراء الأسد نسب قريش ص ٣٩٨.

وسب الصحابة والنبي ﷺ، وقال قتادة ومجاهد: الغاوون الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ يقال: هام يهيم هيماناً وهيماً إذا ذهب على وجهه قال ابن عباس: في كل فن من الكذب يتكلمون، وفي كل لغو يخوضون، وقال قتادة يمدحون بباطل ويشتمون بباطل قالوا ذي يمثل الفنون من الكلام[1] وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو باطل وغلو في مدح أو ذم ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال مقاتل: يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة ثم استثنى شعراء المسلمين فقال: ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾قال الكلبي ومقاتل: هم عبد الله بن رواحة وكعب[2] بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردوا هجاء من هجاه أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان الصيدلاني ، نا محمد بن يعقوب الأموي ، نا العباس بن الوليد بن جذيد، نا أبي ، نا الأوزاعي، نا يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل» أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن بشر ، نا عبد الله بن محمد بن ناجية، نا محمد بن عبد الله بن نافع عن يزيد بن زريع، نا شعبة عن عدي بن ثابت نا البراء سمعت حسان بن ثابت يقول: قال رسول الله ﷺ: «اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك» [3] رواه البخاري عن حفص بن عمرو [4] رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه كلاهما عن شعبة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطان، نا إسحاق بن خالويه نا علي بن يحيى القطان، نا هشام [5] عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد [6] الرحمن عن [7] مروان بن الحكم عن عبد الرحمن بن الاسود[8] بن عبد يغوث عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: ان[9] من الشعر حكمة أخبرنا أبو محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ،نا محمد بن يحيى، أنا أحمد بن شبيب[10] بن سعيد، نا أبي عن[11] يونس قال: قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت أشعاراً منها القصيدة أربعون ودون ذلك. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا محمد بن أحمد بن معدان،نا علي بن مسلم الطوسي،نا هشيم[12] ، أنا عمر بن[13] أبي زائدة عن الشعبي [14] قال كان أبو بكر

---

(١) في هـ: مثل لفنون الكلام

(٢) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله. أسد الغابة ٤/٤٨٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٤/١٣٦ ط الشعب ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت

(٤) حفص بن عمر بن الحارث ت سنة ٢٢٥ هـ طبقات الحفاظ ص ١٧٢ تذكرة الحفاظ ١/٤٠٥

(٥) هشام بن يونس الصنعاني أبو عبد الرحمن الأنباري ت سنة ١٩٧ هـ التهذيب ١١/٥٧.

(٦) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن الصغيرة ت سنة ٩٣ هـ التهذيب ١٢/٣٠

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الملك ت سنة ٦٥ هـ التهذيب ١٠/٩٢.

(٨) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري سنة ٩٦ هـ التهذيب ٦/١٣٩ وما بين القوسين ساقط من هـ

(٩) قال الهيثمي رواه البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن حرب الموصلي وهو ثقة مجمع الفوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الهجاء ٨/١٢٣

(١٠) أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٢٩ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٣٦، الجرح والتعديل ١/٥٤.

(١١) شبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد البصري ت سنة ٨٦ هـ تهذيب التهذيب ٤/٣٠٦، الجرح والتعديل ٢/٣٥٩.

(١٢) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أو معاوية ت سنة ١٨٣ التهذيب ١١/٦٢

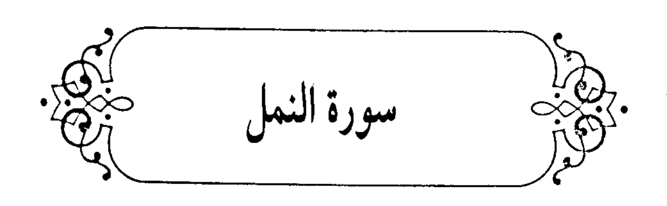
(١٣) عمر بن أبي زائدة الهمداني الوادعي الكوفي التهذيب ٧/٤٤٨

(١٤) الشعبي عامر بن شراحيل أبو عمرو ت سنة ١٠٣ هـ تاريخ بغداد ١٢/٢٢٩، تذكرة الحفاظ ١/٧٩، التهذيب ٥/٦٥

رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله عنه يقول الشعر وكان[1] علي رضي الله عنه أشعر الثلاثة وقوله **﴿وذكروا الله كثيراً﴾**[2] أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم **﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾** قال مقاتل: انتصروا من المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء ثم أوعد شعراء [3] المشركين فقال **﴿وسيعلم الذي ظلموا﴾** أي أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنـين **﴿أي منقلب ينقلبون﴾** قال ابن عباس يعني أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يخلدون فيها.

(١ ـ ٢) بياض في هـ

(٣) في هـ: ذكر شعر. . .



سورة النمل

مكيّة وآياتها ثلاث وتسعون

أخبرنا الاستاذ سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي، أنا أبو إسحاق الاسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا سلام المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذبه وهود أو شعيباً وصالحاً وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله»[1].

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

[قوله][2] ﴿طس﴾ قال ابن عباس: هو اسم من اسماء[3] الله تعالى أقسم الله به، وقال قتادة: إنه اسم من أسماء[4] القرآن وقال مجاهد: هو من الحروف المقطعة التي هي فواتح يفتح الله بها القرآن وليست من اسمائه ﴿**تلك آيات القرآن وكتاب مبين**﴾ تقدم تفسيره ﴿**هدى وبشرى للمؤمنين**﴾ بيان من الضلالة لمن عمل به وبشرى بما فيه من الثواب للمصدقين به انه من عند الله ثم نعتهم[5] فقال ﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾ ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ لا يصدقون بالبعث ﴿**زينا لهم أعمالهم**﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني ضلالتهم حتى رأوها حسنة ﴿**فهم يعمهون**﴾ يترددون فيها متحيرين ﴿**أولئك الذين لهم سوء العذاب**﴾ أشده ﴿**وهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار ﴿**وإنك لتُلقّى القرآن**﴾ قال السدي: يلقى عليك القرآن وحياً من عند الله الحكيم أي أنزله عليك بعلمه وحكمته.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن

---

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) ساقط من هـ

(٣ ـ ٤) فيما عدا هـ: أسامي

(٥) في هـ: بعثهم

ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

قوله ﴿**إذ قال موسى لأهله**﴾ قال الزجاج: موضع إذ نصب والمعنى: اذكر إذ قال موسى أي اذكر قصته إذ قال لأهله لامراته ﴿**إني آنست ناراً**﴾ أبصرتها ﴿**سآتيكم منها بخبر**﴾ عن الطريق وكان قد تحير وترك الطريق فإن لم أجد أحداً يخبرني عن الطريق آتيكم بشعلة نار، وهو قوله ﴿**أو آتيكم بشهاب قبس**﴾ والشهاب أصل خشبة فيها نار ساطع وتفسير القبس قد سبق وقرىء بشهاب قبس بالتنوين[١] والإضافة، قال الزجاج: من نون جعل قبس من صفة الشهاب ومن أضاف فقال الفراء: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الاسماء كقوله ﴿والدار الآخرة﴾ [٢] وقوله ﴿**لعلكم تصطلون**﴾ لكي تصطلوا من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء يقال: صلي بالناء واصطلى بها إذا استدفأ ﴿**فلما جاءها نودي أن بورك من في النار**﴾ أي بورك على من في النار أو فيمن في النار قال الفراء: العرب تقول باركه الله وبارك عليه وبارك فيه بمعنى واحد[٣] والتقدير من في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة [كما حيا إبراهيم][٤] بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [٥] ومذهب المفسرين أن المراد بالنار هو النور وذلك أن موسى رأى نوراً عظيماً فظنه ناراً لذلك ذكر بلفظ النار ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس[٦] ﴿**ومن حولها**﴾ هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها والله تعالى نادى موسى لما توجه إلى النار بأنه قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور الذي رآه ثم نزه نفسه فقال ﴿**وسبحان الله رب العالمين**﴾ ثم أخبر الله موسى عن نفسه وتعرف إليه بصفاته وذاته فقال ﴿**إنه أنا الله العزيز الحكيم**﴾ والكناية [في][٧] إنه للشأن والأمر أي إن الشأن والأمر أن المعبود أنا وقال الفراء: هذه الهاء عماد وهو اسم لا يظهر[٨]، ثم أراه آية على قدرته ليشاهد من قدرة الله ما لم يشاهده قبل وهو قوله ﴿**وألق عصاك فلما رءاها تهتز**﴾ وفي الآية محذوف تقديره فألقاها فصارت حية فلما رءاها تهتز ﴿**كأنها جان**﴾ قال الزجاج: صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية الأبيض وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها وشبهها في موضع آخر بالثعبان لعظمها وقوله ﴿**ولى مدبراً**﴾ أي من الخوف من الحية ﴿**ولم يعقب**﴾ [يرجع][٩] يقال: عقب فلان إذا رجع وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت فقال الله: ﴿**يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون**﴾ قال ابن عباس: لا يخاف عندي من ارسلته برسالتي والمعنى: لا يخيف الله الانبياء أي إذا أمنهم لا يخافونه فكيف تخاف الحية نهي عن الخوف من الحية ونبه على آمن المرسلين[١٠] عند الله ليعلم أن من آمنه الله من عذابه بالنبوة لا يستحق أن يخاف الحية ثم قال ﴿**إلا من ظلم**﴾ يعني أذنب وظلم نفسه

---

(١) قراءة (بشهاب قبس) بالتنوين والإضافة، قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧٨ وانشر ٢/٣٣٧.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٦ وفيه اسم بدلاً من نفسه (والدار الآخرة) في يوسف ١٠٩
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة بتصرف
(٤) ساقط من جـ
(٥) هود: ٧٣
(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٨٢
(٧) ساقط من هـ
(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٧
(٩) ساقط من جـ
(١٠) في هـ: المسلمين.

بالمعصية ﴿ثم بدل حسناً﴾ أي توبة وندماً ﴿بعد سوء﴾ عمله وفي هذا إشارة إلى أن موسى وإن ظلم نفسه بقتل القبطي وخاف من ذلك فإن الله يغفر له لأنه ندم على ذنب وتاب عنه حين قال ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾(١) وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى لكن من ظلم ثم تاب ﴿فإني غفور رحيم﴾ إني لا يخاف لدي الانبياء والتائبون، وقوم يقولون: إلا ها هنا بمعنى ولا كأنه قال ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ثم أراه آية آخرى فقال ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ الجيب: حيث جيب من القميص أي قطع من [الجيب](٢) قال ابن عباس: كانت عليه جبة زربقانية من صوف كماها إلى مرفقيه ولم يكن لها أزرار وأدخل يده في جيبها فأخرجها وإذا هي تبرق مثل البرق فذلك قوله ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ من غير برص ﴿في تسع آيات﴾ وقد فسرناها في سورة بني إسرائيل ﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي مبعوثاً إليهم أو مرسلاً ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ بينة واضحة كقوله ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾(٣)وقد مر ﴿قالوا هذا﴾ أي هذا الذي نراه عياناً ﴿سحر مبين وجحدوا بها﴾ أنكروها ولم يقروا بأنها من عند الله ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ انها من عند الله وانها ليست بسحر ﴿ظلماً وعلوا﴾ قال الزجاج: التقدير وجحدوا بها ظلماً وعلوا أي شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون(٤) انها من عند الله ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ في الأرض بالمعاصي.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

قوله ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ قال ابن عباس: علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود﴾ نبوته وعلمه وملكه، قال قتادة كان لداود تسعة عشر ذكراً فورث سليمان ملكه من بينهم ونبوته أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطبري قراءة عليه بجرجان أنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم الأنبدوني(٥)، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوريذي، نا داود بن الحسين(٦) البيهقي، نا محمد بن سهل السمرقندي، نا إسحاق بن(٧) الصلت، نا عبد الله بن عرادة(٨) الشيباني عن يحيى بن أبي كثير عن ابي سلمة عن أبي

(١) آية (١٦) سورة القصص وما بين القوسين ساقط من هـ.
(٢) من أ.
(٣) الإسراء: ٥٩
(٤) فيهـ: يعلم
(٥) في هـ: الابندويني
(٦) داود بن الحسيس بن عقيل البيهقي الخسروجردي ت سنة ٢٩٣ هـ تاريخ الإسلام ٣٠٦/١٥
(٧) إسحاق بن الصلت قال عنه صاحب الميزان منكر الحديث انظر ميزان الاعتدال ١٩٢/١
(٨) عبد الله بن عرادة بن شيبان السدوسي أبو شيبان البصري تهذيب التهذيب ٣١٩/٥.

هريرة رضي الله عنه قال نزل كتاب من السماء إلى داود مختوم فيه [عشر][1] مسائل ان سل ابنك سليمان فإن هو أخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود سبعين فساد وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني نزل كتاب من السماء فيه عشر مسائل امرت أن أسألكهن فإن أنت اخرجتهن فأنت الخليفة من بعدي قال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله، قال اخبرني يا بني ما أبعد الاشياء وما أقرب الأشياء وما آنس الأشياء وما أوحش الأشياء [وما أحسنها وما أقبحها وما أقلها وما أكثرها وما الساعيان والمشتركان][2] وما القائمان وما المختلفان وما المتباغضان وما الأمر إذا ركبه الرجل حمد آخره وما الأمر إذا ركبه الرجل ذم آخره؟ فقال سليمان: أما أقرب الأشياء فالآخرة وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه وأما القائمان فالسماء والأرض وأما الساعيان فالشمس والقمر والمشتركان الليل والنهار[3] وأما المختلفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة كل واحد يبغض صاحبه، وأما الأمر إذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره فالعدة على الغضب، قال ففك الخاتم فإذا هذه المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والاحبار لن نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال: سلوه قال سليمان: سلوني وما توفيقي إلا بالله قالوا: ما الشيء إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه؟ قال سليمان هو القلب إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه فقالوا صدقت أنت الخليفة بعده ودفع إليه داود عليه السلام قضيب الملك ومات من الغد[4] أخبرنا أبو الحسن المؤمن بن محمد السوادي، أنا محمد بن عبد الله[5] بن نعيم، أنا أبو سعيد الأحمشي، نا الحسن بن حميد، نا الحسين بن علي السلمي، نا محمد بن حسان عن محمد بن جعفر بن[6] محمد عن أبيه قال: اعطي سليمان بن داود عليه السلام ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع واعطي علم كل شيء وملك كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله ﴿**علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء**﴾ أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن علي الحافظ، أنا محمد بن علي بن الحسين بالكوفة، نا حامد بن بلال بن الحسن البخاري، نا داود بن طلحة، نا عمر بن علي الخليل، نا موسى بن إبراهيم، نا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي قالوا: فما يقول الديك إذا صاح قال: يقول: اذكروا الله يا غافلين[7]، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الشيباني أنا أبو سهل بن بشر، نا سحاقة بنت حمدان بن موسى الأنبارية بالأنبار[8] قالت، نا أحمد بن عيسى بن العسكري[9]، نا

---

(١) ساقط من هـ.

(٢ ـ ٣) ساقط من هـ.

(٤) هذا خبر منكر وذلك لأن إسحاق بن الصلت منكر الحديث

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري ت سنة ٤٠٥ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٤٠٩ تذكرة الحفاظ ١٠٤٣/٣.

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمي الحسيني ت سنة ٢٠٣ الميزان ٥٠٠/٣

(٧) قال عنه ابن الجوزي في كتابه لا يصح متن الحديث ولا إسناده، وبين أن في سنده انقطاعاً كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٥/٣.

(٨) الإنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد كانت تسمى في أيام الفرس فيروز سابو معجم البلدان ٢٢١/٢

(٩) في هـ: ابن عسكري وهو: أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري المعروف بالتستري ت سنة ٢٤٤ تهذيب التهذيب ٦٥/١ وهو ضعيف الحديث.

أحمد بن كثير الواسطي، نا أحمد بن صالح عن علي بن الحسن عن سهل عن أبيه عن ابن عباس: قام: قوم من أهل العراق فقالوا: أنت ابن عباس قال فقلت: نعم قالوا: أنت ابن عم الذي يزعم أنه رسول الله والسفير فيما بينه وبين الله جبريل قال: نعم وأنا على ذلك من الشاهدين قالوا: فإنا قوم قد قرأنا الكتب وعرفنا ما فيها ونحن سائلون عن سبعة أشياء فإن أنت أخبرتنابها آمنا وصدقنا قال سلوني تفقهاً ولا تسألوني تفنناًفإن رسول الله ﷺ دعا لي فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فعلمت أن دعوة رسول الله ﷺ تلحقني سلوني عما شئتم قالوا أخبرنا ما يقول القنبر[1] في صفيره والزرزور[2] والدراج[3] والديك في صقيعه[4] والحمار في نهيقه والضفدع في نقيقه والفرس في صهيله قال نعم أخبركم أما القنبر فإنه يقول في صفيره: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأما الزرزور فإنه يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق وأما الدراج فيقول الرّحمن على العرش استوى وأما الديك فإنه يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فإنه يقول في نقيقه: سبحان المعبود في لجج البحار، وأما الحمار فإنه يقول في نهيقه: اللهم العن العشار، وأما الفرس فإنه يقول في صهيله إذا التقت الفئتان ومشى بعضهم إلى بعض: سبوح قدوس رب الملائكة والروح قالوا: ياابن عباس نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأسلموا وحسن إسلامهم، قال الفراء: منطق الطير كلام الطير فجعله كمنطق الرجل إذا فهم وانشد قول حميد بن ثور[5]:

عجبت[6] أنى يكون عناؤها فصيحاً ... ولم يقر بمنطقها فما[7]

ومعنى الآية فهمنا ما تقول الطير ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال ابن عباس يريد من أمر الدنيا والآخرة، وقال مقاتل: يعني الملك والنبوة والكتاب وتسخير الرياح وسخرة الجن والشياطين ونطق الطير ﴿إن هذا﴾ الذي أعطينا ﴿لهو الفضل المبين﴾ الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة يدل عليه قوله ﴿من الجن والإنس والطير﴾ قال المفسرون: كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع طوائف من هؤلاء الجنود على بساط واحد ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، والمعنى: وجمع لسليمان جنوده في مسير له، قال محمد بن كعب: بلغنا أن سليمان بن داود عسكره مائة فرسخ[8] خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة عشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوابر على الخشب فيها ثلثمائة كتيبة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو

---

(١) القنبر أوالقبر جنس من الطير ومن فصيلة القبريات. المعجم الوسيط باب القاف.

(٢) الزرزور طائر من رتبة العصفوريات أكبر قليلاً من العصفور المعجم الوسيط باب الزاي

(٣) الدراج: نوع من الطيور يدرج في مشيه المعجم باب الدال.

(٤) والسقيع صوت الديك وصياحه. المعجم باب الصاد

(٥) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري أبو المثنى ت نحو سنة ٣٠ هـ انظر: الإصابة الترجمة ١٨٣ الأعلام ٢/٢٨٣.

(٦) عن هـ فقط عجبت لها وفي النسخ الأخرى عجبت أنى... ألخ.

(٧) في معاني القرآن للفراء:

عجبت أنى يكون عناؤها رفيعاً ... ولم تقنع بمنطقها فما

وفي الهامش البيت في ديوان حميد بن ثور في الحديث عن حمامة تغرد ص ٢٧ معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٩ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر والبيت في ديوان حميد من قصيدة مطلعها:

سل الريح أني يممت أم سالم ... وهل عادة للريح أن يتكلما

(٨) الفرسخ مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال المعجم الوسيط باب الفاء.

يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك به[١] وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: على صنف من جنوده وزعة ترد أولاهم على أخراهم يعني ليجتمعوا ويتلاحقوا وهو من الوزع الذي هو الكف يقال وزعته أزعه وزعا والشيب وازع أي مانع، قال الليث: والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم[٢] ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ أي أشرفوا عليه، قال كعب هو بالطائف[٣]، وقال قتادة ومقاتل هو بالشام ﴿قالت نملة﴾ أي صاحت بصوت خلقه الله لها، ولما كان ذلك الصوت مفهوماً لسليمان عبر عنه بالقول، قال أهل المعاني ومعرفة النملة سليمان معجزة له ألهمها الله معرفته حتى عرفته وحذرت النمل حطمه وهو قولها: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ والنمل تعرف كثيراً من منافعها من ذلك انها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت بقطعتين فالذي هداها إلى هذا هو الذي ألهمها معرفة سليمان ومعنى لا يحطمنكم لا يكسرنـكم والحطم الكسر والحطام ما تحطم وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بحطمكم ووطئكم قال مقاتل: قد علمت النملة انه ملك لا بغيّ فيه وانه إن علـم بها قبل إن يغشاها لم يتوطأها لذلك قالت ﴿وهم لا يشعرون﴾ وهذا يدل على ان سليمان وجنوده كانـوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يتواطأها بأرجلهم، ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان، قال المفسرون: طارت الريح بكلام النملة فادخلته أذن سليمان فلما سمع كلامها تبسم، وذلك قوله: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ قال الزجاج: أكثر ضحك الانبياء عليهم السلام التبسم، وضاحكاً حال ومعناه متبسماً، وليس المراد بلفظ الضحك أكثر من التبسم وسبب ضحك سليمان عليه السلام من قول النملة التعجب وذلك ان الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقال مقاتل ثم حمد ربه حين علمه منطق كل شيء وسمع كلام النملة ﴿وقال رب أوزعني﴾ أي ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي﴾ يقال: فلان موزع بكذا أي مولع[٤] به وقوله ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، قوله:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾

﴿وتفقد الطير﴾ التفقد: طلب ما غاب عنك والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير ﴿فقال ما لي لا أرى الهدهد﴾ أي ما للهدهد لا أراه يقول العرب ما لي اراك كئيباً؟ معناه ما لك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى والهدهد طائر معروف قال مجاهد: سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير فقال: إن سليمان نزل منزلاً ولم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد يدله على الماء إذا أراد أن ينزل فلما فقده سأل عنه وذلك أن الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاجة. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن الصباح نا عبد الله بن عمر نا سالم بن نوح، نا أبو المعلى

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٨٧ عن محمد بن كعب عن أبي معشر وأبو معشر ضعيف الحديث انظر تقريب التهذيب ٢/٢٩٨.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣/٩٩.

(٣) الطائف مدينة ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه على بعد أميال من مكة معجم البلدان ٤/٨

(٤) يراجع اللسان مادة وزع فلقد فسر الوزع يعني الإلهام والولوع

العطار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه ذكر الهدهد فقال إن سليمان طلبه لأنه كان يعلم مسقاة الماء وإن الصبي يضع له الفخ فيغطي عليه بشيء من التراب فيجيء فيقع فيه فقال ويحك أما علمت أن القدر يحول دون البصر وأخبرنا أبو بكر أنا عبد الله، أنا أبو الجريش أحمد بن عيسى الكلابي، نا عبد الوهاب بن فليح المكي، نا اليسع بن طلحة عن ابيه عن ابن عباس قال: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر[١] وقوله ﴿**أم كان من الغائبين**﴾ قال الزجاج: معناه بل كان [**من الغائبين**][٢] وقال المبرد: لما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فقال ما لي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع[٣] حيث لم يره فقال ﴿**أم كان من الغائبين**﴾ أي بل أكان[٤] من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول واستفهم عن حال غيبته ثم أوعده فقال ﴿**لأعذبنه عذاباً شديداً**﴾ قال المفسرون تعذيبه إياه أن ينتف ريشه ثم يلقيه في الشمس فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض[٥] ﴿**أو لأذبحنه**﴾ [لأ][٦] قطعن حلقه ﴿**أوليأتيني بسلطان مبين**﴾ بحجة بينة في غيبته أصله ليأتينني بنونين كما يقرأ ابن كثير[٧] ولكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات[٨].

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

﴿**فمكث غير بعيد**﴾ أي لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء الهدهد ﴿**فقال أحطت بما لم تحط به**﴾ أي علمت [شيئاً من جميع جهاته][٩] [ما لم تعلم][١٠] قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجة فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وقال مقاتل: قال الهدهد علمت ما لم تعلم وجئتك بأمر لم تعلم وجئتك بأمر لم تخبرك به الجن ولم تعلمك به الإنس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله ﴿**وجئتك من سبأ**﴾ وقرىء من سبأ بالتنوين[١١] قال الزجاج: من لم يصرف فلأنه اسم مدينة تعرف بمأرب[١٢] من اليمن بينها وبين صنعاء[١٣] مسيرة ثلاثة أيام من صرف ثلاثة اسم البلد فيكون منكراً سمي به مذكر وروي في الحديث أن النبي ﷺ سئل

(١) انظر ابن جرير ١٩/٩١

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) في هـ: الجميع

(٤) في هـ: كان

(٥) تفسير ابن جرير ١٩/٩١

(٦) ساقط من هـ

(٧) ابن كثير: عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد ولد سنة ٤٥هـ وت سنة ١٢٠ هـ انظر وفيات الأعيان ١/٢٥٠، الأعلام ٤/١١٥ دار العلم.

(٨) قراءة ابن كثير (ليأتينني) بنونين الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة، السبعة ص ٤٧٩ النشر ٢/٣٣٧

(٩) ساقط من د، هـ

(١٠) ساقط من هـ

(١١) قراءة (من سبأ) بالتنوين والتخفيض قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وابو عمرو والميري فقد قرأ من (سبأ) بفتح الهمزة من غير تنوين انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٢/٣٣٧

(١٢) وهي بلاد الأزد قديماً معجم البلدان ٥/٣٤

(١٣) صنعاء: قصبة اليمن وأحسن بلادها وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً معجم البلدان ٣/٤٢٦

عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشر من البنين» (١) وقد تكلمت العرب فيه الأجواد وغير الأجواد وقال جرير:

الواردون وتيم في ذرى سبأ(٢)

وقال آخر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما(٣)

وقوله: ﴿بنبأ يقين﴾ قال ابن عباس: الخبر الصادق، فقال سليمان وما ذاك؟ فقال الهدهد: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني بلقيس ملكة سبأ، قال مجاهد: كان تحت يدها اثنا عشر ألف قيل والقيل بلغتهم: الملك تحت يدي كل قيل ألف مقاتل (٤) ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال عطاء: من زينة الدنيا من المال والجنود والعلم ﴿ولها عرش عظيم﴾ قال: يريد سريراً من ذهب طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً مضروب بالذهب مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر قوائمه من زبرجد أخضر(٥) أخبر الهدهد انها وقومها على غير دين الله وهو قوله تعالى ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ الآية إلى قوله ﴿ألا يسجدوا﴾ ومن قرأ بالتشديد(٦) كان المعنى فقدهم عن السبيل لئلا يسجدوا ثم حذفت قاله الزجاج، وقال الفراء: زين لهم الشيطان [أعمالهم](٧) لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: ألا يا قوم أو يا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السماوات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده فلم تكونوا مثلهم في الطغيان والكفر وعلى هذه القراءة هذا كلام معترض من غير القصة إما من الهدهد وإما من سليمان وقال أبو عبيدة هذا أمر من الله(٨) مستأنف يعني ألا يا أيها الناس: اسجدوا لله قرأه العامة لئلا تنقطع القصة بما ليس فيها وقوله ﴿يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ يقال: خبأت الشيء أخبأه خبأ والخبء ما خبأته لوقت قال الزجاج: جاء في التفسير ان الخبأ ها هنا من السماء والنبات من الأرض وعلى هذا في تكون بمعنى [من](٩) وكذا هو في قراءة عبد الله(١٠) ويجوز أن يكون يعني الخبأ الغيب فيكون المعنى يعلم الغيب في السماوات والأرض. وهذا قول قتادة ويعلم ﴿ما يخفون﴾ في قلوبهم ﴿وما

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة سبأ وقال حسن غريب، وقال الهيثمي فيه ابن لهيعة وفيه ضعف وقد رواه الطبراني وأحمد وبقية رجالهما ثقات مجمع الزوائد ٧/ ٩٤.

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٠ من غير أن ينسبه إلى قائل وعجزه قد عض أنيابهم جلد الجواميس وأما جرير فقد قاله في ديوانه ص ٢٥٢ بلفظ. تدعوك تيم وتيم في قرى سبأ. . قد عض أنيابهم جلد الجواميس.

(٣) نسبه صاحب كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١١٧/٣) إلى الأعشى وليس في ديوانه وفي لسان العرب أنشد ابن بري للجعدي. لسان العرب فصل العين حرف الميم وفي هامش مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٧/٢) اختلفوا في عزو هذا البيت بعضهم نسبوه إلى النابغة الجعدي وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت وهو في ديوانه رقم ٥١ وفي ملحق ديوان الأعشى ص٢٥٨

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/ ٩٧.

(٥) في هـ: الأخضر، وانظر إبن جرير في تفسيره ٩٣/١٩

(٦) (ألا تسجدوا) كلهم شدد اللام في ألا يسجدوا غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن ووقف على (الا) ثم ابتدأ (اسجدوا) السبعة ص ٤٨٠

(٧) ساقط من هـ ومن كتاب معاني الفراء أيضاً ٢/ ٢٩٠.

(٨) مجاز القرآن ٢/ ٩٣ بلفظ مختلف

(٩) ساقط من هـ

(١٠) قراءة عبد الله يقصد: عبد الله بن مسعود وقد نص عليها الفراء في: (يخرج الخبء من السموات والأرض) معاني القرآن ٢/ ٢٩١.

يعلنون﴾ بألسنتهم وقرأ الكسائي[١] بالتاء لأن أول الآية خطاب على قراءته بتخفيف الآيات اسجدوا كذلك آخر الآية ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ أي هو الذي يستحق العبادة لا غيره وهو رب العرش العظيم لا ملكة سبأ لأن عرشها وإن كان عظيماً لا يبلغ عرش الله في العظمة فلما فرغ الهدهد من كلامه

۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿قال﴾ سليمان للهدهد ﴿سننظر﴾ فيما حدثتنا من هذا القصة ﴿أصدقت﴾ فيما قلت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فذلك قوله تعالى فيما قلت ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ثم تول عنهم﴾ قال مقاتل: يغرب عنهم وهذا على التقديم والتأخير والتقدير فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب ومعنى ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ ماذا يردون من الجواب. فمضى الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم فقالت ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وأخبرت قومها وقالت ألقي إلي كتاب كريم قال عطاء والضحاك سمته كريماً لأن كان مختوماً وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير يدل على صحة هذا التفسير ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن حمدان أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم السليطي حدثنا محمد[٢] بن إسحق الثقفي حدثنا يحيى[٣] بن طلحة اليربوعي حدثنا محمد بن مروان السدي عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إكرام الكتاب ختمه[٤] وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم: حسن وهو اختيار الزجاج قال: حسن ما فيه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿إنه من سليمٰن﴾ أي أن الكتاب من عنده وإنما[٥] وإن المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تعلوا علي﴾ قال ابن عباس: لا تتكبروا علي، والمعنى لا ترفعوا علي وأتوني مسلمين منقادين طائعين قال قتادة: وكذلك كانت الانبياء تكتب جملاً لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله كان كتاب سليمان ثم أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها فاستشارتهم.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً

---

(١) قراءة (تخفون، وتعلنون) قرأ بها الكسائي وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٢/ ٣٣٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي أبو العباس ولد سنة ٢١٦ هـ وت سنة ٣١٣ البداية والنهاية ١١/ ١٥٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣١ شذرات الذهب ٢/ ٢٦٨.

(٣) يحي بن طلحة بن أبي كثير اليربوعي أبو زكريا الكوفي تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٣

(٤) رواه الهيثمي عن الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير هو متروك مجمع الزوائد كتاب الأدب باب في كتابة الكتب وختمها.

(٥) ساقط من ب، جـ، هـ

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

و ﴿**قالت يا أيها الملأ**﴾ تعني الأشراف وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر قائداً وهم أهل مشورتها ﴿**أفتوني في أمري**﴾ أشيروا علي وبينوا لي ما أعمل ﴿**ما كنت قاطعة أمراً**﴾ فاعلته وقاضيته ﴿**حتى تشهدون**﴾ تحضروني [أي][1] إلا بحضوركم ومشورتكم ﴿**قالوا**﴾ مجيبين ﴿**نحن أولو قوة**﴾ أي في الابدان في [معنى][2] قول ابن عباس وفي قول مقاتل ارادوا كثرة العدد ﴿**وأولو بأس شديد**﴾ يعني الشجاعة في الحرب ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم وهذا تعريض منهم بالقتال إن امرتهم بذلك ثم قالوا ﴿**والأمر إليك**﴾ أي في القتال وتركه ﴿**فانظري**﴾ من الرأي ﴿**ماذا تأمرين**﴾ ماذا تشيرين علينا قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها**﴾ قال الزجاج: أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة أفسدوها [أي][3] أهلكوها وخربوها ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة**﴾ أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت، فقال ﴿**وكذلك يفعلون**﴾ أي وكما قالت هي يفعلون ثم قالت ﴿**وإني مرسلة إليهم بهدية**﴾ قال السدي نختبر بذلك سليمان لتعرف أملك هو أم نبي فبعثت إليه بغلمان وجوار في قول أكثر المفسرين قال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مقاتل ومجاهد مائتي غلام ومائتي جارية وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت بلبنة من ذهب في حرير وديباج[4] ﴿**فناظرة بما يرجع المرسلون**﴾ بقبول أم رد[5].

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿**فلما جاء سليمان**﴾ أي جاء الرسول سليمان ﴿**قال أتمدونن بمال**﴾ أي أتزيدونني مالاً وهذا استفهام إنكار يعني انه لا يحتاج إلى مالهم لأن الله اعطاه ما هو خير من ذلك وهو قوله ﴿**فما آتاني الله**﴾ أي من الاسلام والنبوة والملك ﴿**خير مما آتاكم**﴾ من المال ﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾ يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا أفرح بها [ثم][6] قال سليمان للرسول ﴿**ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها**﴾ أي لا طاقة لهم بها ﴿**ولنخرجنهم منها**﴾ من سبأ وهي قريتهم ﴿**أذلة وهم صاغرون**﴾ فلما رجع إليها الرسول قالت قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فتجهزت للمسير[7] إليه وأخبر جبريل سليمان انها خرجت من اليمن مقبلة إليه.

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

---

(١) ساقط من هـ
(٢) ساقط من د، هـ
(٣) ساقط من هـ
(٤) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٩٧
(٥) في هـ: رده
(٦) ساقط من جـ
(٧) في هـ: المسير

﴿قال﴾ سليمان ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾[١] وإنما قال هذا سليمان بعد أن قربت منه وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان وأحب أن يأخذ عرشها قبل أن تسلم فلا يحل له أخذ مالها وذلك قوله ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ منقادين طائعين ﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي الغليظ الشديد ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ يعني من مجلسك الذي تقضي فيه وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار قال مقاتل: قال العفريت: أنا اضع قدمي عند منتهى بصري فليس شيء أسرع مني ﴿وإني عليه﴾ أي على حمله ﴿لقوي أمين﴾ على ما فيه من الذهب والجواهر[٢] فقال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا وكان صديقاً يعلم الاسم الاعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهذا قول اكثر المفسرين في الذي عنده علم من الكتاب[٣] ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سعيد بن جبير: قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه[٤] والمعنى حتى يعود إليك طرفك بعد مدة إلى السماء وقال مجاهد معنى ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد إليه طرفه خاسئاً وعلى هذا معنى الآية أن سليمان يمد بصره إلى اقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيراً يكون قد أتي بالعرش قال محمد بن إسحاق[٥] انخرق مكان العرش حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان[٦] ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس: قال جرى تحت الأرض حتى نبع بين يدي سليمان[٧] وقال الكلبي: خر آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان، وقال أهل المعاني لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون كرامة للولي ومعجزة للنبي، واختلفوا في ذلك الذي دعا به آصف فقال مقاتل ومجاهد: هذا يا ذا الجلال والإكرام وقال الكلبي: يا حي يا قيوم اخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفّار، نا ابن ابي الدنيا، أنا عبيد الله بن عمير الخيثمي[٨] عن المنهال بن عيسى عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله قال: قال سليمان بن داود لصاحب العرش قد رأيتك ترجع شفتيك فما قلت قال: قلت إلهي وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائت به وقوله ﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ في الآية محذوف تقديره فدعا الله فأتى به فلما رآه مستقراً عنده ثابتاً بين يديه ﴿قال هذا من فضل ربي﴾ أي هذا التمكين من حصول المراد من فضل الله وعطائه، قال قتادة: والله ما جعله فخراً ولا بطراً ولكنه جعله منة لله وفضلاً منه ﴿ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿أأشكر﴾ الله فيما أعطاني من نعمة ﴿أم أكفر ومن شكر﴾ ربه ﴿فإنما يشكر لنفسه﴾ لأجل لنفسه يفعل ذلك لأن ثواب شكره يعود إليه ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بالإفضال على من يكفر نعمة، قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها[٩] فذلك قوله:

---

(١) في هـ: بعرشها قبل وهي مكررة
(٢) تفسير ابن جرير ١٩/١٠٣
(٣) تفسير ابن جرير عن ابن إسحاق ١٩/١٠٣.
(٤) تفسير ابن جرير ١٩/١٣
(٥) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو عبد الله المطلبي انظر تهذيب التهذيب ٩/٣٨
(٦) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق عن وهب بن منبه بسند فيه مجهولين ١٩/١٠٣
(٧) تفسير ابن جرير ١٩/١٠٤
(٨) في هـ: الجشمي.
(٩) رواه ابن جرير عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ١٩/١٠٦

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ التنكير التغيير يقول غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: وهو أن يزاد فيه أو ينقص **﴿ننظر أتهتدي﴾** لمعرفته **﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾** [أي من القوم الذين لا يهتدون][1] ولا يعرفون **﴿فلما جاءت﴾** المرأة **﴿قيل﴾** **﴿أهكذا عرشك﴾** قال مجاهد جعلت تعرف وتنكر وعجبت من حضور عرشها عند سليمان فـ **﴿قالت كأنه هو﴾** وقال مقاتل: عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها: أهذا عرشك لقالت: نعم، وقال عكرمة: كانت حكمية قالت لئن قلت هو هو خشيت أن أكذب وإن قلت: لا خشيت أن أكذب فقالت: كأنه هو شبهته به قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقال **﴿وأوتينا العلم﴾** لصحة النبوة **﴿من قبلها﴾** من قبل الآية في العرش **﴿وكنا مسلمين﴾** طائعين منقادين لأمر سليمان **﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾** أي منعها من التوحيد الذي [كانت][2] تعبد من دون الله وهو الشمس، قال الفراء: معنى الكلام وصدها من أن تعبد الله ما كانت تعبد[3] **﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾** استئناف خبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت فيما بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس واراد سليمان أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها إذ قيل له: إن رجلها كحافر الحمار فأمر أن يهيأ لها بيت من قوارير فوق الماء ووضع سرير سليمان في صدر البيت و **﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾** قال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير[4] وجعل تحته ماء وسمك[5] ونحو هذا قال الزجاج في الصرح: إنه الصحن يقال هذه ساحة الدار وصرحة الدار **﴿فلما رأته حسبته لجة﴾** وهي معظم الماء **﴿وكشفت عن ساقيها﴾** لدخول الماء قال ابن عباس: لما كشفت عن ساقيها رأى سليمان قدماً لطيفاً وساقاً حسناً خدلجا[6] أزب فقال لناصحه من الشياطين كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة للجسد فعلمه عمل النورة[7] فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما رأى ساقها وقدمها ناداها سليمان فـ **﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾** أي من الزجاج وليس بماء، قال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فـ **﴿قالت: رب إني ظلمت نفسي﴾** بعبادة غيرك **﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾** اخلصت له التوحيد، قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتيبة فسأله هل تزوجها سليمان قال: عهدي بها أن قالت [وأسلمت][8] مع سليمان [لله رب العالمين][9] يعني انه لا يعلم ذلك وان آخر ما سمع من حديثها وأسلمت مع سليمان.

---

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٥

(٤) ساقط من هـ

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥

(٦) جاء في لسان العرب الخدلجة بتشديد اللام الممتلئة الذراعين والساقين اللسان فصل الخاء حرف الجيم والأزب: الساق دقيق المفاصل لسان العرب فصل الهمزة حرف الباء

(٧) رواه ابن جرير عن أبي صالح انظر تفسير ابن جرير ١٩/١٧

(٨) ساقط من جـ

(٩) ساقط من ج، د

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾[١] أي مؤمنون وكافرون كل فريق يقول الحق معي فقال صالح للفريق المكذب ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة أي لم قلتم إن كان ما تأتينا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾ هلا ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون في الدنيا ﴿قالوا اطّيرنا بك وبمن معك﴾ تشاءمنا بك وبمن على دينك وذلك انهم قحط المطر عنهم، وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك[٢] وشؤم أصحابك فقال لهم صالح: ﴿طائركم عند الله﴾ قال ابن عباس الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم، وهذا كقوله ﴿يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾[٣] وقوله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وكان في المدينة﴾ يعني التي بها صالح وهي الحجر[٤] ﴿تسعة رهط﴾ وهم غواة قوم صالح ﴿يفسدون في الأرض﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ ولا يطيعون الله ﴿قالوا﴾ فيما بينهم ﴿تقاسموا بالله﴾ احلفوا بالله ﴿لنبيتنه﴾ لنقتلن صالحاً ﴿وأهله﴾ بياتاً ومن قرأ بالنون[٥] كأنهم قالوا أقسموا [بالله][٦] لنفعلن كذا والأمر بالقسم في القراءتين دخل في الفعل معهم ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي لذي رحم صالح إن سألنا عنه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ ما قتلناه وما ندري من قتله وأهله والمهلك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الاهلاك ويجوز أن يكون الموضع وروى عاصم بفتح الميم واللام[٨] يريد الهلاك يقال: هلك [هلاكاً][٩] يهلك مهلكاً وروى

---

(١) في هـ: ولقد أرسلنا إلى قومه فإذا فريقان يختصمون وهو تحريف.

(٢) في هـ: بشئومنا

(٣) آية (١٣١) سورة الأعراف

(٤) الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام معجم البلدان ٢١/ ٢٢١

(٥) قراءة (لنبيتنه) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وخلف فقد قرأوا (لتبيتنه) بالتاء انظر السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٢/ ٣١١

(٦) ساقط من جـ، د، هـ

(٧) قراءة عاصم في السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٣ والنشر ٢/ ٣١١

(٨) ساقط من جميع النسخ عدا د، وفي هـ: هلك يهلك هلاكاً ومهلكاً.

حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام[1] وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانه قال الزجاج وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله ثم ينكروا عند أوليائه أنهم فعلوا ذلك أو رأوه وكان هذا مكر عزموا عليه قال الله عز وجل ﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً**﴾ جازينهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ بمكر الله بهم ﴿**فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم**﴾ وقرىء: أنا بالفتح قال الزجاج[2] والفراء من كسر استأنف فهو[3] يفسر به ما كان قبله مثل قوله: ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صَبَبْنَا**﴾[4] ومن فتح رده على اعراب ما قبله جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال: العاقبة أنا دمرناهم[5]، قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم، وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم[6] وقوله ﴿**وقومهم أجمعين**﴾ يعني بصيحة جبريل ﴿**فتلك بيوتهم خاوية**﴾ قال الزجاج: نصب خاوية على الحال والمعنى فانظر إلى بيوتهم خاوية ﴿**بما ظلموا**﴾ بظلمهم وشركهم بالله أهلكناهم حتى صارت منازلهم خاوية خالية ساقطة على عروشها ﴿**إن في ذلك**﴾ في هلاكهم ﴿**لآية لقوم يعلمون**﴾ لعبرة لمن علم توحيد الله وقدرته ﴿**وأنجينا الذين آمنوا**﴾ صدقوا صالحاً من العذاب ﴿**وكانوا يتقون**﴾ الشرك.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

﴿**ولوطاً**﴾ واذكر لوطاً ﴿**إذ قال لقومه**﴾ الذين ارسل إليهم ﴿**أتأتون الفاحشة**﴾ يعني اللواط في قول الجميع ﴿**وأنتم تبصرون**﴾ وأنتم تعلمون أنها فاحشة وهو من البصر الذي هو العلم وهذه الآيات التي في هذه القصة مفسرة في سورة الأعراف، وقوله ﴿**بل أنتم قوم تجهلون**﴾ قال ابن عباس تجهلون القيامة[7] وعاقبة العصيان وقوله ﴿**قدرناها من الغابرين**﴾ جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها انها من الباقين في العذاب وما بعد هذا مفسر في سورة الشعراء قوله:

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

---

(١) انظر: السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٢/٣١١

(٢) قراءة (أنا) بالفتح قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٢/٣٣٩

(٣) قراءة (إنّا) بالكسر قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٢/٣٣٩

(٤) سورة عبس: ٢٤، ٢٥

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٦ بتصرف

(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩: ١٠٧

(٧) في هـ: القيامة وهو تصحيف

﴿قل الحمد لله﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية **﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾** قال مقاتل هم الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد ابن عبد الله ﷺ،وقال في رواية عطاء هم الذين وحدوه وآمنوا به وقال في رواية الكلبي: هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته ومعنى السلام عليهم أنهم سلموا مما عذب به الكفار ثم قال مخاطباً المشركين **﴿الله خير أما يشركون﴾** يا أهل مكة أي الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها إلزام للحجة على المشركين قيل لهم بعدما ذكر هلاك الكفار الله خير أم الأصنام، والمعنى أن الله نجى من عبده من الهلاك والأصنام لم تُغْنِ عن عابديها عند نزول العذاب، وكان المشركون يتوهمون في الاصنام وفي عبادتها خيراً فقيل لهم احتجاجاً: الله خير أما تشركون.

قوله **﴿أمن خلق السموات والأرض﴾** تقدير الكلام أما تشركون خير من خلق السماوات والأرض **﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾** يعني المطر **﴿فأنبتنا به حدائق﴾** جمع حديقة وهي كل روضة وحائط وبستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لا يقال حديقة **﴿ذات بهجة﴾** ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من رآه **﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾** أي ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليها ثم قال مستفهماً منكراً عليهم **﴿ءإله مع الله﴾** أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه **﴿بل﴾** ليس معه إله **﴿هم قوم﴾** يعني كفار مكة **﴿يعدلون﴾** يشركون بالله غيره.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ مستقراً لا يميد بأهلها **﴿وجعل خلالها﴾** فيما بينها **﴿أنهاراً﴾** كقوله **﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾**[١] **﴿وجعل لها رواسي﴾** جبالاً ثوابت أثبت بها الأرض **﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾** مانعاً من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط أحدهما بالآخر **﴿ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾** توحيد ربهم وسلطانه وقدرته.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

﴿أم من يجيب المضطر﴾ المكروب المجهود **﴿إذا دعاه﴾** فيكشف ضره وهو قوله **﴿ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾** يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله والمعنى: يهلك قرناً فينشىء آخرين **﴿ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾** قال ابن عباس: قليلاً ما تتعظون ومن قرأ[٢] بالياء فالمعنى: قليلاً تذكر هؤلاء المشركين.

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أمن يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم **﴿في ظلمات البر والبحر﴾** [وهذا كقوله **﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾**][٣].

---

(١) الكهف: ٣٣

(٢) قراءة (يذكرون) بالياء قرأ بها أبو عمرو وهشام انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٢/ ٣٣٩.

(٣) آية (٩٧) سورة الأنعام والآية ساقط من من هـ

أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

﴿أمن يبدأ الخلق﴾ في الارحام من نطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ المطر ﴿ومن الارض﴾ النبات ﴿ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ [حجتكم][1] ﴿إن كنتم صادقين﴾ ان لي شريكاً صنع من هذه الاشياء.

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ يعني الملائكة ﴿والأرض﴾ يعني الناس ﴿الغيب﴾ ما غاب عن العباد ﴿إلا الله﴾ وحده ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ولا يعلمون متى يكون البعث والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى البعث لا غيره ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ ادارك معناه تدارك أي تتابع وتلاحق ومنه قوله ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾[2] وقرأ ابن كثير بل أدرك[3] أي بلغ ولحق كما تقول أدركه علمي أي بلغه ولحقه، قال ابن عباس: يريد ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة، وقال السدي: اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا، وقال مقاتل [يقول][4]: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله ﴿بل هم في شك منها﴾ بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة ﴿بل هم منها عمون﴾ جمع عم وهو الاعمى القلب، قال الكلبي: يقول هم جهلة بها وما بعد هذا مفسر في سورة المؤمنين إلى قوله:

لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ والآية ظاهرة ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على كفار مكة، والمعنى: على تكذيبهم إياك واعراضهم عنك ﴿ولا تك في ضيق﴾ وقرىء في ضيق بكسر الضاد[5] وهما لغتان، قال ابن السكيت: يقال في صدر فلان[6] ضيق أو ضيق وهو ما يضيق عنه الصدر وهذه الآية مفسرة في آخر سورة النحل.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

---

(١) ساقط من ب

(٢) الأعراف: ٣٨

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بل أدرك انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٥ والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩

(٤) ساقط من ب

(٥) قراءة (في ضيق) بكسر الضاد قرأ بها: ابن كثير ورواية عن نافع انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٢/٣٠٥

(٦) ساقط من د، والنص في: إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٢ ط ثالثة.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأنه يكون ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ يقال: ردفت الرجل وأردفته إذا ركبت خلفه قال ابن عباس ﴿ردف لكم﴾ قرب لكم، وقال السدي: أقرب لكم وقال قتادة: أزف لكم، والمعنى: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقول للذين يستعجلون العذاب قدرنا ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فكان بعض الذي نالهم ببدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت ثم ذكر فضله في تأخير العذاب فقال ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ذلك ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفي وتستر صدورهم ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من عداوتك والخلاف عليك أي إنه يعلم ذلك فيجازيهم به.

قوله ﴿وما من غائبة﴾ أي جملة غائبة ﴿في السماء والأرض﴾ قال المفسرون: ما من شيء غائب وأمر يغيب عن الخلق ﴿في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ إلا هو بين في اللوح المحفوظ، قال مقاتل يريد علم ما تستعجلون من العذاب هو مبين عند الله ولئن[1] غاب عن الخلق.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ قال الكلبي إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً وشيعاً يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من دين بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه إن أخذوا به وأسلموا ﴿وإنه﴾ وإن القرآن ﴿لهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب لمن آمن به ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ قال مقاتل والكلبي: بين أهل الكتاب يقضي بينهم يوم القيامة ﴿بحكمه وهو العزيز﴾ الغالب فلا يمكن رد قضائه ﴿العليم﴾ بما يحكم فهو يقضي بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ على الدين البين أي إن العاقبة لك بالنصر ثم ضرب للكفار مثلاً فقال ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ شبه كفار مكة بالأموات يقول كما لا يسمع[2] الميت النداء كذلك لا يسمع[3] الكافر النداء ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾[4] قال قتادة لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون إليه من التوحيد كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالصم الذين لا يسمعون ثم ضرب العمى مثلاً لهم أيضاً فقال: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، وقرأ حمزة تهدي العمي على[5]

(١) في هـ: وان

(٢ ـ ٣ ـ ٤) عدا هـ: تسمع، في هـ: يسمع

(٥) انظر النشر ٢/٣٣٩ والسبعة ص ٤٨٦ في قراءة حمزة (تهدي) بإسكان الهاء وفتح التاء

الفعل وحجته قوله ﴿أفأنت تهدي العمي﴾[1] والمعنى: أنك لا تهديهم ﴿عن ضلالتهم﴾ لشدة عنادهم ﴿إن تسمع﴾ ما تسمع سماع إفهام ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ قال مقاتل: إلا من صدق بالقرآن انه من الله ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله قوله:

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ قال ابن عباس: حق العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم والمعنى: حق ووجب أن ينزل بهم ما قال الله وحكم به من عذابه وسخطه عليهم أي على الكفار الذين تخرج الدابة عليهم وهو قوله ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقال مخلد بن[2] الحسين: لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن، قالوا وتخرج الدابة من صدر الصفا أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن التاجر، نا أبو الحسن علي بن عمر الختلي، نا أحمد بن الحسن[3] بن عبد الجبار، نا يحيى[4] بن معين، نا هشام بن يوسف عن رباح[5] بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه[6] عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بئس الشعب جياد مرتين أو ثلاثاً قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين»[7] أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز في كتابه، أنا أبو الفضل الحدادي، أنا أبو يزيد الخالدي[8]، أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عمر بن هارون، نا سوادة قال كنت مع ابن عباس في مكة وهو على الصفا إذ قرع الصفا بعصاه وهو محرم قد عصب رأسه بشراك وهو يقول: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وأخبرنا أبو عمرو، أنا أبو الفضل، أنا أبو يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الرزاق، نا معمر عن قتادة قال: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم وبهذا الاسناد عن إسحاق أخبرنا النضر بن شميل، نا حماد بن سلمة، نا علي بن زيد، نا أوس[9] بن خالد عن أبي هريرة قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم[10] وجه الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان يجتمعون يقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر[11] وقوله: ﴿تكلمهم﴾ قال مقاتل:

---

(١) يونس: ٤٣

(٢) مخلد بن الحسين الأزدي أبو محمد البصري ت سنة ١٩١ هـ تهذيب التهذيب ١٠/ ٧٢.

(٣) ساقط من هـ

(٤) يحيى بن معين بن عون الغطفاني ت سنة ٢٠٣ هـ عن سبع وسبعين سنة انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٩، العبر ١/ ٤١٥، طبقات الحفاظ ص ١٨٥

(٥) رباح بن عبيد الله العمري ميزان الاعتدال ٢/ ٣٧

(٦) ساقط من ب

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه رباح بن عبيد الله بن عمر وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الفتن باب خروج الدابة ٧/ ٦ ولقد قال صاحب ميزان الاعتدال عن رباح أنه منكر الحديث ونص على حديث (بئس الشعب جياد...) الميزان ٢/ ٣٧.

(٨) ساقط من جـ

(٩) أوس بن خالد أبو خالد الحجازي تهذيب التهذيب ١/ ٣٨٢

(١٠) في د: وتخطم

(١١) رواه ابن جرير في تفسيره. ٢٠/ ١٠ وأيضاً رواه ابن ماجه مرفوعاً في كتاب الفتن باب دابة الأرض ٢/ ١٣٥١ والترمذي في كتاب التفسير سورة النمل وقال حسن غريب ٥/ ٣٤٠ ط الحلبي وأبو داود في منحة المعبود باب خروج الدابة كتاب الفتن ٢/ ٢٢١ ولكن في سند هذا الحديث علي زيد بن جدعان وهو ضعيف الحديث

تكلمهم بالعربية فتقول ﴿**إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ تخبر الناس ان أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث والثواب والعقاب وقرىء أن الناس بفتح الهمزة وكسرها [١] فمن فتح [٢] اراد تكلمهم الدابة بأن الناس ومن كسر فلأن معنى تكلمهم تقول لهم إن الناس والكلام قول.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا**﴾ الفوج الجماعة من الناس كالزمرة وإنما يريد الـرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لاقامة الحجة عليهم وقوله ﴿**فهم يوزعون**﴾ مفسر في هذه السورة ﴿**حتى إذا جاؤوا**﴾ إلى موقف الحشر[٣] ﴿**قال**﴾ الله لهم ﴿**أكذبتم بآياتي**﴾ هذا استفهام معناه الانكار عليهم والوعيد لهم، قال ابن عباس كذبتم أنبيائي، وجحدتم فرائضي وحدودي ﴿**ولم تحيطوا بها علماً**﴾ قال ابن عباس: ولم تختبروا حتى تفقهوا وتسمعوا، وقال مقاتل ولم يحيطوا علماً انها باطل ومعنى هذا أكذبتم غير عالمين [بها][٤] يعني[٥] ولم تتفكروا فيها ﴿**ووقع القول**﴾ وجب العذاب ﴿**عليهم بما ظلموا**﴾ بما اشركوا ﴿**فهم لا ينطقون**﴾ بحجة عن أنفسهم ثم احتج عليهم بقوله﴿**ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً**﴾ يبصر فيه أي ليبغى فيه الرزق ﴿**إن في ذلك**﴾ فيما جعلنا ﴿**لآيات لقوم يؤمنون**﴾.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

﴿**ويـوم ينفخ في الصـور**﴾ قـال ابن عبـاس: يـريـد النفخـة الأولى ﴿**ففـزع من في السمـوات و[من في] الأرض**﴾[٦] أي ماتوا لشدة الخوف كقوله ﴿**فصعق من في السموات ومن في الأرض**﴾[٧] والمعنى يبلغ[٨] منهم الفزع إلى أن يموتوا وقوله ﴿**إلا من شاء الله**﴾ قال ابن عباس: يريد الشهادة وهم [أحياء][٩] عند ربهم يرزقون وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت[١٠] وقوله ﴿**وكل**﴾ أي من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا ﴿**آتوه**﴾

---

(١) قراءة (إن الناس) قرأ بها: ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٢) ساقط من هـ، وقراءة (أن الناس) بفتح الهمزة قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٣) في هـ، د: الحساب

(٤) ساقط من د، هـ

(٥) في هـ: بمعنى

(٦) ساقط من هـ

(٧) الزمر: ٦٨

(٨) في هـ: من

(٩) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي هريرة مرفوعاً بسند فيه مجهولين انظر تفسير ابن جرير ٢٠/١٣.

(١٠) رواه ابن جرير مرفوعاً بسند فيه ابن إسحاق انظر تفسير ابن جرير ٢٤/٢٠

يأتون الله يوم القيامة وقرأ حمزة[1] أتوه على الفعل ﴿داخرين﴾ صاغرين وقد تقدم ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ واقفة في مكانها لا تسير ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ حتى تعلق على الأرض فتستوي بها ﴿صنع الله﴾ أي صنع الله ذلك ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أبرم خلق واحكمه ومعنى الاتقان في اللغة الاحكام للأشياء ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ بما يفعل اعداؤه من المعصية والكفر وبما يفعل أولياؤه من الطاعة ومن قرأ بالتاء [2] فهو خطاب للكافة [3] وقوله ﴿ومن جاء بالحسنة﴾ بكلمة الاخلاص شهادة أن لا إله إلا الله والمعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه والمعنى له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والنجاة من العذاب، وخير منها هنا اسم من غير تفضيل ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قرىء بالتنوين والاضافة[4] قال أبو علي الفارسي إذا نون يجوز أن يعنى به فزع واحد ويجوز أن يعنى به الكثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله ﴿إن أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾[5] وكذلك إذا اضيفت يجوز أن يعنى به مفرد ويجوز أن يعنى به كثرة وعلى هذا القراءتان سواء لا فضل بينهما فإن أريد به الكثرة فهو شامل لكل فزع وإن أريد به واحد فتفسيره ما ذكرنا في قوله ﴿الفزع الأكبر﴾[6] وقال الكلبي: إذا اطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعني بالشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ يقال كببت الرجل إذا القيته لوجهه فانكب وأكب، وتقول لهم الخزنة ﴿هل تجزون إلا﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، نا محمد بن القاسم العتكي، نا أبو عبد الله محمد بن موسى المسلمي، نا حفص بن عبد الله، نا إبراهيم[7] بن طهمان عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان[8] بن عسال المرادي قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجتمعان بين يدي الرب عز وجل فيقول الله للإيمان انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك انطلق انت وأهلك إلى النار قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ من جاء بالحسنة فله خير منها يعني قوله لا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار»[9] قوله:

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

---

(١) قرأ حمزة وخلف وعاصم بفتح وقصر الهمزة انظر السبعة ص ٤٨٧ النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٩

(٢) قراءة (تفعلون) بالتاء قرأ بها: حمزة والكسائي ونافع وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٤٨٧

(٣) في هـ، د للكافرين.

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (من فزع يومئذ) بفتح الميم ولا يجوز مع التنوين إلا فتح الميم فإذا لم تنون جاء الفتح والكسر انظر السبعة (٤٨٧) والنشر ٢/ ٣٣٩

(٥) لقمان: ١٩

(٦) الأنبياء: ١٠٣

(٧) إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد الهروي ت سنة ١٦٨ تاريخ بغداد ٦/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٣، تهذيب التهذيب ١/ ١٢٩، طبقات الحفاظ

(٨) صفوان بن عسال المرادي الجملي. تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢ أسد الغابة ٣/ ٢٧

(٩) رواه ابن مردويه بلفظ الإخلاص الدر المنثور ٦/ ٣٨٢ رواه الحاكم في الكنى انظر الدر المنثور.

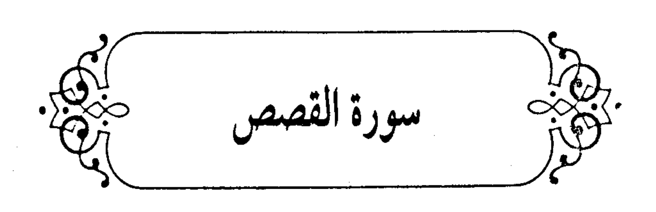
﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ وهي مكة جعلها الله حرماً آمناً من القتل فيها والسبي والظلم[١] فلا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها **﴿وله كل شيء﴾** لأنه خالقه ومالكه **﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾** المخلصين لله بالتوحيد **﴿وأن أتلو القرآن﴾** عليكم يا أهل مكة يريد تلاوة الدعوة إلى الإيمان **﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾** له ثواب اهتدائه **﴿ومن ضل﴾** عن الإيمان بالقرآن واخطأ طريق الهدى **﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾** من المخوفين فليس علي إلا البلاغ وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال **﴿وقل الحمد لله﴾** على نعمه[٢] **﴿سيريكم آياته﴾** قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا والقتل ببدر **﴿فتعرفونها﴾** حين تشاهدونها[٣] على نعمة النبوة ثم أراهم ذلك وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله إلى النار **﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾** وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

---

(١) في هـ الكلم وهو تصحيف.

(٢) ساقط من جـ

(٣) في هـ: تشاهدونها ثم أراهم... الخ.



سورة القصص

مكيّة وآياتها ثمان وثمانون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف، نا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسيلم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «ومن قرأ طسم القصص لم يبق ملك في السماوات والارض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»[١].

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**طسم تلك آيات الكتاب المبين**﴾ تقدم تفسيره قال قتادة: مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان[٢] بمعنى ظهر، وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وهذا من آيات بمعنى أظهر ﴿**نتلوا عليك**﴾ قال ابن عباس: نوحي إليك ﴿**من نبإ موسى وفرعون**﴾ من خبرهما وحديثهما [﴿**بالحق**﴾][٣] بالصدق الذي لا ريب فيه ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ يصدقون بالقرآن ﴿**إن فرعون علا في الأرض**﴾ قال المفسرون: استكبر وتجبر وبغى وتعاظم[٤] في أرض مصر، قال الليث: العلو العظمة والتجبر يقال علا الملك علواً إذا تجبر ومنه قوله ﴿**لا يريدون علواً في الأرض**﴾[٥] ﴿**وجعل أهلها شيعاً**﴾ فرقاً وأحزاباً في الخدمة والتسخير ﴿**يستضعف طائفة منهم**﴾ يعني بني إسرائيل ثم فسر ذلك فقال ﴿**يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم**﴾ بترك البنات فلا يقتلهن ويقتل الابناء وذلك لأن بعض الكهنة قال له[٦]: إن

---

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم، والحج.

(٢) في هـ: إيمان.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) فيما عدا جـ: تعظم.

(٥) آية (٨٣) القصص والنص في تهذيب اللغة للازهري ١٨٣/٣ بدون ذكر لليث.

(٦) في هـ: قالوا.

مولوداً يولد في بني إسرائيل [يكون][1] سبب ذهاب ملكك[2] قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون إن كان هذا الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القتل وإن كان كاذباً فما معنى القتل وقوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ [أي ننعم عليهم][3] وهم بنو إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ يقتدى بهم في الخير، وقال قتادة: ولاة وملوكاً، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لملك فرعون يخلفونه بعده في مساكنه ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ قال ابن عباس: نملكهم ما كان يملك فرعون ﴿وقومه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[4] أي ما كانوا يخافونه من المولود الذي يذهب ملكهم على يده وقرأ حمزة[5] ويرى بالياء فرعون وما بعده رفعاً والاختيار قراءة العامة ليكون الكلام من وجه واحد، قوله:

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ قال قتادة: قذفنا في قلبها وليس بوحي إرسال، وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك. أخبرنا أبو الحسن بن أبي نصر السوادي، أنا محمد بن عبد الله بن [محمد][6] بن نعيم، أنا الحسن بن محمد الإسفراييني، نا محمد بن البراء[7]، أنا عبد المنعم بن ادريس[8] عن أبيه[9] عن وهب بن منبه قال: لما حملت أم موسى بموسى عليه السلام كتمت أمرها [من][10] جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ففتش النساء تفتيشاً لم يفتشه قبل ذلك وحملت أم موسى بموسى فلم يَنْمُ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا يعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه ﴿فألقيه في اليم﴾ قال فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطىء النيل فبصر بالتابوت فقال لمن حوله من خدمه إيتوني بهذا التابوت فأتوه به فلما وضع بين يديه فتحوه فوجد فيه موسى عليه السلام فلما نظر إليه فرعون قال عبراني[11] من الاعداء فغاظه ذلك فقال كيف أخطأ هذا

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) رواه ابن جرير عن السدي. ٢/١٨.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٤) من جـ.

(٥) قراءة (ويرى) بالياء وفتحها وإمالة فتحة الراء بعدها قرأ بهـا حمزه والكسائي وخلف انظر النشر ٢/٣٤١.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) في هـ: القراء.

(٨) عبد المنعم بن ادريس قصاص مشهور. ت سنة ٢٢٨ هـ ميزان الاعتدال ٢/٦٦٨.

(٩) ادريس بن سنان اليماني أبو الياس الصنعاني تهذيب التهذيب ١/١٩٤.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) يقصد به اسرائيلي من نسل يعقوب حيث يطلق عليهم العبرانيين.

الغلام الذبح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أماً للمسلمين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه [١] هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه فاستحباه فرعون وومقه وألقى الله عليه محبته ورأفته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب قال ابن عباس: لو أن [عدو] [٢] الله قال في موسى كما قالت امرأته آسية ﴿عسى أن ينفعنا﴾ لنفعه الله به ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه وحرم الله موسى المراضع ثمانية أيام ولياليهن كلما أتى بمرضعة لم يقبل ثديها فرق له فرعون ورحمه وطلب له المراضع وذكر وهب حزن أم موسى وبكاءها عليه حتى كادت أن تبدي به ثم تداركها الله برحمته وربط على قلبها وقالت لأخته تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به فدخلت اخته مع القوابل على آسية بنت مزاحم فلما رأت وجدهم بموسى وحبهم له ورقتهم عليه قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه له وهم له ناصحون إلى أن رد إلى أمه فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته ثم ردته فنشأ موسى [٣] في حجر فرعون وامرأته يربيانه بأيديهما واتخذه ولداً فبينا هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير [٤] من ضربه حتى هم بقتله فقالت آسية [بنت مزاحم] [٥] لا تغضب ولا يشقن عليك فإنه صبي صغير لا يعقل جربه إن شئت اجعل في هذا الطشت جمراً وذهباً فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً فكف عنه فرعون وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى [إنه] [٦] أثر تلك التي التقمها» [٧].

وقوله ﴿ولا تخافي ولا تحزني﴾ قال مقاتل: قالت المرأة رب إني قد علمت أنك قادر على ما تشاء ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر وبطون الحيتان فأوحى الله إليها لا تخافي عليه الضيعة فإني أوكل به ملكاً يحفظه في اليم ولا تحزني لفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ لتمام رضاعه لتكوني أنت ترضعينه [٨] ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ إلى أهل مصر ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط إصابة الشيء من غير طلب والمراد بآل فرعون الذين أخذوا تابوت موسى من البحر ﴿ليكون لهم [عدواً] وحزناً﴾ [٩] وقرىء وحزناً [١٠] وهما لغتان مثل السقم والسقم وبابه ومعنى ليكون ليصير الامر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كما تقول للذي كسب مالاً فأداه ذلك إلى الهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال طلباً للحتف ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ مضى تفسيره إلى قوله [١١] ﴿أو نتّخذه ولداً﴾ قال المفسرون: كانت لا

---

(١) في هـ جنبها.
(٢) ساقط من أ، جـ.
(٣) في هـ: فنشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون عليه اللعنة.
(٤) أي تشاءم
(٥) ساقط من ب، د.
(٦) ساقط من جميع النسخ عدا د.
(٧) هذا من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب وتجوز روايتها طالما لم تخالف امراً من أمور العقيده الإسلامية.
(٨) في ب: مرضعته.
(٩) ساقط من جـ.
(١٠) قرأ حمزه والكسائي وخلف بضم الحاء واسكان الزاي وقرأ الباقون بفتحها السبعة ٤٩٢ والنشر ٢/٣٤١.
(١١) أي في سورة طه.

تلد فاتخذت موسى ولداً لها وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أخبر الله أن هلاكهم بسببه[١] وهم لا يشعرون بذلك.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً**﴾ أي خالياً من الصبر والحزن لشدة الوجد به والخوف عليه[٢]، والمفسرون يقولون: **فارغاً** من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها[٣] لم تهتم لشيء مما يهتم به الحي إلا لأمر ولدها ﴿**إن كادت لتبدي به**﴾ **كادت** تخبر أن هذا الذي وجدتموه في التابوت هو ابني وقال سعيد بن جبير: **كادت** تقول: وا إبناه من شدة الجزع، وقال مقاتل: **كادت** تصيح شفقة عليه من الفرق والمعنى: أنها همت أن تشعر أهل مصر بأن موسى ولدها ﴿**لولا أن ربطنا على قلبها**﴾ بالصبر واليقين، قال الزجاج: ومعنى الربط على القلب إلهام الصبر وتقويته ذكرنا ذلك عند قوله ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾[٤] ﴿**لتكون من المؤمنين**﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿**إنا رادوه إليك**﴾ ﴿**وقالت لأخته**﴾ لأخت موسى ﴿**قصيه**﴾ اتبعي أثره وانظري أين وقع وإلى من صار واعلمي[٥] علمه يقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره متعرفاً حاله قصاً وقصصاً ﴿**فبصرت به**﴾ أبصرته ﴿**عن جنب**﴾ عن بعد تبصره ولا تتوهم أنها تراه، قال الفراء كانت على شاطىء البحر حين رأت آل فرعون قد التقطوه وهم لا يعلمون أنها أخته وأنها ترقبه[٦]، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة تأخذه منها فكلما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله ﴿**وحرمنا عليه المراضع**﴾ وهي جمع مرضعة قال سعيد بن جبير: لا يؤتى بمرضع فيقبلها وقوله ﴿**من قبل**﴾ أي من قبل أن يرده إلى أمه ومن قبل أن تأتيه أمه وذلك أن الله تعالى أراد أن يرده إلى أمه فمنعه من قبول ثدي المراضع فلما تعذر عليهم رضاعته ﴿**فقالت**﴾ أخته ﴿**هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم**﴾ أي يضمنون لكم القيام به ورضاعه ﴿**وهم له ناصحون**﴾ يشفقون عليه وينصحونه قالوا لها: من؟ قالت: أمي! قالوا: ولأمك لبن؟ قالت نعم لبن هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا صدقت فدلتهم على أم موسى فدفع إليها تربيه فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وأتم الله لها ما وعدها وهو قوله ﴿**فرددناه إلى أمه كي تقر عينها**﴾ بولدها ﴿**ولا تحزن**﴾ لفراقه[٧] ﴿**ولتعلم أن وعد الله**﴾ برد ولدها إليها ﴿**حق**﴾ علم وعيان[٨] ومشاهدة ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ أن الله وعدها رده إليها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى

---

(١) في د، هـ في سببه.
(٢) في هـ، جـ، والحزن.
(٣) في جـ، فإنها.
(٤) الانفال: ١١.
(٥) في هـ: واعلي.
(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٣.
(٧) في ب، د، على فراقه وفي هـ. على فراقها.
(٨) فيما عدا هـ: وعيان.

فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿**ولما بلغ أشده**﴾ قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿**واستوى**﴾ استواؤه: أربعون سنة وهو قول ابن عباس وقتادة: ﴿**آتيناه حكماً وعلماً**﴾ يعني الفقه والعقل والعلم في دينه ودين آبائه فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف ﴿**وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة**﴾ قال السدي: ركب فرعون وموسى غير شاهد[١] فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب مركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف[٢] وهو قوله ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها**﴾ قال ابن عباس: في الظهيرة عند المقيل وقد خلت الطريق ﴿**فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه**﴾ أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**﴾ فاستنصر الاسرائيلي[٣] موسى على القبطي ﴿**فوكزه موسى**﴾ الوكز: الضرب بجميع الكف ﴿**فقضى عليه**﴾ أي قتله وكل شيء فرغت منه وأتممته فقد قضيت عليه وقضيته وكان موسى شديد البطش وكز القبطي وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله ﴿**قال هذا من عمل الشيطان**﴾ أي هيج غضبي حتى ضربت هذا ﴿**إنه عدو**﴾ لابن آدم ﴿**مضل**﴾ [له][٤] ﴿**مبين**﴾ عداوته وكان ذلك قتل خطأ لأنه لم يقصد القتل وندم على ما فعل لأنه لم يؤمر به ثم استغفر فـ ﴿**قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي**﴾ بالمغفرة ﴿**فلن أكون ظهيراً للمجرمين**﴾ قال ابن عباس: عوناً للكافرين وهذا يدل على أن الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل، وقال قتادة: لن أعين بعدها على فجرة.

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

﴿**فأصبح في المدينة**﴾ يعني: تلك المدينة التي فعل فيها ما فعل من قتل القبطي ﴿**خائفاً يترقب**﴾ ينتظر سوءاً يناله منهم والترقب: انتظار المكروه وقال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به ﴿**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه**﴾ فإذا صاحبه الاسرائيلي الذي استنقذه بالأمس يقاتل فرعونياً يريد أن يسخره وهو يستغيث بموسى عليه السلام والاستصراخ: الاستغاثة فـ ﴿**قال له [موسى] إنك لغويّ مبين**﴾[٥] قال ابن عباس ومقاتل لمضل بيّن قتلت أمس بسببك[٦] رجلاً وتدعوني اليوم على آخر وعلى هذا الغوي فعيل بمعنى المغوي كالوجيع والأليم، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي أي إنك غاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك ثم أقبل موسى

---

(١) في هـ: ركب موسى وفرعون غير شاهد.

(٢) منف: مدينة فرعون بمصر بينها وبين الفسطاط تسعة أميال وبينها وبين عين شمس أحد عشر ميلا معجم البلدان ٥/ ٢١٤.

(٣) في جـ، فاستظهر.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في أ، ب: في سبيلك وفي هـ: قتلت في بسببك.

إليهما وهم أن يبطش الثانية بالقبطي وهو قوله: ﴿**فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما**﴾ أي بالقبطي الذي هو عدو لموسى الاسرائيلي ظن الاسرائيلي أن موسى يريد أن **يبطش** به لقوله ﴿**إنك لغويّ مبين**﴾ فـ ﴿**قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**﴾ ولم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس حتى أفشى عليه الإسرائيلي وسمع القبطي ذلك فأتى فرعون فأخبره، وقوله ﴿**إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض**﴾ أي تريد **إلا** أن تكون قتالاً بالظلم، قال الزجاج: الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لأمر الله والقاتل بغير حق جبار لما علم فرعون أن موسى قتل القبطي أمر بقتل موسى عليه السلام وعلم بذلك رجل من شيعة موسى فأتاه فأخذه وهو قوله:

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

﴿**وجاء [رجل]**[١] **من أقصى المدينة**﴾[٢] أي من آخرها وأبعدها ﴿**يسعى**﴾ على رجليه، قال ابن عباس هو: خربيل مؤمن آل فرعون[٣] ﴿**قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك**﴾ قال أبو عبيدة: يتشاورون فيك ليقتلوك[٤]، يعني أشراف قوم فرعون، وقال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ﴿**فاخرج**﴾ من القرية ﴿**إني لك من الناصحين**﴾ في أمري إياك بالخروج ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب**﴾ مر تفسيره ﴿**قال رب نجني من القوم الظالمين**﴾ يعني المشركين أهل مصر.

﴿**ولما توجه تلقاء مدين**﴾ أي قصدها ونحوها، قال الزجاج: أي [سلك][٥] [سبيلاً][٦] في الطريق الذي يلقى مدين فيها وكان قد خرج بغير زاد ولا حذاء ولا ظهر[٧] وهو على مسيرة ثمانية أيام من مصر ولم يكن له بالطريق علم فـ ﴿**قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل**﴾ أي يرشدني قصد الطريق إلى مدين ﴿**ولما ورد ماء مدين**﴾ قال ابن عباس: ورده وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال ﴿**وجد [عليه]**﴾[٨] على ذلك الماء ﴿**أمةً**﴾ جماعة ﴿**من الناس**﴾ وهم الرعاة ﴿**يسقون**﴾ مواشيهم ﴿**ووجد من دونهم**﴾ **من** سوى الأمة ﴿**امرأتين**﴾ وهما ابنتي شعيب ﴿**تذودان**﴾ تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلوا لهما البئر هذا قول المفسرين ومعنى الذود في اللغة الدفع[٩]

---

(١) ساقط من جـ.

(٢) في أ: من اقصى المدينة يسعى. وهي مكررة.

(٣) وقيل شمعون بن إسحاق ولكن لم يرد بهذا حديث مرفوع يعتمد عليه انظر تفسير الألوسي ٢٠/٥٨.

(٤) مجاز القرآن لابي عبيدة ٢/١٠٠.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ، ولا ظهير. والظهير يقصد به ما يركب من ناقة أو جمل أو نحوها.

(٨) ساقط من جـ.

(٩) في أ، د، والرفع.

والطرد والكف ومعنى تذودان تدفعان [وتكفان] [١] ﴿قال﴾ موسى ﴿ما خطبكما﴾ ما شأنكما ألا تسقيان ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ أي حتى يصدر مواشيهم من ورّادهم فيخلوا لنا الموضع وقرىء يصدر من[٢] صدر وهو ضد ورد والمعنى حتى يرجعوا من سقيهم والرعاء جمع راع قال ابن عباس[٣]: قالتا نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر فلذلك[٤] احتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم فقال لهما موسى أين الماء فانطلقتا [به][٥] إلى الماء فإذا هو بحجر على رأس البئر لا يزيله إلا عصابة من الناس فرفعه موسى بيده وحده ثم أخذ الدلو فأدلى دلوا واحداً فأفرغه في الجومن ثم دعا بالبركة فسقى الغنم فرويت فذلك قوله ﴿فسقى لهما﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ ثم انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع ﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ قال ابن عباس: سأل نبي الله فلق خبز[٦] يقيم صلبه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمرة، ولقد أصابه الجوع، وقال مجاهد: ما سأله إلا الخبز واللام في قوله لما أنزلت إلي معناها إلى، قال الاخفش: يقال هو فقير له وإليه، قال محمد بن اسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألهما فأخذتا الخبز فقال لإحداهما علي به فرجعت الكبرى إلى موسى عليه السلام لتدعوه فذلك قوله:

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل، أنا عبد المؤمن[٧] بن خلف النسفي، نا محمد بن حميد[٨]، نا يحيى بن المغيره، نا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن أبي حازم قال: لما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه خبره

---

(١) ساقط من جـ.

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال السبعة لابن مجاهد (٤٩٢).

(٣) في ب، د، هـ: ابن إسحاق.

(٤) فيما عدا هـ أي فلذلك.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) بياض في هـ.

(٧) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل التميمي النسفي ولد سنة ٢٥٩، ت سنة ٣٤٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٤، العبر ٣/٢٦٥، طبقات الحفاظ ص ٣٥٤.

(٨) في أ: محمد بن عبد بن حميد وهو تحريف وهو محمد بن حميد بن حبان التميمي الرازي أبو عبد الله الحافظ. لسان الميزان ٦/٨٢٣.

فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام ينبغي أن يكون هذا رجلاً جائعاً ثم قال لإحداهما اذهبي فادعيه لي فلما أتته غطت وجهها ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فلما قالت أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا[١] يتبعها ولم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزاها وكانت ذات عجز فجعل موسى يعرض عنها مرة وبعض مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني السمت[٢] بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء يهيأ فقال له شعيب عليه السلام: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله فقال له شعيب [٣] ولم ذاك ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبا فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال: فجلس موسى يأكل أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز كتابة[٤]، أنا محمد بن الحسن الحدادي، أنا محمد بن يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا النضر بن سهيل، أنا إسرائيل، أنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [في قوله][٥] فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قال[٦]: ليست بسلفع من[٧] النساء خراجة ولاجة جاءته على استحياء قائلة بثوبها على وجهها أي مستترة بكم درعها وقوله ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعيباً عليهما السلام ﴿وقص عليه القصص﴾ يعني أمره أجمع من قتله القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه ﴿قال﴾ له شعيب ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي لا سلطان له بأرضنا ولسنا مملكته ﴿قالت إحداهما﴾ وهي الكبرى ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه أجيراً ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ إن خير من استعملته من قوي على العمل وأداء الأمانة قال عمر رضي الله عنه بالإسناد الذي ذكرنا لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا كذا، وأما أمانته [فإنه][٨] قال لي امشي خلفي فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك وقال مجاهد: القوي في نزعه الحجر عن فم البئر وكان لا يستطيعه إلا النفر الأمين في غض طرفه عنها حين سقى لهما فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه فـ ﴿قال أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ أي أزوجكها ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، قال الفراء: يقول أن تجعل ثوابي أن ترعى على غنمي ثماني حجج[٩] ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ أي ذلك تفضل[١٠] منك ليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ في العشر ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ قال عمر رضي الله عنه أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. أخبرنا أبو الفتح محمد بن عمر الكوفي أنا علي بن الحسن[١١] بن بندار، أنا أبو عبيد الله محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار،

---

(١) ساقط من جـ.

(٢) السمت: السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس وسمت الطريق قصده. اللسان فصل السين حرف التاء.

(٣) بياض في هـ.

(٤) فيما عدا جـ: في كتابه.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٦) في هـ: قالت.

(٧) السلفع: البذيئة الفحاشة قليلة الحياء الجريئة على الرجال اللسان فصل السين حرف العين.

(٨) ساقط من حـ.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٥.

(١٠) في ب: بتفضل.

(١١) علي بن الحسن بن بندار الاستراباذي ميزان الاعتدال ٣/١٢١.

في د: يحيى بن سعيد وهو بجير بن سعيد الحولي أبو خالد الحمصي تهذيب ١/٤٣١.

نا إسماعيل بن عباس، نا يحيى بن سعيد [١] عن خالد بن معدان عن شداد[٢] بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب النبي ﷺ من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء، أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت[٣] حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي بالذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي، يا شعيب: لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي ﴿قال﴾ موسى لشعيب ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أي ذلك الذي وضعت وشرطت علي ملكك وما شرطت لي من تزوج إحداهما فلي فالأمر بيننا، وتم الكلام ثم قال: ﴿أيما الأجلين﴾ من الثماني إلى العشر ﴿قضيت﴾ أتممت وفرغت منه ﴿فلا عدوان علي﴾ لا ظلم علي بأن أكلف أكثر منه أو أطالب بالزيادة عليه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد، أنا محمد بن [محمد][٤] ابن الفضل التاجر، أنا أحمد بن [عبد الله بن][٥] الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا موسى[٦] عبد العزيز القنباري، نا الحكم بن[٧] أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال «سئل رسول الله ﷺ أي الأجلين قضى موسى؟ قال أوفاهما وأطيبهما»[٨] أخبرنا أحمد بن[٩] إبراهيم الأصفهاني، أنا أبو الحسن النجار، نا سليمان بن أيوب الطبراني، نا محمد بن محمد بن أحمد بن[١٠] جعفر الرازي، نا الوليد بن[١١] شجاع، نا

---

(١) فيما عدا د بجير بن سعد وهو تصحيف وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة ت سنة ١٤٣ هـ تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢١ وإسماعيل بن عباس بن سلم العنسي أبو عتبة الحمصي ت سنة ١٨١ هـ ضعف تهذيب التهذيب ١/ ٣٢٥ وخالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي أبو عبد الله الشامي الحمصي ت سنة ١٠٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/ ١١٩.

(٢) شداد بن أوس بن ثابت الانصاري البخاري أبو يعلى المدني ت سنة ٥٨ هـ عن خمس وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٥.

(٣) في هـ عقدت، وحديث بكاء شعيب هذا لم أعثر له على أصل.

(٤ + ٥) ساقط من د وفي هـ: أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ.

(٦) موسى بن عبد العزيز اليماني العدني ت سنة ١٥٤ هـ عن أربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢٣.

(٧) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى ت سنة ١٥٤ هـ عن اربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢٣.

(٨) في هـ: ابأهما وقد روى البخاري هذا الخبر في كتاب الشهادات باب من أمر بانجاز الوعد وفعلة الحسن ٣/ ٢٣٦ ط الشعب موقوفاً على ابن عباس، وقد رفعه الحاكم إلى النبي ﷺ بلفظ أبعدهما المستدرك كتاب التفسير سورة القصص.

(٩) أحمد بن إبراهيم بن محمد الاصبهاني ت سنة ٤٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٥.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) الوليد بن شجاع أبو همام بن أبي بدر السكوني الكوفي توفي سنة ٢٤٣ هـ انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٩.

عوبد بن [١] أبي عمران الحوفي عن أبيه عن عبد الله بن الصامت [٢] عن أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ «إذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره» [٣] وقوله ﴿وسار بأهله﴾ قال مقاتل: استأذن صهره في العودة إلى مصر لزيارة والدته [وأخيه] [٤] فأذن له فسار وهذه الآية مفسرة في سورتي طه والنمل ﴿آنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوةٍ [٥] من النار لعلكم تصطلون﴾ جذوة فيها ثلاث قراءات فتح الجيم وضمها وكسرها وهي كلها لغات، قال أبو عبيدة الجذوة القطعة الغليظة من الخشب [٦] فيها لهب، قال ابن عباس: قطعة فيها نار وقوله ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى موسى النار ﴿نودي من شاطىء الوادي﴾ وهو جانبه ﴿الأيمن﴾ الذي عن يمين موسى ﴿في البقعة المباركة﴾ البقعة القطعة من الأرض المباركة لموسى عليه السلام لأن الله كلمه هناك وبعثه نبياً، وقال عطاء: يريد المقدسة وقوله ﴿من الشجرة﴾ أي من ناحية الشجرة أو عند الشجرة وهي العناب في قوله ابن عباس وقال مقاتل والكلبي هي عوسجة [٧] وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله ﴿إنك من الآمنين﴾ أي من أن ينالك مكروه ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ قال المفسرون: لما ألقى موسى عصاه فصارت جانا رهب وفزع فأمره الله أن يضم إليه جناحيه ليذهب عنه الفزع، قال مجاهد كل من فزع فضم إليه جناحيه ذهب عنه الفزع وقرأ هذه الآية وجناح الانسان عضده ويقال اليد كلها جناح وقرىء من الرهب [٨] وهو بمعنى الرهب كالرشد والرشد، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك والمعنى: أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقوله ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ يعني اليد والعصا حجتان من الله لموسى عليه السلام على صدقه وكان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد [٩] ويحكي أنه لغة قريش قال الزجاج: التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في ذانك ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ عاصين.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) عوبد بن أبي عمران الحوفي البصري ميزان الاعتدال ٣/٣٠٤.

(٢) عبد الله بن الصامت الغفاري البصري ت سنة ٧٥ هـ تهذيب التهذيب ٥/٢٦٤.

(٣) قال الهيثمي رواه البزار وفيه إسحاق بين ادريس وهو متروك ورواه الطبراني في الصغير والاوسط أطول واسناده احسن مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص ٧/٨٨.

(٤) ساقط من ب وموشع إلى مصير: بياض في هـ وأخيه ساقط من هـ.

(٥) قرأ عاصم بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف بضمها وقرأ الباقون بكسرها السبعة ص ٤٩٣ النشر ٢/٣٤١.

(٦) في هـ: ليس فيها لها وهو نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٠٢.

(٧) العوسج: شجر من الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق اللسان ماده عسج.

(٨) قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بفتح الراء ورواه حفص عن عاصم بفتح الراء واسكان الهاء وقرأ الباقون بضم الراء واسكان الهاء السبعة ص ٤٩٣ والنشر ٢/٣٤١.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فذانك) مشددة النون السبعة ٤٩٣.

﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني قتلت منهم نفساً﴾ يعني القبطي الذي قتله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أحسن بياناً وكان في لسان موسى عقدة ولذلك قال فرعون ﴿ولا يكاد يبين﴾[١] ﴿فأرسله معي ردءاً﴾ عوناً يقال فلان ردءٌ لفلان إذا كان ينصره ويشد ظهره يقال أردأت فلاناً إذا أعنته وقوله ﴿يصدقني﴾ قرىء بالرفع[٢] والجزم فمن رفع فهو صفة للنكرة وتقديره ردءاً مصدقاً ومن جزم كان على جواب الأمر أي إن أرسلته معي صدقني[٣] والتصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ قال الله لموسى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ أي سنعينك ونقويك وشدّ العضد كناية عن التقوية ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ حجة تدل على النبوة، قال الزجاج: والسلطان أبين الحجج ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بقتل وسوء ولا أذى وقوله ﴿بآياتنا﴾ موضعه التقديم لأن المعنى: ونجعل لكما سلطاناً[٤] بآياتنا أي مما نعطيكما من المعجزات ثم أخبر أن الغلبة لهما ولمن اتبعهما فقال: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحراً افتريته من قبل نفسك لم تبعث به ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿في آبائنا الأولين قال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي هو أعلم بالحق منا ومن الذي جاء بالبيان من عنده أي إن الذي جئت بالهدى من عند الله ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي وهو أعلم بمن تكون له الجنة ﴿إنه يفلح لا الظالمون﴾ لا يسعد من أشرك بالله ثم قال:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وقال فرعون﴾ منكراً لما أتى به موسى عليه السلام من توحيد الله وعبادته ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ يقول أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن آجراً[٥] والمعنى اعمل لي الآجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي قصراً عالياً مرتفعاً ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه وهذا إيهام من فرعون أن الذي يدعوه إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه إلهاً غيري وأنه رسوله ﴿واستكبر هو وجنوده﴾[٦]

---

(١) الزخرف: ٥٢.

(٢) قرأ عاصم وحمزة بضم القاف وقرأ الباقون بالجزم السبعة ٤٩٣.

(٣) في هـ: يصدقني.

(٤) فيما عدا هـ: سلطاننا.

(٥) أي يصير.

(٦) في أ وجنوده في الأرض وهي مكررة.

تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ بالباطل والظلم ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ لا يردون إلينا بالبعث [للحساب][١] والجزاء، ثم ذكر إهلاكه إياهم بالغرق فقال ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ فطرحناهم في البحر قال عطاء: يريد البحر المالح بحر القلزم[٢]، وقال قتادة هو بحر من وراء مصر غرقهم الله فيه ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حتى صاروا إلى الهلاك ﴿وجعلناهم﴾ أي في الدنيا ﴿أئمةً﴾ قال ابن عباس: أئمة ضلالة، وقال الكلبي ومقاتل: [قادة][٣] في الكفر والشرك يقودون الناس إلى الشرك بالله وهو قوله ﴿يدعون إلى النار﴾ لأن من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ مفسر في موضعين في سورة هود ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المبعدين الملعونين من القبح وهو الابعاد قال أبو زيد قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً أي أبعده من كل خير قال الكلبي: يعني سواد الوجه وزرقة العين وعلى هذا المقبوحين يكون بمعنى المقبحين.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يعني نوحاً وعاداً وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أي ليتبصروا بذلك الكتاب وليهتدوا به وهو قوله ﴿وهدى ورحمةً﴾ [أي من الضلالة][٤] لمن عمل به ورحمة لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كي يتذكروا ما فيه من المواعظ والبصائر أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبيد[٥] الله بن علي العمراني أنا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر الخوارزمي، نا محمد[٦] بن مرزوق، نا روح بن عبادة، نا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى قال: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمةً لعلهم يتذكرون﴾»[٧] قوله:

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) بحر القلزم: خليج السويس حالياً.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ وهدى من الضلالة لمن عمل به رحمة لمن آمن به.

(٥) في هـ عبد الله.

(٦) محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٣٢/٩.

(٧) روى الرازي نحوه وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص، روى الحاكم نحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرك كتاب التفسير سورة القصص.

نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿**وما كنت بجانب الغربي**﴾ الخطاب لرسول ﷺ أي حاضراً قال قتادة والسدي يعني جبلاً غربياً وهو اختيار الزجاج قال: وما كنت بجانب الجبل الغربي، وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد حيث ناجى موسى ربه وهو قوله: ﴿**إذ قضينا إلى موسى الأمر**﴾ عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك الأمر ﴿**ولكنا أنشأنا قروناً**﴾ خلقنا أمماً من بعد موسى ﴿**فتطاول عليهم العمر**﴾ طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا أمره، قال صاحب النظم: هذا الكلام يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه عهوداً في محمد ﷺ والإيمان به فلما طال [عليهم](١) العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وقوله ﴿**وما كنت ثاوياً**﴾ أي مقيماً ﴿**في أهل مدين**﴾ كمقام موسى وشعيب عليهما السلام فيهم ﴿**تتلوا عليهم آياتنا**﴾ تذكرهم بالوعد والوعيد قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿**ولكنا كنا مرسلين**﴾ أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج: المعنى أنك لم تشاهد قصص الأنبياء وتليت عليك ولكنا أوحيناها(٢) إليك وقصصناها عليك ﴿**وما كنت بجانب الطور**﴾ بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿**إذ نادينا**﴾ قال ابن عباس: إن الله تعالى نادى يا أمة محمد [قد](٣) أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني ﴿**ولكن رحمة من ربك**﴾ ولكن رحمناك رحمة بإرسالك والوحي إليك ﴿**لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾ يعني أهل مكة ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ لكي يتعظوا ﴿**ولولا أن تصيبهم مصيبة**﴾ قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا ﴿**بما قدمت أيديهم**﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿**فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً**﴾ هلا أرسلت إلينا رسولاً ﴿**فنتبع آياتك**﴾ يعني القرآن ﴿**ونكون من المؤمنين**﴾ المصدقين بتوحيد الله والمعنى: لولا أنهم يحتجون بترك(٤) الارسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وجواب لولا محذوف تقديره ما ذكرنا.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا**﴾ محمد والقرآن ﴿**قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى**﴾ هلا أوتي محمد من الآيات مثل ما أوتي موسى من العصا واليد فاحتج الله عليهم بقوله ﴿**أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل**﴾ أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﴿**قالوا ساحران تظاهرا**﴾

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) في جـ أوحينا.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) أ، د: بذلك.

تعاونا على السحر والضلالة يعنون موسى ومحمداً ومن قرأ سحران[١] فقال مقاتل: يعنون التوراة والقرآن وهو قول عكرمة والكلبي والمعنى: كل سحر منهما يقوي الآخر فنسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع **﴿وقالوا إنا بكل﴾** من التوراة والقرآن **﴿كافرون﴾** قال الله لنبيه **﴿قل﴾** لكفار مكة **﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾** من التوراة والقرآن **﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾** أنهما ساحرين **﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾** فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن **﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾** قال الزجاج فاعلم أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال: **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾** لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان من الله **﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾** لا يجعل جزاء المشركين الجاحدين أن يهديهم إلى دينه.

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ قال الفراء: أنزلنا القرآن يتبع بعضه[٢] بعضاً وقال قتادة وصل لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وقال مقاتل يقول لقد بينا لكفار مكة بما في القرآن [من][٣] خبر الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم **﴿لعلهم يتذكرون﴾** لكي يتعظوا ويخافوا فيؤمنوا.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن **﴿هم به يؤمنون﴾** بمحمد ﷺ قال السدي: يعني مسلمي اليهود عبد الله بن سلام ومن أسلم منهم وقال مقاتل: يعني مسلمي أهل الإنجيل وهم الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ثم وصفهم الله فقال **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾** يعني القرآن **﴿قالوا آمنا به﴾** صدقنا[٤] بالقرآن **﴿إنه الحق من ربنا﴾** [وذلك أنّ ذكر النبي كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فلم يعاندوا.

هؤلاء قالوا للقرآن **﴿إنه الحق من ربنا﴾**][٥] **إنا كنا من قبله﴾** من قبل القرآن **﴿مسلمين﴾** مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد أنه نبي حق، ثم أثنى عليهم خيراً فقال: **﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾** مرة بتمسكهم بدينهم حتى إذا أدركوا محمداً ﷺ آمنوا به ومرة بإيمانهم به، وقال قتادة: بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني **﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾** قال ابن عباس رضي الله عنه: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال مقاتل: يدفعون ما يسمعون من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو **﴿ومما رزقناهم﴾** من الاموال **﴿ينفقون﴾** في طاعة الله **﴿وإذا سمعوا اللغو﴾** الباطل والشتم من المشركين وذلك أنهم شتموهم حين آمنوا [بمحمد عليه السلام][٦]

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي سحران بكسر السين واسكان الحاء من غير ألف قبلها وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء السبعة لابن مجاهد (٤٩٥) والنشر في القراءات العشر ٢/٣٤١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٧.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ صدقوا.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ، ب، ولفظ (ذكر النبي) بياض في هـ.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا، د، هـ.

﴿أعرضوا عنه﴾ فلم يردوا ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ قال مقاتل: لنا ديننا ولكم دينكم، وذلك أنهم عيروهم بترك دينهم، وقال السدي: لما أسلم عبد الله بن سلام جعل اليهود يشتمونه وهو يقول ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ قال الزجاج: لم يرد والتحية والمعنى: أنهم قالوا: بيننا وبينكم المتاركة والسلام[1] وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال، وكأنهم قالوا: أسلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ومعنى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ قال مقاتل: لا نريد أن تكون من أهل الخيل والسفه، وقال الكلبي: لا نحب الذي أنتم عليه ويكون التقدير لا نبتغي دين الجاهلين قوله:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أخبرنا أبو عبد الله الهروي[2] أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان الحكم بن نافع نا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أنا سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن [أبي][3] أمية بن المغيرة فقال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاودانه تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فأنزل الله تعالى في أبي طالب وقال لرسول الله ﷺ:

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي﴾ من يشاء رواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة[4] عن ابن وهب عن يونس الزهري حدثنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، نا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا يحيى ابن سعيد عن يزيد بن كيسان، نا أبو حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني نساء قريش تقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل عز وجل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء رواه مسلم[5] عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وهذا قول جماعة المفسرين أجمعوا أن الآية نزلت في أبي طالب، قال الزجاج: ابتداء نزولها بسبب أبي طالب وهي عامة لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ولا يرشد ولا يوفق إلا هو وقوله ﴿من أحببت﴾ يكون على معنيين أحدهما للقربة والآخر أحببت أن يهتدي ﴿ولكن الله يهدي﴾ [يرشد][6] ﴿من يشاء﴾ لدينه ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ قال مجاهد ومقاتل: ممن قدر له الهدى.

---

(١) في هـ: والتسلم.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه بن نعيم ولد سنة ٣٢١ هـ توفي سنة ٤٠٥ هـ تذكره الحفاظ ١٠٣٧/٣، شذرات الذهب ١٧٥/٣، طبقات الحفاظ ص ٤٠٩.

(٣) ساقط من.

(٤) رواه البخاري في باب قصة إيمان أبي طالب ٦٥/٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ٥٥/١

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا أ.

وقوله﴿[وقالوا] إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾[١] قال المفسرون: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب على أنفسنا أن يخرجونا من أرضنا مكة إن تركنا ما يعبدون ومعنى التخطف الانتزاع بسرعة قال الله تعالى ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ ذا أمن يأمن فيه الناس وذلك أن العرب كانت تغير بعضهم على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغزو أي فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن [كما قال][٢] ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾[٣] قال الفراء: يقول أو لم نسكنهم حرماً يخاف من دخله فكيف يخافون العرب[٤]، ومعنى أو لم نمكن لهم[٥] حرماً أو لم نجعله مكاناً لهم وقوله ﴿يُجبى إليه﴾ يجمع من قولك جبيت الماء في الحوض أي جمعت وقرىء تجبى بالتاء[٦] لحيلولة الحرف بين الاسم المؤنث والفعل كقولهم حضر القاضي اليوم امرأة قال مقاتل: يحمل إلى الحرم ﴿ثمرات كل شيء﴾ من مصر والشام واليمن والعراق ﴿رزقاً من لدنا﴾ رزقناهم رزقاً من عندنا ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعني أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾أنا فعلنا ذلك ثم خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال الزجاج: البطر الطغيان عند النعمة والمعنى بطرت في معيشتها، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وقوله ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطرق يوماً أو ساعة، والمعنى لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ يعني لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم فبقيت خراباً غير مسكونة كقوله ﴿إنا نحن نرث الارض ومن عليها﴾[٧] وقد مر، قوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ يعني القرى الكافر[٨] أهلها ﴿حتى يبعث في أمها﴾ في أعظمها ﴿رسولاً﴾ ينذرهم وخص الأعظم ببعثه الرسول فيها لأن الرسول إنما يبعث إلى الأشراف وأشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها وقوله ﴿يتلوا عليهم آياتنا﴾ قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ قال عطاء: يريد بظلمهم أهلكتهم وظلمهم شركهم.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

﴿وما أوتيتم من شيءٍ﴾ الخطاب لكفار مكة يقول: ما أعطيتم من خير ومال ﴿فمتاع الحياة الدنيا

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) ساقط من.

(٣) العنكبوت: ٦٧.

(٤) في هـ: من العرب معاني الفراء ٢/٣٠٨.

(٥) في هـ: مكين.

(٦) قرأ عاصم وحده تجبى بالتاء السبعة (ص ٤٩٥).

(٧) مريم: ٤٠.

(٨) في هـ الكافرة.

وزينتها﴾ تتمتعون به أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء **﴿وما عند الله﴾** من الثواب **﴿خير وأبقى﴾** أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم في الدنيا **﴿أفلا تعقلون﴾** أن الباقي أفضل من الفاني الذاهب **﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾** يعني الجنة يقول أفمن وعدنا على إيمانه وطاعته الجنة والثواب الجزيل **﴿فهو لاقيه﴾** مدركه ومصيبه **﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾** كمن هو متمتع بشيء يفنى ويزول عن قريب **﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾** النار فقال قتادة: يعني المؤمن والكافر فالمؤمن سمع كتاب الله فصدقه وآمن بموعود الله فيه وليس كالكافر الذي يتمتع بالدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين في عذاب الله أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا محمد بن سليمان، نا عبد الله بن حازم، نا بدل بن المحبر[١]، نا شعبة عن أبان عن مجاهد في قوله **﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾** الآية. قال: نزلت في علي وحمزة وأبي جهل. وقوله:

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ويوم يناديهم﴾ ينادي الله المشركين يوم القيامة **﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾** [في الدنيا][٢] أنهم شركائي **﴿قال الذين حق عليهم القول﴾** حقت عليهم كلمة العذاب يعني رؤساء الضلالة **﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾** يعنون الاتباع **﴿أغويناهم كما غوينا﴾**[٣] أضللناهم كما ضللنا **﴿تبرأنا إليك﴾** منهم قال الزجاج: برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال عز وجل **﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾**[٤] **﴿وقيل﴾** لكفار بني آدم **﴿ادعوا شركاءكم﴾** استغيثوا بآلهتكم التي كنتم تعبدونها ليخلصوكم من العذاب **﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾** لم يجيبوهم إلى نصرهم **﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾** جواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون [أي في الدنيا ما رأوا العذاب][٥] **﴿ويوم يناديهم﴾** يعني يسأل الله [الكفار][٦] **﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾** ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين **﴿فعميت﴾** خفيت واشتبهت **﴿عليهم الأنباء﴾** قال مجاهد ومقاتل: الحجج وسميت حججهم أنباء لأنها أخبار يخبرونها وهم لا يجتنبون ولا ينطقون بحجة لأن الله أدحض حجتهم وكلل ألسنتهم، قال الفراء جاء في التفسير عميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فذلك قوله **﴿فهم لا يتساءلون﴾**[٧] لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج **﴿فأما من تاب﴾** عن الشرك **﴿وآمن﴾** وصدق بتوحيد الله **﴿وعمل صالحاً﴾** أدى الفرائض **﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾** من الناجحين الفائزين وعسى من الله واجب قوله:

---

(١) بدل بن المحبر بن المنية التميمي اليربوعي أبو المنير البصري انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٨٣، تهذيب التهذيب ١/٤٢٣ طبقات الحفاظ ص ١٦٤.

(٢) ساقط من جـ.

(٣) في هـ أغويناهم كما قال الله عز وجل.

(٤) الزخرف/ ٦٧.

(٥) ساقط من هـ. ومن قوله جواب لو. . إلى يهتدون ساقط من د.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٩.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ قال المفسرون نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا **﴿لو نزلا هذا القرآن على رجل﴾**[١]. . . الآية ومعناه ويختار من يشاء لنبوته ورسالته أي فكما أن الخلق إليه ما يشاء فكذلك الاختيار إليه في جميع الاشياء فيختار مما خلق ما يشاء ومن يشاء ثم نفى الاختيار عن المشركين وذلك أنهم اختاروا الوليد بن المغيرة من مكة أو عروة بن مسعود [٢] من الطائف فقال **﴿ما كان لهم الخيرة﴾** أي الاختيار أي ليس لهم أن يختاروا على الله قال ابن قتيبة: أي لا يرسل على اختيارهم [٣] والخيرة اسم من الاختيار تقام مقام المصدر والخيرة: اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله [من خلقه أي مختاره ويجوز التخفيف فيها ثم نزه نفسه عن شركهم][٤] فقال: **﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾** ثم أخبر بنفوذ علمه فيما خفي وظهر فقال: **﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾** مما تستر قلوبهم من الكفر والعداوة لله ورسوله **﴿وما يعلنون﴾** بألسنتهم من الكفر والمعاصي ثم وحد نفسه فقال **﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾** يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة **﴿وله الحكم﴾** الفصل بين الخلائق قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ثم قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قل﴾ أي لأهل مكة **﴿أرأيتم﴾** معناه: أخبروني **﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾** دائماً **﴿إلى يوم القيامة﴾** لا نهار معه **﴿من إله غير الله يأتيكم بضياء﴾** بنور تطلبون فيه المعيشة ونهار تبصرون فيه **﴿أفلا تسمعون﴾** سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على توحيد الله وقوله **﴿تسكنون فيه﴾** أي تستريحون فيه من الحركة والنصب **﴿أفلا تبصرون﴾** ما أنتم عليه من الخطأ والضلال ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه فقال: **﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾** يعني في الليل **﴿ولتبتغوا من فضله﴾** لتلتمسوا في النهار من فضل الله **﴿ولعلكم تشكرون﴾** الله الذي أنعم[٥] عليكم بهما.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

---

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي الصحابي ت سنة ٩ هـ الإصابة ترجمة ٥٥٢٨.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبه ص ٣٣٤.

(٤) ساقط من أ، جـ.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا ب.

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وقد مر تفسيرها وإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريعاً لهم بعد تقريع **﴿ونزعنا من كل أمةٍ شهيداً﴾** وأخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم وهذا كقوله ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد﴾[١] الآية وقوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾[٢] وقوله **﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾** قال مجاهد: حجتكم بما كنتم تعبدون وقال مقاتل: حجتكم بأن معي شريكاً [**﴿فعلموا أن الحق﴾** التوحيد **﴿لله وضل عنهم﴾** زال وبطل في الآخرة **﴿ما كانوا يفترون﴾** في الدنيا من أن مع الله شريكاً][٣].

۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قوله **﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾** قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: كان من بني اسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته، وقال قتادة ومقاتل: كان ابن عمه لحاً لأنه كان قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث وقوله **﴿فبغى عليهم﴾**: أي بكثرة ماله جاوز الحد في التكبر والتجبر عليهم وقال شهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شبراً والمعنى أنه تكبر عليهم وطول الثياب من علامات التكبر ولذلك نهي عنه وقوله: **﴿وآتيناه من الكنوز﴾** قال عطاء: أصاب كنزاً من كنوز يوسف فكان كما ذكره الله تعالى **﴿ما إن مفاتحه﴾** أي خزائنه في قول الأكثرين كقوله ﴿وعنده مفاتـح الغيب﴾[٤] وهو اختيار الزجاج فإن الأشبه في التفسير أن مفاتحه خزائن ماله وقال آخرون هي جمع مفتاح وهو ما يفتح به الباب وهذا قول قتادة ومجاهد وروى الأعمى عن خيثمة[٥] قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الإصبع مفتاح كل خزانة على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً وهو قوله **﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾** يقال ناء بحمله إذا نهض به مثقلاً قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه الأربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال والمعنى: تثقلهم حمل المفاتيح يقال نأى الحمل إذا أثقلك فجعلت تنوء به **﴿إذ قال لـه قومـه﴾** المؤمنون من بني إسرائيل **﴿لا تفرح﴾** قال المفسرون لا تأشر ولا تمرح ولا تبطر **﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾** الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾** واطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن يقوم بشكر الله فيما أنعم عليه وينفقه في رضا الله **﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾** وهو أن يعمل في الدنيا لآخرته هذا قول أكثر المفسرين[٦] واختيار الزجاج، قال: معناه لا تنسى أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا

---

(١) النساء: ٤١

(٢) النحل: ٨٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) الانعام: ٥٩.

(٥) خيثمة بن سليمان بن حيـدة القرشي الطرابلسي أبو الحسن ولد سنة ٢٥٠ هـ ت سنة ٣٤٣ هـ شذرات الذهب ٢/٣٦٥.

(٦) في هـ ـ ب الاكثرين.

الذي يعمل به لآخرته وقال الحسن: أمر أن يقدم الفضل وأن يمسك ما يغنيه ﴿**وأحسن كما أحسن الله إليك**﴾ أطع الله واعبده لما أنعم عليك وأحسن العطية في الصدقة والخير ﴿**ولا تبغ الفساد في الأرض**﴾ لا تبغ بإحسان الله إليك أن تعمل في الأرض بالمعاصي.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿**قال إنما أوتيته على علم عندي**﴾ قال عطاء: فكفر لما رأى أن المال حصل له بعلمه ولم يعتبره من عطاء الله فكأنه أراد بعلمه في التصرف وأنواع المكاسب، وقال آخرون: معناه إنما أوتيته على خير علمه الله عندي فكنت أهلاً لما أعطيته لفضل علمي، وقال الكلبي: على علم عندي بصنعة الذهب قال الله ﴿**أو لم يعلم**﴾ قارون ﴿**أن الله قد أهلك**﴾ بالعذاب ﴿**من قبله من القرون**﴾ في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿**من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً**﴾ للأموال ﴿**ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون**﴾ قال قتادة: إنهم يدخلون النار بغير حساب وأما قوله ﴿**فوربك لنسألنهم**﴾[1] فإنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ كما قال الحسن لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم وإنما سئلوا سؤال تقريع وتوبيخ قوله:

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿**فخرج على قومه في زينته**﴾ قال السدي: خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان[2] على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب وقال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعهم ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب وقال ابن زيد: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وهذا معنى قول الحسن: في ثياب صفر أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آباذي أنا أبو بكر محمد بن إسماعيل الشاشي، نا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، نا جدي، نا عثمان[3] بن عبد الرحمن الطائفي، نا علي بن[4] عروة الدمشقي عن سعيد[5] بن أبي سعيد عن أبيه[6] عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أربع خصال من قوم قارون: جرنصال السيوف في

---

(١) الحجر: ٩٢.

(٢) الارجوان: الثوب المصبوغ فيه المعجم الوسيط باب الهمزة.

(٣) عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ابن مسلم الحراني أبو عبد الرحمن الطرائفي ت سنة ٢٠٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ٧/ ١٣٤ وقال ابن حجر في التقريب أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل. تقريب التهذيب ٢/ ١٢.

(٤) علي بن عروة الدمشقي (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٦٥ وقال ابن حجر في التقريب: متروك وقال ابن حبان يضع الحديث التقريب ٢/ ٤١.

(٥) سعيد بن أبي سعيد كيسان بن سعيد المقبري أبو سعد المدني تغير قبل موته باربع سنين تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨، التقريب ١/ ٢٩٧.

(٦) أبو سعيد كيسان بن سعيد المقبري المدني مولى أم شريك ت سنة ١٠٠ هـ وهو ثقة التقريب ٢/ ١٣٧.

الأرض ولباس الخفاف المقلوبة ولباس الأرجوان وكان أحدهم لا ينظر في وجه خادمه [إلا][1] تكبراً»[2] قال الزجاج: الأرجوان في اللغة صبغ أحمر وهو ما روي أنه كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر قال مقاتل: فلما نظر مؤمنو أهل ذلك الزمان في تلك الزينة والجمال تمنوا مثل ذلك وهو قوله ﴿**قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم**﴾[3] نصيب آخر من الدنيا ﴿**وقال الذين أوتوا العلم**﴾ قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل: بما وعده الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون ﴿**ويلكم ثواب الله**﴾ ما عند الله من الثواب والجزاء ﴿**خير لمن آمن**﴾ وصدق بتوحيد الله ﴿**وعمل صالحاً**﴾ وقام بالفرائض مما أعطي قارون في الدنيا ﴿**ولا يلقاها**﴾ قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة ودل عليها قوله ﴿**وعمل صالحاً**﴾ وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة ﴿**إلا الصابرون**﴾ على أمر الله يعني الجنة ودل عليه[4] قوله ثواب الله قوله:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾ قال السدي: دعا قارون امرأة من بني إسرائيل بغياً فقال لها إني أعطيك ألفين على أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولي يا معشر بني إسرائيل ما لي ولموسى قد آذاني قالت: نعم فأعطاها خريطتين عليها خاتمه فلما جاءت المرأة بيتها ندمت وقالت يا ويلها قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت على بني إسرائيل فقالت: إن قارون أعطاني هاتين الخريطتين على أن آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يريدني على نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خواتم قارون فغضب موسى عليه السلام فدعا الله عليه فأوحى الله تعالى إليه اني قد أمرت الأرض أن تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى: يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى ذلك قارون ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم قال خذيه فأخذته حتى غيبت حقويه [وهو][5] يناشده الرحم فقال: خذيه فأخذته حتى غيبته فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لو إياي دعا أو استغاثني[6] لأغثته أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، نا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا سعيد بن أبي مريم، أنا الليث أنا عقيل عن ابن شهاب عن عبد الله بن عوف القاري [من بني قارة][7] أنه بلغه أن الله - تعالى - أمر الأرض أن تطيع موسى في قارون فلما لقيه

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن فيه علي بن عروة الدمشقي وهو متروك.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ، د: عليها.

(٥) ساقط من ب.

(٦) في هـ استغانى وهو تصحيف. ولم اعثر في طاعة الأرض لموسى على أثر صحيح والسدي معروف بضعفه بين رجال الحديث.

(٧) بنو قارة: هم بنو الديش بن محلم بن غالب بن عائذة بن بليح بن الهون بن خزيمة بن مدركة. الجمهرة (١٧٩)، نهاية الأرب (ص ١٥٥).

ساقط من جميع النسخ عدا هـ ساقط من هـ.

موسى قال للأرض: أطيعي فأخذته إلى الركبتين ثم قال لها أطيعي فأخذته إلى الحقوين وهو في ذلك يستغيث بموسى، ثم قال: أطيعي فوارته في جوفها فأوحى الله إليه يا موسى ما أغلظ قلبك أما وعزتي وجلالي لو بيَ استغاث لأغثته، قال: رب غضباً لك فعلت، قال قتادة ومقاتل: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة قوله: ﴿**فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**﴾ يقول: لم يكن له خير يمنعونه من الله ﴿**وما كان من المنتصرين**﴾ من الممتنعين مما نزل من الخسف ﴿**وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس**﴾ صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني وهو قوله ﴿**يقولون ويكأنّ الله...**﴾ الآية. قال الكسائي: ويكأن في التأويل: ذلك أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وقال أبو عبيدة: سبيلها سبيل ألم تر[١]، وقال مجاهد وقتادة ألم تعلم وقال الخليل والفراء: وي مفصولة من كأن وذلك أن القوم تنبهوا[٢] فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكل من تندم فاظهار ندامته أن يقول وي وكأن في مذهب الظن والعلم[٣] قوله ﴿**لولا أن من الله علينا**﴾ أي بالعافية والرحمة والإيمان ﴿**لخسف بنا**﴾ أي الله ومن ضم الخاء[٤] فإنه يؤول في المعنى إلى الأول ﴿**ويكأنه**﴾ معناه ألم تر أنه وأما ترى أنه ﴿**لا يفلح الكافرون**﴾ لا يسعد من يكفر بالله ومعنى ويكأنّه تنبيه.

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

وقوله ﴿**تلك الدار الآخرة**﴾ يعني الجنة ﴿**نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾ قال عطاء علواً على خلقي في الأرض قال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانهم وقال الكلبي ومقاتل استكباراً عن الإيمان أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو عباس أحمد بن محمد الجمال، نا إسماعيل بن يزيد، نا قتيبة بن مهران عن أبي الصباح عبد الغفور عن أبي هاشم عن زاذان[٥] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً**﴾ ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس أخبرني الحاكم أبو عمرو المروزي كتابة أن أبا الفضل الحدادي أخبرهم عن محمد بن يزيد الخالدي، أنا اسحاق[٦] بن ابراهيم، أنا وكيع عن أشعث الشامي عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية.

﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾ يعني أن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض وقوله ﴿**ولا فساداً**﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله وقال مقاتل عملاً بالمعاصي، وقال عكرمة ومسلم البطين[٧]: هو أخذ المال بغير حق ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ أي الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء الفرائض واجتناب معاصيه قوله ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات**﴾ قال

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٢ بتصرف.

(٢) فيما عدا د تندموا.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣١٢، والكتاب لسيبويه ٢/ ١٥٤.

(٤) قراءة الضم في (لخسف) قرأ به جميع القراء عدا يعقوب وحفص فقد قرأوا بفتح الخاء النشر ٢/ ٣٤٢.

(٥) زاذان أبو عبد الله الكندي الكوفي الضرير ت سنة ٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٣/ ٠٣٢.

(٦) إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي (ثقة) الجرح والتعديل ١/ ٢١١.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا ب لفظ مسلم وهو مسلم بن عمران أبو عبد الله الكوفي تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٤، التقريب ٢/ ٢٤٦.

ابن عباس: يريد الذي أشركوا ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا جزاء ما كانوا يعملون من الشرك وجزاؤه النار.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ قال المفسرون: أنزل عليك القرآن قال الزجاج: فرض عليك العمل بما يوجبه القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائض القرآن **﴿لرادّك إلى معاد﴾** يعني مكة. قال المفسرون: لما نزل النبي ﷺ الجحفة[1] في مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبريل فقال: اتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال: نعم فقال جبريل: فإن الله يقول ﴿إن الـذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[2] يعني إلى مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست مكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده إليها وتم الكلام ثم ابتدأ كلاماً آخر فقال **﴿قل ربي أعلم بمن جاء بالهدى﴾** وهو جواب لكفار مكة لما قالوا لمحمد ﷺ إنك في ضلال فقال الله قل لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى يعني نفسه **﴿ومن هو في ضلال مبين﴾** يعني المشركين والمعنى الله أعلم بالفريقين، وقد علم أني قد جئت بالهدى وأنكم في ضلال ثم ذكره نعمه فقال **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾** أن يوحى إليك القـرآن بـأن تكون نبياً **﴿إلا رحمة من ربك﴾** قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة إلا أن ربك رحمك وأراد بك الخير[3] **﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾** معيناً لهم على دينهم قال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما كانوا عليه وأمره بالتحرز منهم بقوله **﴿ولا يصدنّك عن آيات الله﴾** يعني القرآن **﴿بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك﴾** إلى معرفته وتوحيده **﴿ولا تكونن من المشركين﴾** قال ابن عباس رضي الله عنه: الخطاب له في الظاهر والمراد به أهل دينه أي تظاهروا الكفار ولا توافقوهم وكذلك قوله **﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾** لا تعبد معه غيره ثم وحد نفسه فقال **﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾** قال عطاء عن ابن عباس[4] إلا ما أريد به وجهه وهو قول الكلبي قال: كل عمل لغيره فهو هالك إلا ما كان له وقال سفيان رحمه الله: إلا ما أريد به وجـه الله من الأعمال وهو اختيار الفراء وانشد:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل[5]

أي إليه أوجه العمل وعلى هذا وجه الله ما وجه إليه من الأعمال **﴿له الحكم﴾** أي الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره **﴿وإليه ترجعون﴾** تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

---

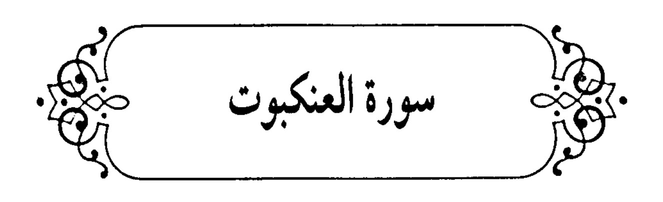
(١) الجحفة: قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل معجم البلدان ٢/١١٠.

(٢) ذكرها البخاري تفسيراً لابن عباس لرادك إلى معاد إلى مكة في كتاب التفسير سورة القصص ٦/١٤٢ ط الشعب ومعاني القرآن للفراء ٢/٣١٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٣ بتصرف.

(٤) في هـ. موسى.

(٥) هذا البيت من ابيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها انظر خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي واللسان مادة غفر ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٨٩ تحقيق محمد على النجار.



سورة العنكبوت

مكيّة وآياتها تسع وستون

أخبرنا أبو سعد الخفاف مجاور الجامع، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ[1]: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿**الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ قال الشعبي أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب نبي الله ﷺ أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم فنزلت فيهم[2] هذه الآية قال ابن عباس يريد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن[3] هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد[4] بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم[5]، قال الزجاج: [المعنى][6]: أحسبوا أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يبين به حقيقة إيمانهم وهو قوله ﴿**أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ قال السدي ومجاهد وقتادة: لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب [والضرب][7] ثم أخبر عن فتنة من قبل هذه الأمة من المؤمنين فقال: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم**﴾ قال ابن عباس: منهم إبراهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده

---

(١) لم نعثر له على أصل ويراجع أول مريم والحج.

(٢) تفسير الطبري عن الشعبي ٢/٨٣.

(٣) سلمة بن هشام بن المغيره المخزومي أبو هشام الصحابي ت سنة ١٤ هـ انظر الاصابة ترجمة (٣٣٩٦) تهذيب التهذيب ابن عساكر ٦/٢٣٤.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد: أسد الغابة ٥/٤٥٤.

(٥) ويؤيد هذا ما رواه البخاري في كتاب الاكراه من صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف انظر البخاري ٩/٢٥ طـ الشعب.

(٦) من هـ.

(٧) من أ، وفي هـ: النقصان موضع الضرب.

نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه (١) وقال غيره: يعني بني إسرائيل ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب وقوله ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ [في إيمانهم] (٢) فيشكوا عند البلاء، ثم أوعد كفار العرب فقال ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني الشرك، قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة (٣)، وأبا جهل والأسود والعاصي بن هشام وغيرهم ﴿أن يسبقونا﴾ يفوقونا ويعجزونا ﴿ساء ما يحكمون﴾ بئس ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك.

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾

قوله ﴿من كان يرجوا لقاء الله﴾ من كان يخشى البعث ويخاف الحساب والرجاء بمعنى: الخوف كثير، قال سعيد بن جبير: من كان يطمع في ثواب الله واختار الزجاج فقال معناه من كان يرجو ثواب لقاء الله أي ثواب المصير إليه والرجاء على هذا القول معناه الأمل ﴿فإن أجل الله لآتٍ﴾ أي الأجل المضروب للبعث يأتي قال مقاتل: يعني يوم القيامة [لآت](٤) والمعنى: فليعمل لذلك اليوم كقوله ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾(٥) روى مكحول أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية يا علي ويا فاطمة إن الله قد أنزل من كان يرجو لقاء الله [فإن أجل الله لآت. وإن حقيقة رجاء لقاء الله](٦) أن يستعد الإنسان لأجل الله إذا كان آتياً باتباع طاعته واجتناب معصيته(٧) وهو يعلم أن الله يسمع(٨) ما يقول ويعلم ما يعمل ولذلك قال ﴿وهو السميع العليم﴾.

قوله ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ قال مقاتل: يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ عن أعمالهم وعبادتهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم﴾ لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ولا يجزيهم بمساوىء أعمالهم، قوله:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٩﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي براً وعطفاً عليهما، قال الزجاج معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما

---

(١) يؤيد هذا القول ما جاء في البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوصد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا ألا تستغفر لنا ألا تدعو لنا فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيعمل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. كتاب الاكراه ٩/ ٢٥ من صحيح البخاري.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نسب قريش ص ٣٠٢.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) الكهف: ١١٠.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ: معاصيه.

(٨) في هـ: ليسمع.

يحسن ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي ﴿فلا تطعهما﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أنا أبو يعلى، نا أحمد(١) بن أيوب بن راشد الضبي، نا مسلمة(٢) بن علقمة، نا داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن مالك قال نزلت في هذه الآية وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم قال: كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه قلت لا تفعلي يا أمه إني لا أدع ديني هذا لشيء قال: فمكثت يوماً لا تأكل وليلة فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك [مني](٣) أكلت فأنزل الله هذه الآية ﴿وإن جاهداك﴾(٤) ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي أخبركم بمآل أعمالكم وسيئها لأجازيكم عليها ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الأنبياء والأولياء.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ قال مجاهد: نزلت في أناس يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا فجعلوا(٥) ذلك كعذاب الله في الآخرة وهو قوله ﴿فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس﴾ ما يصيبهم من عذابهم ﴿كعذاب الله﴾ أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف من عذابه وهذا قول السدي وابن زيد قالا: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين فكفر، قال الزجاج: وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ (٦) ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ يعني دولة للمؤمنين ونصر لأولياء الله ﴿ليقولن﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إنا كنا معكم﴾ على عدوكم فكذبهم الله قال ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ من الإيمان والنفاق وغير ذلك أي لا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا إنا كنا معكم على عدوكم ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ قال مقاتل والكلبي: وليرين الله الذين صدقوا عند البلاء فثبتوا على الاسلام ﴿وليعلمن المنافقين﴾ بالشك عند البلاء وترك الإيمان. قوله:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم

---

(١) أحمد بن أيوب بن راشد الضبي (ثقة) تهذيب التهذيب ١/١٧ الجرح والتعديل ١/٤٠.

(٢) مسلمه بن علقمة المازني أبو محمد البصري انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(٣) ساقط من جـ، ب، هـ.

(٤) رواه مسلم مختصراً في كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل سعد بن أبي وقاص ٤/١٨٧٥ طـ الحلبي. وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي الدر المنثور ٥/١٦٥.

(٥) في هـ: فجعل.

(٦) النساء: ٩٧ وانظر تفسير ابن جرير ١٠/٨٦.

مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا**﴾[1] اتبعوا سبيلنا، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم قالوا لهم لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فإن كان عليكم شيء فهو علينا ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل: إن أبا سفيان قال لمن آمن من قريش: اتبعوا ديننا ملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿**ولنحمل خطاياكم**﴾[2] وهو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك قال الله تعالى ﴿**وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون**﴾ فيما ضمنوا من حمل خطاياهم ﴿**وليحملن أثقالهم**﴾ يعني: أوزارهم التي عملوها ﴿**وأثقالاً مع أثقالهم**﴾ أوزاراً مع أوزارهم لقولهم[3] للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وهذا كقوله ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾[4] ونحو هذا ما روي أن النبي ﷺ قال «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»[5] ﴿**وليسألن يوم القيامة**﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿**عما كانوا يفترون**﴾ قال ابن عباس: يقولون على الله الكذب، وقال مقاتل: يعني قولهم نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله ثم عزى نبيه بما ابتلي به النبيون من قبله من قومهم. فقال:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم**﴾ أقام فيهم يدعوهم إلى الله ﴿**ألف سنة إلا خمسين عاماً**﴾ أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا هدبة، أنا حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن يوسف[6] بن مهران عن ابن عباس: قال: بعث نوح بعد أربعين سنة عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا[7] وقوله ﴿**فأخذهم الطوفان**﴾ قال مقاتل: يعني الماء طفا فوق كل شيء فغرقوا ﴿**وهم ظالمون**﴾ قال ابن عباس: مشركون ﴿**فأنجيناه**﴾[8] يعني نوحاً من الغرق ﴿**وأصحاب السفينة**﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿**وجعلناها آية للعالمين**﴾ تركنا السفينة عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسولهم فعلنا بهم مثل ذلك.

---

(١) ساقط من هـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري هذا الخبر قولاً لمجاهد من غير تعيين قائل ٢٠/٨٦.

(٣) فيما عدا ب، هـ بقولهم.

(٤) النحل: ٢٥.

(٥) رواه أبو داوود في كتاب السنة باب لزوم السنة حديث ٤٦٠٩/٢٠١ وابن ماجه في المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة حديث ٧٥/١٢٠٦، وابن حنبل ٢/٣٩٧.

(٦) يوسف بن مهران: ثقة ميزان الاعتدال ٤/٤٧٤.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم وابن مردويه وابن أبي حاتم ـ انظر الدر المنثور ٥/١٤٣.

(٨) في هـ: فأنجيناهم وهو تصحيف.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وإبراهيم﴾ عطفاً على نوح، المعنى: وأرسلنا إبراهيم ﴿إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ أطيعوا الله وخافوه ﴿ذلكم﴾ يعني عبادة الله ﴿خير لكم﴾ من عبادة الأوثان ﴿إن كنتم تعلمون﴾[١] ولكنكم لا تعلمون ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ قال ابن عباس: يريد الاصنام التي تتخذ من الحجارة والخشب ﴿وتخلقون إفكاً﴾ قال السدي: تقولون كذباً يعني زعمهم أنها آلهة ثم ذكر عجز الآلهة عن رزق عابديها فقال ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم زرقاً﴾[٢] لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ فاطلبوا الرزق مني فأنا القادر على ذلك وما بعدها هذا ظاهر إلى قوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ومن قرأ بالتاء[٣] فهو خطاب لهم ﴿كيف يبدىء الله الخلق﴾ كيف يخلقهم الله ابتداءً من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى تمام الخلق ﴿ثم يعيده﴾ في الآخرة عند البعث ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ قال ابن عباس: يريد الخلق الأول والخلق الآخر ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أي ابحثوا وانظروا هل تجدون خالقاً غير الله فإذا علموا أنه لا خالق ابتداءً إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ أي ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها [ينشئها][٤] نشأة ثانية وقرأ أبو [عمرو[٥] بالمد][٦] قال الفراء: وهو مثل الرأفة [والرافة][٧] والكأبة والكآبة كل نواب[٨] ﴿إن الله على كل شيء﴾ من البدء والإعادة ﴿قدير﴾ قوله ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ قال

---

(١) في هـ: لا تعلمون.

(٢) في هـ: تدعون وهو تحريف.

(٣) قراءة (تروا) بتاء الخطاب، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف ورواية عن أبي بكر انظر السبعة ص ٤٩٨ والنشر ٢/٣٤٣.

(٤) بياض من هـ.

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير النشاءة بالمد انظر النشر ٢/٣٤٣، والسبعة ٤٩٨.

(٦ ـ ٧) بياض في هـ.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٥.

قطرب[١]: معناه ولا في السماء لو كنتم فيها كقولك ما يفوتني فلان هـا هنا ولا بالبصرة لو صار إليها وهذا معنى قول مقاتل[٢] وما أنتم يا كفار مكة بسابقي الله فتفوتونه في الأرض كنتم أو في السماء كنتم أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة ﴿**وما لكم من دون الله من ولي**﴾ يمنعكم مني ﴿**ولا نصير**﴾ ينصركم من عذابي ﴿**والذين كفروا بآيات الله ولقائه**﴾ بالقرآن والبعث بعد الموت ﴿**أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم**﴾ يعني من جنتي ثم عاد الكلام إلى قصة ابراهيم وهو قوله:

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿**فما كان جواب قومه**﴾ يعني حين دعاهم إلى الله ونهـاهم عن عبادة الأصنام ﴿**إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه**﴾ وفي هـذا تسفيه لهم حين أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق ﴿**فأنجاه الله من النار**﴾ قال مقاتل: فقذفوه في النار فأنجاه الله [من ذلك] [٣] ﴿**إن في ذلك**﴾ أي إن في إنجاء الله إبراهيم من النار حتى لم تحرقه ﴿**لآيات لقوم يؤمنون**﴾ بتوحيد الله وقدرته ﴿**وقال**﴾ ابراهيم لقومه ﴿**إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم**﴾ قال الزجاج [٤] ترفع مودة على اضمار هي كأنه قال تلك[٥] مودة بينكم أي ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودة بينكم ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ وقرأ عاصم مودة بالرفع والتنوين بينكم[٦] نصباً[٧] وهذه القراءة كالأولى إلا أنه لم يضف المودة ونصب بينكم على الظرف، وقرأ حمزة مودة نصباً من غير تنوين بينكم خفضاً[٨] جعل ما مع أن كافة ولم يجعلها بمعنى الذي ونصب مودةً على أنه مفعول له أي اتخذتم الأوثان للمودة ثم أضافها إلى بينكم كما أضاف من وقع وقرأ نافع وابن عامر مودة بالنصب والتنوين بينكم بالنصب وهذه القراءة كقراءة حمزة[٩] في المعنى إلا أنه لم يضف المودة قال المفسرون: يقول[١٠] انكم جعلتم الأوثان تتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها في الحياة الدنيا ﴿**ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض**﴾ يتبرأ القادة من الاتباع ﴿**ويلعن بعضكم بعضاً**﴾ يلعن الأتباع القادة لأنهم زينوا لهم الكفر ﴿**ومأواكم**﴾ ومصيركم جميعاً ﴿**النار وما لكم من ناصرين**﴾ مانعين منها.

۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

---

(١) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي ت سنة ٢٠٦ هـ بغية الوعاة ١٠٤ وفيات الأعيان ١/٤٩٤، تاريخ بغداد ٢٩٨/٣.
(٢) في هـ قوله القائل يقول.
(٣) ساقط من جميع النسخ عدا ب.
(٤) في أ: قال الزجاج: مودة بينكم ترفع مودة... ألخ.
(٥) فيما عداد، هـ ذلك.
(٦) في أ بينك.
(٧) في د بالنصب وانظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٣٤٣/٢.
(٨) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٣٤٣/٢.
(٩) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٣٤٣/٢.
(١٠) في هـ: يقولون.

﴿**فآمن له لوط**﴾ صدق بابراهيم لوط وهو ابن أخيه[١] ﴿**وقال**﴾ ابراهيم ﴿**إني مهاجر إلى ربي**﴾ هاجر من كوثا وهو سواد العراق[٢] إلى الشام وهجر قومه المشركين والمعنى: إلى حيث أمرني ﴿**ووهبنا له إسحاق**﴾ من بعد اسماعيل ﴿**ويعقوب**﴾ من اسحاق ﴿**وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب**﴾ وذلك أن الله لم يبعث نبياً من بعد ابراهيم إلا من صلبه ﴿**وآتيناه أجره في الدنيا**﴾ يعني الثناء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويتولونه، وقال السدي: هو أنه أري مكانه في الجنة ثم أعلم أن له مع[٣] ما أعطي في الدنيا الدرجات العلى بقوله: ﴿**وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾ قال ابن عباس مثل آدم ونوح أي أنه في درجتهما وقد قال الله ﴿**ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**﴾[٤].

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

وما بعد هذا مفسر إلى قوله ﴿**وتقطعون السبيل**﴾ وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فلما فعلوا ذلك ترك الناس الممر بهم، قال الفراء: كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملهم الخبيث[٥] ﴿**وتأتون في ناديكم المنكر**﴾ النادي والنديّ والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم، قال ابن عباس ومجاهد: هو إتيانهم الرجال واستمكنت تلك الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس وقال القاسم بن محمد: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم[٦] أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبيد الله بن حمشاد العدل أنا حمد بن الفضل بن محمد[٧] السلمي، أنا جدي، نا بشر بن معاذ، نا يزيد بن زريع، نا زريع، نا حاتم بن[٨] أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح عن أم هانيء[٩] بنت أبي طالب قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يجذفون أهل الطريق ويسخرون منهم[١٠] رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن أبي بكر بن[١١] اسحاق عن موسى بن إسحاق[١٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن حاتم، قال الزجاج: وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزء والمناهي ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاء: ﴿**ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**﴾ أن العذاب نازل بنا وعند

---

(١) في أ، د أخته، وهو لوط بن هارون بن تارح قصص الانبياء لابن كثير ص ١٩٢ كثير.
(٢) معجم البلدان ٤/٤٧٨.
(٣) في هـ أنه معما.
(٤) طه: ٧٥.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٦ وفيها بعملهم الخبيث.
(٦) انظر تفسير ابن جرير ٢٠/٩٤.
(٧) في جـ. د، هـ: محمد.
(٨) حاتم بن أبي صغيرة مسلم القشيري البصري أبو يونس تهذيب التهذيب ٢/١٣٠.
(٩) أم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ عاشت بعد خلافة علي. الاصابة ٤/٥٠٣ ط أولى.
(١٠) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة العنكبوت وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ١/٤٠٩.
(١١) أبو بكر اسحاق بن يسار المطلبي مولاهم تهذيب التهذيب ١٢/٢٣.
(١٢) في أ عن أبي بكر بن اسحاق مكررة.

ذلك ﴿قال﴾ لوط ﴿رب انصرني﴾ أي بتحقيق قولي في العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب [١] الله دعاءه فبعث [٢] جبريل ومعه الملائكه لتعذيب قومه وهو قوله:

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قالوا[٣] إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يعنون قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ يعني مشركين، وما بعد هذا مفسر في سورة هود إلى قوله ﴿إنا منجوك وأهلك﴾ يعني بناته قال المبرد: الكاف في منجوك مخفوضة ولم يجز عطف الظاهر على الضمير المخفوض فحمل الثاني على المعنى وصار التقدير وننجي أهلك ومنجون أهلك قوله ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء﴾ قال مقاتل: يعني الخسف والحصب ﴿بما كانوا يفسقون﴾ جزاء لفسقهم ﴿ولقد تركنا منها آية بينةً﴾ يعني آثار منازلهم الخربة، وقال قتادة: هي الحجارة التي أبقاها الله فأدركها أوائل هذه الأمة، وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض، وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ قال مقاتل: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال وقوله:

وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

(١ ـ ٢) فيما عدا هـ واستجاب، وبعث.

(٣) في هـ: قال.

﴿وعاداً وثمود﴾ قال مقاتل والزجاج: وأهلكنا عاداً وثمود **﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾** ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر والحجاز واليمن آية في هلاكهم، وقوله: **﴿وكانوا مستبصرين﴾** يقال استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة ، قال قتادة والكلبي انهم كانوا مستبصرين في دينهم وضلالتهم معجبين بما يحسبون أنهم على هدى ويرون أن أمرهم حق، والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين فيما كانوا عليه من الضلالة قوله: **﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾** أي عاقبنا[١] بتكذيبه الرسل **﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾** يعني قوم لوط **﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾** يعني ثموداً **﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾** يعني قارون وأصحابه **﴿ومنهم من أغرقنا﴾** يعني قوم نوح وفرعون **﴿وما كان الله ليظلمهم﴾** ليعذبهم[٢] على غير ذنب ثم ضرب لهم مثلاً فقال:

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: الأصنام يتخذونها أولياء، يرجون ضرها ونفعها **﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾** وبيتها لا يغني عنها في حر ولا قر ولا مطر كذلك آلهتهم لا ترزقهم شيئاً ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً **﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾** لا بيت أضعف منه فيما يتخذه الهوام **﴿لو كانوا يعلمون﴾** ان اتخاذهم [الأولياء][٣] كاتخاذ العنكبوت بيتاً **﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾** أي أنه عالم بما عبدتموه من دونه لا يخفى على[٤] الله ذلك فهو يجازيكم على كفركم **﴿وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال﴾** يعني أمثال القرآن وهي التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة **﴿نضربها للناس﴾**[٥] قال مقاتل: نبينها[٦] لكفار مكة **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾** وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله.

حدثنا الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم النصر آباذي، أنا محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن إبراهيم القطان[٧]، نا الحارث[٨]، نا داود بن[٩] المحبر نا عباد عن ابن جريج عن عطاء وأبي[١٠] الزبير عن جابر أن النبي ﷺ «تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال: العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه»[١١] قوله:

---

(١) في هـ: عاقبتنا.
(٢) في هـ: فيعذبهم.
(٣) ساقط من هـ.
(٤) في هـ عليه.
(٥) في هـ: نضربها.
(٦) في هـ: بنينها.
(٧) في د، هـ العطار.
(٨) الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي تقدم.
(٩) داود بن المحبر بن محزم بن سليمان الطائي أبو سليمان البصري ت سنة ٢٠٦ هـ قال عنه ابن حجر: متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنعه موضوعات وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الحديث تهذيب التهذيب ١٩٩/٣، التقريب ٣٢٤/١، الضعفاء والمتروكين ص ٢٠٢ ط الريان.
(١٠) في جـ، د ابن والصحيح أبو الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس الاسدي المكي ت سنة ١٢٨ هـ صدوق إلا أنه يدلس تذكرة الحفاظ ١٢٥/١، تهذيب التهذيب ٢٠١/٥.
(١١) من سند الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف داود بن المحبر أحد رواته ويكفي قول ابن حجر فيه متروك وأكثر كتاب العقل الذي وضعه موضوعات.

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿**خلق الله السموات والارض بالحق**﴾ أي للحق وإظهار الحق ﴿**إن في ذلك**﴾ في خلقها ﴿**لآية المؤمنين**﴾ لدلالة على قدرة الله وتوحيده ﴿**اتل ما أوحي إليك من الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ الفحشاء ما قبح من العمل والمنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة قال ابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد إلا بعداً وهذا قول الحسن وقتادة قالا: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكرفليس صلاته بصلاة وهي وبال عليه، أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن عيسىبن السكين، نا هاشم بن القاسم الحرافي، نا عثمان[1] بن عبد الرحمن نـا عمر[2] بن شاكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً) أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا عبد الرحمن بن[3] محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا [أبو مالك][4] عن جويبر[5] عن الضحاك عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يطبع الصلاة وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»[6] ومعنى هذا أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله فإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة فإن تاب يوماً وترك معاصيه تبينا أن ذلك من نهي الصلاة، وأن صلاته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان، وقوله ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ يعني مما سواه وأفضل من كل شيء قال قتادة: ليس أفضل من ذكر الله، والمعنى أن العبد إذا كان ذاكراً الله لم يجر عليه القلم بمعصية لأنه إذا ذكر الله ارتدع عما يهم به من السوء ولهذا قال الفراء وابن قتيبة: ولذكر الله هو التسبيح والتهليل يقول هو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر أي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهاه عن الفحشاء والمنكر[7] أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا حسن بن موسى [8] الأشيب نا حماد عن ثابت[9] البناني أن رجلاً أعتق أربع رقاب فقال آخره سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى

---

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التميمي (ثقة) تهذيب التهذيب ١٣٣/٧.

(٢) عمر بن شاكر البصري قال ابن حجر في التهذيب يروي عن أنس المناكير ٤٥٩/٧ وفي التقريب ضعيف الحديث ٥٧/٢ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢، طبقات المفسرين للداودي ٢٨٢/١ طبقات الحفاظ (ص ٣٠) وقد بين الشيخ ناصر الألباني بأن هذا الحديث غير صحيح الاسناد إلى النبي ﷺ وإنما صح من قول ابن مسعود والحسن البصري وروي عن ابن عباس سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤/١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) جويبر بن سعيد الازدي أبو القاسم البلخي ت ما بين الاربعين والخمسين ومائة في تهذيب التهذيب: يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة ١٢٤/٢ وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ١٧١.

(٦) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جويبر بن سعيد أحد رواته.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢ بتصرف، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٨.

(٨) حسن بن موسى الاشيب أبو علي البغدادي تاريخ بغداد ٤٢٦/٧، تذكرة الحفاظ ٣٦٩/١، طبقات الحفاظ ص ١٥٥.

(٩) ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري تهذيب التهذيب ٣/٢، التقريب ١٥/١.

المسلمي فقال: ما تقول في رجل أعتق أربع رقاب وأني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها أفضل فنظروا هنيهة فقالوا: ما نعلم شيئاً أفضل من ذكر الله وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه قال مقاتل: إذا صليت لله فقد ذكرته فيذكرك الله بخير وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه. أخبرنا أبو نعيم المهرجاني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا علي[1] بن الجعد، نا فضيل بن[2] مرزوق عن عطية العوفي [عن أبي][3] في قوله «ولذكر الله أكبر» قال: أكبر من ذكر العبد لله. أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن[4] عبد الله بن ربيعة قال: قال ابن عباس: أرأيت قول الله عز وجل ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال: قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها، قال ابن عباس: لقد قلت قولاً عجباً وما هو كما قلت ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخبرنا محمد بن عبد العزيز المروزي فيما أجاز لي روايته عنه أنا محمد بن الحسين[5] الحدادي أنا محمد بن يحيى، نا أسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الأعلى عن داود بن أبي هند عن محمد[6] بن أبي موسى: اني كنت قاعداً عند ابن عباس فجاء رجل فسأله عن ذكر الله أكبر فقال: الصلاة والصوم ذلك ذكر الله فقال الرجل: إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك وقوله: ﴿**والله يعلم ما تصنعون**﴾ قال عطاء: يريد لا يخفى على الله شيء، قوله:

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾ أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿**إلا الذين ظلموا منهم**﴾ إلا من أبى أن يقر بالجزية ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿**وقولوا**﴾ لمن قبل الجزية منهم إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿**آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ

---

(١) علي بن عبيد الجوهري البغدادي ت سنة ٢٣٠ هـ عن ست وتسعين سنة انظر تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٩، شذرات الذهب ٢/ ٦٨.

(٢) فضيل بن مرزوق الاغر الرقاشي الكوفي أبو عبد الرحمن ت سنة ١٦٠ هـ انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٩.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٤) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي الكوفي. انظر تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٩.

(٥) في د، هـ: الحسن.

(٦) محمد بن أبي موسى له ذكر في تهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٣.

ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ وكما أنزلنا عليهم الكتاب أنزلنا إليك[1] الكتاب ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني كفار مكة ﴿من يؤمن به﴾ يعني من أسلم منهم ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي بعد المعرفة ﴿إلا الكافرون﴾ من اليهود وذلك أنهم عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا وتنكروا ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب﴾ وما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً أي ما كنت قارئاً ولا وكاتباً قبل الوحي وهو قوله ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ وكذا كان صفته في التوراة والإنجيل أمي لا يقرأ ولا يكتب وقوله ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ ولو كنت قارئاً كاتباً لشك اليهود فيك وقالوا إن الذي نجده في التوراة أمي لا يقرأ الكتاب وما كانوا يرتابون في نبوة محمد لما يجدونه من نعته ولكنهم جحدوا نبوته بعد اليقين فلو كان كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي عرفوه فكانوا يشكون والمبطل الذي يأتي بالباطل وكل من ادعى ديناً غير الاسلام فهو مبطل، قوله: ﴿بل هو آيات بينات﴾ قال الحسن: القرآن [آيات بينات][2] ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده وقال قتادة ومقاتل: بل يعني محمداً ﷺ و [هو آيات][3] بينات أي ذو آيات بينات في صدور [أهل][4] العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ يعني كفار اليهود.

وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وقالوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ هلا أنزل على محمد آية من ربه كما كانت الأنبياء يجيء بها إلى قومهم وقرىء آيات على الجمع وقد تقع آية على الكثرة وإن كانت على لفظ الواحد فالقراءتان معناهما واحد ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ هو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي ولما سألوا الآيات قال الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أولم يكفهم من الآيات القرآن ﴿يتلى عليهم﴾ فيه خبر ما بعدهم وما قبلهم ﴿إن في ذلك﴾ في إنزال الكتاب عليك ﴿لرحمة﴾ لمن آمن وعمل به ﴿وذكرى﴾ وتذكير أو موعظة ﴿لقوم يؤمنون﴾ قال مقاتل: فكذبوا بالقرآن فنزل ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ أي بالله شاهداً بيناً أني رسوله وكفى هو شاهداً ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ وشهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ قال ابن عباس: بغير الله وقال مقاتل: بعبادة الشيطان ﴿وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ بالعقوبة وفوت المثوبة.

---

(١) في هـ: عليك.

(٢ ـ ٣) بياض في هـ.

(٤) ساقط من هـ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾ استهزاء وتكذيباً منهم بذلك ﴿**ولولا أجل مسمى**﴾ لعذابهم وهو يوم القيامة وقال الضحاك: يعني مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب ﴿**لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون**﴾ بإتيانه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال ﴿**يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾ جامعة لهم ﴿**يوم يغشاهم**﴾ يعلوهم ﴿**العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم**﴾ كقوله ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾[١] ﴿**ويقول**﴾ بالياء يعني[٢] الموكل بعذابهم يقول لهم ﴿**ذوقوا**﴾ ومن قرأ بالنون[٣] فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينصب، ومعنى ﴿**ما كنتم تعملون**﴾ أي جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله:

يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿**يا عبادي الذي آمنوا إن أرضي واسعة**﴾ قال مقاتل: نزلت في ضعفاء المسلمين[٤] بمكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها قال الزجاج: أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته[٥] ثم خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة فقال: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ أي كل أحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿**ثم إلينا ترجعون**﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم ثم ذكر ثواب من هاجر فقال ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ يعني المهاجرين ﴿**لنبوئنهم من الجنة غرفاً**﴾ قال ابن عباس: لنسكننهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة، وقرأ حمزةلنثوينهم[٦]، قال الزجاج: يقال ثوى الرجل إذا أقام وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه[٧] قال الأخفش ولا تعجبني هذه القراءة لأنك لا تقول أثويته الدار بل تقول في الدار وليس في الآية[٨] حرف جر في المفعول الثاني، وقال أبو علي الفارسي: هو على إرادة حرف الجر ثم حذف كما يقال: أمرتك الخير أي بالخير ثم وصف تلك الغرف، فقال: ﴿**تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾ لا يموتون ﴿**ونعم أجر العاملين**﴾ لله الغرف، ثم وصفهم فقال: ﴿**الذين صبروا**﴾ على دينهم فلم يتركوه لشدة لحقتهم ﴿**وعلى**

---

(١) الاعراف: ٤٢.

(٢) قراءة (ويقول) بالياء، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٢/٣٤٣.

(٣) قراءة (ونقول) بالنون، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٢/٣٤٣.

(٤) في هـ: مسلمة مكة.

(٥) انظر تفسير ابن جرير ٢١/٧.

(٦) قرأ حمزة والكسائي (لنثوينهم) بالثاء، وقرأ الباقون (لنبوئنهم) بالباء السبعة (٥٠٢) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٢ والنشر ٢/٣٤٣.

(٧) في ب: منزلاً يقيم فيه لا يقيم فيه وليس لها موضع.

(٨) في هـ للآية.

ربهم يتوكلون﴾ قال ابن عباس: وذلك أن المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم، وقال مقاتل: إن أحدهم كان يقول بمكة كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فقال الله **﴿وكأين من دابة﴾**[١] وهي كل حيوان يدب على [٢] الارض مما يعقل ولا يعقل والمعنى: من نفس دابة **﴿لا تحمل رزقها﴾** لا ترجع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد **﴿الله يرزقها﴾** حيث ما توجهت **﴿وإياكم﴾** يرزق إن خرجتم إلى المدينة ولم يكن لكم زاد ولا نفقة، قال سفيان: وليس شيء مما خلق الله يخبىء ويدخر الا الإنسان والفأرة والنملة وقوله: **﴿وهو السميع﴾** أي لقولكم إنّا لا نجد ما ننفق بالمدينة **﴿العليم﴾** بما في قلوبكم أخبرنا أبو بكر التميمي[٣] أنا أبو محمد بن حيان، أنا أحمد بن جعفر الجمال، نا عبد الواحد بن محمد البجلي، نا يزيد بن هارون الجراح بن منهال عن الزهري وهو عبد الرحيم بن عطاف عن عطاء عن ابن عمر قال خرجت[٤] مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال: يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا أشتهيه يا رسول الله قال: ولكني أشتهيه وهذه صبح رابعة مذ لم أذق طعاماً ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبأون رزق سنتهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية[٥].

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

قوله **﴿ولئن سألتهم﴾** يعني كفار مكة **﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾** أي الله خلقها يقررن بأنه خالق السماوات والأرض **﴿قل الحمد لله﴾** أي احمد الله على إقرارهم لأن ذلك يلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد ثم قال: **﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾** توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خلق الأشياء وأنزل المطر والمراد بالأكثر الجميع.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله: **﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾** يعني الحياة في هذه الدار **﴿إلا لهو ولعب﴾** باطل وغرور وعبث تنقضي عن قريب **﴿وإن الدار الآخرة﴾** يعني الجنة **﴿لهي الحيوان﴾** قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحيوان الحياة[٦] وهو قول

---

(١) في هـ: من دابة لا تحمل رزقها في الارض.

(٢) في هـ: من.

(٣) في هـ: التميمي.

(٤) في هـ: خرجنا.

(٥) رواه السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وقال ابن كثير بسند ضعيف الدر المنثور ١٤٩/٥ ط طهران وقد نبه ابن الجوزي أن قوله كيف بك يا ابن عمر... الخ حديث موضوع الموضوعات لابن الجوزي: ٢٨٢/٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٩.

المفسرين ذهبوا إلى أن معنى الحيوان ها هنا الحياة وأنه مصدر بمنزلة الحياة ويكون كالثوران[١] والغليان ويكون التقدير وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان والمعنى: إن حياة الدار الآخرة هي الحياة لأنه لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ولا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار وهذا معنى قول جماعة المفسرين، وقوله ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ يعني لو علموا لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ولكنهم لا يعلمون قوله: ﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ يعني المشركين ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ أفردوا الله بالطاعة وتركوا شركاءهم فلا يدعونهم لإنجائهم ﴿**فلما نجاهم**﴾ الله من أهوال البحر وأفضوا ﴿**إلى البر إذا هم يشركون**﴾ به وهذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يعلمون أن القادر على كشفها الله وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا يا خذاي، قوله: ﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾ هذه لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾[٢] ﴿واستفزز من استطعت منهم﴾[٣] والمعنى: ليجحدوا نعمة الله ﴿**وليتمتعوا**﴾ بباقي عمرهم ﴿**فسوف يعلمون**﴾ عاقبة كفرهم ومن كسر اللام [في][٤] وليتمتعوا جعل اللام في ليكفروا لام كي[٥] والمعنى: إذا هم يشركون ليكفروا، والمعنى: لا فائدة لهم في الاشراك إلا الكفر والتمتع بما تستمتعون به في العاجلة من غير نصيب [لهم][٦] في الآخرة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿**أو لم يروا**﴾ يعني كفار مكة ﴿**أنا جعلنا حرماً آمناً**﴾ يعني مكة وذكرنا تفسير هذه الآية في سورة القصص ﴿**ويتخطف الناس من حولهم**﴾ يعني العرب يسبي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾ يعني الشيطان ﴿**وبنعمة الله**﴾ بمحمد والإسلام ﴿**يكفرون**﴾ ثم ذكر أنهم أظلم الخلق فقال: ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾ لا أحد أظلم ممن زعم أن لله شريكاً[٧] وأنه أمر بالفواحش ﴿**أو كذب بالحق لما جاءه**﴾ بمحمد والقرآن ﴿**أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾ أما لهذا الكافر المكذب مأوى[٨] في جهنم وهو استفهام معناه التقرير، قوله ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والانصار وقال ابن زيد: والذين جاهدوا هؤلاء المشركين وقاتلوهم في نصرة ديننا ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة والأولى أن يكون معنى الهداية ها هنا الزيادة منها والتثبيت عليها، قال الزجاج: أعلم الله أنه يزيد المجاهدين هداية كما أنه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة كما قال ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[٩] ﴿**وإن الله لمع المحسنين**﴾ بالنصرة والعون قال عطاء عن ابن عباس يريد بالمحسنين الموحدين.

---

(١) في هـ كالنزوان.

(٢) فصلت: ٤٠.

(٣) الاسراء: ٦٤.

(٤) ساقط من هـ.

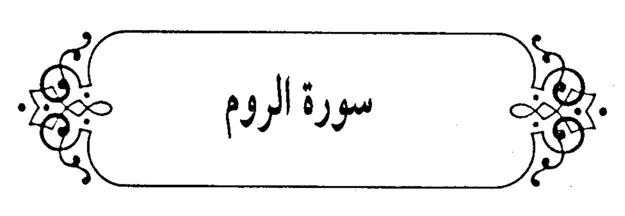
(٥) قراءة (وليتمتعوا) بكسر اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب انظر السبعة ٥٢ والنشر ٢/ ٣٤٤.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا د، هـ.

(٧) في هـ: الله.

(٨) في جـ ما ذكر.

(٩) آية (١٧) سورة محمد ﷺ.



سورة الروم

مكيّة وآياتها ستون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي[1] بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع يومه وليلته»[2]

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الم**﴾ ذكرنا تفسيره ﴿**غلبت الروم**﴾ قال أهل التفسير: غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا[3]: الذين ليس لهم كتاب غلبوا[4] الذين لهم كتاب وافتخروا على المسلمين وقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وقوله: ﴿**في أدنى الأرض**﴾ يريد الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس. وقال عكرمة: يعني أذرعات[5] وكسكر[6] [وهما][7] من بلاد الشام يعني الروم ﴿**من بعد غلبهم**﴾ من بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة: لغتان ﴿**سيغلبون**﴾ فارس ﴿**في بضع سنين**﴾ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة وقد مر، أخبر الله أن الروم بعد ما غلبوا سيغلبون ثم التقى الروم وفارس في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم فغلبتهم الروم فجاء جبريل عليه السلام بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم [بدر][8] ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾ أي من قبل أن غلبت الروم ومن [بعد][9] ما

---

(١) ابي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي ت سنة ١٦ أسد الغابة ١/٦١، الاصابة ١/٣١، تذكرة الحفاظ ١/١٦، شذرات الذهب ١/٣١

(٢) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٣+ ٤) في (و) قال وغلبت.

(٥) اذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء جمع اذرعة وهي بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. انظر معجم البلدان ١/٣٠.

(٦) كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى ومعناه عامل الزرع. وهي منطقة واسعة على نهر دجلة بالعراق انظر معجم البلدان ٤/٤٦١.

(٧) عن د فقط.

(٨) ساقط من هـ، ولقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٥ هذا الحديث قولا لأبي سعيد الخدري وليس فيه مجيء جبريل.

(٩) ساقط من جـ.

غلبت يعني أن غلبة أحد الفريقين الآخر أيهما كان الغالب أو المغلوب فإن ذلك كان بأمر الله وإرادته وقضائه وقدرته **﴿ويومئذ﴾** يعني يوم تغلب الروم فارس **﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾** الروم على فارس قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك [بنصر الله][1] **﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾** الغالب **﴿الرحيم﴾** بالمؤمنين، قال الزجاج: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله لأنه أنبأ بما سيكون وهذا لايعلمه إلا الله عز وجل أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن عمر[2] الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا محمد بن سليمان [بن لوين] [3]، نا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن دينار بن[4] مكرم ـ وكانت له صحبة قال ـ لما نزلت الم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبك قال: الله أنزل هذا وكانت [فارس][5] قد غلبت الروم فاتخذوهم شبه العبيد وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس لأنهم أهل جحد وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث فقالـوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس قال أبو بكر البضع ما بين الثلاث إلى التسع قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر قال فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالوا بئس ما صنعت ألا أقررتها كما قـال الله لو شاء الله أن يقول[6] ستاً[7] لقال فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس فأخذوا الرهان فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس[8] فذلك قوله تعالى: **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾** قوله **﴿وعد الله﴾** أي وعد الله ذلك وعداً **﴿لا يخلف الله وعده﴾** في ظهور[9] الروم على فارس **﴿ولكن أكثر الناس﴾** يعني كفار مكة **﴿لا يعلمون﴾** أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس ثم وصف كفار مكة فقال **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾** يعني معايشهم وما يصلحهم وقال الحسن يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم وروي عنه أنه قال بلغ ـ والله ـ من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد[10] الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وقال الضحاك: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها وقال الزجاج: يعلمون معايش الحياة لأنهم كانوا يعالجون التجارات فأعلم الله مقدار ما يعلمون **﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾** حين لم يؤمنوا بها ولم يعدوا لها، ثم وعظهم ليعتبروا فقال:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا

---

(١) عن جـ، انظر تفسير ابن جرير ١٥/٢١.

(٢) في جـ، د، هـ: محمد.

(٣) عن ب، هـ.

(٤) دينار بن مكرم الاسلمي له صحبة ورواية. أسد الغابة ٥/٤٥٤، تهذيب التهذيب ١٠/٤٩٣.

(٥) عن جـ.

(٦) في هـ: يكون.

(٧) فيما عدا ب شيئاً.

(٨) اخرج الحاكم نحوه عن ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه انظر المستدرك كتاب التفسير سورة الروم ٢/٤١٠ وتفسير ابن جرير ١٥/٢١.

(٩) في هـ: يظهور.

(١٠) فيما عدا ب، هـ ينقر.

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿**أو لم يتفكروا في أنفسهم**﴾ في خلق الله إياهم [ولم يكونوا شيئاً][1] فيعلموا ﴿**ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**﴾ قال الفراء: إلا للخلق يعني الثواب والعقاب[2] ﴿**وأجل مسمى**﴾ قال مقاتل للسماوات والأرض اجل تنتهيان إليه وهو يوم القيامة والمعنى: أو لم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئاً فيعلموا أن خلق السماوات والأرض[3] لأمر وأن لهما أجلاً وهو يوم القيامة ﴿**وإن كثيراً من الناس**﴾ يعني: كفار مكة ﴿**بلقاء ربهم**﴾ بالبعث بعد الموت ﴿**لكافرون**﴾ لا يؤمنون بأنه كائن، ثم خوفهم فقال ﴿**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾ أو لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم ويعلموا أنهم أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا ثم وصف تلك الأمم فقال ﴿**كانوا أشد منهم قوة**﴾ أعطوا[4] من القوة ما لم يعطها هؤلاء ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس ﴿**وعمروها**﴾ أي[3] كفار مكة لأنهم كانوا أطول عمراً وأكثر عدداً ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ [بالدلالات][5] والحجج وأخبروهم بأمر العذاب ﴿**فما كان الله ليظلمهم**﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ بالكفر والتكذيب ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكهم الله[6]، ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى**﴾ في السوأى قولان أحدهما: أنها النار ضد الحسنى وهي الجنة وهذا قول الفراء[7] والزجاج والأكثرين قال ابن قتيبة: السوأى جهنم ضد الحسنى[8] وهي الجنة، وإنما سميت سوأى لأنها يسوء صاحبها ومعنى أساءوا أشركوا، قاله[9] ابن عباس ومقاتل وفي ﴿**عاقبة الذين**﴾ قراءتان النصب[10] والرفع[11] فمن نصب جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال ﴿وكان علينا نصر المؤمنين﴾[12] وتقدير الكلام ثم وكان السوء عاقبة الذين أساءوا ويكون أن في قوله ﴿**أن كذبوا**﴾ مفعولاً ـ له أي لأن كذبوا، قال الزجاج المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم، القول الثاني في السوأى أنها مصدر بمنزلة الإساءة ويكون المعنى ثم كان التكذيب آخر أمرهم أي ماتوا على ذلك فكأن[13] الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب والشرك عقاباً لهم بذنوبهم أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، نا محمد بن يحيى نا أحمد[14] بن منصور المروزي، نا

---

(١) ساقط من أ، د، هـ.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٥

(٣) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا أ: أعطواهم... وفي هـ: اعطوهم.

(٥) ساقط من جـ، ذ، هـ.

(٦) في ب، جـ، هـ فأهلكوا.

(٧) معاني القرآن ٢/٣١٢.

(٨) في هـ: والحسنى الجنة والنص من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٠.

(٩) في هـ: قال.

(١٠) قراءة (عاقبة) بالنصب قرأ بها: حمزة وعاصم وابن عامر وخلف انظر السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٢/٣٤٤.

(١١) قراء (عاقبة) بالرفع، قرأ بها: أبو عمرو ونافع وابن كثير والكسائي ويعقوب انظر السبعة ص ٥٠٦ النشر ٢/٣٤٤.

(١٢) الروم: ٤٧.

(١٣) فيما عدا هـ: كأن.

(١٤) أحمد بن منصور بن راشد الحنظلي أبو صالح المروزي ت سنة ٢٦٠ هـ تهذيب التهذيب ١/٨٣، الجرح والتعديل ١/٧٨.

محمد[١] بن عبد الله بن بكير سمعت ابن[٢] عيينة يقول في قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله إن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوء القلب كله فيصير كافراً.

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله ﴿**الله يبدء الخلق**﴾ أن يخلقها أولاً ﴿**ثم يعيده**﴾[٣] ثم يعيدهم بعد الموت احياءً كما كانوا ﴿**ثم إليه يرجعون**﴾ فيجزيهم بأعمالهم والخلق هم المخلوقون[٤] في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله يرجعون على المعنى ووجه قراءة من قرأ بالتاء أنه صار من الغيبة إلى الخطاب[٥]، قوله ﴿**ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون**﴾ قال الكلبي: ييأس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم[٦] وذكرنا تفسير الإبلاس عند قوله ﴿فإذا هم مبلسون﴾[٧] ﴿**ولم يكن لهم من شركائهم**﴾ أوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم ﴿**شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين**﴾يتبرّءون منها وتتبرأ منهم﴿**ويوم تقوم الساعة**﴾ تظهر القيامة ﴿**يومئذ يتفرقون**﴾ قال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً، وقال الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل سافلين وهو قوله ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون**﴾ ينعمون ويسرون والحبرة والحبر السرور قال ابن عباس والمفسرون: في رياض الجنة ينعمون ثم أخبر عن حال الكافرين بقوله ﴿**وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك في العذاب محضرون**﴾ وهي ظاهرة ثم ذكر ما يدرك به الجنة فقال:

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**﴾ قال المفسرون: فصلوا لله على تأويل فسبحوا لله قال ابن عباس جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشياً العصر

(١) محمد بن عبد الله بن بكير بن سليمان الخزاعي أبو الحسن الصنعاني خلاصة تهذيب الكمال (٢٤٤).

(٢) ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ت سنة ١٩٨ هـ تذكرة الحفاظ ٢٦٢/١، ابن سعد ٣٦٤/٥، طبقات الحفاظ ص ١١٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ: المخلوق.

(٥) قراءة (ترجعون) بالتاء قرأ بها ابن عامر وابن كثير وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٣٤٤/٢.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٢٢/٢.

(٧) الأنعام: ٤٤.

وحين تظهرون الظهر[١]، ومعنى تمسون تدخلون في وقت المساء ومثله تصبحون وتظهرون في الوقتين جميعاً واعترض بين [ذكر][٢] الأوقات قوله ﴿**وله الحمد في السموات والأرض**﴾ قال ابن عباس: يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ويصلون له ويسبحون ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾ مفسر فيما تقدم ﴿**ويحيي الأرض بعد موتها**﴾ يجعلها تنبت وذلك حياتها بعد ان كانت لا تنبت ﴿**وكذلك تخرجون**﴾ من الأرض يوم القيامة وقرأ حمزة تخرجون[٣] بفتح التاء أضاف الخروج إليهم كقوله ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾[٤].

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله ﴿**ومن آياته**﴾ دلائل قدرته ﴿**أن خلقكم من تراب**﴾ يعني: آدم أبا البشر ﴿**ثم إذا أنتم بشر**﴾ من لحم ودم يعني ذريته ﴿**تنتشرون**﴾ تنبسطون في الأرض ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ جعل لكم أزواجاً من مثل خلقكم ﴿**لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما من شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما ﴿**إن في ذلك**﴾ الذي ذكر من صنعه ﴿**لآيات لقوم يتفكرون**﴾ في عظمة الله وقدرته.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض**﴾ على عظمتهما وكثافتهما وكثرة أجزائهما[٥] ﴿**واختلاف ألسنتكم**﴾[٦] يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية ﴿**وألوانكم**﴾ لأن الخلق من بين أسود وأبيض وأحمر وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿**إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾ للبر والفاجر والإنس والجن، وقرأ حفص بكسر اللام[٧] قال الفراء: وهو وجه جيد لأنه قد قال: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ و ﴿لآيات لأولي الألباب﴾[٨] ﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله**﴾ [التقدير: منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار][٩] هذا يعني تصرفكم في طلب المعيشة ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾ سماع اعتبار وتدبر.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

---

(١) تفسير ابن جرير ٢١/٢٠.
(٢) ساقط من هـ.
(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٦ وفي النسخة هـ: تخرج.
(٤) المعارج: ٤٤.
(٥) فيما عدا هـ: عظمها.
(٦) في هـ: ألسنتكم وألوانكم وهي مكررة.
(٧) قرأ حفص عن عاصم بكسر اللام السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٢/٣٤٤.
(٨) آية (١٩٠) آل عمران والنص من معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣.
(٩) ساقط من هـ.

﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً**﴾ للمسافر من الصواعق ﴿**وطمعاً**﴾ للحاضر المقيم في المطر ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾ قال ابن مسعود قامتا بغير عمد[1] بأمره وقال الفراء: يقول أن تدوما قائمتين بأمره[2] يدعو اسرافيل من صخرة بيت المقدس حين ينفح في الصور بأمر الله للبعث بعد الموت ثم ﴿**إذا أنتم تخرجون**﴾ من الأرض.

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿**وله من في السموات والأرض**﴾ عبيداً وملكاً ﴿**كل له قانتون**﴾ قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً، وقال ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة، وهذا مفسر في سورة البقرة.

قوله ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾ يخلقهم أولاً ثم يخلقهم ثانياً للبعث[3] ﴿**وهو أهون عليه**﴾ أي هين عليه الإعادة وما شيء عليه بعزيز ويجيء أفعل بمعنى المفاعل كقول الفرزدق:

إنَّ الـذي سمك السمـاء بنى لنـا ... بـيـتـاً دعـائـمـه أعـز وأطـول

أي عزيزة طويلة، وهذا قول الحسن والربيع وقتادة والكلبي. وقال مقاتل: يقول: البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار من الخلق الأول قال المبرد: وهو أهون عليه عندكم لأنكم[4] أقررتم بأنه بدأ الخلق وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه، واختار الزجاج هذا القول فقال إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء [والكناية في قوله وهو تعود إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله يعيده والفعل يدل على المصدر][5]، وقوله: ﴿**وله المثل الأعلى في السموات والأرض**﴾ الصفة العليا وهي أنه لا إله غيره ﴿**وهو العزيز**﴾ في ملكه ﴿**الحكيم**﴾ في خلقه.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**ضرب لكم**﴾ أيها المشركون ﴿**مثلاً من أنفسكم**﴾[6] أي بين لكم شبهاً لحالكم ذلكم[7] المثل فقال: ﴿**هل لكم من ما ملكت أيمانكم**﴾ من عبيدكم ﴿**من شركاء فيما رزقناكم**﴾ من المال والعبيد والأهل أي: هل يشاركونكم في أموالكم وهو قوله ﴿**فأنتم فيه سواء**﴾ أي أنتم وشركاؤكم من

---

(١) في هـ على غير عمد.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٢٣.

(٣) في النسخة (هـ) وردت في هذا الموضع عبارة [والكناية في قوله يعيده إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله ثم يعيده والفعل يدل على المصدر] وهي في النسخ الأخرى تأتي بعد ذلك.

(٤) في هـ: لكم.

(٥) هذه العبارة وردت في هـ قبل ذلك وقد نبهنا عليها في موضعها.

(٦) في هـ: ضربا.

(٧) في ب، د، هـ: ذلك.

عبيدكم فيما رزقناكم شرع سواء ﴿تخافونهم﴾ أي يشاركونكم [١] فيما ترثونه من آبائكم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه [دونه][٢] بأمر فكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يحب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه كما[٣] أن يرثه عصبته من ذريته يعني أن هذه الخيفة لا تكون بين المالكين والمملوكين كما بين الاحرار ومعنى أنفسكم ها هنا أمثالكم من الأحرار كقوله ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [٤] وكقوله ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾([٥] أي [بأمثالهم]([٦] من المؤمنين قال صاحب النظم: وهذا مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه سواء يخافه كما يخاف غيره من شريك لو كان له [فيه شركه]([٧] فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فجعلتموهم[٨] شركاء لي ﴿كذلك﴾ كما بينا في ضرب المثل من أنفسكم ﴿نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ عن الله ثم بين [٩] لهم أنهم إنما اتبعوا فيما أشركوا به الهوى فقال: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿أهواءهم﴾ في الشرك ﴿بغير علم﴾ يعلمونه جاءهم من الله ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾([١٠] أي لا هادي لمن أضله الله وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا باضلال الله إياهم عن الحق ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب([١١] الله، قاله مقاتل. ثم أمر النبي ﷺ بتوحيده فقال:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأقم وجهك للدين﴾ أي أخلص دينك وهو قول سعيد بن جبير، وقال غيره: سدد عملك والوجه: ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه ما يتوجه إليه[١٢] لتسديده واقامته ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إليه مستقيماً عليه لا ترجع عنه إلى غيره وقوله ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ فطرة الله: الملة، وهي الإسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المؤمنين هذا قول المفسرين في فطرة الله، والمراد بالناس ها هنا المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام لأن المشرك لم يفطر على الإسلام ولفظ الناس عام والمراد به الخصوص وانتصابها بالاغراء وهو قول الزجاج قال: فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ قال مجاهد وإبراهيم: لا تبديل لدين الله وهي نفي معناه النهي أي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر ﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: التوحيد وهو الدين المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ توحيد الله قوله ﴿منيبين إليه﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وجوهكم منيبين لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل فيها [١٣] الأمة والدليل على ذلك قوله

---

(١) في هـ: يشاركونكم وهو تجديف.
(٢) ساقط من أ، جـ.
(٣) في هـ: وكما يقول يخاف.
(٤) الحجرات: ١١.
(٥) النور: ١٢.
(٦) ساقط هـ.
(٧) ساقط من جـ، د.
(٨) في هـ: فجعلتموه.
(٩) هـ: ثم بين أنهم.
(١٠) في هـ: أضله وهو تحريف.
(١١) في هـ: عقاب.
(١٢) في هـ: عما يتوجه الإنسان إليه لتسديده.
(١٣) في هـ: يدخل معه فيه.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[(١)] فقوله تعالى﴿**فأقم وجهك**﴾ معناه: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله ﴿**واتقوه وأقيموا الصلاة**﴾ ثم أخبر انه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال: ﴿**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانو شيعاً**﴾ تقدم تفسيره في آخر سورة الأنعام ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ قال مقاتل: كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

قوله ﴿**وإذا مس الناس**﴾ يعني كفار مكة ﴿**ضر**﴾ وقحط وسنة ﴿**دعوا ربهم منيبين إليه**﴾ أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى أوثانهم التي يعبدونها مع الله إنما يرجعون في دعائهم إلى الله وحده ﴿**ثم إذا أذاقهم منه رحمة**﴾ إذا أعطاهم من عنده المطر ﴿**إذا فريق منهم بربهم يشركون**﴾ تركوا توحيد ربهم في الرخاء وقد وحدوه في الضر ﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة العنكبوت. ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا [هذا][(٢)] خطاب تهديد بقوله ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾ حالكم[(٣)] في الآخرة﴿**أم أنزلنا عليهم**﴾على هؤلاء ﴿**سلطاناً**﴾حجة وكتاباً من السماء ﴿**فهو يتكلم [بما كانوا] به يشركون**﴾[(٤)] يقولون من الشرك يعني يأمرهم به وهذا استفهام إنكار أي ليس الأمر على هذا ثم ذكر بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة بقوله ﴿**وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها**﴾ يعني فرح البطر وترك الشكر ﴿**وإن تصبهم سيئة**﴾ شدة وبلاء ﴿**بما قدمت أيديهم**﴾ بما عملوا من السيئات ﴿**إذا هم يقنطون**﴾ قنطوا من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ثم وعظهم فقال ﴿**أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾ والآية ظاهرة.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

قوله: ﴿**فآت ذا القربى حقه**﴾ أي من الصلة والبر ﴿**والمسكين**﴾ قال مقاتل: حقه [أن يتصدق][(٥)] عليه ﴿**وابن السبيل**﴾ يعني الضيافة ﴿**ذلك خير**﴾ اعطاء الحق ﴿**خير**﴾[(٦)] وافضل من الامساك ﴿**للذين يريدون وجه الله**﴾ يطلبون

(١) الطلاق: ١.
(٢) ساقط من هـ.
(٣) في هـ مالكم.
(٤) من أ ولفظه به يشركون ساقط من هـ.
(٥) ساقط من جـ.
(٦) ساقط من د.

بما يعملون ثواب الله ثم نعتهم بقوله ﴿أولئك هم المفلحون﴾ قوله ﴿وما آتيتم من ربا﴾ قال السدي: الربا في هذا الموضع الهدية يهديها الرجل لاخيه يطلب المكافأة فإن ذلك لا يراد عند الله لا يؤجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وروى قتادة عن ابن عباس قال: هي هبة الرجل يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، وهذا قول جماعة المفسرين[١] قال الزجاج: يعني دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، وذلك ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لأن الذي يهبه يستدعي [رد][٢] ما هو أكثر منه وقرأ ابن كثير: أتيتم مقصوراً[٣] وهو يؤول في المعنى إلى قول من[٤] مد كأنه قيل وما جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له كما تقول أتيت خطأ وأتيت صواباً وأتيت قبيحاً إنما هو فعل له وسمي المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا لأن غرضه فيه الاستزادة على ما أعطى فسمي باسم الزيادة وقوله ﴿ليربو في أموال الناس﴾ أي في اجتلاب[٥] أموال الناس واجتذابها وقرأ نافع[٦] لُتربوا بالتاء وضمها أي لتصير ذوي زيادة من أموال الناس بما آتيتم وهو من الربى أي صار ذا زيادة ﴿فلا يربو عند الله﴾ لأنكم قصدتم إلى زيادة العوض ولم تقصدوا البر والقربة ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يضاعف لهم الثواب يعطون الحسنة عشر أمثالها والمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، ثم ذكر ما أصاب الناس بترك التوحيد فقال:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ظهر الفساد﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات ﴿في البر﴾ حيث لا يجري نهر وهو البوادي ﴿والبحر﴾ وهو كل قرية على ماء قال ابن عباس: البحر ما كان من المدائن والقرى على شاطىء نهر ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿ليذيقهم﴾ الله بالجوع في السنين السبع[٧] ﴿بعض الذي عملوا﴾ أي جزاءه ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان وهذا كقوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾[٨] الآية وليس المراد بالبر والبحر في هذه الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر هناك

---

(١) روى ابن جرير هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وذكر في الآية رأياً آخر فقال: إنما عني بهذا الرجل يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه ويخدمه ويعود عليه نفقة لا لطلب أجر من الله تفسير ابن جرير ٢١/٣٠.

(٢) ساقط من أ، جـ وفي هـ يستدعي به ما هو أكبر منه.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٧.

(٤) في هـ إلى قول مركانه.

(٥) في هـ: اجتذاب.

(٦) قراءة (لتربوا) بضم التاء وإسكان الواو لم يقرأ بها نافع وحده، وإنما قرأ بها أيضاً: أبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٧ والنشر ٢/٣٤٤.

(٧) يقصد بذلك ما حدث لأهل مكة من المجاعة والفاقة: فقد روى البخاري في كتاب التفسير سورة آل عمران عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف صحيح البخاري ٦/٤٨ ط الشعب وفي باب الاستسقاء يروي عن ابن مسعود أيضاً أن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء اكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. باب الاستسقاء باب دعاء النبي ﷺ: اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ٢/٣٣ ط الشعب.

(٨) الاعراف: ١٣٠.

القحط بدعاء النبي ﷺ[(١)] ثم خوفهم فقال: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ مسافرين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ لتروا مساكنهم ومنازلهم خاوية وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كانوا مشركين فأهلكوا بكفرهم.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

﴿فأقم وجهك﴾ قال الزجاج: اجعل جهتك اتباع الدين القيم وهو الاسلام المستقيم ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له [من الله]﴾[(٢)] يعني [يوم][(٣)] القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿ومن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطئون لأنفسهم منازلهم، يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيأته ووطأته ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: ليثيبهم الله اكثر من ثواب أعمالهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ لا يثيبهم ولا يثني عليهم [قوله][(٤)].

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني الغيث والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿بأمره ولتبتغوا﴾ في البحر ﴿من فضله﴾ يعني الرزق بالتجارة وكل هذا بالرياح ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم فتوحدونه ثم عزى نبيه فقال: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ عذبنا الذين كذبوهم وكفروا بآياتنا ﴿وكان حقاً علينا﴾ واجباً وجوباً هو أوجبه على نفسه ﴿نصر المؤمنين﴾ إنجاؤهم مع الرسل من عذاب الأمم وفي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على من كذبه ثم أخبر عن صنعه ليعرفوا توحيده فقال:

ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ

---

(١) لا نوافق الواحدي على هذا الرأي، ولابن جرير رأي في هذه الآية أذكره لما فيه من الفائدة يقول: بعد أن ذكر عدة آراء وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبر عند العرب الارض القفار، والبحر: بحران: بحر ملح وبحر عذب فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه ـ الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذباً كان أو ملحاً، وإذ كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الانهار والبحار، فتأويل الكلام إذاً إذا كان الامر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس. اهـ. ابن جرير ٢١/ ٣٢.

(٢) ساقط من جـ.

(٣) ساقط من أ، جـ، هـ.

(٤) ساقط من هـ.

لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو **﴿فيبسطه﴾** الله **﴿في السماء كيف يشاء﴾** إن شاء بسطه[1] مسيرة يوم أو يومين **﴿ويجعله كسفاً﴾** بعد أن بسطه يجعله[2] قطعاً متفرقة **﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾** مفسر في سورة النور **﴿فإذا أصاب به﴾** بالودق **﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾** يفرحون بنزوله **﴿وإن كانوا﴾** وما كانوا **﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾** المطر **﴿من قبله﴾** كرره للتأكيد **﴿لمبلسين﴾** آيسين قانطين من المطر، قوله **﴿فانظر إلى أثر رحمة الله﴾** بعد[3] إنزال المطر انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ويقرأ آثار على الجمع فمن أفرد[4] فلأنه مضاف إلى مفرد، ومن جمع[5] جاز لأن رحمة الله يجوز أن يراد[6] بها الكثرة كما قال ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾[7] قال مقاتل: أثر رحمة الله هو النبت وهو أثر المطر والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه وقوله **﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾** أي كيف يجعلها تنبت بعد أن لم تكن فيها نبت **﴿إن ذلك﴾** الذي فعل ما ترون وهو الله تعالى **﴿لمحيي الموتى﴾** في الآخرة **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** البعث والموت، ثم عاب كافر النعمة والجاهل بأن الله يفعل ما يشاء فقال **﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾** باردة مضرة، والريح إذا أتت بلفظ الإفراد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب[8] الريح: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً[9].

قوله **﴿فرأوه﴾**[10] يعني النبت والزرع الذي كان من أثر رحمة[11] الله **﴿مصفراً﴾** من البرد بعد الخضرة **﴿لظلوا﴾** لصاروا **﴿من بعده﴾** من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلنا[12] عذاباً على زرعهم كفروا نعمي وليس كذا حال المؤمن لأنه لا يستشعر الخيبة والكفران عند الشدة والمنة.

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

---

(١) فيما عدا هـ: يبسطه.

(٢) فيما عدا هـ: فجعله.

(٣) في هـ: يعني.

(٤) قراءة (أثر) بالافراد قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر والكسائي ويعقوب انظر النشر ٢/٣٤٥ والسبعة ص ٥٠٨.

(٥) قراءة (آثار) على الجمع قرأ بها حمزة وابن عامر وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٢/٣٤٥.

(٦) في هـ: به.

(٧) آية (١٨) سورة النمل وآية ١٣٤ إبراهيم.

(٨) في هـ: هبوط.

(٩) قال الهيثمي رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بخيس وهو متروك وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد كتاب الاذكار ما يقول إذا هاجت الرياح ١٠/١٣٥.

(١٠) في هـ: فرأوه مصفراً وهي مكررة.

(١١) في هـ آثار.

(١٢) في هـ: ارسلت.

قوله: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ هذه الآية والتي بعدها مفسرتان في سورة النحل، ثم أخبر عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث في خلق نفسه فقال ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ قال المفسرون: يعني من نطفة والمعنى خلقكم من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾[١] ومعنى ضعف ذلك الماء: أنه قليل، وقرىء بفتح الضاد[٢] قال الفراء: الضم: لغة قريش، والفتح: لغة تميم[٣] والاختيار الضم لما أخبرنا: أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد الحافظ، قال: أنا أبو يحيى الرازي قال: أنا سهل بن عثمان قال، أنا يحيى بن أبي بكير[٤] عن فضيل بن مرزوق عن عطية[٥] قال: قرأت على عبد الله بن عمر: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً [وشيبة][٦] فقال ابن عمر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف [قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً، قرأتها على رسول الله ﷺ ـ كما قرأتها فأخذها علي كما اخذتها عليك[٧]، وقوله:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾][٨] يعني: ضعف الطفولة ﴿قوة﴾ الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ يعني عند الكبر والهرم ﴿وشيبة﴾ وهو مصدر كالشيب ﴿يخلق ما يشاء﴾ أي من ضعف وقوة شيبة وشباب ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء، قوله:

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور ﴿غير ساعة﴾ الا ساعة واحدة قال الله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ يقال: أفك فلان إذا صرف عن الصدق والخير، قال الكلبي: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا، وقال مقاتل: يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث كما كذبوا

---

(١) المرسلات: ٢٠.

(٢) قراءة (ضعف) قرأ بها عاصم وحمزة بفتح الضاد عن المواطن الثلاثة وخالف حفص عاصماً فقد قرأ بضم الضاد كما يقرأ باقي القراء انظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٣٤٥/٢.

(٣) بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عدنان. نهاية الأرب ص ١٨٨ ونص الفراء غير موجود في كتابه المعاني.

(٤) في أ: مرزوي وهو تحريف، وهو: يحيى بن ابي بكير نصر الاسدي القيسي أبو زكريا الكرماني الكوفي ت سنة ٢٠٩ انظر تهذيب التهذيب ١٩٠/١١.

(٥) عطية العوفي وقد مرت ترجمته.

(٦) ساقط من ب.

(٧) رواه أحمد بن المسند ٥٨/٢، ٥٩، وابو داود في كتاب الحروف حديث رقم (٣٩٧٨) ٣٢/٤ والترمذي في أبواب القرآن باب من سورة الروم وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.

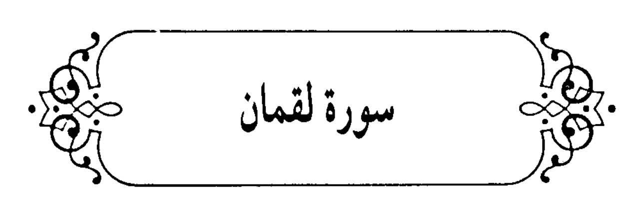
أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة، وقال ابن قتيبة: أي كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل[١]، والمعنى: أراد [الله تعالى][٢] أن بعضهم خلقوا على شيء يتبين لأهل الجمع من المؤمنين أنهم كاذبون في ذلك ويستدلون بكذبهم هناك على كذبهم في الدنيا وكان ذلك من قضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿**يؤفكون**﴾ أي يصرفون يعني: كما صرفوا عن الصدق في خلقهم حين حلفوا كاذبين صرفوا في الدنيا عن الإيمان، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم بقوله ﴿**وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث**﴾ أي لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من اللبث إلى يوم البعث، وقال الزجاج في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، والمفسرون حملوا هذا على التقديم [على تقدير][٣] ﴿**وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله**﴾ وهم الذين يعلمون كتاب الله وقرأ قوله ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[٤] وقوله ﴿**فهذا يوم البعث**﴾ أي اليوم الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون[٥] به ﴿**ولكنكم كنتم لا تعلمون**﴾ وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن يدل على هذا المعنى قوله: ﴿**فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم**﴾ قال ابن عباس لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا عتاب ولا توبة ذلك اليوم وقرىء لا ينفع بالياء[٦] لأن التأنيث ليس بحقيقي في المعذرة وقد وقع الفصل بين الفاعل وفعله فقوي التذكير وقوله ﴿**ولا هم يستعتبون**﴾ لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ احتجاجاً عليهم وتنبيهاً لهم ﴿**ولئن جئتهم بآية**﴾ مثل العصا واليد ﴿**ليقولن الذين كفروا إن أنتم**﴾ ما أنتم يا محمد واصحابك ﴿**إلا مبطلون**﴾ أصحاب اباطيل وهذا إخبار عن عنادهم وتكذيبهم ثم ذكر سبب ذلك فقال ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾ أي كالذي طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون بآية يحتم[٧] الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فكل من لم يعلم توحيد الله فذلك لأجل طبع الله على قلبه ثم أمر نبيه بالصبر إلى وقت النصر بقوله ﴿**فاصبر إن وعد الله**﴾ بنصر دينك واظهارك على عدوك ﴿**حق ولا يستخفنك**﴾ [الذين لا يؤمنون][٨] يقال استخف فلان فلاناً إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه والمفسرون يقولون: لا يستخفن[٩] رأيك وعلمك ﴿**الذين لا يوقنون**﴾ بالبعث والحساب أي هم ضلال شاكون.

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٣.
(٢) ساقط من ب.
(٣) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا القول عن قتادة ٢١/ ٣٧.
(٤) المؤمنون: ١٠٠.
(٥) في هـ: وتكذبونه.
(٦) قراءة (لا ينفع) بالياء، قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٥٠٩ والنشر ٢/ ٣٤٦.
(٧) في هـ بان.
(٨) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.
(٩) في هـ لا يستخفنك.



سورة لقمان

مكيّة وآياتها أربع وثلاثون

أخبرنا سعيد بن محمد بن إبراهيم الحيري أنا أبو عمرو بن مطر[١]، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، أنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: « من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيعاً يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر »[٢]

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ تقدم تفسيره ﴿هدى ورحمة﴾ القراءة بالنصب على الحال، قال الزجاج: المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية الرحمة، وقرأ حمزة بالرفع على إضمار هو[٣]، قال ابن عباس بيان من الضلالة ورحمة من العذاب للموحدين من أمة محمد ﷺ وما بعد هذا مضى فيما تقدم، قوله:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ نزلت في النضر بن الحارث[٤] كان يأتي الحيرة[٥] فيشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود

---

(١) - في هـ أبو عمرو محمد بن جعفر المؤذن

(٢) - حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج ٤٠.

(٣) - انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٦، السبعة (٥١٢)

(٤) - رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس الدر المنثور ٥/١٥٨.

(٥) - الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف معجم البلدان ٢/٣٢٨ وقد روى البيهقي خبر النضر في=

وأنـا أحدثكم حـديث فـارس والـروم وأقرأ عليكم كمـا يقرأ عليكم محمـد أساطيـر الأولين، ومعنى لهـو الحـديث باطـل الحديث، هـذا قول الكلبي ومقـاتـل وأكثـر المفسـرين على أن المـراد بلهـو الحـديث الغنـاء.
أخبـرنـا أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله الفـارسي، أنـا علي بن أحمـد بن محمـد [بـن أحـمـد بـن عـطـية، نا الحـارث بن[1] أبي أسـامة، نا إسماعيل [2] بن عبـاس عن مطـر بن يزيد الكتـاني عن عبيد [3] الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام ولقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى إلا ارتدفه شيطانان يضربان بأرجلهما على ظهره وصدره حتى يسكت[4] وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن مسعود قالوا هو ـ والله ـ الغناء واشتراء المغني والـمغـنية بالـمال أخبـرنـا إسماعيل بـن إبراهـيم النصرآباذي الصوفي أنا إسماعيل بن نجيد أنا محمد بن الحسن بن الخليل، نا هشام بن عمار، نـا محمد بن القـاسم ابن سميـع أنا ابن أبي الـزعيزعة[5] عن نـافـع[6] عن ابن عمر انه سمـع النبي ﷺ في هـذه الآيـة ومن النـاس من يشتري لهو الحديث قال: باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به[7] قال أهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء[8] والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ ورد بالاشتراء لأن هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيراً أخبرنا أبو منصور البغدادي أنا أبو سعيد الخـلال، أنا محمد بن الحسن بن قتيبة[9]، نا إبراهيم[10] بن محمد الفريابي، نا عبد المجيد[11] بن عبيد الأنصاري، نا حماد[12] بن عمرو عن أبي موسى من

= شعب الإيمان عن ابن عباس انظر الدر المنثور ١٥٨/٥.

(١) ـ عن جـ ٩ ـ الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي ولد سنة ١٨٦ وت سنة ٢٨٢ تاريخ بغداد ١١/١٧٠، تذكرة الحفاظ ٢/٦١٠، طبقات الحفاظ (٢٧٢)

(٢) ـ اسماعيل بن عباس بن سليم الحمصي العبسي أبو عتبة ولد سنة ١٢هـ وت سنة ١٨١هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣، طبقات الحفاظ (١٥٨).

(٣) ـ فيما عدا جـ، هـ: عبـد الله وهو تصحيف وفي هـ: زهر وعبيد الله بن زحر الضمري الافريقي تهذيب التهذيب ١٢/٧.

(٤) ـ رواه الطبري في تفسيره ٢١/٣٩، والترمذي في كتاب التفسير سورة لقمان وليس فيه «والذي نفسي بيده . . . الخ» وقال حديث غريب الترمذي ٣٤٥/٥ ط الحلبي، وقد روى هذه الزيادة صاحب الدر المنثور عن ابن أبي الدنيا وابن مردويه الدر ١٥٩/٥.
وقال الهيثمي عن مثله رواه الطبراني بأسانيد ورجال وثقوا وضعفوا مجمع الزوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الشعر والشعراء ولقد قال الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمشركون» نسخة عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد نسخة باطلة، وبين ابن حجر بأن علي بن زيد متروك الحديث الضعفاء والمتروكون (٣١٢)، التقريب ٢/٤٦.

(٥) ـ ابن أبي الزعيزعة: محمد بن أبي الزعيزعة من اذرعات منكر الحديث جداً لا يكتب حديثه انظر الكامل لابن عدي ٦/٢٢١١، ولسان الميزان ١٦٥/٥.

(٦) ـ نافع المدني أبو عبد الله مولى ابن عمر ت سنة ١١٧ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤١٢/١٠ وتاريخ الإسلام ١٠/٥.

(٧) ـ حديث ضعيف ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء والرجال من حديث محمد بن أبي الزعيزعة وهو منكر الحديث انظر الكامل ٢٢١١/٦.

(٨) ـ في ب: واللعب.

(٩) محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني أبو العباس ت سنة ٣١٠ انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٤، طبقات الحفاظ ص ٣٢١.

(١٠) ـ ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي نزيل بيت المقدس انظر الجرج والتعديل ١/١٣١.

(١١) ـ في جـ عبد المجيد

(١٢) ـ حماد بن عمرو أبو اسماعيل النصيبي متروك الحديث انظر: ميزان الاعتدال ٥٩٨/١ والضعفاء للدارقطني ترجمة رقم ١٦٤، والكامل لابن عدي ٢/٦٥٧.

ولد أبي هريرة عن(١) أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ من لها بالغناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل: وما الروحانيون يا رسول الله قال: قراء أهل الجنة(٢) قوله: ﴿**ليضل عن سبيل الله**﴾ قال الزجاج: من قرأ [ليضل] (٣) بضم الياء (٤) فمعناه ليضل غيره وإذا أضل غيره فقد ضل، ومن قرأ بفتح الياء فمعناه ليصير أمره إلى الضلال وهو إن لم يكن بمشتر (٥) لضلالة فإنه يصير أمره إلى ذلك قال قتاده بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث [الحق](٦) ومعنى قوله ﴿**بغير علم**﴾ أي أنه جاهل فيما يفعل فيما لا يفعله عن علم ﴿**ويتخذها**﴾ بالرفع(٧) عطف على يشتري وبالنصب(٨) على ليضل والكناية تعود إما إلى الآيات المذكورة في أول السورة أي ويتخذ آيات القرآن هزؤاً وإما إلى سبيل الله والسبيل تؤنث كقوله ﴿قل هذه سبيلي﴾(٩) وما بعد هذا مفسر في مواضع فيما تقدم إلى قوله:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ أكثر العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً، وقال عكرمة والسدي والشعبي: كان نبياً وفسروا الحكمة ها هنا بالنبوة، قال مجاهد الحكمة ها هنا الفقه والعقل والإصابة في القول وقوله ﴿**أن اشكر**

---

(١) ـ من د فقط.

(٢) ـ حديث ضعيف من هذا الوجه ففي سنده حماد بن عمرو وهو متروك الحديث عند علماء الجرح والتعديل

(٣) ـ من هـ.

(٤) ـ قراءة (ليضل) بضم الياء قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبا عمرو فقد قرءا (ليضل) بفتح الياء انظر النشر ٢/ ٢٩٩.

(٥) ـ في هـ يشتري.

(٦) ـ ساقط من جـ

(٧) ـ في هـ (ويتخذها هزواً) يتخذها رفع، وفيما عدا ب(ويتخذها)رفع وقراءة (يتخذها) بالرفع، قرأ بها ـ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأبو بكر عن عاصم وابن عامر انظر: النشر ٢/ ٣٤٦.

(٨) ـ قراءة (يتخذها) بالنصب قرأ بها يعقوب والكسائي وخلف وحفص من عاصم. انظر النشر ٢/ ٣٤٦

(٩) ـ يوسف: ١٠٨

لله﴾ قال مقاتل: قلنا[١] له أن اشكر لله فيما أعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ ومن يطع الله فإنما يعمل لنفسه ﴿ومن كفر﴾ النعمة فلم يوحده ﴿فإن الله غني﴾ عن عبادة خلقه ﴿حميد﴾ عند خلقه ثم ذكر معنى إعطاء الحكمة فقال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ أي ولقد آتيناه الحكمة إذ قال ﴿وهو يعظه﴾ قال ابن عباس: في الله ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ يقول ليس شيء من الذنوب أعظم من الشرك بالله، وقوله ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ تقدم تفسيره ونزوله[٢] ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ قال الزجاج لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة ﴿وفصاله في عامين﴾ الفصال: الفطام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع وهو ابتداء وخبره في الظرف على تقدير: وفصاله يقع في عامين أن في انقضاء عامين، والمعنى: ذكر مشقة الوالدة بارضاع الولد بعد الوضع عامين ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ قال ابن عباس [المعنى][٣] أطعني وأطع والديك، وقال مقاتل: أن اشكر لي إذ هديتك للإسلام ولوالديك بما أولياك من النعم والمعنى: ووصيناه بشكرنا وشكر والديه ﴿إلي المصير﴾ المرجع والمنقلب أي فأجزيك بعملك ﴿وإن جاهداك﴾ مفسر في سورة العنكبوت إلى قوله ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ أي اصحبها في الدنيا بالمعروف وهو المستحسن ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر[٤] رضي الله عنه وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له آمنت وصدقت محمداً فقال: نعم فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا فأنزل الله تعالى يقول واتبع سبيل من أناب إلي يعني أبا بكر رضي الله عنه قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ قال السدي: قال ابن لقمان لأبيه أرأيت لو كان حبة من خردل في مقل البحر[٥] أكان الله يعلمها فقال: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ قال الزجاج: المعنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من ﴿خردل﴾ قرىء مثقال بالرفع والنصب[٦] فمن نصب فاسم كان مضمر على تقدير إن تكن التي سألت مثقال حبة من خردل ومن رفع مع تأنيث تكن فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردله فهو بمنزلة إن تكن حبة من خردل وتك ها هنا بمعنى يقع ولا خبر له وقوله ﴿فتكن في صخرة﴾ قال السدي :هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض هي تحت سبع[٧] أرضين عليها ملك قائم، وقال قتادة: فتكن في صخرة أي في جبل ﴿يأت بها الله﴾ قال الزجاج: هذا مثل لأعمال العباد وأن الله يأتي بأعمالهم مكتوبة يوم القيامة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٨] وقد قال مقاتل: قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت أرأيت إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمه الله فرد عليه لقمان ما أخبر الله عنه فيكون المعنى: ان تكن الخطيئة مثقال حبة من خردل يأت بها الله للجزاء عليها ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأمر بالمعروف﴾ بالإيمان بالله وطاعته واتباع

---

(١) ـ في هـ: فقلنا.

(٢) ـ أي سبب نزوله

(٣) ـ ساقط من هـ

(٤) ـ أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التميمي سنة ١٣ هـ انظر أسد الغابة ٣/٢٩٩ ط الشعب.

(٥) ـ مقل البحر: موضع المغاص من البحر الذي يغمره الماء لسان العرب فصل الميم حرف اللام.

(٦) ـ قراءة (مثقال) بالنصب قرأ بها: جميع القراء عدا نافع فلقد قرأ (مثقال) بالرفع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٥٤. ولفظ النصب بياض في هـ.

(٧) ـ في هـ: سبعة

(٨) ـ الزلزلة: ٧، ٨

أمره ﴿**وانه عن المنكر**﴾ الشرك والظلم ومعاصي الله ﴿**واصبر على ما أصابك**﴾ فيهما من الأذى ﴿**إن ذلك لمن عزم الأمور**﴾ أي الأمر[1] بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من حق [عزم] [2] الأمور إلى الله بها أي هو الذي يعزم عليها لوجوبها ﴿**ولا تصعر خدك للناس**﴾ وقرىء ولا تصاعر بالألف [3] يقال: صعر خده وصاعر إذا أمال وجهه وأعرض تكبراً يقول: لا تعرض عن الناس تكبراً عليهم، قال ابن عباس: لا تتعظم على خلق الله، وقال قتادة: هو الإعراض عن الناس يكلمك أخوك وأنت عنه معرض متكبر أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن علي المثنى، أنا أبو همام إسحاق بن سليمان، نا جعفر ابن عون، نا أبوجعفر الرازي عن الربيع[4] عن أنس[5] في قوله ولا تصعر خدك للناس قال: يكون الغني والفقير عندك سواء وما بعد هذا مفسر فيما تقدم[6] إلى قوله ﴿**واقصد في مشيك**﴾ يقال قصد فلان في مشيه إذا مشى مشياً مستوياً، قال مقاتل لا تختل في مشيك، وقال عطاء امش بالوقار والسكينة كقوله: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾[7] ﴿**واغضض من صوتك**﴾ قال مقاتل اخفض من صوتك وقال عطاء عن ابن عباس: واغضض من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك، وكذلك وصية الله عز وجل في الانجيل لعيسى ابن مريم: مر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم ﴿**إن أنكر الأصوات**﴾ أقبحها ﴿**لصوت الحمير**﴾ قال قتادة: أقبح الأصوات صوت الحمير، أوله زفير وآخره شهيق وقال المبرد: تأويله: إن الجهر بالصوت ليس بمحمود وإنه داخل في باب المنكر، قال مقاتل يأمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق[8].

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

---

(١) - فيما عدا هـ: أي
(٢) - ساقط من هـ
(٣) - قراءة (ولا تصاعر) بالألف وتخفيف العين قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو عمرو وخلف ونافع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٦.
(٤) - الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني ت سنة ١٣٩ هـ تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.
(٥) - في أ: عن
(٦) - أي في سورة النساء عند قوله ﴿**إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾ النساء: ٣٦.
(٧) - الفرقان: ٦٣.
(٨) - وهذا هو الرأي الذي تصبو إليه النفس ويرتاح إليه القلب وهو الذي يتفق مع تنزيل الآية أما النهي عن رفع الصوت بالدعاء فلا يتفق مع هذا التنزيل.

قوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿وما في الأرض﴾ يعني: الجبال والأنهار والبحار والأشجار والنبت عاماً[١] بعام، قال الزجاج: ومعنى تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها ﴿وأسبغ عليكم﴾ أوسع وأكمل يقال: سبغت[٢] النعمة إذا تمت وأسبغها الله وقوله «نعمةً» وقرىء[٣] نعمه جمعاً ومعنى القراءتين واحد لأن المفرد يدل على الكثرة كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[٤] وقوله ﴿ظاهرة وباطنة﴾ أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال هذه من مخزوني الذي سألت عنها النبي ﷺ قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله من خلقك وما فضل عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساوىء عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس إن الله يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمنين ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له قلة ماله أكفر به عنه خطاياه، والثالثة: سترت مساوىء عمله فلم أفضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم[٥] وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: الظاهرة الإسلام والقرآن وبالباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك[٦] بالنقمة وقال الضحاك: الباطنة المعرفة[٧] والظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، وقوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ مفسر في سورة الحج والآية الثانية مفسرة في سورة البقرة وكذلك الثالثة، وقوله ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ فلا تهتم لكفره فإن رجوعهم إلينا وحسابهم علينا وهو قوله ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ نخبرهم بقبائح أعمالهم لأنها أثبتت عليهم ﴿نمتعهم قليلاً﴾ يعني أيام حياتهم إلى انقضاء آجالهم نمتعهم بما أعطوا من الدنيا ﴿ثم نضطرهم﴾ في الآخرة أي نلجئهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ هو عذاب النار لا يجدون عنها محيصاً ولا ملجأ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله:

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

---

(١) ـ في هـ: علماً

(٢) ـ في هـ: مسعت

(٣) ـ قراءة (نعمه) بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم، أما قراءة (نعمة) باسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والأفراد فقد قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٧.

(٤) ـ ابراهيم: ٣٤، النحل: ١٨

(٥) ـ حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جبير بن سعيد الازدي فقد قال عنه ابن حجر يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة وبين الدارقطني في كتابه الضعفاء أنه متروك انظر تهذيب التهذيب ٢/١٢٤، الضعفاء والمتروكين ص ١٧١.

(٦) ـ في هـ: عليكم.

(٧) ـ في هـ: المعروفة

شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام**﴾ قال قتادة إن المشركين قالوا في القرآن يوشك أن ينفد يوشك أن ينقطع فنزلت هذه الآية يقول: لو كان [ما][١] في الأرض من شجرة بريت أقلاماً وكان البحر مداداً ومعه سبعة أبحر مداداً مثله وهو قوله ﴿**والبحر يمده**﴾ قرىء نصباً[٢] بالعطف على ما ورفعا بالاستئناف كأنه كان قال: والبحر هذه حاله وهي أن تنصب[٣] فيه سبعة أبحر ونزيده بمائها فكتبت بتلك الأقلام لنفد[٤] المداد قبل أن ينفد علم الله وهو قوله ﴿**ما نفدت كلمات الله**﴾ قال جماعة المفسرين: يعني علم الله، والمعنى كلمات الله التي هي عبارة[٥] عن معلوماته ولما كان معلوم الله لا يتناهى[٦] فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عن معلومه لا تتناهى، والآية مختصرة ويكون تقدير الكلام فكتبت بهذه الأقلام البحور [٧] ما نفدت كلمات الله، قوله: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم**﴾ الآية قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة فكيف يبعثنا الله خلقاً جديداً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية يقول ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم جميعاً إلا كبعث نفس واحدة [قال الزجاج: أي قدرة الله على بعث الخلق كلهم وعلى خلقهم كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة][٨] ﴿**إن الله سميع**﴾ لما قالوا من أمر الخلق والبعث ﴿**بصير**﴾ به وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿**ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله**﴾ قال ابن عباس [يريد][٩] أن ذلك كله من نعمة الله عليكم ﴿**ليريكم من آياته**﴾ من صنعه وعجائبه في البحر وابتغاء الرزق ﴿**إن في ذلك لآيات لكل صبار**﴾ عن معاصي الله ﴿**شكور**﴾ لنعمه قال مقاتل: يعني المؤمن ﴿**وإذا غشيهم**﴾ يعني: الكفار يقول إذا علاهم ﴿**موج**﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿**كالظلل**﴾ كالجبال أو السحاب التي تظل من تحتها خافوا الغرق والهلاك فـ ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ وهذا كقوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ [١٠] وكان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل هذا، وهو إخلاصهم الدعاء في البحر أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي رحمه الله أنا محمد بن الحسين [بن الحسن][١١] بن الخليل، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا أحمد بن المفضل، نا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله[١٢] بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي اليسر فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أهل السفينة اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا فقال عكرمة: لئن لم ينجيني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غير الله، اللهم إن لك علي إن أنت عافيتني مما أنا فيه

---

(١) ـ ساقط من هـ

(٢) ـ قراءة (والبحر) بفتح الراء قرأ بها أبو عمرو ويعقوب أما قراءة (والبحر) بضم الراء فقد قرأ بها بقية القراء انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٧

(٣) ـ فيما عدا ب: تنصب

(٤) ـ في هـ: فقد

(٥) ـ في هـ: عبارة

(٦) ـ في هـ: لا تناهى له كذلك

(٧) ـ فيما عدا هـ والبحور.

(٨) ـ ساقط من هـ

(٩) ـ عن ب: هـ

(١٠) ـ العنكبوت: ٦٥

(١١) ـ ساقط عن جـ

(١٢) ـ عبد الله بن خطل أسلم وارتد وقتل يوم الفتح كافراً الكامل لابن الأثير ٢/٢٤٩

أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم [١] أخبرنا أبو نصر المهرجاني أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أنا أبو الربيع [٢] الزهراني، نا حماد بن زيد عن أيوب [٣] عن ابن أبي مليكة قال لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فخب بهم البحر فجعل الناس ومن في السفينة يدعون الله ويستغيثون به فقال: ما هذا؟ فقيل هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله فقال عكرمة وهذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه ارجعوا بنا فرجع فأسلم[٤] وقوله ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ أي من هول ما هم فيه نجاهم حتى أفضوا إلى البر ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: من ثبت على إيمانه ثم ذكر الذي ترك التوحيد في البر يقول ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ غادر بعهده والختر: سوء الغدر وأقبحه ﴿كفور﴾ لله في نعمه ثم خاطب كفار مكة فقال:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ قال ابن عباس كل امرىء يهمه نفسه، وقال مقاتل: لا يغني والد عن ولده شيئاً أي لا ينفعه، يعني: الكفار، وهذا كقوله ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [٥] وقد تقدم ﴿إن وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الإسلام والتزود للآخرة ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ أي يحلم[٦] الله وإمهاله ﴿الغرور﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغر قوله:

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ نزلت في رجل من محارب[٧] أتى النبي ﷺ فقال: ان أرضنا أجدبت فمتى الغيث وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت وقد علمت ما عملت اليوم فما أعمل غدا ومتى الساعة فأنزل الله تعالى[٨] هذه الآية أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدركي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، أنا محمد[٩] بن عثمان بن أبي سويد، أنا أبو حذيفة، نا سفيان عن

---

(١) ـ مغازي الواقدي ٢/٨٢٥

(٢) ـ أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٢٣٤ هـ تاريخ بغداد ٩/٣٨، تذكرة الحفاظ ٢/٤٦٨، العبر ١/٤١٧، طبقات الحفاظ (ص ٢١٣)

(٣) ـ أيوب بن ثابت المكي: تهذيب التهذيب ١/٣٩٩.

(٤) ـ الكامل لابن الأثير ٢/٢٤٨

(٥) ـ البقرة: ٤٨، ١٢٣

(٦) ـ في هـ فعلم

(٧) ـ قبيلة مضارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي ط دار المعارف ص ٢٥٩.

(٨) ـ تفسير الطبري ٢١/٥٥

(٩) ـ محمد بن عثمان بن أبي سويد الذراع البصري الميزان ٣/٦٤١.

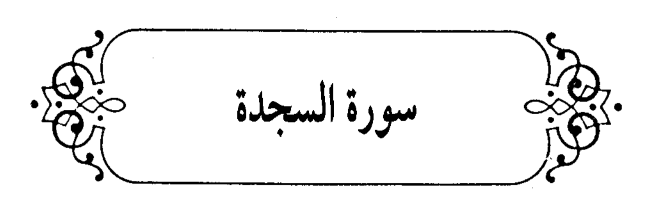
عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ولا يعلم متى[1] تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله» رواه[2] البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان قال قتادة في هذه الآية خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم في أي سنة أو في أي شهر ليلاً أو نهاراً ﴿**وينزل الغيث**﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أم نهاراً ينزل ﴿**ويعلم ما في الأرحام**﴾ لا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أم أسود ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً**﴾ أخيراً أم شراً ﴿**وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾ يقول ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بر [أم في بحر][3] في سهل أم جبل تعالى ربنا وتبارك وقال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى قال الزجاج: فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه.

---

(١) ـ في هـ: ما

(٢) ـ البخاري كتاب التفسير سورة لقمان ٦/١٤٤ ط الشعب
ـ في هـ: ما.

(٣) ـ في هـ أو بحر



سورة السجدة

مكيّة وآياتها ثلاثون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الشروطي، نا أبو إسحاق الأسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك فكأنما أحيا ليلة القدر»(١)

حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، نا عبد الله بن ناجية، نا نضر بن عبد الرحمن الوشاء، نا حفص بن عمر الإمام، نا الحسن بن صالح عن أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ «لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك»(٢)(٣)

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ قال مقاتل: يعني لا شك فيه أنه تنزيل **﴿من رب العالمين أم يقولون [افتراه] بل يقولون﴾**(٤)، يعني: المشركين افتراه محمد من تلقاء نفسه **﴿بل هو﴾** أي القرآن **﴿الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾** يعني: العرب وكانوا أمة أمية لم يأتيهم نذير قبل محمد عليه السلام **﴿لعلهم يهتدون﴾** لكي يرشدوا من الضلالة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

و **﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾** مفسر في سورة الأعراف إلى قوله **﴿ما لكم من دونه من ولي﴾** يعني: الكفار يقول: ليس من دون عذابه من ولي: قريب ينفعكم فيرد عذابه عنكم **﴿ولا شفيع﴾** لكم **﴿أفلا**

---

(١) ـ حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) ـ في النسخة ب: ويقول وهما تفضلان كل سورة من القرآن بسبعين حسنة

(٣) ـ رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/٣٤٠ ط بيروت وليس فيه وهما تفضلان.. الخ كما أن هذه الزيادة في النسخة (ب) فقط.

(٤) ـ ساقط من هـ

تتذكرون﴾ [افلا تتدبرون][(١)]هذا فتؤمنوا، قوله: ﴿**يدبر الأمر**﴾ يعني: أمر الدنيا يدبره الله عز وجل مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر ﴿**من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه**﴾ قال ابن عباس: يرجع إليه [والمعنى][(٢)] يعود الأمر والتدبير حتى ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿**في يوم كان مقداره ألف سنة**﴾ قال ابن عباس: يريد أن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة ﴿**مما تعدون**﴾ من أيام الدنيا وأراد بهذا اليوم يوم القيامة وهذا كقوله ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[(٣)] وقد مر ذلك[(٤)] ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ أي ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وعالم ما حضر ﴿**العزيز**﴾ المنيع في ملكه ﴿**الرحيم**﴾ بأهل طاعته.

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾

﴿**الذي أحسن**﴾ كل شيء خلقه [يعني: أحسن خلق كل شيء][(٥)] قال مقاتل: علم كيف تخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد، وقال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد والإحسان: العلم يقال: فلان يحسن كذا إذا علمه قال صاحب النظم: بيان ذلك: أنه لما طول رجل البهيمة والطائر طول عنقه لئلا يتعذر عليه ما لا بد له من قوته[(٦)] ولو تفاوت ذلك لم يكن له معاش وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدر لما يصلح به معاشه وقرىء خلقه بفتح اللام[(٧)] وهو صفة للنكرة التي هي شيء والمعنى: أتقن وأحكم كل شيء خلقه قال ذلك الكلبي ومجاهد ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ يعني: آدم كان أوله طيناً ﴿**ثم جعل نسله**﴾ ولده وذريته ﴿**من سلالة**﴾ تقدم تفسيرهما ﴿**من ماء مهين**﴾ ضعيف يعني: النطفة ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿**ثم سواه**﴾ سوى خلقه ﴿**ونفخ فيه من روحه**﴾ ثم عاد إلى ذريته فقال ﴿**وجعل لكم**﴾ [يعني من][(٨)] بعد أن كنتم نطفاً ﴿**السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون**﴾ يعني: أنهم لا يشكرون رب هـذه النعم فيوحدونه.

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿**وقالوا**﴾ يعني: منكري البعث ﴿**أإذا ضللنا في الأرض**﴾ هلكنا وصرنا تراباً فلم يَبْقَ شيء من خلقنا ومعنى الضلال في اللغة الغيبوبة يقال: ضل الماء في اللبن وضل الميت في التراب إذا بطل ﴿**أإنا لفي خلق جديد**﴾ استفهام انكار أنكروا إعادتهم بعد الموت قال الله تعالى ﴿**بل هم**﴾ [يعني[(٩)] ﴿**بلقاء ربهم كافرون**﴾][(١٠)] أي بالبعث.

قوله ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت**﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين ﴿**الذي وكل بكم**﴾ قال ابن عباس وكل بقبض أرواحكم. أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، **نا** محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر، نا ابن وهب، نا أبو صخر حميد بن زياد أن يزيد الرقاشي قال سمعت أنس بن مالك يقول: لقي جبريل ملك الموت بنهر بفارس فقال يا ملك الموت كيف

(١ ـ٢) ـ ساقط من هـ

(٣)ـ الحج: ٤٧

(٤)ـ مر ذلك في سورة الحج.

(٥)ـ ساقط من هـ

(٦)ـ ساقط من جـ

(٧)ـ قراءة (خلقه) بفتح اللام، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة وخلف انظر: النشر ٢/٣٤٧.

(٨)ـ ساقط من هـ

(٩)ـ ساقط من جميع النسخ عدا ب

(١٠)ـ في هـ / يعني

تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ها هناعشرون ألف وها هنا كذاوكذا فقال له ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنها بين فخذي فألتقطهم بيدي أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن المفضل أخبرنا عبد المؤمن بن خلف أنا أبوعمارة البغدادي، أنا أحمد بن يونس بن سنان الرقي، نا عبد العزيز بن عبد الصمد العميّ[١] عن أيوب عن عكرمة[٢] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول [وكم بريد بعد بريد[٣]] أنا المخبر[٤] ليس بعد. . . . . خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه تصارخوا عليه فقال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً». وقوله ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ أي تصيرون إليه أحياء فيجزيكم بأعمالكم ثم أخبر عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿ولو ترى﴾ يا محمد **﴿إذ المجرمون﴾** قال مقاتل: يعني كفار مكة **﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾** مطأطئوها حياء وندماً **﴿يقولون** ربنا أبصرنا﴾ ما كنا ننكر **﴿وسمعنا فارجعنا﴾** إلى الدنيا **﴿نعمل صالحاً﴾** نقول لا إله إلا الله **﴿إنا موقنون﴾** قال ابن عباس: اتقوا ذلك اليوم ما كانوا ينكرون في الدنيا، ثم أخبر أنه إنما يؤمن من قدر الله له الإيمان فقال **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾** قال ابن عباس: رشدها وبيانها وهذا كقوله ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾[٥] وقوله: ﴿لو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾[٦] **﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾** يعني كفار الفريقين، قال ابن عباس: يقول هذا قضائي وقدري في ملكي وربوبيتي والقول الذي وجب من الله بملء جهنم قوله لابليس ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[٧] أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار نا سليمان بن أيوب اللخمي نا محمد بن يحيى بن زياد الابزاري الأعلى[٨] بن حماد النبرسي نا

---

(١) ـ عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري أبو عبد الصمد ت سنة ١٨٧هـ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٠، خلاصة تذهيب الكمال (٢٠٣) طبقات الحفاظ (١١٥).

(٢) ـ أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني ولد سنة ٦٦ هـ وتوفي سنة ١٣١ ثقة تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٧.

(٣) ـ ساقط من جـ

(٤) ـ فيما عدا ب المخبر وفي هـ الخبر الذي ليس بعدي.

(٥) ـ يونس: ٩٩

(٦) ـ الأنعام: ٣٥

(٧) ـ ص: ٨٥

(٨) ـ عبد الأعلى بن حماد بن نصر الترسي الباهلي أبو يحيى البصري ت سنة ٢٣٧ هجرية تاريخ بغداد ١١/ ٧٥ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٧ طبقات الحفاظ ٢٠٣

أبو عاصم(١) العباداني نا الفضل(٢) بن عيسى الرقاشي عن الحسن قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله يقول: ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويقول الله عز وجل يا آدم اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمي اني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله عز وجل يا آدم قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم [النار] (٣) إلا ظالماً(٤) قوله ﴿فذوقوا بما نسيتم﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا العذاب بما نسيتم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ بما تركتم الإيمان بيومكم هذا وقال السدي: بما تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الذي لا ينقطع ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا﴾ وعظوا ﴿بها خروا سجداً﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين(٥) ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ وقالوا(٦) سبحان الله وبحمده ﴿وهم لا يستكبرون﴾ ان يعفروا وجوههم ساجدين قوله ﴿تتجافى جنوبهم [عن المضاجع]﴾(٧) ترتفع جنوبهم يقال جفا الشيء عن الشيء وتجافى عنه إذا لم يلزمه ونبا عنه، والمضاجع: جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وهو قول الحسن ومجاهد وعطاء ورواية معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبة، نا جرير عن الحكم وحبيب بن أبي ثابت(٨) عن ميمون بن أبي شبيب(٩) عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك(١٠) وقد أصابنا الحر فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال: لقد سألت عن عظيم

---

(١) ـ أبو عاصم: عبد الله بن عبيد الله العباداني. ميزان الاعتدال ٤/٥٤٣

(٢) ـ الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي أبو عيسى البصري. تهذيب التهذيب ٨/٢٨٣

(٣) ـ ساقط من ب

(٤) ـ رواه الطبراني في المعجم الصغير ٢/٣١

(٥) ـ فيما عدا أ: صاغرين

(٦) ـ فيما عدا هـ: وقالوا

(٧) ـ ليست في ب، هـ.

(٨) حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي أبو يحيى الكوفي انظر تذكرة الحفاظ ١/١١٦، شذرات الذهب ١/١٥٦، طبقات الحفاظ (ص ٤٤).

(٩) ـ ميمون بن أبي شبيب الربعي أبو نصر الكوفي ت سنة ٨٣ هـ تهذيب التهذيب ١٠/٣٨٩

(١٠) ـ وتبوك موضع بين وادي القرى والشام وبينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة حوالي ستة وثلاثون ميلاً معجم البلدان ٢/١٤

وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قلت بلى يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفرالخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع»(١) أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، نا عيسى(٢) بن إبراهيم، نا عفيف (٣) بن سالم الموصلي، نا بكر بن (٤) حبيش عن ربيعة (٥) بن يزيد عن أبي إدريس (٦) الخولاني، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى(٧) الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد(٨)» وقال رضي الله عنه ونزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ(٩) وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر قالا: هي ما بين المغرب وصلاة العشاء صلاة الأوابين، وقال آخرون: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وهو قول مجاهد وعطاء. وقوله ﴿**يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾ قال ابن عباس: خوفاً من النار وطمعاً في الجنة ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ قال الكلبي: في الواجب عليهم والتطوع قوله: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ أي لا يعلم أحد [لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل](١٠) ما خبيء لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم، قال ابن عباس في هذه الآية هذا مما لا تفسير له والأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أنا حاجب بن أحمد، نا محمد بن يحيى نا يزيد بن هارون، أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»(١١) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الخرك، أنا أبو الشيخ الأصبهاني، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال: وقال أبو هريرة: بله ما أطلعكم الله عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال: وكان أبو هريرة يقرؤها من قرات أعين

---

(١) ـ رواه الترمذي في أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث رقم (٢٧٤٩) وابن حنبل في المسند ٥/٢٣١، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير سورة السجدة ٢/٤١٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢) ـ عيسى بن إبراهيم الميزان ٣/٣١٠.

(٣) ـ عفيف بن سالم الموصلي البجلي أبو عمرو ت سنة ١٨٣. تهذيب التهذيب ٧/٢٣٥

(٤) ـ بكر بن حبيش الكوفي العابد. تهذيب التهذيب ١/٤٨١

(٥) ـ ربيعة بن يزيد الإيادي أبو شعيب الدمشقي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/٢٦٤

(٦) ـ أبو ادريس: عائذ الله بن عبد الله بن عمرو العوذي ولد يوم حنين وت سنة ٨٠ هـ تذكرة الحفاظ ١/٥٦، تهذيب التهذيب ٥/٨٥، طبقات الحفاظ (ص ١٨)

(٧) ـ فيما عدا ب: من

(٨) ـ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرُحمن بن أبي الجون تكلم فيه مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب في صلاة الليل ٢/٢٥١، ورواه صاحب المسند ٦/١٢٦.

(٩) ـ روى الترمذي نحوه عن أنس وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال صاحب تحفة الأحوذي قال العراقي وإسناده فيه نظر. انظر تحفة الأحوذي ٩/٥٦ كتاب التفسير سورة مريم حديث رقم ٣٢٤٨.

(١٠) ـ ساقط من هـ

(١١) ـ رواه البخاري في كتاب التفسير سورة السجدة ٦/١٤٥ ط الشعب

رواه البخاري[١] عن إسحاق[٢] بن نصر عن أبي أسامة، ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش، وقرأ حمزة ما أخفي باسكان الياء أي ما أخفي لهم، حجته قراءة عبد الله نخفي بالنون[٣].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً**﴾ نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن أبي معيط وذلك انه جرى بينهما تنازع وسباب فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق تقول الكذب فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقاً لما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال: قال الوليد[بن عقبة][٤]لعلي أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملأ للكتيبة منك فقال له علي اسكت فإنما أنت فاسق فنزلت أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً[٥] قال: يعنى بالمؤمن علي رضي الله عنه، وبالفاسق الوليد بن عقبة وقوله ﴿**لا يستوون**﴾ قال [الزجاج: معنى الاثنين جماعة لذلك][٦] قال: لا يستوون قال قتادة: لا والله ما استووا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة، ثم أخبر عن منازل الفريقين فقال ﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**﴾ الذي يأوي إليه المؤمنون ﴿**نزلاً**﴾ أي معدة لهم وقد سبق تفسيره ﴿**بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا...**﴾ مفسرة في سورة الحج ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى**﴾ قال مقاتل: يعني ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين، وقال ابن مسعود: يعني القتل ببدر وهو قول قتادة والسدي ﴿**دون العذاب الأكبر**﴾ يعني عذاب الآخرة ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ إلى التوحيد والإيمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط ﴿**ومن أظلم**﴾ تقدم تفسيره في سورة الكهف ﴿**ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون**﴾ يعني الذين قتلوا ببدر وعجلت أرواحهم إلى النار.

---

(١) ـ رواه البخاري في كتاب التفسير سورة السجدة ٦/١٤٥ ط الشعب

(٢) ـ اسحاق بن نصر البخاري أبو ابراهيم ت سنة ٢٤٢ هـ تهذيب التهذيب ١/٢٢٩.

(٣) ـ قراءة عبد الله بن مسعود ذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/٣٣٢ وقرأ يعقوب وحمزة باسكان الباء وقرأ الباقون بفتحها السبعة (٥١٦) والنشر ٢/٣٤٧

(٤) ـ ساقط من ب، جـ

(٥) ـ رواه ابن جرير بسنده وفيه رجل لم يسم ٢١/٦٨ ـ وقال صاحب الدر المنثور رواه ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن جرير وابن ابي حاتم الدر المنثور ٥/١٧٤ ط طهران.

(٦) ـ ساقط من ب

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراه ﴿**فلا تكن في مرية من لقائه**﴾ قال المفسرون: وعد محمد ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به [١] وهذا قول مجاهد والكلبي والسدي ﴿**وجعلناه**﴾ يعني الكتاب وهو التوراه ﴿**هدى لبني إسرائيل**﴾ من الضلالة ﴿**وجعلنا منهم**﴾ من بني إسرائيل ﴿**أئمةً**﴾ قادة في الخير ﴿**يهدون بأمرنا**﴾ يدعون الناس إلى طاعة الله بأمر الله يعني الانبياء الذين كانوا فيهم، وقال قتادة: هم غير الانبياء ﴿**لما صبروا**﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، وقرىء لما صبروا[٢] أي لصبرهم ﴿**وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ انها من الله ﴿**إن ربك هو يفصل**﴾ يقضي ويحكم ﴿**بينهم**﴾ يعني الذين كذبوا النبي ﷺ من بني إسرائيل ﴿**يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ من الدين لأنهم اختلفوا فآمن بعضهم وكفر الآخرون، ثم خوف كفار مكة فقال:

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿**أو لم يهد لهم كم أهلكنا**﴾ الآية مفسرة في آخر سورة طه، ثم وعظهم ليحذروا فقال ﴿**أو لم يروا أنا نسوق الماء**﴾ يعني المطر والسيل ﴿**إلى الأرض الجرز**﴾ وهي التي لا تنبت في الشتاء حتى إذا جاء الماء أنبتت ما يأكله الناس والانعام وهو قوله ﴿**فنخرج به زرعاً تأكل منه**...﴾ الآية ﴿**ويقولون**﴾ يعني كفار مكة ﴿**متى هذا الفتح إن كنتم صادقين**﴾ أي والقضاء بين الخلق[٣] وهو يوم البعث يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين فقال الله ﴿**قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم**﴾ لا ينفع الإيمان يوم القضاء بين الخلق ﴿**ولا هم ينظرون**﴾ لا يؤخر العذاب عنهم ولا يمهلون لمعذرة أو توبة أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، نا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، أنا محمد[٤] بن إسحاق الصفّار، نا أحمد بن نصر اللباد، نا عمرو بن طلحة، نا إسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله متى هذا

---

(١) - لقاء موسى بمحمد ﷺ تم في ليلة الإسراء والمعراج في السماء وراجعه موسى عليه السلام عدة مرات في فريضة الصلاة حتى خفضت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة. اخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء.

(٢) - قراءة (لما صبروا) بكسر اللام وتخفيف الميم قرأ بها: حمزة والكسائي ورويس انظر: النشر ٢/٣٤٧.

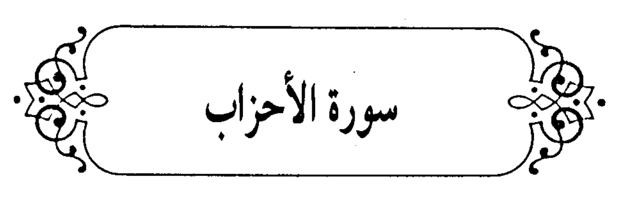
(٣) - (بين الخلق) عن هـ فقط

(٤) - محمد بن اسحاق الصفّار. طبقات الحفاظ (٢٥٦)

الفتح إن كنتم صادقين. ﴿**قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم**﴾ قال: يوم بدر فتح للنبي ﷺ فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت[١] ولا هم ينظرون فأعرض عنهم، قال ابن عباس: نسخته آية السيف ﴿**وانتظر**﴾ موعدي لك يعني نصره على أعدائه ﴿**إنهم منتظرون**﴾ بك حوادث الأزمان من موت أو قتل فيستريحوا منك[٢].

(١) ـ هذا الخبر عن ابن عباس فيه مقال وذلك لأن السدي متروك الحديث.

(٢) ـ ساقط من هـ



سورة الأحزاب

مدنيّة وآياتها ثلاث وسبعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم.

قوله ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ اثبت على تقوى الله ودم عليه ﴿**ولا تطع الكافرين**﴾ يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور السلمي[2] وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة لمن عبدها ﴿**والمنافقين**﴾ عبد الله بن أبي [3] وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ﴿**إن الله كان عليماً**﴾ بما يكون قبل كونه ﴿**حكيماً**﴾ فيما يخلقه ﴿**واتبع ما يوحي إليك من ربك**﴾ يعني القرآن ﴿**إن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ بالياء الكافرين والمنافقين وبالتاء[4] على المخاطبين ﴿**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً**﴾.

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾

﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾ نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان وقاداً ظريفاً [حكيماً][5] لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد

---

(١) ـ حديث موضوع وتراجع أول مريم والحج

(٢) ـ أبو الأعور السلمي: عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد السلمي مشهور بكنيته أسلم بعد حنين أسد الغابة ٦/ ١٥، ٤/ ٢٣٢.

(٣) ـ في هـ بعد ابن أبي: وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر المنافقين عبد الله بن سعد.. الخ.

(٤) ـ قراءة (تعملون) بالتاء، قرأ بها جميع القراء عدا أبا عمرو فقد قرأ وحده (يعملون) بالياء، انظر السبعة ص ٥١٨ والنشر ٢/ ٣٤٦

(٥) ـ ساقط من ب، جـ

فكانت قريش تسميه ذا القلبين[١] وكذبه الله تعالى في ذلك، واخبر أنه ما خلق لأحد قلبين[٢] ﴿**وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون[منهن][٣] أمهاتكم**﴾ يقال: ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته في سورة المجادلة فمن قرأ تظهرون بفتح التاء وتشديد الظاء أراد تتظهرون فأدغم التاء في الظاء[٤] وقرأ عاصم تظاهرون من المظاهرة وقرأ حمزة تظاهرون فحذف تاء تتفاعلون وأدغم ابن عامر هذه التاء التي حذفها حمزة وقرأ بفتح وتشديد الظاء[ثم][٥] أعلم الله أن الزوجة لا تكون أمًّا فقال [﴿**وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم**﴾][٦] أي ما **جعل** نساءكم اللاتي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في التحريم كما تقولون ﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم**﴾ **الأدعياء**: جمع الدعيّ وهو الذي يدعى ابناً لغير أبيه نزلت في زيد بن حارثة تبناه رسول الله ﷺ كالعبادة التي كانت للعرب في الجاهلية فلما تزوج زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه فأنزل الله هذه الآية[٧] إبطالاً لما قالوا تكذيباً لهم أنه ابنه وإخباراً إن الدعي لا يكون ابناً، وقوله: ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**﴾ أي **ادعاءكم** نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة له﴿**والله يقول الحق**﴾وهو انه ما **جعل** الدعي ابناً ﴿**وهو يهدي السبيل**﴾ يدل على طريق الحق ﴿**ادعوهم لابائهم**﴾ انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم ﴿**هو أقسط**﴾ أعدل ﴿**عند الله**﴾ أخبرنا سعيد[٨] بن محمد بن أحمد بن نعيم الاشكابي، أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني، أنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أنا قتيبه بن سعيد، نا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن سالم[٩] عن ابن عمر أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيد[١٠] بن حارثه إلا زيد بن محمد عليه السلام حتى نزل في القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[١١] رواه البخاري عن معلى بن أسد عن عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم**﴾ أي فهم إخوانكم ﴿**في الدين**﴾ يعني من أسلم منهم ﴿**ومواليكم**﴾ وبنو عمكم، قال الزجاج: ويجوز أن يكون ومواليكم وأولياؤكم في الدين ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**﴾ قال قتادة: ولو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الإثم من الذي تعمدت قلوبكم من دعائهم إلى غير آبائهم ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿**رحيماً**﴾ لكم، قوله:

---

(١) - أسد الغابة ١/٣٥١ وجميل: هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح اسلم عام الفتح نسب قريش (٣٩٤)، أسد الغابة ١/٣٥١ ط الشعب.

(٢) - رواه ابن جرير ٢١/٧٤ بدون تسمية لقول القائل

(٣) - ساقط من جـ

(٤) - قراءة (تظهرون) بفتح التاء وتشديد الظاء قرأ بها ابن عامر وانظر السبعة ص ٥١٩ والنشر ٢/٣٤٧ وفيهما أيضاً قراءة عاصم وحمزة التاليتين

(٥-٦) - ساقط من هـ

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ٦/١٤٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل زيد بن حارثة /١٨٨٤ ط الحلبي

(٨) - سعيد بن أحمد بن نعيم بن اشكاب أبو عثمان العبار النيسابوري لسان الميزان ٣/٢٣

(٩) - سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله المدني ت سنة ١٠٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٨٨١، تهذيب التهذيب ٤٣٦٣، طبقات الحفاظ (٣٣)

(١٠) - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الصحابي استشهد سنة ٨ هـ الإصابة ١/٥٦٣، الروض الأنف ١/١٦٤

(١١) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب باختلاف يسير ٦/١٤٥ ط الشعب.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي إذا حكم عليهم بشيء فقد نفذ حكمه ووجبت طاعته عليهم، قال ابن عباس: **إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي أولى من طاعة أنفسهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾** في حرمة نكاحهن فلا يحل لأحد التزوج بواحدة منهن كما لا يحل التزوج بالأم وهذه الامومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من أحكام الامومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه: وأزواجه أمهاتهم في معنى دون معنى وهو أنهن محرمات على التأبيد وما كن محارم في الخلوة والمسافرة[1] وهذا معنى ما روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لها: يا أمه فقالت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن فقط، وعلى هذا لا يجوز أن يقال لبناتهن هنّ أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن أخوال المؤمنين وخالات المؤمنين ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه تزوج الزبير[2] أسماء[3] بنت أبي بكر رضي الله عنه وهي أخت أم المؤمنين[4] ولم يقل وهي خالة المؤمنين وقوله **﴿وأولو الأرحام [بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾]**[5] مفسر في سورة الأنفال إلى قوله **﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾** يعني أن ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان كما كانوا يفعلون قبل النسخ **﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾** استثناء ليس من الأول المعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح الوصية للمعاقدين فيوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه فمعنى المعروف هاهنا الوصية وقوله **﴿كان ذلك﴾** يعني نسخ الميراث بالهجرة ورده إلى ذوي الأرحام من القرابات **﴿في الكتاب مسطوراً﴾** يريد في اللوح المحفوظ مكتوباً، قوله:

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨﴾

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال قتادة أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين خصوصاً أن يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً [وقال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وأن يصدق بعضهم بعضاً][6] وأن ينصحوا لقومهم وقوله **﴿ومنك﴾** أخرجه والأربعة الذين ذكرهم من جملة النبيين تخصيصاً بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وقد ذكر النبي ﷺ معهم لما أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن عثمان البغدادي، نا محمد بن يعقوب بن يوسف، نا أبو عتبة أحمد بن الفرج، نا بقية بن

(١) ـ الأم للإمام الشافعي ١٢٦/٥ باختلاف يسير
(٢) ـ الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة وت سنة ٣٦ هـ
(٣) ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمية ذات النطاقين ماتت بعد والدها بقليل الإصابة ٢٢٩/٤.
(٤) ـ الأم للشافعي ١٢٦/٥
(٥ ـ٦) ـ ساقط من هـ

الوليد، نا محمد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله ومنك ومن نوح قال «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»[(١)] قال الزجاج: وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم كالذر ﴿**وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا، وذلك العهد الشديد هو اليمين بالله عز وجل ﴿**ليسأله الصادقين عن صدقهم**﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين هل بلغوا الرسالة، والمعنى ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم يوم القيامة وتأويل مسألة الرسل والله يعلم انهم لصادقون التبكيت للذين كفروا بهم وتم الكلام ثم أخبر عما أعد للكفار فقال ﴿**وأعد للكافرين**﴾ بالرسل ﴿**عذاباً أليماً**﴾، قوله:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ يذكرهم الله إنعامه عليهم في دفع الاحزاب عنهم من غير قتال ﴿**إذ جاءتكم جنود**﴾ وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق عيينة بن حصن وأبو سفيان ومن معهما من المشركين وقريظة ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً**﴾ وهي الصبا أرسلت على الأحزاب حتى أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم ﴿**وجنوداً لم تروها**﴾ يعني الملائكة أخبرنا عبد الرحمن [بن][(٢)] محمد الزنجاري، أنا أبو عمرو[(٣)] بن ماسي، نا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمر [الحرضي][(٤)]، نا زياد[(٥)] بن عبد الله العامري عن محمد بن إسحاق عن يزيد[(٦)] بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال شاب لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله هل رأيت رسول الله ﷺ قال إي والله لقد رأيته قال: والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض فقال له حذيفة يا ابن أخي أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال بلى قال: والله لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله قام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع [ثم صلى ما شاء الله ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والخوف والجوع][(٧)] فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد بداً من اجابته قلت لبيك قال: اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده تفعل[(٨)] بهم ما تفعل[(٩)] ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله فقال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه؟ قال أبو عمر: يخوفهم[(١٠)] أن يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت من

---

(١) - في مجمع الزوائد أحاديث تدور حول هذا المعنى ٢٢٣/٨ وقال صاحب الدر المنثور: رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل الدر ١٨٤/٥ ط- طهران وقد بين الألباني بأن حديث كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد هو الصحيح سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤/٤/١

(٢) - ساقط من د

(٣) - فيما عدا أبو محمد

(٤) - ساقط من أ، ب، جـ

(٥) - زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري أبو محمد ت سنة ١٨٣ هـ تهذيب التهذيب ٣٧٥/٣

(٦) - يزيد بن زياد وثقه النسائي. الميزان ٤٢٣/٤.

(٧) - ساقط من هـ

(٨ - ٩) - في هـ: يفعل.

(١٠) - في هـ: ليخوفهم

أنت؟ قال: أنا فلان ثم دعا أبو سفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر[(١)] وخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن[(٢)] قدر ثم عجل وركب راحلته وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مرطه[(٣)] فركع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته[(٤)] [ثم أخبر الله عز وجل][(٥)] عن آل الاحزاب من أين جاءوا فقال ﴿**إذ جاؤكم من فوقكم**﴾ من فوق الوادي من قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان[(٦)] ﴿**ومن أسفل منكم**﴾ من قبل المغرب من ناحية مكة أبو سفيان في قريش ومن تبعه ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾ مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾ الحنجرة جوف الحلقوم قال قتادة شخصت عن مكانها فلولا أنه حنتق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت والمعنى ما ذكره الفراء: وهو أنهم جنود جزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة[(٧)] ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قلت يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال قولوا «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»[(٨)] قال فقلناها فضرب الله وجوه أعدائه بالريح وهزموا ﴿**وتظنون بالله الظنون**﴾ أي اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر ورجاء الظفر وبعضكم أيس وقنط قال الحسن: ظنوناً مختلفة ظن المنافقون أنه يستأصل محمد عليه السلام وظن المؤمنون أنه ينصر.

هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾

---

(١) ـ يقصد بقوله: هلك الخف والحافر: خف الجمل وحافر الفرس والمعنى أنهم ذبحوا الجمال لأكلها وهلكت الفرسان لقلة المرعى ولوجودها في ساحة القتال

(٢) ـ في هـ: تطمئن قدر قال ثم عجل. الخ

(٣) ـ المرط: كساء من خزّ أو صوف أو كتان. الصحاح للجوهري باب الميم فصل الطاء.

(٤) ـ رواه الحاكم في كتاب المغازي ٣/٣١ وابن هشام في السيرة ٢/٢٣١ ط الحلبي

(٥) ـ ساقط من هـ

(٦) ـ قبيلة غطفان بن سعد بن قيس بن مضر جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ص (٣٤٠) ط دار المعارف

(٧) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٣٦ بتصرف

(٨) ـ رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/٣ مسند أبي سعيد الخدري.

قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿هنالك﴾ عند ذلك وفي تلك الحال **﴿ابتلي المؤمنون﴾** اختبروا ليتبين المخلص من المنافق **﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾** أزعجوا وحركوا ازعاجاً شديداً وذلك أن الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** قال ابن عباس: إن المنافقين قالوا يوم الخندق إن محمداً يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء **﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** وقال قتادة: قال أناس من المنافقين يعدنا محمد أن يفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله وقال مقاتل: قالوا يعدنا محمد اليمن وفارس والروم ولا نستطيع أن نبرز إلى الخلاء هذا والله الغرور[١] **﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾** قال مقاتل: هم بنو سالم[٢] من المنافقين، وقال السدي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه **﴿يا أهل يثرب﴾** قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض ومدينة الرسول عليه السلام في ناحية[٣] منها **﴿لا مقام لكم﴾** لا مكان لكم تقيمون فيه، وقرأ عاصم بضم الميم[٤] والمعنى: إقامة لكم يقال: أقمت إقامة ومقاماً **﴿فارجعوا﴾** إلى المدينة وذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٥] والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين ثبطوا الناس عن رسول الله ﷺ ليس لكم هاهناموضع إقامة لكثرة العدو وغلبة الأحزاب **﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾** في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة[٦] وبنو سلمة[٧] **﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾** ليست بحريزة قال مجاهد ومقاتل والحسن: قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، وقال قتادة: قالوا إن بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلينا[٨] فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الهرب والفرار فقال تعالى **﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾** ما يريدون إلا فراراً من القتال[٩] ومضرة للمؤمنين قال الزجاج: يقال: عور المكان يعور عوراً وعورة وهو عو وبيوت عورة وعورة وهي مصدر قال الله تعالى **﴿ولو دخلت﴾** المدينة **﴿عليهم﴾** يعني[١٠] هؤلاء الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب **﴿من أقطارها﴾** نواحيها **﴿ثم سئلوا الفتنة لأتوها﴾** يعني الشرك في قول الجميع قال ابن عباس ومقاتل يقول الله تعالى لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمروهم بالشرك لأشركوا وهو قوله لآتوها أي لأعطوهم ما سألوا وقرأ الحجازيون[١١] لأتوها بالقصر أي لفعلوها من

---

(١) ـ رواه ابن هشام عن ابن اسحاق سيرة ابن هشام ٢/٢٢٢ ط الحلبي الدر ٥/٨٦ طهران.
ورواه ابن سعد وابن جرير في تفسيره ٢١/٨٥ وابن أبي حاتم

(٢) ـ بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج جمهرة انساب العرب (ص ٣٥٣)

(٣) ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٤) ـ قراءة عاصم في رواية حفص في السبعة ص ٥٢٠ والنشر ٢/٣٤٨ لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٥) ـ في هامش هـ سلغ: جبل المدينة.

(٦) ـ بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو. جمهرة انساب العرب (ص ٣٤٠)

(٧) ـ بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن مزيد بن جشم بن الخزرج الجمهرة ص ٣٥٨.

(٨) ـ ابن جرير ٢١/٨٥، ابن هشام في السيرة ٣/٢٢٢ ط الحلبي

(٩) ـ في ب، جـ، هـ ونصرة

(١٠) ـ في أ: من

(١١) ـ قراءة (لأتوها) بغير مد قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر. انظر السبعة (ص ٥٢٠) والنشر ٢/٣٤٨.

قولك أتيت الخير أي فعلته ﴿وما تلبثوا بها يسيراً﴾ [(1)] قال قتادة وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، ثم ذكرهم الله تعالى عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ [من قبل الخندق] [(2)] ﴿لا يولون الأدبار من قبل﴾ الخندق[(3)] لا ينهزمون ولا يولون العدو ظهورهم ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ يسألون عنه في الآخرة، ثم أخبر أن الفرار لا يزيدهم في آجالهم فقال: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ قال ابن عباس لأن من حضر أجله مات أو قتل ﴿وإذاً لا تمتعون [إلا قليلاً]﴾ [(4)] [لا تمتعون][(4)] بعد الفرار في الدنيا إلا مدة آجالكم، ثم أخبر أن ما قدر عليهم وأراده بهم لا يدفع عنهم بقوله ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ يجيركم منه ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ خيراً وهو النصر وهذا كله أمر للنبي ﷺ أن يخاطبهم بهذه الأشياء ثم أخبر [الله] [(5)] أنه لا قريب لهم ينفعهم ولا ناصر ينصرهم من دون الله يقول ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾، قوله:

۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ يقال عاقه واعتاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ وذلك أنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم[(6)] أبو سفيان وحزبه فخلوهم[(7)] وتعالوا الينا وهو قوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس﴾ لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إلا قليلاً﴾ إلا رياءً وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة والمعنى: لا ينصرونكم ثم أخبر عن جبنهم فقال: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى [عليه]﴾ [(8)] أي كعين الذي يغشى‌عليه من الموت وهو الذي قرب حاله من الموت وغشيته أسبابه فيذهب ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم [لما يلحقهم][(9)] من الخوف ويقال للميت إذا شخص بصره دارت عينه ودارت حماليق عينه ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ وجاء الأمن والغنيمة ﴿سلقوكم بألسنة حدادٍ﴾ قال الفراء: آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذربة[(10)] يقال سلق فلاناً بلسانه إذا أغلظ [له][(11)] في القول مجاهراً، قال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وأما عند القسمة فأشح قوم وهو قوله ﴿أشحة على الخير﴾ بخلاء بالغنيمة يشاحون[(12)] المؤمنين عند القسمة، ثم أخبر أنهم غير

(١) - ساقط من هـ
(٢) - ساقط من أ، د
(٣) - ساقط من د، هـ
(٤) - ساقط من هـ
(٥) - ساقط من ب، جـ، هـ
(٦) - في هـ لآلهتهم
(٧) رواه ابن جرير في تفسيره ٨٩/٢١٥ وابن ابي حاتم عن قتادة الدر المنثور ٥٨١/٦ ط دار الفكر
(٨) - ساقط من ب
(٩) - ساقط من جـ
(١٠) - الذربة الحدة والفحش في الكلام. الصحاح باب الذال فصل الباء والنص في معاني القرآن للفراء ٣٣٩/٢
(١١) - ساقط من هـ
(١٢) - في هـ يتشاحون

مؤمنين فقال: ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي هم أظهروا الإيمان [فقد] (١) نافقوا ليسوا بمؤمنين ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ قال مقاتل: أبطل الله جهادهم لأنه لم يكن في إيمان ﴿وكان ذلك﴾ الإحباط ﴿على الله يسيراً﴾ ثم أخبر بما دلّ على جبنهم فقال:

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ يحسب المنافقون أن الأحزاب معسكرون(٢) مقيمون من الخوف الذي نزل بهم يحسبون أنهم لم يذهبوا إلى مكة ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ يرجعون إليهم للقتال ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ يتمنوا لو كان في بادية الأعراب خارجون إليهم من الرهبة والبادون خلاف الحاضرين يقال بدا [يبدو بداوة](٣) وبداوة إذا خرج إلى البادية ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أي ودوا لو أنهم بالبعد(٤) منكم يسألون عن أخباركم يقولون: ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ قال الكلبي: إلا رمياً بالحجارة وقال مقاتل: إلا رياء من غير احتساب ثم عاب من كان(٥) بالمدينة بقوله:

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ قال المفسرون: قدوة صالحة ويقال لي في فلان(٦) أسوة حسنة. يقول: لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في تصرفه والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه(٨) فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعل هو وقوله: ﴿لمن كان يرجوا الله﴾ بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين [يعني أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله](٩) [واليوم الاخر](١٠) قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم، وقال مقاتل: يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله ﴿واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [أي ذكراً كثيراً](١١) وذلك إن ذاكر الله متبع(١٢) لأمره بخلاف الغافل عن ذكره، ثم وصف [حال](١٣) المؤمنين عند لقاء الأحزاب بقوله ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ وذلك أن الله تعالى كان قد وعدهم في سورة البقرة بقوله ﴿أم

---

(١) ـ ساقط من د

(٢) ـ الصواب معسكرين مقيمين على أنها مفعول ثاني لحسب

(٣) ـ ساقط من جميع النسخ عدا ب، هـ

(٤) ـ في هـ: البعد

(٥) ـ في هـ: من يخلف بالمدينة

(٦) ـ في أ: بفلان

(٧) ـ في هـ: كان لم يكن برسول الله.. الخ

(٨) ـ هذه العبارة جاءت في هـ مكررة بعد قوله من الثواب والنعيم

(٩) ـ ساقط من جـ، د، هـ

(١٠) ـ حديث قتل عمه وكسر رباعيته وشج حاجبه رواه البخاري في كتاب المغازي باب قتل حمزة، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ١٢٨/٥ ط الشعب ورباعية الإنسان: السن التي بين الثنية والناب الصحاح للجوهري باب العين فصل الدال.

(١١) ـ ساقط من هـ

(١٢) ـ في د كان متبع وليس لها موضع

(١٣) ـ ساقط من هـ

حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾[١] ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم فلما رأى المؤمنون الأحزاب وما أصابهم من الشدة والبلاء ﴿**قالوا هذا ما وعد**﴾ الله ورسوله ﴿**وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً**﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿**وتسليماً**﴾ لأمره قوله:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ يعني ليلة العقبة حين عاهدوا على الإسلام فأقاموا [عليه][٢] بخلاف من كذب في عهده وخان وهم المنافقون ﴿**فمنهم من قضى نحبه**﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب، قال محمد بن إسحاق: فرغ من عمله ورجع إلى الله يعني من استشهد يوم أحد، وقال الحسن: قضى أجله على الوفاء والصدق، قال ابن قتيبة: قضى نحبه أي قتل وأصل النحب النذر كان قوم نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حين يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قد قضى نحبه إذا قتل[٣] أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا الحاطب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، أنا حميد عن أنس أن عمه[٤] غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ مع المشركين لئن أراني الله قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني: المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد دون أحد فقال: أنا معك قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر رواه البخاري[٥] عن محمد[٦] بن سعد الخزاعي عن عبد الأعلى عن حميد، قال المفسرون هذا في حمزة وأصحابه الذين قتلوا بأحد قال ابن عباس: فمن قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر وأصحابه وقال محمد بن إسحاق فمنهم من قضى نحبه قال من استشهد يوم بدر ويوم أحد[٧] ﴿**ومنهم من ينتظر**﴾ ما وعد الله من نصرة أو شهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿**وما بدلوا تبديلاً**﴾ وما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون ﴿**ليجزي الله الصادقين بصدقهم**﴾ أي صدق المؤمنون[٨] في عهودهم ليجزيهم[٩] بصدقهم ﴿**ويعذب المنافقين**﴾ بنقض العهد ﴿إن

---

(١) - البقرة: ٢١٤

(٢) ساقط من أ، ب. وهذا الوفاء بالعهد يشمل الذين بايعوا ليلة العقبة كما يشمل أيضاً الذين لم يبايعوا من المهاجرين والأنصار وينطبق على كل من صدق في الوفاء بالعهد والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٣) - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٩

(٤) - عم أنس: أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي انظر: أسد الغابة ١/١٦٢ ط الشعب.

(٥) - رواه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٢ ط الشعب باختلاف يسير، ومسلم في كتاب الإمارة. باب بيوت الجنة للشهيد ٣/١٥٠٩ ط الحلبي

(٦) - محمد بن سعد بن الوليد الخزاعي أبو عمروت سنة ٢٣٠ تهذيب التهذيب ٩/١٩٠

(٧) - انظر تفسير ابن جرير ٢١/٩٢

(٨) - في هـ: المؤمنين

(٩) - في هـ: ليجزي الله

شاء﴾ قال السدي: يميتهم على النفاق إن شاء فيوجب لهم العذاب فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين إماتتهم على النفاق إن شاء ثم يعذبهم ﴿**أو يتوب عليهم**﴾ فيغفر لهم ليس أنه يجوز أن لا يعذبهم إذا ماتوا على النفاق ﴿**إن الله كان غفوراً**﴾ لمن تاب ﴿**رحيماً**﴾ به، قوله:

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

﴿**ورد الله الذين كفروا**﴾ أي صدهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين يعني الأحزاب ﴿**بغيظهم**﴾ لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ردهم وفيهم غيظهم على المسلمين ﴿**لم ينالوا خيراً**﴾ ما كانوا يريدون من الظفر والمال ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾ بالريح والملائكة التي أرسلت عليهم ﴿**وكان الله قوياً**﴾ في ملكه ﴿**عزيزاً**﴾ في قدرته، ثم ذكر ما فعل باليهود بني قريظة بقوله ﴿**وأنزل الذين ظاهروهم**﴾[١] أعانوا الأحزاب يعني قريظة، وذلك أنهم نقضوا [العهد] [٢] وصاروا يداً واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ والمؤمنين فلما هزم الله المشركين بالريح والملائكة أمر رسول الله ﷺ بالمسير إلى قريظة فسار إليهم وحاصرهم عشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم[٣] فذلك قوله ﴿**وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم**﴾ أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن خالد بن يحيى[٤]، نا بشر بن شعيب عن أبيه[٥] عن الزهري، أنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللامة[٦] واغتسل واستجمر تبدى له جبريل فقال عُذيرك[٧] من محارب ألا أراك قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة فليس الناس السلاح [فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا][٨] نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا إثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حتى جاؤا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين[٩] وقوله: ﴿**من صياصيهم**﴾ قال ابن عباس وقتادة ومقاتل: من حصونهم ﴿**وقذف في قلوبهم**

(١) ـ في هـ: ظاهروهم من أهل الكتاب

(٢) ـ ساقط من هـ

(٣) ـ روى ذلك البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب وفي سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٩ ط الحلبي وتفسير ابن جرير ٩٣/٢١

(٤) ـ فيما عدا ب: خلي

(٥) ـ شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشير الحمصي ت سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢١ شذرات الذهب ١/ ٢٥٧ طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٦) ـ في هـ: السلامة. واللامة: الدرع يتقي به المحارب ضربات السيوف اللسان لام.

(٧) ـ فيما عدا ب: عذيرك

(٨) ـ ساقط من هـ

(٩) ـ رواه البخاري في كتاب المغازي غزوة الخندق ٥/ ١٤٣ ط الشعب ومسلم في كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨٨ =

الرعب﴾ ألقى في قلوبهم الخوف **﴿فريقاً تقتلون﴾** يعني المقاتلة **﴿وتأسرون فريقاً﴾** يعني الذراري **﴿وأورثكم أرضهم وديارهم [وأموالهم]﴾**[١] يعني عقارهم ونخلهم ومنازلهم وأموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء **﴿وأرضاً لم تطؤوها﴾** بأقدامكم بعد وهي مما سيفتحها الله عليكم يعني خيبر[٢] فتحها الله عليكم بعد بني قريظة، وقال قتادة: هي مكة وقال الحسن: هي فارس والروم، وقال عكرمة هي كل أرض يظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة **﴿وكان الله على كل شيءٍ﴾** من القرى أن يفتحها [٣] على المسلمين **﴿قديراً﴾**.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾** قال المفسرون إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من أعراض[٤] الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن[٥] شهراً وأنزل آية التخيير وهي قوله تعالى قل لازواجك وكن يومئذ تسعاً عائشة رضي الله عنها وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وهؤلاء من قريش وصفية الخيبرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المطوعي، أنا محمد بن[٦] محمد بن إسحاق الحافظ، أنا محمد بن معاذ الاهوازي، نا ابن حميد، نا جرير عن اشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ جالساً مع حفصة[٧] فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً قالت نعم قال لها فأبوك إذاً فأرسل إلى عمر[٨] فلما أن دخل عليها قال لها تكلمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً فرجع عمر يده فوجأ وجهها ثم رجع يده فوجأ وجهها[٩] فقال له النبي ﷺ: كف فقال عمر يا عدوة الله النبي[١٠] ﷺ لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتين فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فأنزل الله عز وجل عليه قوله **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله لطيفاً خبيراً﴾** فنزل النبي ﷺ فعرضها عليهن كلهن فقلن نختار الله ورسوله وكان آخر من عرض [عليها][١١] حفصة فقالت يا رسول الله مكان العائذ بك من النار والله لا أعود إلى شيء تكرهه أبداً

= بألفاظ متقاربة والنص في مجمع الزوائد كتاب المغازي غزوة الخندق وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة ٦/١٤٠.

(١) - ساقط من هـ

(٢) - خيبر: مدينة اليهود التي غزاها النبي ﷺ - على بعد أميال من المدينة. معجم البلدان ٢/٤٠٩

(٣) - فيما عدا هـ: يفتحه.

(٤) - فيما عدا هـ: اعراض

(٥) - ايلاء الرسول ﷺ من أزواجه في البخاري كتاب التفسير سورة التحريم ٦/١٩٦ ومسلم في كتاب الطلاق باب الايلاء واعتزال النساء ٢/١١١

(٦) - محمد بن محمد بن إسحاق النيسابوري الحافظ أبو أحمد ت سنة ٣٧٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة تذكرة الحفاظ ٣/٩٧٦، طبقات الحفاظ ص ٣٨٨ تقريب التهذيب ١/٢٣٣ وفي النسخة هـ: محمد بن إسحاق الحافظ

(٧) - حفصة بنت عمر بن الخطاب ت سنة ٤٥ هـ الإصابة ٤/٢٧٤ ط أولى

(٨) - في هـ فكما

(٩) - الوجاء: الضرب والمعنى ضرب وجهها بيده اللسان: وجاء

(١٠) - في هـ: هل النبي

(١١) - ساقط عن هـ

بل أختار الله ورسوله فرضي عنها[١] وقوله ﴿**فتعالين أمتعكن**﴾ يعني متعة الطلاق وقد ذكرناها في سورة البقرة ﴿**وأسرحكن**﴾ يعني الطلاق ﴿**سراحاً جميلاً**﴾ من غير ضرار قال الحسن وقتادة: أمر الله رسوله أن يخير أزواجه بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فأنزل الله قوله ﴿**إن كنتن تردن الحياة الدنيا الآية**﴾ وقوله ﴿**إن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة**﴾ يعني الجنة ﴿**فإن الله أعد للمحسنات منكن**﴾ يعني اللاتي آثرن الآخرة ﴿**أجراً عظيماً**﴾ يعني الجنة فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم فعل سائر أزواجه مثل ما فعلت هي وقلن ما لنا وللدنيا إنما خلقت الدنيا دار فناء والآخرة الباقية والباقية أحب إلينا من الفانية أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الشيرازي، نا محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه الهروي، أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري أنا أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت: فبدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً ولا عليك أن لا تستعجلي[٢] حتى تستأمري أبويك قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، ثم قال: إن الله عز وجل قال ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين**﴾ إلى تمام الآيتين فقلت أي[٣] هاتين استأمر أبوي فإني اخترت الله ورسوله والدار الاخرة[٤] رواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة بن وهب عن يونس عن الزهري قال المفسرون فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقصر رسوله عليهن وأنزل عليه (لا يحل لك النساء من بعد... الآية)[٥] ورفع منزلتهن على سائر النسوة بالتمييز عنهم في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة وهو قوله:

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾

﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة**﴾ قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق ﴿**يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾ يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، والمعنى زيد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله ﴿**نؤتها أجرها مرتين**﴾ وإنما ضوعف عذابهن على الفاحشة لانهن يشاهدن من الزاجر ما يردع عن مواقعة الذنوب ما لا يشاهد غيرهن فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب وقوله ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ قال مقاتل: كان عذابها هيناً على الله ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله**﴾ يطع الله ورسوله ﴿**وتعمل صالحاً**﴾ وقرأ حمزة[٦] بالياء حمل على المعنى وترك لفظه من ﴿**نؤتها أجرها مرتين**﴾ قال مقاتل: مكان كل حسنة ثبتت عشرون حسنة ﴿**وأعتدنا لها رزقاً كريماً**﴾ حسناً وهو الجنة[٧] ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء بقوله:

---

(١) ـ من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف وذلك لضعف ابن حميد أحد رواته

(٢) ـ في هـ: أن تستعجلي

(٣) ـ في هـ: أن هذا

(٤) ـ رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ١٤٦/٦، وفي كتاب الطلاق باب من خير نساءه ٥٥/٧ ط الشعب باختلاف يسير، ومسلم في كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ١١٠٣/٢ ط الحلبي.

(٥) ـ انظر تفسير ابن جرير ١٠٠/٢١

(٦) ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء السبعة (ص ٥٢١) وفي النسخة هـ قرأ حمزة بالياء

(٧) ـ فيما عدا هـ: وهو في الجنة

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ قال الزجاج: لم يقل كواحدة نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وأنا بكن أرحم وثوابكن أعظم **﴿إن اتقيتن﴾** الله وشرط عليهن بالتقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ **﴿فلا تخضعن بالقول﴾** لا ترفقن بالقول ولا تلن الكلام[1] **﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾** زنا وفجور، والمعنى لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى الطمع في موافقتكن به[2]، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة **﴿وقلن قولاً معروفاً﴾** أي ما يوجبه الدين والإسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح وبيان **﴿وقرن في بيوتكن﴾** يقال: وقر يقر وقاراً إذا سكن والأمر منه قر وللنساء قرن مثل عدن وزن وقرأ عاصم بفتح القاف[3] وهو من قررت في المكان أقر كان الأصل أقررت ثم حذفت العين لثقل التضعيف وألقيت حركتها على القاف كقوله **﴿فظلتم﴾**[4]، قال أبو عبيدة: كان أشياخنا من أهل العربية يذكرون القراءة بالفتح وذلك لأن قررت في المكان أقر لا يجوزه كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر[5] ومعناه: الأشرف لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن وهو قوله **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾** التبرج أن تبدي المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره مما يستدعي به شهوة الرجل وأراد بالجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والأولى المتقدمة وذلك أن أهل الجاهلية الأولى تقدموا أمة محمد ﷺ قال قتادة كانت لنساء الجاهلية[6] الأولى مشية تكسّر وتغنّج فنهي هؤلاء عن ذلك وأمرن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في باقي الآية إلى قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت]﴾**[7] ليذهب عنكم الرجس قال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال مقاتل: يعني الإثم الذي يحصل مما نهاهن الله عنه وأمرهن بتركه، معنى الرجس السوء وما يوجب العقوبة والمراد **بأهل البيت** هاهنا نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو قول الكلبي ومقاتل وعكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا الحسن[8] بن علي بن عفان، نا أبو يحيى الحماني عن صالح بن موسى القرشي عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزلت

(١) ـ في أ، ب بالقول ولا تلن بالكلام

(٢) ـ في هـ: مواقفن

(٣) ـ انظر السبعة ص ٥٢١

(٤) ـ الواقعة: ٦٥

(٥) ـ ليست في مجاز القرآن وما في المجاز: القاف مكسورة لأنها من وقرت تقر تقديره وزنت تزن ومعناه من الوقار ومن فتح فإن مجازها من (قرت تقر) تقديره قررت تقر فحذف الراء الثانية فخففها وقد تفعل العرب ذلك.

(٦) ـ في هـ: أهل الجاهلية انظر تفسير ابن جرير ٢٢/٤

(٧) ـ ساقط من هـ

(٨) ـ الحسن بن علي بن عفان العامري أبو محمد الكوفي ت سنة ٢٧٠ انظر تهذيب التهذيب ٢/٣٠١

هذه الآية في نساء النبي ﷺ **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** أخبرنا أبو حليم عقيل بن محمد الجرجاني فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً أخبرنا المعافى [(١)] بن زكريا القاضي، أنا محمد بن جرير، نا ابن حميد، نا يحيى [(٢)] بن واضح، نا الأصبغ بن [(٣)] علقمة عن عكرمة في قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾** قال ليس الذي تذهبون إليه إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق [(٤)] وهؤلاء الذين قالوا هذا القول احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر وهو قوله **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾** وكلاهما خطاب لأزواج النبي ﷺ وإنما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لأن رسول الله ﷺ كان فيهن فقلب للمذكر وقال آخرون: هذا خاص في النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين [(٥)] وهو قول أبي سعيد الخدري أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ [أنا عبد الله بن محمد الحافظ] [(٦)]، نا أحمد بن أبي عاصم، نا أبو الربيع الزهراني، نا عمار [(٧)] بن محمد [الثوري] [(٨)] عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال نزلت في خمسة في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين [(٩)] ثم وعظهن ليتفكرن وامتن عليهن بقوله **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾** يعني القرآن **﴿والحكمة﴾** قال مقاتل: يعني أمره ونهيه في القرآن وقال قتادة: يعني القرآن والسنة [(١٠)] وهذا حثّ لهن على حفظ القرآن والإخبار ومذاكرتهن بهما للإحاطة بحدود الشريعة والخطاب وإن إختص بهن فغيرهن داخل منه لأن مبنى الشريعة على هذين القرآن والسنة وبهما يؤقت على حدود الله ومفترضاته **﴿إن الله كان لطيفاً﴾** بأوليائه **﴿خبيراً﴾** بجميع خلقه.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قوله **﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾** الآية قال قتادة لما ذكر الله أزواج النبي ﷺ دخل نساء [من] [(١١)]

---

(١) - المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد أبو الفرج النهرواني ت سنة ٣٩٠ هـ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٠

(٢) - يحيى بن واضح أبو سليمة الأنصاري تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣

(٣) - الأصبغ بن علقمة بن علي الحنظلي المروزي الجرح والتعديل ٣٢٠١ القسم الأول

(٤) - روى هذا الخبر ابن جرير عن عكرمة ٢٢/٧ وابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس الدر المنثور ٦/٦٠٢ والراجح أن المراد بأهل البيت رسول الله ﷺ وفاطمة والحسن والحسين لما سيأتي بعد ذلك في صحيح مسلم.

(٥) - الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي استشهد سنة ٦١ هـ انظر أسد الغابة ٢/١٨ تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥.

(٦) - ساقط من هـ

(٧) - عمار بن محمد الثوري أبو اليقظان الكوفي ت سنة ١٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٧/٤٠٥

(٨) - ساقط من أ، جـ

(٩) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ - ٤/١٨٨٣ ط الحلبي

(١٠) - فيما عدا هـ: وهذا حتهن.

(١١) - ساقط من جـ

المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء[١] بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت[٢] هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ يعني المخلصين والمخلصات ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ والمصدقين بالتوحيد والمصدقات ﴿والقانتين والقانتات﴾ المطيعين لله فيما أمر ونهى والمطيعات ﴿والصادقين والصادقات﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم ﴿والصابرين﴾ على أمر الله ﴿والصابرات﴾ ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ في الصلاة ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ بالأموال ومما رزقهم الله من الأموال والثمار والمواشي ﴿والصائمين والصائمات﴾ لله [بنية][٣] صادقة ويكون فطرهم من حلال ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ عما لا يحل لهم ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ قال ابن عباس يريد في أدبار الصلوات (وغدوا وعشياً وفي المضاجع) وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله وقال مجاهد: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسني بن علي التاجر، أنا أبو يعقوب يوسف[٤] بن أحمد الصيدلاني بمكة، نا عبد الرحمن بن عبد الله المقرىء، نا عبد الله بن أبي المودة[٥]، نا جعفر بن عون، نا مسعر بن كلام عن علي بن الاقمر[٦] عن الاغر[٧] عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا أيقظ الرجل أهله فتوضيا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيراً (والذاكرات)[٨] أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أنا القاسم بن غانم بن حمدية الاشقر، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أبو أيوب سليمان بن النعمان، نا الحسين بن علوان الكوفي بن حنظلة التميمي عن الضحاك[٩] بن مزاحم عن ابن عباس جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنه فعلم وملء ما علم فإنه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل من ذكر الليل والنهار وكان له غرساً في الجنة وتحاتّت عنه خطاياه كما يتحاتّ ورق الشجرة اليابسة وينظر الله إليه ومن ينظر الله إليه لم يعذبه قوله ﴿أعد الله لهم مغفرةً﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجراً عظيماً﴾ هو الجنة وقوله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية نزلت في عبد الله[١٠] بن جحش وأخته زينب وكانا ابني عمة النبي ﷺ خطب النبي ﷺ زينب لزيد[١١] بن حارثة مولاه وهي تظن أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد

(١) - أسماء بنت عميس بن معد بن حبيب أخت ميمونة بنت الحارث لأمها انظر الاصابة في تمييز الصحابة في ٢٣١/٤ ط أولى.

(٢) - رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أم سلمة ٣٣٥/٦ وهي التي سألت رسول الله ﷺ

(٣) - ساقط من هـ

(٤) - في هـ ابن يوسف

(٥) - في هـ: بن أبي المودة الأنباري

(٦) - علي بن الأقمر بن الحارث بن معاوية بن عمرو بن الحارث الهمداني تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٣.

(٧) - الأغر: سلمان الأغر أبو عبد الله المدني تهذيب التهذيب ٤/ ١٣٩

(٨) - رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل حديث ١٣٣/٥، ٤٢٣/١
حسين بن علوان: سئل بن يحيي بن معين فقال كان كذاباً وجرحه ابن حيان ١/ ٢٤٤

(٩) - في هـ: مجازم وهو تصحيف وتركه النسائي وأبو حاتم والدارقطني انظر الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيبي ١/ ٢٥١.
ومن سند حديث جبريل هذا ترى بأنه حديث ضعيف

(١٠) - عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر ابن عمة النبي ﷺ استشهد يوم أحد أسد الغابة ٣/ ١٩٤.

(١١) - رواه ابن جرير ٢٢/ ٩ والهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه الطبراني باسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب=

كرهت ذلك وأخوها فلما نزلت الآية رضيا وسلما فزوجها رسول الله ﷺ من زيد وقوله:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿**وما كان لمؤمن**﴾ يعني عبد الله ﴿**ولا مؤمنة**﴾ يعني أخته ﴿**إذا قضى الله ورسوله أمراً**﴾ حكما به ﴿**أن يكون لهم**﴾ جمع الكناية لأن المراد بقوله المؤمنة كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا، والخيرة الإختيار، أعلم الله أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله، فلما زوجها رسول الله ﷺ من زيد مكثت عنده حيناً ثم إن النبي ـ ﷺ أتى زيداً فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فوقعت في قلبه فقال: سبحان مقلب القلوب، وفطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبراً تؤذيني بلسانها فقال أمسك عليك زوجك واتق الله فأنزل الله ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه**﴾[١] أي بالهداية والإسلام ﴿**وأنعمت عليه**﴾ بأن أعتقته من الرق وكان زيد من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ بعكاظ[٢] في الجاهلية وأعتقه[٣] وتبناه ﴿**أمسك عليك زوجك واتق الله**﴾ في أمرها فلا تطلقها ﴿**وتخفي في نفسك**﴾ سراً وتضمر في قلبك من إرادة تزوجها ﴿**ما الله مبديه**﴾ مظهره لأصحابك والمعنى: أن النبي ﷺ كتم حبها وأراد تزوجها وأمر زيداً بإمساكها وفي قلبه خلاف ذلك فأظهر الله عليه ما أخفاه بأن قضى طلاقها وزوجها منه وأنزل في ذلك القرآن ولهذا قال ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس المصري، أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد، نا علي بن مسهر عن داود[٤] عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية[٥].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك**﴾إلى آخر الآية رواه مسلم عن محمد بن

= التفسير سورة الأحزاب ٧/٩١ ـ وزيد هو زيد بن شراحيل الكلبي أبو أسامة استشهد يوم مؤتة سنة ٨ هـ تهذيب التهذيب ٣/٤٠٢.

(١) ـ أفردت هذه النقطة بدراسة مستقلة ولكن أورد هنا ما قاله ابن كثير قال ابن كثير ـ ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ها هنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها تفسير ابن كثير ٦/٤٢٠ ط الشعب

(٢) ـ عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانت قبائل العرب تجتمع فيه في شوال من كل سنة وهو بين نخلة والطائف وذي المجاز وخلف جبل عرفة معجم البلدان ٤/١٤٢ ط دار صادر

(٣) ـ الصحيح أن الذي اشتراه حكيم بن حزام ثم اشترته خديجة من سوق عكاظ فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة وهو ابن ثماني سنوات أسد الغابة ترجمة زيد بن حارثة ٢/٢٨١ ط الشعب.

(٤) ـ داود بن عبد الله الأزدي الزعافري أبو العلاء الكوفي تهذيب التهذيب ٣/١٩١

(٥) ـ رواه البخاري في كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء ٩/١٥٢ ط الشعب عن الحسن عن الطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح مجمع الزوائد ٧/٩١

المثنى عن عبد[(١)] الوهاب عن داود وقوله ﴿وتخشى الناس﴾ تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها وذلك أنه كان يريد أن يطلقها من حيث ميل القلب ولكنه خاف قالة الناس، وقال عطاء عن ابن عباس المراد بالناس في هذه الآية اليهود خشي أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه وقوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي هو أولى بأن تخشاه في كل الأحوال وجميع الأمور ليس أنه لم يخش الله في شيء من هذه القصة ولكنه لما ذكر خشيته من الناس ذكر خشية الله وأنه أحق بالخشية منهم وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال كان الله عز وجل قد أعلم نبيه أن زينب تكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها وعلى هذا يجوز أن يكون النبي عليه السلام معاتباً على قوله ﴿أمسك عليك زوجك﴾ مع علمه بإنها ستكون زوجته وكتمانه ما أخبره الله به ويكون قوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي في كتمان ما أخبرك وإنما كتم النبي عليه السلام ذلك لأنه خشي أن يقول لزيد: زوجتك ستكون امرأتي وقوله ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ معنى قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما بالنفس من الشيء، يقال قضى وطراً منها إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها ومنه قول عمر بن[(٢)] أبي ربيعة:

أيها الرابح المجد ابتكاراً   قد قضى من تهامة الأوطارا[(٣)]

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه ثم صار عبارة عن الطلاق ولأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم تعد له فيها حاجة وروى ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشري أرسلني نبي الله عليه السلام - يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ - ودخل عليها بغير إذن لقوله تعالى[(٤)] ﴿زوجناكها﴾ وهذا يدل على أن كل امرأة أراد رسول الله ﷺ نكاحها فهو مستغن عن الولي والشهود وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله عز وجل أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي أنا أبي، نا أبو أحمد[(٥)] محمد بن عبد الوهاب، نا الحسن[(٦)] بن الوليد عن عيسى[(٧)] بن طهمان عن أنس بن مالك قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجني الله من السماء وأولم عليها ﷺ بخبز ولحم[(٨)] رواه البخاري عن خلاد بن[(٩)] يحيى عن عيسى بن طهمان. قال المفسرون: ذكر قضاء الوطر هاهنا بياناً أن امرأة المتبنى تحل وإن وطئها وهو قوله ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته

---

(١) - عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله أبو محمد البصري ولد سنة ١١٠ هـ وت سنة ١٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٦/ ٤٥٠

(٢) - عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب ولد سنة ٢٣ هـ وت سنة ٩٣ هـ الأعلام ٥/ ٥٢ ط دار العلم، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٣

(٣) - البيت في كتاب الكامل للمبرد قاله في أم عمر بنت مروان بن الحكم وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٣ قطعة ٣٧٩ - بشرح محمد محيي الدين

(٤) - رواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت حجش ونزول الحجاب ٢/ ١٠٤٨ ط الحلبي.

(٥) - محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو أحمد الينسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ تهذيب التهذيب ٩/ ٣٢٠.

(٦) - الحسين بن الوليد القرشي أبو علي الينسابوري ت سنة ٢٠٣ هـ تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٤

(٧) - عيسى بن طهمان بن رامة الجشمي أبو بكر البصري ت قبل الستين ومائة تهذيب التهذيب ٨/ ٢١٥

(٨) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ٩/ ١٥٢ ط دار الشعب بألفاظ متقاربة

(٩) - خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/ ١٧٤

لكيلا يظن أن امرأة المتبنى لا يحل نكاحها][(١)] والأدعياء جمع الدعي وهو الذي يدعى إبناً من غير ولادة قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبنى كحرمة الابن فبين الله أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن وهو قوله تعالى ﴿**إذا قضوا منهن وطراً**﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس القصد، وقوله ﴿**وكان أمر الله مفعولاً**﴾ يعني قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً، ثم بين أنه لم يكن عليه حرج في هذا النكاح بقوله ﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له**﴾ قال المفسرون: أحل الله له أي لا حرج عليه فيما أحل الله له ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾ سن الله لمحمد عليه السلام في التوسعة عليه في باب النكاح كسنته في الأنبياء الماضين عليهم يعني داود النبي حين هوي المرأة التي فتن بها جمع الله بينه وبينها كذلك جمع بين زينب ومحمد عليه السلام وهذا قول ابن عباس ومجاهد والكلبي والمقاتلين ﴿**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾ قضاءً مقضياً قال مقاتل: أخبر الله تعالى أن أمر زينب من حكم الله وقدره ثم ذكر الأنبياء الماضين عليهم السلام وأثنى عليهم فقال:

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه**﴾ تحول خشيتهم من الله بينهم وبين المعصية ﴿**ولا يخشون أحداً إلا الله**﴾ لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم ﴿**وكفى بالله حسيباً**﴾ مجازياً[(٢)] لمن يخشاه، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال الناس إن محمداً ﷺ تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم**﴾ يعني أنه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته قال المفسرون: لم يكن أبا أحد لم يلده وقد ولد له ذكور إبراهيم والقاسم[(٣)] والطيب والمطهر ﴿**ولكن رسول الله**﴾ ولكن كان رسول الله ﴿**وخاتم النبيين**﴾ آخرهم فلا نبي بعده، قال ابن عباس [يريد][(٤)] لو لم أختم به النبيين لجعلت له ولداً يكون بعد نبياً، وقرأ عاصم بفتح التاء[(٥)]، قال أبو عبيدة الوجه الكسر لأن التأويل أنه ختمهم فهو خاتمهم ولأنه قال: «أنا خاتم النبيين»[(٦)] لم نسمع أحداً يروي [إلا][(٧)] بكسر التاء ووجه الفتح أن معناه آخر النبيين خاتم الشيء آخره ومنه قوله خاتمه مسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به أخبرنا أبو عبد الله بن [أبي][(٨)] إسحاق أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف بن المفضل، أنا يوسف بن يعقوب القاضي، نا عمر بن مرزوق، أنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة فكل من دخل فنظر إليها قال: ما أحسبها إلا موضع هذه اللبنة قال رسول الله ﷺ فأنا

---

(١) ـ ساقط من هـ

(٢) ـ في د: مجازياً لمن لا يخشاه

(٣) ـ إبراهيم ابن النبي ﷺ ولد له من سريته مارية القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هـ وتوفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً أسد الغابة ١/ ٦٠ أما القاسم والطيب والمطهر أو الطاهر كما في أسد الغابة فقد أنجبتهم له السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل البعثة وكلهم ماتوا قبل الإسلام وبالقاسم كان يكنى رسول الله ﷺ. أسد الغابة ٧/ ٨١ سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧، الاستيعاب ٤/ ١٨١٩.

(٤) ـ ساقط من جـ

(٥) ـ قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها السبعة ص ٥٢٢ والنشر ٢/ ٣٤٨.

(٦) ـ رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ـ ﷺ ـ ٤/ ٢٢٦ بلفظ ختم بي الأنبياء

(٧) ـ في هـ: يروى بكسر التاء

(٨) ـ ساقط من جـ، د، هـ

موضع اللبنة ختم بي[1] الأنبياء رواه البخاري عن محمد[2] بن سنان، ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي[3] كلاهما عن سليم بن حيان.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾ قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبداً، وقال الكلبي: [ويقال] [4] ذكراً كثيراً بالصلوات الخمس، وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال: وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والمحدث أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز [5]، أنا أبو عمر محمد بن أحمد الحيري، أنا علي بن المثنى، نا عمرو بن الحصين نا عبد الله بن عبد الملك القرشي، نا عبد [6] الله بن زيد بن جابر سمعت إسماعيل بن عبيد[7] الله مؤذن مسلمة بن عبدالملك يحدث عن كريمة[8] بنت الحسحاس قالت: حدثنا أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقول ربكم «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[9] وقوله ﴿**وسبحوه بكرة وأصيلاً**﴾ صلوا لله بالغداة والعشي، قال الكلبي: أما بكرة فصلاة الفجر وأما اصيلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قوله ﴿**هو الذي يصلي عليكم**﴾ أي يرحمكم ويغفر لكم ﴿**وملائكته**﴾ قال ابن عباس: يدعون لكم، وقال المقاتلان: ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ﴿**ويخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾ من الشرك والكفر إلى الإيمان يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ قال الكلبي: تجيبهم الملائكة على أبواب الجنة بالسلام فإذا دخلوها حيا بعضهم بعضاً بالسلام وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام، وقال مقاتل تسلم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب عزوجل[وروي][10] عن البراء بن عازب [11] أنه قال يوم يلقون ملك الموت لا

---

(١) ـ رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ ٤/٢٢٦ بألفاظ متقاربة ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/١٧٩ باختلاف يسير.

(٢) ـ محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البصري ت سنة ٢٢٢ هـ تهذيب التهذيب ٩/٢٠٥

(٣) ـ عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن العنبري أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ٦/٢٧٩.

(٤) ـ ساقط من هـ

(٥) ـ في هـ: في هـ: البزار

(٦) ـ في هـ: عبد الرحمن بن يزيد

(٧) ـ اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر أقرم المخزومي مولاهم الدمشقي ولد سنة ٦١ هـ وت سنة ١٣٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٣١٨ وهو في النسخة المطبوعة (بن عبد الله).

(٨) ـ كريمة بنت الحسحاس المزنية قال عنها ابن حجر قالت: ثنا أبو هريرة ونحن في بيت أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» قلت علق البخاري حديثها هذا عن أبي هريرة في كتاب التوحيد وهو أحد الأحاديث المرفوعة التي لم يوصلها في الجامع تهذيب التهذيب ١٢/٤٤٨.

(٩) ـ رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى لا تحرك به لسانك ٩/١٨١

(١٠) ـ ساقط من هـ

(١١) ـ البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي الأنصاري أبو عمر مات أيام مصعب بن الزبير انظر أسد الغابة ١/٢٠٦ ط الشعب.

يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه والمعنى على هذا: تحية المؤمنين ملك الموت يوم يلقونه أن تسلم عليهم وسبق ذكر ملك الموت [في ذكر الملائكة][1] ﴿**وأعد لهم أجراً كريماً**﴾ رزقاً حسناً في الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً**﴾[٢] على أمتك وجميع الأمم بتبليغ الرسالة ﴿**ومبشراً**﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿**ونذيراً**﴾ ومنذراً بالنار لمن كذبك ﴿**وداعياً إلى الله**﴾ إلى توحيده وطاعته ﴿**بإذنه**﴾ قال مقاتل بأمره يعني أنه أمرك بهذا لا أنك[٣] تفعله من قبلك قوله ﴿**وسراجاً منيراً**﴾ أي لمن اتبعك واهتدى بك كالسراج في الظلمة يستضاء به ﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً**﴾ قال مقاتل: يعني الجنة ﴿**ولا تطع الكافرين والمنافقين**﴾ ذكرنا تفسيره في أول السورة ﴿**ودع أذاهم**﴾ قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم، قال الزجاج: تأويله لا تجازهم عليه إلا أن تؤمر فيهم بأمر وهذا منسوخ بآية السيف ﴿**وتوكل على الله**﴾ في كفاية شرهم وأذاهم ﴿**وكفى بالله وكيلاً**﴾ كفى به إذا وكلت إليه الأمر، قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنو إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن**﴾.

أخبرنا إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين، أنا جدي محمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد النصر آباذي نا عبد الرحمن بن بشر، نا علي بن الحسين بن واقد نا أبي[٤]، نا يزيد[٥] النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود وإن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن**﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن. وروى طاووس عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يكون طلاق حتى يكون نكاح، وقال سماك بن[٦] الفضل: إنما النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد قال معمر فصار بهذه الكلمة قاضياً على صنعاء[٧] ﴿**من قبل أن تمسوهن**﴾ أي تجامعوهن ﴿**فما لكم عليهن من عدة**﴾ أسقط الله العدة عن المطلقة قبل الدخول لبراءة رحمها، قال مقاتل إن

(١) ـ ساقط من هـ

(٢) ـ في هـ شاهداً ومبشراً وهي مكررة.

(٣) ـ في هـ لانك.

(٤) ـ الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله ت سنة ١٥٩ هـ تهذيب التهذيب ٢/٢٧٣

(٥) ـ يزيد بن أبي حبيب الأزدي أبو رجاء المصري ت سنة ١٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٢٩ تهذيب التهذيب ١١/٣١٨، طبقات الحفاظ ص ٥٢.

(٦) ـ سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني تهذيب التهذيب ٤/٣٣٥ الجرح والتعديل ٢/٢٨٠

(٧) ـ فيما عدا هـ: بصنعاء.

شاءت تزوجت من يومها، وقوله ﴿**تعتدونها**﴾ أي تحصون عليها العدة بالأقراء أو الأشهر ﴿**فمتعوهن**﴾ قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه والمطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر فإذا لم يفرض لها صداقاً فإنها تستحق المتعة واجبة لها على قول أكثر الناس ﴿**وسرحوهن سراحاً جميلاً**﴾ من غير ضرار، قوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝٥١ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾

﴿**يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك**﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها للنبي ﷺ فقال ﴿**أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**﴾ أي مهورهن يعني اللاتي يتزوجن بصداق ﴿**وما ملكت يمينك**﴾ يعني الجواري التي يملكها ﴿**مما أفاء الله عليك**﴾ رده عليك من الكفار بأن تسبيه فتملكه ﴿**وبنات عمك وبنات عماتك**﴾ يعني نساء قريش ﴿**وبنات خالك وبنات خالاتك**﴾ فتملكهن يعني نساء بني زهره[1] ﴿**اللاتي هاجرن معك**﴾ إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿**وامرأة [مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي**﴾ أي وأحللنا لك امرأة ﴿**مؤمنة]**﴾[2] مصدقة بتوحيد الله وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة لا تحل إن وهبت منه نفسها ﴿**إن أراد النبي أن يستنكحها**﴾ إن آثر النبي نكاحها وأراد ذلك ﴿**خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ خاصة لك دون غيرك، قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال، وهذا من خصائصه في النكاح وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه[3] وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود، ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال ﴿**قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم**﴾ يقول ما أوجبنا عليهم أن لايتزوجوا أكثر من أربع بمهر وولي وشهود فلا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود ﴿**وما ملكت أيمانهم**﴾ ممن يجوز سبيه وحربه فأما من كان له عهد فلا وقوله: ﴿**لكيلا يكون عليك حرج**﴾ ضيق في أمر النكاح ومنع من شيء تريده وهذا فيه تقديم لأن

---

(١) ـ بنو زهرة: هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بطن من قريش نسب قريش ص ٢٥٧ عجالة المبتدي ص ٦٩

(٢) ـ ساقط من هـ

(٣) ـ الأم للشافعي ٥/٣٣ ط الشعب.

المعنى خالصة لك من دون المؤمنين لكيلا يكون عليك حرج أي أحللنا لك ما ذكرنا ليرتفع عنك الحرج ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ للنبي في التزوج بغير مهر ﴿**رحيماً**﴾ به في تحليل ذلك له.

قوله: ﴿**ترجي من تشاء منهن**﴾ نزلت في إباحة النبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تخصيصاً له وتفضيلاً له أباح له أن يجعل لمن أحب منهن يوماً أو أكثر ويعطل من شاء منهن فلا يأتيها فقوله ترجي من تشاء منهن أي تؤخر ثوبة من تشاء من نسائك من غير طلاق وتتركها فلا تأتيها ﴿**وتؤوي إليك من تشاء**﴾ تضمها إليك فتأتيها وكان القسم والتسوية واجباً عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا جدي، أنا محمد بن إسحاق، نا قتيبة، نا جرير عن منصور[١] عن أبي رزين قال: فكان ممن آوى عائشة وأم سلمة[٢] وزينب وحفصة رضي الله عنهن وكان قسمه من نفسه سواء بينهن وكان ممن أرجى سودة[٣] وجويرية[٤] وصفية[٥] وأم حبيبة[٦] وميمونة[٧] وكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا نكون على حالنا[٨] وقوله ﴿**ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك**﴾ إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها إليك فلا لوم ولا عتب ﴿**ذلك أدنى أن تقر أعينهن**﴾ ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذ كان منزلاً من الله عليك ﴿**ويرضين بما آتيتهن كلهن**﴾ بما أعطيتهن من تقريب وإرجاء وإيواء، قال قتادة: إذا علمن إن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن ﴿**والله يعلم ما في قلوبكم**﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن أي إنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت منهن ﴿**وكان الله عليماً**﴾ بخلقه ﴿**حليماً**﴾ عن عقابهم[٩] قوله ﴿**لا يحل لك النساء من بعد**﴾ قال مجاهد: لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ﴿**ولا أن تبدل بهن**﴾ يقول: لا تتبدل[١٠] الكتابيات بالمسلمات يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ﴿**إلا ما ملكت يمينك**﴾ يعني ما ملكت يمينه من الكتابيات حل له أن يتسراهن، وقال معمر والشعبي: لما خيرهن النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك فقصره عليهن وأنزل هذه الآية، وعلى هذا القول معناه: لا يحل لك من النساء سوى هؤلاء اللاتي اخترنا لك وليس لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج بدلها قال الزهري: قبض النبي ﷺ وما نعلمه يتزوج النساء، وقالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء[١١]، وقوله ﴿**ولو أعجبك**

---

(١) ـ منصور بن زاذان الواسطي أبو المغيرة الثقفي ت سنة ١٢٨ هـ تذكرة الحفاظ ١/١٤٠ طبقات الحفاظ ص ٥٨.

(٢) ـ أم سلمة: هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ت سنة ٥٩ هـ الاصابة ٤/٤٢٣ ط أولى.

(٣) ـ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية ت سنة ٥٤ هـ الاصابة ٤/٣٣٨

(٤) ـ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة ت سنة ٥٦ هـ الاصابة ٤/٢٦٥

(٥) ـ صفية بنت حيي بن أخطب من ذرية هارون أم المؤمنين ت سنة ٥٠ هـ الاصابة ٤/٣٤٧

(٦) ـ أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأموية أم المؤمنين ت سنة ٤٤ هـ الاصابة ٤/٣٠٥ ط أولى

(٧) ـ ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين ت سنة ٥١ هـ الاصابة ٤/٤١١

(٨) ـ ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٨

(٩) ـ في هـ عقابهن.

(١٠) في هـ لا تبديل

(١١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الأحزاب حديث رقم ٣٢٦٩ والشافعي في الأم وله رأي في قول عائشة ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء قال: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه في قول الله تبارك وتعالى: (لا يحل لك النساء من بعد... الآية) ثم قال وأحسب قول عائشة أحل له النساء لقول الله تبارك وتعالى: (إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله خالصة لك من دون المؤمنين) فذكر الله عز وجل ما أحل له فذكر أزواجه اللاتي آتى أجورهن وذكر بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها =

حسنهن﴾ أي إن أعجبك جمالهن فليس لك أن تطلق من نسائك وتنكح بدلها امرأة أعجبت بجمالها **﴿إلا ما ملكت يمينك﴾** يعني الولائد، قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية[1] **﴿وكان الله على كل شيء﴾** من أعمال العباد **﴿رقيباً﴾** حافظاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾** أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي أنا الحسين بن علي بن محمد الدارمي أنا محمد بن المسيب[2]، نا الحسين بن سيار الحراني، نا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان قال عن ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بالحجاب لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش فدعا الناس لطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رجال بعدما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومشينا معه حتى بلغ باب حجرة عائشة رضي الله عنها ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس في مكانهم فأنزل الله آية الحجاب[3] رواه مسلم عن عمرو الناقد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه وقوله **﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام﴾** أي يدعو إليه **﴿غير ناظرين﴾** منتظرين **﴿إناه﴾** نضجه وادراكه يقال أنا يأني إناءً إذا حان وقت إدراكه وكانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام فنهوا من ذلك وقوله **﴿ولا مستأنسين لحديث﴾** أي بعد أن تأكلوا كانوا يجلسون أيضاً بعد الطعام يتحدثون طويلاً وكان يؤذيه ذلك ويستحي أي وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا فذلك قوله **﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾** قال الزجاج: كان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرماً منه ويصبر على الأذى في ذلك فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدبا لهم ولمن بعدهم وقوله

= للنبي قال: فدل ذلك على معنيين أحدهما أنه أحل له مع أزواجه من ليس له بزوج يوم أحل له وذلك أنه لم يكن عنده ﷺ من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خالاته امرأة وكان عنده عدد نسوة، وعلى أنه أباح له من العدد ما حظر على غيره. الأم للشافعي ١٢٥/٥ ط الشعب.

ساقط من هـ وفي د، هـ: عبد الله.

(١) ـ مارية القبطية: مولاة رسول الله ﷺ وسريته وأم ولده إبراهيم ت سنة ١٦ هـ وصلى عليها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه انظر ابن سعد ١٥٣/٨. أسد الغابة ٢٦١/٧ في جـ: الرازي

(٢) ـ في د، هـ سعيد وهو: محمد بن المسيب بن اسحاق بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله ت سنة ٣١٥ هـ عن اثنتين وتسعين سنة تذكرة الحفاظ ٧٨٩/٣، شذرات الذهب ٢٧١/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٣١

(٣) ـ رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الأحزاب ١٤٩/٦ ورواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ١٠٤٨/٢.

﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق **﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾** قال مقاتل أمر الله المؤمنين أن لا يكلموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد، نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، نا حميد عن[١] أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب[٢] رواه البخاري[٣] عن مسدد عن يحيى[٤] عن حميد وقوله **﴿ذلكم﴾** أي سؤالكم إياهن من المتاع من وراء حجاب **﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾** من الريبة **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾** ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء **﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾** قال عطاء عن ابن عباس: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لو توفي[٥] رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة رضي الله عنها فأنزل الله ما أنزل «قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة[٦] بن عبيد الله[٧] قال الزجاج أعلم الله أن ذلك محرم بقوله **﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾** أي ذنباً عظيماً ثم أعلمهم أنه يعلم سرهم وعلانيتهم بقوله **﴿إن تبدوا شيئاً﴾** أي تظهروا شيئاً من أمرهن يعني طلحة وذلك أنه لما نزل آية الحجاب قال طلحة يمنعنا محمد ﷺ من الدخول على بنات عمنا يعني عائشة رضي الله عنها وهما من بني تيم[٨] بن مرة[٩] وقوله **﴿أو تخفوه﴾** أي تسروه في أنفسكم وذلك أن نفسه حدثته بتزوج عائشة رضي الله عنها فذلك قوله **﴿ فإن الله كان بكل شيء﴾** من السر والعلانية **﴿عليماً﴾** ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأقارب والأبناء لرسول الله ﷺ ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب[١٠] فأنزل الله تعالى قوله **﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾** أن يرونهن ولا يحتجبن عنهم **﴿ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾** قال ابن عباس: يريد نساء المؤمنين لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن نساء رسول الله ﷺ إن رأينهن **﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾** يعني العبيد والإماء وقد تقدم في سورة النور ذكر من يحل للمرأة أن يراها في قوله **﴿إلا لبعولتهن الآية﴾**[١١] **﴿واتقين الله﴾** أن يراكن غير هؤلاء **﴿إن الله كان على كل شيء﴾** من أعمال بني آدم **﴿شهيداً﴾** لم يغب عنه شيء. قوله تعالى:

---

(١) ـ في أ، ب: بن

(٢) ـ رواه البخاري في كتاب الصلاة ١/١١١، وفي كتاب التفسير سورة البقرة ٦/٣٤ وسورة الأحزاب ٦/١٤٨ ط الشعب، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب ٧/١١٥

(٣) ـ البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري البداية والنهاية ١١/٢٤ تاريخ بغداد ٢/٤، تذكرة الحفاظ ٢/١٣٤ طبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٠

(٤) ـ يحيى بن سعيد القطان التميمي أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تاريخ بغداد ١٤/١٣٥ تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨، طبقات الحفاظ ص ١٢٥.

(٥) ـ لفظة توفي بياض في هـ، وقد أورد الخبر ابن جرير تفسير الآية عن ابن زيد ٢٢/٢٩.

(٦) ـ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التميمي أبو محمد المدني ت سنة ٣٦ هـ عن ستين سنة: تهذيب التهذيب ٥/٢٢

(٧) ـ روى البيهقي قول طلحة في السنن من غير تعيين لقائل السنن: كتاب النكاح باب ما خص به من أزواج أمهات المؤمنين ٧/٦٩ ورواه ابن حاتم وابن مردويه الدر المنثور ٦/٦٤٣ ط الفكر.

(٨) ـ فيما عدا د قيم، وقبيلة تيم هم بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس عجالة المبتدىء (٢٥)

(٩) رواه ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٦/٦٤٣ ط دار الفكر

(١٠) رواه ابن جرير ٢٢/٣٠

(١١) النور: ٣١

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال ابن عباس: يريد إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له بالرحمة، وقال مقاتل: أما صلاة الرب بالمغفرة وأما صلاة الملائكة فالاستغفار له **﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾** ادعوا له بالمغفرة[١] واستغفروا له **﴿وسلموا تسليماً﴾** قولوا السلام عليك أيها النبي والحديث الصحيح الجامع لتفسير هذه الآية ما أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي أنا أبو النضر محمد بن[٢] محمد بن يوسف الفقيه، نا الفضل بن عبد الله بن مسعود، نا مالك بن سليمان، أنا شعبة عن الحكم[٣] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: قلنا يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك قال: «قولوا: اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»[٤] رواه البخاري عن آدم [٥] بن [أبي] إياس ورواه مسلم عن بندار عن غندر كلاهما عن شعبة ومعنى قوله علمنا التسليم عليك ما تقوله في التشهيد سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

أخبرنا أبو سعد بن أبي رشيد العدل أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء، نا محمد بن يحيى الصوفي، نا محمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي[٦] قال سمعت المهدي على منبر البصرة[٧] يقول إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً آثره ﷺ بها من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم فقابلوا نعمة الله بالشكر. أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب نا سهل بن عمار العتكي، نا إبراهيم الزيات عن عبد الحكم عن أنس بن مالك عن أبي طلحة[٨] قال: (دخلت على النبي ﷺ فلم أره أشد استبشاراً منه يومئذ ولا أطيب نفساً قلت يا رسول الله ما رأيت قط أطيب نفساً ولا أشد استبشاراً منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبريل من عندي قال: قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها [عليه][٩] عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات)[١٠]

---

(١) ـ في ب، هـ: بالرحمة

(٢) ـ أبو النصر محمد بن يوسف الفقيه ت سنة ٣٤٤ طبقات الحفاظ ص ٣٦٥ وفي ت أبو النصر بن محمد.

(٣) ـ الحكم بن عتيبة الكندي أبو عبد الله الكوفي ولد سنة ٥٠ هـ وتوفي سنة١١٥ هـ تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تهذيب التهذيب ٢/٤٣٣، طبقات الحفاظ ص٤٤

(٤) ـ رواه البخاري في كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٨/٩٥ط الشعب وفي كتاب التفسير سورة الأحزاب ٦/١٥١ ط الشعب ومسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ بعد التشهد بألفاظ متقاربة ١/٣٠٥ ط الحلبي.

(٥) ـ اسمه آدم بن أبي اياس عبد الرحمن بن محمد أبو الحسن العسقلاني ت سنة ٢٢٠ هـ تهذيب التهذيب ١/١٩٦

(٦) ـ الأصمعي: عبد الملك بن قريب الأصمعي ميزان الاعتدال ٢/٦٦٢.

(٧) ـ البصرة: بالعراق معروفة ومعنى البصرة الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض وسميت بالبصرة لأن أرضها التي بين العقيق وأعلى المريد حجارة رخوة معجم ما استعجم ١/٢٥٤

(٨) ـ أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ت سنة ٥١ هـ أسد الغابة ٢/٢٨٩

(٩) ـ ساقط من د

(١٠) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ـ ﷺ بعد التشهد بألفاظ متقاربة ونص الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند بلفظ أتاني آت من ربي عز وجل ـ المسند ٤/٢٩.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قال المفسرون: هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله [بالولد][١] فقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا رسوله وشجوا وجهه وكسروا رباعتيه وقالوا مجنون شاعر ساحر كذاب ويدل على صحة هذا التفسير ما روي أن النبي ﷺ قال: «ما أجد أصبر على أذى يسمعه من الله أنه يجعل له نـد ويجعل له ولد وهو على ذلك يعافيهم ويعطيهم ويرزقهم»[٢] ومعنى يؤذون الله يخالفون أمره ويعصونه ويصفونه بما هو منزه عنه والله تعالى لا يلحقه أذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقوله ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ يعني القتل والجلاء في الدنيا والعذاب بالنار في الآخرة وهو قوله ﴿وأعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ قال مجاهد: يقعون فيهم بغير ما عملوا يعني يرمونهم بما ليس فيهم، وروي أن رجلاً شتم علقمة فقرأ هذه الآية وقال قتادة والحسن إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يغضب له أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو النيسابوري أنا حمزة بن شبيب المعمري، أنا عمرو بن عبد الله البصري، أنا أحمد بن معاذ السلمي، نا خالد بن[٣] عبد الرحمن المخزومي، نا عمر بن ذر عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي ﷺ على أصحابه فقال: رأيت الليلة عجباً رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال: «هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا» ﴿فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة قال المفسرون: يغطين رؤوسهن[٤] ووجوهن إلا عيناً واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وهو قوله ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ قال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل وكانت النساء يخرجن بالليل لقضاء الحاجة وكان [فساق من فساق][٥] المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذا حرة فتركونا وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا أمة فكابروها وقوله ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي لمن اتبع أمره ﴿رحيماً﴾ به ثم أوعد هؤلاء الفساق فقال ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عن

---

(١) ـ من هنا مطموسة في النسخة هـ.

(٢) ـ رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى أنا الرزاق ذو القوة المتين ١٤١/٩ ط الشعب باختلاف يسير ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ٢١٦٠/٤٠ ط الحلبي باختلاف يسير.

(٣) ـ خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن مسلمة المخزومي المكي ت سنة ٢١٢ هـ تهذيب التهذيب ١٠٣/٣ متروك الحديث انظر التهذيب لابن حجر ٢١٥/١. ومن سند خالد هذا نستطيع أن نحكم بأن حديث جبريل هذا حديث ضعيف.

(٤) ـ إلى هنا ينتهي الطمس في النسخة هـ.

(٥) ـ ساقط من د، هـ.

نفاقهم ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ يعني الفجور وهم الزناة ﴿**والمرجفون في المدينة**﴾ وهم قوم كانوا يوقعون الأخبار بما يكره المؤمنون يقولون قد أتاكم العدو ويقولون لسراياهم قد قتلوا وهزموا ﴿**لنغرينك بهم**﴾ قال ابن عباس: لنسلطنك عليهم والمعنى أمرناك بقتالهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وهو قوله ﴿**ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً**﴾ أي لا يساكنوك في المدينة إلا يسيراً حتى يهلكوا ﴿**ملعونين**﴾ مطرودين مبعدين عن الرحمة ﴿**أينما ثقفوا**﴾ وجدوا وأدركوا ﴿**أخذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾ قال الزجاج: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيث ما ثقفوا ولا يبدل الله سنته فيهم وهو قوله ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾ هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله ﴿**يسألك الناس عن الساعة**﴾ قال الكلبي: سأل أهل مكة النبي ﷺ عن الساعة وعن قيامها فقال الله ﴿**قل إنما علمها عند الله وما يدريك**﴾ أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها؟ أي أنت لا تعرفه ثم قال ﴿**لعل الساعة تكون قريباً**﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا**﴾ أشرافنا وعظماءنا، قال مقاتل: هم المطعمون في غزوة بدر ﴿**فأضلونا**﴾ عن سبيل الهدى، يقرأ سادتنا[1] وكلاهما جمعان، وسادة أحسن، والعرب لا تكاد تقول سادات ثم قالوا: ﴿**ربنا آتهم**﴾ يعنون السادة ﴿**ضعفين من العذاب**﴾ عذبهم مثلي عذابنا ﴿**والعنهم لعناً كبيراً**﴾ يعني اللعن على أثر اللعن أي مرة بعد مرة وقرأ بها عاصم بالياء[2] على وصف اللعن بالكبر، قال الكلبي: يقول عذبهم عذاباً كبيراً، قوله:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾ **قال قتادة وعظ الله المؤمنين ألا تؤذوا محمداً ﷺ** كما آذى بنو اسرائيل موسى وهو ما أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف، نا عبد الرزاق، نا معمر عن همام منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[3] فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع موسى في أثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس قال: فقام الحجر بعدما نظر إليه بنو اسرائيل وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر[4] رواه

(١) ـ قرأ يعقوب وابن عامر (ساداتنا) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقون بالتوحيد ونصب التاء النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٩.

(٢) ـ قرأ عاصم بالباء الموحدة من تحت وعن هاشم روايتان، وقرأ الباقون بالتاء المثلثة النشر ٢/٣٤٩.

(٣) الآدر المنتفخ الخصية. الصحاح للجوهري باب الراء فصل الألف.

(٤) ـ رواه البخاري في كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحده ٧٨/١ ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام ١٨٤١/٤ ط الحلبي.

مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وهذا قول جميع المفسرين وروي آخر عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو ما أخبرنا أبو حليم الجرجاني فيما أجاز لي، أنا المعافى بن زكريا، أنا محمد بن جرير، نا علي بن مسلم الطوسي، نا عباد، نا سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حسباً لنا منك وألين لنا منك وآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك[٥] وقوله: ﴿**وكان عند الله وجيهاً**﴾ يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا وجاه وقدر قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه، وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً**﴾ قال ابن عباس: صواباً، قال الحسن: صادقاً، يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله أمر الله المؤمنين بالتوحيد والتقوى ووعد عليهم أن يصلح أعمالهم فقال: ﴿**يصلح لكم أعمالكم**﴾ قال ابن عباس: يقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يزكي أعمالكم ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ فيما يأمرانه ﴿**فقد فاز فوزاً عظيماً**﴾ قال الخير كله وظفر به قوله:

إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض..**﴾ الآية معنى الأمانة ها هنا في قول جميع المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب روى أبو بكر الهذلي عن الحسن في هذه الآية قال: عرضت الأمانة على السماوات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم فقيل لهن تأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا ثم عرضت على الجبال الشم الشوامخ البواذخ الصلاب الصعاب فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا. فذلك قوله ﴿**فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾ وقال ابن جريج: قالت السماء: يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً وأجريت في الشمس والقمر والنجوم لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وقالت الأرض: جعلتني بساطاً ومهاداً وشققت في الأنهار وأنبتّ في الأشجار لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وإنما كان العرض على أعيان هذه الأشياء بأن ركب الله تعالى فيهن العقل وأفهمهن خطابه حتى فهمن وأنطقهن بالجواب، ومعنى قوله ﴿**أبين أن يحملنها**﴾ أي مخافة وخشية لا معصية ومخالفة والعرض كان تخييراً لا إلزاماً، وقوله

---

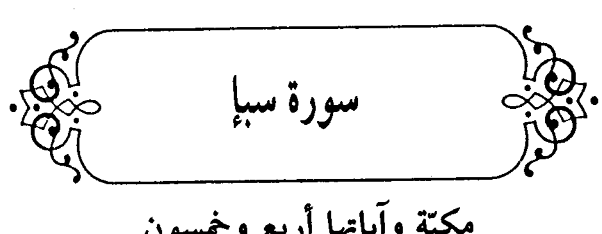
(١) ـ رواه ابن جرير عن علي بن أبي طالب ٢٢/٣٧.

﴿وأشفقن منها﴾ أي خفن من الأمانة أن لا يوفينها فيلحقهن العقاب ﴿وحملها الإنسان﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد آدم عرض الله عليه أداء الفرائض الصلوات الخمس في مواقيتها وأداء الزكاة عند محلها وصيام رمضان وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب فقال: بين أذني وعاتقي، وقال مقاتل بن حيان قال الله: يا آدم أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال آدم ومالي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ووعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك قال: قد رضيت رب وتحملتها فقال الله تعالى: قد حملتكها فذلك قوله ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ قال الكلبي: ظلمه حين عصى ربه فأخرج من الجنة وجهله حين احتملها وقال المقاتلان: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل أخبرنا أحمد بن يعقوب، نا الحسن بن علي بن عفان، نا أسامة عن النضر بن عدي أن رجلاً سأل مجاهداً عن قوله، انا عرضنا الأمانة الآية، فقال مجاهد لما خلق الله السماوات والأرض [والجبال][1] عرض الأمانة عليها فلم تقبلها فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال يا رب وما هي؟ قال إن أحسنت جزيتك وإن أسأت عذبتك، قال قد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل العسكري، نا يعلى بن عبيد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال: إن الله قال لآدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها قال إي رب وما فيها؟ قال إن حفظتها أجرت وإن ضيعتها عذبت، قال فقد حملتها بما فيها، قال فما غبر في الجنة إلا كقدر ما بين الظهر والعصر حتى أخرجه منها ابليس، قال جويبر: فقلت للضحاك وما الأمانة قال الفرائض على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في قليل ولا كثير فمن انتقص شيئاً من الفرائض فقد خان أمانته. قوله ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ إلى قوله ﴿ويتوب﴾ قال المقاتلان: ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذين اقروا به حين اخرجوا من ظهر آدم، وقال الحسن وقتادة: هؤلاء خانوها وهم الذين ظلموها ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ هؤلاء أدوها، وقال ابن قتيبة أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن ويتوب الله عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة فدل أن المؤمن العاصي خارج من العذاب ﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم[2].

---

(١) ـ من هنا خرم في الأصل واعتمدت في موضعه على النسخ الأخرى.

(٢) ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٣٨).



سورة سبإ

مكيّة وآياتها أربع وخمسون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، انا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن عبد الله، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن ابيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً»[1].

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿**الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض**﴾ ملكاً وخلقاً ﴿**وله الحمد في الآخرة**﴾ يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة فقالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾[2] و﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾[3] و﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾[4] ﴿**وهو الحكيم**﴾ في أمره ﴿**الخبير**﴾ بخلقه ﴿**يعلم ما يلج في الأرض**﴾ ما يدخل فيها من مطر أو كنز أو ميت ﴿**وما يخرج منها**﴾ من زرع ونبات ﴿**وما ينزل من السماء**﴾ من مطر أو رزق ﴿**وما يعرج فيها**﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿**وهو الرحيم**﴾ بأوليائه ﴿**الغفور**﴾ لذنوبهم.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

﴿**وقال الذين كفروا**﴾ يعني منكري البعث ﴿**لا تأتينا الساعة قل: بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب**﴾ وقرأ حمزة[5] علام الغيب على المبالغة كقوله ﴿علام الغيوب﴾[6] وباقي الآية مفسرة في سورة

---

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) - الزمر: ٧٤

(٣) - الأعراف: ٤٣

(٤) - فاطر: ٣٤

(٥) - السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٦)

(٦) - المائدة: ١٠٩

يونس ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ أي لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا، ثم بين جزاء الفريقين فقال ﴿أولئك﴾ يعني الذين آمنوا ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ حسن يعني في الجنة ﴿والذين سعوا﴾ مفسر في سورة الحج ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ قرىء بالرفع[1] على نعت العذاب وبالخفض على نعت الرجز والرجز العذاب ذكرنا ذلك ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ ويعلم الذين أوتوا العلم بالله يعني مؤمني أهل الكتاب وقال قتادة يعني أصحاب رسول الله ﷺ ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ يعني القرآن ﴿وهو الحق﴾ هو فضل عند المبصرين كقوله ﴿هو خير لهم﴾ ﴿ويهدي﴾ يعني القرآن ﴿إلى صراط﴾ دين ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ عند خلقه.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً وهو قوله ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع، والممزق ها هنا مصدر بمعنى التمزيق قال ابن عباس: إذا متم وبليتم، وقال مقاتل: إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي يجدد خلقكم بأن تبعثوا وتنشروا ﴿أفترى على الله كذباً﴾ هذا أيضاً من قول الكفار بعضهم لبعض قالوا: أفترى محمد على الله كذباً حين زعم انا نبعث بعد الموت والألف في أفترى ألف الاستفهام وهو استفهام تعجب وانكار. وقوله ﴿أم به جنة﴾ يقولون أيزعم كذباً أم به جنة؟ فرد الله عليهم فقال ﴿بل﴾ ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هؤلاء الذي لا يؤمنون بالبعث ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا ثم وعظهم ليعتبروا فقال ﴿أولم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ وذلك أن الإنسان حيث نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والمعنى: أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم وأنا القادر عليهم إن شئت خسفت الأرض بهم وإن شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائي وهو قوله ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ وأدغم الكسائي وحده الفاء في الباء[2] في قوله ﴿نخسف بهم الأرض﴾ قال أبو علي الفارسي: وذلك غير جائز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا فانحدر الصوت إلى الفم حيث اتصلت بمخرج الثاء ولهذا جاز ابدال الثاء بالفاء في نحو الحدث والجدف المقاربة بينهما فلم يجز ادغامه في الباء كما لا يجوز ادغام الباء فيه لزيادة صوت الفاء على صوت الباء، وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ترون من السماء والأرض ﴿لآية﴾ تدل على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لكل عبد منيب﴾ أياب إلى الله وحده ورجع إلى طاعته وتأمل ما خلق.

---

(١) ـ قراءة (أليم) بالرفع قرأ بها: ابن كثير وعاصم في رواية حفص، أما قراءة (أليم) بالخفض فقد قرأ بها: بقية القراء وأبو عاصم. انظر السبعة ص ٥٢٦ والنشر ٢/٣٤٠

(٢) ـ السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٧)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله ﴿**ولقد آتينا داود منا فضلاً**﴾ يعني النبوة والكتاب وما أعطي من الملك في الدنيا ﴿**يا جبال**﴾ أي وقلنا يا جبال ﴿**أوبي معه**﴾ سبحي معه وكان إذا سبح داود سبحت الجبال معه[١]، وقوله ﴿**والطير**﴾ عطف على موضع الجبال لأن كل منادى في موضع نصب، قال ابن عباس: وكانت الطير تسبح معه إذا سبح[٢] ﴿**وألنّا له الحديد**﴾ حتى صار عنده مثل الشمع وكان يأخذ بيده فيصير كأنه عجين فكان يعمل به ما يشاء من غير نار ولا قرع وهو قوله: ﴿**أن اعمل سابغات**﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض، قال قتادة: وكان أول من عملها وإنما كانت قبله صفائح من الحديد ﴿**وقدر في السرد**﴾ والسرد: نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد يبدل من السين زاياً، والمعنى: لا يجعل المسامير دقاقاً فتفلق ولا غلاظاً فتكثر الحلق هذا قول أهل التأويل. أخبرني سعيد بن العباس القرشي فيما أجاز لي أخبرني العباس بن الفضل بن زكريا، انا أحمد بن نجده القرشي، نا سعيد بن منصور، نا عبد الرزاق، نا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿**وقدر في السرد**﴾ قال: لا تدقق المسامير وتوسع الحلقة فتقسى ولا تغلظ المسامير وتضيق الحلق فينقصم اجعله قدراً[٣]، قال مقاتل: ثم قال الله لآل داود ﴿**اعملوا صالحاً**﴾ قال ابن عباس: اشكروا الله بما هو أهله ﴿**إني بما تعملون بصير**﴾ ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة فقال:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

﴿**ولسليمان الريح**﴾ قال الفراء: نصب الريح على وسخرنا لسليمان الريح ورفع عاصم[٤] لما لم يظهر التسخير على معنى: وله تسخير الريح فالرفع يؤول إلى معنى النصب وقوله ﴿**غدوها شهر ورواحها شهر**﴾ أي سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ورواحها شهر، والمعنى: انها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرية للراكب، قال الحسن: تغدو من دمشق[٥] فتقيل باصطخر[٦] وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم تروح من اصطخر فتبيت بكابل[٧] وبينهما مسيرة شهر للمسرع ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾ أذبنا له عين النحاس، قال المفسرون: اجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان، والقطر النحاس الذائب[٨] ﴿**ومن الجن من يعمل**

(١ ـ ٢ ـ ٣) ـ ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وغيره ٢٢/٤٦، ٤٧.

(٤) ـ قراءة (الريح) بالرفع قرأ بها عاصم في رواية أبي بكر أما حفص فقد روي عنه الريح بالنصب كباقي القراء. انظر السبعة ص ٥٢٧ ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٥٦.

(٥) ـ دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام. معجم البلدان ٢/٤٦٣

(٦) ـ اصطخر: بلدة من بلاد الفرس (ايران حالياً) معجم البلدان ١/٢١١ وانظر ابن جرير والطبري فقد روى هذه الأخبار في تفسيره ٢٢/٤٩

(٧) ـ كابل: اسم يشمل الناحية بين الهند ونواحي سجستان (هو كابول حالياً عاصمة افغانستان) معجم البلدان ٤/٤٢٦

(٨) ـ انظر تفسير ابن جرير ١٢/٤٩

بين يديه بإذن ربه﴾ أي بأمر ربه قال ابن عباس: سخرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به **﴿ومن يزغ﴾** يعدل **﴿منهم﴾** من الجن **﴿عن أمرنا﴾** له بطاعة سليمان **﴿نذقه من عذاب السعير﴾** في الآخرة وهو أن الله تعالى وكل ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته، والمفسرون على أن هذه الإذاقة من عذاب السعير في الآخرة[١] **﴿يعملون له﴾** لسليمان **﴿ما يشاء من محاريب﴾** من الأبنية الرفيعة والقصور، قال المفسرون فبنوا له الأبنية العجيبة باليمن صرواح ومرواح وقلثون[٢] وهندة وهنيدة وقلثوم وعمدان وبيتون وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين وقوله **﴿وتماثيل﴾** جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء يعني صوراً من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها قالوا: وهي صور الأنبياء والملائكة كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وهذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان[٣] **﴿وجفان﴾** جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة **﴿كالجوابي﴾** جمع الجبية وهي الحوض الكبير يجبي الماء أي يجمعه قال المفسرون: يعني قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون[٤] منها **﴿وقدور راسيات﴾** ثابتات لها قوائم لا يخرجن عن أماكنها وكانت بأرض اليمن تتخذ من الجبال ثم قال: **﴿اعملوا آل داود شكراً﴾** أي وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾** العامل بطاعتي شكراً لنعمتي، قوله:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ قال المفسرون كانت الإنس في زمان سليمان تقول إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد فلما مات سليمان مكث على عصاه حولاً ميتاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً فعلموا بموته وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب فذلك قوله تعالى: **﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾** يعني الأرضة **﴿تأكل منسأته﴾** يعني عصاه[٥] قال الزجاج: المنسأة التي ينسأ بها أي يطرد ويزجر وأكثر القراء على همزة المنسأة وقرأ أبو عمرو[٦] بغير همز قال المبرد بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً يقولون منساة وأنشد:

إذا دببت على المنساة من كبر   فقد تباعد عنك اللهو والغزل[٧]

وقوله **﴿فلما خر﴾**[٨] أي سقط ميتاً **﴿تبينت الجن﴾** أي ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ولو كانوا

---

(١) - إلى هنا وينتهي الخرم في النسخة (أ) ويبدو أنها ورقة واحدة فقدت أثناء تداول النسخة.

(٢) - في هـ وينون.

(٣) - يقصد بالتصوير هنا صنع التماثيل لا التصوير المعروف في زماننا هذا

(٤) - انظر تفسير ابن جرير ٢٠/٥٠

(٥) - انظر تفسير ابن جرير ٢٢/٥١

(٦) - قرأ أبو عمرو ونافع بغير همز السبعة (ص ٥٢٧)

(٧) - البيت في لسان العرب مادة نسأ ١/١٦٤ ط بولاق وما في اللسان من هرم بدل من كبر وهو غير منسوب لقائل، وتفسير ابن جرير الطبري ٢٢/٥١

(٨) - في هـ فلما خر المنساة وليس لها موضع.

يعلمون به ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون أنه حي، قال مقاتل: العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)﴾

قوله ﴿لقد كان لسبأ﴾ أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، انا أبو عمرو بن مطر، نا أبو خليفة، نا أبو همام، نا إبراهيم بن طهمان عن أبي حيان عن يحيى[١] بن هانىء عن فروة[٢] بن مسيك قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالازد[٣] وكندة[٤] ومذحج[٥] والاشعرون[٦] وانمار[٧] منهم بجيلة[٨] وأما الذين تشاءموا فعاملة[٩] وغسان[١٠] ولخم[١١] وجذام[١٢] والمراد بسبأ ها هنا القبيلة الذين هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقوله ﴿في مساكنهم﴾ كانت مساكنهم بمأرب من اليمن ﴿آية﴾ أي علامة تدلهم على قدرة الله وأن المنعم عليهم هو الله ثم ذكر تلك الآية فقال ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ عن يمين وادٍ لهم وشماله كانت قد أحاطتا بذلك الوادي الذي بين مساكنهم وقيل لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ يعني ثمار الجنتين قال السدي ومقاتل: كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر فيمتلىء مكتلها من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئاً بيدها وقوله ﴿واشكروا له﴾ أي على ما رزقكم من النعمة، والمعنى: اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بما انعم ﴿بلدة طيبة﴾ [يعني أرض سبأ بلدة طيبة][١٣] لأنها أخرجت ثمارها ولم تكن سبخة، وقال ابن زيد: لم يكن فيها شيء مؤذ من بعوض أو ذباب ولا

---

(١) ـ يحيى بن هانىء بن عروة تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٣.

(٢) ـ فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث الصحابي انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٥، أسد الغابة ٤/ ٣٥٩.

(٣) ـ الازد هم بنو دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان عجالة المبتدي وفضاله المنتهي في النسب لأبي بكر بن أبي عثمان الحازمي الهمداني ص ١٠

(٤) ـ كندة: اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان سمي كندة لأنه كند أباه نعمته أي كفرها. عجالة المبتدىء (ص ١٠٧).

(٥) ـ مذحج: واسمه مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان سمي مذحج لأنه ولد على أكمة باليمن يقال لها مذحج عجالة المبتدىء (ص ١١١)

(٦) ـ الاشعرون: نسبة إلى الاشعر واسمه نبت بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ عجالة المبتدىء(ص ١٦)

(٧) ـ هم بنو أنمار بن راس بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك عجالة المبتدىء ص ١٩ بتحقيق عبد الله كنون

(٨) ـ هم ولد انمار بن راس نسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة. عجالة المبتدىء ص ٢٣.

(٩) ـ عاملة: اسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب. عجالة المبتدىء ص ٨٨

(١٠) غسان هو مازن بن الأزد بن الغوث عجالة المبتدىء ص ٩٨.

(١١) لخم: مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن يشجب سمي لخماً لأنه لطم واللخمة اللطمة عجالة المبتدىء ص ١٠٩

(١٢) ـ جذام آمه واسمه عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد عجالة المبتدىء ص ٣٩ وأخرج هذا الحديث الهيثمي وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن صالح الصائغ ولم أعرفه انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة سبأ ٧/ ٩٤.

(١٣) ـ ساقط من هـ

برغوث ولا عقرب ويمر الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها [(١)] ﴿**ورب غفور**﴾ أي والله رب غفور، قال مقاتل: وربكم إن شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب ﴿**فأعرضوا**﴾ عن الحق وكذبوا انبياءهم ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾ وذلك إن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن فردموا ما بين جبلين وحبسوا الماء في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا رسولهم بعث الله تعالى جرذاً[(٢)] ثقبت ذلك الردم حتى انتقض فدخل الماء خيمهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فذلك قوله تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾ جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس الماء، وقال ابن[(٣)] الأعرابي العرم السيل الذي لا يطاق، وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ ﴿**وبدلناهم بجنتيهم**﴾ اللتين يطعمان الفواكه ﴿**جنتين ذواتي أكل خمط**﴾ القراءة الجيدة بالإضافة[(٤)] لأن الخمط عند المفسرين اسم شجرة [قالوا هو الأراك وأكله جناه وهو البريد. قال أبو عبيدة الخمط كل شجرة مرة ذات شوك[(٥)]] قال الأخفش الأحسن في مثل هذه الإضافة مثل دار حر وثوب خز وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع[(٦)] به وقال المبرد والزجاج:[(٧)] يقال لكل نبت قد أخذ طعماً[(٨)] من المرارة حتى لا يمكن أكله خمط وعلى هذا يحسن التنوين في أكل إذا جعلت الخمط اسماً للمأكولات والاثل شجرة تشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه والسدر إذا كان برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للمغسول كما يكون ورق السدر الذي ينبت على الماء ومعنى قوله ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾ يعني أن الأثل والخمط كانا أكثر في الجنتين المبدلتين من السدر[(٩)] قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر إذ صيره إليه من شر الشجر ﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا**﴾ أي جزيناهم ذلك التبديل لكفرهم ﴿**وهل نجازي إلا الكفور**﴾ يعني أن المؤمن نكفر عنه ذنوبه بطاعاته والكافر يجازى بكل سوء يعمله، قال مقاتل: وهل يكافأ بعمله السيىء إلا الكفور لله في نعمه، وقال الفراء: المؤمن يجزى ولا يجازي أي يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ[(١٠)] بسيئاته.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿**وجعلنا بينهم**﴾ عطف على قوله ﴿**لقد كان لسبأ**﴾ يعني وكان من قصتهم أنا جعلنا بينهم ﴿**وبين القرى التي باركنا فيها**﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام ﴿**قرى ظاهرة**﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى قوله

---

(١) - انظر تفسير ابن جرير في هذه الأقوال ٢٢/٥٣

(٢) - أي فئراناً.

(٣) - ابن الأعرابي محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي من موالي بني هاشم ت سنة ٢٣٠ هـ بغية الوعاء ١/١٠٥.

(٤) - قراءة (اكل خمط) بالإضافة من غير تنوين قرأ بها أبو عمرو انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٢/٣٥٠

(٥) - ساقط من د

(٦) - مجازاة القرآن لأبي عبيدة ٢/١٤٧

(٧) - تهذيب اللغة للأزهري ٧/٢٦٠

(٨) - في هـ: طمعان

(٩) - في هـ: السدور

(١٠) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٩

﴿ظاهرة﴾ ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ جعلنا السير من القرية إلى القرية مقداراً واحداً نصف[١] يوم وقلنا لهم ﴿سيروا فيها﴾ في تلك القرى ﴿ليالي وأياماً﴾ [٢] ليلاً شئتم السير أم نهاراً ﴿آمنين﴾ من الجوع والعطش والسباع والتعب ومن كل خوف ثم انهم بطروا النعمة وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ أي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز ليركب إليها الرواحل وتتزود الازواد وقرىء بَعِّد[٣] وهو بمعنى باعد وهو مثل ضعف وضاعف وقرب وقارب ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم كيف فعلنا بهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وذلك أن الله تعالى لما غرق مكانهم وأذهب جنتيهم تبددوا في البلاد فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ أخبرنا أبو حسان المزكي، أنا هارون بن محمد الاسترابادي، أنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، أنا أبو الوليد الأزرقي، نا جدي، نا سعيد بن سالم [٤] القداح عن عثمان بن ساج عن الكلبي عن أبي صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه إلى مكة فأقاموا بمكة وما حولها فأصابتهم الحمى فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا قالوا: فماذا تأمرين؟ قال: من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان[٥] ثم قالت من كان ذا جلد وصبر على أزمات الدهر فعليه بـ لأراك[٦] من بطن مر وكانت خزاعة[٧] ثم قالت من كان منكم يريد الراسبات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الأوس والخزرج، ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ولبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى[٨] وغوير وهما من أرض الشام فكان الذين سكنوها أي جفنة[٩] من غسان ثم قالت من كان منكم يريد النبات الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكان الذين سكنوها آل جذيمة[١٠] الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق[١١] وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ يعني فيما فعل سبأ

---

(١) - في هـ: وهو نصف يوم

(٢) - في هـ: أياماً منين وهي مكررة.

(٣) - قراءة (بعد) بفتح الباء وكسر العين مشددة من غير ألف، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وهشام انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/ ٣٥٠.

(٤) - سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي ت قبل المائتين تهذيب التهذيب ٤/ ٣٥ الجرح والتعديل ٢/ ٣١.

(٥) - عمان: اسم بلدة على ساحل بحر اليمن والهند معجم البلدان ٤/ ١٥٠.

(٦) - الأراك: وادي الأراك قرب مكة وبطن مر موضع بينه وبين مكة خمسة أميال. معجم البلدان ١/ ١٣٥، ٥/ ١٠٤.

(٧) - خزاعة: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن حزيقاء نهاية الارب (ص ٢٤٤) للقلقشندي

(٨) - بصرى بالشام من أعمال دمشق تكتب بألف مقصورة معجم البلدان ١/ ٤٤١

(٩) آل جفنة: بطن من الأزد من القحطانية الجمهرة ص ٣٨٧ نهاية الارب ص ٢١٧.

(١٠) آل جذيمة هم بنو جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بطن من النخع القحطانية وهو الوضاح الأبرص ملك الحيرة الذي قتلته الزباء جمهرة أنساب العرب (ص ٣٨٩) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٢٠٨

(١١) آل محرق: هو الحارث الأكبر بطن من بني جفنة من غسان من القحطانية وهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة نهاية الأرب ص ٤٦ وخبر الكاهنة رواه ابن جرير في تفسيره وفيه الكلبي وقد بينا فيما مضى بأنه متروك الحديث انظر تفسير ابن جرير ٢٢/ ٥٩

﴿لآيات﴾ لعبراً ودلالات ﴿لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمنين من هذه الأمة صبور على البلاء شكور لله في نعمه قوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ [قال الزجاج صدق في ظنه أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك فمن شدد[١] نصب الظن لأنه][٢] مفعول به ومن خفف[٣] نصبه على معنى صدق عليهم في ظنه قال مجاهد: صدق ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله وهو قوله ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس[٤] لك عليهم سلطان﴾[٥] قال ابن قتيبة إن ابليس لما سأل النظرة فأنظره قال لأغوينهم ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم ولم يكن في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيهم يتم وإنما قاله ظاناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم[٦] قال الله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين يعني نعلمهم موجودين ظاهرين والمعنى: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمن ظاهراً وكفر الكافر ظاهراً وهو قوله ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك﴾ والعلم بهما موجودين هو الذي يقع به الجزاء وقوله ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ قال مقاتل على كل شيء من الإيمان والشك، قوله:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دون الله﴾ قال مقاتل: يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم اخبر عنهم فقال ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ أي من خير وشر ونفع وضر ﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما ﴿وما لهم﴾ وما لله ﴿منهم﴾ من الآلهة ﴿من ظهير﴾ من معين على شيء قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى يؤذن له في الشفاعة، وقرىء بضم الهمزة[٧] وفتحها[٨] فمن فتح كان المعنى إلا لمن

---

(١) ـ قراءة (صدق) بتشديد يد الدال، قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/ ٣٥٠

(٢) ـ ساقط من هـ

(٣) ـ قراءة (صدق) بتخفيف الدال قرأ بها: أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب ونافع وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/ ٣٥٠.

(٤) ـ ساقط من هـ

(٥) ـ الحجر: ٤٢

(٦) ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٠

(٧) ـ قراءة (أُذن) بضم الهمزة قرأ بها: أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/ ٣٥٠.

(٨) ـ قراءة (أَذن) بفتح الهمزة قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع وعاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/ ٣٥٠.

أذن الله له في الشفاعة يعني الشافع، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله[١] في أن يشفع له ومن ضم الهمزة كان المعنى كقول من فتح والآذن هو الله تعالى في القراءتين كقوله ﴿**وهل يجازى إلا الكفور**﴾[٢] والمجازي هو الله تعالى في الوجهين قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن وحد الله كقوله ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[٣] ثم أخبر عن خوف الملائكة فقال ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾ أي كشف الفزع عن قلوبهم وقرىء ﴿**فزع**﴾[٤] كشف الله الفزع عن قلوبهم ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في أَذن وأُذن والتفزيع إزالة الفزع كالتمريض والتقرير وهذا دليل على أنه قد يصيبهم فزع شديد من شيء قد يحدث من أقدار الله ولم يذكر ذلك الشيء لأن إخراج الفزع يدل على حصوله فكأنه قد ذكر، والمفسرون ذكروا ذلك الشيء، قال قتادة ومقاتل والكلبي لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبعث الله محمداً أنزل جبريل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ﴿**ماذا قال ربكم قالوا الحق**﴾ قال الحق[٥] «يعني الوحي» ﴿**وهو العلي**﴾ الذي فوق خلقه بالقهر والاقتدار ﴿**الكبير**﴾ العظيم والشيء أعظم منه.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله ﴿**قل**﴾ لكفار مكة ﴿**من يرزقكم من السموات**﴾ الرزق والمطر ومن ﴿**الأرض**﴾ النبات والثمر وإنما أمر بهذا السؤال احتجاجاً عليهم بأن الذي[٦] يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره وذلك أنه إذا استفهمهم[٧] عن الرازق لم يمكنهم أن يثبتوا رازقاً غير الله ولهذا أمر النبي ﷺ بالجواب فقال ﴿**قل الله**﴾ لأنهم لا يصيبون أيضاً بغير الله من الرازقين وتم الكلام ثم أمره بأن يخبرهم بأنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله ﴿**وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ فذهب المفسرون أن الألف في أو صلة ومعناه واو العطف كأنه قيل وانا وإياكم، قال أبو عبيدة: معناه: إنا لعلى هدى وإنكم[٨] لفي ضلال مبين ﴿ **قل**﴾ لقومك ﴿**لا تسألون عما أجرمنا**﴾ قال ابن عباس: لا تؤاخذون بجرمنا ﴿**ولا نسأل**﴾

---

(١) ـ في هـ له

(٢) ـ يقصد كما الفرق بين القراءتين في هذه الآية وقد قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (وهل نجازي) بالنون (إلا الكفور) بالنصب، وأدغم الكسائي اللام من (هل) في النون من (نجازي) ولم يدغمها غيره السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٢/٣٥٠.

(٣) ـ الأنبياء: ٨

(٤) ـ قرأ ابن عامر (حتى إذا فزع) مفتوحة الفاء والزاي وقرأ الباقون (فزع) بضم الفاء وكسر الزاي السبعة (ص ٥٢٨) قراءة (فزع) بفتح الفاء والزاي قرأ بها ابن عامر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٢/٣٥١.

(٥) ـ روى البخاري هذا الخبر مرفوعاً في كتاب التفسير سورة سبأ ـ ٥/٢٨ بألفاظ متقاربة.

(٦) ـ في هـ: الله

(٧) ـ في هـ: استفهم

(٨) ـ في هـ وانكم اباكم وفي مجاز القرآن واياكم انكن ٢/١٤٨

عن كفركم وتكذيبكم، وهذا على التبرؤ منهم ومن أعمالهم ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ [يعني][1] بعد البعث في الآخرة ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ ثم يقضي ويحكم بيننا بالعدل ﴿وهو الفتاح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بما يقضي ﴿قل﴾ للكفار ﴿أروني﴾ أعلموني ﴿الذين﴾ ألحقتموهم بالله في العبادة معه ﴿شركاء﴾ هل يرزقون ويخلقون ﴿كلا﴾ لا يرزقون ولا يخلقون ﴿بل﴾ أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من الحاق الشركاء به في العبادة الذي يخلق ويرزق ﴿وهو الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في أمره قوله:

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ قال ابن عباس: يريد لجميع الخلق وتقدير الكلام للناس كافة كقوله ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾[2] والمعنى: وما أرسلناك إلا للناس عامة كلهم أحمرهم وأسودهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾[3] يعنون بالوعد العذاب النازل لهم بعد الموت وإنما قالوا هذا لأنهم كانوا ينكرون البعث فقال الله تعالى ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ يعني يوم القيامة [وقال الضحاك: يعني يوم النزع والسباق وهو ميعاد عذاب الكافر][4] ﴿لاتستأخرون عنه ساعة﴾ لا تتأخرون عن ذلك اليوم ﴿ولا تستقدمون﴾ ولا تتقدمون عليه بأن يزاد في آجالكم أو ينقص منه.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: مشركي مكة[5] ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون التوراة والإنجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر أهل مكة بكتابنا ثم أخبر عن حالهم في الآخرة بقوله ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾[6] يعني مشركي مكة ﴿موقوفون عند ربهم﴾ محبوسون للحساب يوم القيامة ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ يرد بعضهم على بعض القول في الجدال ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم من الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ مصدقين بتوحيد الله

---

(١) ـ ساقط من جـ
(٢) البقرة: ٢٠٨.
(٣) ـ ساقط من هـ
(٤) ـ ساقط من جـ
(٥) ـ العبرة لعموم اللفظ فيصدق هذا القول على كفار مكة وكل من قال قولهم.
(٦) ـ في هـ إذ الظالمون موقوفون والعبارة مكررة.

أي منعتمونا عن الإيمان ثم أجابهم المتبوعون في الكفر بقوله ﴿**قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم**﴾ أي منعناكم عن الإيمان ﴿**بل كنتم مجرمين**﴾ بترك الإيمان وفي هذا تنبيه للكفار أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب عداوة في الآخرة كقوله ﴿**إذ تبرأ الذين اتبعوا... الآية**﴾[1] فقال الاتباع مجيبين بـل مكر الليل قـال الأخفش: الليل والنهـار لا يمكران بـأحد ولكن يمكـر فيهما وهـذا كقولـه ﴿**من قريتـك التي أخرجتك**﴾[2] وهو من سعة العربية وقال المبرد: أي: بل مكركم في الليل والنهار ﴿**إذ تأمروننا أن نكفر بالله**﴾ وهو أنهم يقولون لهم: إن ديننا هو الحق ومحمد ساحر كذاب ﴿**وأسروا الندامة لما رأوا العذاب**﴾ تقدم تفسيره في سورة يونس ﴿**وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا**﴾ قال ابن عباس غلوا بها في النيران ﴿**هل يجزون إلا**﴾ جزاء ﴿ **ما كانوا يعملون**﴾ من الشرك في الدنيا قوله:

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير**﴾ نبي ينذر أهلها ﴿**إلا قال مترفوها**﴾ رؤساؤها وأغنياؤها ﴿**إنا بما أرسلتم بـه**﴾ من التوحيد والإيمـان ﴿**كـافرون**﴾ وقـالـوا: ﴿**نحن أكثر أمـوالاً وأولاداً**﴾ افتخر[3] مشركـو مكـة على رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين بأولادهم وأموالهم وظنوا أن الله إنما خـولهم المال والولد كرامة لهم فقالوا ﴿**وما نحن بمعذبين**﴾ أي إن الله أحسن إلينا بالمال والولد فلا يعذبنا فقال الله تعالى لنبيه ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ يعني ان بسط الرزق وتضييقه من الله يفعله ابتلاء وامتحاناً، لا يدل البسط على رضا الله، ولا يدل التضييق على سخطه ﴿**ولكن أكثر الناس**﴾ يعني أهل مكة لا يعلمون ذلك[4] حين ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة الله لهم، ثم صرح بهذا المعنى فقال: ﴿**وما أموالكم وأولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**﴾ قال الأخفش: زلفى اسم المصدر كأنه أراد بالتي تقربكم عندنا تقريباً ﴿**إلا من آمن**﴾ لكن من آمن ﴿**وعمل صالحاً**﴾، قال ابن عباس يريد أن ايمانه وعمله قربه مني ﴿**فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**﴾ يضاعف الله له حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة إلى ما زاد ﴿**وهم في الغرفات**﴾ يعني غرف الجنة وهي البيوت فوق الأبنية ﴿**آمنون**﴾ من الموت والغير[5] وقرأ حمزة[6] في الغرفة على واحدة كقوله ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**﴾[7] واسم الجنس يجوز أن يراد

---

(١) ـ البقرة: ١٦٦. (٢) ـ محمد: ١٣ (٣) ـ في هـ: افتخروا (٤) ـ في هـ وذلك

(٥) ـ الغير: اسم من قولك غيرت الشيء فتغير ومن غير الزمان أي حوادث الزمان الصحاح للجوهري باب الراء فصل الغين والمعنى: آمنون من الموت وحوادث الزمان

(٦) ـ انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٥١، السبعة (٥٣٠)

(٧) ـ الفرقان: ٧٥

به الجمع، وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ أي يخلفه لكم أو عليكم يقال: أخلف الله له وعليه إذ ابدل له ما ذهب عنه، قال سعيد بن جبير: وما أنفقتم من شيء في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: وما انفقتم في الخير والبر فهو يخلفه إما ان يعمله في الدنيا أو بدخوله في الآخرة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا العباس[1] الدوري نا خالد بن مخلد[2]، نا سليمان[3] بن بلال عن معاوية[4] بن أبي مزرد عن سعيد[5] بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[6].

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يعني المشركين ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ للعابدين كقوله لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله﴾[7] فنزهت الملائكة ربها عن الشرك فـ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك مما أضافوه[8] إليك من الشرك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ قال ابن عباس ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم ولسنا نريد غيرك ولياً ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ يعني الشياطين، قال مقاتل: اطاعوا الشياطين في عبادتهم إيانا ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يعني المصدقين بالشياطين والمطيعين لهم، ثم يقول الله تعالى ﴿فاليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿لا يملك بعضكم لبعض﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿نفعاً [ولا ضراً]﴾[9] أي نفعاً بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر يتول للذين ظلموا عبدوا غير الله ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ ثم أخبر أنهم يكذبون محمداً[10] والقرآن فقال:

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ

(١) ـ العباس بن محمد بن حاتم الدوري أبو الفضل البغدادي انظر تاريخ بغداد ٢/١٤٤، تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٩ طبقات الحفاظ ص ٢٥٧.

(٢) ـ خالد بن مخلد السوائي أبو الهيثم الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/٤٠٦ ابن سعد ٦/٢٨٣، تهذيب التهذيب ٣/١١٦

(٣) ـ سليمان بن بلال التيمي ت سنة ١٧٢ هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٣٤ شذرات الذهب ١/٢٨٠ طبقات الحفاظ ص ٩٩.

(٤) ـ معاوية بن أبي مزرد عبد الرحمن بن يسار المدني. تهذيب التهذيب ١٠/٢١٧

(٥) ـ سعيد بن يسار أبو الحباب المدني سنة ١١٦ هـ تهذيب التهذيب ٤/١٠٣ الجرح والتعديل ٢/٧٢

(٦) ـ رواه البخاري في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ٢/١٤٢ ط الحلبي ومسلم في كتاب الزكاة باب المنفق والممسك ٢/٧٠٠

(٧) ـ آية (١١٦) سورة المائدة وما بين القوسين ساقط من هـ، ب، جـ

(٨) ـ في هـ: أضافوك إليك الشركاء

(٩) ـ ساقط من هـ

(١٠) في هـ: بمحمد

يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات... **الآية**﴾ وهي الظاهرة التفسير ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة ولم يكذبوا محمداً عن ثبت عندهم فقال **﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾** قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ـ ﷺ ـ وقال الفراء: أي من [اين][1] كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير[2] بهذا الذي فعلوه، ثم خوفهم وأخبر [3] عن عاقبة من كذب قبلهم فقال **﴿وكذب الذين من قبلهم﴾** يعني الأمم الكافرة **﴿وما بلغوا﴾** يعني أهل مكة **﴿[معشار] ما آتيناهم﴾** [4] المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة، قال ابن عباس [يقول][5] وما بلغ قومك معشار ما آتيناهم من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله وهو قوله: **﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾** يعني العذاب والعقوبة والنكير: اسم بمعنى الانكار.

۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

قوله **﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾** أي آمركم بخصلة واحدة وهي: **﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾** أي تقوموا: منفردين ومجتمعين يعني أن الواحدة التي أعظكم بها هي قيامكم ونشركم لطلب الحق بالفكرة وهو قوله **﴿ثم تتفكروا﴾** مجتمعين ومتفرقين، وليس معنى القيام ها هنا قيام على الرجلين بل هو قيام بالأمر الذي هو طلب الحق وتم الكلام عند قوله: **﴿ثم تتفكروا﴾** وهو مختصر معناه: ثم تتفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به، قال مقاتل: يقول ليتفكر[6] الرجل منك وحده ومع صاحبه فينظران في خلق السماوات والأرض دلالة[7] على أن خالقها واحد لا شريك له، ثم ابتدأ فقال: **﴿ما بصاحبكم من جنة﴾** وقال ابن قتيبة: تأويل الآية ان المشركين قالوا: إن محمداً مجنون وساحر، فقال الله تعالى لهم: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة وهي: أن تقوموا لله ولي ذاته مجتمعين وهو أن يقول الرجل لصاحبه فلنتصادق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط؟ أو جربنا عليه كذباً؟ ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر فإن في ذلك ما يدل[8] على أن محمداً ـ ﷺ ـ نذير[9] وهو قوله **﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾** يعني في الآخرة وعلى هذا القول الآية متصلة بعضها ببعض وهو قول الفراء[10] والزجاج.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

---

(١) ـ ساقط من هـ
(٢) ـ معاني القرآن للفراء، ٢/٣٦٤
(٣) ـ في هـ: واخبرهم
(٤) ـ ساقط من هـ
(٥) ـ ساقط من هـ
(٦) ـ في هـ: أن يتفكر
(٧) ـ في هـ: دليلاً
(٨) ـ في هـ: ما دل
(٩) ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٤١)
(١٠) ـ قول الفراء موجود في كتابه المعاني

قوله ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ يقول: لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني، ومعنى ما سألتكم من أجر فهو لكم: أي[١] ما أسألكم شيئاً كما يقول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك يريد: ليس لي فيه شيء، ثم ذكر أن أجره عند الله وهو قوله ﴿إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ قال ابن عباس: لم يغب عنه شيء. قوله تعالى ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ القذف الرمي بالسهم والحصى والكلام، قال الكلبي: يرمي بالحق على معنى يأتي به، وقال مقاتل: يتكلم بالحق وهو القرآن والوحي[٢] يعني أنه يلقيه إلى أنبيائه ﴿علام الغيوب﴾ علم ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قل جاء الحق﴾ الدين والإيمان والقرآن ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إقبال ولا ابتداء ولا إعادة، وقال قتادة: الباطل: هو الشيطان، أي ما يخلق ابتداء ولا بعثاً[٣] وهو قول مقاتل والكلبي ﴿قل إن ضللت﴾ كما تزعمون وذلك أن كفار مكة قالوا: لقد ضللت حين تركت دين آبائك ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ أي إثم[٤] ضلالتي يكون على نفسي ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ من الحكمة والبيان ﴿إنه سميع﴾ الدعاء ﴿قريب﴾ مني، قوله:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ فزعوا﴾ يعني عند البعث ﴿فلا فوت﴾ لا يفوتني أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه ﴿وقالوا﴾ يعني في الآخرة ﴿آمنا به﴾ بمحمد والقرآن ﴿وأنّى لهم التناوش﴾ أي التناول وهو تفاعل من النوش الذي هو التناول ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة[٥] وكل واو ضمتها لازمة جاز ابدال همزة منها نحو أدؤر، والمعنى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد يعني: في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو قوله ﴿وقد كفروا به من قبل﴾ أي كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل ما عاينوا من أهوال القيامة ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين وهو قولهم له شاعر وساحر وكاهن، ومعنى الغيب على هذا: الظن وهو ما غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى: يرمون محمداً بما لا يعلمون [من حيث لا يعلمون][٦] ﴿وحيل بينهم﴾ منع بين هؤلاء الكفار ﴿وبين ما يشتهون﴾ قال ابن عباس: يعني الرجعة إلى الدنيا، قال الحسن: يعني الإيمان، وقال مقاتل: يعني من قبول التوبة منهم ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ بنظرائهم [ومن كان على][٧] مثل حالهم من الكفار ﴿من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿إنهم كانوا في شك﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿مريب﴾ موقع لهم في الريبة والتهمة.

---

(١) ـ في هـ: لم اسألكم شيئاً

(٢) ـ في هـ معنى

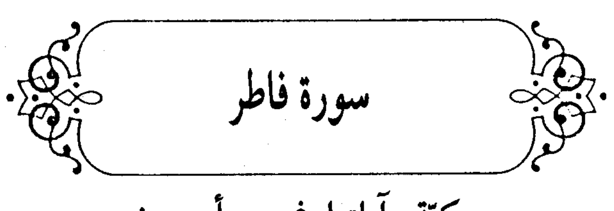
(٣) ـ في هـ ولا يبعث والمعنى لا يستطيع أن يحيي الموتى ولا أن يخلق شيئاً من العدم.

(٤) ـ في هـ: إنما

(٥) ـ قراءة (التناؤش) بالمد والهمزة قرأ بها: حمزة وأبو عمرو والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم انظر: السبعة ص ٥٣٠ والنشر ٢/ ٣٥١.

(٦) ـ ساقط من جـ

(٧) ـ ساقط من هـ



سورة فاطر

مكيّة وآياتها خمس وأربعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

(من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت)[1].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض**﴾ خالقها مبتدئاً على غير مثال سبق ﴿**جاعل الملائكة رسلاً**﴾ يرسلهم إلى النبيين وإلى ما شاء من الأمور ﴿**أولي**﴾ ذوي ﴿**أجنحة**﴾ جمع جناح ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ تقدم تفسيرها، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾ قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل وله ستمائة جناح[2] وهذا القول اختيار الفراء والزجاج وروى خليد بن دعلج عن قتادة قال: هو الملاحة في العين وقال الزهري: هو حسن الصوت ﴿**إن الله على كل شيء**﴾[3] مما يريد أن يخلق ﴿**قدير ما يفتح الله للناس من رحمة**﴾ ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أحد أن يمسكها وما يمسك من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله وهو قوله ﴿**وما يمسك فلا مرسل له من بعده**﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله ﴿**يا أيها الناس**﴾ يعني يا أهل مكة[4]﴿**اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ إذ أسكنكم الحرم ومنعكم من الغارات

---

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٢) - فيض القدير ٩٨/١، وكنز العمال حديث (١٥١٦٢) ١٣٨/٦ ومعاني القرآن للفراء ٣٦٦/٢ بدون تحديد بعدد الأجنحة.

(٣) - في هـ: على كل شيء قدير وهي مكررة

(٤) - هذا على الرأي القائل بأن المكي من آيات القرآن ما وقع خطاباً لأهل مكة كيا أيها الناس والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدني كيا أيها الذين آمنوا ولكن هذا ليس بالرأي الراجح فالخطاب هنا وفيما يماثله في غير هذا الموطن يعم الناس جميعاً سواء كانوا من أهل مكة أو من غيرها ولأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

﴿هل من خالق غير الله﴾ استفهام توبيخ وتقرير أي لا خالق سواه، قال الزجاج: ورفع غير على معنى هل خالق غير الله لأن من زيادة مؤكدة ومن خفض جعله صفة على اللفظ[١] ﴿يرزقكم من السماء﴾ المطر ومن ﴿الأرض﴾ النبات ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ [قال الزجاج: من أين يقع لكم الافك والتكذيب][٢] بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم ثم عزى نبيه عليه السلام بقوله:

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيجازي من كذب وينصر من كذب من رسله﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وباقي الآية مفسر في سورة لقمان ثم حذرهم الشيطان فقال﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ قال مقاتل: عادوه بطاعة الله، ثم بين عداوته فقال: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي شيعته إلى الكفر﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ثم ذكر ما للفريقين الكفار والمؤمنين بالآيتين بعد هذه الآية.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

قوله ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير أنزلت في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى، والمعنى أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [قال ابن عباس: لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات][٣] على تركهم الإيمان[٤] ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك ثم أخبر عن صنعه لتعتبروا فقال:

وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

---

(١) ـ قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٥٣٤ والنشر ٢/٣٥١.
(٢) ـ ساقط من هـ
(٣) ـ ساقط من هـ
(٤) ـ في هـ الإسلام

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو **﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾** إلى مكان لا نبت فيه **﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾** أنبتنا فيها الزرع والكلأ بعدما لم يكن **﴿كذلك النشور﴾** البعث والإحياء. أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، نا أبو علي الفقيه، أنا الحسين بن محمد بن مصعب، نا يحيى بن حكيم، نا أبو داود، نا شعيب أخبرني يعلى[1] بن عطاء سمعت وكيع[2] بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الموتى قال: أما مررت بواد ممحلا ثم مررت به خضراء قلت: بلى قال: فكذلك يحيي الله الموتى وقال كذلك النشور[3]. قوله **﴿من كان يريد العزة﴾** قال الفراء: معناه من كان يريد علم العزة لمن هي فإنها لله جميعاً[4]، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليعتزن بطاعة الله يعني أن قوله **﴿فلله العزة جميعاً﴾** معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة كما يقال: من أراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده، ويدل على صحة هذا ما روى ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز[5] وقوله **﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾** إلى الله يصعد كلمة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ومعنى يصعد أنه يعلم ذلك كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي وإلى السلطان أي علمه، ويجوز أن يكون معنى إليه إلى سمائه وهو المحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم فجعل صعوده إلى السماء صعود إليه، وقوله **﴿والعمل الصالح يرفعه﴾** قال الحسن: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله يعرض القول على الفعل فإن وافق القول الفعل وإن خالف رد، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير، وقال قتادة: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون هذا ابتداء إخبار لا يتعلق بما قبله، ثم ذكر من لا يوحد الله فقال: **﴿والذين يمكرون السيئات﴾** أن يشركون بالله ويقولون الشرك وقال الكلبي: يعملون السيئات **﴿لهم عذاب شديد﴾**، وقال أبو العالية يعني: الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة وهو قوله ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا. . . ﴾[6] الآية ثم أخبر أن مكرهم يبطل فقال **﴿ومكر أولئك هو يبور﴾** يفسد ويهلك ولا يملكون شيئاً.

ثم دل على نفسه بصنعه فقال: **﴿والله خلقكم من تراب﴾** يعني: آدم **﴿ثم من نطفة﴾** يعني نسله **﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾** ذكراناً وإناثاً **﴿وما يعمر من معمر﴾** ما يطول عمر أحد **﴿ولا ينقص من عمره﴾** قال الفراء: يريد آخر غير الأول فكنى عنه كأنه[7] الأول لأن اللفظ الثاني لو ظهر كان الأول[8]، كأنه قيل ولا ينقص من عمر معمر **﴿إلا في كتاب﴾** يعني اللوح المحفوظ، قال سعيد بن جبير: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة حتى يأتي على آخر عمره[9] وقوله **﴿إن ذلك على الله يسير﴾** إن كتابة الآجال والأعمال على الله هين.

---

(١) ـ يعلى بن عطاء العامري الطائفي خلاصة تهذيب الكمال ص ٤٣٨

(٢) ـ وكيع بن عدس أبو مصعب العقيلي الطائفي. تهذيب التهذيب ١٣١/١١

(٣) ـ رواه ابن ماجة في المقدمة حديث (١٨٠)، ٦٤/١ وابن حنبل في المسند ١١/٤

(٤) ـ معاني القرآن للفراء ٣٦٧/٢

(٥) ـ رواه أحمد بن حنبل في المسند ٧٢/٢

(٦) ـ الأنفال: ٣٠

(٧) ـ في أ: كناية

(٨) ـ معاني القرآن للفراء

(٩) ـ رواه: عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٣٤٧/٥.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

قوله ﴿**وما يستوي البحران**﴾ يعني: العذب والمالح ثم ذكرهما فقال: ﴿**هذا عذب فرات سائغ شرابه**﴾ جائز في الحلق ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾ شديد الملوحة وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾ وهو القشرة الرفيعة التي على النواة كاللفافة لها ﴿**إن تدعوهم**﴾ لكشف خير ﴿**لا يسمعوا دعاءكم**﴾ لأنها جماد لا تنفع ولا تضر ﴿**ولو سمعوا**﴾ بأن يخلق الله لها سمعاً ﴿**ما استجابوا لكم**﴾ لم تكن عندهم إجابة ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾ يتبرؤون من[1] عبادتكم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿**ولا ينبئك**﴾ يا محمد ﴿**مثل خبير**﴾ عالم بالأشياء يعني نفسه تعالى لا أحد[2] أخبر منه بأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام كائن فلا ينبئك مثله في عمله لأنه لا مثل له في العلم وفي كل شيء قوله:

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ المحتاجون إليه في رزقه ومغفرته ﴿**والله هو الغني**﴾ عن عبادتكم ﴿**الحميد**﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم. ﴿**إن يشأ يذهبكم...**﴾ مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿**وإن تدع مثقلة**﴾ أي نفس مثقلة بالذنوب ﴿**إلى حملها**﴾ إلى ما حملت من الخطايا والذنوب ﴿**لا يحمل منه**﴾ أي من حملها ﴿**شيء ولو كان ذا قربى**﴾ ولو كان الذي تدعوه ذا قرابة ما حمل عنها شيئاً، قال ابن عباس يقول الأب والأم: يا بني احمل عني فيقول: حسبي ما علي ﴿**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾ قال الزجاج: تأويله إن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار كقوله ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾[3] ومعنى يخشون ربهم بالغيب أي وهم غائبون عن أحكام الآخرة كقوله ﴿يؤمنون بالغيب﴾[4] ﴿**ومن تزكى**﴾ تطهر من الشرك والفواحش ﴿**فإنما يتزكى لنفسه**﴾ أي فصلاحه لنفسه ﴿**وإلى الله المصير**﴾ فيجزى بالأعمال في الآخرة قوله:

---

(١) ـ في هـ: عن.

(٢) ـ في هـ: والمعنى لا أحد أخبر... الخ.

(٣) ـ النازعات: ٤٥.

(٤) ـ البقرة: ٣.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿**وما يستوي الأعمى والبصير**﴾ يعني المؤمن والمشرك ﴿**ولا الظلمات**﴾ الشرك والضلالات ﴿**ولا النور**﴾ الهدى والإيمان ﴿**ولا الظل ولا الحرور**﴾ قال الكلبي: يعني الجنة والنار، وقال عطاء يعني الظل بالليل والسموم[١] بالنهار ﴿**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾ يعني المؤمنين والكافرين، قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ﴿**إن الله يسمع**﴾ كلامه ﴿**من يشاء**﴾ حتى يتعظ ويهتدي قال عطاء: يعني أولياءه خلقهم لجنته ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾ يعني: الكفار شبههم بالموتى حين[٢] صموا فلم يجيبوا ﴿**إن أنت إلا نذير**﴾ يقول: ما أنت إلا رسول [منذر][٣] تنذرهم النار وتخوفهم ولي عليك غير ذلك وهو قوله: ﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ سلف فيها نبي، قال مقاتل: ما من أمة إلا جاءهم رسول، وما بعد هذا ظاهر من تفسيره إلى قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

﴿**ومن الجبال**﴾ أي ومما خلقنا من الجبال ﴿**جدد بيض**﴾ قال الفراء: هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة[٤] وقال المبرد: جدد طرائق وخطوط ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الجدد ﴿ **وغرابيب سود**﴾ الغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب، قال الفراء: هذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال أسود غربيب وقل ما يقال: غربيب أسود[٥] ﴿**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه**﴾ قال الفراء: أي خلق مختلف ألوانه[٦] ﴿**كذلك**﴾ كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام ثم قال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقال مقاتل: أشد الناس لله خشية أعلمهم به، وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار[٧] بالله جهلاً وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: من خشي الله فهو عالم ﴿**إن الله عزيز**﴾ في ملكه ﴿**غفور**﴾ لذنوب المؤمنين.

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي

(١) ـ في هـ: ظل الليل وسموم النهار.
(٢) ـ في هـ: حيث.
(٣) ـ ساقط من هـ.
(٤) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٩.
(٥ ـ ٦) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٩ بتصرف.
(٧) ـ في هـ: بالاعتبار.

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ يعني: قراءة القرآن أثنى الله عليهم بقراءة القرآن ، وقوله **﴿يرجون تجارة لن تبور﴾** لن تفسد، ولن تكسد، ولن تهلك **﴿ليوفيهم أجورهم﴾** جزاء أعمالهم بالثواب **﴿ويزيدهم من فضله﴾** قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن **﴿إنه غفور شكور﴾** قال ابن عباس غفر العظيم من ذنوبهم وشكر اليسير من أعمالهم **﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾** يعني: القرآن **﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾** موافقاً لما قبله من الكتب **﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾**.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

قوله: **﴿ثم أورثنا الكتاب﴾** قال مقاتل: قرآن محمد ﷺ والمعنى ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم **﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾** قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال **﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾** وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، قاله عطاء عن ابن عباس وقال مقاتل: يعني: أصحاب الكبائر من أهل التوحيد **﴿ومنهم مقتصد﴾** وهو الذي لم يصب كبيرة **﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾** يعني: المقربين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة، قال الحسن: الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد التي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته، أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سلام الأصفهاني، نا محمد بن سعيد بن سابق، نا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن أسامة ابن زيد في قوله عز وجل ـ فمنهم ظالم نفسه ومنهم مقتصد قال: «قال رسول الله ﷺ: كلهم من هذه الأمة»[1] أخبرنا عبد القاهر بن طاهر التميمي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا عمرو بن الحصين، نا الفضل[2] بن عميرة، نا ميمون بن[3] سياه عن أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقرأ عمر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن[4] الله وقوله **﴿سابق﴾** أي إلى الجنة أو إلى رحمة الله **﴿بالخيرات﴾** بالأعمال الصالحة **﴿بإذن الله﴾** بأمر الله وإرادته **﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾** يعني: إيراثهم الكتاب، ثم أخبرهم بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة فقال:

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

---

(١) ـ قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيىء الحفظ.
انظر مجمع الزوائد ٧/٩٦ كتاب التفسير سورة فاطر.

(٢) ـ الفضل بن عميرة القيسي الطفاوي أبو قتيبة البصري تهذيب التهذيب ٨/ ٢٨١.

(٣) ـ ميمون بن سياه البصري أبو بحر تهذيب التهذيب ١٠/٣٨٨.

(٤) ـ ذكر الهيثمي نحوه عن الطبراني وابن مردويه والبيهقي مجمع الزوائد ٧/٢٥ ط دار الفكر.

﴿جنات عدن يدخلونها﴾ قال مقاتل: يعني الأصناف الثلاثة والآية مفسرة في سورة الحج ولما دخلوها واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم على ما صنع بهم وهو قوله ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ الحَزن والحُزن [واحد][١] كالبخل والبخل، قال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء هو حزن النار، وقال مقاتل: لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم، وقال الكلبي: يعني: ما كان بحوزتهم في الدنيا من أمر يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا، وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد حدثنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد الاسفرائيني املاءاً في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة، أنا الإمام أبو بكر أحمد[٢] بن إبراهيم الإسماعيلي، نا أبو العباد أحمد بن محمد البراقي نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله قد خرجوا من القبور ينقضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن[٣] قوله ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قال ابن عباس: غفر العظائم من ذنوبهم وشكر اليسير من محاسن أعمالهم ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أن ألا يموتون ولا يتحولون عنها أبداً ﴿من فضله﴾ أي ذلك بفضله لا بأعمالنا ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ وهو الإعياء من التعب ثم قال في صفة الكفار:

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ أي لا يهلكون فيستريحوا مما هم فيه من العذاب وهو كقوله ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾[٤] ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين ﴿كذلك﴾ كما ذكرنا ﴿نجزي كل كفور﴾ كل كافر ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون، وهو افتعال من الصراخ، قال مقاتل: هو أنهم ينادون ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس: نَقُلْ لا إله إلا الله ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ يعني: الشرك، فوبخهم الله تعالى فقال: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قال عطاء: يريد ثماني عشرة سنة وهو قول قتادة، وقال الحسن: أربعين سنة، وقال ابن عباس في رواية مجاهد ستين سنة قال: وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم بن محمويه، أنا أحمد بن جعفر القطيعي، أنا بشير بن موسى، أنا عبد الله بن يزيد المقرىء عن سعيد بن أبي أيوب حدثني محمد بن عجلان عن بكير عن[٥] العجلان أبي محمد

---

(١) ـ ساقط من هـ.

(٢) ـ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الاسماعيلي الجرجاني انظر تذكرة الحفاظ ٩٣٧/٣، شذرات الذهب ٧٥/٣.

(٣) ـ ابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير ٥٣٧/٦ ط الشعب، وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد كتاب البعث باب كيف يحشر الناس ٣٣٢/١٠.

(٤) ـ القصص: ١٥.

(٥) ـ بكر بن عبد الله الاشج القرشي أبو عبد الله ت سنة ١٢٢ هـ تهذيب التهذيب ٤٩٢/١.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر»[1] وقوله: ﴿**وجاءكم النذير**﴾ قال جمهور المفسرين: يريد النبي ﷺ، وروي عن عكرمة وسفيان بن عيينة: أن المراد بالنذير الشيب ومعناه: أولم يعمركم حتى شبتم وقوله ﴿**فذوقوا فما للظالمين من نصير**﴾ قال مقاتل: فذوقوا العذاب فما للمشركين من مانع يمنعهم وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾ أي أمة آمنة خلفت من قبلها ورأت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به ﴿**فمن كفر فعليه كفره**﴾ جزاء كفره ثم ذم كفرهم بباقي الآية ثم أمر نبيه بالاحتجاج عليهم بقوله:

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

﴿**قل أرأيتم شركاءكم**﴾ معناه أخبروني عن الذين اتخذتم وعبدتم من دوني شركاء بزعمكم ﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض**﴾[2] أي بأي شيء أوجبتم لهم شركة مع الله في العبادة لشيء خلقوه من الأرض ﴿**أم لهم شرك في السمٰوات**﴾ أي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ﴿**أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه**﴾ قال مقاتل: يقول: ثم أعطينا كفار مكة كتاباً فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً وهو قوله «فهم على بينات منه» يعني ما في الكتاب من ضروب البيان وقرأ أبو عمرو بينة[3] جعل ما في الكتاب بينة على لفظ الافراد وإن كانت عدة أشياء ثم استأنف ﴿**بل إن يعد الظالمون**﴾ أي ما يعد ﴿**بعضهم بعضاً إلا غروراً**﴾ قال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا باطلاً وليس بشيء.

قوله﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**﴾ يمنعهما من الزوال والذهاب والسقوط ﴿**ولئن زالتا**﴾ ولو زالتا على تقدير ذلك لم يمسكهما من أحد غير الله وهو قوله: ﴿**إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾ وهذا إخبار عن عظيم قدرة الله على حفظ السماوات وامساكها عن الزوال ﴿**إنه كان حليماً**﴾عن الكفار إذ لم يعجل لهم العقوبة﴿**غفوراً**﴾ إذ أخر العذاب عنهم، قوله:

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

(١) ـ رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة الخ ٨/١١١ ط الشعب.

(٢) ـ في هـ: خلقوني.

(٣) ـ قراءة (بينة) بالإفراد لم يقرأ بها أبو عمرو وحده وإنما قرأ معه بها أيضاً ابن كثير وحمزة وخلف وحفص عن عاصم انظر: السبعة ص ـ ٥٣٥ والنشر ٢/٣٥٢.

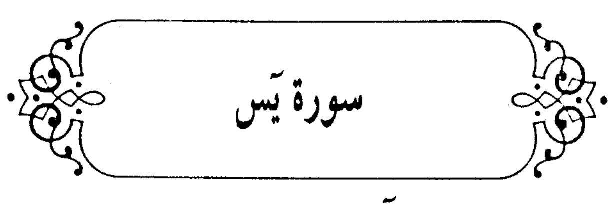
ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: كفار مكة قال ابن عباس: حلفوا قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة **﴿لئن جاءهم نذير﴾** رسول **﴿ليكونن أهدى﴾** أصوب ديناً **﴿من إحدى الأمم﴾** يعني اليهود والنصارى والصابئين **﴿فلما جاءهم نذير﴾** محمد ﷺ **﴿ما زادهم﴾** مجيئه **﴿إلا نفوراً﴾** تباعداً عن الهدى **﴿استكباراً في الأرض﴾** عُتُوًّا على الله وتكبراً عن الإيمان به **﴿ومَكْرَ السيّىء﴾** يعني ومكروا مكر السيىء وهو عملهم القبيح من الشرك والمكر هو العمل القبيح وأضيف المكر إلى صفته وقرأ حمزة بإسكان الهمزة[1] والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطرار في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب الله، وقال أبو علي الفارسي هو على اجراء الوصل مجرى الوقف كما حكى سيبويه من قولهم لملائه الأربعة فأجروا الوصل مجرى الوقف قال ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين كما خففوا الياء من ايل لتوالي الكسرتين ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب، وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيىء فيترك الحركة وهو وقف حسن تام ثم غلط فيه الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل فتابع حمزة الغالط فقرأ في الادراج بترك الحركة، وقوله **﴿ولا يحيق المكر السيّىء إلا بأهله﴾** قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك **﴿فهل ينظرون إلا سنّة الأولين﴾** هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم **﴿فلن تجد لسنّة الله﴾** في العذاب **﴿تبديلاً﴾** وإن تأخر ذلك **﴿ولن تجد لسنّة الله تحويلاً﴾** لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم، وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله **﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾** يعني: المشركين **﴿بما كسبوا﴾** من الشرك والتكذيب لعجل[2] لهم [العذاب] والعقوبة وهو قوله: **﴿ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾** وهذا مفسر في سورة النحل وقوله **﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾** قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

---

(١) ـ قرأ حمزة بإسكان الهمزة في الوصل لتوالي الحركات تخفيفاً السبعة (٥٣٥) والنشر ٢/٣٥٢.
وفي كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع ص (١٠٨): قرأ بها حمزة في الوصل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة، وإذا وقف حمزة أبدل الهمزة ووقف الباقون بهمزة ساكنة.

(٢) ـ فيما عدا هـ: لعجل لهم العقوبة.



سورة يس

مكيّة وآياتها ثلاث وثمانون

أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الجرجاني بها أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، أنا أبوا إبراهيم الترجماني، نا يوسف[1] بن عطية الصفار، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم [عن أبيه][2] عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت أو قريب عنده جاءه[3] خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاها إياه وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء»[4].

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

[﴿يس﴾][5] قال ابن عباس والمفسرون: يريد يا إنسان[6]: يعني محمداً ﷺ ﴿والقرآن الحكيم﴾ أقسم الله بالقرآن المحكم من الباطل ﴿إنك لمن المرسلين﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: لست مرسلاً وما أرسل الله إلينا رسولاً ﴿على صراط مستقيم﴾ يعني: دين الإسلام ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ قال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه، ومن قرأ بالنصب[7] فعلى معنى نزل الله ذلك تنزيلاً من العزيز الرحيم ثم اضيف المصدر فصار معرفة ﴿لتنذر قوماً﴾ متصل بقوله ﴿إنك لمن المرسلين﴾ ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ قال قتادة: لتنذر قوماً لم يأتهم نذير من قبلك لأنهم كانوا في الفترة وهو معنى قوله ﴿فهم غافلون﴾ أي عن حج التوحيد وأدلة البعث ﴿لقد حق القول﴾ وجب العذاب ﴿على أكثرهم﴾ أكثر أهل مكة كقوله ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾[8] وهذا اشارة إلى الإرادة السابقة بكفرهم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لأن الله منعهم عن الهدى، قوله:

---

(١) ـ يوسف بن عطية الصفار مولى الانصارت سنة ١٨٧ هـ قال عنه صاحب الميزان (متروك) انظر ميزان الاعتدال ٤/٢٦٨.

(٢) ـ ساقط من هـ.

(٣) ـ في هـ جاءه رضوان خازن الجنة.. الخ.

(٤) ـ حديث لم اعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج.

(٥) ـ ساقط من هـ.

(٦) ـ تفسير ابن جرير ٢٢/٩٧.

(٧) ـ قراءة: (تنزيل) بالنصب قرأ بها: ابن عامر وحمزة والكسائي ورواية حفص عن عاصم وخلف انظر السبعة ص ٥٣٩ والنشر ٢/٣٥٣.

(٨) ـ الزمر: ٧١.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل. قال الفراء: معناه حبسناهم عن الإنفاق في سبيل[1] الله كقوله **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾**[2] معناه: لا تمسكها عن النفقة وقوله: **﴿فهي﴾** يعني: أيديهم كنى عنها ولم يذكرها لأن الأغلال والأعناق تدل عليها وذلك أن الغل إنما هو يجمع اليد إلى العنق وقوله **﴿فهم مقمحون﴾** قال الفراء والزجاج: المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه[3]، ومعنى الإقماح: رفع الرأس وغض البصر يقال: أقمح البعير رأسه وقمح إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء، قال الأزهري: أراد الله أن أيديهم لما غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال اذناقهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها، يدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون: مغلولون. قوله **﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾** يريد منعناهم عن الإيمان لمواقع[4] فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد[5] وهذا معنى قول ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمه عليهم، وقوله **﴿فأغشيناهم﴾** قال الفراء: ألبسنا ابصارهم غشاوة[6] أي عمى **﴿فهم لا يبصرون﴾** سبيل الهدى، ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم بعد هذا، بقوله: **﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾** قال الزجاج: [7] أي من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله **﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾** يعني: القرآن **﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾** خاف الله في الدنيا **﴿فبشره بمغفرة﴾** لذنوبه **﴿وأجر كريم﴾** حسن وهو الجنة قوله **﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾** يعني البعث **﴿ونكتب ما قدموا﴾** من خير أو شر عملوه في حياتهم **﴿وآثارهم﴾** خطاهم بأرجلهم.

أخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد الطبري، أنا محمد بن الحسين، أنا عبد[8] الله بن محمد الشرقي، نا عبد الرحمن بن بشر، أنا الثوري عن سعيد[9] بن طريف عن أبي[10] نضرة عن أبي سعيد قال: شكت بنو سلمة[11] إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** فقال

(١) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٢) ـ الاسراء: ٢٩.

(٣) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٤) ـ في هـ: بمواقع.

(٥) ـ في هـ بالاصداد.

(٦) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣.

(٧) ـ ساقط من هـ.

(٨) ـ عبد الله بن محمد الشرقي أبو محمد الحافظ ميزان الاعتدال ٢/٢٩٤.

(٩) ـ سعيد بن طريف الاسكافي الحنظلي الكوفي. ميزان الاعتدال ٢/١٢٢، لسان الميزان ٣/٣٤.

(١٠) أبو نصرة: المنذر بن مالك أبو نضرة العبدي ت سنة ١٠٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ٤/١٨١.

(١١) ـ بنو سلمة هم بنو سلمة بن علي بن أسد انظر عجالة المبتدىء ص ٧٤.

النبي ﷺ: «عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم»[١] أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي نا محمد بن يعقوب نا عبد الله بن محمد الشاكر، نا أبو أسامة عن يزيد[٢] عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «أن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم»[٣] رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي كريب عن أبي أسامة ﴿وكل شيء﴾ من الأعمال ﴿أحصيناه﴾ بيناه وحفظناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

قوله ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ قال مقاتل: صف لهم يا محمد شبهاً، يعني: لأهل مكة ﴿أصحاب القرية﴾ يعني: أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية ليدعوا الناس إلى عبادة الله وهو قوله ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال ابن عباس: ضربوهما وسجنوهما[٤] ﴿فعززنا بثالث﴾ أي فقوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث، وقرىء بالتخفيف[٥]. قال الفراء: عززنا وعززنا كقولك: شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيل[٦] ونحو ذلك قال الزجاج ﴿فقالوا﴾ يعني: الرسل لأهل انطاكية ﴿إنا إليكم مرسلون قالوا﴾ لهم ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما لكم علينا من فضل في شيء ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ أي لم يرسل رسولاً ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ ما أنتم إلا كاذبين فيما تزعمون ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وإن كذبتمونا ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ ما علينا إلا أن نبلغ ونبين لكم فقال القوم للرسل:

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إنا تطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بكم﴾ وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا الشر من قبلكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ لئن لم تسكتوا عنا ﴿لنرجمنكم﴾ لنفتنكم كقوله ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾[٧] فتوعدوهم بالقتل والتعذيب وهو قوله ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم﴾ شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم، يعني أصابكم الشؤم من قبلكم ﴿أئن ذكرتم﴾ وعظتم بالله وخوفتم، وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره: أئن ذكرتم تطيرتم بنا (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون، قوله:

---

(١) ـ رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ بلفظ دياركم تكتب آثاركم.

(٢) ـ يزيد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري ت سنة ١٠٤ هـ تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢ والتقريب ٢/ ٣٩٤.

(٣) ـ رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ ط الحلبي.

(٤) ـ ابن جرير الطبري ٢٢/ ١٠١.

(٥) ـ قرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل عن عاصم (فعززناه) بالتخفيف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (فعززناه) بالتشديد السبعة ٥٣٩.

(٦) ـ معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٤.

(٧) ـ هود: ٩١.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ وهو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم[١] جاءهم و ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجراً﴾ لا يسئلونكم أموالكم على ما جاءكم به من الهدى ﴿وهم مهتدون﴾ يعني الرسل فلما قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون عند البعث فيجزيكم ثم أنكر اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال ﴿أأتخذ من دونه آلهةً إن يردن الرحمن بضر﴾ بسوء ومكروه ﴿لا تغن عني﴾ لا ترفع ولا تمنع ﴿شفاعتهم شيئاً﴾ يعني لا شفاعة لها فتغني ﴿ولا ينقذون﴾ ولا يخلصوني من ذلك المكروه ﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾ إن أنا فعلت ذلك ﴿إني آمنت بربكم﴾ الذي كفرتم به ﴿فاسمعون﴾ فاسمعوا قولي، فلما قال هذا وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزقه[٢] وذلك قوله:

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿قيل ادخل الجنة﴾ فلما دخلها ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي﴾ يعني أن يعلموا أن الله غفر له ليرغبوا في دين الرسل، والمعنى: بغفران ربي لي، وما مع الفعل بمنزلة المصدر ﴿وجعلني من المكرمين﴾ من المدخلين الجنة فلما قتلوه غضب الله لقتلهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئاً وعجل لهم العذاب وهو قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ يعني قوم حبيب ﴿من بعده﴾ من بعد قتله ﴿من جند من السماء﴾ يعني الملائكة أي لم تستنصر[٣] منهم بجند من السماء ﴿وما كنا منزلين﴾ أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين[٤] بما كانت عقوبتهم فقال: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت وهو قوله ﴿فإذا هم خامدون﴾ أي ساكتون قد ماتوا، قوله:

يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ

---

(١) ـ تفسير ابن جرير ٢٢/١٠٣.

(٢) ـ تفسير ابن جرير ٢٢/١٠٤.

(٣) ـ في هـ تنتصر.

(٤) ـ في هـ : بايش.

ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿**يا حسرة على العباد**﴾ قال مجاهد ومقاتل: يا ندامة عليهم في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بيّن سبب الحسرة فقال: ﴿**ما يأتيهم من رسول**﴾ أي في الدنيا ﴿**إلا كانوا به يستهزئون**﴾ ثم خوف كفار مكة فقال ﴿**ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون**﴾ أي ألم يروا أن القرون التي أهلكناهم ﴿**لا يرجعون**﴾ إليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا تعتبرون بهم ﴿**وإن كل لما جميع لدينا محضرون**﴾ يعني: أن الأمم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا[١] ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فقال:

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿**وآية لهم الأرض الميتة**﴾ أي يدلهم على قدرتنا على البعث احياء الأرض بالنبات بعد أن كانت ميتة لا تنبت شيئاً وهو قوله ﴿**أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون**﴾ يعني: ما يقتات من الحبوب ﴿**وجعلنا فيها**﴾ في[٢] الأرض ﴿**جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها**﴾ في الأرض ﴿**من العيون**﴾ يعني: عيون الماء ﴿**ليأكلوا من ثمره**﴾ يعني: من ثمرة النخيل وهو في اللفظ مذكر ﴿**وما عملته أيديهم**﴾ أي ومن ثمرة ما عملت أيديهم يعني الغروس والحروث التي قاسوا حراثتها ومن قرأ عملته بالهاء جعلها عائدة إلى ما التي هي بمعنى الذي، ومن قرأ بحذف الهاء فلأن هذه الهاء الراجعة إلى الموصول تجيء محذوفة في أكثر القرآن كقوله ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾[٣] ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[٤] وتكون هذه القراءة كقراءة عملته[٥] لأن الهاء مرادة وإن حذفت في اللفظ، ويجوز أن يكون ما في وما عملته نفياً وهو معنى قول الضحاك ومقاتل. قال الضحاك: أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها، وقال مقاتل: يقول لم يكن ذلك من صنيع أيديهم ولكن من فعلنا وقوله ﴿**افلا يشكرون**﴾ أي رب هذه النعم فيوحدونه، ثم نزه نفسه فقال ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها**﴾ يعني: اجناس الفواكه والحبوب وأصنافها ﴿**مما تنبت الأرض ومن أنفسهم**﴾ يعني الذكران والإناث ﴿**ومما لا يعلمون**﴾ مما خلق الله من جميع الأنواع والأشياء مما لا تقف عليه[٦] من داوب البر والبحر.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ

---

(١) ـ في هـ حملوا.

(٢) ـ في هـ: يعني في الارض.

(٣) ـ الفرقان: ٤١.

(٤) ـ النمل: ٥٩.

(٥) ـ قرأ حمزة والكسائي ورواية عن عاصم (وما عملت أيديهم) بغير هاء وقرأ الباقون بالهاء السبعة ٥٤٠
قراءة (عملته) بالهاء قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم فقد قرءوا (عملت) بدون هاء انظر السبعة صـ ٥٤٠ والنشر ٢/٣٥٣.

(٦) ـ في هـ: مما تقف عليه.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿**وآية لهم**﴾ تدل على قدرتنا ﴿**الليل نسلخ منه النهار**﴾ قال الفراء: نرمي بالنهار على الليل فنأتي بالظلمة[1] وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل [أي نزع][2] فتظهر الظلمة وهو قوله ﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ داخلون في ظلام الليل، قوله ﴿**والشمس تجري**﴾ وآية لهم ﴿ **الشمس تجري لمستقر لها**﴾ يعني انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وقال ابن قتيبة: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك[3] مستقرها لأنها لا تجاوزه[4] وعلى هذا القول يكون التقدير لمستقر لسيرها حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج املاءاً، نا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن[5] سلمة، نا اسحاق بن ابراهيم، أنا وكيع، نا الأعمش عن إبراهيم [6] التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال مستقرها تحت العرش [7] رواه البخاري عن الحميدي عن وكيع، ورواه مسلم عن أبي سعيد الاشج عن اسحاق، وقوله ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك الذي ذكر من أمر الليل والنهار والشمس والقمر ﴿**تقدير العزيز**﴾ في ملكه ﴿**العليم**﴾ بما قدر من أمرها، قوله ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر فإذا صار إلى آخر منازله دق وذلك قوله ﴿**حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ ومن قرأ والقمر نصباً[8] فلأن المعنى: وقدرنا القمر قدرناه كما تقول: زيداً ضربته، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ وإذا جف وقدم يشبه الهلال ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾ أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ أي هما يتعاقبان بحساب معلوم ولا يجيء أحدهما قبل وقته ﴿**وكل**﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿**في فلك يسبحون**﴾ يسيرون فيه.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

﴿**وآية لهم**﴾ وعلامة لأهل مكة على قدرتنا ﴿**أنا حملنا ذريتهم**﴾ يعني: آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم ﴿ **في الفلك المشحون**﴾ يعني: سفينة نوح لأن من حمل مع نوح كان هؤلاء من نسلهم والذرية تقع على الآباء كما تقع على الأولاد والمشحون المملوء ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾ يعني: السفن التي عملت بعد سفينة نوح

---

(١) - في معاني القرآن: نرمي النهار عنه فتأتي الظلمة ٢/ ٣٧٨.

(٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ : فذلك.

(٤) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٣ تحقيق أحمد صقر.

(٥) - أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النيسابوري الجرح والتعديل ١/ ٥٤.

(٦) - إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي ت سنة ٩٢ هـ تهذيب التهذيب ١/ ١٧٦.

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة يس ٦/ ١٥٤ ط الشعب.

(٨) - قراءة (والقمر) بالنصب، قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو جعفر وعاصم انظر السبعة صـ ٥٤٠ والنشر ٢/ ٣٥٣.

مثلها على هيئها وصورتها، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر منته بأن خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارات ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو شاء أغرقهم فلم يغثهم أحد ولم ينقذهم من الغرق وهو قوله: **﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾** ولا مغيث لهم والصريخ ها هنا بمعنى المصرخ **﴿[ولا هم ينقذون]﴾**[١] يقال: أنقذه واستنقذه إذا خلصه من مكروه، قال ابن عباس: ولا ينقذهم من عذابي **﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾** أي إلا أن نرحمهم ونمتعهم إلى آجالهم وذلك أن الكافر متعه الله في الدنيا ورزقه فيها فإذا ركب السفينة سلمه حتى يموت بأجله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ لهؤلاء الكفار **﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾** من أمر الآخرة فاعملوا لها **﴿وما خلفكم﴾** من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وما فيها من زهرتها **﴿لعلكم ترحمون﴾** لتكونوا على رجاء الرحمة من الله وجواب إذا محذوف على تقدير وإذا قيل لهم هذا أعرضوا يدل على المحذوف قوله **﴿وما تأتيهم من آية﴾** أي عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ **﴿إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾** قال مقاتل: إن المؤمنين قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم انه لله وهو ما جعلوه من حروثهم وانعامهم لله قالت الكفار **﴿أنطعم﴾** أنرزق **﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾** رزقه أي نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضها ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر وقوله **﴿إن أنتم إلا في ضلالٍ مبين﴾** هذا من قول الكفار للمؤمنين يقولون لهم إن أنتم في اتباعكم محمداً وترك ديننا إلا في خطأ بين.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به يا محمد من القيامة **﴿إن كنتم صادقين﴾** في ذلك أنت وأصحابك قال الله تعالى **﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾** قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى يعني أن القيامة تأتيهم بغتة **﴿تأخذهم﴾** الصيحة **﴿وهم يخصمون﴾** أي يختصمون في البيع والشراء ويتكلمون في الأسواق والمجالس أعز ما كانوا متشاغلين في متصرفاتهم وأجود القراءة فتح الخاء مع تشدد الصاد[٢] لأن الأصل يختصمون فألقيت حركة الحرف المدغم وهو التاء على الساكن الذي قبله وهو الخاء. ومن قرأ بكسر الخاء حركه بالكسر لالتقاء الساكنين[٣]، وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين[٤] قال الزجاج: وهو أفسد الوجوه وأردأها، وقرأ حمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد وهو يفعلون [من][٥] الخصومة كأنه قال وهم يتكلمون. والمعنى: تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً، وأراد

---

(١) ـ ساقط من هـ.

(٢) ـ قراءة (يخصمون) بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو انظر السبعة صـ ٥٤٠.

(٣) ـ قراءة (يخصمون) بفتح الياء وكسر الخاء، قرأ بها عاصم وابن عامر والكسائي انظر السبعة صـ ٥٤٠.

(٤) ـ انظر السبعة صـ ٥٤٠ والنشر ٢/٣٥٤ في قراءة الجمع بين الساكنين في (يخصمون) فقد قرأ بها أبو جعفر.

(٥) ـ انظر السعة صـ ٥٤٠ والنشر ٢/٣٥٤.

أن الكفار الذين تقوم عليهم الساعة تأخذهم الصيحة وهم يختصمون والقوم إذا كانوا على أمر واحد كان الخبر عن بعضهم كالخبر عن جميعهم، ثم ذكر أن الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الارتقاء بشيء فقال: ﴿**فلا يستطيعون توصية**﴾ قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا ﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ وإلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عما يلقون في النفخة الأولى، ثم أخبر عما يلقونه في النفخة الثانية إذا بعثوا بعد الموت فقال:

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث**﴾ يعني القبور ﴿**إلى ربهم ينسلون**﴾ يخرجون من قبورهم أحياء، يقال: نسل في العدو وينسل نسلاناً ﴿**قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾ قال المفسرون: إنما يقولون هذا لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون فلما بعثوا في النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل فقالت الملائكة: ﴿**هذا ما وعد الرحمن**﴾ على ألسنة الرسل أنه يبعثكم بعد الموت ﴿**وصدق المرسلون**﴾ في وعد البعث، وقال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين، قال الكافرون ﴿**يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾ وقال المسلم ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ ثم ذكر النفخة الثانية فقال ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾ يقول الله تعالى ﴿**فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ ثم ذكر أولياءه فقال:

إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

﴿**إن أصحاب الجنة اليوم**﴾ يعني في الآخرة ﴿**في شغل**﴾ وقرىء شغل[١] وهما لغتان، قال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى من أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم، وهذا قول جماعة المفسرين[٢] وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب ﴿**فاكهون**﴾ ناعمون معجبون بما هم فيه، قال أبو زيد: الفكه الطيب النفس الضحوك يقال رجل فكه وفاكه ولم يسمع لهذا أفعل في الثلاثي ﴿**هم وأزواجهم**﴾ يعني حلائلهم ﴿**في ظلال**﴾ قال مقاتل في أكنان القصور، وقرىء في ظلل[٣] وهي جمع ظلة ﴿**على الأرائك**﴾ وهي السرر عليها الحجال قال أحمد بن يحيى: الأريكة لا تكون إلا سريراً في قبة عليه سواره ومتاعه ﴿**لهم فيها**﴾ في الجنة ﴿**فاكهة ولهم ما يدعون**﴾ يتمنون ويشتهون قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء والمعنى: كل ما يدعوه أهل الجنة يأتيهم ثم بين ما يشتهون فقال: ﴿**سلام قولاً**﴾ وهو بدل من ما المعنى [لهم][٤] ما يتمنون سلام[٥] ومن أهل الجنة أن يسلم الله عليهم وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله

---

(١) ـ قراءة (في شغل) بضم فسكون، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو، أما قراءة (في شغل) فقد قرأ بها بقية القراء انظر السبعة صـ ٥٤١ والنشر ٢/٣٥٤.

(٢) ـ انظر: تفسير ابن جرير ٢٢/١٨.

(٣) ـ قراءة في (ظلل) بضم الظاء من غير ألف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر السبعة صـ ٥٤١ والنشر ٢/٣٥٥.

(٤) ـ ساقط من هـ.

(٥) ـ فيما عدا هـ وتمنى.

الله قولاً. أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا عبد[1] الخالق بن علي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى اللخمي، نا الحسن[2] بن أبي علي الزعفراني، نا ابن[3] أبي الشوارب، نا أبو عاصم، نا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قول الله تعالى ﴿**سلام قولاً** من ربٍ رحيمٍ﴾ فينظر الله إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»[4] وقال ابن عباس: يرسل الرحيم إليهم بالسلام، وقال مقاتل: إن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم.

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله: ﴿**وامتازوا اليوم**﴾ يقال مزت الشيء من شيء إذا عزلته وتحيته فامتاز، قال: مقاتل اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي: كونوا على حدة، قال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين ﴿**ألم أعهد إليكم**﴾ ألم آمركم وأوص إليكم، وقال الزجاج: ألم اتقدم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم قال مقاتل: يعني الذين أمروا بالاعتزال ﴿**ألا تعبدوا الشيطان**﴾ لا تطيعوا ابليس في الشرك ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ ظاهر العداوة أخرج أبويكم من الجنة ﴿**وأن اعبدوني**﴾ أطيعوني ووحدوني ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾ يعني دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، ثم ذكر عداوته لبني آدم فقال ﴿**ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً**﴾ يعني خلقاً كثيراً وفيه لغات جُبُلّاً وجُبْلاً وجِبلاً وهذه الأوجه قرىء بها[5] ومعناها الخلق والجماعة ﴿**أفلم تكونوا تعقلون**﴾ ما رأيتم من الأمم قبلكم إذ أطاعوا ابليس وعصوا الرسول فأهلكوا ويقال لهم لما دنوا من النار:

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

---

(١) ـ عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أبو القاسم المؤذن ت سنة ٤٠٥ هـ انظر تاريخ الإسلام.

(٢) ـ الحسن بن أبي علي الفضل بن السمح أبو علي الزعفراني. تاريخ بغداد ٤٠٢/٧ صـ ٧٣.

(٣) ـ ساقط من هـ.

(٤) ـ رواه ابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية حديث ١٨٤: ٦٥/١، وقال عنه الهيثمي:
رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة يس ٩٨/٧.

(٥) ـ قراءة: (جبلا) بضم الجيم والباء مخففة اللام، قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس أما قراءة جبلا بضم الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر. وقرأ بها نافع وعاصم ويعقوب وأبو جعفر. انظر السبعة صـ ٥٤٢ والنشر ٣٥٥/٢ وقرأ نافع وعاصم (جبلاً) بكسر الجيم والباء مشددة اللام السبعة: ٥٤٢.

﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في الدنيا ﴿اصلوها﴾ قاسوا حرها ﴿اليوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم بها في الدنيا ﴿اليوم نختم﴾ الآية قال المفسرون: إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل وقالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله على أفواههم وتكلمت جوارحهم بإذن الله لها في الكلام فشهدت عليهم بما عملوا قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن يهددهم الله بهذا كقوله: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾[1] يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون وقد أعمينا أبصارهم[2] ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ على مكانهم الذي هم فيه قعود يقول: لو شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواح ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء.

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ بالتشديد[3] والتخفيف يقال نكسته وأنكسته ونكسته وأنكسته وذكرنا معنى النكس في قوله ﴿ثم نُكِسوا على رؤوسهم﴾[4] قال الزجاج: من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ﴿أفلا يعقلون﴾ أليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت ومن قرأ بالتاء[5] فهو مخاطبة للكفار، قوله: ﴿وما علمناه الشعر﴾ قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن القرآن شعر وإن محمداً شاعر فقال الله تكذيباً لهم: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ الشعر أي ما يستهل له ذلك وما يتزن له بيت شعر حتى إذا مثّل له بيت شعر جرى عل لسانه منكسراً، أخبرني أبو نعيم[6] أحمد بن عبد الله بن إسحاق إجازة، نا أبو محمد الحسن بن محمد بن كيسان، نا إسماعيل القاضي، نا سليمان بن حرب، نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد[7] أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت (كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً) فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر: (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً)[8] أشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر وما ينبغي لك[9]، وقالت عائشة: كان رسول الله يتمثل ببيت أخي بني قيس[10]:

---

(١) ـ البقرة: ٢٠.

(٢) ـ في هـ: اعينهم.

(٣) ـ قراءة (ننكسه) بالتشديد قرأ بها: حمزة ورواية عن عاصم، أما قراءة (ننكسه) بالتخفيف فقد قرأ بها باقي القراء رواية عن عاصم انظر السبعة صـ٥٩٣ والنشر ٢/٣٥٥.

(٤) ـ الانبياء: ٦٥.

(٥) ـ قراءة (تعقلون) بتاء الخطاب، قرأ بها: نافع وأبو جعفر ويعقوب ورواية عن ابن عامر انظر السبعة صـ٥٩٣ والنشر ٢/٢٥٦.

(٦) ـ أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الاصبهاني ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ انظر: البداية والنهاية ١٢/٤٥، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٢، طبقات الحفاظ صـ٤٢٣.

(٧) ـ علي بن زيد بن زهير بن عبد الله المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب إلى جده ت سنة ١٣١ هـ قال عنه ابن حجر في التقريب ضعيف من الطبقة الرابعة ٧/٣٢٢ وقال عنه ابن أبي حاتم في كتابه المجروحين ترك الاحتجاج به «المجروحين ٢/١٠٣».

(٨) ـ البيت لسحيم عبد بني الحسحاس وهو في ديوانه صـ١٦ بتحقيق عبد العزيز الميمني وصدره «عميرة ودع إن تجهزت غازيا» البيان والتبيين للجاحظ: ١/٧١، والكامل للمبرد ٢٨٥ وفي ديوانه (١٦) والخزانة ١/٢٧٣، شرح شواهد المغني ١/٣٢٥

(٩) رواه الطبري في تفسيره: ٢٣/١٩ وابن سعد في طبقاته: ١/٣٨٢ ومن سند هذا الاثر نرى انه أثر ضعيف وذلك لضعف علي بن زيد.

(١٠) وأخو بني قيس طرفة بن العبد له ترجمة وافية في كتاب شرح المعلقات السبع للزوزني والبيت في معلقة طرفة صـ٧٢.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي[1] وقوله: ﴿إن هو﴾ قال مقاتل: ما القرآن ﴿إلا ذكر﴾ موعظة ﴿وقرآن مبين﴾ فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿لينذر﴾ أي القرآن ومن قرأ بالتاء[2] لتنذر يا محمد بما في القرآن ﴿من كان حيّاً﴾ يعني مؤمناً حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر ﴿ويحق القول﴾ وتجب الحجة بالقرآن ﴿على الكافرين﴾ ثم ذكرهم قدرته فقال:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ مما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين وذكر الأيدي ها هنا يدل على انفراده بما خلق والواحد منا إذا قال عملت هذا بيدي دل ذلك على انفراده بعمله وإنما تخاطب العرب بما يستعملون من مخاطباتهم وقوله ﴿أنعاماً﴾ يريد: الإبل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون﴾ ضابطون قاهرون، أي لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهو قوله ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ ما يركبون يعني: الإبل، وقال مقاتل: يعني حمولتهم الإبل والبقر ﴿ومنها يأكلون﴾ يعني: الغنم ﴿ولهم فيها منافع﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل ﴿ومشارب﴾ من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ رب هذه النعم فيوحدونه ثم ذكر جهلهم وغرتهم فقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون من العذاب ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرتهم، وقال مقاتل: لا تقدر آلهة أن تمنعهم من العذاب ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ يعني الكفار جند الأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا قال قتادة: يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً، وقال الزجاج: ينتصرون للأصنام وهي لا تستطيع نصرهم، ثم عزى نبيه فقال ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ في ضمائرهم من تكذيبك ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم والمعنى: إنّا نثيبك ونجازيهم قوله ﴿أولم ير الإنسان﴾ يعني أبي بن خلف خاصم النبي ﷺ في انكار البعث وأتاه بعظم قد بلي فتته بيده وقال: أيحيي الله هذا بعدما رم فأنزل الله:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن

---

(١) ـ رواه الترمذي في أبواب الأدب ما جاء في إنشاء الشعر حديث ٣٠٠٦٠ وابن حنبل في المسند: ٣١/٦، ١٤٦، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في أثناء حديث ورجالها رجال الصحيح. مجمع الزوائد: كتاب الأدب باب جواز الشعر: ١٢٨/٨.

(٢) ـ قراءة (لتنذر) بالتاء قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب انظر: السبعة صـ ٥٤٤ والنشر ٣٥٥/٢.

يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[1] يعني ألا يرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم وهذا تعجيب من جهله وانكار عليه خصومته أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته، ثم أكد الإنكار عليه بقوله **﴿وضرب لنا مثلاً﴾** يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي يفته بيده ويتعجب ممن يقول إن الله يحييه **﴿ونسي خلقه﴾** قال مقاتل: وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة ثم بين ذلك المثل بقوله **﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾** قاس قدرة الله بقدرة الخلق فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور الخلق يقال رم العظم يرم رمًّا إذا بلي وهو رميم والعظام رميم ولا يقال بالهاء لأنه مصروف إلى فعيل قال الله تعالى **﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾** ابتدأها وخلقها **﴿أول مرة وهو بكل خلق﴾** من الابتداء والإعادة **﴿عليم﴾** ثم زاد في البيان وأخبر عن عجيب صنعه فقال **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾** يعني ما جعل من النار في المرخ والقفار وهما شجرتان تتخذ الأعراب زنودها منها وهو قوله **﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾** تقدحون النار وتوقدونها من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان فقال:

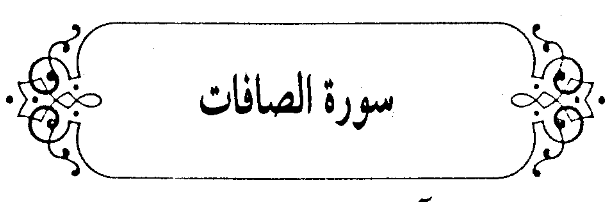
أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض﴾ في عظمها وكثرة أجزائها يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله **﴿بلى﴾** أي هو قادر على ذلك **﴿وهو الخلاق﴾** يخلق خلقاً بعد خلق **﴿العليم﴾** بجميع ما خلق، ثم ذكر قدرته على ايجاد الشيء فقال: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[2] وقد تقدم تفسيرها ثم نزه نفسه من أن يوصف بغير القدرة فقال **﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾** أي ملك كل شيء والقدرة على كل شيء. **﴿وإليه ترجعون﴾** تردون بعد الموت.

---

(١) ـ رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث وابن أبي حاتم الدر المنثور ٧/٧٥ وابن جرير في تفسيره ٢٣/٢١.

(٢) ـ النحل: ٤٠.



سورة الصافات

مكيّة وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الحيري، أنا أبو عمرو بن أبي الفضل المؤذن، أبو اسحاق الأسدي، نا عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين[1]».

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم).

﴿**والصافات صفاً**﴾ هذا قسم أقسم الله بالملائكة التي تصف أنفسها في السماء كصفوف الخلق في الدنيا، قال ابن عباس: يريد الملائكة صفوفاً صفوفاً لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ يعني الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونه في سوقه وتأليفه، وقال قتادة: يعني زواجر القرآن وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح[2] ﴿**فالتاليات ذكراً**﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله، وقال الكلبي: هم قراء الكتاب ﴿**إن الهكم لواحد**﴾ جواب القسم أقسم الله تعالى بهذه الأقسام أنه واحد ليس له شريك ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ من شيء ﴿**ورب المشارق**﴾ مطالع الشمس.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

﴿**إنا زينا السماء الدنيا**﴾ يعني التي تلي الأرض فهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿**بزينة الكواكب**﴾ بحسنها وضوئها، وقرأ حمزة بزينة منونة وخفض الكواكب[3]، قال الزجاج: الكواكب بدل من الزينة لأنها هي كما تقول: مررت بأبي عبد الله زيد، وقرأ عاصم بالتنوين ونصب[4] الكواكب أعمل الزينة وهي مصدر في الكواكب والمعنى بأنا زينا الكواكب فيها حين ألفناها في منازلها وجعلناها ذات نور ﴿**وحفظاً**﴾

---

(١) ـ لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج. تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣.

(٢) ـ انظر: تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣.

(٣) ـ انظر: السبعة صـ(٥٤٦) والنشر ٢/٣٥٦.

(٤) ـ السبعة: صـ ٥٤٦ والنشر ٢/٣٥٦.

للسماء بالكواكب ﴿من كل شيطان مارد﴾ متمرد يرمون بها فلا تخطئهم قوله ﴿لا يسمعون إلى الملإ الأعلى﴾ قال الكلبي: لكي لا يسمعوا إلى الكتبة من الملائكة، والملأ الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء، وقرىء يسمعون بالتشديد[١] وأصله: يتسمعون فأدغم التاء في السين ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ ويرمون من كل ناحية بالشهب ﴿دحوراً﴾ يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وابعده والمعنى: يدحرون دحوراً فيبعدون عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع ﴿ولهم عذاب واصب﴾ قال مقاتل: يعني دائماً إلى النفخة الأولى فهم يخرجون ويكبلون ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ﴿فأتبعه﴾ لحقه وأصابه ﴿شهاب ثاقب﴾ نار مضيئة تحرقه، والثاقب: النير المضيء كقوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾[٢].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله ﴿فاستفتهم﴾ قال الزجاج: سلهم سؤال تقرير عن ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أحكم صنعة ﴿أم من خلقنا﴾ قبلهم من الأمم السالفة يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بالتكذيب فما الذي يؤمنهم من العذاب، ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ لاصق جيد، يقال لزب يلزب لزوباً إذا لصق، والمعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا اخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق.

قوله ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ بل معناه: ترك الكلام الأول والأخذ في الكلام الآخر[٣] كأنه قال: دع يا محمد ما مضى عجبت من كفار مكة حين أوحى إليك القرآن ولم يؤمنوا به وهو قوله ﴿ويسخرون﴾ لأن سخريتهم بالقرآن وبه من ترك الإيمان، قال قتادة: عجب نبيّ الله من هذا القرآن حين انزل عليه وخلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع منه القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه وتركوا الإيمان به عجب من ذلك ـ ﷺ ـ فقال الله: عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك وتركهم الإيمان وقرأ ابن مسعود بضم التاء[٤] أخبرناه أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا ابراهيم[٥] بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبه[٦]، نا جرير، عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأ عبد الله: بل عجبت، فقال شريح: إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم، قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم فقال: إن شريحاً كان معجباً برأية إن عبد الله قرأ: بل عجبت ويسخرون وعبد الله أعلم من

---

(١) ـ قراءة (يسمعون) بالتشديد، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر السبعة صـ ٥٤٧ والنشر ٢/٣٥٦.

(٢) ـ الحجر: ١٨.

(٣) ـ في هـ: كلام آخر.

(٤) ـ قراءة ابن مسعود هي قراءة حمزة والكسائي (بل عجبتُ) بضم التاء أما باقي القراء فقراءتهم بفتح التاء. السبعة (ص ٥٤٧) والنشر ٢/٣٥٦.

(٥) ـ إبراهيم بن عبد الله بن حاتم العمروي أبو إسحاق الاصفهاني نـ ٢٢٤ هـ طبقات الحفاظ (٢٠٩).

(٦) ـ قتيبة بن سعيد بن جميل بن ظريف البلخي ت ٢٤٠ هـ. تذكرة الحفاظ ٢١/٤٤٦.

شريح، واضافة العجب إلى الله تعالى ورد به الخبر كقوله ـ ﷺ: «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة»[١] و «عجب ربكم من إلّكم[٢] وقنوطكم» و «عجب الله البارحة من فلان وفلانة» [٣] ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى، ومعناه: الاستحسان والخبر عن تمام الرضا وعجب مما يكره ومعناه: الإنكار والذم له، وتأويل الآية أن الله تعالى ذكر الكفار وما هم فيه من الكفر والتكذيب وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهزؤون ولا يتفكرون، قوله **﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾** أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون به **﴿وإذا رأوا آية﴾** قال ابن عباس ومقاتل يعني: انشقاق القمر[٤] **﴿يستسخرون﴾** يسخرون ويستهزئون ويقولون: هذا عمل السحرة وهو قوله: **﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾** جعلوا ما يدل على التوحيد مما يعجزون عنه سحراً، ثم ذكر انكارهم البعث بقوله **﴿أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾** وقد مضت في مواضع، وقوله: **﴿أو آباؤنا الأولون﴾** ألف الاستفهام دخلت على حرف العطف كقوله: **﴿أو أمن أهل القرى﴾**[٥] قال الله تعالى: **﴿قل﴾** لهم **﴿نعم﴾** يبعثون **﴿وأنتم داخرون﴾** صاغرون، والدخور: أشد الصغار، ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال **﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾** أي فإنما قضية البعث صيحة واحدة من إسرافيل يعني: نفخة البعث **﴿فإذا هم ينظرون﴾** إلى البعث الذي كذبوا به فلما عاينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا إن البعث حق فدعوا بالويل.

وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وقالوا: يا ويلنا﴾ من العذاب **﴿هذا يوم الدين﴾** الحساب الجزاء نجازى فيه ما عملنا، فقالت الملائكة **﴿هذا يوم الفصل﴾** يوم القضاء **﴿الذي كنتم به تكذبون﴾** يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويقال في ذلك اليوم **﴿احشروا الذين ظلموا﴾** اجمعوهم من حيث بعثوا إلى الموقف والحساب والمراد بالذين ظلموا الذين أشركوا من بني آدم، وقوله **﴿وأزواجهم﴾** قال الحسن: يعني: المشركات كأنه قال: احشروا المشركين والمشركات، وقال جماعة المفسرين: أشباههم وأمثالهم وأتباعهم ونظراءهم وضرباءهم وعلى هذا القول يحمل الذين ظلموا على القادة والرؤساء وأزواجهم[٦] أتباعهم **﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾** يعني: الأوثان والطواغيت، وقال مقاتل: يعني: ابليس وجنده واحتج بقوله **﴿ألا يعبدوا الشيطان﴾**[٧] **﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾** دلوهم عليها أي اذهبوا بهم إلى الجحيم،

---

(١) ـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني واسنادة حسن. مجمع الزوائد كتاب الزهد. باب فيمن لا صبوة له ١٠/ ٢٧٠.

(٢) ـ الال: الحلف والأيمان ولقد روى ابن ماجة هذا الخبر بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره. .» ابن ماجة. المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٣) ـ الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب المناقب. باب مناقب الانصار ٥/ ٤٣ ط الشعب.

(٤) ـ يقصد على عهد رسول الله ﷺ: انشق قمر فلقتين حتى رأوا حراء بينهما روى ذلك البخاري في كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة ٦/ ١٧٨ ط الشعب.

(٥) ـ الاعراف: ٩٨.

(٦) ـ ساقط من هـ.

(٧) ـ سورة يس: ٦٠.

قوله: ﴿**وقفوهم**﴾ قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط فقيل وقفوهم ﴿**إنهم مسئولون**﴾ قال ابن عباس: عن أعمالهم في الدنيا وأقاويلهم، وقال مقاتل سألتهم خزنة جهنم ﴿ألم يأتكم نذير﴾[١] ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾[٢] ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد وهو قوله: ﴿**ما لكم لا تناصرون**﴾ أي أنهم يسئلون توبيخاً لهم فيقال: ما لكم لا تتناصرون لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر[٣] فقيل لهم ذلك ما لكم غير متناصرين قال الله تعالى: ﴿**بل هم اليوم مستسلمون**﴾ يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

﴿**وأقبل بعضهم على بعض**﴾ يعني: الرؤساء والأتباع ﴿**يتساءلون**﴾ توبيخ وتأنيب يقول الأتباع للرؤساء: لم غررتمونا؟ ويقولون لهم: لم قبلتم منا؟ وهو قوله ﴿**إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين**﴾ أي من قبل الحق والدين والطاعة فتضلوننا عنها، قال الزجاج: كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الدين الحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله إخباراً عن ابليس ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم**﴾[٤] فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين فقد أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق.

وقال بعض أهل المعاني: [إن الرؤساء][٥] كانوا قد جعلوا لهؤلاء أن ما بدعوتهم إليه هو الحق فوقفوا بأيمانهم فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فتفتنون بها، والمفسرون على القول الاول فقال لهم الرؤساء ﴿**بل لم تكونوا مؤمنين**﴾ لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه أي إنما الكفر من قبلكم ﴿**وما كان لنا عليكم من سلطان**﴾ من قدرة وقوة فنقهركم ونكرهكم على متابعتنا ﴿**بل كنتم قوماً طاغين**﴾ ضالين ﴿**فحق علينا**﴾ فوجب علينا جميعاً ﴿**قول ربنا**﴾ يعني كلمة العذاب وهو قوله ﴿**لأملأن جهنم**...﴾[٦] الآية ﴿**إنا لذائقون**﴾ العذاب الأليم، قال الزجاج: أي إن المضل والضال في النار ﴿**فأغويناكم**﴾ أضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه وهو قوله ﴿**إنا كنا غاوين**﴾ يقول الله ﴿**فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون**﴾ الرؤساء والذين أطاعوهم ﴿**إنا كذلك نفعل بالمجرمين**﴾ قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾ يتكبرون عن الهدى وتوحيد

---

(١) ـ سورة الملك: ٨.

(٢) ـ الزمر: ٧١.

(٣) روى ذلك ابن جرير في تفسيره على انه قول لكفار مكة يوم بدر انظر تفسير ابن جرير ٢٧/ ٦٥.

(٤) ـ الاعراف: ١٧.

(٥) ـ ساقط من هـ.

(٦) ـ ص: ٨٥.

الله ﴿ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا﴾ أنترك عبادتها ﴿لشاعر مجنون﴾ يعنون النبي ﷺ فرد الله عليهم بقوله ﴿بل﴾ أي ليس الامر [ما][1] على ما قالوه ﴿جاء﴾ محمد ﴿بالحق﴾[2] بالقرآن والتوحيد ﴿وصدق المرسلين﴾[3] الذين كانوا قبله أي إنما[4] أتى بما أتى به من قبله من الرسل.

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون﴾ في الآخرة ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ على مقدار غدوة وعشية، قال قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقال غيره هو ما ذكره في قوله ﴿فواكه﴾ وهي جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ﴿وهم مكرمون﴾ بثواب الله ﴿على سررٍ﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ويطاف عليهم بكأس﴾ وهي الإناء بما فيه ﴿من معين﴾ من خمر ظاهر تراه العيون في الأنهار ﴿بيضاء﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن ﴿لذة﴾ لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ.

﴿للشاربين﴾ الذين يشربونها ﴿لا فيها غول﴾ لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدي إلى الهلاك ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا يسكرون يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ومن كسر الزاي[5] فقال الزجاج[6]: له معنيان يقال: أنزف الرجل إذا فنيت خمره وأنزف إذا ذهب عقله من السكر فتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي نساء قصرن طرفهن على أزواجهن فلا تردن غيرهم والقصر: معناه الحبس ﴿عين﴾ حسان الأعين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مصون مستور، قال الحسن وابن زيد: شبهن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها أبيض في صفرة وهذا أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة، قال المبرد: والعرب تشبه المرأة الناعمة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ

(١ ـ ٢) ـ ساقط من هـ.

(٣) ـ في هـ: المرسلون.

(٤) ـ فيما عدا هـ: إنه.

(٥) ـ قراءة (ينزفون) بكسر الزاي، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة صـ ٥٤٧ والنشر ٢/٣٥٧.

(٦) ـ في هـ: الفراء.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾

﴿فأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني: أهل الجنة ﴿يتساءلون﴾ يسأل هذا ذاك وذاك هذا عن أحوالهم كانت في الدنيا [يدل][1] على هذا ما ذكر الله عن بعضهم أنه أخبر عن حال قرينه معه كيف كانت في الدنيا وهو قوله ﴿قال قائل منهم﴾ يعني: من أهل الجنة ﴿إني كان لي قرين﴾ يعني: أخاً له في الدنيا كان ينكر البعث [وهو قوله][2] ﴿يقول﴾ أي يقول لي ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ بالبعث ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنّا لمدينون﴾ مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار ثم ﴿قال﴾ المؤمن لاخوانه في الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى الناس لننظر كيف منزلة أخي فقال أهل الجنة: إنك أعرف به منا فاطلع أنت فطلع فرأى أخاه ﴿في سواء الجحيم﴾ في وسطها قال الزجاج: وسواء كل شيء وسطه و﴿قال﴾ له ﴿تالله إن كدت لتردين﴾ قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك. والارداء الاهلاك ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه ﴿ولولا نعمة ربي﴾ لولا إنعامه علي بالإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار. قال الكلبي: ثم يؤتى بالموت فيذبح فإذا أمن أهل الجنة الموت فرحوا وقالوا: ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ فقيل لهم لا فعند ذلك قالوا ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ قال الله تعالى: ﴿لمثل هذا﴾ النعيم يعني ما ذكره من قوله ﴿لهم رزق معلوم﴾ إلى قوله ﴿بيض مكنون﴾ ﴿فليعمل العاملون﴾ وهذا ترغيب في طلب ثواب الله بطاعته.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾

قوله: ﴿أذلك﴾ الذي ذكره ﴿خير نزلاً﴾: قال الزجاج: أذلك خير في باب الأنزال التي يتقوت[3] بها أم نزل أهل النار وهو قوله ﴿أم شجرة الزقوم﴾ وهو ما يكره تناوله والذي أراد الله هو شيء مر كريه يكره تناوله، وأهل النار يكرهون على تناوله فهم يتزقمونه على أشد كراهة، قال قتادة: لما ذكر الله هذه الشجرة بها الظلمة فقالوا: كيف تكون في النار شجرة والنار تأكلها فأنزل الله: ﴿إنا جعلناها فتنةً للظالمين﴾.

قال الزجاج: خبره لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ قال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأعضاؤها ترفع إلى دركاتها ﴿طلعها﴾ ثمرها ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ لقبحه والشياطين موصوفة بالقبح وإن كانت لا ترى والشيء إذا استقبح شبه بها فيقال كأنه شيطان ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ أي ثمرها ﴿فمالئون منها البطون﴾ وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلىء بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ لخلطاً ومزاجاً ﴿من حميم﴾ يعني: أنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليها الحميم وهو الماء الحار فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد شرب الحميم وأكل الزقوم ﴿لإلى الجحيم﴾ وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم

(١ ـ ٢) ـ ساقط من هـ.

(٣)- في هـ: يتقرب.

كما تورد الإبل الماء ثم يردون إلى الجحيم ويدل على صحة ما ذكرنا قوله ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾[١] ﴿إنهم ألفوا﴾ وجدوا ﴿آباءهم ضالين﴾ عن الهدى ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يسعون في مثل أعمال آبائهم، قال الكلبي: يعملون مثل عملهم، وقال ابن عباس وقتادة: يسرعون. قال الزجاج: يتبعون آباءهم اتباعاً في سرعة كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم يقال: هرع الرجل وأهرع إذا استحث فأسرع.

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿ولقد ضل قبلهم﴾ قبل هؤلاء المشركين ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم الخالية ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ رسلاً ﴿منذرين﴾ ينذرونهم العذاب على ترك الايمان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الذين أنذروا بالعذاب.

قال مقاتل: يقول: كأن عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة ثم استثنى المؤمنين منهم فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين الذين نجوا من العذاب.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ دعا ربه على قومه فقال: ﴿إني مغلوب فانتصر﴾[٢] ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن يعني: أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه الكافرين ﴿ونجيناه وأهله من الكرب﴾ الغم ﴿العظيم﴾ الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك انه لم يبق من نسل من كان معه في السفينة إلا من ولد نوح يدل على هذا ما أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا أبو علي بن أحمد الفقيه، أنا إبراهيم بن عبد الله الزيني، نا بندار[٣]، نا محمد بن خالد بن[٤] عثمة، نا سعيد بن بشير[٥] عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال: سام وحام ويافث[٦] فسر الذرية الباقية بهؤلاء الثلاثة فسام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ في الذين يجيئون بعده إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومقاتل: تركنا عليه ثناءاً حسناً وهو قوله ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ يعني بالسلام الثناء الحسن قال الزجاج: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله ﴿سلام على نوح﴾ أي تركنا عليه ﴿في الآخرين﴾ أن يصلى عليه إلى يوم القيامة ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

---

(١) ـ الرحمن: ٤٤. (٢) ـ القمر: ١٠.

(٣) ـ بندار بن محمد بن بشار بن عثمان العبدي أبو بكر البصري الحافظ ت ٢٥٢ هـ عن خمس وثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ (٢٢٢)، تذكرة الحفاظ ٥١١/٢، العبر ٣/٢.

(٤) ـ محمد بن خالد بن عثمة الحنفي البصري. تهذيب التهذيب ١٤٢/٩.

(٥) ـ سعيد بن بشير الازدي ت ١٦٨. تهذيب ٩/٤، الجرح والتعديل ٦/٢.

(٦) ـ رواه الترمذي في كتاب التفسير. سورة الصافات حديث (٣٢٨٤) وقال حسن غريب ٣٦٥/٥ ط الحلبي.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله: ﴿وإن من شيعته﴾ أي من أهل ملة نوح وعلى دينه ﴿لإبراهيم إذ جاء ربه﴾ يعني: صدق الله وآمن به ﴿بقلب سليم﴾ خالص من الشرك يعني أنه سلم قلبه من الشرك فلم يشرك بالله ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ كأنه وبخهم على عبادة غير الله فقال ﴿أإفكاً آلهة دون الله تريدون﴾ أي أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره كأنه قال: ما ظنكم أنه يصنع بكم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ قال المفسرون: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد يوم يخرجون إليه فأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم ﴿فقال إني سقيم﴾ وذلك انهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم فنظر في النجوم يريد انه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها (قال إني سقيم) أي سأسقم. قال مقاتل: إني وجع غداً واعتل بذلك ليخلفوه[1] ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ تركوه وذهبوا إلى عيدهم ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ مال إليها ميلة في خفية سراً ﴿فقال ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي كان بين أيديهم أتوهم بطعامهم لتبارك فيه آلهتهم كما ـ زعموا ـ وإنما يقول هذا إبراهيم استهزاءً بها وكذلك قوله ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ ثم أقبل عليهم ضرباً كما قال الله تعالى ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ مال عليهم بالضرب، قال المفسرون: يعني: بيده اليمنى يضربهم بها، وقال السدي بالقوة والقدرة ﴿فأقبلوا إليه﴾ من عيدهم ﴿يزفون﴾ يسرعون من زفيف النعامة وهو أول عدوها يقال جاء يزف زفيف النعامة أي يسرع، وقرأ حمزة بضم الياء[2] أي يحملون دوابهم وظهورهم على الجدد الاسراع في المشي وذلك انهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه فلما انتهوا إليه ﴿قال﴾ لهم إبراهيم محتجاً عليهم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ بأيديكم من الاصنام ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ بأيديكم يعني: ما تنحتون أي فاعبدوا الله الذي خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم من الاصنام التي تعملونها من الخشب والحديد فلما لزمتهم الحجة ﴿قالوا أبنوا له بنياناً﴾ قال ابن عباس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤوه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله ﴿فألقوه في الجحيم﴾ وهي النار العظيمة.

قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم ﴿فأرادوا به كيداً﴾ شراً وهو أن يحرقوه بالنار ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ لأن إبراهيم علاهم بالحجة حين سلمه الله ورد كيدهم عنه ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله[3]

---

(١) ـ انظر تفسير ابن جرير ٢٣/ ٤٥.

(٢) ـ السبعة لابن مجاهد (٥٤٦) والنشر ٢/ ٣٥٧.

(٣) ـ انظر تفسير ابن جرير ٢٣/ ٤٩.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿**وقال**﴾ إبراهيم ﴿**إني ذاهب إلى ربي**﴾ قال ابن عباس: مهاجر إلى ربي والمعنى: أهجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني الله كما قال إخباراً عنه أيضاً: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾[1] ﴿**سيهدين**﴾ إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: ﴿**رب هب لي من الصالحين**﴾ أي ولداً صالحاً من الصالحين فاستجاب الله له بقوله: ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾ قال الزجاج: وهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، قوله: ﴿**فلما بلغ معه السعي**﴾ قال قتادة: لما مشى معه، وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه، قالوا: وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، وقال الكلبي: يعني: العمل لله وهو قول الحسن ومقاتل وابن زيد قالوا: هو العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة وهو ما بعد البلوغ وقوله ﴿**إني أرى في المنام أني أذبحك**﴾ قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متتابعات، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً فعلوه.

واختلفوا في الذبيح من هو: فالاكثرون على أنه إسحاق وهو قول علي وابن مسعود وكعب ومقاتل وعكرمة والسدي. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمرو بن مطر، نا الحسن بن سفيان، نا شيبان، نا مبارك[2] عن الحسن عن الأحنف بن قيس[3] سمعت العباس بن عبد المطلب يقول: الذي أمر إبراهيم بذبحه هو إسحاق عليهما السلام وهؤلاء قالوا كانت هذه القصة بالشام. وقال آخرون الذي أمر بذبحه إسماعيل وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد وابن عباس في رواية عطاء، سمعت أبا عثمان الحيري الزاهد سمعت أبا الحسن بن مقسم سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: [الله][4] أعلم أيهما الذبيح وسياق هذه الآيات يدل على إنه إسحاق لأنه قال: ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾ ولا خلاف أن هذا إسحاق ثم قال: ﴿**فلما بلغ معه السعي**﴾ فعطف بقضية الذبح على ذكر إسحاق، وقوله ﴿**فانظر ماذا ترى**﴾ أي من الرأي فيما ألقيت إليك وما الذي تذهب إليه هل تستسلم له وتنقاد أو تأتي غير ذلك، وقرأ حمزة[5] ترى بضم التاء وكسر الراء ومعناه: ما تشير، قال الفراء: ماذا تريني من

---

(١) ـ العنكبوت: ٢٦.

(٢) ـ مبارك بن فضالة أبو فضالة القرشي تـ ١٦٤ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٠.

(٣) ـ الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري أبو بكر ولد سنة ٣ قبل الهجرة وتوفي ١٩٧٢ هـ ابن سعد ٧/ ٦٦ ابن خلكان ١/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام ٣/ ١٢٩.

(٤) ـ ساقط من هـ.

(٥) ـ قرأ حمزة والكسائي (ترى) بضم التاء وكسر الراء. السبعة (٥٤٨).

صبرك أو جزعك[١] ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ قال ابن عباس ما أوحي إليك من ذبحي. ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلائه. ﴿فلما أسلما﴾ أي استسلما لأمر الله وأطاعا ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على أحد جبينيه، قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض وللوجه جبينان والجبهة بينهما، قال السدي: ضرب الله على عنقه صحيفة نحاس فجعل إبراهيم ينحر ولا يقطع شيئاً ونودي من الجبل: يا إبراهيم[٢] فهو قوله ﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ لأن الله قد عرف منهما الصدق حيث قصد إبراهيم الذبح [بما أمكنه وطاوع الابن بالتمكين من الذبح ففعل كل واحد منهما ما أمكنه وإن لم يتحقق][٣] الذبح وكان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم ففعل في اليقظة ما رأى في النوم لذلك قيل له: قد صدقت الرؤيا وتم الكلام ثم قال ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ هذا ابتداء إخبار من الله تعالى وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي يؤدي به إبراهيم والمعنى: إنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر حيث اختبر بذبح بكره ووحيده وقال مقاتل: البلاء هاهنا النعمة وهو أن فدى ابنه بالكبش وهو قوله ﴿وفديناه بذبح﴾ بكبش ﴿عظيم﴾.

أخبرنا المؤمل بن أحمد بن الحسين، أنا محمد بن عبد الله بن نعيم، نا محمد عن عبد الله الصفار[٤]، نا الحسن بن الجهم، نا الحسين بن الفرج، نا أبو عبد الله الواقدي حدثني ابن أبي سبرة عن ابن مالك وكان مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه عن عطاء[٥] بن يسار قال سألت خوات بن جبير[٦] ذبيح الله أيهما كان؟ فقال: إسماعيل لما بلغ إسماعيل ابن سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أنه يذبح إسماعيل فركب إليه[٧] البراق حتى جاءه فوجده عند أمه فأخذ بيده ومضى به إلى حيث أمر حتى انتهى إلى منحر البدن اليوم فقال: يا بني إن الله أمرني أن أذبحك قال إسماعيل: فأطع ربك فإن في طاعة ربك كل خير، ثم قال إسماعيل: هل علمت أمي بذلك؟ قال: لا قال: أصبت إني أخاف أن تحزن ولكن إذا قربت السكين من حلقي فأعرض عني فإنه أحرى أن تصبر ولا تراني ففعل إبراهيم فجعل يحز في حلقه فإذا هو يحز في نحاس ما تحيك [فيه][٨] الشفرة فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله فرفع رأسه فإذا هو بوعل واقف بين يديه، فقال إبراهيم: قم يا بني فقد نزل فداؤك فذبحه هناك.

ومعنى الآية: جعلنا الذبح فداءً له وخلصناه به من الذبح؛ والذبح: ما ذبح، قال أكثر المفسرين: أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وقال الحسن: ما فدي إلا بتيس من الأروى قد أهبط عليه من ثبير[٩] فذبحه

---

(١) ـ معاني القرآن للفراء: ٢/٣٩٠.

(٢) ـ من المعروف أن السدي متهم بالكذب فلا يفيد بقوله هذا وهل يعجز الله ـ سبحانه عن حماية إسماعيل من حد السكين من غير أن يضرب على عنقه صحيفة من نحاس كيف؟ وقد سلب من النار خاصة الاحراق فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم فمن الجائز أيضاً أن تتكرر نفس المعجزة مع إسماعيل فيسلب السكين خاصة القطع والجز فتصير هي وقطعة من الخشب سواء بسواء.

(٣) ـ ساقط من هـ.

(٤) ـ في هـ، نا محمد بن عبد الله الصفّار، نا محمد بن عبد الله بن نعيم بتقديم وتأخير.

(٥) ـ عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاضي ت٩٣ هـ تذكرة الحفاظ ١/٩٠ خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) ابن سعد ٥/١٢٩.

(٦) ـ خوات بن جبير بن النعمان بن أمية الانصاري الاوس ت ٤٠ هـ عن أربع وتسعين سنة. أسد الغابة ٢/١٤٩.

(٧) ـ في هـ على البراق.

(٨) ـ ساقط عن هـ.

(٩) ـ ثبير: جبل بمكة يشرف على منى. معجم البلدان ٢/٧٣.

إبراهيم فداءً عن ابنه، وما بعد هذا معنى ظاهر إلى قوله ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ من جعل الذبيح إسماعيل قال: بشر الله إبراهيم بولد نبي بعد هذه القصة جزاءاً لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق رأثيب إسحاق بصبره بالنبوة وهذا قول عكرمة عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يعني كثرة ولدهما وذريتهما وهم الأسباط كلهم ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أي مؤمن (محسن)[1] بإيمانه وكافر ظلم نفسه بكفره.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله ﴿ وإن إلياس لمن المرسلين ﴾ إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل وقصته مشهورة مع قومه وقرأ ابن عامر (وإن الياس)[2] بغير همز جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله ﴿واليسع﴾[3] والوجه قراءة العامة لأن الهمزة تابعة في هذا الاسم وليست للتعريف يقوي ذلك قوله ﴿سلام على إلياسين﴾ فهذا يدل على أن الهمزة ثابتة في إلياس ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ ألا تخافون الله فتعبدونه وتوحدونه[4] ﴿أتدعون بعلاً﴾ قال عطاء: يعني صنماً كان لهم يعبدونه وكان من ذهب، والمفسرون يقولون: ربًا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل ﴿وتذرون﴾ عبادة ﴿أحسن الخالقين﴾ ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

قرىء بالرفع على الاستئناف[5] لتمام الكلام الاول والمعنى: انه خالقكم وخالق من كان[6] قبلكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة وقرىء بالنصب[7] على صفة أحسن الخالقين ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ النار ﴿إلا عباد الله

---

(١) ـ في هـ: أحسن نفسه.

(٢) ـ القراءة في السبعة لابن مجاهد صـ (٥٤٨).

(٣) ـ الانعام: ٨٦.

(٤) ـ في النسخ المخطوطة: فتعبدوه وتوحدوه.

(٥) ـ قراءة (الله ربكم ورب آبائكم) بالرفع قرأ بها: أبو عمرو وابن عامر ونافع وأبو جعفر.

(٦) ـ ساقط من هـ.

(٧) ـ قراءة: (الله ربكم ورب آبائكم) بالنصب قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر: السبعة صـ ٥٤٩ والنشر ٢/٣٦٠.

المخلصين﴾ الذين لم يكذبوه فإنهم لا يحضرون النار قوله **﴿سلام على إلياسين﴾** قال ابن عباس: يريد اليأس ومن آمن معه قال الفراء: يذهب بالياسين إلى أن يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين في اسمه كما تقول في[1] القوم رئيسهم المهلب قال قد جاءكم المهالبة فتكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف[2]، قال أبو علي الفارسي: تقديره: الياسين إلا أن اليائين للنسبة حذفتا كما حذفا في الأشعرين والأعجمين وقرأ نافع[3]: على آل ياسين[4] وحجته: انها في المصحف مفصولة من ياسين[5] وذلك دليل على أنه «آل» وهذه القراءة بعيدة، قال الفراء وأبو عبيدة: الوجه قراءة العامة لأنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان إنما جاء بالاسم كذلك إلياسين لأنه إنما هو بمعنى إلياس أو بمعنى إلياس وأتباعه [6] وذكر الكلبي في تفسيره: «سلام على آل ياسين» يقول: سلام على آل محمد وهذا بعيد لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه.

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

ثم ذكر لوطا فقال **﴿وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه﴾** إذ لا يتعلق بما قبله لأنه لم يرسل إذ نجي ولكنه يتعلق بمحذوف كأنه قيل: واذكر يا محمد إذ نجيناه. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله: **﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾** أي تمرون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على قراهم ومنازلهم وآثارهم **﴿مصبحين﴾** أي نهاراً **﴿وبالليل﴾** وعشيا **﴿أفلا تعقلون﴾** فتعتبرون بهم.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾. قال المفسرون: كان يونس عليه السلام قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمنشور عنهم فقصد البحر وركب السفينة وكان بذهابه إلى الفلك كالفار من مولاه فوصف بالإباق، **﴿فساهم﴾** فقارع **﴿فكان من المدحضين﴾** المغلوبين والمقروعين وذلك أن السفينة

---

(١) ـ في هـ: للقوم.

(٢) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٩١.

(٣) ـ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم أحد القراء السبعة ت سنة ١٦٩ هـ النهاية ٢/٣٣٠، ابن خلكان ٢/١٥١.

(٤) ـ قرأ نافع وابن عامر (على آل ياسين) السبعة (٥٤٨).

قراءة (آل ياسين) قرأ بها نافع وابن عامر ويعقوب. انظر السبعة صـ ٥٤٨ والنشر ٢/٣٦٠.

(٥) ـ في هـ: ياس.

(٦) ـ ليست في مجاز القرآن بهذا النص ٢/١٧٢.

احتبست فوقفت فقال الملاحون: ها هنا عبد آبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد آبق لا تجري فأقرعوا فوقعت القرعة على يونس فقال: أنا الآبق وزج نفسه في الماء.

قال سعيد بن جبير: لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه حتى إذا القى نفسه في الماء أخذه الحوت[١] فذلك قوله: ﴿**فالتقمه الحوت**﴾ يقال: لقمت اللقمة والتقمتها إذا ابتلعتها ﴿**وهو مليم**﴾ مستحق اللوم لأنه أتى ما يلام عليه حين خرج إلى السفينة قبل أن يأمره الله فاستحق بذلك اللوم والتأديب ﴿**فلولا أنه كان**﴾ قبل أن التقمه الحوت ﴿**من المسبحين**﴾ المصلين، وكان كثير الصلاة والذكر ﴿**للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة.

قال سعيد بن جبير: شكر الله قد يمسه، وقال الضحاك[٢] بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين**﴾ الآيتين وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله فلما ادركه الغرق (قال: آمنت بالذي آمنت به بنوا إسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل)[٣] قال ابن جريج والسدي: لبث يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً[٤] وقال الضحاك: عشرين يوماً، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال مقاتل: ثلاثة أيام، وقال الشعبي: التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية فذلك قوله ﴿**فنبذناه بالعراء**﴾ يعني: المكان الخالي من الشجر والبناء، قال مقاتل: بالبراز وقال الكلبي: يعني: وجه الأرض، ﴿**وهو سقيم**﴾: قد بلي لحمه مثل الصبي المولود، قال ابن مسعود: كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ﴿**وأنبتنا عليه شجرة من يقطين**﴾ كل شجرة لا تقوم على ساق إنما تمتد على وجه الأرض فهو يقطين مثل الدباء والحنظل والبطيخ، قال مقاتل: يعني القرع وهو قول الجميع، قالوا: كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشيا فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك وهو قوله ﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف**﴾ قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى[٥] من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وقوله: ﴿**أو يزيدون**﴾ أو بمعنى الواو كقوله ﴿**عذرا أو نذراً**﴾[٦] المعنى: ويزيدون على مائة ألف، قال الفراء: أو هاهنا بمعنى: بل[٧] وهو قول مقاتل والكلبي، وقال الزجاج: أو هاهنا على أصله ومعناه أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك إنما دخل في حكاية قول المخلوقين، قال مقاتل والكلبي: كانوا يزيدون على عشرين ألفاً، وقال الحسن: بضعة وثلاثين ألفاً، وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً[٨] ﴿**فآمنوا**﴾ يعني الذين أرسل إليهم يونس ﴿**فمتعناهم**﴾ في الدنيا ﴿**إلى حين**﴾ إلى منتهى آجالهم.

---

(١) ـ رواه ابن جرير في تفسيره ٢٣/٦٣ وابن أبي حاتم الدر المنثور ٥/٢٨٧.

(٢) ـ الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري القرشي أبو انيس ت سنة ٦٤ هـ تهذيب التهذيب ٤/ ٤٤٩.

(٣) ـ يونس: ٩٠،٩١.

(٤) ـ رواه ابن جرير في تفسيره ٢٣/١٠١.

(٥) ـ نينوى بأرض الموصل، والموصل مدينة على طرف دجلة معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٣٣٩.

(٦) ـ المرسلات: ٦.

(٧) ـ معاني القرآن للفراء: ٢/٢٩٣.

(٨) ـ انظر تفسير ابن جرير ٢٣/١٠٤.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

قوله ﴿**فاستفتهم**﴾ قال ابن عباس: فسل أهل مكة سؤال توبيخ ﴿**ألربك البنات ولهم البنون**﴾ وذلك أن قريشاً وقبائل من العرب قالوا الملائكة بنات الله وهذا كقوله ﴿ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾[(١)] ﴿**أم خلقنا الملائكة إناثاً**﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إناثاً ﴿**وهم شاهدون**﴾ حاضرون خلقنا إياهم أي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم، ثم أخبر عن كذبهم فقال ﴿**ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله**﴾ حين زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ في قولهم ﴿**أصطفى البنات على البنين**﴾ قراءة العامة بفتح الهمزة على الاستفهام الذي معناه التوبيخ، وقرأ نافع بغير استفهام على وجه الخبر[(٢)] كأنه قال اصطفى البنات في زعمكم وفيما تقولون، وقال الفراء: أراد الاستفهام وحذف حرف الاستفهام كقوله ﴿**أذهبتم طيباتكم**﴾[(٣)] ثم وبخهم فقال: ﴿**ما لكم كيف تحكمون**﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿**أفلا تذكرون**﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عن هذا القول ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ حجة بينة على ما تقولون ﴿**فأتوا بكتابكم**﴾ الذي فيه الحجة ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في قولكم ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ قال قتادة: قالوا صاهر الجن والملائكة من الجن وقال الكلبي: قالوا لعنهم الله ـ تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، وقال **مجاهد**: لما قالت قريش الملائكة بنات الله قال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن[(٤)] قال الله تعالى: ﴿**ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون**﴾ أي علموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون في النار ويعذبون على ما قالوا، ثم نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال ﴿**سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين**﴾ **يعني**: الموحدين الذين استخلصهم الله لتوحيده وعبادته وهذا استثناء من المحضرين يقول: علموا أنهم محضرون النار إلا من أخلص العبادة له ووحده ثم خاطب كفار مكة بقوله:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿**فإنكم وما تعبدون**﴾ قال ابن عباس: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله ﴿**ما أنتم عليه**﴾ على ما تعبدون ﴿**بفاتنين**﴾ بمضلين، يقال فتنت الرجل وافتتنته ويقال: فتنته على الشيء وبالشيء كما يقال: أضله على الشيء وأضله به وقال مقاتل: يقول ما أنتم بمضلين أحداً بآلهتكم إلا من قدر الله له أن

---

(١) ـ النجم: ٢١/٢٢.

(٢) ـ هذه رواية عن نافع وبقية الروايات عنه وعن القراء جميعاً (اصطفى) بفتح الهمزة والاستفهام. السبعة (٥٤٩).

(٣) ـ الاحقاف: ٢٠. والنص في معاني القرآن للفراء بتصرف ٢/٣٩٤ .

(٤) ـ تفسير ابن جرير عن مجاهد ٢٣/١٠٨ .

يصلى الجحيم وهو قوله ﴿**إلا من هو صال الجحيم**﴾ يعني أن قضاءه سبق في قوم بالشقاوة وأنهم يصلون النار فهم الذين يضلون في الدنيا ويعبدون الأصنام، ثم قال جبريل للنبي ﷺ ﴿**وما منا**﴾ يا معاشر الملائكة ﴿**إلا له مقام معلوم**﴾ في السموات يعبد الله فيه قال الزجاج: هذا قول الملائكة وفيه مضمر، المعنى: وما منا ملك إلا له مقام معلوم ﴿**وإنا لنحن الصافون**﴾ قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم، وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض ﴿**وإنا لنحن المسبحون**﴾ المصلون لله المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل النبي عليهما السلام أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين ولا بنات الله كما زعمت الكفار ثم عاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال: ﴿**وإن كانوا ليقولون: لو أن عندنا ذكراً من الأولين**﴾ أي كتاباً من كتب الاولين وذلك أنهم قالوا لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿**لكنا عباد الله المخلصين**﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾[١] قال تعالى ﴿**فكفروا به**﴾ المعنى: نجاهم ما طلبوا به ﴿**فسوف يعلمون**﴾ عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم، ثم ذكر العاقبة للأنبياء بالنصر وإن كذبهم قومهم فقال:

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾ أي تقدم الوعد بأن الله ينصرهم بالحجة والظفر بعدوهم، قال مقاتل: عنى بالكلمة: قوله «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»[٢] فهذه الكلمة التي سبقت ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة لأنهم ينجون من عذاب الدنيا والآخرة ﴿**فتول عنهم**﴾ أعرض عنهم ﴿**حتى حين**﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نأمرك بالقتال ﴿**وأبصرهم**﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿**فسوف يبصرون**﴾ ذلك فقالوا متى هذا العذاب فأنزل ﴿**أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم**﴾ قال مقاتل: بحضرتهم، وقال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك[٣] والساحة: متسع الدار ﴿**فساء صباح المنذرين**﴾ بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب وذلك أنهم يصبحون في العذاب معذبين، ثم كرر ما سبق تأكيداً لوعد العذاب فقال ﴿**وتول عنهم حتى حين وأبصر**﴾ العذاب إذا نزل بهم ﴿**فسوف يبصرون**﴾ تهديد لهم، ثم نزه[٤] نفسه عن بهتهم ووصفهم بقوله:

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿**سبحان ربك رب العزة**﴾ العزة: الغلبة والقوة ﴿**عما يصفون**﴾ من اتخاذ البنات والنساء ﴿**وسلام على المرسلين**﴾ الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع ﴿**والحمد لله رب العالمين**﴾ على هلاك المشركين ونصرة الأنبياء والأولياء. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أنا إبراهيم بن علي، نا يحيى بن يحيى، نا هشيم عن

---

(١) ـ الانعام: ١٥٧.

(٢) ـ المجادلة: ٢١.

(٣) ـ معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٦، وعقوة الدار ساحتها وما حولها.

(٤) ـ ساقط من هـ.

هارون[1] العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولأمر تبين يقول في آخر صلواته أو حين ينصرف (سبحان ربك رب العزة.. إلى آخر السورة)[2] وأخبرنا محمد، نا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن موسى الحلواني، نا هارون بن إسحاق، نا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصبغ [3] بن نباتة عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[4].

---

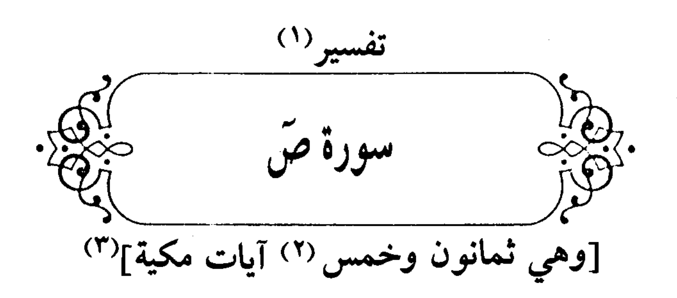
(١) ـ في هـ أبو هارون.

(٢) ـ رواه أبو يعلى وقال ابن كثير اسناده ضعيف. تفسير ابن كثير ٤١/٧ ط الشعب.

(٣) ـ الأصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي أبو القاسم الكوفي. تهذيب التهذيب ٣٦٢/١.

(٤) ـ أخرجه ابن حاتم عن الشعبي مرفوعاً والبغوي موقوفاً وحميد بن زنجويه من طريق الأصبغ بن نباتة. انظر: الدر المنثور ١٩٥/٥.

تفسير[1]



[وهي ثمانون وخمس[2] آيات مكية][3]

أخبرنا أبو سعد [محمد بن][4] علي الخفاف[5] أنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس[6]، نا سلام بن سليم، نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ[7]:

«ومن[8] قرأ سورة «ص» أعطي من الأجر بوزن كل[9] جبل سخره الله لداود[10] حسنات وعصمه الله تعالى[11] أن يصر على ذنب صغيراً أو كبيراً[12]»[13].

---

(1) في (أ) بتر من أول سورة «ص» إلى قوله تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾.

(2) في المصحف وثمان.

(3) ما بين المعقوفين من (جـ).

(4) ساقط من (هـ).

(5) أبو سعد محمد بن علي الخفاف: هو أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري الخفاف عن أبي عمرو بن مطر وعنه أبو الحسن الواحدي. (انظر الإكمال ٣/٤٤)

(6) أحمد بن يونس: هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي. وثقه أبو حاتم والنسائي وابن سعد والعجلي وابن قانع وابن حبان. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وتوفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائتين من الهجرة. (انظر تهذيب التهذيب ١/٥٠).

(7) ساقطة من (ب، جـ).

(8) في (ب، جـ، د، هـ): من.

(9) من (جـ).

(10) في (جـ): (لداود عليه).

(11) من (جـ).

(12) ساقطة من (جـ).

(13) من ترجمة هارون بن كثير يتضح لنا أن الأحاديث الواردة في فضائل سور القرآن الكريم سورة سورة موضوعة، ولا أساس لها من الصحة، وقد نبّه على ذلك الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه «الموضوعات» حيث قال بعد ذكره هذه الأحاديث: «وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود، كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال ولكن شده جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنميق حديثهم ولو بالأباطيل، وهذا قبيح منهم؛ لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه الإمام أحمد في ٤/٢٥٥، ٥/٢٠ وحديث فضائل السور هذا مصنوع بلا شك ثم يقول: ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ـ ﷺ ـ، وقد روى في فضائل السور ميسرة بن عبد ربه قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. وقال الخليلي في الإرشاد: روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقيل له: من أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمغازي ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن، وجاء بسنده عن محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملا يقول: حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب، فقلت للشيخ: من حدثك؟ فقال: حدثني رجل بالمدائن «وهو حي» فسرت إليه فقلت: من حدثك؟ قال: شيخ بواسط «وهو حي» فسرت إليه، فقال: حدثني شيخ بالبصرة، =

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

﴿ص﴾ قال الضحاك: صدق الله[1]، وقال عطاء عن ابن عباس: «صدق محمد (ﷺ)[2]»[3]

﴿والقرآن ذي الذكر﴾ذي[4] الشرف كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾[5] وجواب القسم قد تقدم أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً [صلى الله عليه وسلم][6] قد صدق: كما تقول: فعل والله، وقام والله[7]، وقال أهل المعاني: جواب القسم محذوف بتقدير والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار[8]، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى[9] ﴿بل الذين كفروا﴾«قال مقاتل: [كفروا بالتوحيد، من أهل مكة[10]][11] ﴿في عزة﴾ حمية[12] وتكبر عن الحق ﴿وشقاق﴾ خلاف وعداوة لمحمد ـ ﷺ. ثم خوفهم فقال ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾[13]يعني الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل ﴿فنادوا﴾ عند وقوع الهلاك بهم باستغاثة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ساعة لا منجى[14]ولا فوت.

قال ابن عباس: ليس حين نُزُو[15]ولا فرار[16]. وقال قتادة: نادى القوم على غير حين النداء[17]. والمناص: مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر. ﴿ولات﴾ بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي «لا» زيدت فيها

= فسرت إليه فقال: حدثني شيخ بعبادان، فسرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة، ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن».

(انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٣٩: ٢٤٢ ـ واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١: ٢٢٦: ٢٢٨ بتصرف).

(١) انظر جامع البيان ٢٣/٧٥ ومعالم التنزيل ٤/٤٧ وفتح القدير ٤/٤١٩.

(٢) من (جـ).

(٣) انظر جامع البيان ٢٣/٧٥ ومعالم التنزيل ٤/٤٧ وفتح القدير ٤/٤١٩.

(٤) في (د): ذكر.

(٥) سورة الزخرف: آية رقم ٤٤.

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات للعكبري ٢/١٠٨، والكشاف للزمخشري ٣/٣٥٨.

(٩) من (د).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١١) انظر جامع البيان ٢٣/٧٦.

(١٢) الحمية: هي ما يعبر بها عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت. قال الراغب الأصبهاني في المفردات: وحميا الكأس سورتها وحرارتها وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت، وكثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه. قال تعالى ﴿حمية الجاهلية﴾ (مفردات غريب القرآن للأصبهاني مادة «حمي» ص ١٣٢).

(١٣) القرن: القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون قال: «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ـ وكم أهلكنا من القرون ـ وكم أهلكنا قبلهم من قرن» وقال «وقرونا بين ذلك كثيراً»، «ثم أنشانا من بعدهم قرنا آخرين» ـ «قرونا آخرين» (انظر المفردات مادة قرن ص ٤٠١).

(١٤) في (د) منجاة.

(١٥) النزو: الوثبان. انظر لسان العرب مادة «نزا».

(١٦) انظر تفسير الثوري صـ ٢٥٦ وتفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٥ وجامع البيان ٢٣/٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦.

(١٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٤ وجامع البيان ٢٣/٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦، والدر المنثور ٥/٢٩٦.

التاء، كما قالوا: ثم وثمت ورب وربت، وأصلها هاء وصلت «بلا» فقالوا لا لغير معنى حادث كما زادوا[١] هاءً[٢] في ثمة فلما وصلوها جعلوها تاءً[٣]. والوقف عليها بالتاء عند الزجاج[٤] وأبي علي[٥]. وعند الكسائي الوقف عليها بالهاء نحو قاعدة وضاربة. وعند أبي عبيد الوقف على ثم يبتدىء: تحين مناص؛ لأن عنده أن هذه التاء تزاد مع حين فيقال: كان هذا تحين كان ذاك[٦].

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾

قوله ﴿**وعجبوا**﴾ يعني الكفار الذين ذكرهم [الله تعالى][٧] في قوله «بل الذين كفروا» ﴿**أن جاءهم منذر منهم**﴾ يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم النار ﴿**وقال الكافرون هذا ساحر كذاب**﴾ حين زعم[٨] أنه رسول ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً**﴾ وذلك أن النبي ﷺ[٩] أبطل عبادة ما كانوا يعبدون من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا[١٠] من ذلك وقالوا[١١]: كيف **جعل** لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة كثيرة[١٢] قوله[١٣] ﴿**إنّ هذا**﴾ الذي يقول محمد من أن الإله واحد ﴿**لشيء عجاب**﴾ لأمر عجيب[١٤]. وهذا كما يقال كبير وكبار وطويل وطوال. وقوله[١٥] ﴿**وانطلق الملأ منهم**﴾ قال المفسرون[١٦] إن أشراف قريش أتوا أبا طالب واجتمعوا عنده وشكوا إليه النبي ﷺ

---

(١) في (د): (وزادوا).

(٢) في (هـ): (ها).

(٣) إعراب القرآن للعكبري ٢/١٠٨.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٩٨ والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. انظر شذرات الذهب ٢/٢٥٩ وطبقات الزبيدي ١١١، أنباه الرواة ١/١٥٩.

(٥) أبو علي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي النحوي الفارسي الأصل ولد سنة ٢٨٨ وتوفي سنة ٣٧٧. انظر وفيات الأعيان ١/١٣١، وتاريخ بغداد ٧/٢٧٥ وأنباه الرواة ١/٢٧٣. وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦، ومفاتيح الغيب ٢٦/١٧٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٩٨.

(٦) قال صاحب الكشاف: وأما قول أبي عبيدة إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام فلا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن القياس الخطي. (انظر الكشاف ٣/٣٥٩).

(٧) من (جـ).

(٨) في (أ، جـ، د، هـ) يزعم.

(٩) ساقطة من (ب).

(١٠) في (أ، ب، جـ) (فعجبوا).

(١١) في (د): (فقالوا).

(١٢) من (جـ، د).

(١٣) ساقطة من (جـ، د).

(١٤) قال الفراء: وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (لَشَيْءٌ عُجَّاب) والعرب تقول: هذا رجل كريم وكُرام وكُرّام والمعنى كله واحد مثل قوله تعالى ﴿مَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً﴾(سورة نوح) معناه: كبيراً فَشُدِّدَ. انظر معاني القرآن ٢/٣٩٨، وقال صاحب الكشاف: قرىء عُجّاب بالتشديد كقوله تعالى ﴿مَكْراً كُبّاراً﴾ وهو أبلغ من التخفيف ونظيره كريم وكُرام وكُرّام. انظر تفسير الكشاف ٣/٣٦٠.

(١٥) ساقطة من (د، هـ).

(١٦) رواه صاحب جامع البيان ٢٣/٧٧ وسنن الترمذي ٢/١٥٥ وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والمستدرك كتاب التفسير، تفسير سورة «ص» ٢/٤٣٢ وصححه ووافقه الذهبي. ومسند الإمام أحمد ١/٣٦٢، والدر المنثور ٥/٢٩٥.

وقالوا: إنه [سفه أحلامنا وسب آلهتنا][١] وعاب ديننا. فعاتب أبو طالب النبي ـ ﷺ وقال: ما تريد من قولك يا ابن أخي[٢]؟ فقال: أدعوهم إلى كلمة واحدة. قال: وما هي؟ قال: ﴿لا إله إلا الله﴾. فنفروا من ذلك وقالوا: ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً**﴾ وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض: ﴿**امشوا واصبروا على آلهتكم**﴾[٣] فذلك[٤] قوله ﴿**وانطلق الملأ منهم**﴾ أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب[٥] وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم ﴿**إن هذا**﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿**لشيء يراد**﴾ [لأمر يراد بنا][٦] ﴿**ما سمعنا بهذا**﴾ الذي يقول محمد أي من التوحيد ﴿**في الملة الآخرة**﴾ يعني النصرانية؛ لأنها آخر الملل، والنصارى لا يوحدون؛ لأنهم يقولون: ثالث ثلاثة وقال قتادة: يعنون[٧] دينهم الذي [هم عليه[٨]][٩]. ﴿**إن هذا**﴾ ما هذا الذي جاء به محمد من التوحيد والقرآن ﴿**إلا اختلاق**﴾ كذب[١٠] وافتعال، ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة فقالوا: ﴿**أءنزل عليه الذكر من بيننا**﴾ قال الزجاج: قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا[١١] [ونحن أكبر سناً وأعظم شرفاً منه][١٢]!!!؟ فقال[١٣] الله (تعالى)[١٤]: ﴿**بل هم في شك من ذكري**﴾ يعني حين قالوا ﴿**إن هذا إلا اختلاق**﴾ والمراد بالذكر القرآن ﴿**بل لما يذوقوا عذاب**﴾ تهديد لهم أي أنهم سيذوقونه، ثم أجاب[١٥] عن إنكارهم نبوته بقوله:

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾

﴿**أم عندهم خزائن رحمة ربك**﴾ يقول[١٦] أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ أي أنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿**العزيز**﴾ في ملكه ﴿**الوهاب**﴾ وهب النبوة لمحمد (ﷺ)[١٧]، ثم أخبر أن الملك له يصطفي من يشاء، وهو قوله: ﴿**أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب**﴾ أي إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا[١٨] في الأسباب التي توصلهم إلى السماء. قال قتادة ومقاتل: يعني الأبواب التي في السماء[١٩]. وقال الكلبي: يقول في

---

(١) في (ب، جـ، د، هـ) سب آلهتنا وسفه أحلامنا.

(٢) في ب (أخ).

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح عن معمر عن الكلبي ٨/٥٤٥ وليراجع جامع البيان ٢٣/٨٠ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٥٩٥.

(٤) في (د): (وذلك).

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي عم رسول الله ـ ﷺ ـ شقيق أبيه توفي قبل الهجرة. انظر الإصابة ٤/١١٥: ١١٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (يعني).

(٨) في (ب): الذي (عليهم).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/٨٠ وصحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص» وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٨.

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص».

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧.

(١٢) ما بين المعقوفين ليس من كلام الزجاج ـ انظر معاني القرآن صـ٣.

(١٣) في (جـ) قال.

(١٤) من (جـ).

(١٥) في (جـ): أجابهم.

(١٦) في (هـ) يعني.

(١٧) في (جـ): عليه السلام.

(١٨) في (هـ) فاصعدوا.

(١٩) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٦ وجامع البيان ٢٣/٨٢ وفتح الباري ٨/٥٤٥، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩.

طرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب وطريق فهو سببه[١]. ثم أخبر عن هزيمتهم ببدر[٢] وهو قوله ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾. قال قتادة: أخبر الله تعالى[٣] وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها [يوم بدر.[٤] و «جند» خبر ابتداء[٥] محذوف بتقدير: هم جند و ﴿ما﴾ زائدة و ﴿هنالك﴾ إشارة إلى بدر ومصارعهم بها، والأحزاب سائر][٦] من[٧] تقدمهم[٨] من الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

يدل على[٩] هذا قوله ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾[١٠] قال المفسرون[١١]: كانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشددون ملكه كما يقوي الوتدالشيء[١٢]: وقيل[١٣] ذو[١٤] الملك الشديد الثابت[١٥] كما قال الأسود[١٦]:

في ظل ملك ثابت الأوتاد[١٧]

---

(١) انظر معالم التنزيل ٤/٤٩.

(٢) بدو: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر، ليلة، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة ٢ هـ. (انظر معجم البلدان للحموي ١/٣٥٧، ٣٥٨).

(٣) من (جـ).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٦ وجامع البيان ٢٣/٨٣ ومعالم التنزيل ٤/٤٩ وفتح الباري ٨/٥٤٥ والدر المنثور ٥/٥٤٥.

(٥) ذكر الواحدي أن (جند) خبر ابتداء والصواب أن يقال: إنها خبر مبتدأ محذوف لأن ابتداء مصدر ابتدأ [والابتداء لا يخبر عنه فهل سيقول ابتداء جند؟ أوهل يقول هم ابتداء؟ أم هم مبتدأ؟ لأن الابتداء حدث والحدث لا يخبر عنه أما الأخبار تكون عن الذوات] والجند ذوات فكيف يخبر بالذات عن الحدث.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ). (٧) في (د): ما. (٨) في (جـ) تقدم. (٩) في (هـ): عليه.

(١٠) الوَتِد بالكسر والوَتْدُ والوَدُّ: ما رز في الحائط أو في الأرض من الخشب والجمع أوتاد قال تعالى: ﴿والجبال أوتاداً﴾ قوله عز وجل ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ جاء في التفسير أنه كانت له جبال وأوتاد يلعب له بها. (انظر اللسان مادة (وتد). وقال الفخر الرازي في تفسيره. أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب بأوتاده ثم استعير لإثبات العز والملك كما قال الشاعر:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد

قال القاضي حمل الكلام على الوجه أولى؛ لأنه لما وصف بتكذيب الرسل: فيجب فيما وصف به أن يكون تفخيما لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ. انظر مفاتيح الغيب ٢٦/١٨١.

(١١) انظر جامع البيان ٢٣/٨٣ ومفاتيح الغيب ٢٦/١٨٢ وفتح القدير ٤/٤٢٣.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٤٠/٥٠ وفتح القدير ٤/٤٢٣ وروح المعاني للألوسي ٢٣/١٧١.

(١٣) في د: وقال قيل ذو الملك. (١٤) في (جـ): ذي. (١٥) انظر جامع البيان ٢٣/٨٣ ومعالم التنزيل ٤/٤٩.

(١٦) الأسود: هو الأسود بن يعفر وهو شاعر جاهلي من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم وكنيته أبو الجراح. انظر الشعر والشعراء رقم ٢٠ صـ ٢٥٥ لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ١٩٦٦.

(١٧) البيت في غريب القرآن ٣٧٧ والبحر المحيط ٧/٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٥ والمفضليات ٢١٧ والكشاف ٣/٣٦٢ ومعالم التنزيل ٤/٤٩.

ولما ذكر هؤلاء المكذبين قال: ﴿**أولئك الأحزاب**﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب. ﴿**إن كل**﴾ ما كل منهم ﴿**إلا كذب الرسل**﴾ فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم ﴿**وما ينظر هؤلاء**﴾ يعني كفار مكة أي ما ينتظرون[١] لوقوع العذاب بهم ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ يعني النفخة الأخيرة[٢] ﴿**ما لها من فواق**﴾ وقرىء[٣] بالضم قال الزجاج[٤]: فُواق وفَواق بضم الفاء وفتحها أي ما لها من رجوع[٥] والفـواق ما بين حلبتي الناقة وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة، قال مجاهد: ما لها من فواق رجوع[٦]. أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون[٧] له رجوع وهو معنى قول مقاتل من مرد ولا[٨] رجعة[٩].

وقال قتادة والضحاك: ليس لها مثنوية[١٠] أي صرف ورد، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف حتى يبعثوا وينجز لهم ميعاد العذاب. قوله تعالى[١١] ﴿**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**﴾ معنى القط في اللغة: النصيب، من القط بمعنى القطع، والنصيب إنما هو القطعة من الشيء وتسمى[١٢] كتب الجوائز قطوطاً لأنهم كانوا يكتبون الأنصباء من العطايا في الصحائف يقال: أخذ فلان قطة إذا أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته وصلته، ثم سميت الكتب قطوطاً وإن لم تكن للصلة، والمفسرون مختلفون على هذين القولين فقال ابن عباس: قطنا حظنا من العذاب والعقوبة[١٣] وقال قتادة: نصيبنا من العذاب[١٤] يقولون ذلك استهزاء وقال سعيد بن جبير والسـدي: لما ذكر لهم ما في الجنة ﴿**قالوا ربنا عجل لنا**﴾[١٥] نصيبنا منها في الدنيا[١٦].

---

(١) في (هـ): [ينظرون].

(٢) قال ابن كثير: وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع. إلا من استثنى الله عز وجل. (انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩).

(٣) اختلف في (فواق) فحمزة والكسائي وخلف بضم الفاء وهي لغة تميم وأسد وقيس وافقهم الأعمش، والباقون بفتحها لغة الحجاز وهو الزمان بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع. (انظر إتحاف فضلاء البشر صـ ٣٧٢، والنشر في القراءات العشر ص ٣٦١، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة صـ ١٧١).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج صـ ١٧٧.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة (ص).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٢/٥٤٨، وجامع البيان ٢٣/٨٤، وفتح القدير ٤/٤٢٤.

(٧) في (جـ) يكون.

(٨) ساقطة من (جـ).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/٨٤ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٣ وفتح الباري ٨/٥٤٥ وتفسير الثوري صـ ٢٥٦ وغريب القرآن لابن قتيبة صـ ٣٧٧ والدر المنثور ٥/٢٩٧.

(١٠) مثنوية: أي رجوع وارتداد كما في جامع البيان ٢٣/٨٤.

(١١) من (جـ).

(١٢) في (ب) وسمى وفي (د، هـ) ويسمى.

(١٣) في صحيح البخاري القط: العذاب. انظرك التفسير تفسير سورة (ص) وجامع البيان ٢٣/٨٥.

(١٤) انظر جامع البيان ٢٣/٨٥ وليراجع تفسير الثوري ٢٥٧ ومعالم التنزيل ٤/٥٠ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٦٠١ وفتح الباري ٨/٥٤٥ ومعاني القرآن للفراء ٢/٤٠٠.

(١٥) ساقطة من (جـ، هـ).

(١٦) انظر جامع البيان ٢٣/٨٥.

وقال أبو العالية[١] والكلبي ومقاتل: لما نزلت[٢] ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾[٣] ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾[٤] قالت قريش: زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب يقولون ذلك تكذيباً[٥] له[٦] فقال[٧] الله [عز وجل][٨]:

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اصبر﴾ يا محمد ﴿على ما يقولون﴾ من تكذيبك ﴿واذكر عبدنا داود﴾ لكي تتقوى على الصبر بذكر قوته على العبادة وهو قوله ﴿ذا الأيد﴾ أي ذا القوة على العبادة [وفي طاعة الله قال الزجاج: وكانت قوة داود على العبادة][٩] أتم قوة، كان[١٠] يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان يصلي نصف الليل[١١] ﴿إنه أواب﴾ رجاع[١٢] عن كل ما يكره الله [إلى ما يحب الله][١٣].

قوله[١٤] تعالى[١٥]: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ [هذا كقوله ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾][١٦] وقد مر تفسيره[١٧] وقوله: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال الكلبي: غدوة[١٨] وعشية[١٩] يقال: أشرقت الشمس إذا أضاءت، وروي عن ابن عباس [رضي الله عنه][٢٠] بطرق: أنه فسر التسبيح بالإشراق في هذه الآية بصلاة

---

(١) في (جـ) أبو عالية: وأبو العالية هو البراء البصري اسمه زياد وقيل: كلثوم، وقيل: أذينة، وقيل: ابن أذينة، ثقة من الرابعة مات في شوال سنة تسعين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٢/٤٤٣).

(٢) في (د، هـ) نزل.

(٣) سورة الحاقة/ آية رقم ١٩.

(٤) سورة الحاقة/ آية رقم ٢٥.

(٥) انظر معالم التنزيل ٤/٥٠، ٥١.

(٦) في (أ، ب، جـ، هـ) به.

(٧) في (أ، ب، د، هـ) قال.

(٨) من (د) وفي (جـ) تعالى.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٠) في (جـ) وكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧ وقول الزجاج هذا مقتبس من قول رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً» انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب من نام عند السحر. وكتاب الأنبياء باب أحب الصلاة صلاة داود وصحيح مسلم كتاب الصيام باب النهي عنه صوم الدهر.

(١٢) في (جـ، د، هـ،) راجع.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من (جـ).

(١٤) ساقط من (د، هـ).

(١٥) من (جـ).

(١٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) والآية من سورة الأنبياء/ آية رقم ٧٩.

(١٧) من (جـ) عند قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾

(١٨) الغدوة. الغدوة والغداة من أول النهار، وقوبل في القرآن الغدو بالآصال نحو قوله ﴿بالغُدُوِّ والآصَال﴾ وقوبل الغداة بالعشي قال «بالغداة والعشي. غدوها شهر ورواحها شهر» مفردات غريب القرآن مادة (غدا) صـ ٥٣٨).

(١٩) العشي: من زوال الشمس إلى الصباح قال: ﴿إلا عَشِيّة أو ضُحَاها﴾ المفردات مادة (عشا) صـ ٣٣٥.

(٢٠) من (د).

الضحى، أخبرنا أبو إسحاق الواعظ أنا الحسين بن محمد بن [1] الحسين نا عبيد الله بن محمد بن شيبة [2] [نا الحسين بن بختويه نا أبو أمية محمد بن إبراهيم [3] نا الحجاج بن نصير [4] نا] [5] أبو بكر الهذلي [6] عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس [رضي الله عنه] [7] في قوله: ﴿بالعشي والإشراق﴾ قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانىء بنت أبي طالب [8] أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق» [9] ﴿والطير﴾ معطوفة على الجبال، كأنه قال: وسخرنا الطير ﴿محشورةً﴾ مجموعة إليه تسبح لله [10] معه قال ابن عباس: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه [11] وهو قوله ﴿كل له أواب﴾ رجاع إلى طاعته وأمره أي كل له مطيع بالتسبيح معه ﴿وشددنا ملكه﴾ قوينا ملكه بالحرس والجنود. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون [12] ألف رجل فإذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وهذا قول جماعة المفسرين [13] أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز [14] فيما [15] أجاز لي أن أبا الفضل الحدادي [16] أخبرهم عن أبي يزيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم نا عبد الله بن يزيد المقرىء نا داود بن أبي

---

(١) من (جـ).

(٢) في (هـ) الشيبة.

(٣) أبو أمية محمد بن إبراهيم هو محمد بن إبراهيم بن مسلم، الخزاعي، أبو أمية الطرسوسي، بغدادي الأصل، مشهور بكنيته، صدوق صاحب حديث، يهم، من الحادية عشرة، مات سنة ثلاث وسبعين (تقريب التهذيب ٢/١٤١).

(٤) الحجاج بن نصير ـ الفساطيطي القيسي ـ أبو محمد البصري ضعيف كان يقبل التلقين، من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة (انظر تقريب التهذيب ١/١٥٤)

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٦) أبو بكر الهذلي البصري اسمه: سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري قال عنه يحيى ين معين: ليس بشيء، وفي موضع آخر قال: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: كان ضعيفاً. وقال أبو حاتم: لين الحديث. مات سنة سبع وستين ومائة هجرية، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٤٥، ٤٦ وميزان الاعتدال ٤/٤٩٧.

(٧) من (جـ).

(٨) في (ب) بنت أبي صالح، وأم هانىء بنت أبي طالب الهاشمية اسمها: فاختة وقيل هند، لها صحبة ماتت في خلافة معاوية (تقريب التهذيب ٢/٦٢٥).

(٩) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٧/٩٩ كتاب التفسير تفسير سورة (ص)، وجامع البيان ٢٣/٨٧. والإشراق: يقال شرقت الشمس شروقاً طلعت، وقيل: لا أفعل ذلك ما ذَرّ شارقٌ، وأشرقت أضاءت قال: (بالعشي والإشراق) أي وقت الإشراق. (انظر المفردات مادة شرق، صـ ٢٥٩).

(١٠) في (د) الله.

(١١) انظر جامع البيان ٢٣/٨٧ وتفسير الكشاف ٤/٣٦٥ والتفسير الكبير ٢٦/١٨٦.

(١٢) في (د) ثمانون.

(١٣) انظر مفاتيح الغيب ٢٦/١٨٧ نقلاً عن الواحدي ومعالم التنزيل ٤/٥١.

(١٤) أبو عمرو محمد بن عبد العزيز: هو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة واسمه غزوان اليشكري مولاهم أبو عمرو المروزي قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي والدارقطني: ثقة. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين هجرية وذكره ابن حبان في الثقات (انظر تهذيب التهذيب ٩/٣١٢، ٣١٣).

(١٥) ساقطة من (جـ).

(١٦) أبو الفضل الحدادي: هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي، قال الحاكم: كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا، مات سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٣٧٠).

الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى [١] على رجل من عظمائهم عند داود [٢] فقال: إن هذا غصبني بقراً لي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة فلم تكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده[٣] فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي[٤] استعدى عليه. فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى [٥] أتثبت. فأوحى الله إليه في منامه أن يقتله، فلم يفعل، فأوحى الله إليه[٦] الثالثة [أن يقتله][٧] أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال له: إن الله أوحى إليَّ أن أقتلك فقال الرجل: تقتلني بغير بينة؟ فقال[٨] داود: نعم والله لأنفذن أمر الله فيك. فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: لا تعجل علي حتى أخبرك وإني [٩] والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت أبا [١٠] هذا فقتلته فبذلك أخذت. فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل لداود[عليه السلام][١١] عند ذلك وشدد به ملكه وهو[١٢] قوله [**وشددنا ملكه**][١٣]»[١٤].

وقوله ﴿**وءاتيناه الحكمة**﴾ قال ابن عباس: النبوة والمعرفة بكل ما حكم، وقال مقاتل [الفهم والعلم].[١٥] ﴿**وفصل الخطاب**﴾ يعني الشهود[١٦] والأيمان البينة[١٧] على المدعي واليمين على من أنكر[١٨]؛ لأن خطاب[١٩] الخصوم[٢٠] إنما ينقطع وينفصل بهذا وهذا[٢١] قول [أكثر المفسرين][٢٢] وقال ابن مسعود ومقاتل وقتادة: هو العلم بالقضاء والفهم فيه[٢٣]. قوله تعالى[٢٤]:

---

(١) استعدى: يقال استعديت الأمير على الظالم طلبت منه النصرة، فأعداني عليه: أعانني ونصرني، فالاستعداء: طلب التقوية والنصرة. انظر المصباح مادة (عدي).

(٢) في (جـ) داود عليه.

(٣) في (هـ) عند.

(٤) من (د، هـ).

(٥) ساقطة من (هـ).

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (د، هـ) أن يفعل.

(٨) في (جـ، د، هـ) قال.

(٩) في (د، هـ) إني.

(١٠) في (د، هـ) أب.

(١١) من (جـ).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من د.

(١٤) انظر جامع البيان ٢٣/٨٨، والدر المنثور وقال: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ٦/٢٩٩ ومعاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧ ومعالم التنزيل ٤/٥١ والبداية والنهاية ٢/١٢. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٣/٨٨ أن يقال: [إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها ولا قول أولى ذلك بالصحة من قول الله إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له].

(١٥) في (حـ) العلم والفهم.

(١٦) في (د) المشهود.

(١٧) في (جـ) والبينة.

(١٨) هذا نص حديث عن رسول الله ﷺ رواه الترمذي في سننه كتاب الأحكام باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه ٣/٦١٧ عن ابن عباس وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وانظر جامع البيان ٢٣/٨٨، ٨٩ ومعالم التنزيل ٤/٥٢ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٠.

(١٩) ساقطة من (جـ).

(٢٠) في (جـ) الخصومة.

(٢١) في (جـ) هذا.

(٢٢) في (د، هـ) الأكثرين.

(٢٣) انظر جامع البيان ٢٣/٨٨ ورواه ابن عباس والحسن والكلبي ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وليراجع تفسير الثوري صـ ٢١٧ ومعالم التنزيل ٤/٥٢، والدر وعزاه إلى البيهقي عن قتادة ٥/٣٠٠ وفتح القدير ٤/٤٢٥.

(٢٤) من (جـ).

۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

﴿**وهل أتاك نبأ الخصم**﴾ (١) قال مقاتل: بعث الله تعالى (٢) إلى داود [عليه السلام] (٣) ملكين جبريل وميكائيل (٤) لينبهه على التوبة فأتياه في المحراب.

وهو(٥) قوله ﴿**إذ تسوروا المحراب**﴾(٦) يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته. وإنما قال: ﴿**تسوروا**﴾ والخصم(٧) ها هنا اثنان؛ لأنه على مذهب من يجعل الاثنين جماعة(٨)، والمحراب(٩) ها هنا كالغرفة قال محمد بن إسحق: بعث الله [تعالى إليه](١٠) ملكين يختصمان إليه مثلاً ضربه الله له وأصحابه فلم يُرَعْ داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: لا تخف(١١).

---

(١) الخصم: مصدر خصمته أي نازعته خَصْماً يقال: خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاماً قال تعالى: ﴿**وهو ألد الخِصَام**﴾ ﴿**وهو في الخصام غير مبين**﴾ ثم سمى المخاصم خصماً واستعمل للواحد والجمع وربما ثني، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب وروي نسيته في خصم فراشي، والجمع خصوم وأخصام وقوله «خصمان اختصموا» أي فريقان ولذلك قال: اختصموا وقال: «لا تختصموا» وقال «وهم فيها يختصمون».
انظر المفردات في غريب القرآن مادة (خصم) صـ ١٤٩.

(٢) من (جـ).
(٣) من (جـ).
(٤) ساقطة من (د).
(٥) ساقطة من (هـ).

(٦) جاء «الخصم» هنا ولفظه لفظ الواحد و«تسوروا» ولفظه لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى يقال: هذا خصم وهي خصم وهما خصم وهم خصم وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر تقول: خصمته أخصمه خصماً المعنى: هما ذوا خصم وهم ذوو خصم وإن قلت خصوم جاز كما تقول: هما عدل، وهما ذوا عدل وقال «وأشهدوا ذوي عدل منكم» فمعنى هما عدل هما ذوا عدل، فما كان من المصادر قد وصفت به الأسماء فتوحيده جائز وإن وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وإن وصفت به الأنثى، هو رضى وهما رضى وكذلك هذه رضى. انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقه ١٧٨.

(٧) في (هـ) الخصم.
(٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات ٢/١٠٩.

(٩) محراب المسجد قيل سمي بذلك: لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى وقيل سمي بذلك: لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريباً من أشغال الدنيا ومن نوازع الخواطر وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم اتخذت المساجد فسمي صدره به. وقيل: بل المحراب أصله في المسجد. وهو اسم خص به صدر المجلس، فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد، وكأن هذا أصح. قال عز وجل ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل**﴾ انظر المفردات مادة (حرب) صـ ١١٢.

(١٠) من (جـ، د).
(١١) انظر جامع البيان ٢٣/٩٥، ٩٦.

وهو قوله: «﴿إذ دخلوا علـى داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى﴾[١]»[٢] أي نحن ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾[٣] فجئناك لتقضي بيننا وهو قوله: ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يقال شط الرجل وأشط شططاً وإشطاطاً إذا جار في حكمه وقضيته. قال المفسرون لا تجر علينا ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ احملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره. فقـال داود: تكلما فقال أحد الملكين ﴿إن هذا أخي له﴾[٤] أي[٥] على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ يعني امرأة. والنعجة البقرة الوحشية، والعرب تكني بها عن المرأة وتشبه النساء بالنعاج من البقر وإنما عنى (بهذا داود)[٦]، لأنه كانت له تسع وتسعون امرأة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ امرأة واحـدة ﴿فقال أكفلنيهـا﴾ ضعها إلي واجعلني كافلها[٧] وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها ﴿وعزني في الخطاب﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي، لأنه كان الملك. والمعنى أنه كان أقدر على الخطاب بعزة ملكه. وهذه القصة تمثيل لأمر داود[٨] مع «أوريا» زوج المرأة التي أراد أن يتزوج بها[٩] قال داود ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ أي بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه أي[١٠] إن كان الأمر على ما تقول[١١] فقد ظلمك أخوك بما كلفك من تحولك عن امرأتك ليتزوجها هو. ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال. يريد أن الشركاء كثير منهم يظلم بعضهم بعضاً وهو قوله: ﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾ وظن داود أنهما شريكان فلذلك قال: ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وقوله: ﴿إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ أي[١٢] فإنهم لا يظلمون أحداً [﴿وقليل ما هم﴾ أي هم قليل يعني الصالحين الذين لا يظلمون][١٣] قال المفسرون: فلما قضى بينهما داود (عليه السلام)[١٤] نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه، وأن ما ذكر[١٥] من القصة تمثيل لقصته هو. وقوله:

---

(١) الفزع: الخوف. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٩٩ ـ قال ابن كثير في تفسيره وقوله تعالى ﴿ففزع منهم﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألونه عن شأنهما اهـ. ٤/٣١.

(٢) من (جـ).

(٣) بغى: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحري تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارة تعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب وابتغيت كذلك قال عز وجل ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾، والبغي على حزبين أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام «الحق بيّن والباطل بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن رتع حول الحمى أوشـك أن يقع فيه» ولأن البغي قد يكون محموداً ومذموماً قال تعالى ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ فخص العقوبة ببغيه بغير الحق. انظر المفردات مادة (بغى) صـ ٥٥.

(٤) من (هـ).

(٥) من (د، هـ).

(٦) في (جـ) داود بهذا.

(٧) كافلها: الكفالة الضمان وتقول تكفلت بكذا وكفلته فلانا وقرىء «وكفَّلها زكريا» أي كفلها الله تعالى، ومن خفف جعل الفعل لزكريا، المعنى تضمنها، قال تعالى ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفل بأمره، نحو قوله تعالى ﴿فقال أكفلنيها﴾ أي اجعلني كفلاً لها.
انظر المفردات مادة (كفل) صـ ٤٣٦.

(٨) في (جـ) داود (عليه).

(٩) ساقطة من (جـ).

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١١) في (د) تقوله وفي (هـ) يقول.

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (هـ).

(١٤) من (جـ).

(١٥) في (جـ) ذكراه.

﴿وظن داوود أنما فتنّاه﴾ (أي أيقن وعلم)[١] أنا ابتليناه بما وقع له من القصة ونظره إلى المرأة وافتتانه بها (وكان قد)[٢] أعجب بعبادته فلما ابتلي بهـا هويها[٣] وقال لزوجها تحول لي عنها فعوتب على محبة امرأة من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة فكان[٤] ذلك ذنباً من ذنوب الأنبياء التي يعاتبون عليها وذلك قوله: ﴿فاستغفر ربه﴾ سأل ربه غفران ذلك الذنب[٥]

(١) في (د) أي علم وأيقن.
(٢) في (د) وقد كان.
(٣) في (جـ) وهويها.
(٤) في (جـ) وكان.
(٥) انظر جامع البيان ٢٣/٩٤ ـ ٩٦ ولباب التأويل للخازن ٦/٤٥: ٤٩ والحكيم الترمذي في نوادر الأصول صـ ١٨٨ والدر المنثور ٥/٣٠١ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن. وهذه الرواية وغيرها من الروايات التي ذكرها الواحدي وغيره من المفسرين في كتبهم عن ابتلاء نبي الله داود ما ورد منها «مرفوعاً» فهو ضعيف، وما ورد منها «موقوفاً» فهو من الإسرائيليات كما قال ابن كثير في تفسيره، يقول: وقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣١ فهي إذاً روايات لا أساس لها من الصحة لأنه من المعلوم كما يقول الخازن في تفسيره: أن من خصه الله تعالى بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، وائتمنه على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يتحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك!!!؟، روى ابن سعيد بن المسيب والحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء، وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه الله في قصة داود «وظن داود أنما فتناه» وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الإمام فخر الدين: حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا. وقال غيره: إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ؟ ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت في مدح شخص، كيف تجري ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم. (انظر لباب التأويل للخازن ٦/٤٩، ٥٠)

وبعد إثبات بطلان ما ورد في فتنة سيدنا داود فإن التفسير المقبول لهذه الآيات هو ما ذكره ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) حيث يقول في تفسير قول الله: «وهل أتاك نبـأ الخصم»: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة لأن الله تعالى يقول ﴿وهل أتاك نبـأ الخصم﴾ فقال هم لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له: أكفلنيها، ثم يقول: وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له فالأنبياء ـ عليهم السلام ـ أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب، فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾، وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وظن داود أنما فتنّاه﴾ وقوله تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك﴾ فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة ٤/١٨، ١٩.

وهذا كلام وجيه من الإمام ابن حزم فالكلام في الآيات على الحقيقة فالخصمـان من بني آدم والنعاج نعاج حقيقية وإذا كانت العرب تكني بالنعجة عن المرأة فلا ينبغي اللجوء إلى الكناية ما دامت الحقيقة ممكنة أما قول الله تعالى ﴿وظن داود أنما فتنّاه فاستغفر ربه﴾ فيمكن حمله على ما ذكره ابن حزم، أو على ما ذكره الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات»: من أن=

﴿وخر راكعاً﴾[١] قال ابن عباس ساجداً[٢] وعبر عن السجود بالركوع لأن كليهما[٣] بمعنى الانحناء ﴿وأناب﴾ راجع [إلى ما][٤] يحب الله من التوبة والاستغفار أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى (رضي الله)[٥] عنه أنا محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع قال: قال الشافعي (رضي الله عنه)[٦]: أخبرني[٧] ابن عيينة عن عبدة[٨] عن زر عن ابن مسعود[٩]: أنه كان لا يسجد في ﴿ص﴾ ويقول: إنما هي توبة نبي[١٠] ﴿فغفرنا له ذلك﴾ قال ابن عباس: غفر له ذلك الذنب[١١]. ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ لقربة ومكانة ومنزلة حسنة. أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا (أبو علي الفقيه)[١٢] أنا إبراهيم بن عبد الله العسكري أنا محمد بن صالح حدثني محمد بن منصور البرداني عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾[١٣] قال يقول الله (عز وجل)[١٤] لداود وهو قائم بساق العرش: يا داود مجدني[١٥] بذلك الصوت الرخيم[١٦] اللين[١٧] فيقول: كيف وقد سلبتنيه في الدنيا فيقول: إني أرده عليك، قال: فيرفع داود صوته بالزبور[١٨] فيستفرغ نعيم أهل الجنة[١٩] قوله ﴿وحسن مئاب﴾[٢٠] يعني الجنة التي هي مآب[٢١] الأنبياء والأولياء. قوله: ﴿يا داود﴾ (أي قلنا له يا داود)[٢٢] ﴿إنا جعلناك﴾ صيرناك ﴿خليفة في الأرض﴾ تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بالعدل الذي هو حكم الله بين خلقه ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ قال مقاتل: لا يستزلنك الهوى عن طاعة الله ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

= داود لما دخل عليه الخصمان ارتاع منهما وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل الواثقين بحفظه ورعايته وظن بهما سوءاً وأنهما جاءا ليقتلاه أو يبغيا به شراً ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه فلما قضى بينهما وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما استغفر ربه وخَرَّ ساجداً لله تعالى. صـ ٣٧٦.

(١) في (جـ) ركعا.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣١.

(٣) في (هـ) كلامنهما وفي (جـ) كلاهما.

(٤) في (ب، جـ، د، هـ) بما.

(٥) من (جـ).

(٦) من (هـ).

(٧) في (جـ) أخبرنا.

(٨) عبدة: هو عبدة بن أبي لبابة الأسدي أبو القاسم البزار الكوفي نزيل دمشق ثقة من الرابعة ـ أخرج له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وثقه أبو حاتم والنسائي وابن خراش (انظر تهذيب التهذيب ٦/٤٦٢ والتقريب ١/٥٣٠).

(٩) سبقت ترجمته.

(١٠) قال الإمام ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يسجد فيها رواه البخاري في أبواب سجود القرآن وسننها باب سجدة «ص» وأبو داود في سننه ٢/٥٩، وتحفة الأحوذي ٣/١٧٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣١.

(١١) انظر جامع البيان للطبري ٢٣/٩٧.

(١٢) في (د) أبو علي ناهر بن أحمد الفقه.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) في (ب) تعالى.

(١٥) مجدني: أي شرفني وعظمني (انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٧٩)

(١٦) الرخيم: هو الرقيق الشجي الطيب النغمة. انظر النهاية ٢/٧٥.

(١٧) من (أ) ومعناها السكون والوقار والخشوع (انظر النهاية ٤/٧٣).

(١٨) الزبور: الكتاب الذي نزل على سيدنا داود.

(١٩) رواه ابن أبي حاتم انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٢ والدر المنثور ٥/٣٥٥.

(٢٠) من (د، هـ).

(٢١) مآب: أي مرجع ومنقلب إليه يوم القيامة. انظر جامع البيان ٢٣/٩٧.

(٢٢) في (د) أي يا داود قلنا له.

الحساب﴾ قال عكرمة [١] والسدي [٢] في الآية تقديم وتأخير على تقدير ولهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل، وقال الزجاج[٣] أي بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وإن كانوا ينذرون ويذكرون.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾[٤] قال ابن عباس: لا للثواب والعقاب[٥] ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾[٦] يعني أهل[٧] مكة ﴿فويل للذين كفروا﴾[٨] هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء وأنه لا قيامة ولا حساب قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة من الخير (ما تعطون)[٩] فأنزل الله تعالى[١٠] ﴿أم نجعل الذين آمنوا [وعملوا الصالحات][١١]﴾[١٢] أي صدقوا بي[١٣]﴿وعملوا الصالحات﴾[١٤] عملوا بفرائضي ﴿كالمفسدين في الأرض﴾[١٥] بالمعاصي ﴿أم نجعل المتقين﴾ يريد به[١٦] أصحاب النبي ﷺ ﴿كالفجار﴾[١٧] وهم الكفار كقوله ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾[١٨] الآية وقوله[١٩]: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ :وهم الكفار لقوله[٢٠]﴿كتاب﴾ أي[٢١]

---

(١) انظر جامع البيان ٢٣/٩٧ ومعالم التنزيل ٤/٥٩.
(٢) انظر معالم التنزيل ٤/٥٩ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٢.
(٣) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.
(٤) الباطل: نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه. المفردات مادة (بطل) صـ ٥٠ والمعنى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً ولعباً، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهى إلى أمرنا ونهينا (انظر جامع البيان ٢٣/٩٧).
(٥) انظر معالم التنزيل ٤/٥٩.
(٦) في (د) ولكن.
(٧) ساقطة من (د).
(٨) من (د).
(٩) في (هـ) يعطون.
(١٠) من (د).
(١١) من (جـ).
(١٢) انظر معالم التنزيل ٤/٥٩.
(١٣) ساقطة من (د، هـ).
(١٤) ساقطة من (جـ).
(١٥) الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فسد فساداً وفسوداً وأفسده غيره. أنظر المفردات مادة (فسد) صـ ٣٧٩.
(١٦) من (جـ).
(١٧) الفجار: الفجور شق ستر الديانة، يقال: فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعه فجار وفجرة قال: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ (المطففين آية ٧) ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ (الانفطار ١٤) ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ (عيسى ٤٣) وقوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ (القيامة ٥) أي يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل: معناه ليذنب فيها وقيل: معناه يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به، وسمي الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور. (انظر المفردات مادة (فجر) صـ ٣٧٣).
(١٨) سورة الجاثية/ آية رقم ٢١.
(١٩) سورة القلم/ آية ٣٥.
(٢٠) من (د).
(٢١) من (د).

هذا كتاب يعني القرآن ﴿أنزلناه إليك مبارك﴾ كثير خيره ونفعه ﴿ليدبروا﴾ ليتدبروا[١] ﴿ءاياته﴾ وليتفكروا[٢] فيها فيقرروا عندهم صحتها ﴿وليتذكر﴾ بما فيه من المواعظ أهل اللب[٣] والعقل. قوله[٤]:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ووهبنا لداود سليمٰن﴾ يعني ولداً، ثم مدح سليمان بقوله[٥]: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ راجع عما يكره الله إلى ما يحب ﴿إذ عرض عليه بالعشيّ﴾ بعد العصر ﴿الصافنات﴾ يقال: صفن الفرس يصفن صفوناً إذا قام على ثلاث، وقلب أحد حوافره. و ﴿الجياد﴾ جمع جواد وهو الشديد الحضر[٦] من الخيل. قال ابن عباس: يريد الخيل السوابق[٧] إذا وقفت صفنت على أطراف حوافرها عرضت عليه حتى شغلته عن صلاة العصر إلى أن غابت الشمس [٨]، فذلك قوله تعالى [٩] ﴿فقال إني أحببت حب الخير﴾ يعني الخيل والخيل مال، والخير بمعنى المال كثير في التنزيل. قال الزجاج: الخير ها هنا الخيل[١٠] والنبي ﷺ[١١] سمى زيد الخيل زيد الخير، وسميت الخيل خيراً، لأن الخير معقود بنواصيها الأجر والمغنم[١٢]. قال الفراء: يقول آثرت حب الخير[١٣] وكل من أحب شيئاً فقد آثره. وقوله ﴿عن ذكر ربي﴾ أي على ذكر ربي يعني صلاة العصر. ﴿حتى توارت

---

(١) ساقطة من (حـ).

(٢) في (أ، ب، جـ، د) يتفكروا.

(٣) اللب: العقل الخاص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه كاللباب واللب من الشيء، وقيل: هو ما زكي من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبا. ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب، نحو قوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ إلى قوله: ﴿أولوا الألباب﴾(البقرة ٢٦٩) ونحو ذلك من الآيات (انظر المفردات مادة «لب» صـ ٤٤٦).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (هـ) بقول.

(٦) الحضر: الحضر بالضم العدو وأحضر فهو محضر إذا عدا.

(٧) انظر معالم التنزيل ٤/٦٠.

(٨) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به: أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد المغرب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه. ويحتمل أنه كان سائغاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر، والأول أقرب، لأنه قال بعدها: «ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» وذهب ابن جرير إلى أنه ذهب يمسح عراقيب الخيل وأعرافها لأنه لم يكن له أن يعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك ما له لغير سبب. وخالفه ابن كثير لاحتمال أن يكون مثل هذا جائزاً في شرعهم ولا سيما إذا كان غضبا لله، ولذلك عوضه الله بما هو خير منها من الريح التي هي أسرع من الخيل (اهـ)ملخصاً (انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٤).

(٩) من (جـ).

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.

(١١) في (أ، ب، جـ) أسمى.

(١٢) هذا الكلام مقتبس من قول رسول الله ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب حدثني محمد بن المثنى عن أنس.

(١٣) انظر معانى القرآن للفراء ٢/٤٠٥.

بالحجاب﴾ [(١)] حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار. قال الحسن[(٢)] إن سليمان [عليه السلام][(٣)] لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله تعالى[(٤)] فقال **﴿ردوها علي﴾** أي أعيدوها علي **﴿فطفق﴾** قال أبو عبيدة [(٥)]: طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو [مثل ظل] [(٦)] وبات، يقال: طفق يطفق طفقاً وطفوقاً وقوله: **﴿مسحاً﴾** أي يمسح مسحاً أي يضرب، يقال: مسح علاوته أي ضرب عنقه، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة [(٧)]. قال الفراء: والمسح ها هنا القطع. والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها، لأنها كانت سبب فوت صلاته [(٨)]. وهذا قول ابن عباس ومقاتل قالا: «يريد قطع السوق والأعناق [(٩)]»[(١٠)].

وقال الحسن: كسّف[(١١)] عراقيبها وقطع أعناقها وقال: لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى. قال الزجاج: ولم يكن ليفعل ذلك إلا وقد أباح الله له ذلك[(١٢)]. وجائز أن (يباح ذلك لسليمان)[(١٣)] ويحظر في هذا الوقت[(١٤)]. والسوق

---

(١) الحجاب: الحجب والحجاب المنع من الوصول يقال: حجبه حجباً وحجاباً وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد وقوله تعالى: **﴿وبينهما حجاب﴾** (الأعراف ٤٦) ليس يعني به ما يحجب البصر، وإنما يعني ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة كقوله عز وجل **﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾** (الحديد ١٣) وقال عز وجل **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾** (الشورى ٥١) أي من حيث ما لا يراه مكلمه ومبلغه وقوله تعالى **﴿حتى توارت بالحجاب﴾** يعني الشمس إذا استترت بالمغيب. (انظر المفردات مادة (حجب) صـ ١٠٨).

(٢) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤.

(٣) من (جـ).

(٤) من (د).

(٥) انظر معالم التنزيل ٤/٦١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٣.

(٦) في (هـ) بجمع ظل.

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٣.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٥.

(٩) الأعناق: جمع عنق وهي الرقاب. النهاية ٣/١٣٣.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤.

(١١) كسف عرقوب الإبل: أي قطعه بالسيف. انظر النهاية في غريب الحديث ٤/٢٠ والمفردات مادة كسف صـ ٤٣١.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٩.

(١٣) في (هـ) يباح له ذلك.

(١٤) ما سبق من روايات تفيد أن سيدنا سليمان عليه السلام قد ضيع فرضاً من فروض الله وارتكب ذنباً وهو عقر الخيل، لتفسيرها قول الحق تبارك وتعالى **﴿عن ذكر ربي﴾** بصلاة العصر وتفسيرها قوله تعالى **﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾** بضرب سوقها وأعناقها بالسيف وتفسيرها قوله تعالى **﴿حتى توارت بالحجاب﴾** بأن الشمس استترت بما يحجبها عن الأبصار «تفسيراً» والله أعلم لا يستند على خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه، كما يقول علماؤنا الأجلاء، بعد ذكرهم بعض هذه الروايات «وليس في هذا شيء من الاستبعاد، ولذا لم يلتفت إلى الأخبار في ذلك، إذ ليس فيها خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه فيما أعلم (انظر روح المعاني للالوسي ٢٣/١٩١: ١٩٤ بتصرف).

ويقول ابن جرير الطبري عن ابن عباس قوله «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. (انظر جامع البيان للطبري ٢٣/١٠٠)

وقال صاحب تفسير الميزان: وأما عقره عليه السلام الخيل وضربه أعناقها بالسيف فقد روي في ذلك عدة روايات من طرق أهل السنة وأورده القمي في تفسيره، وكلها تنتهي إلى كعب، وكيف كان فلا يعبأ بها. الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ٧/٢٠٦ بتصرف. =

جمع ساق مثل لابٍ[1] ولوبٍ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى[2]: ﴿**ولقد فتنا سليمان**﴾ أي[3] ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه. قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان (عليه السلام)[4] امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته[5] كانت عن ذلك. قال ابن عباس[6] في رواية عطاء ﴿**ولقد فتنا سليمان**﴾ يريد[7] بصخر الشيطان الذي لم يكن سخر له، وكان شيطاناً مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين، وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف[8] بخاتمه، فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه وأقام أربعين يوماً في مكانه وسليمان هارب[9]. وقال مجاهد: إن شيطاناً[10] قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن، وكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفونني؟ أطعموني. فيكذبونه حتى أعطته امرأته[11] يوماً حوتاً[12] فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه. فرجع إليه

= ويعتبر الإمام ابن حزم رواية تضييع الصلاة وعقر الخيل من الخرافات والأكاذيب الموضوعة، ثم يبين لنا التفسير المقبول للآيات فيقول: وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من القول، والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك، لأن فيها معاقبة خيل لاذنب لها والتمثيل بها وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف نبي مرسل!!، ومعنى هذه الآية ظاهر بَين وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده براً بها وإكراماً لها، وهذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف؟ ولا حجة في قوله أحد دون رسول الله ﷺ (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٤/ ٢٠).

(١) في أ، ب، حـ، هـ، الآية.

(٢) من (جـ).

(٣) ساقطة من (د، هـ).

(٤) من (جـ).

(٥) ساقطة من (جـ).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٢/ ٥٤، ٥٥ وجامع البيان ٢٣/ ١٠٠، ١٠١ وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٥.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) الكنيف هو الساتر فكل ما ستر من بناء أو حفيرة فهو كنيف وهو هنا بمعنى الخلاء. انظر النهاية ٤/ ٣٦ ولسان العرب مادة (كنف).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/ ١٠١ ومعالم التنزيل ٤/ ٦٧ وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٥.

(١٠) في (ب، جـ. د، هـ) شيطان.

(١١) في (ب، د) امرأة.

(١٢) الحوت: هو السمك العظيم قال تعالى ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا﴾ (الأعراف ١٦٣) انظر المفردات مادة (حوت) صـ ١٣٤.

ملكه(١)»(٢) فذلك قوله: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ يعني الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس ﴿ثم أناب﴾ رجع بعد أربعين يوماً إلى ملكه.

---

(١) في (أ، ب، جـ) ماله.

(٢) هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون في فتنة سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، بل هي مروية عمن اشتهر بمثل تلك التفاصيل الدخيلة وهو «وهب بن منبه»، و «السدي» فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على عدم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها. أما عن التناقضات في تلك الروايات التي معنا فنرى الواحدي يذكر في الرواية الأولى أن سبب فتنة سليمان ما حدث في بيته من عبادة زوجته لصنم دون علمه، وفي الرواية الثانية يذكر فيها أن صخراً المارد تمثل بصورة سليمان وأخذ الخاتم من زوجته، وفي الرواية الثالثة يذكر فيها أن الشيطان ضحك على سليمان وأخذ خاتمه وألقاه في البحر فذهب ملك سليمان.

فتلك وغيرها مما ذكره بعض المفسرين أقوال متناقضة ومن ثم لا يعتد بها جميعاً، كما أن فيها مخالفات لا تتمشى مع روح الآيات ولا مع نزاهة الأنبياء وقُدْسِيتهم.

لذلك فإن المحققين قد أبطلوا هذه الروايات. يقول الإمام الفخر الرازي: واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه:

الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة عيسى وموسى عليهما السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية، **الثاني**: أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق آحاد الناس فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء بل أولى.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح.

الرابع: لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة (ذلك الصنم) فهذا كفر منه ولم يأذن فيه البتة، فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه؟ (انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٠٨/٢٦). ويقول الإمام ابن كثير معقباً على الروايات السابقة: وأرى هذه الروايات كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿**وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب**﴾ قال: أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه... إلى آخره كما ذكره الواحدي، ثم يقول ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (انظر تفسير القرآن العظيم ٣٥/٤، ٣٦ بتصرف).

ويقول الشيخ أبو شهبة: ونحن لا نشك في ان هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب لكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص وأبعد غوراً من البعض الآخر فلم يتورط فيما تورط فيه البعض من ذكر تسلط الشيطان على نساء سليمان عليه السلام، وذلك حتى يكون لما لفقه وافتراه بعض القبول عند الناس، أما البعض الآخر فكان **ساذجاً في كذبه مغفلاً في تلفيقه فترك آثار بينة واضحة. وبذلك اشتمل ما لفقه على دليل كذبه، والحق أن نسج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه وهو أكرم** على الله من ذلك؟ وأي ملك أو نبوة يتوقف امرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله؟ وما عهدنا في التاريخ البشري شيئاً من ذلك. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ولم يذكره بكلمة؟ وهل غير الله خلقة سليمان في لحظة حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته جرادة؟ الحق أن نسج القصة مهلهل لا يصمد أمام النقد وإن آثار الكذب والاختلاق بادية عليه (انظر الإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبو شهبة صـ ٣٨٠ ـ ٣٨٣ بتصرف)

وبعد فإذا ثبت بطلان تلك الروايات السابقة فما التفسير الصحيح إذاً للفتنة؟ نقول: إن التفسير الصحيح للفتنة هو ما ذهب إليه =

فلما رجع ﴿قال رب [اغفر لي و][1] هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾[2] قال مقاتل[3] وأبو عبيدة[4]: لا يكون، فاستجاب الله له[5] ذلك فلم يكن لأحد بعده من[6] الملك ما كان له. أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا الحسين بن إسماعيل المحاملي أنا زياد بن أيوب أنا شبابة أنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي يفسد علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته[7] ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان (عليه السلام)[8] ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي﴾[9] فرده الله خاسئاً أو خائباً رواه البخاري[10] عن إسحق بن

= المحققون من أن سبب فتنة سليمان عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال الملك: قل: إن شاء الله. فلم يقل، ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهم إلا امرأة نصف إنسان قال النبي ﷺ لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته.
(انظر صحيح البخاري كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه).

(١) ساقطة من (جـ، هـ).

(٢) قد يقول قائل: ما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك وهو نبي من الأنبياء وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه إذ سأله ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ اكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكة يعطي ذلك من يعطاه؟ أم حسد للناس؟ كما ذكر عن الحجاج بن يوسف فإنه ذكر أنه قرأ قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» فقال: إن كان لحسوداً فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء. قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك فلم تكن به رغبة في الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما يرغب إليه فيه وقبوله توبته وإجابته دعاءه. واما مسألته ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك هب لي ملكاً لا أسلبه كما سلبته قبل، وإنما معناه عند هؤلاء هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعد أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني فيكون حجة وعلماً على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من اعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضاً لأن يكون معناه وهب لي ملكاً تخصني به لا تعطيه أحداً غيري تشريفاً منك لي بذلك وتكرمه لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء. انظر جامع البيان ٢٣/١٠٥، ١٠٦.

(٣) انظر معالم التنزيل ٤/٦٤.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٣.
قال عنه الحافظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة مات سنة عشر ومائتين وقيل سنة تسع (انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٧١، ٣٧٢).

(٥) ساقطة من (جـ).

(٦) ساقطة من (هـ).

(٧) فذعته: أي خنقته.

(٨) من (جـ).

(٩) قال ابن حجر في الفتح: وقوله «فذكرت دعوة أخي سليمان» أي قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» قال: وفي هذا إشارة إلى انه ﷺ كان يقدر على ذلك إلا انه تركه رعاية لسليمان عليه السلام، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريده لا في القدر فقط قال: واستدل الخطابي بهذا الحديث على ان أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في اشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم قال: وأما قوله تعالى ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف ٢٧) فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم. قال: ونعقب بأن رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا قال: وينبغي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة قال: ويحتمل العموم وهو الذي فهمه العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن ابطلنا شهادته واستدل بهذه الآية (انظر فتح الباري لابن حجر ٦/٤٥٩).

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة (ص).
والإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا ثقة الحديث من الحادية عشرة مات سنة ست وخمسين ومائتين هجرية في شوال وله اثنان وستون سنة (انظر التقريب ٢/١٤٤).

إبراهيم عن روح وغندر ورواه مسلم[١] عن إسحاق بن منصور عن النضر بن شميل كلهم عن شعبة ويدل على[٢] ما ذكرنا قوله ﴿فسخرنا له الريح﴾[٣] ولم نسخرها لأحد بعده ولا ملكها سواه ﴿تجري بأمره رخاء﴾ لينة الهبوب ليست بالعاصفة[٤]. ﴿حيث أصاب﴾ أراد من النواحي قال الزجاج: [إجماع أهل اللغة والمفسرين][٥] حيث أصاب أي[٦] حيث أراد[٧] [من النواحي قال الزجاج][٨]: وحقيقته حيث قصد[٩]. وقال الأصمعي: العرب تقول: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب معناه: أنه قصد الصواب وأراده[١٠] فأخطأ مراده ولم يتعمد الخطأ[١١] ﴿والشياطين﴾ أي وسخرنا له الشياطين ﴿كل بناء﴾ يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴿وغواص﴾ يغوصون في البحار يستخرجون له الدر[١٢] من البحار[١٣] ﴿وءاخرين﴾ أي[١٤] [وسخرنا له آخرين][١٥] يعني مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد وهو قوله ﴿مقرنين في الأصفاد﴾[١٦] يقال: قرنهم في الحبال إذا كانوا جماعة كثيرة والأصفاد الأغلال واحدها صفد. قال الزجاج: هي السلاسل من الحديد وكل ما شددته شداً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صفدته[١٧]. قال أبو عبيد: يقال[١٨] صفدت الرجل فهو مصفود وأصفدته[١٩] فهو مصفد[٢٠] ﴿هذا عطاؤنا﴾ أي قلنا له: هذا الملك يعني ما سأل من قوله هب لي ملكاً ﴿فامنن﴾ المن الإحسان إلى من لا تستثيبه. قال عطاء عن ابن عباس: أعط من شئت وأمسك عمن شئت[٢١] ﴿بغير حساب﴾ لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت[٢٢]. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد[٢٣] نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان (فإن الله تعالى[٢٤] قال)[٢٥]: «هذا عطاؤنا» الآية. إن أعطي أجر[٢٦] وإن لم يعط لم يكن عليه

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة والإمام مسلم هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ قال عنه مسلم بن قاسم: جليل القدر من الأئمة وقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وكان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث ولد سنة أربع ومائتين ومات لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة (انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) التسخير: السياقة إلى الأرض قهراً (انظر المفردات مادة (سخر) صـ ٢٢٧).

(٤) العاصفة تكسر الشيء فتجعله كعصف وعصفت بهم الريح تشبها بذلك: انظر المفردات مادة (عصف) صـ ٣٣٦.

(٥) في (جـ) إجماع المفسرين وأهل اللغة.

(٦) من (جـ).

(٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٦٦ وجامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨ والمفردات ١٩٢ والبحر المحيط ٧/٣٩٨ ولسان العرب مادة «صوب».

(٨) من (جـ، هـ).

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١٠) في (جـ) فأراداه.

(١١) انظر لسان العرب مادة «صوب».

(١٢) الدر: أي الحلى: انظر معاني القرآن ورقة رقم ١٨٠.

(١٣) في (أ، ب، جـ، هـ) البحر.

(١٤) ساقطة من (ب، جـ).

(١٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١٦) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨.

(١٧) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١٨) في (د) صفدته وفي (هـ) وصفدته.

(١٩) من ب، جـ.

(٢٠) انظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/٣٢٣.

(٢١) ساقط من (هـ).

(٢٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩.

(٢٣) في (د) عبد.

(٢٤) من (هـ).

(٢٥) في (هـ) قال الله تعالى.

(٢٦) في (ب) أجزى.

تبعة[١] قال الزجاج: قوله [﴿بغير حساب﴾ أي بغير جزاء[٢] يعني أعطيناك[٣] تفضلاً لا مجازاة. ثم أخبره بمنزلته في الآخرة فقال ﴿وإن له][٤] عندنا لزلفى[٥] وحسن مثاب﴾[٦].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

قوله[٧] [﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى] ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ النصب والنصب كالحزن والحزن والعدم والعدم وهو الضر والمكروه والشدة يعني ما ابتلاه الله به [حين][٨] سلط عليه الشيطان[٩] قاله ابن عباس.

قال قتادة[١٠]: بضر في الجسد وعذاب في المال. وقال السدي: النصب ما أنصب الجسد والعذاب أهلك المال ثم[١١] فرج الله عنه وهو قوله﴿اركض برجلك﴾[أي قلنا له اركض برجلك][١٢] قال ابن عباس: اضرب الأرض برجلك فركض فنبعت بركضته عين ماء وهو قوله: ﴿هذا مغتسل﴾ وهو ما اغتسل به[١٣] من الماء﴿بارد وشراب﴾[١٤] شرب[١٥] منه. قال مقاتل: انفجرت له عين فاغتسل منها[١٦] فخرج منها صحيحاً ثم مشى أربعين خطوة فدفع الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماءً عذباً بارداً[١٧] فذلك[١٨] قوله﴿هذا مغتسل بارد﴾[١٩] يعني الذي اغتسل فيه ﴿وشراب﴾

---

(١) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٥ ومعالم التنزيل ٤/٦٥.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٠.

(٣) في (جـ) أعطينا له.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٥) الزلفة والزلفى المنزلة والحظوة. انظر المفردات مادة (زلف) صـ ٢١٤.

(٦) مآب: أي مصير قاله قتادة. انظر جامع البيان ٢٣/١٠٥.

(٧) من (ب، حـ).

(٨) من (جـ).

(٩) يذكر كثير من المفسرين ههنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله وهو ما أشار له التنزيل الكريم لأنه المتيقن، وهو أنه عليه الصلاة والسلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله وأنه صبر على ذلك صبراً صار يضرب به المثل، كثباته وسعة صدره وشجاعته وأنه جوزي بحسنة صبره أضعافها المضاعفة.

والرأي الحق في هذا الموضوع والله أعلم ما ذكره ابن حيان في تفسيره البحر المحيط حيث يقول: قال الزمخشري: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل، وذكر في سبب بلائه أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه، وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يفده، وقيل: أعجب بكثرة ماله. انتهى.

ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وان ذلك كان سبباً لما مسّه الله به من النصب والعذاب ولا ان رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه، ولا أنه داهن كافراً، ولا انه أعجب بكثرة ماله، وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله ولا يمكن أن يصح ولا قدرة له على البشر إلا بالقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم.

والذي نقوله أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ماروي في الأخبار. (انظر البحر المحيط ٧/٤٠٠).

(١٠) انظر جامع التنزيل ٢٣/١٠٦، ١٠٧ وتفسير الثوري ٢٦٠ ومعالم التنزيل ٤/٦٥ والزهد للإمام أحمد صـ ٤٢.

(١١) ساقطة من (هـ).

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٣) ساقطة من(هـ).

(١٤) ساقطة من (جـ، د، هـ).

(١٥) في (أ، د، هـ) يشرب.

(١٦) في (أ، ب، جـ، د) فيها.

(١٧) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٧ ومعالم التنزيل ٤/٦٥.

(١٨) في (هـ) فهذا.

(١٩) من (ب، د، هـ).

أراد الذي شرب منه. وقال الحسن ركض ركضة أخرى[(١)] [فإذا عين تنبع حتى غمرته فرد الله إليه جسده فركض ركضة أخرى][(٢)] فإذا عين أخرى فشرب منها فطهرت جوفه وغسلت كل قذر كان فيه.[(٣)] وما بعد هذا مفسّر في سورة الأنبياء إلى قوله ﴿**وخذ بيدك ضغثاً**﴾ وهو ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة. قال سعيد بن المسيب: اتهمها أنها قارفت شيئاً من الخيانة، لأنها أتته يوماً بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز[(٤)]. وقال قتادة[(٥)]: عرض لها إبليس وأراد أن تحمل زوجها على شيء، فقالت لأيوب: لو تقربت إلى الشيطان بشيء[(٦)] فذبحت له عناقاً، فحلف أيوب[(٧)] لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة. فأمر أن يأخذ عيداناً رطبة من تمام مائة عود فيضرب[(٨)] به كما أمره الله تعالى [(٩)] وهو قوله ﴿**فاضرب به ولا تحنث**﴾ فكان[(١٠)] ذلك تحلة ليمينه وتخفيفاً عن امرأته[(١١)] ثم أثنى على أيوب فقال ﴿**إنا وجدناه صابراً**﴾ أي على البلاء الذي ابتليناه به ﴿**نعم العبد**﴾ هو[(١٢)] ﴿**إنه أواب**﴾ رجاع إلى ما يحب الله[(١٣)] من طاعته قوله[(١٤)]:

---

(١) من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) انظر جامع البيان ١٠٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٥/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢١١/١٥ والدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن.

والأندر: البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام والأندر أيضاً صبرة من الطعام وهمزة الكلمة زائدة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦/١.

(٤) رواه صاحب الدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى الإمام أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) انظر جامع البيان ١٠٨/٢٣.

(٦) من (جـ).

(٧) من (ب، جـ)

(٨) في (أ، ب، د، هـ) فضرب.

(٩) من (جـ).

(١٠) في (جـ) وكان.

(١١) هاتان الروايتان وغيرهما من الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء في سبب حلف سيدنا أيوب على زوجته لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة كلها روايات متعارضة ومتناقضة اللهم إلا إذا تعددت اللقاءات وهو يحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة المرفوعة.
والمهم أن يعلم بأن أيوب عليه السلام وقع منه يمين على زوجته إن شفاه الله جلدها مائة جلدة وأراد الله سبحانه وتعالى أن يحلله من يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها فأفتاه الله عز وجل ان يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى واناب إليه. انظر أحكام القرآن لابن العربي ١٦٥٢/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ والبحر المحيط ٤٠١/٧ بتصرف وهذا الحكم قيل: إنه خص به أيوب عليه السلام قال مجاهد وغيره: وهو مذهب مالك وغيره من أهل المدينة، وقيل: هذا الحكم منسوخ بكفارة اليمين، وجعله الشافعي حكماً عاماً معمولاً به، وهو قول عطاء، وهذا مذهب يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينقل عنه بنص، وهذا مذهب يتناقض، لأن الشرائع قبلنا مختلفة في كثير من أحكامها، ولا تقدر على تحريم شيء وتحليله في آن واحد ولا نقدر على العمل بها كلها لاختلافها. وأما قوله تعالى ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ (الأنعام ٩٠) فإنما ذلك في الإيمان بالله ورسوله، وما لا يختلفون فيه وغير جائز أن يكون المراد بشرائعهم. . (اقتده) فإن ادعى مدع أن هذا الذي برّ به أيوب يمينه من شرائع الأنبياء فيلزمنا فعله، سئل عن الدليل على ذلك ولا يجد إليه سبيلاً أبداً (انظر الإيضاح صـ٣٤٣، ٣٤٤). وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه لا نعرف الحد إلا حداً واحداً الصحيح والزمن فيه سواء قالوا: ولو جاز هذا لجاز مثله في الحامل أن تضرب بشماريخ النخل ونحوه، فلما أجمعوا انه لا يجزىء ذلك في الحامل كان الزمن مثل ذلك. اهـ (انظر هامش أبي داود ٦١٦/٤).

(١٢) في (جـ) قوله.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) من (ب، جـ).

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿واذكر عبدنا﴾ وقرأ ابن كثير(١) ﴿عبدنا﴾(٢) على الواحد(٣) اختصاصاً بالإضافة إلى الله على وجه(٤) المكرمة(٥)، وهو قراءة ابن عباس(٦)، يقول: إنما ذكر إبراهيم ثم ذكر(٧) ولده بعده(٨) قال مقاتل واذكر يا محمد صبر عبدنا(٩) إبراهيم حين ألقي في النار. وصبر إسحاق للذبح(١٠)، وصبر يعقوب

---

(١) ابن كثير هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القارىء احد الأئمة صدوق من السادسة مات سنة عشرين ومائة هجرية (التقريب ١/٤٤٢).

(٢) قرأ ابن كثير (عبدنا) بغير ألف على التوحيد والمراد الجنس، أو الخليل وإبراهيم بدل أو عطف بيان، وافقه ابن محيصن. والباقون بالجمع على إرادة الثلاثة وإبراهيم وما عطف عليه بدل أو بيان. (انظر النشر ٢/٣٦١ وإتحاف فضلاء البشر صـ ٣٧٢ وتحبير التيسير صـ ١٧١. ومعاني القرآن للفراء ٢/٤٠٦).

(٣) في (جـ) واحد.

(٤) في (د) إلى وجه.

(٥) في (ب، جـ) التكرمة.

(٦) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٩ ومعاني القرآن للفراء ٢/٤٠٦.

(٧) من (جـ).

(٨) في (د) بعد ذلك.

(٩) في (أ، ب، جـ، هـ) عبادنا.

(١٠) يشير القرآن الكريم والتوراة إلى ان الله أراد أن يمتحن سيدنا إبراهيم فأمر في منامه أن يذبح ولده فأخذ إبراهيم الغلام وألقاه على جبينه وهم بذبحه امتثالا لأمر الله، فافتداه الله بذبح عظيم. وقد اختلف العلماء حول الذي تعرض للذبح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فبعضهم يرى انه إسماعيل وهو الرأي الصحيح المختار كما سنبين إن شاء الله.
والبعض الآخر يرى أنه إسحاق ومنهم الواحدي الذي ادعى أن هذا رأي الأكثرين واستدل أصحاب هذا الرأي ببعض الروايات الضعيفة التي دسها اليهود في الفكر الإسلامي وبتحريفهم للتوراة ذاتها، وذلك لعداوتهم المتأصلة للعرب ولكي لا يكون للجد الأعلى للنبي الأمي فضل أو مزية حتى لا ينجر هذا الفضل إلى نبينا محمد صلوات الله وسلامة عليه وبالتالي إلى الجنس العربي.
وقد اعتمد اليهود في دعواهم هذه على عدة عوامل منها (أولا) ما جاء في التوراة التي حرفوها «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى الأرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك» سفر التكوين ٢٢: ٢ ومنها (ثاني) «ما جاء في الإنجيل» بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد وحيده، الذي قيل له إنه إسحاق يدعي لك النسل، إذ حسب أن الله على الإقامة من الأموات أيضاً «الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١٧ ـ ١٩» ومنها(ثالثاً) ان إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة، وأنه قد أعطي اسماً قبل أن تحمل به أمه. حبيب سعيد صـ٩٣، تكوين ١٨: ٩ ـ ١٥، ومنها (خامساً) بعض الروايات الإسلامية عن كعب الأحبار من أن الذي أمر إبراهيم بذبحه إنما كان إسحاق. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ١/٢٦٥ وتفسير القرآن العظيم ١/١٥٩، ١٦٠ والكامل لابن الأثير ١/١٠٩ وجامع البيان ٢٣/٧٧: ٨٨.
وإذا أردنا مناقشة حجج اليهود والنصارى هذه فإننا نلاحظ عليها عدة نقاط كما يقول الأستاذ الدكتور/ محمد بيومي مهران في كتابه دراسات تاريخية: أولا: أنها تصف الذبيح بأنه ابن إبراهيم الوحيد وهو وصف لا يمكن بحال من الأحوال ان ينطبق على غير إسماعيل وحده في السنوات الأربع عشرة الأولى من عمره، والتي سبقت مولد إسحاق، وانطلاقاً من هذا، فإن إسحاق لم يكتب له في يوم من الأيام أن يكون وحيد إبراهيم، ذلك لأن إسماعيل قد عاش حتى وفاة إبراهيم ثم اشترك مع إسحاق في دفنه بمغارة الكفيلة كنص التوراة نفسها، سفر التكوين ١٦: ١٦، ٢٥: ٩ وهكذا لم يكن إسحاق أبداً وحيداً مع وجود إسماعيل، أما إسماعيل فقد كان وحيداً =

حين ذهب بصره ولم يذكر إسماعيل لأنه لم يبتل بشيء ﴿**أولي الأيدي والأبصار**﴾ [قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة

= قبل مولد إسحاق ومن هنا كانت لفظة إسحاق في نص التوراة «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق» تكوين ٢٢: ٢ مقحمة لأنه لم يكن وحيداً ولا بكراً وإنما ذلك هو إسماعيل ولعل الذي حمل اليهود على ذلك هو حسد العرب. ابن كثير ١/١٥٩ راجع فتاوى ابن تيمية ٤/٣٢٦ ـ ٣٣٢ وحرصاً منهم على أن يكون أبوهم إسحاق هو الذبيح الذي جاء بنفسه في طاعة ربه، وهو في حالة صغره، هذا فضلاً عن أن ذلك إنما يتعارض ونصوص أخرى في التوراة.

ومنها (ثانياً) ان ما جاء في الإنجيل ـ في الرسالة إلى العبرانيين ـ فقد كان الحل الذي ارتضاه فقهاء المسيحية للخروج من مشكلة: كيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق، وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه الشعب المختار، طبقاً لرواية التوراة: بإسحاق يدعى لك نسل تكوين ٢١: ١٢ إذ لو كان إسحاق قد كبر وصار له ابن يحافظ على النسل في الأجيال القادمة لزالت العقبة ولكن كيف يتفق ان يموت إسحاق الذي لم يكن له ابن بعد، وأن يتحقق الوعد الذي أعطي لإبراهيم بأن يكون له من إسحاق نسل كرمل البحر ونجوم السماء.

ومنها (ثالثاً) ان حجتهم من أن إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة وانه قد أعطي اسمه قبل أن تحمل به أمه ولعل قصدهم بولادته الخارقة للعادة أنه ولد ووالده شيخ في المائة وأمه عجوز في التسعين من عمرها فإذا كان ذلك كذلك فهو صحيح ولكن صحيح كذلك أن سيدنا إسماعيل قد كانت ولادته شبيهة بولادة إسحاق أو قريبة منها لأنه قد ولد وإبراهيم في السادسة والثمانين من عمره بل من الروايات التي جاءت في التوراة وروايات إسلامية كذلك تفيد أنه تزوج وهو في السابعة والثلاثين بعد المائة وفي الخامسة والسبعين بعد المائة وأنجب من الأولى ستة بنين ومن الثانية خمسة بنين هذا بالإضافة إلى أن ولادة إسحاق ليست فريدة من نوعها فهناك ولادة يحيى عليه السلام الذي ولد وقد بلغ أبوه من الكبر عتيا فضلاً عن أن أمه كانت عاقراً كما تفيد الروايات المسيحية كما أن سيدنا عيسى ولد بدون أب بل إن سيدنا آدم وجد بدون أب ولا حتى أم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ ومنها (رابعاً) أن حجتهم بأن إسحاق قد أعطي إسماً قبل أن يولد مردود عليها بأن إسماعيل وبنص التوراة ـ قد أعطي اسماً قبل أن يولد فإذا كان ذلك كرامة لإسحاق ففيه كرامة لإسماعيل بل إن إسماعيل قد سبق إسحاق بالبشارة باسمه بل إن التوراة نفسها إنما تتحدث عن البشارة بإسماعيل قبل أن تتحدث عن البشارة بإسحاق، بل إن سيدنا يحيى وسيدنا عيسى قد أعطيا اسميهما قبل أن يولدا كما في قوله تعالى عن سيدنا يحيى ﴿**يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى**﴾ وعن سيدنا عيسى ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى** ابن مريم﴾.

ومنها (خامساً) ان ما جاء في الروايات الإسلامية، نقلاً عن كعب الأحبار وغيره فذلك يرجع إلى ان المسلمين إنما يؤمنون بنبوة إسحاق ويعقوب ويوسف ومن هنا فقد استغل ذلك بعض اليهود الذين أسلموا ومنهم كعب الأحبار ووهب بن منبه ـ ونقلوا أمثال هذه الروايات التي لم يبت القرآن فيها، تحقيقاً لأغراض خاصة بهم، ثم إن هذه الروايات الإسلامية مضطربة فبينما ينسبها أصحابها إلى ابن عباس، فإنهم يروون رواية أخرى ـ عن ابن عباس كذلك ـ يذهبون فيها إلى ان الذبيح إنما هو إسماعيل عليه السلام.

انظر الآية ٤٥ من سورة آل عمران، ٥٩ وجامع البيان ٢٣/٨١: ٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ١/٣٠٩: ٣١١ والكامل لابن الأثير ١/١٢٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١ والجامع لأحكام القرآن ١٥/٩٩، ١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ١/١٧٥ والتوراة سفر التكوين ٢/٧ بتصرف، ١٦: ١١، ١٦، ٢٣/١، ٢، ٤١، وإنجيل لوقا ١/١١: ٨٠ ودراسات تاريخية من القرآن الكريم ١/١٦١: ١٧٠ بتصرف.

أما الرأي الصحيح فهو أن الذبيح سيدنا إسماعيل لما سبق من ردود على القائلين بأن الذبيح إسحاق، واعتماداً على رواية ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ (الصافات آية١٠٧) على أنه إسماعيل، وعلى أننا نجد في كتاب الله ـ عز وجل ما يشير إلى ذلك في قصة الخبر عن إبراهيم وما به من ذبح ابنه إسماعيل. وذلك أن الله سبحانه وتعالى، حين فرغ من قصة المذبوح فإنه يقول ﴿**وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين**﴾ (الصافات آية ١١٢) فالآيتان البشرى بعد ذكر القصة صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلى الله إبراهيم بذبحه وعودة الضمير إلى الغلام الذبيح. ثم ذكر إسحاق معه صريحاً، يقتضي التغاير بين إسحاق والذبيح. انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار صـ ١٠٢ والفتاوى لابن تيمية ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

ويضيف الإمام ابن تيمية إلى ذلك: أن قصة الذبيح المذكورة في سورة الصافات تدل على أنه إسماعيل، إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾ فقد انطوت هنا على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وعلى انه لم يبلغ الحلم، وعلى أنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من أن يعرض عليه أبوه الذبيح، فيقول «ستجدني إن شاء الله من الصابرين»؟ ثم إنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن =

....

= الكريم، إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة. كما في سورة هود آية ٧١ ـ ٧٢، ثم إنه ذكر في البشارة في الصافات، بأنه غلام حليم، وحين ذكر البشارة بإسحاق، وصفه بأنه غلام حليم «الحجر ٥٣ والذاريات ٢٨». والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين والحلم هنا مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح، وهذا فضلاً عن أن إسماعيل قد وصف بالصبر دون إسحاق قوله تعالى ﴿**وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين**﴾ (الأنبياء آية ٨٥) وبصدق الوعد ﴿**إنه كان صادق الوعد**﴾ (مريم ٥٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به، نعم إن البشارة بإسحاق كانت معجزة لأن العجوز عقيم، وأنها كانت مشتركة بين إبراهيم وامرأته، بينما البشارة بالذبيح فقد كانت لإبراهيم، ثم امتحانا له دون الأم المبشرة به. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/٣٣١: ٣٣٥. وانظر روح المعاني ٢٣/١٣٤ وجامع البيان ٢٣/٨٥، أضف إلى ذلك: أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿**وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين**﴾ (**الصافات ١١٢**) فكيف يأمره الله بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً. القرطبي ٧/٥٥٤٥ ط. الشعب، ثم إن البشارة بإسحاق إنما كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً، روح المعاني ٢٣/١٣٤ وتاريخ الخميس ١٠٨. ومن هنا استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل، وليس إسحاق، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿**فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾ (سورة هود ٧١) وانظر جامع البيان ١٥/٣٨٩، ٣٩٧ ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٠. فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق، وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون، لأنه يناقض البشارة المتقدمة. وهناك ما روى من أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي، سأل رجلاً من علماء اليهود، كان قد أسلم وحسن إسلامه: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا امير المؤمنين وإن يهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، انظر جامع البيان ٢٣/٨٤، ٨٥ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠١ والكامل لابن الأثير ١/١١٠ ـ ١١١، ومقدمة ابن خلدون ٢/٣٨ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/٢٩٧ والبداية والنهاية ١/١٥٩، ١٠٦ وقصص الأنبياء لابن كثير ١/٢١٥: ٢١٧ وروح المعاني ٢٣/١٣٣: ١٣٥.

وهناك ما جاء في (إنجيل برنابا) على لسان «المسيح» عليه السلام الحق أقول لكم، أنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال يا إبراهيم: سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، فأجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً «خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه بذبيحة» فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين. محمد حسني عبد الحميد: أبو الأنبياء إبراهيم الخليل صـ ٨٦ وعلي عبد الواحد وما في: الأسفار المقدسة صـ ٨٧، ٨٨ مع ملاحظة مخالفة هذا النص التوراة (تكوين ١٦: ١٦، ١٧: ٣).

ثم أليس في شعائر الحج عند المسلمين كثير من الأدلة على أن الحادث أنما كان في مكة وليس في فلسطين؟ وأنه مع إسماعيل ـ وليس مع أسحاق؟. وان المسلمين، بعكس اليهود، كانوا ـ ولايزالون وسوف يظلون أبد الدهر ـ يحيون ذكرى الفداء الفذ هذا في كل عام، عند حجهم إلى بيت الله الحرام، في الأضحية يوم النحر، وفي السعي بين الصفا والمروة، وفي رمي الجمار، وكل تلك أمور لا توجد عند اليهود؟ فإذا ما تذكرنا أن إسماعيل وأمه ـ وليس إسحاق وأمه ـ هما اللذان كانا بمكة، وأن إسماعيل وليس إسحاق، وهو الذي شارك أباه الخليل في بناء البيت الحرام، وان النحر في منى ـ وليس في فلسطين ـ في يوم عيد الأضحى المبارك، إنما هو من تمام سنن الحج إلى هذا البيت المعمور، ومن هنا يبدو لنا بوضوح أن الذين زعموا من يهود ـ ومن تابعهم في زعمهم هذا من نصارى ومسلمين ـ أن الفداء إنما كان في الشام، قد أخطأوا كثيراً، إذ لو كان الأمر كما يزعمون، لكانت كل الشعائر التي تتصل بعملية الفداء هذه في الشام، وليست بمكة، انظر دراسات تاريخية ـ محمد بيومي مهران جـ ١ صـ ١٧٣، ١٧٤ أضف إلى ذلك كله: ان الآية الكريمة ﴿**رب هب لي من الصالحين**﴾ تفيد أنه دعاء وقع من إبراهيم قبل أن يرزق بواحد من أبنائه، إذ لو كان له ولد ما طلب الولد الواحد، ومن ثم فإن قوله تعالى من الصالحين لا تفيد إلا طلب الواحد، وبهذا يكون الدعاء في وقت لم يكن للخليل فيه شيء من الذرية، ومن المعروف أن هناك إجماعاً بين علماء المسلمين ـ فضلاً عن كتب اليهود والنصارى ـ أن إسماعيل إنما هو ولد إبراهيم البكر، ومن ثم فإن الدعاء إنما يراد به إسماعيل.

وحيث إن رؤيا البشرى ثم رؤيا الذبح إنما جاءت بعد ذلك، فالذبيح إذن هو إسماعيل. انظر مفاتيح الغيب ٢٦/١٥٤.

الله[١] والأبصار] [٢] في المعرفة بالله[٣]. فالأيدي[٤] في هذه الآية جمع اليد التي هي[٥] بمعنى القدرة والقوة. قال قتادة: أعطوا قوة في العبادة وصبراً في الدين[٦]. وهو قول مجاهد[٧] وسعيد بن جبير والمفسرين[٨].

قوله[٩]: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ قال مجاهد: اصطفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها.

وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله[١٠]. وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة[١١]. فمن قرأ بالتنوين في بخالصة[١٢] كان المعنى: جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار. والخالصة مصدر بمعنى الخلوص، والذكرى بمعنى التذكير، أي خلص لهم تذكير الدار وهو أنهم يذكرون بالتأهب لها[١٣] ويزهدون في الدنيا وذلك شأن الأنبياء صلوات الله عليهم وأما[١٤] من أضاف فالمعنى أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل، قال ابن عباس: أخلصوا بذكر الدار الآخرة، وأن يعملوا لها[١٥]. والذكرى على هذا بمعنى[١٦] الذكر. ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾. قال ابن عباس: يريد اصطفيتهم واخترتهم ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي اذكرهم بصبرهم وفضلهم لتسلك طريقهم، ﴿وكل من الأخيار﴾ اختارهم الله للنبوة. ﴿هذا ذكر﴾[١٧] شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله. ثم بين حسن ذلك المرجع فقال:

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ

(١) انظر صحيح البخاري ٦/١٥٥، وجامع البيان ٢٣/١٠٩، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٠ ومعالم التنزيل ٤/٦٦.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).
(٣) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٩.
(٤) في (جـ) والأيدي.
(٥) من (أ، د).
(٦) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٩ ومعالم التنزيل ٤/٦٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٠.
(٧) انظر المراجع السابقة.
(٨) في (هـ) والمفسرون.
(٩) من (ب، جـ).
(١٠) انظر مصنف عبد الرزاق ٣/٩٧٠ وجامع البيان ٢٣/١١٠ ومعالم التنزيل ٤/٦٦ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٢٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٠ والدر المنثور ٥/٣١٨.
(١١) انظر جامع البيان ٢٣/١١٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٠.
(١٢) اختلف في [خالصة ذكرى] فنافع والحلواني عن هشام وأبي جعفر بغير تنوين مضافاً للبيان لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى كما في «بشهاب قبس» ـ النمل ٢٧، ويجوز أن تكون مصدراً كالعاقبة بمعنى الإخلاص وأضيف لفاعله، أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار الأخرة، أو لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن أخلصوا ذكرى الدار وتناسوا ذكرى الدنيا. والباقون بالتنوين وعدم الإضافة وذكرى بدل فهو جرّ أي خصصناهم بذكر معادهم أو بأن يثنى عليهم في الدنيا وعلى جعل خالصة مصدراً يكون ذكرى منصوباً به أو خبر المحذوف أو منصوباً بأعني وبذلك قرأ الواجوني عن هشام. وأمال «ذكرى الدار» وصلا السوسي بخلفه وأمال «الدار» و «الأخيار» أبو عمرو وابن ذكوان بخلفه والدوري عن الكسائي وقللهما الأزرق. انظر النشر ٢/٣٦١ وإتحاف فضلاء البشر صـ ٣٧٢ وتحبير التيسير صـ ١٧١، والبحر المحيط ٧/٤٠٢.
(١٣) في (أ) لنا.
(١٤) في (د) فأما.
(١٥) انظر جامع البيان ٢٣/١١٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٧.
(١٦) في (أ، جـ، د، هـ) المعنى.
(١٧) في (هـ) وهذا.

ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ قال الفراء: المعنى مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة[١].

وقال الزجاج: المعنى مفتحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف لا للبدل[٢]. ﴿متكئين فيها﴾ في الجنات. ﴿يدعون فيها﴾ تقدير الآية: يدعون في الجنات متكئين فيها. ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ بألوان الفاكهة وألوان الشراب. والمعنى: وشراب كثير، فحذف للدلالة عليه. ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾[٣] تقدم تفسيره.

﴿أتراب﴾[٤]أقران أسنانهن واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا﴾ يعني ما ذكر[٥] فيما تقدم ما يوعد به المتقون على لسان النبي ﷺ، ومن قرأ[٦] بالتاء فالمعنى: قل للمتقين: ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ ليوم الجزاء ثم أعلم [أن ذلك غير منقطع][٧]فقال: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي انقطاع وفناء. قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاد وما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها[٨] عاد مكانه حياً[٩].

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

«هذا» [أي الأمر][١٠] هذا الذي ذكرناه. ثم ذكر ما للكفار فقال ﴿وإن للطاغين [لشر مآب]﴾[١١] للذين طغوا على الله وكذبوا الرسل ﴿لشر مآب﴾ شر[١٢] مرجع ومصير. ثم أخبر بذلك فقال: ﴿جهنم يصلونها فبئس المهاد﴾ قال ابن عباس: بئس المسكن وبئس المهد[١٣] ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ قال الفراء والزجاج: تقدير الآية: هذا حميم غساق فليذوقوه[١٤]، أي يقال لهم في ذلك اليوم: هذا حميم وغساق فليذوقوه، [وعادت الكناية إلى أحدهما اكتفاء به عن

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٨.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١.

(٣) (الآية ٤٨).

(٤) أتراب: أي لدات تنشأن معاً، تشبيهاً في التساوي والتماثيل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على الأرض، وقيل: لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً. انظر المفردات في غريب القرآن مادة (ترب).

(٥) في (ب، جـ) وذكرنا.

(٦) اختلف في (هذا ما توعدون) هنا و(ق): فابن كثير بالياء من تحت فيهما على الغيب، وافقه ابن محيصن وقرأ أبو عمرو بالغيب هنا فقط، وافقه اليزيدي والباقون بالخطاب فيهما وبه قرأ أبو عمرو وفي (ق) وافقه اليزيدي. انظر النشر في القراءات العشر صـ ٣٦ وتحبير التيسير ١٧١ وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٧) في (جـ، هـ) أن غير ذلك غير منقطع.

(٨) ساقطة من (جـ، هـ).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/١١٢.

(١٠) في (جـ) أي هذا الأمر.

(١١) من (جـ، هـ).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) انظر جامع البيان ٢٣/١١٣.

(١٤) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١ والفراء ٢/٤١٠.

الثاني كقوله ﴿يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾[(١)] ومثله كثير][(٢)]، والحميم الحار الذي قد انتهى حره، والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد من قولهم غسقت عينه[(٣)] إذا انصبت، الغسقان الانصباب، والوجه التخفيف في غساق، لأنه اسم موضوع قال: ومن شدد ذهب به إلى غسق يغسق فهو غساق[(٤)] ﴿وآخر﴾ وعذاب آخر ﴿من شكله﴾ من مثل ذلك الأول، والشكل المثل ويريد ضرباً من العذاب على شكل الحميم والغساق في الكراهة. قال المفسرون: هو[(٥)] الزمهرير[(٦)]، ومن قرأ وأخر فالمعنى وأنواع أخر من شكله[(٧)]. وقوله ﴿أزواج﴾ أي ألوان وأنواع وأشباه. ﴿هذا فوج﴾ قال صاحب النظم: هذا من[(٨)] قول الملائكة، يقولونه لأهل النار إذا جاءوهم بفوج سواهم من أهل النار. والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج. والمقتحم الداخل في الشيء رمياً بنفسه فيه[(٩)].

قال الكلبي: «إنهم يضربون بالمقامع حتى يثبوا في النار خوفاً من تلك المقامع[(١٠)]»[(١١)]، ويوقعوا[(١٢)] أنفسهم فيها، فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار قالوا: ﴿لا مرحباً بهم﴾ المرحب والرحب معناه[(١٢)] السعة، أي لا اتسعت بهم مساكنهم، والمعنى لا كرامة لهم. هذا إخبار أن مودتهم تنقطع وتصير عداوة. ﴿إنهم صالوا النار﴾ داخلوها كما دخلنا ومقاسون حرها. فأجابهم الفوج فقالوا ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ هؤلاء الأتباع يقولون ذلك للقادة وقد سبقوهم إلى النار يقولون لهم[(١٣)] ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أنتم بدأتم بالكفر قبلنا ﴿فبئس القرار﴾ بئس المستقر والمسكن جهنم. ثم قالت الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ من شرع وسن لنا هذا الكفر ﴿فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي[(١٤)] مضاعفاً أي زدهم على[(١٥)] عذابهم عذاباً آخر ﴿في النار﴾.

---

(١) سورة التوبة/ جزء من الآية رقم ٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين (من ب، د).

(٣) في (جـ) عليه.

(٤) واختلف في (غساق)، فحفص وحمزة والكسائي وخلف بتشديد السين صفة كالضراب مبالغة لأن فعالا في الصفات أغلب منه في الأسماء كالعذاب أغلب منه في الصفات وهو الزمهرير أو صديد أهل النار أو القيح يسيل فيسقونه وعن الحسن عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى إذ الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي﴾ الخ وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٥) في (ب، هـ) وهو.

(٦) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٢٧/٣ وجامع البيان ١١٤/٢٣ وتفسير الثوري ٢٦٠ ـ ٢٦١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٥ والبحر المحيط ٤٠٦/٧ وفي الدر المنثور وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٣١٨/٥.
وقال الشوكاني في فتح القدير: لا يتم هذا إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج ٤٤١/٤ والزمهرير شدة البرد. والزمهرير هو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في الآخرة. انظر اللسان مادة (زمهر).

(٧) اختلف في (آخر) فأبو عمرو ويعقوب بضم الهمزة مقصورة جمع أخرى كالكبرى والكبر لا يتصرف للعدل عن قياسه والوصف وهو مبتدأ، ومن شكله في موضع الصفة، وأزواج بمعنى أجناس خبراً وصفة، والخبر محذوف أي لهم، أو أزواج مبتدأ ومن شكله خبره والجملة خبر آخر. وافقهما اليزيدي، والباقون بالفتح على الإفراد لا ينصرف أيضاً للوزن الغالب والصفة. (انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٧٣. والنشر في القراءات العشر ٣٦١/٢ ـ وتحبير التفسير ١٧١).

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٠) والمقامع: جمع مقمع وهو ما يضرب به ويذلل لذلك يقال: قمعته فانقمع أي كففته فكف انظر المفردات مادة قمع صـ ٤١٣.

(١١) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٢) ساقطة من (ب).

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٤) من (د).

(١٥) ساقطة من (د).

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝٦٦﴾

قال الكلبي: ثم ينظرون في النار[1] فلا يرون من كان يخالفهم معهم، وهم المؤمنون. فعند ذلك قالوا: **﴿وما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾** في الدنيا **﴿من الأشرار﴾** «يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً[2] وسلمان[3]»[4] ثم ذكروا[5] أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء وهو قوله: **﴿أتخذناهم سخرياً﴾** ومن قرأ بفتح الألف على الاستفهام فهو بعيد[6]، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخرياً، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن ذلك وقد علموه؟ ووجهه: أنه على اللفظ لا على المعنى، وذلك لتعادل[7] أم في قوله: **﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾** قال مقاتل: أم زاغت أبصارنا عنهم، فهم معنا في النار ولا نراهم[8]. وقال[9] قتادة: زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم حين دخلوا النار[10] قال الله تعالى[11]: **﴿إن ذلك لحق﴾**[12] يعني ما ذكرنا[13] قبل هذا الحق. ثم بين ما هو فقال: **﴿تخاصم أهل النار﴾** يعني تخاصم القادة والأتباع على ما أخبر به عنهم. «قل لهم»[14] يا محمد لأهل مكة: **﴿إنما أنا منذر﴾** أنذركم وأحذركم عقوبة الله. **﴿وما من إله﴾** وقل لهم أيضاً: **﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾** لخلقه. **﴿رب السموات والأرض﴾**[15] الآية.

---

(١) في (د) ولا.

(٢) من السابقين الأولين، شهد بدرا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقيل سنة عشرين من الهجرة، وله بضع وستون سنة: انظر التقريب ١/١١٠.

(٣) في (أ، هـ) سالماً. وسلمان هو: سليمان الفارسي أبو عبد الله، ويقال له: سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل: من «رامهرمز» من أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين هجرية يقال: بلغ ثلاثمائة سنة (انظر تقريب التهذيب ١/٣١٩) أو لعله سالم بن عبيد الأشجعي صحابي من أهل الصفة (انظر التقريب ١/٢٨٠).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٢.

(٥) في (د) كروا وفي (هـ) ذكر.

(٦) اختلف في (أتخذناهم) فأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بوصل الهمزة بما قبلها، ويبتدأ لهم بكسر همزة على الخبر، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالاً، وأم منقطعة أي بل أزاغت كقولك: إنها لا بل أم شاء أي بل شاء، وافقهم الأعمش واليزيدي. والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وصلاً وابتداء على الاستفهام وأم متصلة لتقدم الهمزة. وقرأ (سخرياً) بضم السين نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، والباقون بكسرها.

(انظر الإتحاف ٣٧٣، والتحبير ١٧١، والبحر المحيط ٧/٤٠٧).

(٧) في (ب، جـ، هـ) ليعادل.

(٨) انظر جامع البيان ٢٣/١١٦ ومعالم التنزيل ٤/٦٨.

(٩) في (هـ) قال.

(١٠) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٧١ وجامع البيان ٢٣/١١٦، ١١٧ والدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر ٥/٣١٩ ومعالم التنزيل ٤/٦٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٢ وفتح الباري ٨/٥٤٦.

(١١) ساقطة من (هـ).

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) في (أ، د، هـ) ذكر.

(١٤) من (جـ، هـ).

(١٥) في (أ) ورب.

أخبرنا أبو منصور البغدادي [١]، أنا محمد بن عبد الله بن زياد أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا يوسف بن عدي [٢]، أنا غثام [٣] بن علي، [عن] [٤] هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة [رضي الله عنها] [٥]: كان رسول الله ﷺ إذا تضور [٦] من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار» [٧].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

وقوله [٨] ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ [٩] يعني القرآن [١٠] في قوله الجميع [١١]. قال مقاتل: القرآن حديث عظيم، لأنه كلام الله [عز وجل] [١٢]. وقال الزجاج: قل: النبأ الذي أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم. يعني ما أنبأهم به من قصص الأولين، وذلك دليل على صدقه ونبوته، لأنه لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله تعالى [١٣] ﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه فتعلموا صدقي في نبوتي. يدل على صحة [١٤] هذا المعنى قوله: ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ يعني الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ يعني ما ذكر [في قوله] [١٥] ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ إلى آخر القصة ﴿إن يوحى إلي﴾ [١٦]، ما يوحى إلي ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾ [١٧] قال الفراء: المعنى ما يوحى إلي [إلا لأنني] [١٨] نبي ونذير [١٩] ﴿مبين﴾ أبين لكم ما تأتون به [٢٠] من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية. ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ متصل بقوله ﴿إذ يختصمون﴾ [٢١] فاعترض [٢٢] بينهما كلام، وما بعد هذا مفسر فيما مضى [٢٣] من سورة الحجر [٢٤].

---

(١) أبو منصور البغدادي هو الصدر الأنبل الرئيس القدوة أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف البغدادي سبط الإمام أبي الحسين أحمد بن عبد الله السوسنجردي وكان يلقب بالشيخ الأجل مات سنة ستين وأربع مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٣).

(٢) يوسف بن عدي بن رزيق التيمي مولاهم الكوفي نزيل مصر ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين هجرية وقيل غير ذلك. انظر تقريب التقريب ٢/٣٨١.

(٣) في (ب) عثمان، في (جـ، د، هـ) عثام.

(٤) في (هـ) ابن.

(٥) من (جـ).

(٦) تضور: التضور: التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع، وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب: صاح عند الجوع انظر اللسان مادة (ضور).

(٧) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي خ.م انظر المستدرك كتاب الدعاء ١/٥٤٠.

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) في (جـ) نبأ.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/١١٧ ومعالم التنزيل ٤/٦٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٢.

(١١) في (جـ): في قول جميع المفسرين.

(١٢) من (جـ).

(١٣) في (د) وهذا، وذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن ورقة ١٨٢.

(١٤) ساقطة من (د).

(١٥) ساقطة من (د).

(١٦) ساقطة من (جـ، هـ).

(١٧) من (جـ، هـ).

(١٨) في د (لأبي) وفي (هـ) إلالأني.

(١٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٢.

(٢٠) من (د).

(٢١) من (ب).

(٢٢) في (هـ) واعترض.

(٢٣) الآيتان ٢٩، ٣٠ من سورة الحجر.

(٢٤) من (جـ).

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿لما خلقت بيدي﴾ أي لما[1] توليت خلقه كما قال: «مما عملت أيدينا»[2] وقد مر ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ استفهام توبيخ وانكار، يقول استكبرت بنفسك حين أبيت السجود لآدم؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون [فتكبرت عن السجود بكونك من قوم يتكبرون][3]؟ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم. قوله[4]:

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قال فالحق والحق أقول﴾ انتصب الحق الأول على تقدير فبالحق حذف الخافض[5] ونصب كما تقول: والله لأفعلن، والحق الثاني: يجوز أن يكون الأول وكرره للتأكيد، ويجوز أن يكون الحق[6] منصوباً بأقول كأنه قال[7]: وأقول الحق، وقرأ الكوفيون[8] والحق[9] رفعاً وهو مبتد وخبره محذوف على تقدير الحق مني كما قال﴿الحق من ربك﴾[10] وهذا قول مجاهد، قال[11]: يقول الله: الحق مني وأنا[12] أقول[13]الحق، أقسم الله تعالى أن يملأ جهنم من إبليس وأتباعه وهو قوله:

---

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) سورة (يس) آية ٧١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ب) الحافظ.

(٦) من (جـ).

(٧) من (أ).

(٨) اختلف في (قال فالحق) فعاصم وحمزة وخلف على الابتداء ولأملأن خبره أو مني أو قسم أو يمين، أو على الخبرية أي أن الحق أو قولي الحق (وعن) المطوعي رفعهما فالأول على ما مر والثاني بالابتداء وخبرة الجملة بعده على غير التقدير الأول، وقولي أو نحوه عليه وحذف العائد على الأول كقراءة ابن عامر: وكل وعد الله الحسنى والباقون بنصبهما فالأول أما مفعول مطلق أي أحق الحق أو مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب ولأملأن جواب القسم ويكون قوله: والحق أقول معترضاً أو على الإغراء أي الزموا الحق والثاني منصوب بأقول بعده (وسهل الهمزة الثانية من «لأملأن» الأصبهاني ووقف عليه حمزة بتخفيف الأولى وتسهيلها مع تسهيل الثانية). انظر النشر ٢/٣٦٣ والإتحاف صـ ٣٧٤.

(٩) في (ب، جـ، د، هـ) فالحق.

(١٠) سورة البقرة/ آية ١٤٧، وآل عمران/ آية ٦٠.

(١١) في (هـ) كما.

(١٢) في (هـ) وأن.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ٢/٥٥٣ وجامع البيان ٢٣/١٢٠ ومعالم التنزيل ٤/٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤.

﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿قل﴾ لكفار مكة: ﴿ما أسئلكم عليه﴾ على تبليغ الوحي والقرآن ﴿من أجر﴾ مال تعطونيه[١] ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي[٢] ما أتيتكم[٣] رسولاً من قبل نفسي، ولم أتكلف[٤] هذا الإتيان بل أمرت به. أخبرنا أبو عثمان الحيري الزاهد[٥] أنا عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمدي[٦]، أنا [المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي، نا[٧] علي بن زياد][٨] اللخمي، نا أبو قرة قال: ذكر سفيان عن منصور والأعمش أنهما حدثاه عن أبي الضحى[٩] عن مسروق أنه قال: قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ رواه البخاري[١٠] عن قتيبة عن جرير عن الأعمش. ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين. ﴿ولتعلمن﴾ أنتم[١١] يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت[١٢]، وقال عكرمة: يعني يوم القيامة[١٣]، وقال الكلبي: من بقي علم ذلك لما ظهر[١٤] أمره وعلا، ومن مات علمه بعد الموت[١٥]، وقال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين[١٦].

---

(١) في (د) تعطونه.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ، ب، جـ) ايتكم

(٤) في (هـ) أكلف.

(٥) أبو عثمان الحيري الزاهد هو الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي ولد سنة ثلاثين ومئتين هجرية وتوفي سنة ثمان وتسعين هجرية. انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٦٢: ٦٦.

(٦) في (جـ) السدي.

(٧) في (د) أنا.

(٨) في (د) المفضل بن محمد بن علي بن زياد إبراهيم الجندي.

(٩) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني أبو الضحى الكوفي القطار ثقة فاضل أخرج له الستة وثقه ابن معين وأبو زرعة وابن سعد والنسائي مات سنة ١٠٠ هـ (انظر التهذيب ١٠/١٣٢، التقريب ٢/٢٤٥)

(١٠) رواه البخاري في تفسير سورة (ص) كتاب التفسير، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٨/١٣١ حديث ٥٠ وكتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٣٩ ط الحلبي

(١١) في (هـ) يا أنتم.

(١٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٧٢ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ والدر المنثور ٥/٣٢٢.

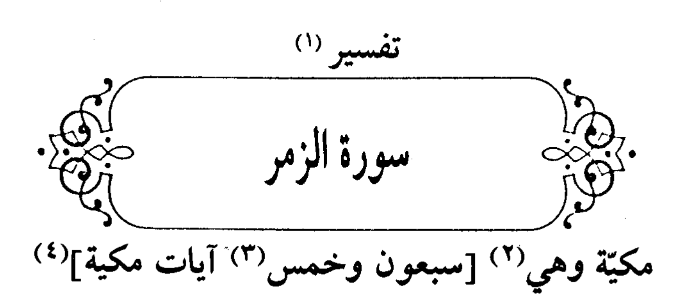
(١٣) قال ابن كثير ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤.

(١٤) في (هـ) أظهر.

(١٥) انظر جامع البيان ٢٣/١٢١ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

(١٦) انظر تفسير القرآن ٤/٤٤ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

تفسير[1]



سورة الزمر

مكيّة وهي[2] [سبعون وخمس[3] آيات مكية][4]

«أخبرنا أبو سعيد[5] محمد بن علي الحيري، أنا أبو عمرو[6] بن مطر، نا [إبراهيم بن شريك][7]، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، [نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم ـ عن أبيه عن أبي أمامة][8] عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه، وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا[الله عز وجل][9]»[10].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تنزيل الكتاب﴾ مبتدأ، وخبره ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أي ان تنزيل الكتاب من الله (العزيز الحكيم)[11] لا من غيره. كما تقول في الكلام: استقامة الناس من الأنبياء، أي انها[12] لا تكون إلا من الأنبياء. ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ قال مقاتل: يقول[13]: لم ننزله باطلاً لغير شيء[14] ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ موحداً له لا تشرك به شيئاً[15]. والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله[16] إلى خالقه، لا يجعل ذلك لعرض الدنيا. ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني أن الدين الخالص من الشرك هو لله تعالى[17] وما سواه من الأديان، فليس بدين الله الذي أمر به.

---

(١) ساقطة من (أ).
(٢) من (جـ).
(٣) في (جـ) وآيتان والصواب المثبت في الأصل لموافقته ما ورد في المصحف الشريف.
(٤) ما بين المعقوفين من (أ، جـ).
(٥) في (أ، جـ، هـ) سعد.
(٦) في (أ) أبو عمر.
(٧) ساقطة من (د).
(٨) في (هـ) باسناده.
(٩) من (د).
(١٠) لم يعثر له على أصل وليراجع أول سورة (ص).
(١١) من (جـ).
(١٢) في (أ) إنما.
(١٣) ساقطة من (د).
(١٤) انظر معالم التنزيل ٧١/٤.
(١٥) ساقطة من (د).
(١٦) ساقطة من (ب).
(١٧) من (د).

وقال [١] قتادة: الدين [٢] الخالص شهادة أن لا إله إلا الله [٣]. ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾[٤] يعني الآلهة والأصنام، يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (إلا ليشفعوا)[٥] لنا إلى الله وذلك التقريب هو الشفاعة في قول المفسرين[٦]، والزلفى القربى[٧] وهو[٨] اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال: ﴿إلا ليقربونا إلى الله﴾ تقريباً. ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ [بين أهل[٩] الأديان وهم الذين اتخذوا من دونه أولياء يحكم الله بينهم][١٠] يوم القيامة ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين[١١] كل يقول: الحق ديني، فهم مختلفون، وحكم الله بينهم أن[١٢] يعذب كلاًّ على قدر استحقاقه. ثم أخبر أن هؤلاء[١٣] لا يهديهم الله فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ لا يرشد لدينه[١٤] من كذب (في زعمه)[١٥] أن الآلهة تشفع وكفر في اتخاذ الآلهة دونه، وهذا فيمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية.

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾[١٦] على ما يزعم من ينسب الله تعالى[١٧] إلى اتخاذ الولد، ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾[١٨] يعني الملائكة كما قال (الله تعالى)[١٩] ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا﴾[٢٠] ثم أعلم أنه منزه عن اتخاذ الولد فقال: ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿هو الله الواحد﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد[٢١]. ﴿القهار﴾ لخلقه قهر ما خلق بالموت[٢٢] وهو[٢٣] حي لا يموت.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي لم يخلقهما باطلاً لغير شيء. ﴿يكور الليل على النهار﴾ يدخل هذا على هذا، والتكوير: طرح الشيء بعضه على بعض. يقال: كور المتاع إذا ألقي

---

(١) في (ب) قال.
(٢) في (هـ) والدين.
(٣) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٢ وتفسير عبد الرزاق ٣/٩٧٣ ومعالم التنزيل ٤/٧١ ، والكشاف للزمخشري ٤/٨٥ والدر المنثور ٥/٣٢٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، وفتح القدير ٤/٤٤٩.
(٤) ساقطة من (هـ).
(٥) في (جـ) إلا لنا ليشفعوا.
(٦) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٣ ومعالم التنزيل ٤/٧١ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٥.
(٧) ساقطة من (هـ).
(٨) في (ب، جـ، د) وهي. وفي (هـ) وهم.
(٩) ساقطة من (هـ).
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (جـ).
(١١) في (هـ) الدنيا.
(١٢) ساقطة من (هـ).
(١٣) في (د) هو.
(١٤) ساقطة من (هـ).
(١٥) في (د) لزعمه وفي (هـ) وفي زعمه.
(١٦) في (د) لو.
(١٧) ساقطة من (ب، هـ).
(١٨) ساقطة من (هـ).
(١٩) من (جـ).
(٢٠) سورة الأنبياء / آية رقم ١٧.
(٢١) في (هـ) ولداً.
(٢٢) في (هـ) الموت.
(٢٣) في (هـ) وهي.

بعضه على بعض. قال قتادة[١]: يغشي هذا على[٢] هذا[٣] كما قال: ﴿يغشي الليل النهار﴾[٤] و ﴿يولج الليل [في النهار][٥]﴾[٦]»[٧]﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما للمسير في بروجهما على ما قدر وأراد [﴿كل﴾ منهما ﴿يجري][٨] لأجل مسمى﴾ أي[٩] إلى الأجل الذي وقت الله الدنيا إليه وهو انقضاؤها وفناؤها. ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب في ملكه ﴿الغفار﴾ لأوليائه وأهل طاعته. ﴿خلقكم من[١٠] نفس واحدة﴾ يعني آدم [قال الفراء والزجاج][١١] : المعنى «خلقكم من نفس خلقها واحدة» [١٢] ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ لأن خلقها كان بعد خلق الزوج يعني حواء[١٣] خلقت من قصيرى آدم. ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ معنى الإنزال ها هنا: الإنشاء والإحداث كقوله: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً (يواري سوءاتكم)[١٤]﴾[١٥] ولم ينزل اللباس ولكنه أنزل الماء الذي هو سبب والقطن والصوف واللباس منهما، كذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء، وقوله[١٦] ﴿ثمانية أزواج﴾ مفسر في سورة الأنعام[١٧]، ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ نطفاً ثم علقاً[١٨] إلى أن يخرج من بطن أمه ﴿في ظلمات ثلاث﴾ ظلمة المشيمة[١٩]، وظلمة البطن، وظلمة الرحم، ﴿ذلكم الله﴾ الذي خلق هذه الأشياء ربكم[٢٠]﴿لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ عن[٢١] طريق الحق بعد هذا[٢٢] البيان!!!؟ مثل قوله ﴿فأنى تؤفكون﴾[٢٣].

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا

---

(١) من (هـ).

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٧٣ وجامع البيان ٢٣/١٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٧ ومعالم التنزيل ٤/٧٢ والكشاف ٤/١٠٦ والبحر المحيط ٧/٤١٦ وتفسير القرآن العظيم ٥/٣٢٢ وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٣) ساقطة من (جـ).

(٤) سورة الأعراف / آية ٥٤.

(٥) في (جـ) على.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط عن (ب).

(٧) سورة لقمان / آية ٩ وفاطر آية/١٣، والحديد /آية رقم ٦.

(٨) في (ب) كل يجري منهما.

(٩) من (د).

(١٠) في (هـ) في.

(١١) في (د) قال الزجاج والفراء.

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٥ والزجاج ورقة ١٨٢.

(١٣) في (ب) والحواء.

(١٤) من (جـ).

(١٥) سورة الأعراف / آية ٢٦.

(١٦) في (د) وهو قوله.

(١٧) قال الواحدي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام: «ثمانية أزواج» وهي الضأن والمعز والإبل والبقر، وجعلها ثمانية وهي أربعة لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج والأنثى زوج، قال الله تعالى: «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى». (تفسير الوسيط جـ ٢ ص ١٠٥١) تحقيق دكتور / أحمد صيرة.

(١٨) في (هـ) علقة.

(١٩) المشيمة: غشاء ولد الإنسان قال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف (انظر المصباح مادة شيم).

(٢٠) ساقطة من (أ).

(٢١) في (هـ) من.

(٢٢) في (هـ) هذه.

(٢٣) سورة الأنعام / آية ٩٥ وسورة يونس/ آية ٣٤، وسورة فاطر / آية ٣.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾

قوله«**﴿إن تكفروا﴾** يا أهل مكة **﴿فإن الله غني (عنكم﴾** أي)[١]»[٢] عن عبادتكم **﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾** قال عطاء عن ابن عباس: يريد ولا[٣] أرضى لأوليائي وأهل طاعتي الكفر[٤]، وقال في رواية الوالبي: يعني عباده المخلصين الذين قال فيهم **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله، وحببها إليهم[٥]، وقال السدي: لا يرضى لعباده المؤمنين[٦] أن يكفروا[٧]. وهذا طريق من قال بالتخصيص في هذه الآية[٨]. ومن أجراها على العموم قال إن[٩] الله تعالى لا يرضى الكفر لأحد وكفر الكافر غير مرضي لله، وإن كان بإرادته. والله تعالى مريد لكفر[١٠] الكافر غير راض به، لأنه لا يمدحه ولا يثني عليه، قال قتادة: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها[١١]. **﴿وإن تشكروا﴾** ما أنعم عليكم من التوحيد **﴿يرضه لكم﴾** يرضى ذلك الشكر لكم بأن يثيبكم عليه وباقي الآية تقدم تفسيره[١٢]. قوله[١٣] **﴿وإذا مس الإنسان﴾** قال عطاء: يريد عتبة بن ربيعة[١٤]، وقال مقاتل: يريد[١٥] أبا حذيفة بن المغيرة **﴿ضر﴾** بلاء وشدة وفقر، أو مرض. **﴿دعا ربه منيباً إليه﴾** راجعاً إليه من شركه، **﴿ثم إذا خوله﴾** أعطاه **﴿نعمة منه﴾** يعني أغناه وأنعم عليه بالصحة **﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾**[١٦] نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه **﴿وجعل لله أنداداً﴾** (رجع إلى)[١٧] عبادة الأوثان **﴿ليضل عن سبيله﴾**[١٨] ليزل عن دين الله[١٩] الإسلام **﴿قل﴾** لهذا الكافر **﴿تمتع بكفرك قليلاً﴾** في الدنيا إلى أجلك. قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر ومعناه التهدد[٢٠] والوعيد[٢١]. **﴿إنك من أصحاب النار﴾** أي[٢٢] إن[٢٣] مصيرك إلى النار. قوله:

---

(١) من (ب، جـ، د).

(٢) من (جـ، د، هـ).

(٣) من (جـ).

(٤) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٦ ومعالم التنزيل ٤/٧٢.

(٥) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٦ ومعالم التنزيل ٤/٧٢.

(٦) في (ب) أي قدره المؤمنين.

(٧) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٦ ومعالم التنزيل ٤/٧٢.

(٨) في (د) الأمة.

(٩) ساقطة من (د).

(١٠) في (ب) الكفر.

(١١) انظر جامع البيان ٢٣/١٢٦ ومعالم التنزيل ٤/٧٢. والصواب من القول في ذلك كما قال ابن جرير الطبري: هو ما قاله الله جل وعز (إن تكفروا بالله أيها الكفار به فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال: لست أحب الظلم وإن أحببت أن يظلم فلان فلاناً فيعاقب. انظر جامع البيان ٢٣/١٢٦).

(١٢) قال الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** آية ١٥ من سورة الإسراء: «قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم فقال الله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**. قال الزجاج: أي إن الآثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره (الوسيط د ص ١٧٣) وقال عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾** من سورة يونس آية ٢٢، («ثم إلينا مرجعكم» في الآخرة «فننبئكم بما كنتم تعملون» نخبركم بأعمالكم لأنا أثبتناها عليكم) (الوسيط د/٨١).

(١٣) ساقطة من (هـ).

(١٤) عتبه بن ربيعة بن عبد شمس قتل كافراً يوم بدر. انظر نسب قريش ١٥٢.

(١٥) ساقطة من (أ، هـ).

(١٦) في (د) لشيء.

(١٧) في (ب، جـ، د، هـ) راجع عبادة الأوثان.

(١٨) الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية انظر المفردات مادة ضل ص ٢٩٧.

(١٩) ساقطة من (هـ).

(٢٠) في (جـ) للتهدد وفي (د) التهديد والصواب ما في الأصل لأنه الموجود في معاني القرآن للزجاج.

(٢١) انظر معاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٣.

(٢٢) من (ب، جـ).

(٢٣) ساقطة من (ب، جـ).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

(﴿أمن) هو قانت﴾[١] الجملة التي عادلت أم قد حذفت كما يقال: أهذا أم هذا؟ والتقدير: الجاحد الكافر يعني: الذي ذكره[٢] في قوله ﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾[٣] خير[٤] ﴿أمن هو قانت﴾ والأصل أم من هو[٥] فأدغمت الميم في الميم، ومن قرأ بالتخفيف[٦] فهي ألف الاستفهام دخلت على من، وهو استفهام إنكار والمعنى[٧] أمن هو قانت كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر؟ قال الزجاج: أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل لله أنداداً[٨]؟. والقانت: المقيم على الطاعة القائم بما يجب عليه من أمر الله. قال ابن عباس في رواية عطاء[٩] وهو أبو بكر الصديق[١٠] رضي الله عنه. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ[١١] أنا[١٢] الوليد بن أبان، نا محمد بن إدريس[١٣]، نا عمر بن أبي معاذ النميري[١٤]، نا عبد الله بن عيسى عن يحيى البكاء عن ابن عمر في قوله تعالى[١٥]: ﴿أمن[١٦] هو قانت [آناء الليل]﴾[١٧] الآية[١٨] قال: نزلت في عثمان بن عفان (رضي الله

---

(١) في (د) أمن.

(٢) في (جـ) ذكر.

(٣) ساقطة من (ب، جـ، هـ).

(٤) من (د).

(٥) من (ب).

(٦) اختلف في (أمن هو) فنافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم على أنها موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقريري، ويقدر معادل دل عليه هل يستوي أي أمن هو قانت الخ كمن جعل لله أنداداً؟ وافقهم الأعمش. والباقون بالتشديد فهي أم المتصلة دخلت على من الموصولة أيضاً والمعادل محذوف قبلها أي هذا الكافر خير أم الذي هو قانت لكن تعقبه أبو حيان: بأن حذف المعادل الأول يحتاج إلى سماع ولذا قيل: إنها منقطعة والتقدير بل أم من هو قانت كغيره (انظر الإتحاف ص ٣٧٥ والنشر ٢/٣٦٢ وتحبير التيسير ١٧١ والبحر المحيط ٧/٤١٨ ومعاني القرآن للفراء ٢/٤١٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج صحيفة ١٨٣، وجامع البيان ٢٣/١٢٨).

(٧) في (ب، د) المعنى.

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٨٣.

(٩) في (هـ) الوالبي.

(١٠) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٤/٧٣ والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٣٩ والدر المنثور ٥/٣٢٣.

(١١) أبو الشيخ الحافظ هو الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين ومئتين قال أبو نعيم: كان أحد الأعلام. وقال أبو بكر الخطيب: كان أبو الشيخ حافظاً ثبتاً متقناً وقال ابن مردويه: ثقة مأمون. توفي سنة تسع وستين وثلاث مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٢٧٦ : ٢٨٠).

(١٢) في (حـ) نا.

(١٣) محمد بن إدريس الشامي السرخسي توفي سنة ٣١٣ هـ (انظر العبر ٢/١٥٧).

(١٤) عمر بن أبي معاذ النميري هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن رائطة النميري أبو زيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق صاحب عربية وأدب ووثقه الدارقطني وابن حبان ثم قال ابن حبان: مستقيم الحديث وصاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس وقال الخطيب: كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة. انظر تهذيب التهذيب ٧/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١٥) من (جـ).

(١٦) في (د) أم من.

(١٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٨) في (ب، جـ، هـ) والآية.

عنه)[١] »[٢] وقال مقاتل[٣]: نزلت في عمار بن ياسر[٤] وتفسير[٥] ﴿آناء الليل﴾ قد مضى[٦]. وقوله ﴿ساجداً وقائماً﴾ يعني في الصلاة ﴿يحذر الآخرة﴾ قال مقاتل: يحذر عذاب الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني الجنة كمن لا يفعل ذلك؟ ليسا سواء. وهو قوله ﴿قل هو يستوي الذين يعلمون﴾ أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حق ﴿والذين لا يعلمون﴾ ذلك؟ ﴿إنما يتذكر أولو الالباب﴾ إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين، فأما الجاهل الكافر فإنه لا يتعظ.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾[٧] صدقوا بتوحيد الله ﴿اتقوا ربكم﴾ بطاعته واجتناب معاصيه وتم الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ وحدوا الله وأحسنوا[٨] العمل ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ يعني الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال ابن عباس: يريد ارحلوا من مكة[٩]. وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون. كقوله تعالى[١٠] ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[١١] ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ على دينهم فلا يتركونه لمشقة[١٢] تلحقهم. وهذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين لم يتركوا[١٣] دينهم ولما[١٤] اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا[١٥] وقوله ﴿أجرهم بغير حساب﴾ [قال عطاء: بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف، وقال مقاتل: أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب][١٦] قوله[١٧] ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله﴾ قال مقاتل[١٨]: (إن كفار قريش قالوا للنبي)[١٩] ﷺ: ما يحملك على الذي أتيتنا به؟ ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها فأنزل الله ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إني

---

(١) من (جـ، هـ).

(٢ - ٣) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٥ وقال أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن عمر.

(٤) عمار بن ياسر هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدري قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٤٨/٢).

(٥) من (ب).

(٦) «الآية ١١٣ من سورة آل عمران».

(٧) في (ب، جـ، د، هـ) يا عبادي.

(٨) في (د) وحسنوا.

(٩) انظر جامع البيان ١٣٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٧/٤، ٤٨.

(١٠) من (د).

(١١) سورة النساء / آية ٩٧.

(١٢) في (جـ، د) بمشقة.

(١٣) من (د).

(١٤) في (د) فلما.

(١٥) انظر معالم التنزيل ٧٤/٤ والدر المنثور ٣٢٣/٥.

(١٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٧) من (أ).

(١٨) انظر لباب التأويل ٧٠/٦ وزاد المسير ١٩٨/٧، ١٩٩.

(١٩) في (جـ) قال كفار قريش للنبي.

أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أمرت أن أعبده على التوحيد والإخلاص لا[١] يشوب عبادتي شرك [﴿**وأمرت﴾** بهذا ﴿**لأن أكون أول المسلمين﴾**][٢] من هذه الأمة ﴿**قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾** بالرجوع إلى دين آبائي ﴿**عذاب يوم عظيم﴾** ﴿**قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾** بالتوحيد لا أشرك به شيئاً ﴿**فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾** أمر تهديد. ﴿**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم﴾**: بأن صاروا إلى النار ﴿**وأهليهم﴾** من الأزواج والخدم[٣] في الجنة. قال الزجاج: وهذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهليهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم[٤] أهل في[٥] الجنة قوله[٦]:

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾

﴿**لهم من فوقهم ظلل من النار﴾** يعني أطباقاً من النار تلتهب عليهم كقوله[٧] تعالى ﴿**يوم يغشاهم العذاب من فوقهم﴾**[٨] الآية[٩] ﴿**ومن تحتهم ظلل﴾**[١٠] مهاد من النار. قال[١١] السدي: وهي لمن تحتهم ظلل وهكذا حتى[١٢] تنتهي إلى القعر[١٣] ﴿**ذلك﴾** الذي وصف من العذاب ﴿**يخوف الله به عباده﴾** المؤمنين يعني أن[١٤] ما ذكر من العذاب معد للكفار[١٥] وهو تخويف للمؤمنين ليخافوا فيتقوه[١٦] بالطاعة والتوحيد. ثم أمرهم بذلك فقال: ﴿**يا عباد فاتقون﴾** قوله[١٧] ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾** يعني الأوثان والشيطان[١٨] ﴿**وأنابوا إلى الله﴾** رجعوا إليه بالطاعة ﴿**لهم البشرى﴾** بالجنة ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول﴾**[١٩] يعني القرآن ﴿**فيتبعون أحسنه﴾** قال السدي: يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملونه[٢٠]. وقال عطاء عن ابن عباس إن أبا بكر الصديق[٢١] رضي الله عنه آمن بالنبي ﷺ وصدقه فجاءه عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعيد[٢٢] بن زيد، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهم)[٢٣] فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا ونزلت فيهم ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول﴾**[٢٤] (يعني من أبي

---

(١) في (د) ولا.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).
(٣) ساقطة من (جـ).
(٤) في (أ، د) هم.
(٥) من (هـ).
(٦) من (جـ، هـ).
(٧) في (د) لقوله.
(٨) سورة العنكبوت/ آية ٥٥.
(٩) في (د) العذاب.
(١٠) ساقطة من (د)
(١١) في (جـ) وقال.
(١٢) ساقطة من (د).
(١٣) انظر معالم التنزيل ٤/ ٧٤.
(١٤) ساقطة من (هـ).
(١٥) في (هـ) للكافرين.
(١٦) في (هـ) فيتقوا.
(١٧) ساقطة من (جـ، د).
(١٨) في (د) والشياطين.
(١٩) في (أ، هـ) عبادي.
(٢٠) انظر جامع البيان ٢٣/ ١٣٢.
(٢١) ساقطة من (جـ، هـ).
(٢٢) في (د) وسعيد بن وقاص زيد.
(٢٣) من (جـ)
(٢٤) انظر جامع البيان ٢٣/ ١٢٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٤/ ٧٥ والدر المنثور ٥/ ٣٢٤.

بكر[١] «فيتبعون أحسنه [٢]» أي حسنه وكله حسن. ثم أثنى عليهم بباقي الآيةووصفهم بالهداية والفضل، ثم ذكر من سبقت له[٣] من الله الشقاوة فقال:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿**أفمن حق عليه كلمة العذاب**﴾[٤] قال ابن عباس: من سبق في علم الله أنه في النار أفأنت تنقذه فتجعله مؤمناً يعني[٥] لا تقدر على ذلك قال عطاء: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان به[٦] ﴿**لكن الذين اتقوا ربهم**﴾ بالإيمان والطاعة ﴿**لهم غرف من فوقها غرف مبنية**﴾ لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها. وعدهم الله تلك (الغرف والمنازل)[٧] وعداً لا يخلفه وهو قوله [﴿**وعد الله**﴾] [٨] ﴿**لا يخلف الله الميعاد**﴾، ثم ذكر ما يدل على توحيده وهو قوله: ﴿**ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فسلكه**﴾ أدخل ذلك الماء ﴿**ينابيع في الأرض**﴾ جمع ينبوع وهو يفعول من نبع الماء[٩] ينبع والينابيع الأمكنة التي [١٠]ينبع منها الماء. قال مقاتل: فجعله عيوناً وركاباً في الأرض[١١](ثم يخرج بذلك الماء (من الأرض زرعاً)[١٢] مختلفاً ألوانه من أصفر وأحمر[١٣]وأخضر[١٤] وأبيض، ﴿**ثم يهيج**﴾[١٥] يجف[١٦]يقال: هاج النبت يهيج هيجاً إذا تم جفافه. ﴿**فتراه**﴾ بعد الخضرة ﴿**مصفرًّا ثم يجعله حطاماً**﴾ دقاقاً متكسراً متفتتاً ﴿**إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب**﴾ تفكر لذوي العقول يذكرون به مالهم فيه من الدلالة على توحيد الله وقدرته. وقوله[١٧]:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) ساقطة من (هـ).
(٢) ساقطة من (هـ)
(٣) ساقطة من (هـ).
(٤) في (هـ) حققت.
(٥) ساقطة من (هـ) وفي (د) لا معنى.
(٦) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٤/٧٥.
(٧) في (ب، جـ، د) المنازل والفرق
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من هـ.
(٩) في (جـ) بالماء.
(١٠) ساقطة من (د).
(١١) انظر معالم التنزيل ٤/٧٥.
(١٢) في (جـ) زرعاً من الأرض.
(١٣) ساقطة من (جـ، د، هـ).
(١٤) ساقطة من (ب).
(١٥) ساقطة من (جـ).
(١٦) في (جـ) فيجف.
(١٧) في (جـ، د، هـ) قوله.

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي[١] وسعه لقبول الحق. روي عن[٢] ابن مسعود أنه قال: تلا[٣] رسول الله ﷺ هذه الآية فقالوا: يا رسول الله وما هذا الشرح؟ قال[٤]: نور يقذفه الله في القلب فينفسح[٥] له[٦] القلب فقيل له: فهل لذلك من[٧] أمارة؟ قال: نعم. قيل: وما هي؟ قال: الإنابة[٨] إلى دار الخلود، والتجافي[٩] عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت[١٠]. وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ قال قتادة: النور كتاب الله (عز وجل)[١١] به[١٢] يأخذ وإليه ينتهي. وقال[١٣] عطاء عن ابن عباس: فهو على يقين من ربه. وقال الزجاج[١٤]: تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته؟ودل على هذا المحذوف قوله﴿فويل للقاسية[١٥] قلوبهم (من ذكر الله)[١٦]﴾ قال مقاتل[١٧]: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل[١٨] (لعنه الله)[١٩] وقال عطاء: نزلت في علي وحمزة[٢٠] وأبي لهب[٢١] وولده[٢٢]

---

(١) من (د).

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في (هـ) قال.

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ب، جـ) فينفسح وفي (د) فينسخ وفي (هـ) فيفسح ومعنى ينفسح: يتسع انظر المفردات في غريب القرآن مادة (فسح) ص ٣٧٩.

(٦) ساقطة من (ب، جـ، د، هـ)

(٧) ساقطة من (د).

(٨) الإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص والعمل. انظر المفردات مادة (ناب) ص ٥٠٨.

(٩) التجافي: البعد عن الشيء. يقال: جفاه إذا بعد عنه وأجفاه إذا أبعده. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠/١٦٨.

(١٠) ذكره ابن كثير في التفسير مُرْسَلاً ومُتصلاً ثم قال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ليشد بعضها بعضاً. انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٧٤، وقال عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ٤/٩٥ رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وفي سنده رجل ضعيف اهـ. وذكره البغوي ٤/٧٦ ورواه الحاكم بألفاظ قريبة ولم يحكم عليه. انظر المستدرك للحاكم كتاب الرقاق ٢/ ٣٣١ ورواه صاحب العلل المتناهية ٢/٨٠٣ وقال: تفرد به عبد الله بن محمد بن المغيرة وروي من طرق كلها وهم، وهو الصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ـ ﷺ ـ كذا قاله الثوري، وابن المسور متروك ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٢١، ٢٢٢ عن أبي جعفر وابن مسعود والدر المنثور ٣/ ٤٤، ٤٥ وعيون الأخبار ٢/٣٢٨ عن عمرو بن مرة.

(١١) ساقطة من (ب).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) في (أ، ب، د، هـ) قال

(١٤) انظر معاني القرآن ورقة ١٨٤.

(١٥) القسوة: غلظة القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك. انظر المفردات مادة (قسو) ص ٤٠٤.

(١٦) من (ب، جـ).

(١٧) انظر لباب التأويل ٦/٧٢.

(١٨) أبو جهل هو أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قتل يوم بدر كافراً (انظر الكامل لابن الأثير ١/٢٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/٣٢٢ والأعلام للزركلي ٥/٨٧).

(١٩) من (جـ).

(٢٠) حمزة بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ استشهد يوم أحد (انظر أسد الغابة ٢/ ٥١).

(٢١) أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكني أبا لهب لإشراق وجهه (انظر سيرة ابن هشام ١/٩٩).

(٢٢) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ وزاد المسير ٧/١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٦٩١ ولباب التأويل ٦/٧٢.

وقوله [1] ﴿من ذكر الله﴾ قال الفراء والزجاج: عن ذكر الله كما تقول أتخمت من طعـام أكلته وعن طعام أكلته سواء [2] والمعنى: «أنه غلظ قلبه وصفا عن قبول ذكر الله تعالى [3]» [4]. ﴿أولئك﴾ أي القاسية قلوبهم ﴿في ضلال مبين﴾ (قوله تعالى)[5] ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعني القرآن وسمي حديثاً لأن النبي ﷺ كان يحدث قومه ويخبرهم بما نزل عليه منه. وقوله: ﴿كتاباً متشابهاً﴾ أي[6] يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضـه بعضاً ليس فيـه اختلاف ولا تنـاقض. ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ خوفاً مما في القرآن من الوعيد. ومعنى تقشعر تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث[7] في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، أخبرنا أبو سعد[8] عبد الرحمن بن حمدان العدل، نا[9] علي بن سعيد بن العباس الرزاز نا أبو شعيب الحراني[10]، نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد العزيز بن محمد[11]، عن يزيد بن الهاد[12]، عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت العباس، عن العباس بن عبد المطلـب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت[13] عنه ذنوبه كما يتحات[14] عن الشجرة اليابسة ورقها[15]». قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين الله[16] تعالى[17]. ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾[18] إذا ذكرت آيات الرحمة. وهذا معنى[19] قول جميع المفسرين[20] وقوله ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾ أي تطمئن[21] وتسكن ﴿إلى ذكر الله﴾ الجنة والثواب، فحذف مفعول الذكر للعلم به[22] قال قتادة: هذا نعت أولياء الله تعالى[23] نعتهم

---

(١) في أ، هـ قوله.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٨ ومعاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٥) من (جـ)

(٦) ساقطة من (جـ، د).

(٧) في (هـ) تحدث.

(٨) من (جـ).

(٩) في (د) أنا.

(١٠) أبو شعيب الحراني هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الأموي المؤدب عاش تسعين سنة وكان ثقة توفي سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة رحمه الله (انظر العبر ٢/١٠١).

(١١) عبد العزيز بن محمد الدراوردي، أبو محمد الجهني، مولاهم، المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطىء، قال عنه النسائي: حديثه عن عبد الله العمري منكر، من الثامنة، مات سنة ست أو سبع وثمانين. انظر (التقريب ١/٥١٢).

(١٢) يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أبو عبد الله المدني ثقة من الخامسة مات سنة ٣٩ قال أحمد: ليس به بأس، وقال ابن معين والنسائي: ثقة (تهذيب التهذيب ١١/٣٤٠، التقريب ٢/٣٦٧)

(١٣) تحاتت أي تساقطت. انظر النهاية لابن الأثير ١/٢٠٠

(١٤) في (هـ) تتحات.

(١٥) رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس قال صاحب مجمع الزوائد: لم أعرفها وبقية رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ١٠/٣١٠ وذكره صاحب السراج المنير ١/١٠٥ وقال: قال الشيخ: حديث ضعيف وانظر لباب التأويل ٦/٧٣.

(١٦) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(١٧) من (ب).

(١٨) اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلـق وغيره من المعاني فيقال: فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع واللين في هذه الآية الكريمة إشارة إلى إذعانهم للحق وَقُبولهم له وتأبيهم منه وإنكارهم إياه (المفردات مادة لين ص ٤٥٧).

(١٩) من (د).

(٢٠) انظر معالم التنزيل ٤/٧٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٠، ٥١

(٢١) في (د) تطمئان).

(٢٢) من (د).

(٢٣) من (ب).

الله بأنهم تقشعر جلودهم وتطمئن[١] قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان[٢] عليهم، إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان[٣]. ﴿**ذلك**﴾. يعني أحسن الحديث وهو القرآن ﴿**هدى الله**﴾ الآية قوله[٤]: ﴿**أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة**﴾[٥] نزلت في أبي جهل، قال الكلبي: ينطلق به إلى النار مغلولاً[٦]، فإذا رمت به الخزنة فيها لم يتقها بأول من وجهه[٧]. قال الزجاج: المعنى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة[٨]. وتم الكلام. ثم أخبر عما تقول[٩] الخزنة للكفار بقوله: ﴿**وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون**﴾ قال عطاء: يريد جزاء ما كنتم تعملون.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿**كذب الذين من قبلهم**﴾ من قبل[١٠]، كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب إذ لم يؤمنوا ﴿**فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**﴾ يعني وهم[١١] آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب. ﴿**فأذاقهم الله الخزي**﴾ الهوان والعذاب ﴿**في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر**﴾[١٢] مما أصابهم في الدنيا ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ لكنهم لم يعلموا ذلك قوله[١٣]:

وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿**ولقد ضربنا للناس**﴾ لأهل[١٤] مكة ﴿**في هذا القرآن من كل مثل**﴾ بينا لهم ما يشبه حالهم ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يتعظون فيعتبرون ﴿**قرآناً عربياً**﴾ حال من القرآن في قوله «في هذا القرآن» ﴿**غير ذي عوج**﴾ مستقيم ليس بمختلف. أخبرنا الحسن بن أحمد العدل، أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي نا محمدبن حمدونبن خالد[١٥]، نا (أبو هارون

---

(١) في (د) وتطئان وفي (هـ) فتطمئن.

(٢) الغشيان: الإغماء. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٦٣/٣.

(٣) من (هـ).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧٥/٣ ومعالم التنزيل ٧٧/٤ وتفسير القرآن ٥١/٤ وفتح القدير ٤٥٩/٤

(٥) من (جـ).

(٦) غل: الغلل أصله تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر وقد يقال له الغيل وانغل فيما بين الشجر دخل فيه، فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وجمعه أغلال وغل فلان قيد به (المفردات مادة غل ص ٣٦٣)

(٧) المراد ألا يقابل النار بجزء من جسده قبل وجهه.

(٨) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٩) في (د) يقول.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) ساقطة من (ب).

(١٢) في (د) الحياة.

(١٣) من (جـ).

(١٤) في (جـ) من أهل.

(١٥) محمد بن حمدون بن خالدبن يزيد هو الحافظ الكبير أبو بكر النيسابوري أحد الأثبات قال الحاكم كان من الثقات الأثبات الجوالين في الأقطار عاش سبعاً وثمانين سنة توفي سنة عشرين وثلاث مائة وقال الخليلي حافظ كبير (تذكرة الحفاظ ٨٠٧/٣).

إسماعيل بن محمد، نا أبو صالح)[١] نا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «غير ذي عوج»[٢] قال: غير مخلوق[٣].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ضرب الله مثلاً﴾ ثم بينه فقال: **﴿رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾** متنازعون مختلفون **﴿ورجلاً سلما لرجل﴾** سلم له من غير منازع، ومن قرأ سلماً فهو مصدر وصف به على معنى ورجلاً ذا سلم لرجل من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع لك فيه[٤] قال الزجاج «وهذا المثل ضرب لمن وحد الله (عز وجل)[٥] ولمن جعل معه شركاء[٦]»[٧] قال مقاتل: يقول هل يستوي عبد (يشترك فيه)[٨] نفر مختلفون يملكونه جميعاً ورجل[٩] خالص لرجل [لا شركة فيه][١٠] لأحد؟ ثم قال: **﴿هل يستويان مثلاً﴾** أي يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد رباً واحداً يعني المؤمن؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، أي لا يستويان، وذلك أن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه [ما لا يستحقه][١١] صاحب الشركاء [المتعاشرين المختلفين][١٢] في أمره، وتم الكلام. ثم قال: **﴿الحمد لله﴾** أي له الحمد كله دون غيره من المعبودين **﴿بل﴾** أي دع الكلام الأول **﴿أكثرهم لا يعلمون﴾** ما يصيرون إليه من العقاب، والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه (ﷺ)[١٣]، بأنه يموت، وأن هؤلاء الذين يكذبونه[١٤] يموتون ويجتمعون للخصومة عند الله، وهو قوله: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾** قال ابن عباس: يعني[١٥] الحق والمبطل والظالم والمظلوم[١٦]. أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أحمد بن جعفر بن مالك، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي نا ابن نمير، نا محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: **﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾** قال الزبير: أي يا[١٧] رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟

---

(١) في (جـ) أبو هارون إسماعيل بن محمد بن صالح.

(٢) عوج: العوج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف نقاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش (المفردات مادة (عوج) ص ٣٥١)

(٣) انظر معالم التنزيل ٧٨/٤ وزاد المسير ١٧٩/٧.

(٤) اختلف في (رجلا سلما) فابن كثير وأبو عمر ويعقوب بالألف وكسر اللام اسم فاعل أي خالصاً من الشركة، وافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن والباقون بفتح السين واللام بلا ألف مصدر وصف به مبالغة في الخلوص في الشركة (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥ والبحر المحيط ٤٢٤/٧).

(٥) في (ب) تعالى.

(٦) في (د) شريكا.

(٧) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة ١٨٤

(٨) في (د) يشارك وفي (هـ) مشترك فيه وفي (أ) شرك فيه.

(٩) في (أ، ب، جـ) ولرجل.

(١٠) في (جـ) لا يشركه فيه.

(١١) في (أ، جـ، د) يستحق وفي (هـ) ولا يستحقه.

(١٢) في (أ) المتعاشرون المختلفون.

(١٣) من (جـ، د، هـ).

(١٤) في (أ) يكذبون به.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) انظر جامع البيان ٢/٢٤ ومعالم التنزيل ٧٨/٤.

(١٧) ساقطة من (هـ).

قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا[١] إلى كل ذي حق حقه. قال الزبير: والله إن الأمر لشديد[٢] قوله[٣]:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**فمن أظلم ممن كذب على الله**﴾ بأن له ولداً وشريكاً، ﴿**وكذب بالصدق**﴾ أي[٤] بالتوحيد والقرآن ﴿**إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾[٥] مقام للجاحدين؟ وهو استفهام تقرير، يعني أنه كذلك. ﴿**والذي جاء بالصدق**﴾ محمد ﷺ، ﴿**وصدق به**﴾ أبو بكر [رضي الله عنه][٦] وأصحابه وهم المؤمنون الذين صدقوا محمداً ﷺ بما جاء به من الإسلام، ﴿**أولئك هم المتقون**﴾ الذين اتقوا الشرك. ﴿**لهم ما يشاءون عند ربهم**﴾ لهم عند الله من الجزاء والكرامة ما يشاءون. ﴿**ذلك جزاء المحسنين**﴾ في أقوالهم وأعمالهم. ﴿**ليكفر الله عنهم**﴾، أي أعطاهم ما شاءوا ﴿**ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا**﴾. يسترها عنهم[٧] بالمغفرة. ﴿**ويجزيهم أجرهم**[٨] **بأحسن الذي كانوا يعملون**﴾ قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي[٩]. قوله[١٠]:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾ يعني محمداً ﷺ يكفيه عداوة[١١] من يعاديه ومن قرأ «عباده» فالمراد بالعباد الأنبياء[١٢]، وذلك أن الأمم [قصدتهم بالسوء][١٣] وهو قوله: ﴿وهمت كل أمة برسولهم﴾[١٤]

(١) في (د، هـ) تردوا.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٦٤، ١٦٧) والترمذي في سننه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٥/ ٣٧٠ وقال عنه أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انظر تحفة الأحوذي ٩/ ١١٠ ـ ١١١ والطبراني ورجاله وثقات. انظر مجمع الزوائد ٧/ ١٠٠ والحاكم في مستدركه وقال عنه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي: رواه مسلم. كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٢/ ٤٣٥ والطبري في جامع البيان ٢٤/ ١.

(٣) من (ب، جـ).

(٤) ساقطة من (ب، هـ).

(٥) في (أ، ب، د، هـ) لما.

(٦) ساقطة من (أ).

(٧) في (أ) عليهم.

(٨) ساقطة من (أ).

(٩) انظر معالم التنزيل ٤/ ٧٩.

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) اختلف في (بكاف عبده) فحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «عباده» بألف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين، وافقهم الأعمش والباقون بغير ألف أي كافيك يا محمد أمر الكفار فالمفعول الثاني فيهما محذوف. (إتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥، ٣٧٦، والنشر ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣، وجامع البيان ٢٤/ ٥ والبحر المحيط ٧/ ٤٢٩ وتحبير التيسير ١٧٣).

(١٣) في (د) قصدتهما بسوء.

(١٤) في (جـ) طائفة.

فكفاهم[١] الله تعالى[٢] شر من عاداهم. يعني انه كافيكم [٣] كما كفى هؤلاء الرسل قبلك. ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أي بالذين [٤] يعبدون من دونه (وهم الأصنام) [٥] وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ [إنا نخاف] [٦] أن يصيبك من آلهتنا جنون أو خبل[٧]. ثم ذكر سبب ضلالهم، فقال ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ﴿ومن يهد[٨] الله فما له من مضل﴾[٩] من تولى الله هدايته لم يضله أحد. ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب لا يمتنع عليه شيء ﴿ذي انتقام﴾ ممن عصاه وكفر به. ثم أعلم[١٠] أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون[١١] بأن الله خالق السموات والأرض، فقال:

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ولئن سألتهم [من خلق السموات والأرض] ليقولن الله﴾[١٢]. ثم أمره أن[١٣] يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله [لا يملك][١٤] كشف ضر فقال: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر﴾ قال ابن عباس ومقاتل: بمرض أو فقر [أو ببلاء][١٥] أو شدة. ﴿هل هن كاشفات [ضره﴾ هل تقدر الآلهة[١٦] أن تكشف ما ينزل بي[١٧] من ضر][١٨] ﴿أو أرادني برحمة﴾ [بخير وصحة][١٩] ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾[٢٠] هل تقدر الآلهة[٢١] أن تحبس عني تلك الرحمة، وقرىء ﴿كاشفات﴾ و ﴿ممسكات﴾ بالتنوين وبغيره[٢٢] فمن نون فلأنه غير واقع وما لم يقع من أسماء الفاعلين فالوجه فيه التنوين، ومن أضاف فعلى الاستخفاف[٢٣]

---

(١) في (جـ) وكفاهم.
(٢) من (جـ)
(٣) في (جـ، د) كافيك.
(٤) في (جـ) بالذي.
(٥) في (جـ) وهي الأصنام
(٦) في (د) أما تخاف.
(٧) في (د) وخيل.
قال الحافظ السيوطي في الدر ٥/٣٢٨ أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فَلَتُخْبِلَنَّكَ، فنزلت ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ وذكره عبد الرزاق في تفسيره ٣/٩٧٨ والطبري في جامع البيان ٢٤/٦ والبغوي في معالم التنزيل ٤/٨٠ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥ وفتح الباري ٨/٥٤٨ وفتح القدير للشوكاني ٤/٤٦٧.
(٨) في (هـ) يهدي
(٩) من (هـ).
(١٠) في (د) أخبر.
(١١) في (هـ) يقرون.
(١٢) في (هـ) الآية.
(١٣) في (د) بأن
(١٤) في (جـ) لا يملكون.
(١٥) في (ب، د) أوبلاء.
(١٦) ساقطة من (هـ) وفي (د) أحد
(١٧) في (جـ) به.
(١٨) في (أ، جـ، د، هـ) الضر
(١٩) في (ب، جـ) خيراً وصحة.
(٢٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).
(٢١) من (أ) وفي (جـ) أحد.
(٢٢) ساقطة من (أ) وفي (ب) وغيره.
(٢٣) في ب الاستحقاق.

وحذف التنوين، والمعنى على التنوين، وكلا الوجهين حسن [١]. قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ (عن ذلك)[٢] فسكتوا، ولم يجيبوه [٣] فقال الله[٤] تعالى [٥] للنبي ﷺ: ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ بالله يثق الواثقون[٦] وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿للناس﴾. قال ابن عباس: لجميع الخلق ﴿بالحق﴾ أي ليس فيه شيء من الباطل ﴿فمن اهتدى﴾ بالقرآن ﴿فلنفسه﴾. وهذه الآية مفسرة[٧] في آخر سورة يونس[٨]. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ لم يوكلك بهم ولا تؤخذ بهم. قال مقاتل: وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. قوله ﴿الله يتوفى الأنفس (حين موتها﴾)[٩] يعني[١٠] الأرواح ﴿حين موتها﴾[١١] عند أجلها. والمعنى حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف ﴿والتي لم تمت﴾ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿في منامها﴾ والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز. قال الزجاج: لكل إنسان نفسان أحدهما[١٢] نفس التمييز وهي التي[١٣] تفارقه إذا نام فلا يعقل، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس[١٤]. وقوله ﴿فيمسك﴾ أي عن الجسد الروح التي قبضها حتى لا تعود[١٥] إليه. وهو قوله ﴿التي قضى عليها الموت﴾، وقرىء قضي عليها الموت، والوجه القراءة الأولى[١٦] لقوله ﴿الله يتوفى﴾. قوله[١٧] ﴿ويرسل﴾ يعني[١٨] ويرسل ﴿الأخرى﴾ أي[١٩] إلى الجسد ﴿إلى

(١) واختلف في (كاشفات ضره) و (ممسكات رحمته) فأبو عمرو ويعقوب بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته اسم فاعل بشرطه فيعمل عمل فعله ويتعدى لواحد بنفسه وإلى آخر بعن أي عني. وافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصن من المفردة والباقون بغير تنوين فيهما وجر ضره ورحمته على الاضافة اللفظية. (إتحاف فضلاء البشر ٣٧٦، النشر ٢/٣٦٣، التحبير ١٧٣، والبحر المحيط ٧/٤٢٩/٤٣٠).

(٢) ساقطة من (جـ). (٣) في (جـ) يجيبوا. (٤) ساقطة من (هـ). (٥) من (جـ).

(٦) انظر معالم التنزيل ٤/٨٠ ولباب التأويل ٦/٧٧ الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٧) في (د) مفسر

(٨) الآية ١٠٨

(٩) من (جـ، هـ).

(١٠) في (هـ) تتوفى الأنفس يعني.

(١١) في (هـ) عنده.

(١٢) ساقطة من (د، هـ) وفي (ب) إحديها.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٥.

(١٥) في (هـ) يعود

(١٦) اختلف في (قضى عليها الموت) فحمزة والكسائي وخلف بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء مبنياً للمفعول والموت بالرفع نائب الفاعل وافقهم الأعمش والباقون بفتح القاف والضاد مبنياً للفاعل والموت بالنصب مفعوله وللأزرق فيه الفتح والتقليل (انظر الاتحاف ٣٧٦ والنشر ٢/٣٢٣ وتحبير التيسير ١٧٣ والبحر المحيط ٧/٤٣١)

(١٧) في (ب، هـ) وقوله. (١٨) في (ب، جـ، د) معناه. (١٩) ساقطة من (ج).

﴿أجل مسمى﴾ إلى انقضاء الأجل. قال سعيد بن جبير: يقبض أنفس الأحياء والأموات فيمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء فلا يغلط[١] **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. وقال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي[٢] نفس النائم وإرسالها بعد (التوفي)[٣] دليل على البعث[٤]، وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة[٥]: يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث. قوله: **﴿أم اتخذوا (من دون الله شفعاء)﴾**[٦] نزلت في أهل مكة، زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله تعالى[٧] فقال الله منكراً عليهم: [«أم اتخذوا» أي بل اتخذوا][٨] «من دون الله» آلهة شفعاء **﴿قل﴾** يا محمد: **﴿أولو كانوا﴾** يعني الآلهة **﴿لا يملكون شيئاً﴾** من الشفاعة **﴿ولا يعقلون﴾** أنكم تعبدونهم، وجواب هذا الاستفهام محذوف تقدير أولو[٩] كانوا بهذه الصفة تتخذونهم. ثم أخبر أنه[١٠] لا شفاعة إلا باذنه فقال: **﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾** قال مجاهد: لا يشفع أحد[١١] إلا باذنه[١٢] والمعنى لا يملك أحد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[١٣]، وفي هذا إبطال لشفاعة من[١٤] ادعيت له الشفاعة من الآلهة. قوله:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾[١٥] معنى[١٦] الاشمئزاز في اللغة: النفور والاستكبار. قال ابن عباس ومجاهد: اشمأزت انقبضت عن التوحيد[١٧].

وقال قتادة: استكبرت[١٨]، وقال أبو عبيدة[١٩]: نفرت[٢٠]. وكان المشركون[٢١] إذا سمعوا «لا إله إلا الله وحده

---

(١) انظر جامع البيان ٢٤/٧ تفسير القرآن العظيم ٤/٥.
(٢) في (ب) تتوفى.
(٣) في (هـ) النوم.
(٤) انظر معالم التنزيل ٤/٨١.
(٥) التوراة: الكتاب المنزل على سيدنا موسى من عند الله تبارك وتعالى
(٦) من (د).
(٧) من (جـ، د).
(٨) في (هـ) أم أي بل اتخذوا.
(٩) في (أ) ولوا.
(١٠) ساقطة من (د).
(١١) ساقطة من (أ).
(١٢) انظر جامع البيان ٢٤/٨ ومعالم التنزيل ٤/٨١ وزاد المسير ٧/١٨٧.
(١٣) سورة البقرة/ آية رقم ٢٥٥.
(١٤) ساقطة من (هـ) وفي (جـ) لمن.
(١٥) قال البخاري: اشمأزت نفرت. صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر ٦/١٥٧.
(١٦) ساقطة من (هـ).
(١٧) انظر تفسير مجاهد ٢/٥٥٩ وجامع البيان ٢٤/٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥ ومعالم التنزيل ٤/٨١.
(١٨) انظر جامع البيان ٢٤/٨ ومعالم التنزيل ٤/٨١ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٥، ٥٦.
(١٩) في (أ) أبو عبيد.
(٢٠) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٩٠.
(٢١) في (أ، ب، جـ، هـ) المشركين.

لا شريك له» نفروا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: الأوثان آلهة ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني الأصنام التي [١] عبدوها من دونه ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون [٢]. قال مجاهد ومقاتل: يعني [٣] حين قرأ النبي ﷺ بمكة [٤] سورة النجم. فقال تلك الغرانيق العلى. فرح (كفار مكة بذلك)[٥] حين سمعوا أن لها شفاعة. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم[٦] إلى قوله: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة[٧]. والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها[٨] بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا. وقد ظهر هذا في[٩] قوله: ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي من[١٠] مساوىء أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (أنزل)[١١] بهم (كل ما)[١٢] أنذرهم النبي ﷺ به[١٣] مما كانوا ينكرونه ويكذبون به قوله[١٤]:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فإذا مس الإنسان﴾ يعني[١٥] الكافر ﴿ضر دعانا ثم إذا خولناه﴾ أعطيناه نعمة منا[١٦] من عندنا ﴿قال إنما أوتيته﴾ ذكر الكناية، لأن المراد بالنعمة الإنعام[١٧] وقوله: ﴿على علم﴾. قال مقاتل: على خير

---

(١) في (د) والتي.
(٢) في (د) يفرحون بها.
(٣) ساقطة من (هـ).
(٤) مكة: بيت الله الحرام وقال الشرفي: روي أن مكة اسم القرية ومكة مغزى. وقال آخرون بمكة موضع البيت. وما حول البيت مكة. انظر معجم البلدان ١٨٢/٥.
(٥) في (د) فرح بذلك كفار مكة حين.
(٦) عند تفسيره لقوله تعالى: «فاطر السموات والأرض» الآية ١٤ من سورة الأنعام: وباقي الآية مفسر في الآية ٣ من سورة الزمر.
وقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ إلخ الآية ٣٦ من سورة المائدة:
أخبرنا الله تعالى أن الكافر يوم القيامة لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم فدا بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ثم أخبر أنهم خالدون في النار (الوسيط ٨٦٢/٢).
(٧) انظر معالم التنزيل ٨٢/٤.
(٨) من (جـ، د).
(٩) في (هـ) من
(١٠) ساقطة من (أ، هـ).
(١١) في (د) نزل
(١٢) في (أ، ب، جـ، هـ) كلما.
(١٣) ساقطة من (د، هـ).
(١٤) من (جـ).
(١٥) من (ب، جـ).
(١٦) ساقطة من (ب، جـ، د، هـ).
(١٧) في (هـ) والأنعام.

علمه الله عندي[١]»[٢] وقال غيره: على علم من الله بأني له أهل[٣] «قال الله تعالى»[٤] بل هي[٥] فتنة أي بلوى يبتلى بها العبد ليشكر أو ليكفر[٦] ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن ذلك استدراج من الله لهم[٧] وامتحان ﴿قد قالها﴾ أي قال تلك الكلمة وهي[٨] قوله ﴿إنما أوتيته على علم﴾ قال مقاتل: يعني «قارون» حين قال إنما أوتيته على علم عندي [٩] ﴿الذين من قبلهم﴾ يعني الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً. والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك، لأنهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً. وهو قوله: ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أي جزاؤها [١٠] يعني العذاب. ثم أوعد كفار مكة فقال: ﴿والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ لأن مرجعهم إلى الله فهم لا يعجزونه ولا يفوتونه فيجازيهم بأعمالهم ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ قال مقاتل: وعظهم ليعتبروا في توحيده، وذلك حين أمطروا[١١] بعد سبع سنين فقال: (أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء)[١٢] ويقتر على من يشاء. قوله

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبي ﷺ، والقتال ضده[١٣] والزنا. فأنزل الله تعالى[١٤] هذه الآية وفرح النبي ﷺ بهذه الآية. ورآها أصحابه من أوسع الآيات

---

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) انظر جامع البيان ٢٤/٩ والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٦٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧ ومعالم التنزيل ٤/٨٢ والبحر المحيط ٧/٤٣٣.

(٣) انظر معالم التنزيل ٤/٨٢ وزاد المسير ٧/١٨٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٧

(٤) (جـ، د).

(٥) في (د) هو

(٦) في (د) أو يكفر.

(٧) ساقطة من (جـ).

(٨) في (أ، جـ، هـ) وهو.

(٩) انظر معالم التنزيل ٤/٨٢ وزاد المسير ٧/١٨٩.

(١٠) في (د) جزاها.

(١١) في (ب، جـ، د، هـ) مطروا.

(١٢) في (د) أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق يوسع الرزق.

(١٣) في الأصل معه، والصواب: ضده، كي يستقيم المعنى حيث إن القتال معه ليس منكراً.

(١٤) من (د).

في مغفرة الذنوب[١]. أخبرنا [أبو القاسم السراج][٢] أنا[٣] أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن[٤]، أنا علي بن عبد العزيز، أنا القاسم بن سلام، حجاج علي بـن جريح، حدثني يعلي بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن[٥] لو تخبرنا أن لما [٦] عملناه كفارة فنزلت هذه الآية [٧] ومعنى ﴿**أسرفوا على أنفسهم**﴾ [٨] أي بالشرك والزنا وإراقة الدماء. ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله**﴾[٩]. وذلك أنهم ظنوا أنه لا توبة لهم ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ وعد بغفران الذنوب وإن كثرت. أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصراباذي، أنا أبو حامد[١٠] أحمد بن محمد بن شارك[١١]، أنا[١٢] زكريا بن يحيى الساجي، نا عبد الأعلى (ابن حماد)[١٣]، ناد حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد[١٤] أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ[١٥]: ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾[١٦] ولا يبالي به [١٧] ﴿**إنه**[١٨] **هو الغفور الرحيم**﴾[١٩] أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن

---

(١) انظر جامع البيان ٢٤/١٠، ١١ ومعالم التنزيل ٤/٨٣ والبخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الفرقان والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٦٨.

(٢) في (أ) أبو القاسم الزجاج. وأبو القاسم السراج هو عبد الرحمن بن محمد بـن عبد الله القرشي النيسابوري الفقيه توفى سنة ٤١٨ هـ (شذرات الذهب ٣/٢١٠ وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٣، ١٠٨٤).

(٣) في (أ) نا.

(٤) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازوكي النيسابوري (اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) في (د) ما.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ومسلم كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وجامع البيان ٢٤/٦٤ وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٨.

(٨) أسرفوا: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر (المفردات في غريب القرآن مادة سرف ص ٢٣٠، ٢٣١).

(٩) القنوط اليأس من الخير يقال يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة (قنط) ص ٤١٣).

(١٠) أبو حامد أحمد بن محمد بن شارك الفقيه الشافعي مفتي هراة ومحدثها ومفسرها توفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وثلثمائة هجرية (شذرات الذهب ٣/٣٦).

(١١) في (ب، جـ) شاذان.

(١٢) في (د) نا.

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٤) أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية من المبايعات المجاهدات روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث وقتلت بعمود خبائها يوم اليرموك وقيل عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية (الاستيعاب ٤/١٧٨٧ ـ وأسد الغابة ٧/١٨ وتهذيب الكمال ١٦٧٧ وتهذيب التهذيب ١٢/٣٩٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٢٩٦، ٢٩٧ وتهذيب الكمال ٤٨٨).

(١٥) وفي (د) يقول.

(١٦) القنوط: اليأس من الخير يقال قنط يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة قنط ص ٤١٣)

(١٧) ساقطة من (جـ، هـ، د).

(١٨) من (هـ).

(١٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٤٥٤ والترمذي في سننه وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن=

حشيش العدل نا [١] أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي[٢]. نا محمد بن منصور [٣] نا حجاج بن محمد، نا ابن لهيعة عن أبي قبيل [٤] قال [٥]: سمعت أبا عبد الرحمن المقري يقول: حدثني أبو عبد الله الجبلاني أنه سمع ثوبان مولى رسول الله [ﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ] [٦] قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم [لا تقنطوا من رحمة الله][٧]»[٨]. ثم دعاهم إلى التوبة فقال: **﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾** أي[٩] ارجعوا من الشرك والذنوب إلى الله تعالى[١٠] فوحدوه **﴿وأسلموا له﴾** وأخلصوا[١١] له التوحيد[١٢] **﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾** لا تمنعون من عذاب الله **﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾** يعني القرآن. يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه. وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه [١٣] **﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾** يريد الموت، وذلك أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب وهو قوله: **﴿وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس﴾** قال المبرد: أي بادروا خوف أن تقول وحذراً من أن تقول نفس[١٤]. وقال[١٥] الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول[١٦]. **﴿يا حسرتا[١٧] على ما فرطت[١٨] في جنب[١٩] الله﴾** قال الفراء: الجنب القرب، أي في قرب الله وجواره[٢٠] والجنب

= شهر بن حوشب قال وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد. الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر ٥/ ٣٧٠

(١) في (د) أنا.

(٢) أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي. محدث بغداد في وقته توفي سنة ٣٢١ هـ وله نيف وتسعون سنة (العبر ٢/ ١٨٨، تاريخ بغداد ٣/ ٣٥٨، ٣٥٩).

(٣) محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم الطوسي أبو جعفر العباد وثقه النسائي وقال في موضع آخر لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال مسلمة: ثقة توفي رحمه الله سنة ست وخمسين ومائتين هجرية. (تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧٢).

(٤) أبو قبيل هو حي بن هانىء بن ناصر أبو قبيل المعافري المصري مات سنة ١٢٨ هـ (التهذيب ٣/ ٧٣، ٥/ ٣٧٨).

(٥) أ، جـ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (د) وفي هـ انه قال ﷺ.

(٧) من (أ).

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٧٥ والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن. انظر مجمع الزوائد ٧/ ١٠٠. كتاب التفسير تفسير سورة غافر.

(٩) ساقطة من (هـ).

(١٠) من (د).

(١١) في (د) أخلصوا.

(١٢) في (هـ) للتوحيد.

(١٣) انظر جامع البيان ٢٤/ ١٢، ١٣ ومعالم التنزيل ٤/ ٨٥.

(١٤) انظر معالم التنزيل ٤/ ٨٠ وزاد المسير ٧/ ١٩٢ وفتح القدير ٤/ ٤٧١.

(١٥) في (د) قال.

(١٦) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٦.

(١٧) الحسرة معناها: الغم على ما فاته والندم عليه وكأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم، أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه (المفردات مادة (حسر) ص ١١٨)

(١٨) فرط: قصّر يقال: ما فرطت في كذا ما قصّرت. (المفردات مادة «فرط» ص ٣٧٦، ٣٧٧).

(١٩) جنب الله أي أمره وحده الذي حده لنا. (المفردات مادة جنب ص ٩٩).

(٢٠) انظر زاد المسير ٧/ ١٩٢ وفتح القدير ٤/ ٤٧١.

بمعنى القرب كثير في الكلام يقال: فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره، ومنه قوله تعالى [١] ﴿والصاحب بالجنب﴾ [٢] والمعنى على هذا القول: على [٣] ما فرطت في طلب[٤] جنب الله، أي في طلب جواره وقربه وهو الجنة[٥]. وهذا معنى قول ابن الأعرابي [٦] في قرب الله من الجنة وقال الزجاج: أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والإقرار بنبوة رسوله[٧] [صلى الله عليه وسلم][٨] وعلى هذا: الجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى[٩]رضا الله عز وجل[١٠]. والمفسرون ذكروا هذه المعاني، فقال عطاء عن ابن عباس: ضيعت في ثواب الله، وقال مجاهد والسدي: في أمر الله[١١]، وقال الحسن: في طاعة الله[١٢]. ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي[١٣] وما كنت إلا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين[١٤] في الدنيا، أو تقول ﴿لو أن الله هداني﴾ أرشدني إلى دينه ﴿لكنت من المتقين﴾ الشرك ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ مشاهدة وعياناً ﴿لو أن لي كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ الموحدين. ثم يقال لهذا القائل: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ يعني القرآن ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾[١٥] قلت: إنها ليست من الله تعالى[١٦] ﴿واستكبرت﴾[١٧] تكبرت عن الإيمان بها[١٨] قوله:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ فزعموا أن له ولداً أو[١٩] شريكاً ﴿وجوههم مسودة﴾ أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا[٢٠] عبد الله قحطبة، نا محمد بن الصباح، نا عمرو بن الأزهري عن أبي الربيع، عن كثير بن زياد قال: سئل الحسن عن هذه الآية ﴿يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾[٢١]

---

(١) ساقطة من (ب، هـ).
(٢) سورة النساء/ آية رقم ٣٦.
(٣) ساقطة من (ب).
(٤) ساقطة من (ب).
(٥) فتح القدير للشوكاني ٤/٤٧١.
(٦) ابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي الأنباري اللغوي المعروف توفي سنة ٢٣١ هـ. نزهة الأولياء ١٢١.
(٧) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٨٦.
(٨) من (د).
(٩) في (د) في.
(١٠) من (د).
(١١) أنظر تفسير مجاهد ٢/٥٥٩ وجامع البيان ٢٤/١٣ ومعالم التنزيل ٤/٨٥.
(١٢) انظر جامع البيان ٢٤/١٣، ١٤ ومعالم التنزيل ٤/٨٥.
(١٣) ساقطة من (أ)
(١٤) في الأصل والمؤمنين والأفضل وبالمؤمنين لأن إعادة العامل (حرف الجر) أبلغ.
(١٥) من (هـ).
(١٦) ساقطة من (أ).
(١٧) ساقطة من (ب).
(١٨) ساقطة من (هـ).
(١٩) في (د) و.
(٢٠) في (د) أنا.
(٢١) ساقطة من (د).

فقال: هم الذين يقولون: الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل[١]، وباقي الآية مفسر في هذه السورة[٢].

قوله: ﴿وينجي الله﴾ أي من جهنم ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿بمفازتهم﴾ المفازة[٣] الفوز هو الظفر بالخير، والنجاة من الشر. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وإن جمع فحسن[٤] كقولك: السعادة والسعادات[٥] والمعنى ينجيهم الله بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة ﴿لا يمسهم السوء﴾ لا يصيبهم العذاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ لأنهم رضوا بالثواب.

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿الله خالق كل شيء﴾ أي إن[٦] ما في الدنيا والآخرة فهو خالقه. ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾[٧] أي الأشياء كلها موكولة إليه، فهو القائم بحفظها والتصرف فيها. ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ واحدها مقليد[٨] ومقلاد.

---

(١) انظر زاد المسير ١٩٣/٧.

(٢) عند الآية رقم ٣٢ من نفس هذه السورة الكريمة.

(٣) في (د) والمغازا.

(٤) في (هـ) فهو حسن.

(٥) انظر معالم التنزيل ٨٦/٤

(٦) ساقطة من أ، جـ

(٧) في (أ، ب، جـ، هـ) قدير.

(٨) في المعرب للجواليقي ص ٣٦٢ المقليد (بكسر الميم) المفتاح فارسي معرب لغة في الإقليد والجمع مقاليد. قال ابن قتيبة: «له مقاليد السموات والأرض» أي مفاتيحها وخزائنها لأن مالك المفاتيح مالك الخزائن واحدها إقليد وجمع على غير واحد كما قالوا: مذاكير جمع ذكر ويقال: هو فارسي معرب وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد، المفتاح، فارسي معرب. والمقليد لغة في الإقليد والجمع مقاليد. وانظر زاد المسير ١٩٤/٧. هذا ويجرنا هذا الكلام للحديث عن آراء العلماء في وجود بعض الكلمات غير العربية في القرآن الكريم أو عدم وجود ذلك. فنقول وبالله التوفيق:

«اختلف العلماء والأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم، فالأكثرون كما يقول الإمام السيوطي في كتابه الإتقان ـ ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس ـ على عدم وقوعه فيه. لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول. وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد وقال غيره بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعد مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.

وقال آخرون فكل هذه الألفاظ عربية صرفة ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة وقد خفي على ابن عباس

قال ابن عباس[١] ومقاتل: يريد مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة[٢]، وهو قول قتادة[٣] وقال الليث:

= معنى فاطر وفاتح قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي.
وقال أبو المعالي عـزيـز بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ.
وذهب آخرون إلى وقوعه فيه. وأجابوا عن قوله تعالى ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى ﴿ءأعجمي وعـربي﴾ بأن المعنى من السيـاق أكلام أعجمي ومخاطب عربي. واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمة. ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف. فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس وأقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان (وروي) مثله عن سعيـد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتمم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم. والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى.
وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو (وقد) رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن استبرق ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركون هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه على وجه الحكمة فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة، ثم المآكل الشهية، ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ولو تركه لقال من أمر بالعبادة وعد عليها بالأكل والمشرب أن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كريه، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها وأرفع الملابس في الدنيا الحرير وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الموعد لئلا يقصر في الحث والدعاء. ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك استبرق فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثمين اسم وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل فعلم بهذا أن لفظ استبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى.
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنهما وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون.
(انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٣٦: ١٣٨).

(١) انظر جامع البيان ٢٤/١٦ وزاد المسير ٧/ ١٩٤.
(٢) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦ وفتح القدير ٤/٤٧٤.
(٣) انظر جامع البيان ٢٤/١٦ ومعالم التنزيل ٤/٨٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١ وفتح القدير ٤/٤٧٤.

المقلاد الخزانة ومقاليد [السموات والأرض][١]، خزائنها[٢]، وهو قول الضحاك.

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ يعني القرآن ﴿أولئك﴾[٣] ﴿هم الخاسرون﴾ خسروا حين صاروا إلى النار. ثم أعلم أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده فقال: قل[٤] لهم[٥] ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾. قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى[٦] دين آبائه [٧]. وفي ﴿تأمروني﴾ وجوه من القراءة: «تأمرونني» بنونين وهو الأصل، «وتأمروني» بنون مشددة على إسكان الأولى، وإدغامها في الثانية، «وتأمروني» بنون خفيفة [٨] على حذف إحدى النونين [٩] وقوله ﴿أيها الجاهلون﴾ أي[١٠] فيما تأمرونني. ثم حذره أن يتبع دينهم فقال: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[١١] قال ابن عباس: هذا أدب من الله تعالى[١٢] لنبيه ﷺ، وتهديد لغيره لأن الله تعالى [١٣] قد عصمه من الشرك ومداهنة[١٤] الكفار [١٥]. ثم أمره [١٦] بتوحيده فقال: ﴿بل الله فاعبد﴾ قال [عطاء ومقاتل] [١٧]: وحده [١٨]؛ لأن عبادته لا تصح إلا بتوحيده ﴿وكن من الشاكرين﴾ لإنعامه عليك. قوله[١٩]:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ

---

(١) في (جـ) الأرض والسماوات.
(٢) انظر فتح القدير ٤/٤٧٤.
(٣) في (ب) وأولئك.
(٤) ساقطة من (جـ، هـ).
(٥) ساقطة من (جـ).
(٦) في (د) إذا.
(٧) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١ والبحر المحيط ٧/٤٣٨.
(٨) في (هـ) مخففة
(٩) اختلف في (تأمروني) فنافع وأبو جعفر بنون خفيفة على حذف إحدى النونين والمختار مذهب سيبويه أنها نون الرفع، وقيل نون الوقاية، وكلاهما فتح الياء وقرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان بنونين خفيفتين مفتوحة فمكسورة على الأصل وهو الذي عليه أكثر الرواة عن ابن ذكوان من طريقيه. ورواه ابن شاذان عن زيد عن الرملي عن الصوري عن ابن ذكوان بنون واحدة مخففة كنافع. وكذا رواه ابن هارون عن الأخفش وتقدم لابن عامر سكون الياء، والباقون بنون مشددة أدغمت نون الرفع في نون الوقاية وفتح الياء منهم ابن كثير (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٦، - ٣٧٧ والنشر ٢/٣٦٣، ٣٦٤ تحبير التيسير ١٧٣، البحر المحيط ٧/٤٣٩).
(١٠) ساقطة من (ب، هـ).
(١١) حبط العمل على أوجه: أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء كما قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ والثاني: أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى، والثالث: أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزائها سيئات توفي عليها وذلك المشار إليه بخفة الميزان، وأصل الحبط من الحبط وهو أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها (انظر المفردات مادة حبط ص ١٠٦).
(١٢) من (أ).
(١٣) من (د).
(١٤) الإدهان في الأصل: مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة وترك الجد كما جعل التقرية وهو نزع الفراء عن البعير عبارة عن ذلك قال: (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال الشاعر:

الحزم والقوة خير من الـ ... إدهان والقلة والهاع

وداهنت فلاناً مداهنة قال «ودوا لو تدهن فيدهنون» المفردات مادة دهن (ص ١٧٣، ١٧٤).
(١٥) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦.
(١٦) في (جـ) أمر.
(١٧) في (هـ) مقاتل وعطاء
(١٨) انظر زاد المسير ٧/١٩٥ وفتح القدير ٤/٤٧٥.
(١٩) في (د) وقوله.

سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي[١] ما عظموه؛ إذ عبدوا غيره، وأمروا النبي ﷺ بعبادة غيره. ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك. وأخبر[٢] الله عن قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمتها[٣] وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه. فذكر القبضة وإن كان لا يقبض عليها تفهيماً لنا على عادة التخاطب فيما بيننا[٤]، لأنا نقول: هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه. وكذا[٥] قوله تعالى [٦]: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار، يعني أنه يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه. قال الأخفش: بيمينه، يقول: أي [٧] في قدرته نحو قوله ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ [٨] أي ما [٩] كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد[١٠] ثم نزه نفسه عن شركهم فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الآية[١١] [قال المفسرون][١٢]: مات من الفزع وشدة الصوت [أهل السماء والأرض] [١٣] ﴿إلا من شاء الله﴾ أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي الصوفي[١٤]، أنا أبو الحسن علي بن الحسن التميمي، نا محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار، نا إسماعيل بن عياش، عن عمر[١٥] بن محمد[١٦]، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي هريرة [رضي الله عنه][١٧] عن رسول الله ﷺ أنه: سأل[١٨] جبريل عن هذه الآية ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الذين[١٩] لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: «هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش»[٢٠] وهذا قول

---

(١) من (جـ).
(٢) في (ب، جـ، د، هـ) أخبر.
(٣) في (د) عظمها.
(٤) في (ب) بينها.
(٥) في (د) وكذلك.
(٦) من (د).
(٧) من (د).
(٨) النساء: آية ٣٦
(٩) في (أ) بما وفي (جـ، هـ) لما.
(١٠) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/٨٦٧٤
(١١) ساقطة من (ب،د).
(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
(١٣) في (ب، جـ) من في السموات ومن في الأرض، وفي (د) أهل السموات وأهل الأرض، في (هـ) أهل السموات والأرض.
(١٤) ساقطة من (د).
(١٥) في (د) عمرو.
(١٦) عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب نزيل عسقلان وثقه ابن سعد وأحمد وابن معين والعجلي وأبو داود وقال النسائي ليس به بأس مات بعسقلان مرابطاً بها سنة خمس وأربعين ومائة هجرية (تهذيب التهذيب ٧/٤٩٥).
(١٧) من (جـ).
(١٨) في (أ) سئل.
(١٩) في (أ، جـ، د، هـ) الذي.
(٢٠) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٢٠ والحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب القراءة ٢/٢٥٣ وقال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفردوس الأخبار بألفاظ قريبة ٢/٢٤٢، ٣١٢، ٣١٣ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦٤.

سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس[١]، وقال مقاتل والسدي والكلبي: هو جبريل[٢] وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٣] ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ يعني نفخة البعث ﴿فإذا هم قيام﴾ [يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم ﴿ينظرون﴾ ينتظرون][٤] ما يقال لهم، وما يؤمرون به ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وهو أن الله (عز وجل)[٥] يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق به[٦] من غير شمس ولا قمر ﴿ووضع الكتاب﴾ قال مقاتل: يعني كتب الأعمال[٧] ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ وهم الذين يشهدون للرسل بالتبليغ، وهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس[٨]. وقال عطاء[٩]: يعني الحفظة كقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾[١٠] ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم. وهو قوله ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي ثواب ما عملت ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ قال عطاء: يريد أني عالم بفعلهم لا أحتاج إلى كاتب[١١] ولا شاهد[١٢] قوله[١٣]:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ أفواجاً كفاراً كل أمة على حدة. والزمر جماعات[١٤] في تفرقة بعضها على إثر بعض، واحدتها زمرة.

وقوله: ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي[١٥] من أنفسكم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم﴾ يعني ما أنزل الله على الأنبياء. ﴿قالوا بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وهو قوله «لأملأن جهنم منك ﴿(وممن تبعك)[١٦] (منهم أجمعين)﴾[١٧]»[١٨].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ

---

(١) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٨١ وجامع البيان ٢٤/٢٠ وفي الدر وعزاه إلى سعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير ٥/٣٣٦.

(٢) في (هـ) جبرئيل.

(٣) انظر جامع البيان ٢٤/٢٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٥) في (د) تعالى.

(٦) في (أ، جـ، د، هـ) الأرض.

(٧) انظر جامع البيان ٢٤/٢٢ ومعالم التنزيل ٤/٨٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦٤.

(٨) انظر جامع البيان ٢٤/٢٢، ٢٣ ومعالم التنزيل ٤/٨٨

(٩) نظر معالم التنزيل ٤/٨٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦٤

(١٠) سورة (ق)/ آية رقم ٢١.

(١١) في (ب، د) كتاب.

(١٢) انظر جامع البيان ٢٤/٢٣ ومعالم التنزيل ٤/٨٨.

(١٣) من (جـ، د).

(١٤) في (هـ) جماعة.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) ساقطة من (هـ).

(١٧) من (ب).

(١٨) سورة (ص)/ آية ٨٥.

مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله[1] ﴿وسيق الذين اتقوا (ربهم إلى الجنة)﴾[2] (إلى قوله)[3] ﴿وفتحت أبوابها﴾ «هذه الواو زيادة» عند الأخفش[4] والكوفيين[5]، والمعنى فتحت حتى يكون جواباً لقوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾ كالذي في قصة سوق الكفار.

وقال الزجاج [6]: القول عندي أن الجواب محذوف على تقدير حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأشياء التي ذكرت إلى قوله ﴿فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب دخلوها [7] حذف [8]؛ لأن في هذا [9] الكلام دليلاً عليه. وقوله ﴿سلام عليكم﴾ أخبر الله تعالى[10] أن خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين ويخبرونهم بطيب مقامهم فيها. قال ابن عباس: ﴿طبتم﴾ طاب لكم المقام [11]. وقال قتادة: إنهم قد طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم[12] من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة: ﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾[13]. فلما دخلوها قالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أرض الجنة ﴿نتبوأ (من الجنة) حيث نشاء﴾[14] نتخذ[15] فيها من المنازل ما نشاء يقول الله تعالى[16]: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ نعم ثواب المحسنين الجنة ﴿وترى الملائكة﴾ يومئذ ﴿حافين من حول العرش﴾[17] محيطين محدقين به، يقال حفَّ القوم بفلان إذا أطافوا[18] به ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يحمدون الله[19] حيث أدخل[20] الموحدين[21] الجنة ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالحق﴾ بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أهل[22] الجنة يقولون ذلك شكراً لله على إنجاز وعده حين تم وعد الله لهم.

---

(١) في (د) قول.
(٢) ساقطة من (جـ، هـ)
(٣) في (د) زمراً حتى إذا جاؤها.
(٤) انظر معاني القرآن للأخفش ٢/٦٧٣ ومغني اللبيب ٢/٣٦٢ والبحر المحيط ٧/٤٤٣.
(٥) انظر وجوه الإعراب والقراءات ٢/١١٣ ومغني اللبيب ٢/٣٦٢ والبحر المحيط ٧/٤٤٣.
(٦) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٨٧.
(٧) في (أ) دخولها.
(٨) في (ب) وحزفت.
(٩) من (أ).
(١٠) ساقطة من (د).
(١١) انظر معالم التنزيل ٤/٨٩ وزاد المسير ٧/٢٠١، ٢٠٢.
(١٢) في (أ، جـ، هـ) بعضهم.
(١٣) انظر معالم التنزيل ٤/٨٩.
(١٤) في (أ، جـ، هـ) منها وساقطة من (ب).
(١٥) في (جـ) فنتخذ.
(١٦) من (د).
(١٧) في (د) الحافين.
(١٨) في (ب) طافو.
(١٩) ساقطة من (د).
(٢٠) في (د، جـ) دخل.
(٢١) في الأصل: الموحدون، والصواب: الموحدين، لأنها في مقام المفعول به المنصوب بالياء.
(٢٢) في (جـ) وأهل.



فهرس محتويات
الجزء الثالث
من تفسير الوسيط

فهرس الجزء الثالث

تفسير سورة الرعد

الآيات: ١ ـ ٤ .... ٣
الآيات: ٥ ـ ٨ .... ٥
الآيات: ٩ ـ ١١ .... ٧
الآيات: ١٢ ـ ١٥ .... ٩
الآيات: ١٦ ـ ١٨ .... ١١
الآيات: ١٩ ـ ٢٦ .... ١٣
الآيات: ٢٧ ـ ٣٢ .... ١٤
الآيات: ٣٣ ـ ٣٧ .... ١٨
الآيات: ٣٨ ـ ٤٠ .... ١٩
الآيات: ٤١ ـ ٤٣ .... ٢٠

تفسير سورة إبراهيم

الآيات: ١ ـ ٨ .... ٢٢
الآيات: ٩ ـ ١٧ .... ٢٤
الآية: ١٨ .... ٢٧
الآيات: ١٩ ـ ٢٣ .... ٢٨
الآيات: ٢٤ ـ ٢٧ .... ٢٩
الآيات: ٢٨ ـ ٣٠ .... ٣١
الآيات: ٣١ ـ ٣٤ .... ٣٢
الآيات: ٣٥ ـ ٤٢ .... ٣٣
الآية: ٤٣ .... ٣٥
الآيات: ٤٤ ـ ٥١ .... ٣٦

تفسير سورة الحجر

الآيات: ١ ـ ٥ .... ٣٨
الآيات: ٦ ـ ٩ .... ٣٩
الآيات: ١٠ ـ ١٥ .... ٤٠
الآيات: ١٦ ـ ٢٥ .... ٤١
الآيات: ٢٦ ـ ٣١ .... ٤٣
الآيات: ٣٢ ـ ٤٨ .... ٤٤
الآيات: ٤٩ ـ ٦٠ .... ٤٦
الآيات: ٦١ ـ ٧٧ .... ٤٨
الآيات: ٧٨ ـ ٨٤ .... ٥٠
الآيات: ٨٥ ـ ٩٩ .... ٥١

تفسير سورة النحل

الآيتان: ١، ٢ .... ٥٥
الآيات: ٣ ـ ٨ .... ٥٦
الآيات: ٩ ـ ١٣ .... ٥٧
الآيات: ١٤ ـ ١٦ .... ٥٨
الآيات: ١٧ ـ ٢٩ .... ٥٩
الآيات: ٣٠ ـ ٣٤ .... ٦١
الآيات: ٣٥ ـ ٤٢ .... ٦٢
الآيتان: ٤٣، ٤٤ .... ٦٣
الآيات: ٤٥ ـ ٥٠ .... ٦٤
الآيات: ٥١ ـ ٥٩ .... ٦٦
الآيات: ٦٠ ـ ٦٤ .... ٦٨
الآيات: ٦٥ ـ ٧٠ .... ٦٩
الآيات: ٧١ ـ ٧٤ .... ٧٣
الآيتان: ٧٥، ٧٦ .... ٧٤
الآيات: ٧٧ ـ ٨٠ .... ٧٥
الآية: ٨١ .... ٧٦
الآيات: ٨٢ ـ ٨٨ .... ٧٧
الآية: ٨٩ .... ٧٨
الآيات: ٩٠ ـ ٩٣ .... ٧٩
الآية: ٩٤ .... ٨٠
الآيات: ٩٥ ـ ٩٧ .... ٨١
الآيات: ٩٨ ـ ١٠٢ .... ٨٢

الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥ ..... ٨٤
الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٩ ..... ٨٦
الآيتان: ١١٠، ١١١ ..... ٨٧
الآيات: ١١٢ ـ ١١٤ ..... ٨٨
الآيات: ١١٥ ـ ١٢٤ ..... ٨٩
الآيات: ١٢٥ ـ ١٢٨ ..... ٩١

تفسير سورة الإسراء

الآية: ١ ..... ٩٣
الآيات: ٢ ـ ٨ ..... ٩٦
الآيات: ٩ ـ ١٤ ..... ٩٨
الآيات: ١٥ ـ ١٧ ..... ١٠٠
الآيات: ١٨ ـ ٢١ ..... ١٠١
الآيات: ٢٢ ـ ٢٥ ..... ١٠٢
الآيات: ٢٦ ـ ٢٨ ..... ١٠٤
الآيات: ٢٩ ـ ٣٣ ..... ١٠٥
الآيات: ٣٤ ـ ٣٨ ..... ١٠٧
الآيات: ٣٩ ـ ٤٤ ..... ١٠٨
الآيات: ٤٥ ـ ٥٣ ..... ١٠٩
الآيتان: ٥٤، ٥٥ ..... ١١٠
الآيتان: ٥٦، ٥٧ ..... ١١٢
الآيات: ٥٨ ـ ٦٠ ..... ١١٣
الآيات: ٦١ ـ ٦٥ ..... ١١٥
الآيات: ٦٦ ـ ٧٢ ..... ١١٧
الآيات: ٧٣ ـ ٧٧ ..... ١١٩
الآيات: ٧٨ ـ ٨٢ ..... ١٢٠
الآيات: ٨٣ ـ ٨٧ ..... ١٢٤
الآيات: ٨٨ ـ ٩٠ ..... ١٢٦
الآيات: ٩١ ـ ٩٣ ..... ١٢٧
الآيات: ٩٤ ـ ٩٩ ..... ١٢٨
الآيات: ١٠٠ ـ ١٠٤ ..... ١٣٠
الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٩ ..... ١٣٢
الآيتان: ١١٠، ١١١ ..... ١٣٣

تفسير سورة الكهف

الآيات: ١ ـ ٨ ..... ١٣٥
الآيات: ٩ ـ ١٢ ..... ١٣٧
الآيات: ١٣ ـ ١٨ ..... ١٣٨
الآيات: ١٩ ـ ٢١ ..... ١٤٠
الآية: ٢٢ ..... ١٤٢
الآيتان: ٢٣، ٢٤ ..... ١٤٣
الآيات: ٢٥ ـ ٢٨ ..... ١٤٤
الآيات: ٢٩ ـ ٣١ ..... ١٤٥
الآيات: ٣٢ ـ ٣٧ ..... ١٤٧
الآيات: ٣٨ ـ ٤٤ ..... ١٤٨
الآيتان: ٤٥، ٤٦ ..... ١٥٠
الآيات: ٤٧ ـ ٤٩ ..... ١٥١
الآيات: ٥٠ ـ ٥٣ ..... ١٥٢
الآيات: ٥٤ ـ ٥٩ ..... ١٥٤
الآيات: ٦٠ ـ ٧٠ ..... ١٥٥
الآيات: ٧١ ـ ٧٦ ..... ١٥٨
الآيات: ٧٧ ـ ٨٠ ..... ١٥٩
الآيتان: ٨١، ٨٢ ..... ١٦٠
الآيات: ٨٣ ـ ٩١ ..... ١٦٣
الآيات: ٩٢ ـ ٩٨ ..... ١٦٥
الآيات: ٩٩ ـ ١٠٢ ..... ١٦٩
الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٨ ..... ١٧٠
الآية: ١٠٩ ..... ١٧١
الآية: ١١٠ ..... ١٧٢

تفسير سورة مريم

الآيات: ١ ـ ٤ ..... ١٧٤
الآيات: ٥ ـ ٧ ..... ١٧٥
الآيتان: ٨، ٩ ..... ١٧٧
الآيات: ١٠ ـ ١٥ ..... ١٧٨
الآيات: ١٦ ـ ٢١ ..... ١٧٩
الآيات: ٢٢ ـ ٢٤ ..... ١٨٠
الآيتان: ٢٥، ٢٦ ..... ١٨١
الآيات: ٢٧ ـ ٣٣ ..... ١٨٢
الآيات: ٣٤ ـ ٣٧ ..... ١٨٣
الآيات: ٣٨ ـ ٤٠ ..... ١٨٤

الآيات: ٤١ ـ ٤٨ .... ١٨٥
الآيات: ٤٩ ـ ٥٥ .... ١٨٦
الآيات: ٥٦ ـ ٦٠ .... ١٨٧
الآيات: ٦١ ـ ٦٣ .... ١٨٨
الآيتان: ٦٤، ٦٥ .... ١٨٩
الآيات: ٦٦ ـ ٧٢ .... ١٩٠
الآيتان: ٧٣، ٧٤ .... ١٩٢
الآيتان: ٧٥، ٧٦ .... ١٩٣
الآيات: ٧٧ ـ ٨٠ .... ١٩٤
الآيات: ٨١ ـ ٨٧ .... ١٩٥
الآيات: ٨٨ ـ ٩٥ .... ١٩٦
الآيات: ٩٦ ـ ٩٨ .... ١٩٧

تفسير سورة طه

الآيات: ١ ـ ٨ .... ١٩٩
الآيتان: ٩، ١٠ .... ٢٠١
الآيات: ١١ ـ ١٦ .... ٢٠٢
الآيات: ١٧ ـ ٢١ .... ٢٠٣
الآيات: ٢٢ ـ ٣٥ .... ٢٠٤
الآيات: ٣٦ ـ ٤٤ .... ٢٠٥
الآيات: ٤٥ ـ ٤٨ .... ٢٠٨
الآيات: ٤٩ ـ ٥٥ .... ٢٠٩
الآيات: ٥٦ ـ ٦٢ .... ٢١٠
الآيتان: ٦٣، ٦٤ .... ٢١١
الآيات: ٦٥ ـ ٧٠ .... ٢١٣
الآيات: ٧١ ـ ٧٣ .... ٢١٤
الآيات: ٧٤ ـ ٧٧ .... ٢١٥
الآيات: ٧٨ ـ ٨٢ .... ٢١٦
الآيات: ٨٣ ـ ٨٩ .... ٢١٧
الآيات: ٩٠ ـ ٩٦ .... ٢١٩
الآيات: ٩٧ ـ ١٠١ .... ٢٢٠
الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٨ .... ٢٢١
الآيات: ١٠٩ ـ ١١٢ .... ٢٢٢
الآيات: ١١٣ ـ ١٢٢ .... ٢٢٣
الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٦ .... ٢٢٥
الآيات: ١٢٧ ـ ١٣٠ .... ٢٢٦
الآيتان: ١٣١، ١٣٢ .... ٢٢٧
الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٥ .... ٢٢٨

تفسير سورة الأنبياء

الآيات: ١ ـ ٦ .... ٢٢٩
الآيات: ٧ ـ ٩ .... ٢٣٠
الآيات: ١٠ ـ ١٥ .... ٢٣١
الآيات: ١٦ ـ ٢٠ .... ٢٣٢
الآيات: ٢١ ـ ٢٣ .... ٢٣٣
الآيات: ٢٤ ـ ٣١ .... ٢٣٥
الآيات: ٣٢ ـ ٣٥ .... ٢٣٦
الآيتان: ٣٦، ٣٧ .... ٢٣٧
الآيات: ٣٨ ـ ٤٣ .... ٢٣٨
الآيات: ٤٤ ـ ٤٧ .... ٢٣٩
الآيات: ٤٨ ـ ٥٦ .... ٢٤١
الآيات: ٥٧ ـ ٦٣ .... ٢٤٢
الآيات: ٦٤ ـ ٧٠ .... ٢٤٣
الآيات: ٧١ ـ ٧٥ .... ٢٤٤
الآيات: ٧٦ ـ ٨٢ .... ٢٤٥
الآيتان: ٨٣، ٨٤ .... ٢٤٧
الآيات: ٨٥ ـ ٨٨ .... ٢٤٨
الآيات: ٨٩ ـ ٩١ .... ٢٥٠
الآيات: ٩٢ ـ ٩٧ .... ٢٥١
الآيات: ٩٨ ـ ١٠٣ .... ٢٥٢
الآية: ١٠٤ .... ٢٥٣
الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٧ .... ٢٥٤
الآيات: ١٠٨ ـ ١١٢ .... ٢٥٥

تفسير سورة الحج

الآيتان: ١، ٢ .... ٢٥٧
الآيتان: ٣، ٤ .... ٢٥٨
الآيات: ٥ ـ ٧ .... ٢٥٩
الآيات: ٨ ـ ١٠ .... ٢٦٠
الآيات: ١١ ـ ١٣ .... ٢٦١
الآيات: ١٤ ـ ١٨ .... ٢٦٢

الآيات: ١٩ ـ ٢٢ .... ٢٦٣
الآيتان: ٢٣، ٢٤ .... ٢٦٤
الآية: ٢٥ .... ٢٦٥
الآيات: ٢٦ ـ ٢٩ .... ٢٦٦
الآيتان: ٣٠، ٣١ .... ٢٦٩
الآيتان: ٣٢، ٣٣ .... ٢٧٠
الآيات: ٣٤ ـ ٣٦ .... ٢٧١
الآيتان: ٣٧، ٣٨ .... ٢٧٢
الآيتان: ٣٩، ٤٠ .... ٢٧٣
الآيات: ٤١ ـ ٤٦ .... ٢٧٤
الآيتان: ٤٧، ٤٨ .... ٢٧٥
الآيات: ٤٩ ـ ٥٤ .... ٢٧٦
الآيات: ٥٥ ـ ٦٠ .... ٢٧٧
الآيات: ٦١ ـ ٦٦ .... ٢٧٨
الآيات: ٦٧ ـ ٧١ .... ٢٧٩
الآيات: ٧٢ ـ ٧٦ .... ٢٨٠
الآيتان: ٧٧، ٧٨ .... ٢٨١

تفسير سورة المؤمنون

الآيات: ١ ـ ١١ .... ٢٨٣
الآيات: ١٢ ـ ١٦ .... ٢٨٥
الآيات: ١٧ ـ ٢٢ .... ٢٨٦
الآيات: ٢٣ ـ ٣٠ .... ٢٨٨
الآيات: ٣١ ـ ٤٣ .... ٢٨٩
الآيات: ٤٤ ـ ٤٨ .... ٢٩٠
الآيات: ٤٩ ـ ٥٦ .... ٢٩١
الآيات: ٥٧ ـ ٦١ .... ٢٩٢
الآيات: ٦٢ ـ ٦٧ .... ٢٩٣
الآيات: ٦٨ ـ ٧٥ .... ٢٩٤
الآيات: ٧٦ ـ ٨٣ .... ٢٩٥
الآيات: ٨٤ ـ ٩٢ .... ٢٩٦
الآيات: ٩٣ ـ ١٠٠ .... ٢٩٧
الآيات: ١٠١ ـ ١٠٤ .... ٢٩٨
الآيات: ١٠٥ ـ ١١١ .... ٢٩٩
الآيات: ١١٢ ـ ١١٦ .... ٣٠٠
الآيتان: ١١٧، ١١٨ .... ٣٠١

تفسير سورة النور

الآيتان: ١، ٢ .... ٣٠٢
الآية: ٣ .... ٣٠٤
الآيتان: ٤، ٥ .... ٣٠٥
الآيات: ٦ ـ ١٠ .... ٣٠٦
الآية: ١١ .... ٣٠٧
الآيات: ١٢ ـ ١٥ .... ٣١١
الآيات: ١٦ ـ ٢١ .... ٣١٢
الآيات: ٢٢ ـ ٢٥ .... ٣١٣
الآية: ٢٦ .... ٣١٤
الآيات: ٢٧ ـ ٣٠ .... ٣١٥
الآية: ٣١ .... ٣١٦
الآية: ٣٢ .... ٣١٧
الآيتان: ٣٣، ٣٤ .... ٣١٨
الآية: ٣٥ .... ٣٢٠
الآيات: ٣٦ ـ ٣٨ .... ٣٢١
الآيتان: ٣٩، ٤٠ .... ٣٢٢
الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٣٢٣
الآيات: ٤٥ ـ ٥٠ .... ٣٢٤
الآيتان: ٥١، ٥٢ .... ٣٢٥
الآيات: ٥٣ ـ ٥٥ .... ٣٢٦
الآيات: ٥٦ ـ ٦٠ .... ٣٢٧
الآية: ٦١ .... ٣٢٩
الآيتان: ٦٢، ٦٣ .... ٣٣١
الآية: ٦٤ .... ٣٣٢

تفسير سورة الفرقان

الآيات: ١ ـ ٣ .... ٣٣٣
الآيات: ٤ ـ ١٤ .... ٣٣٤
الآيات: ١٥ ـ ١٩ .... ٣٣٦
الآيات: ٢٠ ـ ٢٤ .... ٣٣٧
الآيات: ٢٥ ـ ٢٩ .... ٣٣٨
الآيات: ٣٠ ـ ٣٤ .... ٣٣٩
الآيات: ٣٥ ـ ٤٠ .... ٣٤٠

الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٣٤١
الآيات: ٤٥ ـ ٥٠ .... ٣٤٢
الآيات: ٥١ ـ ٥٧ .... ٣٤٣
الآيات: ٥٨ ـ ٦٢ .... ٣٤٤
الآيات: ٦٣ ـ ٦٧ .... ٣٤٥
الآيات: ٦٨ ـ ٧١ .... ٣٤٦
الآيات: ٧٢ ـ ٧٤ .... ٣٤٨
الآيات: ٧٥ ـ ٧٧ .... ٣٤٩

تفسير سورة الشعراء

الآيات: ١ ـ ٩ .... ٣٥٠
الآيات: ١٠ ـ ٢٢ .... ٣٥١
الآيات: ٢٣ ـ ٣٥ .... ٣٥٢
الآيات: ٣٦ ـ ٥٩ .... ٣٥٣
الآيات: ٦٠ ـ ٦٨ .... ٣٥٤
الآيات: ٦٩ ـ ٨٢ .... ٣٥٥
الآيات: ٨٣ ـ ١٠٤ .... ٣٥٦
الآيات: ١٠٥ ـ ١١٥ .... ٣٥٧
الآيات: ١١٦ ـ ١٣٥ .... ٣٥٨
الآيات: ١٣٦ ـ ١٤٥ .... ٣٥٩
الآيات: ١٤٦ ـ ١٦٤ .... ٣٦٠
الآيات: ١٦٥ ـ ١٨٥ .... ٣٦١
الآيات: ١٨٦ ـ ١٩٩ .... ٣٦٢
الآيات: ٢٠٠ ـ ٢١٢ .... ٣٦٣
الآيات: ٢١٣ ـ ٢٢٠ .... ٣٦٤
الآيات: ٢٢١ ـ ٢٢٧ .... ٣٦٥

تفسير سورة النمل

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ٣٦٨
الآيات: ١١ ـ ١٤ .... ٣٦٩
الآيات: ١٥ ـ ١٩ .... ٣٧٠
الآيتان: ٢٠، ٢١ .... ٣٧٣
الآيات: ٢٢ ـ ٢٦ .... ٣٧٤
الآيات: ٢٧ ـ ٣٣ .... ٣٧٦
الآيات: ٣٤ ـ ٤٠ .... ٣٧٧
الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٣٧٩
الآيات: ٤٥ ـ ٥٣ .... ٣٨٠
الآيات: ٥٤ ـ ٦٠ .... ٣٨١
الآيات: ٦١ ـ ٦٣ .... ٣٨٢
الآيات: ٦٤ ـ ٧٢ .... ٣٨٣
الآيات: ٧٣ ـ ٨١ .... ٣٨٤
الآية: ٨٢ .... ٣٨٥
الآيات: ٨٣ ـ ٩٠ .... ٣٨٦
الآيات: ٩١ ـ ٩٣ .... ٣٨٧

تفسير سورة القصص

الآيات: ١ ـ ٦ .... ٣٨٩
الآيات: ٧ ـ ٩ .... ٣٩٠
الآيات: ١٠ ـ ١٥ .... ٣٩٢
الآيات: ١٦ ـ ١٩ .... ٣٩٣
الآيات: ٢٠ ـ ٢٤ .... ٣٩٤
الآيات: ٢٥ ـ ٢٨ .... ٣٩٥
الآيات: ٢٩ ـ ٣٢ .... ٣٩٧
الآيات: ٣٣ ـ ٣٥ .... ٣٩٨
الآيات: ٣٦ ـ ٤٢ .... ٣٩٩
الآيات: ٤٣ ـ ٤٥ .... ٤٠٠
الآيات: ٤٦ ـ ٥١ .... ٤٠١
الآيات: ٥٢ ـ ٥٥ .... ٤٠٢
الآيتان: ٥٦، ٥٧ .... ٤٠٣
الآيات: ٥٨ ـ ٦١ .... ٤٠٤
الآيات: ٦٢ ـ ٦٧ .... ٤٠٥
الآيات: ٦٨ ـ ٧٤ .... ٤٠٦
الآيات: ٧٥ ـ ٧٧ .... ٤٠٧
الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ .... ٤٠٨
الآيتان: ٨١، ٨٢ .... ٤٠٩
الآيتان: ٨٣، ٨٤ .... ٤١٠
الآيات: ٨٥ ـ ٨٨ .... ٤١١

تفسير سورة العنكبوت

الآيات: ١ ـ ٤ .... ٤١٢
الآيات: ٥ ـ ٩ .... ٤١٣
الآيتان: ١٠، ١١ .... ٤١٤

الآيات: ١٢ ـ ١٥ .... ٤١٥
الآيات: ١٦ ـ ٢٣ .... ٤١٦
الآيات: ٢٤ ـ ٢٧ .... ٤١٧
الآيات: ٢٨ ـ ٣٠ .... ٤١٨
الآيات: ٣١ ـ ٤٠ .... ٤١٩
الآيات: ٤١ ـ ٤٣ .... ٤٢٠
الآيتان: ٤٤، ٤٥ .... ٤٢١
الآيتان: ٤٦، ٤٧ .... ٤٢٢
الآيات: ٤٨ ـ ٥٢ .... ٤٢٣
الآيات: ٥٣ ـ ٦٠ .... ٤٢٤
الآيات: ٦١ ـ ٦٦ .... ٤٢٥
الآيات: ٦٧ ـ ٦٩ .... ٤٢٦

تفسير سورة الروم

الآيات: ١ ـ ٧ .... ٤٢٧
الآية: ٨ .... ٤٢٨
الآيتان: ٩، ١٠ .... ٤٢٩
الآيات: ١١ ـ ١٩ .... ٤٣٠
الآيات: ٢٠ ـ ٢٥ .... ٤٣١
الآيات: ٢٦ ـ ٢٩ .... ٤٣٢
الآيات: ٣٠ ـ ٣٢ .... ٤٣٣
الآيات: ٣٣ ـ ٤٠ .... ٤٣٤
الآيتان: ٤١، ٤٢ .... ٤٣٥
الآيات: ٤٣ ـ ٤٨ .... ٤٣٦
الآيات: ٤٩ ـ ٥٣ .... ٤٣٧
الآيات: ٥٤ ـ ٥٧ .... ٤٣٨
الآيات: ٥٨ ـ ٦٠ .... ٤٣٩

تفسير سورة لقمان

الآيات: ١ ـ ١١ .... ٤٤٠
الآيات: ١٢ ـ ١٩ .... ٤٤٢
الآيات: ٢٠ ـ ٢٦ .... ٤٤٤
الآيات: ٢٧ ـ ٣٠ .... ٤٤٥
الآيتان: ٣١، ٣٢ .... ٤٤٦
الآيتان: ٣٣، ٣٤ .... ٤٤٧

تفسير سورة السجدة

الآيات: ١ ـ ٣ .... ٤٤٩
الآيات: ٧ ـ ١١ .... ٤٥٠
الآيات: ١٢ ـ ١٤ .... ٤٥١
الآيات: ١٥ ـ ١٧ .... ٤٥٢
الآيات: ١٨ ـ ٢٣ .... ٤٥٤
الآيات: ٢٤ ـ ٢٨ .... ٤٥٥
الآيتان: ٢٩، ٣٠ .... ٤٥٦

تفسير سورة الأحزاب

الآيات: ١ ـ ٥ .... ٤٥٧
الآيات: ٦ ـ ٨ .... ٤٥٩
الآيات: ٩ ـ ١٠ .... ٤٦٠
الآيات: ١١ ـ ١٦ .... ٤٦١
الآية: ١٧ .... ٤٦٢
الآيتان: ١٨، ١٩ .... ٤٦٣
الآيات: ٢٠ ـ ٢٢ .... ٤٦٤
الآيتان: ٢٣، ٢٤ .... ٤٦٥
الآيات: ٢٥ ـ ٢٧ .... ٤٦٦
الآيتان: ٢٨، ٢٩ .... ٤٦٧
الآيتان: ٣٠، ٣١ .... ٤٦٨
الآيات: ٣٢ ـ ٣٤ .... ٤٦٩
الآية: ٣٥ .... ٤٧٠
الآيات: ٣٦ ـ ٣٨ .... ٤٧٢
الآيتان: ٣٩، ٤٠ .... ٤٧٤
الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٤٧٥
الآيات: ٤٥ ـ ٤٩ .... ٤٧٦
الآيات: ٥٠ ـ ٥٢ .... ٤٧٧
الآيات: ٥٣ ـ ٥٥ .... ٤٧٩
الآية: ٥٦ .... ٤٨١
الآيات: ٥٧ ـ ٦٢ .... ٤٨٢
الآيات: ٦٣ ـ ٦٩ .... ٤٨٣
الآيات: ٧٠ ـ ٧٣ .... ٤٨٤

تفسير سورة سبإ

الآيات: ١ ـ ٦ .... ٤٨٦

الآيات: ٧ ـ ٩ .... ٤٨٧
الآيات: ١٠ ـ ١٣ .... ٤٨٨
الآية: ١٤ .... ٤٨٩
الآيات: ١٥ ـ ١٧ .... ٤٩٠
الآيتان: ١٨، ١٩ .... ٤٩١
الآيات: ٢٠ ـ ٢٣ .... ٤٩٣
الآيات: ٢٤ ـ ٢٧ .... ٤٩٤
الآيات: ٢٨ ـ ٣٣ .... ٤٩٥
الآيات: ٣٤ ـ ٣٩ .... ٤٩٦
الآيات: ٤٠ ـ ٤٣ .... ٤٩٧
الآيات: ٤٤ ـ ٥٠ .... ٤٩٨
الآيات: ٥١ ـ ٥٤ .... ٤٩٩

تفسير سورة فاطر

الآيات: ١ ـ ٣ .... ٥٠٠
الآيات: ٤ ـ ١١ .... ٥٠١
الآيات: ١٢ ـ ١٨ .... ٥٠٣
الآيات: ١٩ ـ ٣٠ .... ٥٠٤
الآيات: ٣١ ـ ٣٥ .... ٥٠٥
الآيات: ٣٦ ـ ٣٨ .... ٥٠٦
الآيات: ٣٩ ـ ٤٢ .... ٥٠٧
الآيات: ٤٣ ـ ٤٥ .... ٥٠٨

تفسير سورة يٓس

الآيات: ١ ـ ٧ .... ٥٠٩
الآيات: ٨ ـ ١٢ .... ٥١٠
الآيات: ١٣ ـ ١٩ .... ٥١١
الآيات: ٢٠ ـ ٣٠ .... ٥١٣
الآيات: ٣١ ـ ٣٧ .... ٥١٤
الآيات: ٣٨ ـ ٤٤ .... ٥١٤
الآيات: ٤٥ ـ ٥٠ .... ٥١٥
الآيات: ٥١ ـ ٥٨ .... ٥١٦
الآيات: ٥٩ ـ ٦٧ .... ٥١٧
الآيات: ٦٨ ـ ٧٠ .... ٥١٨
الآيات: ٧١ ـ ٧٧ .... ٥١٩
الآيات: ٧٨ ـ ٨٣ .... ٥٢٠

تفسير سورة الصافات

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ٥٢١
الآيات: ١١ ـ ١٩ .... ٥٢٢
الآيات: ٢٠ ـ ٢٦ .... ٥٢٣
الآيات: ٢٧ ـ ٣٧ .... ٥٢٤
الآيات: ٣٨ ـ ٥٨ .... ٥٢٥
الآيات: ٥٩ ـ ٧٠ .... ٥٢٦
الآيات: ٧١ ـ ٨٢ .... ٥٢٧
الآيات: ٨٣ ـ ٩٨ .... ٥٢٨
الآيات: ٩٩ ـ ١١٣ .... ٥٢٩
الآيات: ١١٤ ـ ١٣٢ .... ٥٣١
الآيات: ١٣٣ ـ ١٤٨ .... ٥٣٢
الآيات: ١٤٩ ـ ١٧٠ .... ٥٣٤
الآيات: ١٧١ ـ ١٨٢ .... ٥٣٥

تفسير سورة صٓ

الآيات: ١ ـ ٣ .... ٥٣٨
الآيات: ٤ ـ ٨ .... ٥٣٩
الآيات: ٩ ـ ١١ .... ٥٤٠
الآيات: ١٢ ـ ١٦ .... ٥٤١
الآيات: ١٧ ـ ٢٠ .... ٥٤٣
الآيات: ٢١ ـ ٢٦ .... ٥٤٦
الآيات: ٢٧ ـ ٢٩ .... ٥٥٠
الآيات: ٣٠ ـ ٣٣ .... ٥٥١
الآيات: ٣٤ ـ ٤٠ .... ٥٥٢
الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٥٥٧
الآيات: ٤٥ ـ ٤٩ .... ٥٥٩
الآيتان: ٥٠، ٥١ .... ٥٦٢
الآيات: ٥٢ ـ ٦١ .... ٥٦٣
الآيات: ٦٢ ـ ٦٦ .... ٥٦٥
الآيات: ٦٧ ـ ٧٠ .... ٥٦٦
الآيات: ٧١ ـ ٨١ .... ٥٦٧

تفسير سورة الزمر

الآيات: ١ ـ ٤ .... ٥٦٩
الآيتان: ٥، ٦ .... ٥٧٠

الآية: ٧ .... ٥٧١
الآية: ٨ .... ٥٧٢
الآية: ٩ .... ٥٧٣
الآيات: ١٠ ـ ١٥ .... ٥٧٤
الآيات: ١٦ ـ ١٨ .... ٥٧٥
الآيات: ١٩ ـ ٢٤ .... ٥٧٦
الآيات: ٢٥ ـ ٢٨ .... ٥٧٩
الآيات: ٢٩ ـ ٣١ .... ٥٨٠
الآيات: ٣٢ ـ ٣٧ .... ٥٨١
الآيات: ٣٨ ـ ٤٠ .... ٥٨٢
الآيات: ٤١ ـ ٤٤ .... ٥٨٣
الآيات: ٤٥ ـ ٤٨ .... ٥٨٤
الآيات: ٤٩ ـ ٥٢ .... ٥٨٥
الآيات: ٥٣ ـ ٥٩ .... ٥٨٦
الآيتان: ٦٠، ٦١ .... ٥٨٩
الآيات: ٦٢ ـ ٦٦ .... ٥٩٠
الآيات: ٦٧ ـ ٧٠ .... ٥٩٣
الآيات: ٧١ ـ ٧٣ .... ٥٩٤
الآيتان: ٧٤، ٧٥ .... ٥٩٥